لينين

المختارات

فى ١٠ مجلدات

المجلد

٢

لينين

المختارات

فى ١٠ مجلدات

المجلد

٢

(١٩٠٢–١٩٠٥)

دار التقدم . موسكو

ترجمة الياس شاهين

В. И. ЛЕНИН

Избранные произведения в 10-ти томах

ТОМ II

На арабском языке

© الترجمة الى اللغة العربية ـ دار التقدم ١٩٧٩

طبع في الاتحاد السوفييتي

Л $\frac{10102-042}{014(01)-78}$ без объявл.

من الدار

يشتمل المجلد الثانى من مؤلفات لينين المختارة (بالعربية) على اهم مؤلفاته الصادرة منذ عام ١٩٠٢ حتى ايلول (سبتمبر) ١٩٠٥

يبدأ المجلد بكتاب لينين «ما العمل ؟» الذي صدر في آذار (مارس) ١٩٠٢ وفي هذا الكتاب عرض لينين خطته لتأسيس الحزب خطة توحيد الحلقات الماركسية المبعثرة في حزب ثورى واحد للطبقة العاملة في روسيا ومعلوم ان المؤتمر الاول لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (ح ع ا د ر) قد انعقد في مينسك في سنة ١٨٩٨ اي قبل صدور كتاب لينين باربع سنوات ولكن سرعان ما اعتقل جميع المشتركين في المؤتمر بعد ارفضاضه ، فلم يتحقق عمليا توحيد الحلقات المحلية في حزب واحد وقد اثبت لينين في كتاب «ما العمل ؟» البطلان التام لافكار ما يسمى «بالاقتصادية» – وهي تيار انتهازي انتشر بين قسم من الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس وبين لينين قبل كل شيء ان «الاقتصادية» هي نوع من الانتهازية العالمية كان ممثله الرئيسي في اواخر العقد العاشر من القرن التاسع عشر الاشتراكي-الديموقراطي الالماني برنشتين الذي طالب بان تتحول الاشتراكية-الديموقراطية من حزب للثورة الاجتماعية الى حزب

للاصلاحات وسلط لينين على البرنشتينية انتقادا ماحقا وابان الخطر الذي يتهدد الحركة العمالية من «السجود امام العفوية» الذي تتميز به «الاقتصادية» واشار الى ما للنظرية الثورية الصحيحة من اهمية عظيمة بالنسبة لنضال الطبقة العاملة وصاغ وعلل الموضوعة القائلة «لاحركة ثورية بدون نظرية ثورية» (الصفحة ٣٧ من هذا المجلد)

في عامى ١٩٠٢ و ١٩٠٣ اضطلعت جريدة «الايسكرا» بدور بالغ في صياغة وتطوير النظرية الماركسية وفي تأسيس حزب ثوري للطبقة العاملة وقد نشرت عملين واردين في هذا المجلد هما «روح المغامرة الثورية» و «المسألة القومية في برنامجنا»

في العمل الاول منهما عارض لينين التكتيك المغامر القائم على الارهاب الفردي ، والذي كان يلجأ اليه احد احزاب البرجوازية الصغيرة ، حزب الاشتراكيين-الثوريين ، فى النضال ضد القيصرية وبيّن الدور الهام الذي ستضطلع به في الحركة الثورية علاقات البروليتاريا مع الفلاحين وهذا الموضوع بالذات موضوع مكان الفلاحين في الثورة المقبلة موضوع التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين اسهب لينين في بحثه في كراسه «الى الفلاحين الفقراء»

في ظروف الدولة المتعددة القوميات ، كان لا بد لمسالة مصائر الامم «الصغيرة» التى تستعبدها وتستثمرها القيصرية ان تصبح من اهم المسائل وفي مقال عن المسألة القومية ، دعا لينين الى الاعتراف بحق كل امة في تقرير مصيرها

في صيف ١٩٠٣ انعقد المؤتمر الثانى ح ع ا د ر وفي هذا المؤتمر تكشفت تناقضات حادة في داخل الحزب ادت في آخر المطاف الى الانشقاق والى تأسيس حزبين مستقلين متميزين هما حزب البلاشفة الثورى وحزب المناشفة الانتهازي في البدء لم تتجل هذه التناقضات في الامر الرئيسى : فقد اقر المؤتمر برنامجا

ماركسيا يعتبر اقامة الاشتراكية الهـــــدف النهائي والثورة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا شرط النجاح وقد استبانت التناقضات لدن بحث النظام الداخلي للحزب ولا سيما مسالة عضوية الحزب فقد عارض زعيم المناشفة مارتوف الفكرة اللينينية عن الحزب بوصفه الفصيلة الطليعية والمنظمة للبروليتاريا بموضوعة تقول بحزب يشرّع ابوابه امام جميـــع الراغبين في الانتساب الى صفوفه ، اي بمنظمة عديمة الشكل ، برجوازية صغيرة وانتهازية من حيث جوهرها

على تخوم القرن العشرين دخلت روسيا في مرحلـــــة الامبريالية وقد عجلت الازمة الحادة في سنوات ١٩٠٠ – ١٩٠٣ بالانتقال الى الطور الاحتكاري وادى هجوم الرأسمال على الطبقـة العاملة في سنوات الازمة الى تعاظم الحركة الاضرابية فانتقل العمال من الاضرابات الاقتصادية الى الاضرابات السياسية ، الى النضال ضد النظام الاوتوقراطي (نظام الحكم المطلق) وبدأت الاضطرابات بين الفلاحين المطالبين باستعادة الارض التي انتزعها منهم الملاكـــون العقاريون لدن الغاء القنانة وتطورت الحركة الطلابية مطالبـــة بالحريات السياسية ثم جاءت الحرب الروسيـــــة اليابانية التي نشبت في كانون الثاني (يناير) ١٩٠٤ تؤزم جميع تناقضات الحياة الاجتماعية في روسيا وتعجل الاحداث الثوريـــة وتكشف عفن القيصرية وانحلال جهاز الدولة من القمة الى القاعدة ورغم ان الجنود الروس حاربوا ببسالة ، منيت الحكومة القيصرية بهزيمـة شنعاء وشددت الحرب الاستياء في البلاد وعجلت الثورة

في ٩ كانون الثاني ١٩٠٥ ، اطلقت العساكر القيصريـــة في بطرسبورغ النار على مسيرة سلميـــة قام بها العمال الى القيصر ليقدموا له عريضة بمطالبهم فبدأت الثورة في البلاد وفي ربيع وصيف ١٩٠٥ ، كانت الثورة في مرحلة النهوض . وفي طليعـــة

النضال سار البروليتاريون اي عمال بطرسبورغ الصناعية وعمال النسيج في ايفانوفو - فوزنيسينسك، وعمال التعدين في مصانع الاورال وشملت الحركة الفلاحين حتى الجيش والاسطول اهتزا ايضا وفي حزيران (يونيو) ١٩٠٥ نشبت انتفاضة على متن المدرعة «بوتيومكين» وللمرة الاولى في تاريخ روسيا رفع علم الثورة على سفينة حربية وفي سياق الاضرابات نشأت اشكال جديدة للتنظيم والنضال – فقد انبثقت سوفييتات (مجالس) نواب العمال، والنقابات.

اضطلع ح ع ادر بدور هائل في حركة البروليتاريا والفلاحين والجنود في عام ١٩٠٥ فقد قاد الاشتراكيون-الديموقراطيون اللينينيون الاضرابات، وقاموا بالدعاية في صفوف الجيش، واعدوا الاضراب السياسي العام وقد وصل ح ع ادر الى الثورة الروسية الاولى، مهيأ لها، مسلحا بعقيدة مصاغة وبرنامج موضوع

في نيسان (ابريل) ١٩٠٥ انعقد في لندن المؤتمر الثالث ح ع ادر، وحدد مهام الحزب الرئيسية وتكتيكه في الثورة البادئة. وقد رفض المناشفة ارسال مندوبيهم الى المؤتمر، وعقدوا في جينيف كونفيرانسا (مجلساً عاماً) خاصا بهم، منشفيا

وقد عرض لينين في مؤلفه «خطتا الاشتراكية - الديموقراطية في الثورة الديموقراطية» الذي كتبه في حزيران وتموز (يونيو ويوليو) ١٩٠٥ والذي يرد في هذا المجلد الموضوعات الاساسية لستراتيجية الحزب البلشفي الثورية وتكتيكه الثوري وللمرة الاولى تناول البحث في هذا الكتاب مسألة خصائص الثورة البرجوازية الديموقراطية في عصر الامبريالية وقواها المحركة وآفاقها ومسألة تحول الثورة البرجوازية الديموقراطية الى ثورة اشتراكية وشروط وظروف هذا التحول ومسألة التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين مع احتفاظ البروليتاريا بالدور القيادي.

وقد كتب لينين يقول «ينبغي على البروليتاريا ان تقوم بالانقلاب الديموقراطي الى النهاية بان تضم اليها جماهير الفلاحين لسحق مقاومة الاتوقراطية بالقوة وشلّ تذبذب البرجوازية وينبغي على البروليتاريا ان تقوم بالانقلاب الاشتراكي بان تضم اليها جماهير العناصر نصف البروليتارية من السكان لسحق مقاومة البرجوازية بالقوة وشل تذبذب الفلاحين والبرجوازية الصغيرة» (الصفحة ٥٠٤ من هذا المجلد)

كذلك يضم المجلد اعمالا اخرى كتبها لينين في عام ١٩٠٥ الثوري وتتضمن تحليلا لسير الثورة ووصفا للطبقات والاحزاب العاملة في المسرح السياسي وتصوغ الدروس والعبر النابعة من احداث ذلك الزمن

في تموز ١٩٠٥ نشرت جريدة «بروليتاري» مقالة لينين «الثورة تعلّم» وقد كتب لينين في ختامها «ان الثورة تعلّم وقضيتنا ان نستفيد من دروسها الى آخر نقطة منها ونطابق بين شعاراتنا التكتيكية وبين مسلكنا ومهماتنا المباشرة (الصفحة ٥٦٧ من هذا المجلد)

ومعلوم ان ثورة ١٩٠٥ قد منيت بالهزيمة ولكن الموضوعات النظرية والتكتيكية التي صاغها البلاشفة – اللينينيون ، وكذلك المبادئ التنظيمية للحزب الجديد الطراز ، قد اتاحت السير بنجاح الى النهاية بالثورة الاشتراكية في عام ١٩١٧ وهذه الموضوعات والمبادئ تساعد في الوقت الحاضر كل حركة ثورية وكل حركة تحررية وطنية .

ما العمل ؟

المسائل الملحة لحركتنا (١)

«... ان النضال الحزبي يعطي الحزب القوة والحيوية ؛ والدليل القاطع على ضعف الحزب هو الميوعة وطمس الحدود المرسومة بخطوط واضحة ؛ ان الحزب يقوى بتطهير نفسه ...»

(من رسالة وجهها لاسال الى ماركس في ٢٤ حزيران (يونيو) سنة ١٨٥٢)

مقدمة

هذا الكراس الموضوع بين ايدي القارئ كان يراد له ، بموجب مخطط المؤلف الاول ان يتناول بالتفصيل تطور الافكار الواردة في مقال «بم نبدأ ؟» (٢) («الايسكرا» (٣) العدد ٤ ، ايار (مايو) سنة ١٩٠١) ونرى لزاماً علينا ان نبدأ بالاعتذار للقارئ لتأخرنا في انجاز الوعد الذي قطعناه على انفسنا في المقال المذكور (والذي اكدناه في اجوبتنا على الكثير من الاسئلة والرسائل الخاصة) لقد كانت المحاولة التي جرت في حزيران (يونيو) السنة الماضية (سنة ١٩٠١) (٤) لتوحيد جميع المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية في الخارج سبباً من اسباب هذا التأخر فقد كان من الطبيعي ان ننتظر نتائج هذه المحاولة لانه كان من المحتمل في حالة نجاحها ان نضطر الى عرض نظرات «الايسكرا» التنظيمية من وجهة نظر تختلف بعض الشيء ، ولان هذا النجاح كان من شأنه على كل حال ان يبعث الأمل في وضع حد بسرعة قصوى لوجود اتجاهين في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية وقد انتهت هذه المحاولة كما يعلم القارئ الى الاخفاق وكان لا بد لها ان تنتهي اليه – وسنسعى للبرهان على ذلك فيما يلي من البحث – بعد

الانعطاف الجديد نحو «الاقتصادية» (٥) من جانب «رابوتشييه ديلو» (٦) في العدد العاشر وقد ظهر ان خوض النضال الحازم ضد هذا الاتجاه المائع وغير الواضح المعالم ولكنه بالمقابل وبالتالي اتجاه ثابت وقادر على الانبعاث بشتى الاشكال ، انما هو امر لا مفر منه وتبعاً لذلك تغير المخطط الاول الموضوع للكراس واتسع جداً

لقد كان من المقرر ان يكون الموضوع الرئيسي للكراس المسائل الثلاث الواردة في مقال «بم نبدأ ؟» وهي طابع تحريضنا السياسي ومضمونه الرئيسي ومهامنا التنظيمية ومشروع انشاء منظمة كفاحية لعامة روسيا انشاء يجري في وقت واحد ومن شتى الجوانب وهذه المسائل كانت منذ امد بعيد تستدعي اهتمام المؤلف الذي حاول اثارتها في «رابوتشايا غازيتا» (٧) اثناء محاولة من المحاولات غير الناجحة لبعثها (راجع الفصل الخامس) ولكن تبين لي ان تنفيذ الفكرة الاولى والاقتصار على بحث هذه المسائل الثلاث في الكراس وعرض وجهة نظري بشكل ايجابي على قدر الامكان دون اللجوء البتة الى الجدال او دون اللجوء اليه الا لماما هو امر غير ممكن التحقيق على الاطلاق لسببين اثنين فقد اتضح من جهة ، ان «الاقتصادية» هي اشد حيوية بكثير مما كنا نقدر (ونحن نستعمل كلمة «الاقتصادية» بالمعنى الواسع كما شرحناها في العدد ١٢ من «الايسكرا» (كانون الاول – ديسمبر سنة ١٩٠١) في مقال «حديث مع انصار الاقتصادية» المقال الذي كان بمثابة رؤوس اقلام اذا صح التعبير لهذا الكراس الموضوع بين يدي القارئ ولم يبق مجال للشك في ان اختلاف وجهات النظر حول حل هذه المسائل الثلاث يفسره التضاد الجذري بين اتجاهي الاشتراكية-الديموقراطية الروسية اكثر بكثير مما يفسره اختلاف وجهات النظر حول الجزئيات . ومن جهة اخرى ، ان استغراب «الاقتصاديين» لقيامنا

عملياً في «الايسكرا» بعرض وجهات نظرنا قد اظهر بكل وضوح اننا كثيراً ما نتكلم بلغات مختلفة بالمعنى الحرفي للكلمة ، واننا **لا نستطيع** بالتالي الاتفاق حول اي امر اذا لم نبدأ ab ovo * ، وان من الضروري القيام بمحاولة «**توضيح**» **منتظم مع جميع** «الاقتصاديين» حول **جميع** النقاط الجذرية في خلافاتنا ، «توضيح» مبسط ، مشروح باكثر ما يمكن من الامثلة الحسية ولقد عزمت على القيام بمحاولة كهذه «للتوضيح» مدركاً كل الادراك ان هذا يضخم حجم الكراس لدرجة كبيرة ويؤخر صدوره ولكني لم ار في الوقت نفسه سبيلاً **آخر** لتنفيذ ما وعدت به في مقال «بم نبدأ ؟» وهكذا ينبغي لي ان اضيف الى الاعتذار على التأخر اعتذاراً آخـــر على النقص الكبير في ديباجة الكراس الادبية فقد اضطررت للكتابة **باقصى السرعة** وفضلاً عن ذلك كانت تحملني على الانقطاع عن الكتابـــة مختلف المشاغل الاخرى

واذن كان بحث المسائل الثلاث المذكورة اعلاه كمـــا في السابق الموضوع الرئيسي للكراس ولكن كان علي ان ابدأ من مسألتين اعم لماذا نرى في شعار «بريء» و «طبيعي» كشعار «حرية الانتقاد» اعلاناً حقيقياً للنفير ؟ لماذا لا نستطيع الاتفاق حتى حول المسألة الاساسية – دور الاشتراكية-الديموقراطية في الحركة الجماهيرية العفوية ؟ وبعد ان عرض نظراتنا في طابع التحريض السياسي ومضمونه قد تحول الى شرح للفرق بين السياســـــة التريديونيونية والسياســـة الاشتراكية-الديموقراطية اما عرض نظراتنا في المهام التنظيمية ، فقد تحول الى شرح للفرق بين الطريقة الحرفية التي ترضي «الاقتصاديين» وتنظيم الثوريين الضروري في رأينا وبعد اني اتمسك «بمشروع» الجريدة السياسيّة لعامة

---

* ــ من البداية . ــ باللاتينية في النص الأصلي . **الناشر** .

روسيا باصرار متزايد كلما ازداد بطلان الاعتراضات المقدمة ضده والتهرب من الجواب على جوهر سؤالي المطروح في مقال «بم نبدأ ؟» – وهو كيف يمكننا ان نبدأ في وقت واحد ومن جميع الجوانب ببناء المنظمة التي نحن بحاجة اليها وآمل اخيراً ان ابين في القسم الختامي من الكراس اننا بذلنا كل ما في طاقتنا لدرء الانفصال التام مع «الاقتصاديين» هذا الانفصال الذي ظهر مع ذلك ، امراً لا مفر منه ، وان جريدة «رابوتشييه ديلو» قد اكتسبت اهمية خاصة «تاريخية» ان شئتم بكونها قد اعربت باتمّ شكل واوضحه لا عن «الاقتصادية» المتماسكة ، بل عن التشويش والتردد اللذين كانا الصفة المميزة **لمرحلة كاملة** من تاريخ الاشتراكية-الديموقراطية الروسية وان هذا الجدال مع «رابوتشييه ديلو» الذي يبدو لاول وهلة مفصلاً جداً يكتسب لذلك اهمية ايضا ما دمنا لا نستطيع متابعة السير الى الامام دون ان نصفي هذه المرحلة تصفية تامة

ن . لينين

شباط (فبراير) سنة ١٩٠٢ .

١

الجمود العقائدي و«حرية النقد»

أ) ما معنى «حرية النقد» ؟

ان شعار «حريـة النقـد» هو ، دون شك ، الشعار الاوسع انتشاراً في الوقت الحاضر الشعار الاكثر استعمالاً في الجـدل بين الاشتراكيين والديموقراطيين في جميع البلدان وانه ليصعب على المرء لاول وهلة ان يتصورشيئـاً ادعى الى الدهشة من تذرع احد المتجادلين على مسمع من الملأ ، بحرية النقد هـل ارتفعت ، يا ترى ، من بيئة الاحزاب المتقدمة اصوات ضد القانون الدستوري الذي يضمن في معظـم البلدان الاوروبيـة حريـة العلم وحرية البحث العلمي ؟ «ان وراء الأكمة ما وراءها» – هذا ما سيقوله لنفسه بالتأكيد كل انسان غير متحيز يسمع هذا الشعار الـدارج يكرر في كل ناد وواد ولكنه لم يدرك بعد جوهـر الخلاف بين المتجادلين «يبدو ان هذا الشعار من كلمات السر التي يكرسها الاستعمال كما هي الحال في الالقاب وتصبح أشبه باسماء الاجناس».

وفي الحقيقة لا يخفى على احد ان اتجاهين قد نبعا في الاشتراكية الديموقراطية العالمية * الراهنة اتجاهين يحتدم بينهما النضـال

---

* وبالمناسبة نقول ان هذه الظاهرة تكاد تكون وحيدة في تاريخ الاشتراكية المعاصرة وظاهرة معزية للغاية في بابها فلاول مرة نرى النزاع بين مختلف التيارات في داخل الاشتراكية يتعدى النطاق الوطني الى النطاق العالمي . ففيما

ويضطرم اواره حيناً ويهدأ حيناً آخر ويخمد تحت رماد «قرارات عن الهدنة» مهيبة وقد **اعلن** برنشتين **واظهر** ميليران بما يكفي من الوضوح فحوى الاتجاه «الجديد» الذي يأخذ من الماركسية «القديمة ، الجامدة» ، موقفاً «نقدياً»

ينبغي للاشتراكية-الديموقراطية ان تتحول من حزب للثورة الاجتماعية الى حزب ديموقراطي للاصلاحات الاجتماعية هذا المطلب السياسي احاطه برنشتين بمجموعة كبيرة من البراهين والاعتبارات «الجديدة» نسقها تنسيقاً لا بأس به فقد انكر امكانية دعم الاشتراكية علمياً وامكانية البرهان على ضرورتها وحتميتها من وجهة نظر المفهوم المادي للتاريخ انكر واقع تزايد البؤس والتحول الى البروليتاريا وتفاقم التناقضات الرأسمالية اعلن ان مفهوم «**الهدف النهائي**» ذاته باطل ورفض فكرة ديكتاتورية البروليتاريا رفضاً قاطعاً انكر التضاد المبدئي بين الليبيرالية والاشتراكية انكر **نظرية النضال الطبقي** وزعم انها لا تنطبق على مجتمع ديموقراطي صرف يدار وفق مشيئة الاكثرية الخ

مضى كان الجدال بين اللاساليين والايزيناخيين (٨) ، بين الغيديين والامكانيين (٩) ، بين الفابيين والاشتراكيين-الديموقراطيين (١٠) بين النارودوفوليين والاشتراكيين-الديموقراطيين (١١) يظل جدالا في النطاق الوطني الصرف ، يعرب عن خصائص وطنية صرف ؛ لقد كان الجدال يجري ، ان امكن القول ، على مستويات مختلفة وفي الوقت الحاضر (ويبدو هذا الامر اليوم بكل وضوح) يؤلف الفابيون الانجليز والمستوزرون الفرنسيون (١٢) والبرنشتينيون الالمان (١٣) والنقاد الروس (١٤) عائلة واحدة ، يكيل بعضهم لبعض المديح ويتعلمون بعضهم من بعض وينقضون معاً على الماركسية «الجامدة» وفي هذه المعركة الاولى العالمية حقاً ضد الانتهازية الاشتراكية ، عسى ان تبلغ الاشتراكية - الديموقراطية الثورية العالمية من القوة ما يكفي لوضع حد للرجعية السياسية السائدة في اوروبا منذ امد بعيد .

وهكذا فـــان مطلب الانعطاف الحاسم مـــن الاشتراكية-الديموقراطية الثورية الى الاصلاحية الاجتماعية البرجوازية قـــد رافقه انعطاف لا يقل حسماً نحو النقد البرجوازي لجميع افكـــار الماركسية الاساسية ولما كان هذا النقد يساق ضد الماركسية منذ امد بعيد من المنابر السياسية ومنابر الجامعات وفي مجموعة كبيرة من الكراريس وجملة من الابحاث العلمية ولما كان الجيل الناشئ كله من الطبقات المتعلمة يتربى بانتظام وطيلة عشرات السنين على هذا النقد – فلا غرو ان ينبثق الاتجاه «النقدي الجديد» في الاشتراكية-الديموقراطية بشكله المتكامل دفعة واحدة كمـــا انبثقت مينيرفا من رأس جوبيتر (١٥) لم يكن من الضروري ان يتطور هذا الاتجاه ويتكون من حيث مضمونه فقد نقل نقلاً من المطبوعات البرجوازية الى المطبوعات الاشتراكية

وبعد اذا كان نقد برنشتين النظري ومطامعه السياسية قد ظلت غامضة بالنسبة لبعضهم فقد عنى الفرنسيون بتبيـــان «الطريقة الجديدة» في التطبيق وفي هذه المرة ايضاً اثبتت فرنسا انها تستحق ما اشتهرت به منذ القدم من انها «البلاد التي كان يضل فيها صراع الطبقات ، في تاريخها اكثر مما في اية بلاد اخرى ، الى نهايته الفاصلة» (انجلس من مقدمـــة لمؤلف ماركس «Der 18 Brumaire»). فالاشتراكيون الفرنسيون لم ينصرفوا الى النظريات ، بل الى العمل المباشر ذلك لأن الظروف السياسية المتطورة في فرنسا تطوراً اكبر من وجهة النظر الديموقراطية قد مكنتهم من الانتقال رأساً الى «البرنشتينية العملية» مع كل ما ينجم عنها من نتائج ولقد اعطى ميليران مثلاً رائعاً عـــن هذه البرنشتينية العملية فليس عبثاً اذن ان اندفع برنشتين وفولمار للدفاع عن ميليران وامتداحه بمثل هـــذه الحماسة وبالفعل اذا كـــانت الاشتراكية-الديموقراطية ليست في جوهرها الا حزب الاصلاحـــات

واذا كان ينبغي لها ان تجد في نفسها الجرأة على اعلان ذلك امام الملأ – فعندئذ لا يحق للاشتراكي ان يشترك في الوزارة البرجوازية وحسب بل ينبغي لـه ان ينزع دائماً الى ذلك واذا كانت الديموقراطية تعني في جوهرها الغاء السيادة الطبقية – فلماذا لا يعمد الوزير الاشتراكي الى اغراء العالم البرجوازي كله بخطابات عن تعاون الطبقات ؟ ولماذا لا يبقى في الوزارة ولو بعد ان جاءت مصارع العمال على يد الدرك دليلاً للمرة المئة بل الالف على حقيقة طابع التعاون الديموقراطي بين الطبقات ؟ ولماذا لا يشترك شخصياً في تحية القيصر الذي لا ينعته الاشتراكيون الفرنسيون في الوقت الحاضر الا ببطل المشانق والسياط والمنافي (knouteur, pendeur et déportateur) ؟ وتعويضاً عن هذا الحضيض من الهوان الذي سقطت الاشتراكية فيه والاحتقار الذي جلبته لنفسها امام العالم كله ، وتعويضاً عن افساد الوعي الاشتراكي بين جماهير العمال – وهو الاساس الوحيد الذي في وسعه ان يضمن لنا الانتصار – تعويضاً عن كل ذلك نرى **مشاريع** طنانة لاصلاحات تافهة تافهة بحيث امكن الحصول على اكثر منها من الحكومات البرجوازية

ان الذين لا يتعامون عن عمد يرون لا محالة ان الاتجاه «النقدي» الجديد في الاشتراكية ليس غير مظهر جديد من مظاهر **الانتهازية** واذا حكمنا على الناس لا على اساس الرداء البراق الذي يخلعونه على انفسهم بانفسهم لا على اساس اللقب الطنان الذي ينتحلونه لانفسهم بل على اساس تصرفاتهم وعلى اساس ما يدعون اليه في الواقع اتضح ان «حرية النقد» تعني حرية الاتجاه الانتهازي في الاشتراكية-الديموقراطية حرية تحويل الاشتراكية-الديموقراطية الى حزب اصلاحي ديموقراطي حرية ادخال الافكار البرجوازية والعناصر البرجوازية الى الاشتراكية .

الحرية كلمة عظيمة ، ولكن تحت لواء حرية الصناعة شنت افظع حروب السلب والنهب وتحت لواء حرية العمل جرى نهب الشغيلة وكلمة «حرية النقد» في استخدامها الحالي تتضمن مثل هذا الزيف ان الذين يؤمنون حقاً بأنهم دفعوا العلم الى امام لا يطلبون حرية وجود المفاهيم الجديدة الى جانب المفاهيم القديمة بل ابدال الجديدة بالقديمة اما الصرخة الحالية «عاشت حرية النقد !» فتشبه شديد الشبه حكاية الطبل الاجوف

نحن نسير جماعة متراصة في طريق وعر صعب متكاتفين بقوة ومن جميع الجهات يطوقنا الاعداء ، وينبغي لنا ان نسير على الدوام تقريباً ونحن عرضة لنيرانهم لقد اتحدنا بملء ارادتنا اتحدنا بغية مقارعة الاعداء بالذات لا للوقوع في المستنقع المجاور الذي لامنا سكانه منذ البدء لأننا اتحدنا في جماعة على حدة وفضلنا طريق النضال على طريق المهادنة واذا بعض منا يأخذ بالصياح هلموا الى هذا المستنقع ! وعندما يقال لهم الا تخجلون يعترضون قائلين ما اجهلكم يا هؤلاء الا تستحون ان تنكروا علينا حرية دعوتكم الى الطريق الاحسن ! – صحيح صحيح ايها السادة ! انكم احرار لا في ان تدعوا وحسب ، بل ايضاً في الذهاب الى المكان الذي يطيب لكم الى المستنقع ان شئتم ونحن نرى ان مكانكم انتم هو المستنقع بالذات ونحن على استعداد للمساعدة بقدر الطاقة على انتقالكم **انتم** اليه ولكن رجاءنا ان تتركوا ايدينا ان لا تتعلقوا باذيالنا ان لا تلطخوا كلمة الحرية العظمى ذلك لاننا نحن ايضاً «احرار» في السير الى حيث نريد احرار في النضال لا ضد المستنقع وحسب بل ايضاً ضد الذين يعرجون عليه !

ب) المدافعون الجدد عن «حرية النقد»

وها هو ذا هذا الشعار («حرية النقد») الذي طرحه بصورة مهيبة في الآونة الاخيرة لسان حال «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» في الخارج (١٦) «رابوتشييه ديلو» (العدد ١٠) لا كأمر مسلم به نظرياً بل كمطلب سياسي كجواب على سؤال «هل يمكن توحيد المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية العاملة في الخارج ؟» – «الاتحاد الوطيد يقتضي حرية النقد» (ص ٣٦)

من هذا القول يخلص المرء الى استنتاجين واضحين كل الوضوح ١ – «رابوتشييه ديلو» تأخذ على عاتقها الدفاع عن الاتجاه الانتهازي في الاشتراكية-الديموقراطية العالمية بوجه عام ٢ – «رابوتشييه ديلو» تطلب حرية الانتهازية في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية فلنبحث هذين الاستنتاجين

«رابوتشييه ديلو» غير راضية «بوجه خاص» من «ميل «الايسكرا» و«زاريا» (١٧) الى التنبؤ بالانفصال بين **الجبل والجيروند** (١٨) في الاشتراكية-الديموقراطية العالمية» *

كتب محرر «رابوتشييه ديلو» ب كريتشيفسكي يقول «الكلام عن **الجبل والجيروند** في صفوف الاشتراكية-الديموقراطية يبدو لنا

---

* وردت المقارنة بين التيارين في البروليتاريا الثورية (الثوري والانتهازي) والتيارين في البرجوازية الثورية في القرن الثامن عشر (اليعقوبيين – «الجبل» والجيروندين) في افتتاحية العدد ٢ من «الايسكرا» (شباط – فبراير – سنة ١٩٠١) وواضع هذا المقال هو بليخانوف والحديث عن «اليعقوبية» في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية هو حتى الآن الموضوع المحبب الى الكاديت (١٩) و«جماعة بلا اسم» (٢٠) والمناشفة (٢١) ولكنهم اليوم يفضلون ان يلزموا الصمت او ان يتناسوا ان بليخانوف هو اول من ابرز هذا المفهوم ضد الجناح اليميني في الاشتراكية-الديموقراطية. (ملاحظة المؤلف لطبعة سنة ١٩٠٧ . **الناشر** .)

بوجه عام عبارة عن مقارنة تاريخية سطحية نستغرب صدورهـــا عن قلم ماركسي ؛ فالجبل والجيروند لم يمثلا مزاجين او تيارين فكريين مختلفين كما قد يخيل للمؤرخين الايديولوجيين ، بل كانا يمثلان طبقات او فئات مختلفة ــ البرجوازية المتوسطة من جهة ، والبرجوازية الصغيرة مـــــع البروليتاريا من الجهة الاخرى هذا بينما لا يوجد في الحركة الاشتراكية المعاصرة تصادم بين المصالح الطبقية ، فهي بمجموعهـــا **وبجميع** (حرف التاكيد لكريتشيفسكي) مظاهرها ، بما في ذلك البرلشتينيون المتطرفون ، تقف على صعيد مصالح البروليتاريا الطبقية ، على صعيـــد نضالها الطبقي في سبيل تحررها السياسي والاقتصادي» (ص ٣٢ــ٣٣)

تاكيد جريء ! أولـم يسمع ب كريتشيفسكي بواقع لوحظ منذ امد بعيد ونعني به ان اشتراك **فئة** «الاكاديميين» في الحركة الاشتراكية خلال السنوات الاخيرة على نطاق واسع هو الذي ضمن انتشار البرنشتينية بمثل هذه السرعة ؟ والامر الرئيسي بـــم يدعم كاتبنا رأيه اذ يزعم ان «البرنشتينيين المتطرفين» يقفون هم ايضاً على صعيد النضال الطبقي في سبيل تحرير البروليتاريـــا السياسي والاقتصادي ؟ لا ندري انه يدافع بحزم عن البرنشتينيين المتطرفين دون ان يأتي باية حجة او اي دليل لدعم ذلك ان واضع المقال يظن على ما يظهر ان اقواله لا تحتاج الى برهان اذا كرر ما يقوله البرنشتينيون المتطرفون عن انفسهم ولكن هل يمكن للمرء ان يتصور «سطحية» تضارع سطحيـة هذا الحكم على اتجـاه باكمله استناداً الى ما يقوله ممثلو هذا الاتجاه عن انفسهم ؟ هل يمكن تصور سطحية تضارع سطحية «المواعظ» التي اتت بعـــد ذلك بصدد نموذجين او طريقين للتطور الحزبي مختلفين او حتى متناقضين كل التناقض (ص ص ٣٤–٣٥ من «رابوتشييه ديلو») ؟ الاشتراكيون-الديموقراطيون الالمان يعترفون – كذا ! – بحريـــة النقد كاملة اما الفرنسيون فلا يعترفون بها ، ومثلهم بالذات هو الذي يبين كل «ضرر عدم التسامح» .

ونجيب نحن على ذلك ان مثل ب كريتشيفسكي بالذات هو الذي يبين ان هناك من يسمون انفسهم احياناً بالماركسيين وينظرون مع ذلك الى التاريخ «على نمط ايلوفايسكي» (٢٢) بالضبط لتفسير وحدة الحزب الاشتراكي الالماني وانقسام الحزب الاشتراكي الفرنسي على نفسه ليس من داع الى البحث في خصائص تاريخ البلدين ولا الى المقارنة بين ظروف الحكم العسكري شبه المطلق وظروف البرلمانية الجمهورية ولا الى تقصي نتائج الكومونة (٢٣) والقانون الاستثنائي بخصوص الاشتراكيين (٢٤) ولا الى مقارنة الحياة الاقتصادية والتطور الاقتصادي ، ولا الى تذكر ان «نمو الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية المنقطع النظير» قد رافقته همة في النضال منقطعة النظير في تاريخ الاشتراكية ليس فقط النضال ضد الاخطاء النظرية (ميولبيرغر ودوهرينغ *

---

* عندما انقض انجلس على دوهرينغ ، مال الى آراء هذا الاخير عدد لا باس به من ممثلي الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية ، وانهالت على انجلس ، حتى علناً ، في مؤتمر الحزب ، اتهامات تتهمه بالشدة وعدم التسامح والعدام الروح الرفاقية في الجدال وهلم جرا فقد اقترح موست مع رفاقه (في مؤتمر سنة ١٨٧٧ (٢٥)) عدم نشر مقالات انجلس في "Vorwärts" (٢٦) باعتبارها «غير ذات اهمية بالنسبة للاكثرية الكبرى من القراء» ؛ واعلن فالتيخ (Vahlteich) ان نشر هذه المقالات قد اضر بالحزب ضرراً كبيراً وان دوهرينغ قد خدم الاشتراكية-الديموقراطية كذلك «وينبغي لنا ان نستفيد من الجميع لمصلحة الحزب واذا ما دار جدال بين الاساتذة فان "Vorwärts" ليست ابداً بالمنبر المناسب لهذا الجدال» ("Vorwärts" ، العدد ٦٥ ، ٦ حزيران – يونيو – سنة ١٨٧٧) وترون ان هذا ايضاً مثل من امثلة الدفاع عن «حرية النقد» ويحسن منتقدونا العلنيون والانتهازيون المستترون المولعون ولعاً شديداً بالاستشهاد بالالمان صنعا ان فكروا فيه !

واشتراكيو المنابـــر الجامعية (٢٧)) بل كذلك ضد الاخطـــاء التكتيكيـة (لاســال) الخ الخ كل هذا امر لا داعي لـــــه ! الفرنسيون يتشاجرون لانهم غير متسامحين والالمان متحـــدون لانهم اولاد عاقلون

لاحظـوا جيداً انهـــم بهذا العمـق المنقطع النظير في التفكير «يردون» واقعاً يدحض بصورة تامة دفاع البرنشتينيين هل **يقف** هؤلاء على صعيد نضال البروليتاريا الطبقي ؟ انـه سؤال لا يمكن لغير التجربة التاريخية ان تجيب عليـه الجواب النهـائي الفاصل وعلى ذلك فالامر الاهم هنا هو بالضبط مثل فرنسا باعتبارها البلاد الوحيدة التي جرب فيهـا البرنشتينيون **العمل** بصورة مستقلة بتحبيذ حار من زملائهم الالمـان (وجزئياً من الانتهازيين الروس انظر «رابوتشييـه ديلـو» العدد ٢-٣ ص ص ٨٣-٨٤) ان الاستشهـــاد «بعدم تسامح» الفرنسيين-بالاضافـة الى قيمتـــه «التاريخية» (بمعنى نوزدريف (٢٨))-هو مجرد محاولـــة لطمس وقائع مزعجة جداً بكلمات غاضبة

وعلى كل حال ليس في نيتنـا البتة ان نقدم الالمان هدية لكريتشيفسكي ولامثاله الكثيرين من المدافعين عن «حرية النقد» فاذا كان «البرنشتينيون المتطرفون» ما يزالون يصبرون عليهم في صفوف الحزب الالماني فما ذلك الا بمقدار مـــا **يخضعون** لقرار هـانوفر (٢٩) الذي يرد بحزم «تعديلات» برنشتين ولقرار لوبيك (٣٠) الذي يتضمن (رغم كل ما فيه من ديبلوماسية) انذاراً صريحاً لبرنشتين يمكن النقاش من وجهة نظر مصلحة الحزب الالماني حول مبلغ فائدة هذه الديبلوماسية يمكن التساؤل عما اذا كان السلام الظاهري في هذه الحالة خيراً من شجار مكشوف وبكلمة يمكن ان تختلف وجهات النظر حول فائدة هذه او تلك من **طرق** رفض البرنشتينية ولكن لا يمكن للمرء ان لا يرى ان الحزب الالماني

قد **رفض** البرنشتينية مرتين ولذا فالتفكير بان مثل الالمان يثبت دعوى ان «البرنشتينيين المتطـــرفين يقفون على صعيـــد نضال البروليتاريا الطبقي في سبيل تحررها الاقتصادي والسياسي» – يعني عدم فهم اي شيء على الاطلاق مما يجري امام عيون **الجميع** *

وفوق ذلك تنبري «رابوتشييه ديلو» امـــام الاشتراكية-الديموقراطية **الروسية** ، كما سبق لنا ان ذكرنا وتطالب بـ«حرية النقد» وتدافع عن البرنشتينية ويظهر انه تبين لها ان «النقاد» والبرنشتينيين عندنا قد اهينوا ظلماً ولكن ايهم بالذات ؟ ومن الذي اهانهم ؟ اين ؟ ومتى ؟ وبم تعلل ذلك ؟ ان «رابوتشييه ديلو» تلتزم الصمت في كل ذلك ولا تذكر ولو مرة واحدة اي منتقد او اي برنشتيني روسي ليس امامنا من سبيل غير اختيار افتراض من

---

* لا بـد من ان نلاحظ ان «رابوتشيـــه ديلو» قـد اقتصرت على الدوام فيما يخص مسالة البرنشتينية في الحزب الالماني على مجرد سرد الوقائع «مستنكفة» بصورة تامـة من ابداء رأيها فيها راجع مثلا العدد ٢ – ٣ ، ص ٦٦ بصدد مؤتمر شتوتغـــارت (٣١) ، فجميع الخلافـــات لا تتعدى «التكتيك» ، واقتصر الامر على تسجيل ان الاكثرية الكبرى قد ظلت امينـة للتكتيك الثوري السابق او راجع العدد ٤ – ٥ ، ص ٢٥ وما يليها مجرد سرد للخطابـــات الملقاة في مؤتمر هانوفر مع ايراد قرار بيبل ؛ اما عرض وانتقـــاد برنشتين فقد ارجئا مرة اخرى (كما في العدد ٢ – ٣) الى «مقال خـاص» ومـن الطريف اننـا نقرأ في الصفحـــة ٣٣ مـن العدد ٤ – ٥ «... الاكثرية الكبرى في المؤتمر تؤيد النظريات التي عرضها بيبل» . ثم نقرأ بعد اسطر «... لقد دافع دافيد عن نظرات برنشتين وقد حاول ان يظهر قبل كل شيء ان برنشتين واصدقاءه يقفون على كل حـال (كذا !) على صعيد النضال الطبقي ...» لقد كتب ذلك في كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٩٩ ، ويظهر ان «رابوتشييه ديلو» في ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠١ قد فقدت ايمانها بان الحق الى جانب بيبل وكررت نظرات دافيد كانها نظراتها الخاصة !

افتراضين محتملين **اما** ان يكون الطرف المهـــان ظلمـــاً هو «رابوتشييه ديلو» بعينهـــا (يؤكد ذلك ان المقالين المنشورين في العدد ١٠ لا يتناولان غير الاهانات التي وجهتها «زاريا» و«الايسكرا» الى «رابوتشييـــه ديلو») وفي هذه الحالـــة كيف نفسر هذا الواقع الغريب وهو ان «رابوتشييـــه ديلو» التي كانت تتبرأ على الدوام بعناد من كل تضامن مع البرنشتينية لم تكن تستطيع الدفاع عن نفسها دون ان تنبس ولا بكلمـــة دفاعـــــاً عن «البرنشتينيين المتطرفين» وعن حرية النقد ؟ **واما** ان تكون الاهانات قد وجهت الى طرف ثالث وفي هذه الحالـــة ما هي الاسبـــاب التي تدعو الى عدم ذكره ؟

وهكذا نرى ان «رابوتشييه ديلو» تستمر في لعبة الغميضة التي بدأتها (كما سنبين فيما يأتي) منذ ظهورها ومن ثم نلفت انظاركم الى هذا التطبيق العملي **الاول** لـ«حرية النقد» التي يكثرون حولها التطبيل والتزمير فلم يقتصر الامر في الواقع على كون هذه الحرية قد آلت رأساً الى انعدام كل نقد بل تعداه الى انعدام اي رأي مستقل بوجه عام فهذه «رابوتشييه ديلو» نفسها التي تكتم وجود البرنشتينية الروسية كما تكتم الامراض السرية (حسب تعبير موفق لستاروفر) تقترح لمداواة هذا المرض **مجرد نقل** الوصفة الالمانية الاخيرة الموصوفة لمداواة هذا المرض في مظهره الالماني ! فبدلاً من حرية النقد – تقليد على نمط العبيد . او ، وهو الاسوأ ، تقليد على نمط القرود ان المضمون الاجتماعي السياسي الواحد للانتهازية العالمية المعاصرة يتجلى في هذا المظهر او ذاك تبعـــــاً للخصائص الوطنية في هذه البلاد تجمع الانتهازيون منذ امد طويل تحت لواء خاص وفي تلك استخف الانتهازيون بالنظرية وانتهجوا عملياً سياسة الاشتراكيين-الراديكاليين وفي بلاد ثالثة فر عدد من اعضاء الحزب الثوري الى معسكر الانتهازية واخذوا يسعون الى بلوغ

اهدافهم لا عن طريق نضال صريح في سبيل المبادئ وفي سبيل تكتيك جديد بل عن طريق افساد حزبهم بصورة تدريجية غير ملحوظة لا يعاقبون عليها ان جاز القول وفي بلاد رابعة يعمد فارّون كهؤلاء الى نفس الاحابيل في دياجير العبودية السياسية وفي ظروف تشابك فريد بين النشاط «العلني» و«غير العلني» ، الخ اما ان ينبري المرء ويعلن ان حرية النقد وحرية البرنشتينية هما شرط لاتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين **الروس** دون ان يبين مظاهر البرنشتينية **الروسية** والثمار الخاصة التي حملتها فذلك اشبه بمن يتكلم لكي لا يقول شيئاً

فلنجرب نحن انفسنا اذن ولنقل ولو في بضع كلمات ما لم ترغب في قوله (او ربما لم تستطع حتى فهمه) «رابوتشييه ديلو» .

ج) النقد في روسيا

ان خاصة روسيا الاساسية من الناحية التي نعنيها تتلخص في كون حركة العمال العفوية من جهة وانعطاف الرأي العام التقدمي نحو الماركسية ، من جهة اخرى قد تميزا منذ **بدئهما بالذات** باتحاد عناصر غير متجانسة بتاتاً تحت لواء مشترك ومن اجل النضال ضد عدو مشترك (ضد عقيدة اجتماعية سياسية انقضى زمنها) ونحن نعني هنا «الماركسية العلنية» (٣٢) في شهر العسل وقد كانت هذه بوجه عام ظاهرة على درجة من الاصالة بحيث لم يكن هنالك في العقد التاسع او اوائل العقد العاشر من يمكنه حتى ان يصدق ولو بامكانها ففي بلاد يسودها الحكم المطلق ، في بلاد ترزح صحافتها تحت اشد القيود وفي عهد رجعية سياسية حالكة تنقض على اقل نبتة من نباتات السخط والاحتجاج

السياسيين – تشق نظرية الماركسية الثورية فجأة لنفسها الطريق في المطبوعات **الخاضعة للرقابة** ، معروضة بلغة رمزية ، ولكنهـــا مفهومة لجميع الذين «يهمهم الامر» فقد اعتادت الحكومة ألا ترى الخطر إلا في نظرية «نارودنايا فوليا» (الثورية) ، غير ان تلمح كما يحدث في المعتـــاد ، مجرى تطورهـــا الداخلي ، ومبتهجة **لكل** انتقاد يوجه اليها وقد مر وقت طويل (طويل بالنسبة الينا نحن الروس) قبل ان تنتبه الحكومة للامر وقبل ان يتمكن جيش الرقباء والدرك الثقيل من اكتشاف العدو الجديد ومن الانقضاض عليه وفي هذه الاثناء كانت الكتب الماركسيـــة تصدر واحداً بعد آخر ، والمجلات والجرائد الماركسية تؤسس وغدا الجميع بالمعنى الحرفي للكلمـــة ماركسيين وغدا الماركسيون موضع الاطراء والرعاية ، وكان الناشرون في ذروة الحماسة من شدة الاقبال على اقتناء الكتب الماركسيـــة ومفهوم تماماً ان يكون قد وجد اكثر من «كاتب مغرور» (٣٣) بين الماركسيين المبتدئين المأخوذين بنشوة النجاح

ويمكن اليـــوم التحدث عن ذلك العهد بهدوء كما يتحدث الانسان عن امور مضت ولا يخفى على احد ان ازدهار الماركسية الموقت على هامش مطبوعاتنا قد نشأ عن تحالف المتطرفين مع المعتدلين جداً وقد كان هؤلاء الاخيرون في جوهر الامـــــر ديموقراطيين برجوازيين وهذا الاستنتاج (الذي اثبته بجلاء فيمـا بعد تطورهم «النقدي») يفرض نفسه فرضاً على بعضهم حين كان «التحالف» لا يزال سليماً *

* المقصود هنا مقال ك تولين ضد ستروفه المنشور آنفاً ، وهو مقال وضع عـلى اسـاس بحث بعنـوان «انعكاس المـاركسيـــة في المطبوعات البرجوازية» راجع المقدمة (ملاحظـة من المؤلف لطبعـة سنـة ١٩٠٧ . **الناشر** .)

ولكن اذا كان الامر كذلك أفلا يحمـــــل الاشتراكيون-الديموقراطيون الثوريون الذين عقدوا هذا التحالف مع «نقاد» الغد ، القسط الاكبر من مسؤولية «الفتنـة» التي وقعت بعد ذلك ؟ هذا السؤال مع الجواب عليه بالايجاب ، نسمعه في بعض الاحيان من اناس ينظرون الى الاشياء نظرة مغالية في الاستقامة ولكن هؤلاء الناس مخطئون تماماً اذ لا يمكن ان يخشى من الاحلاف الموقتة ، ولو مع اناس لا يركن اليهم الا الذين لا يثقون بانفسهم ليس يمكن لاي حزب سياسي ان يعيش بدون احلاف كهذه وقد كان التحالف مع الماركسيين العلنيين بمثابة اول تحالف سياسي حقـاً تحققه الاشتراكية-الديموقراطية الروسية فبفضل هذا التحالف تم الانتصار على الشعبية بسرعة خارقة وانتشرت الافكار الماركسية انتشاراً واسعاً (ولو بشكل مبسط) هذا ، والتحالف لم يعقد بدون اي «شرط» والبرهان المجموعة الماركسية «وثائق في مسالـة التطور الاقتصادي في روسيا» (٣٤) التي احرقتها الرقابة في سنة ١٨٩٥ واذا امكن مقارنة الاتفاق مع الماركسيين العلنيين في حقل المطبوعات بالتحالف السياسي فانـــه تمكن مقارنة هذا الكتاب بالمعاهدة السياسية

وواضح ان الانفصال لم يحدث بسبب ان «الحلفاء» قد ظهروا ديموقراطيين برجوازيين بل بالعكس فممثلو هذا الاتجـــاه الاخير هم حلفاء طبيعيون للاشتراكية-الديموقراطية مرغوب فيهـم ما دامت القضية تتعلق بمهامها الديموقراطية التي يدفعها الى المقام الاول الوضع الراهن في روسيا ولكن الشرط الذي لا بد منه لهذا التحالف هو ان يجد الاشتراكيون الامكانية التامة ليبينوا للطبقـة العاملة التضاد العدائي بين مصالحها ومصالح البرجوازية هذا في حين ان البرنشتينية والاتجاه «النقدى» اللذين اتجه اليهما افواجاً معظم الماركسيين العلنيين كان من شأنهما ان يسقطا هذه الامكانية

ويفسدا الوعي الاشتراكي بتحقيرهما الماركسية وتبشيرهما بنظرية طمس التناقضات الاجتماعية واعلانهما بطلان نظرية الثورة الاجتماعية وديكتاتورية البروليتاريا وجعلهما حركة العمال والنضال الطبقي تريديونيونية ضيقة ونضالاً «واقعياً» في سبيل اصلاحات طفيفة وتدريجية وقد كان يعني هذا تماماً انكار الديموقراطية البرجوازية على الاشتراكية الحق في الاستقلال وبالتالي الحق في الوجود وكان يعني هذا في الواقع النزوع الى تحويل حركة العمال وهي في بدئها الى ذيل لليبيراليين

وطبيعي ان الانفصال كان في مثل هذه الظروف امراً لا بد منه ولكن الخاصة التي «تفردت» بها روسيا تجلت في كون هذا الانفصال قد آل الى مجرد ابعاد الاشتراكيين-الديموقراطيين عن المطبوعات «العلنية» الاوسع انتشاراً والاقرب الى متناول الجمهور فقد اعتصم فيها «الماركسيون السابقون» الذين تجمعوا «تحت شعار النقد» وحصلوا على ما يشبه الاحتكار في «سحق» الماركسية وسرعان ما اصبحت هتافات «ضد الارثوذكسية» * و«فلتحي حرية النقد» (الهتافات التي تكررها الآن «رابوتشييه ديلو») عبارات تطابق الموضة ولم يصمد امام هذه الموضة لا الرقباء ولا الدرك يدلنا على ذلك صدور **ثلاث** طبعات روسية لكتاب برنشتين (٣٥) الذائع الصيت (الذائع الصيت على طراز هيروسترات) او امتداح زوباتوف لكتب برنشتين والسيد بروكوبوفيتش واضرابهما («الايسكرا» العدد ١٠) وتواجه الاشتراكيين-الديموقراطيين الآن مهمة صعبة بحد ذاتها ، زادتها صعوبة الى حد لا يتصور عقبات خارجية صرف ، هي مهمة النضال ضد التيار الجديد وهذا التيار لم يقتصر على ميدان المطبوعات فقد رافق الانعطاف نحو

---

* بمعنى استقامة الراي . ــ **الناشر** .

«النقد» ميل مقابل من جانب الاشتراكيين-الديموقراطيين العاملين في ميدان التطبيق نحو «الاقتصادية»

ان كيفية نشوء وتطور الصلة والتبعية المتبادلة بين النقد العلني و«الاقتصادية» غير العلنية هي مسألة هامة يمكن ان تكون موضوع مقال مستقل حسبنا ان نشير هنا الى ان هذه الصلة موجودة دون شك فال "Credo„ * المشهور ما كان ليكتسب هذه الشهرة المستحقة لولا انه قد صاغ بصراحة هذه الصلة وكشف عن غير عمد الاتجاه السياسي الاساسي في «الاقتصادية» ليقم العمال بالنضال الاقتصادي (وكان من الادق ان يقال النضال التريديونيوني لأن التريديونيونية تشمل كذلك سياسة عمالية صرفاً) وليندمج المثقفون الماركسيون مع الليبيراليين من اجل «النضال» السياسي ان النشاط التريديونيوني «في الشعب» قد ظهر تنفيذاً للنصف الاول من المهمة ، والنقد العلني تنفيذا للنصف الثاني وقد كان هذا التصريح سلاحاً ضد «الاقتصادية» ممتازاً لدرجة تحتم معها اختراع "Credo„ لو لم يكن "Credo„ موجوداً

لم يخترع "Credo„ اختراعاً ولكنه نشر بدون موافقة واضعيه ، وربما رغم ارادة واضعيه وعلى كل حال فان كاتب هذه الاسطر الذي ساهم في اخراج «البرنامج»** الجديد الى وضح

---

* ـ رمز الايمان ، برنامج ، عرض للعقيدة . ـ **الناشر** .

** المقصود هو **احتجاج السبعة عشر** ضد "Credo„ . وقد ساهم كاتب هذه الاسطر في وضع هذا الاحتجاج (اواخر سنة ١٨٩٩) (٣٦) وقد نشر الاحتجاج مع ال "Credo„ في الخارج ، ربيع سنة ١٩٠٠ واتضح في الوقت الحاضر من مقال للسيدة كوسكوفا (اظن في «**بيلويه**») انها واضعة ال "Credo„ . وقد لعب السيد بروكوبوفيتش دورا بارزا جدا في ذلك الحين بين «الاقتصاديين» في الخارج (ملاحظة من المؤلف لطبعة سنة ١٩٠٧ . **الناشر** .)

النهار قد تأتى له ان يسمع الشكاوى واللوم بسبب ان نظرات الخطباء التـــي لخصوها على الورق قد وزعت في نســـخ ولقبت بال "Credo" ونشرت فوق ذلك ، في الصحف في وقت واحد مـع الاحتجاج نذكر هذا الحادث لانه يكشف عن سمة من سمـــات «الاقتصادية» عندنا تسترعي انتباهاً كبيراً هي الخوف من العلنية انها على وجه الدقة سمة «الاقتصادية» بوجه عام لا سمة واضعي الـ "Credo" وحدهم فقد اظهرتها «رابوتشايا ميسل» (٣٧) اشرف انصار «الاقتصادية» واكثرهـــم صراحة كما اظهرتهـــا «رابوتشييه ديلو» (التي اغضبهـــا نشر الوثائق «الاقتصادية» في "Vademecum" (٣٨) واظهرتها لجنة كييف التي لم ترغب منذ نحو سنتين بالسماح بنشر عقيدتها "Profession de foi" (٣٩) فى وقت واحد مع الرد المكتوب ضدها * واظهرها كثيرون وكثيرون من ممثلي «الاقتصادية»

ان هذا الخوف من النقد الذي يظهره انصار حرية النقد لا يمكن تفسيره بمجرد المكر (وان كان المكر يلعب دوره احياناً فمن غير المعقول ان تعرض لهجمات الخصوم نبتات اتجاه جديد لم يشتد عودها بعد !) لا ان اكثرية «الاقتصاديين» ينظـــرون مخلصين كل الاخلاص (وجوهر «الاقتصادية» نفسه يحملهـــم على النظر) بعدم رضى الى كل مظهر من مظاهر المناقشات النظريـــة والخلافات بين الفرق والمسائل السياسية الواسعة ومشاريع تنظيم الثوريين وما شابه ذلك «يحسنون صنعاً لو احالوا كل هذا الى الخارج !» – هذا ما قاله لي ذات يوم احد «الاقتصاديين» المنسجمين الى حد كاف معربـــاً بذلك عن نظرة واسعـــة الانتشار (ولنقل مرة اخرى انها تريديونيونية صرف) مآلها تهمنا حركـــة

* لقد تغير قوام لجنة كييف من ذلك الحين كما بلغنا .

العمال تهمنا منظمات العمال هنا في منطقتنا وما عدا ذلك هو من اختلاقات «المذهبيين» ، هو «مغالاة في تقدير اهمية الايديولوجيا» حسب تعبير واضعي الرسالة المنشورة في العدد ١٢ من «الايسكرا» ترديداً لما جاء في العدد ١٠ من «رابوتشييه ديلو»

نتساءل الآن نظراً لهذه الخصائص التي يتصف بها «النقد» الروسي والبرنشتينية الروسية ، بم كان ينبغي ان تتلخص مهمة الذين ارادوا ان يكونوا خصوماً للانتهازية فعلاً لا قولاً فقط ؟ كان ينبغي اولاً الاهتمام باستئناف ذلك العمل النظري الذي لم يكد يبتدئ في عهد الماركسية العلنية والذي القي الآن مرة اخرى على عاتق المناضلين السريين فبدون هذا العمل لم يكن بالامكان نمو الحركة بنجاح وكان من الضروري ثانياً القيام بنضال نشيط ضد «النقد» العلني الذي كان يفسد العقول افساداً شديداً وكان من الضروري ثالثاً النضال النشيط ضد التبعثر والتردد فى الحركة العملية بكشف ودحض كل محاولة تبذل بوعي او بغير وعي للحط من مكانة برنامجنا وتكتيكنا

اما ان «رابوتشييه ديلو» لم تقم بالواجب الاول ولا الثاني ولا الثالث فهو امر معروف وسنبين فيما يأتي من البحث بالتفصيل ومن جميع الوجوه هذه الحقيقة المعروفة وكل ما نريد ان نبينه الآن هو مبلغ التناقض الصارخ بين مطلب «حرية النقد» وخصائص نقدنا الوطني و«الاقتصادية» الروسية فلنلق اذن نظرة على نص القرار الذي اتخذه «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الخارج» واكد به وجهة نظر «رابوتشييه ديلو»

«بغية استمرار تطور الاشتراكية-الديموقراطية الفكري نعترف بان حرية نقد النظرية الاشتراكية-الديموقراطية في المطبوعات الحزبية امر ضروري تماما ، ما دام هذا النقد لا ينافي طابع هذه النظرية الطبقي والثوري» («مؤتمران» ، ص ١٠) .

والحيثيات ان القرار «في قسمه الاول يطابق قرار مؤتمر الحزب في لوبك بصدد برنشتين» ان «جماعة الاتحاد» لطيبة قلوبهم لا يلاحظون اي testimonium paupertatis (شهادة فقر حال) يسجلون على انفسهم بهذا النسخ «ولكنه في قسمه الثاني يقيد حرية النقد الى حد اكبر مما فعل مؤتمر الحزب في لوبك»

وهكذا فان قرار «الاتحاد» موجه ضد البرنشتينيين الروس ؟ والا فان الاستشهاد بلوبك ليس له معنى على الاطلاق ! ولكن ليس صحيحاً انه «يقيد الى حد كبير حرية النقد» فالالمان قد رفضوا بنداً بنداً بقرارهم في مؤتمر هانوفر **تلك** التعديلات التي قدمها برنشتين **بالذات** بينما بقرارهم في مؤتمر لوبك وجهوا انذاراً **شخصياً لبرنشتين** ذاكرين اسمه في القرار هذا في حين ان المقلدين «الاحرار» عندنا لم يشيروا **ولو تلميحاً الى اي** مظهر من مظاهر «النقد» الروسي الخاص و«الاقتصادية» الروسية الخاصة ونظراً لهذا التكتم يفسح التلميح المجرد الى طابع النظرية الطبقي والثوري مجالاً اكبر بكثير للتأويلات الكاذبة لا سيما اذا كان «الاتحاد» يرفض ادراج «ما يدعى بالاقتصادية» ضمن الانتهازية («مؤتمران» ص ٨ البند ١) ولكننا نقول هذا في سياق الحديث اما الامر الرئيسي فهو ان موقف الانتهازيين حيال الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين يختلف في المانيا عنه في روسيا كل الاختلاف فمن المعروف ان الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين في المانيا يريدون المحافظة على ما هو كائن يريدون المحافظة على البرنامج القديم والتكتيك القديم المعروفين للجميع واللذين شرحهما بجميع تفاصيلهما اختبار عشرات السنين اما «النقاد» فيريدون احداث تغيرات ولما كان هؤلاء النقاد اقلية ضئيلة وكانت مساعيهم التحريفية حيية جداً عرفنا السبب الذي يجعل الاكثرية تكتفي برد «البدعة» ببرود . ولكن النقاد و«الاقتصاديين»

عندنا في روسيا يريدون المحافظة على ما هو كائن يريد «النقاد» ان يستمر الناس في اعتبارهم ماركسيين وان تضمن لهم «حرية النقد» التي استغلوها من جميع الوجوه (لانهم لم يعترفوا في الجوهر باي ارتباط **حزبي** * فضلاً عن انه لم تكن عندنا اية هيئة حزبية يعترف بها الجميع وتستطيع ان «تحد» من حرية النقد ولو بالنصح) ويريد «الاقتصاديون» من الثوريين ان يعترفوا «بالحقوق الكاملة للحركة في وضعها الراهن» («رابوتشييه ديلو» ، العدد ١٠ ص ٢٥) اي «بشرعية» وجود ما هو موجود يريدون ان لا يحاول «الايديولوجيون» «صرف» الحركة عن الطريق الذي «يحدده تفاعل العناصر المادية والبيئة المادية» («الرسالة» في العدد ١٢ من «الايسكرا») ان يُعترف بان من المرغوب فيه القيام بالنضال «الذي يمكن للعمال القيام به في الظروف الراهنة» وان يُعترف بان النضال الممكن هو ذلك النضال «الذي يقومون به في الواقع في الظرف الراهن» («الملحق الخاص لـ«رابوتشايا

* ان انعدام الارتباط الحزبي الواضح والتقاليد الحزبية هو بحد ذاته فارق اساسي بين روسيا والمانيا من شانه ان يحذر كل اشتراكي عاقل من التقليد الاعمى . واليكم نموذجا يبين الحد الذي بلغته «حرية النقد» في روسيا والناقد الروسي السيد بولغاكوف يؤنب الناقد النمساوي هرتس بقوله «ان هرتس ، بالرغم من كل استقلاله في استنتاجاته ، ظل في هذه النقطة (الجمعيات التعاونية) مرتبطا على ما يبدو اشد الارتباط برأي حزبه . فهو وان خرج عن هذا الرأي من حيث التفاصيل ، لم يجرؤ على الخروج عن المبدأ العام» («الرأسمالية والزراعة» ، المجلد ٢ ، ص ٢٨٧) ان احد رعايا دولة مستعبدة سياسيا ، تسعمئة وتسعة وتسعون من كل الف من سكانها مصابون حتى مخ العظم بمرض الخنوع السياسي الذليل وعدم الفهم التام للشرف الحزبي والارتباط الحزبي يقرع بعجرفة مواطن دولة دستورية لانه «مرتبط برأي الحزب» اشد الارتباط ! لم يبق لمنظماتنا السرية من مشاغل غير الانهماك في تحبير قرارات عن حرية النقد ...

ميسل»» (٤٠) ص ١٤) اما نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين فنحن على العكس غير راضين عن هذا السجود امام العفوية اي امام ما هو كائن «في الظرف الراهن» نحن نطلب تغيير التكتيك الذي ساد في السنوات الاخيرة ونحن نعلن «قبل ان نتحد ولكيما نتحد ينبغي في البدء ان نعين بيننا التخوم بحزم ووضوح» (من اعلان عن اصدار «الايسكرا») * وبكلمة ، يتمسك الالمان بوضع الامور الراهن ويرفضون التغييرات ونحن نطلب تغيير وضع الامور الراهن رافضين السجود امام الوضع الراهن والتسليم به

ان هذا الفرق «الصغير» هو الامر الذي لم يلاحظـــه نساخو القرارات الالمانية «الاحرار» عندنا !

د) انجلس واهمية النضال النظري

«الجمود العقائدي الجمود المذهبي» «تحجـــر الحزب – العقـــاب المحتوم لتقييد الفكر بالعنف» – هؤلاء هم الاعداء الذين ينقض عليهم كالفرسان انصار «حرية النقد» في «رابوتشييه ديلو» ويسرنا نحن ان تطرح هذه المسألة على بساط البحث وكل ما نقترحه هو ان نتممها بسؤال آخر

من هم الحكام ؟

امامنا اعلانان عن صدور مطبوعات احدهما «برنامج صحيفة «رابوتشييه ديلو» لسان حال اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» (نسخة من العدد الاول من «رابوتشييه ديلو») والثاني هو «اعلان عن استئناف اصـــدار مطبوعات فرقـــة «تحريـــر

---

* راجع مقال لينين «بيان هيئة تحرير «الايسكرا» . **الناشر** .

العمل»» (٤١) وكلاهما يحمل تاريخ سنة ١٨٩٩ اي حين كانت «ازمة الماركسية» قد طرحت على بساط البحث منذ زمان بعيد وماذا نرى ؟ في النشرة الاولى ، نجهد انفسنـــا عبثاً في البحث عن اشارة الى هذه الظاهرة وعن عرض واضح للموقف الذي تنوي ان تتخذه الصحيفة الجديدة من هذه المسألة ولا نجد كلمة عن العمل النظري ومهامه الملحة في الظرف الراهن لا في هذا البرنامج ولا في ملاحقه التي اقرها المؤتمر الثالث لـ«لاتحاد» في سنة ١٩٠١ (٤٢) («مؤتمران» صص ١٥–١٨) لقد تجنبت هيـــأة تحريـــر «رابوتشييه ديلو» المسائل النظرية طيلة هذا الوقت ، مع ان هذه المسائل قد استرعت اهتمام جميع الاشتراكيين-الديموقراطيين في العالم بأسره

اما الاعلان الثاني فعلى العكس من ذلك انه يشير في البدء الى ضعف الاهتمام بالناحية النظرية خلال السنوات الاخيرة ويطلب بالحاح «انتباهاً يقظاً حيال الناحية النظرية في الحركة البروليتارية الثورية» ويدعو الى «توجيه نقد لا هوادة فيه الى الميول البرنشتينية وغيرها من الميول المعادية للثورة» في حركتنـــا والاعداد التي صدرت من «زاريا» توضح كيف نُفذ هذا البرنامج

وهكذا نرى ان العبارات الطنانة عن تحجر الفكر وما الى ذلك تخفي وراءها عدم الاهتمام بتطوير الفكر النظري والعجز عن تطويره وما مثـــال الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس الا بدليل جلي على ظاهرة اوروبية عامة (اشـــار اليها الماركسيون الالمان ايضاً منذ امد بعيد) وهي ان حرية النقد الذائعة الصيت لا تعني استبدال نظرية باخرى بل تعني التحرر من كل نظرية متكاملـــة ووليدة التفكير تعني المذهب الاختيـــاري وانعدام المبادئ ولا بد لكل مطلع على وضـــع حركتنا الواقعي وان جزئياً ، من ان يلاحظ ان انتشار الماركسية الواسع قد رافقه

بعض الانحطاط في المستوى النظري فبسبب النجاحات العملية التي احرزتها الحركة وبسبب اهميتها العملية انضم اليها كثيرون ضعيفون جداً او صفر من حيث الاعداد النظري ولذلك يمكننا ان نتبين مبلغ ما تظهر «رابوتشييه ديلو» من قلة ذوق عندما تستشهد على غرار المنتصرين بعبارة ماركس «ان كل خطوة تخطوها الحركة العملية اهم من دستة من البرامج» (٤٣) ان تكرار هذه الكلمات في مرحلة الاضطراب النظري يشبه صراخ من يصرخ : «ان شاء الله دايمه !» عند رؤية جنازة أضف الى ذلك ان كلمات ماركس هذه مأخوذة من رسالته بصدد برنامج غوتا (٤٤) حيث **يندد بشدة** بالمذهب الاختياري في صياغة المبادئ فقد كتب ماركس الى زعماء الحزب اذا كانت هنالك من حاجة الى الاتحاد فاعقدوا معاهدات بغية بلوغ اهداف عملية تقتضيها الحركة ولكن اياكم والمساومة بالمبادئ اياكم و«التنازل» النظري هذه هي فكرة ماركس وها نحن نجد بيننا اناساً يستغلون اسمه للتقليل من اهمية النظرية !

لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية اننا لا نبالغ مهما شددنا على هذه الفكرة في مرحلة يسير فيها التبشير الشائع بالانتهازية جنبا الى جنب مع الميل الى اشكال النشاط العملي الضيقة جداً وتزداد اهمية النظرية بالنسبة للاشتراكية-الديموقراطية الروسية لثلاثة اسباب كثيراً ما ينسونها هي اولاً ان حزبنا ما يزال في دور التكوين ما يزال في دور تشكيل سيماء وجهه وهو ما يزال بعيداً عن ان يصفي الحساب مع اتجاهات الفكر الثوري الاخرى التي تهدد باخراج الحركة عن الطريق القويم ففي الآونة الاخيرة على وجه الضبط نشاهد بالعكس انتعاش الاتجاهات الثورية غير الاشتراكية-الديموقراطية (كما تنبأ اكسلرود بذلك «للاقتصاديين»

منذ امد بعيد) وفي هذه الظروف يمكن لخطأ يبدو لأول وهلة «غير ذي شأن» ان يسفر عن أوخم العواقب ، وينبغي للمرء ان يكون قصير النظر حتى يعتبر الجدال بين الفِرَق والتحديد الدقيق للفروق الصغيرة أمراً في غير أوانه او لا داعي له فعلى توطد هذا «الفرق الصغير» او ذلك قد يتوقف مستقبل الاشتراكية-الديموقراطية الروسية لسنوات طويلة ، طويلة جداً

ثانياً ان الحركة الاشتراكية-الديموقراطية هي حركة أممية في جوهرها وذلك لا يعني فقط انه يتعين علينا ان نناضل ضد الشوفينية في بلادنا بل ذلك يعني ايضاً ان الحركة المبتدئة في بلاد فتية لا يمكن ان تكون ناجحة الا اذا استوعبت تجربة البلدان الاخرى ولبلوغ ذلك لا يكفي مجرد الاطلاع على هذه التجربة او مجرد نسخ القرارات الاخيرة انما يتطلب هذا من المرء ان يمحص هذه التجربة وان يتحقق منها بنفسه وكل من يستطيع ان يتصور مبلغ اتساع وتشعب حركة العمال المعاصرة يفهم مبلغ ما يتطلبه القيام بهذه المهمة من احتياطي من القوى النظرية والتجربة السياسية (والثورية ايضاً)

ثالثاً لم يسبق ان طرحت امام اي حزب اشتراكي في العالم مهام كالمهام الوطنية المطروحة امام الاشتراكية-الديموقراطية الروسية وسنتناول فيما يأتي من البحث الواجبات السياسية والتنظيمية التي تلقيها على عاتقنا مهمة تحرير الشعب كله من نير الحكم المطلق وبودنا فقط ان نشير هنا الى انه **لا يستطيع القيام بدور مناضل الطليعة الا حزب يسترشد بنظرية الطليعة** واذا شاء القارئ ان يكوّن لنفسه فكرة واضحة لحد ما عن معنى ذلك فليتذكر اسلاف الاشتراكية-الديموقراطية الروسية من امثال هرتسين وبيلينسكي وتشيرنيشيفسكي والكوكبة الرائعة من ثوريي العقد الثامن ، فليفكر بالاهمية العالمية التي يكتسبها الادب الروسي في الوقت الراهن ، فليفكر . . . ولكن ذلك يكفي

ولنورد هنا ملاحظات كتبها انجلس في سنة ١٨٧٤ عن اهمية النظرية في الحركة الاشتراكية-الديموقراطية ان انجلس **لا** يعترف بشكلين **اثنين** في نضال الاشتراكية-الديموقراطية العظيم (سياسي واقتصادي) – كما جرت العادة عندنا – بل يعترف **بثلاثة اشكال واضعاً في مصاف الشكلين المذكورين النضال النظري** وما توصيته لحركة العمال الالمانية التي كانت قد توطدت عملياً وسياسياً الا بليغة العبرة من وجهة نظر المشاكل والمناقشات الراهنة بحيث نحسب ان القارئ لن يلومنا اذا ذكرنا مقطعاً طويلاً من مقدمة لكراس *"Der deutsche Bauernkrieg" الذي غدا منذ وقت طويل من الكتب النادرة جداً

«يمتاز العمال الالمان عن عمال بقية اوروبا ، بميزتين هامتين . الاولى انتماؤهم الى اعرق شعب اوروبي في النظرية واحتفاظهم بالملكة النظرية التي فقدتها تماماً او كادت الطبقات المدعوة «بالمثقفة» في المانيا فالاشتراكية العلمية الالمانية وهي الاشتراكية العلمية الوحيدة التي وجدت حتى الآن ، ما كانت لتوجد قط لولا الفلسفة الالمانية التي سبقتها وبوجه خاص فلسفة هيغل ولولا الملكة النظرية لدى العمال لما تغلغلت الاشتراكية العلمية في دمائهم الى هذا الحد الذي نراه الآن ويبين لنا مبلغ عظمة هذه المزية ، من جهة ، عدم الاكتراث باي نظرية ، الذي هو سبب من الاسباب الرئيسية التي تجعل حركة العمال الانكليزية تتقدم بهذا البطء بالرغم من التنظيم الرائع في بعض الحرف ويبين لنا ذلك من جهة اخرى ما نراه من اضطراب وتردد بذرتهما البرودونية (٤٥) في شكلها البدائي بين الفرنسيين والبلجيكيين

* Dritter Abdruck, Leipzig, 1875. Verlag der Genossenschafts-buchdruckerei. («حرب الفلاحين في المانيا» ، الطبعة الثالثة ، ليبزيغ ، ١٨٧٥ ، دار الطبع والنشر التعاونية . **الناشر**) .

وبشكلها الكاريكاتوري الذي اعطاها اياه باكونين بين الاسبانيين والايطاليين

والمزية الثانية هي كون الالمان قد اشتركوا في حركة العمال بعد الجميع تقريباً وكما ان الاشتراكية الالمانية النظرية لن تنسى ابداً انها تستند الى سان-سيمون وفوريه واوين-المفكرين الثلاثة الذين يقفون بالرغم من كل الطابع الخيالي الطوبوي في تعاليمهم في مصاف اعظم الادمغة التي عرفتها جميع الازمنة والذين كانوا السابقين بصورة عبقرية الى كثرة كبيرة من الحقائق التي نبرهن نحن اليوم على صحتها عملياً كذلك ينبغي لحركة العمال الالمانية العملية ان لا تنسى ابداً انهـــا تطورت استنـــاداً الى الحركتين الانكليزية والفرنسية وانه اتيح لها بكل بساطة ان تستفيد مما اكتسبتاه من تجربة كلفتهما غالياً وان تتلافي الآن الاخطاء التي كانت آنئذ امراً لا مفر منه في معظم الحالات فأي وضع كنا فيه الآن لولا نموذج التريديونيونات الانكليزية ونضال العمال الفرنسيين السياسي ، ولولا الاندفاع العظيم الذي سببته كومونة باريس بوجه خاص ؟

لا بد لنا من ان نعترف للعمال الالمان بانهم استفادوا بمهارة فائقة من مزايا وضعهم فلاول مرة منذ وجدت حركة العمال يجري النضال بصورة منتظمة في جميع اتجاهاته الثلاثـــة المنسجمـــة والمترابطة الاتجاه النظري والاتجاه السياسي والاتجاه الاقتصادي العملي (مقاومة الرأسماليين) وفي هذا الهجوم المركز ان امكن القول ، تكمن قوة الحركة الالمانية ومنعتها

بفضل هذا الوضع المفيد ، من جهة ، وبفضل خصائص الحركة الانكليزية ، التي تنجم من كونها تتطور في ظروف الجزيرة وقمع الحركة الفرنسية بالقوة ، من جهة اخرى يقف العمال الالمان الآن في طليعة النضال البروليتاري . حتام تسمح لهم الاحداث بملء هذا

المركز المشرف ؟ هذا ما لا يمكن التنبؤ به ولكن ينبغي لنا ان نأمل بانهم ما داموا يشغلون هذا المركز سيقومون كما يجب بالمهام التي يفرضها عليهم وهذا يقتضي مضاعفة الجهود المبذولة في جميع ميادين النضال والتحريض وسيكون واجب القادة على وجه الخصوص ان يثقفوا انفسهم اكثر فاكثر في جميع المسائل النظرية وان يتخلصوا اكثر فاكثر من تأثير العبارات التقليدية المستعارة من العقيدة القديمة وان يأخذوا دائماً بعين الاعتبار ان الاشتراكية مذ غدت علماً تتطلب ان تعامل كما يعامل العلم اي تتطلب ان تدرس والوعي الذي يكتسب بهذا الشكل ويزداد وضوحاً ينبغي ان ينشر بين جماهير العمال بهمة مضاعفة ابدا كما ينبغي ان يزداد على الدوام تماسك صفوف منظمة الحزب ومنظمة النقابات

واذا استمر العمال الالمان في التقدم بهذا الشكل فانهم – لا اريد ان اقول انهم سيسيرون في طليعة الحركة فليس من مصلحة الحركة على الاطلاق ان يسير عمال امة ما دون سائر الامم في طليعتها – بل اريد ان اقول انهم سيشغلون مركزاً مشرّفاً في صفوف المناضلين وسيجدون انفسهم على اتم الاهبة اذا ما ظهرت على حين غرة محن قاسية او حوادث عظمى تتطلب منهم مزيداً من الرجولة والحزم والهمة»

لقد ظهرت كلمات انجلس وكأنها نبوءة فبعد مضي بضع سنوات واجهت العمال الالمان على حين غرة محن قاسية هي القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين وقد استقبلها العمال الالمان فعلاً وهم على اتم الاهبة وخرجوا منها ظافرين

وستواجه البروليتاريا الروسية محناً افظع بما لا يقاس ففي انتظارها صراع مع وحش ليس القانون الاستثنائي في بلاد دستورية بالنسبة اليه اكثر من قزم . ان التاريخ يلقي على عاتقنا

الآن مهمة مباشرة هي **اكثر ثورية** من جميـــع المهمات **المباشرة** الموضوعة امام البروليتاريـــا في اي قطر آخر وان انجاز هذه المهمة اي تحطيم اقوى حصن للرجعية الاوروبية بل (وهو شيء نستطيع قوله الآن) للرجعية الآسيويـــة ايضـــاً سيجعل من البروليتاريا الروسية طليعة البروليتاريا الثورية العالمية ويحق لنا ان نأمل بالحصول على هذا اللقب المشرّف الذي اكتسبه عن جدارة اسلافنا ثوريو العقد الثامن وذلك اذا استطعنا ان نبث في حركتنا ، وهي اوسع واعمق بألف مرة ، مثلما بثوا من تصميم ومن همة لا يعرفان حدوداً

٢

عفوية الجماهير ووعي الاشتراكية-الديموقراطية

لقد قلنا ان حركتنا اوسع واعمق بكثير من حركة العقد الثامن وان من الضروري ان نبث فيها ما اتصفت به الحركة في ذلك الحين من تصميم ومن همة لا يعرفان حدوداً والواقع انه لم يشك أحد حتى الآن كما يبدو ، في ان قوة الحركة المعاصرة تكمن في استيقاظ الجماهير (وبصورة رئيسية البروليتاريا الصناعية) وفي ان ضعفها يكمن في عدم كفاية وعي ومبادرة القادة الثوريين

بيد انه قد ظهر في الآونة الاخيرة اكتشاف خارق يهدد بان يقلب رأساً على عقب جميع النظرات السائدة حتى الآن بصدد هذه المسألة وهذا الاكتشاف يعود فضله الى «رابوتشييه ديلو» ، التي لم تقتصر في جدالها مع «الايسكرا» و«زاريا» على اعتراضات حول الجزئيات بل حاولت ان تحصر «الخلاف العام» في جذر اعمق في «الاختلاف في تقدير الاهميـــة **النسبية** للعنصر العفوي وللعنصر

«المنهاجي» الواعي» وتصوغ «رابوتشييه ديلو» الاتهام كما يلي «**التقليل من اهمية العنصر الموضوعي او العفوي في التطور**» *
ونحن نجيب على ذلك اذا كان جدال «الايسكرا» و«زاريا» لم يعط البتة ايـــة نتيجـــة غير ان حفز «رابوتشييه ديلو» الى ان تذهب بتفكيرها الى هذا «الخلاف العام» ، فان هذه النتيجة وحدها ترضينا كل الرضى ما دامت هذه الموضوعة عميقة في دلالتهـــا ما دامت تظهر بهذا الوضوح كل جوهر الخلافات النظرية والسياسية الحالية بين الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس

ولذا تسترعي مسالة العلاقة بين الوعي والعفوية هذا الاهتمام الكبير العام ، وينبغي تناول هذه المسالة بكل تفصيل

أ) بدء النهوض العفوي

اشرنا في الفصل السابق الى ولوع الشبيبة الروسية المتعلمة **العام** في منتصف العقد العاشر بالنظرية الماركسية وفي ذلك الحين نفسه تقريباً اتخذت اضرابات العمال مثل هذا الطابع العام بعـد الحرب الصناعية المشهورة سنة ١٨٩٦ ببطرسبورغ (٤٦) وكان انتشار هذه الاضرابات في روسيا من اقصاها الى اقصاها دليلاً جلياً على مبلغ عمق الحركة الشعبية الناهضة من جديد واذا ما اردنا الحديث عن «العنصر العفوي» فلا بد طبعاً من الاعتراف بان هذه الحركـــة الاضرابية كانت عفويـــة بالدرجة الاولى ولكن هناك عفوية وعفوية فقد حدثت اضرابات في روسيا كذلك في العقد الثامن وفي العقد السابع (وحتى في النصف الاول من القرن التاسع عشر) ورافقها تحطيم «عفوي» للماكينات وغير ذلك واذا قورنت

---

* «رابوتشييه ديلو» ، العدد ١ ، ايلول (سبتمبر) سنـــة ١٩٠١ ، ص ١٧ و١٨ . خط التشديد لـ«رابوتشييه ديلو» .

اضرابات العقد العاشر بهذه «المشاغبات» امكن وصفها بـ«الوعي» لعظم الخطوة التي خطتها حركة العمال الى الامام في هذه الفترة وهذا ما يوضح لنا ان «العنصر العفوي» ليس في الجوهر غير **الشكل الجنيني** للوعي فالمشاغبات البدائية كانت تفصح منذ ذلك الحين عن نوع من استيقاظ الوعي كان العمال يفقدون ايمانهم القديم بثبات الاوضاع التي ترهقهم واخذوا يحسون – ولا اقول يفهمون – ضرورة **المقاومة الجماعية** ويكفون بحزم عن الخنوع الذليل لاصحاب الامر والنهي ولكن ذلك كان على كل حال مظهراً اشبه باليأس والانتقام منه **بالنضال** اما اضرابات العقد العاشر فترينا من ومضات الوعي اكثر بكثير فقد وضعت مطالب معينة وحسبت مسبقاً اللحظة المناسبة وبحثت حوادث وامثلة معروفة من المناطق الاخرى الخ ولئن كانت المشاغبات مجرد انتفاضات اناس مظلومين فان الاضرابات المتوالية كانت مظهراً من مظاهر النضال الطبقي بشكله الجنيني ولكن بشكله الجنيني لا اكثر ولا اقل واذا اخذنا هذه الاضرابات بحد ذاتها ، وجدنا انها كانت نضالاً تريديونيونياً ولم تصبح بعد نضالاً اشتراكياً-ديموقراطياً لقد افصحت عن بروز التناحر بين العمال واصحاب الاعمال ولكن العمال لم يعوا ولم يكن من الممكن ان يعوا التضاد المستعصي بين مصالحهم وبين كل النظام السياسي والاجتماعي القائم اي انهم لم يحصلوا على الوعي الاشتراكي – الديموقراطي وبهذا المعنى ظلت اضرابات العقد العاشر حركة عفوية محضاً بالرغم من التقدم الكبير الذي تم بالقياس الى «المشاغبات»

قلنا ان الوعي الاشتراكي-الديموقراطي **لم يكن في الامكان ان يوجد** آنئذ لدى العمال اذ انه لا يمكن للعمال ان يحصلوا على هذا الوعي الا من خارج نطاقهم ولنا في تاريخ جميع البلدان شاهد على ان الطبقة العاملة لا تستطيع ان تكتسب بقواها الخاصة فقط

غير الوعي التريديونيوني اي الاقتناع بضرورة الانتظام في نقابات والنضال ضد اصحاب الاعمال ومطالبة الحكومة باصدار هذه او تلك من القوانين الضرورية للعمال الخ اما التعاليم الاشتراكية فقد انبثقت عن النظريات الفلسفية والتاريخية والاقتصادية التي وضعها المتعلمون من ممثلي الطبقات المالكة وضعها المثقفون ان مؤسسي الاشتراكية العلمية المعاصرة ، ماركس وانجلس ينتسبان ايضاً من حيث وضعهما الاجتماعي الى المثقفين البرجوازيين . وكذلك الأمر في روسيا فقد انبثق مذهب الاشتراكية-الديموقراطية النظري بصورة مستقلة تماماً عن النهوض العفوي لحركة العمال انبثق بوصفه نتيجة طبيعية محتومة لتطور الفكر لدى المثقفين الاشتراكيين الثوريين وفي الحقبة التي نتحدث عنها اي بحلول منتصف العقد العاشر كان هذا المذهب قد جذب اليه اكثرية الشبيبة الثورية في روسيا فضلاً عن انه قد غدا برنامجاً كامل التكوين لفرقة «تحرير العمل»

وهكذا كانت توجد في وقت واحد يقظة عفوية لجماهير العمال يقظة الى الحياة الواعية والى النضال الواعي وشبيبة ثورية مسلحة بالنظرية الاشتراكية-الديموقراطية كانت تتحرق رغبة في التقرب من العمال هذا ومن الهام جداً ان نثبت هنا واقعاً كثيراً ما ينسى (ولا يعرفه الا القليل نسبيا) وهو ان **الرعيل الاول** من الاشتراكيين-الديموقراطيين **الذين انصرفوا بحمية** في تلك المرحلة **الى التحريض الاقتصادي** (آخذين بعين الاعتبار الملاحظات المفيدة

---

* التريديونيونية لا تنفي اطلاق كل «سياسة» كما يفكر بعضهم احياناً . فالتريديونيونات قد قامت دائماً بتحريض سياسي معين ونضال سياسي معين (ولكنهما ليسا باشتراكيين-ديموقراطيين) . وسنتحدث في الفصل التالي عن الفرق بين السياسة التريديونيونية والسياسة الاشتراكية-الديموقراطية .

حقاً والواردة في كراس «في التحريض» الذي كان لا يزال مخطوطة آنئذ) لم يعتبروه مهمتهم الوحيـــدة ، بل لقـــد وضعوا امام الاشتراكية-الديموقراطية الروسية **منذ البدء** اوسع المهام التاريخية بوجه عام ومهمة اسقاط الحكم المطلق بوجه خاص ونقـول على سبيل المثال ان جماعة الاشتراكيين-الديموقراطيين التي أسسـت في بطرسبورغ «اتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة» (٤٧) قد اعدت منذ اواخر عام ١٨٩٥ العدد الاول من جريدة اسمهـــا «رابوتشييه ديلو» وكان هذا العدد جاهزاً تماماً للطبع عندمـــا صادره الدرك اثناء غارة شنهـــا في ليلـــة ٨ الى ٩ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٩٥ من عند احد اعضاء الجماعة وهو اناتولي الكسييفيتش فانييف * ولم تستطع «رابوتشييه ديلو» في شكلها الاول ان ترى النور وقد رسمت افتتاحية هذه الجريدة (التـــي يحتمل ان تنتشلها من محفوظات مديرية الشرطة بعد حوالى ثلاثين سنة مجلة كمجلة «روسكايا ستارينا» (٤٨)) المهام التاريخية التي تواجه الطبقة العاملة في روسيا ووضعت على رأس هذه المهـــام اكتساب الحرية السياسية ويأتي بعد هذه الافتتاحية مقال «بِم يفكر وزراؤنا ؟» ، وقد تناول تحطيم الشرطة للجان مكافحة الامية ، ومجموعة من الرسائل لا من بطرسبورغ وحدها ، بل ايضاً من مناطق اخرى في روسيا (مثلاً عن مذبحة العمال في محافظة ياروسلافل (٤٩)) . وهكذا فان هذه «التجربـــة الاولى» – اذا لم اخطىء – للاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في العقد العاشر كانت عبارة عن جريدة ليس

---

* توفي فانييف سنـــة ١٨٩٩ في سيبيريا الشرقيـــة بمرض السل ، وقد اصيب به اثناء وجوده في زنزانة منفردة في سجن التوقيف . ولذلك لم نر مانعا من نشر المعلومات الواردة في هذا النص ونحن على ثقـــة من صحتها ، لأنها بلغتنا من اناس عرفوا فانييف شخصيا وكانوا على اتصال وثيق به .

طابعها محلياً ضيقاً ، وبالاحرى ليس «باقتصادي» وقد سعت وراء ربط النضال الاضرابي بالحركة الثورية ضد الحكم المطلق والى استنهاض كل من يعاني نير سياسة الظلامية الرجعية الى تأييد الاشتراكية-الديموقراطية وليس من مجال للشك لدى كل مطلع على حالة الحركة في ذلك العهد ولو بعض الاطلاع ، في انه كان ينتظر هذه الجريدة انتشار واسع جداً وتأييد تام لدى عمال العاصمة والمثقفين الثوريين اما اخفاق القضية فان برهن على شيء فقد برهن على ان الاشتراكيين-الديموقراطيين في ذلك العهد كانوا عاجزين عن الاستجابة لمطلب الساعة بسبب قلة تجربتهم الثورية ونقص استعدادهم العملي والشيء نفسه ينبغي ان يقال عن «سانت بطرسبورغسكي رابوتشي ليستوك» (٥٠) وبوجه خاص عن «رابوتشايا غازيتا» وعن «بيان» حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (٥١) الذي تأسس في ربيع سنة ١٨٩٨ وغني عن القول انه حتى لا يخطر ببالنا ان نلوم مناضلي ذلك العهد على عدم الاستعداد هذا ولكن لكيما نستفيد من تجربة الحركة ولكيما نستخلص من هذه التجربة الدروس العملية ينبغي لنا ان نفهم كل الفهم اسباب هذه النقيصة او تلك ومغزاها ولذا من الاهمية بمكان ان نثبت ان قسماً (وربما الاكثرية) من الاشتراكيين-الديموقراطيين المناضلين في سنوات ١٨٩٥ – ١٨٩٨ كانوا يعتبرون وهم في ذلك على حق ان من الممكن آنئذ في مستهل الحركة «العفوية» بالذات التقدم بأوسع برنامج واحدّ تكتيك للنضال * ولما كان عدم استعداد اكثرية الثوريين ظاهرة طبيعية

* «ان «الايسكرا» ، اذ تقف موقفاً سلبياً من نشاط الاشتراكيين-الديموقراطيين في اواخر العقد العاشر ، لا تأخذ بعين الاعتبار انه لم توجد في ذلك الحين ظروف للعمل غير النضال في سبيل مطالب صغيرة» – هذا ما يقوله

تماماً لم يمكن لهذا الامر ان يستدعي اي خشية جدية وبما ان تعيين المهام كان صحيحاً وبما انه قـــد وجدت الهمـــة لتكرار المحاولات بهدف تحقيق هذه المهام فان الاخفاقات الموقتة لم تكن اكثر من نصف مصيبة فالتجربة الثورية والمهارة التنظيمية أمران يكتسبان اكتساباً والمهم ان يرغب المرء في تربية نفســـه على الصفات المطلوبة ! والمهم ان يعي المرء النواقص وهو ما يعادل في العمل الثوري اكثر من نصف اصلاح الخطأ !

ولكن نصف المصيبة غدا مصيبة كاملة عندمـــا اخذ هذا الوعي يخبو (وقد كان هذا الوعي قوياً جداً لدى العاملين في صفوف الجماعات المذكورة اعلاه) ، عندما ظهر اناس–وحتى صحف اشتراكية -ديموقراطية – مستعدون لأن يجعلوا من النقيصة فضيلة وحاولوا حتى ان يبرروا **نظرياً خضوعهم الذليل امام العفوية وتقديسهم لها** وقد آن لنا ان نلخص نتائج هذا الاتجاه الذي يحدد بابتعاد كبير عن الدقة بتعبير «الاقتصادية» الذي هو اضيق من ان يعبر عـــن محتوى هذا الاتجاه

«الاقتصاديون» في «رسالة الى الصحف الاشتراكية-الديموقراطيـــة الروسيـــة» («الايسكرا» ، العدد ١٢) . وتظهر الوقـــائع المثبـــتـــة في النص ان هذا الزعم القائل «انه لم توجد ظروف» **يناقض الحقيقة تناقضا تاما** ففي منتصف العقد العاشر فضلاً عن اواخره ، كانت توجد جميع الظروف لعمل **آخر** غير النضال في سبيل المطـــالب الصغيرة ، جميع الظروف باستثناء استعداد القـــادة استعداداً كافيـــاً وبدلاً من الاعتراف علناً بعدم كفايـــة الاستعداد من قبلنـــا نحن الايديولوجيين والقادة ، يريد «الاقتصاديون» ان يلقوا تبعـــة كل شيء عـــلى «انه لم توجد ظروف» ، على تاثير البيئة المادية التي تحدد للحركة الطريق الذي لا يمكن لاي ايديولوجي ان يخرجها عنه وكيف نصف ذلـــك بغير الخضوع الذليل للعفوية ؟ بغير هيام «الايديولوجيين» بنواقصهم ؟

ب) تقديس العفوية «رابوتشايا ميسل»

قبل ان ننتقل الى مظاهر هذا التقديس في المطبوعات نذكر الواقع التالي البليغ في دلالته (وقد بلغنا من المصدر المذكور اعلاه) والذي يلقي بعض الضوء مبيناً كيف ولد ونما بين الرفاق العاملين في بطرسبورغ الخلاف بين الاتجاهين اللذين ظهرا فيما بعد في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية في اوائل سنة ١٨٩٧ اتيح لفانييف ولبعض رفاقه ان يشتركوا قبل ارسالهم الى المنفى في اجتماع خاص (٥٢) التقى فيه «الشيوخ» و«الشباب» من اعضاء «اتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة» وقد دار الحديث بصورة رئيسية حول التنظيم وبوجه خاص حول «النظام الداخلي لصندوق العمال» ، النظام الذي نشر بصيغته النهائية في العدد ٩-١٠ من «ليستوك» رابوتنيكا»» (٥٣) (ص ٤٦) وقد ظهر على الفور خلاف كبير واحتدم الجدل بين «الشيوخ» («الديسمبريين» كما كان يلقبهم آنذاك الاشتراكيون-الديموقراطيون في بطرسبورغ مازحين) وبين بعض «الشباب» (الذين تعاونوا فيما بعد بنشاط مع «رابوتشايا ميسل») وقد دافع «الشباب» عن الأسس الرئيسية للنظام الداخلي بصيغته المنشورة. وقال «الشيوخ» ليس هذا ما نحتاج اليه قبل كل شيء انما نحتاج الى توطيد «اتحاد النضال» لكيما يصبح منظمة ثوريين تخضع لها مختلف صناديق العمال وحلقات الدعاية بين الشباب-الطلبة الخ وغني عن القول انه لم يخطر ببال المتجادلين ان يروا في هذا الخلاف فاتحة الافتراق بل اعتبروه على العكس شيئا منعزلاً وطارئا ولكن هذا الواقع يبين ان نشوء «الاقتصادية» وانتشارها لم يحدثا في روسيا كذلك بدون نضال ضد الاشتراكيين-الديموقراطيين «الشيوخ» (الامر الذي كثيراً ما ينساه «الاقتصاديون» الحاليون) .

واذا كان هذا النضال لم يترك في اكثر الحالات آثاراً «وثائقية» فالسبب **الوحيد** في ذلك ان تركيب الحلقات العاملة كان يتغير بسرعة كبيرة جداً وانه لم تتكون اية استمرارية فلم تسجل بالتالي اختلافات وجهات النظر في اية وثيقة

ان ظهور «رابوتشايا ميسل» قد اخرج «الاقتصادية» الى وضح النهار ولكن ليس دفعة واحدة ايضاً ينبغي للمرء ان يكوّن فكرة واضحة عن ظروف عمل العديد من الحلقات الروسية وقصر آجالها (ولا يستطيع ذلك الا الذي جرب الامر بنفسه) لكيما يفهم مدى الصدفة في نجاح او اخفاق الاتجاه الجديد في مختلف المدن وكيف ان انصار هذا «الجديد» وخصومه على السواء كانوا عاجزين مدة طويلة عاجزين تماماً عن تحديد ما اذا كان هذا اتجاهاً اصيلاً حقاً او انه مجرد تعبيرعن النقص في استعداد بعض الاشخاص ونقول على سبيل المثال ان الاشتراكيين-الديموقراطيين بأكثريتهم الكبرى حتى لم يعرفوا شيئاً على الاطلاق عن الاعداد الأولى من «رابوتشايا ميسل» المطبوعة على الرونيو واذا كنا نستطيع الآن ان نستشهد بافتتاحية عددها الأولى فما ذلك الا بفضل اعادة نشرها في مقالة ف إ (٥٤) («ليستوك «رابوتنيكا»» العدد ٩-١٠ ص ٤٧ وما يليها) الذي لم يلبث طبعاً ان كال المديح بافراط - بافراط تجاوز المعقول - للجريدة الجديدة التي تختلف اختلافاً بيناً عن الجرائد ومشاريع الجرائد التي ذكرناها اعلاه * وخليق بنا ان نقف وقفة عند هذه

* ونقول بالمناسبة ان هذا المديح لـ «رابوتشايا ميسل» في نشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٩٨، عندما تبلورت «الاقتصادية» تماماً ولا سيما في الخارج، قد صدر عن ف نفسه الذي سرعان ما غدا احد محرري «رابوتشييه ديلو» وقد كانت «رابوتشييه ديلو» تنكر كشانها اليوم وجود اتجاهين في الاشتراكية ـ الديموقراطية الروسية !

الافتتاحية ما دامت قد افصحت بمثل هذا الوضوح عن **كامل روح** «رابوتشايا ميسل» و«الاقتصادية» بوجه عام

بعد ان قالت الافتتاحية ان ساعد صاحب الكم الازرق (٥٥) اعجز من ان يوقف تطور حركة العمال تستطرد قائلة ان حركة العمال مدينة بمثل هذه الحيوية لكون العامل نفسه قد اخذ في النهاية مصيره على عاتقه بعد ان انتزعه من ايدي القادة»؛ ومن ثم تعالج هذه الفكرة الأساسية من جميع الوجوه والواقع ان القادة (أي الاشتراكيين-الديموقراطيين منظمي «اتحاد النضال») قد انتزعتهم الشرطة كما يمكن القول من ايدي العمال * هذا بينما توضع القضية بشكل يبدو منه ان العمال قد ناضلوا ضد هؤلاء القادة وتحرروا من نيرهم وبدلاً من النداء للسير الى امام الى توطيد التنظيم الثوري وتوسيع النشاط السياسي ارتفعت الدعوة **للارتداد الى الوراء** الى النضال التريديونيوني وحده وأُعلن ان «الاساس الاقتصادى للحركة يحجبه النزوع الى عدم نسيان المثل الاعلى السياسي على الاطلاق» وان شعار حركة العمال هو «النضال من اجل الحالة الاقتصادية» (!) او وهو الاحسن «العمال للعمال» وأُعلن ان صناديق الاضرابات هي «اهم بالنسبة للحركة من مئة منظمة اخرى» (قارنوا هذا القول العائد لتشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٩٧ بجدال «الديسمبريين» و«الشباب» في اوائل سنة ١٨٩٧) الخ ثم ان صيغاً من نوع ينبغي ان نضع في المقام الاول لا «نخبة» العمال بل العامل

* ان الواقع التالي البليغ الدلالة يظهر صحة هذه المقارنة عندما شاع بعد اعتقال «الديسمبريين» بين عمال طريق شليسيلبورغ نبأ مفاده ان المخبر ميخايلوف (طبيب اسنان) الذي كان على اتصال بجماعة من الجماعات المرتبطة «بالديسمبريين» قد ساعد على الايقاع بهم غضب العمال اشد الغضب وقرروا قتل ميخايلوف .

«المتوسط» العامل العادي او من نوع «السياسة تسير دائماً بطواعية خلف الاقتصاد» * الخ الخ قد غدت على الموضة واصبح لها تأثير لا يقهر في الشبيبة التي انجرت الى الحركة والتي لا تعرف من الماركسية في اكثر الحالات غير فقرات في صياغتها العلنية

وقد كان هذا تحطيماً تاماً للوعي من قبل العفوية ، من قبل عفوية اولئك «الاشتراكيين-الديموقراطيين» الذين كرروا «افكار» السيد ف. ف. ، من قبل عفوية اولئك العمال الذين اغرتهم الحجة القائلة بان زيادة كوبيك على روبل اغلى واعز من كل اشتراكية وكل سياسة وانه ينبغي لهم ان يقوموا «بالنضال مدركين انهم انما يناضلون لا من اجل اجيال مقبلة ما بل من اجل انفسهم ومن اجل اولادهم» (افتتاحية العدد ١ من «رابوتشايا ميسل») ان امثال هذه العبارات قد كانت على الدوام السلاح المحبب للبرجوازيين في اوروبا الغربية الذين – من كرههم للاشتراكية – انصرفوا بانفسهم (على غرار «الاشتراكي-السياسي» الالماني غيرش) الى غرس التريديونيونية الانكليزية في تربتهم الوطنية قائلين للعمال ان النضال النقابي فقط ** هو نضال لانفسهم ولاولادهم

---

* من نفس افتتاحية العدد الاول من «رابوتشايا ميسل» وتظهر لنا هذه العبارات مبلغ الاستعداد النظري لدى هؤلاء السادة اضراب «ف. ف.، رجل الاشتراكية – الديموقراطية الروسية» (٥٦) الذين يكررون هذا الابتذال الفظ «للمادية الاقتصادية» بالضبط في الوقت الذي يشن فيه الماركسيون في مطبوعاتهم الحرب ضد السيد ف ف الحقيقي الملقب منذ امد بعيد «الاستاذ في الرجعية» لفهمه **على النمط نفسه** العلاقة بين السياسة والاقتصاد !

** توجد لدى الالمان كلمة خاصة هي „Nur-Gewerkschaftler" للاشارة الى انصار النضال «النقابي – فقط» .

لا لاجيال مقبلة ما مع اشتراكية مقبلة ما وها نحن نرى السادة اضراب «ف ف رجل الاشتراكية-الديموقراطية الروسية» يكررون الآن هذه العبارات البرجوازية ومن الهام ان نشير هنا الى ثلاثة امور ستفيدنا جداً في تحليلنا اللاحق للخلافات **الراهنة** *

اولاً ان ما تحدثنا عنه بصدد تحطيم الوعي من قبل العفوية قد حدث كذلك **بشكل عفوي** ويبدو ذلك من قبيل التلاعب بالألفاظ ولكنه – ويا للأسف ! – الحقيقة المرة انه لم يجر عن طريق نضال سافر بين مفهومين متعارضين كل التعارض وانتصار احدهما على الآخر بل عن طريق «انتزاع» الدرك للثوريين «الشيوخ» بعدد يتزايد باستمرار وعن طريق بروز عدد يتزايد باستمرار من «الشباب» اضراب «ف ف رجل الاشتراكية-الديموقراطية الروسية» ان كل من اشتم هواء الحركة الروسية **المعاصرة** ، ولا اقول اشترك فيها يعلم خير العلم ان الامر كان كذلك على وجه الضبط واذا كنا نلح مع ذلك إلحاحاً خاصاً على ان يدرك القارئ ادراكاً تاماً هذا الواقع المعروف من الجميع واذا كنا قصد الايضاح ، ان جاز القول نورد معطيات عن «رابوتشييه ديلو» في طورها الاول وعن الجدال الذي قام بين «الشيوخ» و«الشباب» في اوائل سنة ١٨٩٧ – فما ذلك الا لوجود اناس يتبجحون بـ«ديموقراطيتهم» مستغلين جهل الجمهور الواسع (او الشباب الحديثي السن) لهذه الحقيقة ولنا عودة الى ذلك

---

* نشدد على كلمة **الراهنة** للذين سيهزون اكتافهم نفاقاً ويقولون من السهل الآن ذم «رابوتشايا ميسل» ، ولكن هذا من الماضي البعيد ! ونرد نحن على هؤلاء المنافقين المعاصرين الذين **سنظهر** فيما ياتي من البحث خضوعهم التام لافكار «رابوتشايا ميسل» ، فنقول Mutato nomine de te fabula narratur" (الحكاية عنك وان لم يذكر اسمك . **الناشر** .) .

ثانياً يمكننا مذ ظهرت «الاقتصاديـــــة» لاول مرة في المطبوعات ان نلاحظ ظاهرة فريدة وبليغة في دلالتها من حيث فهم جميع الخلافات القائمـــة بين الاشتراكيين-الديموقراطيين في الوقت الحاضر وهي ان انصار «الحركة العمالية الصرف» انصار اوثق الارتباط «العضوي» (تعبير «رابوتشييه ديلو») بالنضـــال البروليتاري خصوم جميع المثقفين غير العمال (حتى ولو كانوا مثقفين اشتراكيين) يضطرون في الدفاع عن مواقفهم الى الالتجاء الى **حجج** «التريديونيونيين-فقط» **البرجوازيين** وهذا مـــا يبين لنا ان «رابوتشايا ميسل» قد اخذت منذ ظهورها تطبق – عن غير وعي – برنامج "Credo" («الكريدو») كما يبين هذا (وهـــو ما لا تستطيع «رابوتشييه ديلو» ان تفهمه) ان **كل** تقديس لعفوية حركة العمال كل انتقاص من دور «عنصر الوعي» دور الاشتراكية-الديموقراطيـــة **يعني – سواء اراد المنتقص ام لم يرد ، فليس لذلك اقل اهمية – تقوية نفوذ الايديولوجية البرجوازية في العمال .** ان كل من يتحدث عن «تقدير اهمية الايديولوجية باكثر ممـــا تستحق» * ، عن المغالاة في دور عنصر الوعـــي ** الـــخ يتصور ان الحركة العمالية الصرف تستطيع بحد ذاتها ان تصنع لنفسها وانها ستصنع لنفسها بالتأكيد ايديولوجية مستقلة وان ذلك لا يتطلب غير قيام العمال «بانتزاع مصيرهم من ايدي القادة» ولكن هذا خطأ فاحش وبالاضافة الى ما قلناه آنفاً نثبت هنا كلمات ك كاوتسكي التالية الهامة والعميقة في صدقها هـذه الكلمات التي قالها بصدد مشروع البرنامـــج الجديد للحزب الاشتراكي-الديموقراطي النمساوي ***

---

* رسالة «الاقتصاديين» في العدد ١٢ من «الايسكرا»

** «رابوتشييه ديلو» ، العدد ١٠

*** "Neue Zeit" (٥٧) ، ١٩٠١–١٩٠٢ ٢ ، ١ ، العدد ٣ ، ص ٧٩ ان مشروع اللجنـــة الذي يتحدث كاوتسكي عنـــه قد اقره مؤتمر فيينا (٥٨) (في اواخر السنة الماضية) مع بعض التعديلات .

«يحسب كثيرون من نقادنا المحرفين ان ماركس قد اكد ان التطور الاقتصادي والنضال الطبقي لا يخلقان ظروف الانتاج الاشتراكي وحسب ، بل يخلقان مباشرة ايضاً **وعي** (اشارة التاكيد لكاوتسكي) ضرورته وها هم هؤلاء النقاد يعترضون بان انكلترا ، البلاد الاكثر تطوراً من الناحية الراسمالية ، هي ابعد الجميع عن هذا الوعي ان مشروع البرنامج يفسح مجالاً للظن بان اللجنة التي وضعت البرنامج النمساوي تشارك وجهة النظر هذه ، التي يزعم انها ماركسية ارثوذكسية ، والتي يدحضها المثال المشار اليه فقد جاء في المشروع «بمقدار ما تتزايد البروليتاريا نتيجة للتطور الراسمالي ، تزداد اضطراراً الى النضال ضد الراسمالية وتحصل على امكانية هذا النضال وتصل البروليتاريا الى ادراك» امكانية الاشتراكية وضرورتها وعلى هذا الاساس يبدو الوعي الاشتراكي نتيجة مباشرة محتومة للنضال الطبقي البروليتاري وهذا غير صحيح على الاطلاق صحيح ان الاشتراكية ، بوصفها مذهباً ، تستمد جذورها من العلاقات الاقتصادية الراهنة كشان النضال الطبقي البروليتاري سواء بسواء ، وانها كالنضال الطبقي البروليتاري تنبثق من النضال ضد ما تسببه الراسمالية للجماهير من فقر وبؤس غير ان الاشتراكية والنضال الطبقي ينبثقان احدهما الى جانب الآخر ، لا احدهما من الآخر انهما ينبثقان من مقدمات مختلفة فالوعي الاشتراكي الراهن لا يمكنه ان ينبثق الا على اساس معارف علمية عميقة وبالفعل ان العلم الاقتصادي الحديث هو شرط من شروط الانتاج الاشتراكي ، شانه ، مثلاً ، شان التكنيك الحديث سواء بسواء والحال ان البروليتاريا ، بالرغم من كل رغبتها ، لا تستطيع ان تخلق لا هذا ولا ذاك ، فكلاهما ينشأ عن التطور الاجتماعي الحديث هذا وان العلم ليس بيد البروليتاريا ، بل بيد **المثقفين البرجوازيين** (حرف التاكيد لكاوتسكي) فالاشتراكية الحديثة نفسها قد انبثقت هي ايضاً في رؤوس بعض اعضاء هذه الفئة ، وقد نقلها هؤلاء الى اكثر البروليتاريين تطوراً من الناحية الفكرية ، الذين اخذوا بعد ذلك يدخلونها في نضال البروليتاريا الطبقي حيث تسمح الظروف وعلى ذلك كان الوعي الاشتراكي عنصراً يؤخذ من الخارج (von außen Hineingetragenes) وينقل الى نضال البروليتاريا الطبقي ، لا شيئاً ينبثق منه بصورة عفوية (urwüchsig) . ولهذا قيل في برنامج

هينفيلد القديم ، بحق تماما ، ان مهمة الاشتراكية-الديموقراطية هي ان تحمل الى البروليتاريا (حرفيـــا تملأ البروليتاريا) **وعي** وضعها ووعي رسالتها ولم تكن هناك من حاجة الى ذلك ، لو كان هذا الوعي ينبثق من النضال الطبقي من تلقاء نفسه اما المشروع الجديد فقد اخذ هذه الفكرة من البرنامج القديم وربطها بالصيغة المثبتة اعلاه ، الامر الذي قطع بصورة تامة مجرى التفكير ...»

ولما كان من غير الممكن حتى ان تكون ثمة ايديولوجية مستقلة تصنعها جماهير العمال نفسها في مجرى حركتها موضع بحث* فلا يمكن ان تطرح المسالـــة **الا بالشكل التالي** اما ايديولوجيـــة برجوازية واما ايديولوجية اشتراكية وليس ثمة وسط بينهما (لأن البشرية لم تصنع ايديولوجية «ثالثة» ، اضف الى ذلك انه في مجتمع تمزقه التناقضات الطبقية لا يمكن ان توجد على الاطلاق اية ايديولوجية خارج الطبقات او فوق الطبقات) ولذلك فان **كل** انتقاص من الايديولوجية الاشتراكية **وكل ابتعاد** عنها هو في حد ذاته بمثابة تمكين للايديولوجية البرجوازية وتوطيد لها ويتحدثون

---

* ولا يعني ذلك طبعا ان العمال لا يشتركون في وضعها ولكنهم لا يشتركون في ذلك بوصفهم عمـــالاً ، بل بوصفهم من علمـــاء الاشتراكيـــة النظريين ، بوصفهم برودون وفيتلينغ وامثالهمـــا ، اي انهم بعبارة اخرى لا يسهمون في ذلك الا بمقدار ما يتمكنون من استيعاب معارف عصرهم ومن دفعها الى الامام ولكيما **يتيسر** للعمـــال **ذلك على نطاق اوسع** ، ينبغي بدل اقصى الجهود لرفع مستوى وعي العمال بوجه عام ، ينبغي الا يحصر العمال انفسهم في **«مطبوعات للعمال»** يضيق اطارها بصورة مصطنعـــة ، بل ان يتعلموا استيعاب المزيد والمزيد من **المطبوعات للعموم** ومن الأصح ان نقول ، بدلا من «الا يحصر العمـــال انفسهم» ــ الا يحصروا ، لأن العمـــال انفسهم يقرؤون ويريدون ان يقرؤوا كل ما يكتب حتى للمثقفين ، ولا يعتبر احد غير بعض المثقفين (الارذياء) انه يكفي «من أجل العمال» **الحديث** عن الانظمة السائدة في المصانع واجترار ما هو معروف منذ امد بعيد .

عن العفوية ولكن التطور **العفوي** لحركة العمال يسير على وجه الدقة في اتجاه اخضاعها للايديولوجية البرجوازية **يسير على وجه الدقة وفق برنامج** "Credo" («الكريدو») لان الحركة العمالية العفوية هي التريديونيونيـــة هي Nur—Gewerkschaftlerei ومـــا التريديونيونية غير اخضاع العمال فكرياً للبرجوازية ولذا فان *واجبنا ، واجب الاشتراكية الديموقراطية ، هو* ***النضال ضد العفوية*** ، هو النضال من اجل **صرف** حركة العمال عن نزوع التريديونيونيـة العفوي الى كنف البرجوازية وجذبهـــا الى كنف الاشتراكيـــة الديموقراطية الثورية ولذلك فان عبـــارة واضعي الرسالـــة «الاقتصادية» في العدد ١٢ من «الايسكرا» هذه العبارة القائلـة بأن جميع جهود الايديولوجيين الاكثر الهاماً لا يمكنها ان تخرج حركة العمال عن الطريق الذي حدده لها تفاعل العناصر المادية والبيئة المادية ، **تعادل تماما التخلي عن الاشتراكية** ولو كان هؤلاء الكتاب قادرين على امعان الفكر فيما قالوه حتى النهاية بصورة منطقية وبدون خوف كما ينبغي ان يفعل كل من يبرز الى مسرح النشاط الادبي والاجتماعي لما بقي عليهم ان يفعلوا غير «وضع ايديهم التي لا ضرورة لها على صدورهم الفارغة» و. ترك المسرح للسادة امثال ستروفه وبروكوبوفيتش الذين يجرون حركة العمال في اتجاه «اهون السبل» اي في اتجاه التريديونيونية البرجوازيـــة او للسادة امثال زوباتوف الذين يجرونها في اتجاه «ايديولوجيـــة» الاكليروس والدرك (٥٩)

تذكروا مثل المانيا ما هي الخدمة التاريخيـــة التي اداها لاسال لحركة العمال الالمانية ؟ هي انه **صرف** هذه الحركة عن طريق التريديونيونية التقدمية وطريق التعاونية الذي كانت تتجه اليـــه بصورة عفوية (**بمساعدة – قدمها امثال شولتزه – ديليتش واضرابهم لطيفة** . وقد تطلب القيام بهذه المهمة شيئـــاً لا يشبه اطلاقـــا

الانتقاص من اهمية العنصر العفوي والتكتيك-الحركة وتفاعل العناصر والبيئة وهلم جراً لقد تطلب الامر **نضالا لا يعرف الهوادة ضد العفوية**. ولم يمكن مثلا تحويل سكان برلين من العمال من دعامة للحزب التقدمي الى حصن من خير حصون الاشتراكية-الديموقراطية الا نتيجة نضال كهذا استمر سنين طويلة وطويلة جداً وهذا النضال لم ينته ابداً حتى الآن (كما قد يحسب الناس الذين يأخذون تاريخ الحركة الالمانية عن بروكوبوفيتش وفلسفتها عن ستروفه) فالطبقة العاملة الالمانية ما تزال حتى الآن منقسمة ان صح التعبير، بين بضع ايديولوجيات فثمة قسم من العمال متحد في نقابات العمال الكاثوليكية والملكية وثمة قسم آخر متحد في نقابات هيرش-دونكر (٦٠) التي أسسها البرجوازيون من انصار التريديونيونية الانكليزية وقسم ثالث متحد في النقابات الاشتراكية-الديموقراطية وهذا القسم الثالث هو اكبر بما لا يقاس من سائر الاقسام ولكن الايديولوجية الاشتراكية-الديموقراطية لم تستطع ان تحصل على هذا التفوق ولا تستطيع ان تحتفظ به الا بالنضال المستمر ضد جميع الايديولوجيات الاخرى

وقد يتساءل القارئ لماذا اذن كانت الحركة العفوية، حركة الاتجاه نحو اهون السبل تؤدي على وجه الدقة الى سيطرة الايديولوجية البرجوازية ؟ ذلك لمجرد كون الايديولوجية البرجوازية من حيث منشؤها اقدم من الايديولوجية الاشتراكية بكثير ولأنها وضعت بصورة اكمل من جميع الوجوه ولأنها تتصرف بوسائل للنشر اكثر **بما لا يقاس** * وكلما كانت الحركة

---

* كثيراً ما يقال ان الطبقة العاملة تنجذب الى الاشتراكية **بصورة عفوية**. وهذا صحيح كل الصحة بمعنى ان النظرية الاشتراكية تبين بعمق ما بعده عمق وصدق ما بعده صدق اسباب نكبات الطبقة العاملة، ولذلك

الاشتراكية حديثة في بلد من البلدان كلمـــا كان ينبغي ان يشتد تبعاً لذلك ، النضال ضد جميع المحاولات لتوطيد الايديولوجية غير الاشتراكية كلما كان ينبغي ان يشتد الحزم في تحذيـــر العمال من نصحـــاء السوء الذين يصرخون ضد «المغالاة في تقدير اهمية عنصر الوعي» الخ ان واضعي الرسالـــة «الاقتصادية» يرعدون ويبرقون في جوقة واحدة مع «رابوتشييه ديلو» ضد عدم التسامح الذي يميز الحركة في عهد طفولتها ونحن نجيب على ذلك اجل ان حركتنا تجتاز حقاً عهد طفولتها ولكيما يشتد ساعدها بسرعة ، ينبغي لها ان تُعدى حتماً بعدوى عدم التسامح حيال الناس الذين يعيقون نموها بتقديسهم العفويـــة ليس من شيء اسخف واكثر ضرراً من ان نجعل من انفسنا شيوخاً اجتازوا منذ عهد بعيد جميع مراحل النضال الفاصلة !

ثالثاً يبين لنا العدد الاول من «رابوتشايا ميسل» ان اسم «الاقتصادية» (الذي لا نفكر طبعاً بالعدول عنه ، لأن هذا اللقب قد رسخ بشكل من الاشكال) لا يفصح بالدقة الكافيـــة عن جوهر الاتجاه الجديد ذلك ان «رابوتشايا ميسل» لا تنكر النضـــال السياسي انكاراً تاماً فالنظام الداخلي للصندوق ، النظام المنشور في العدد ١ من «رابوتشايا ميسل» يتحدث عن النضال ضـــد

يستوعب العمـال بيسر كبير هذه النظريـة **ان** لم تستسلم هي نفسهـا امام العفوية **وان** اخضعت العفوية لنفسها وهذا أمر يفهم في المعتاد بصورة بديهيـــة الا ان **«رابوتشييـه ديلو»** تنسى وتشوه هذا الامر البديـهي بالذات ان الطبقة العاملة تنجذب الى الاشتراكيـة بصورة عفويـة ولكن الايديولوجيـة البرجوازيـة الأوسع انتشاراً (والتي تبعث باستمرار بشتى الاشكال) تفرض على العامل ، بصورة عفوية ، اكثر من غيرها .

الحكومة كل ما في الأمر ان «رابوتشايا ميســـل» تحســـب ان «السياسة تسير على الدوام بخنوع في اثر الاقتصاد» (اما «رابوتشييه ديلو» فتغير هذه الصيغة مؤكدة في برنامجها ان «النضال الاقتصادي **وثيق الصلة** في روسيا اكثر مما في اية بلاد اخرى بالنضـــال السياسي») وصيغتا «رابوتشايا ميســـل» و«رابوتشييه ديلو» هاتان غير صحيحتين بتاتاً **اذا فهمنا من كلمة السياسة – السياسة الاشتراكية-الديموقراطية** فكثيراً ما يحدث لنضال العمال الاقتصادي ان يكون على صلة (وان لم تكن وثيقة) بالسياسة البرجوازية بالسياسة الدينية الخ كما سبق ان رأينا وتكون صيغة «رابوتشييه ديلو» صحيحة اذا فهمنا من كلمة السياسة – السياسة التريديونيونية ، اي الطموح المشترك بين جميع العمال الى الحصول من الدولة على تدابير ما للتخفيف من المصائب التي تلازم وضعهم ولكنها لا تزيل هذا الوضع اي انها لا تقضي على خضوع العمل لرأس المال . وهذا الطموح هو في الحقيقة مشترك بين التريديونيونيين الانكليز الذين يقفون من الاشتراكية موقف العداء .وبين العمـــال الكاثوليك والعمال «الزوباتوفيين» الخ ثمة سياسة وسياسة وهكذا نرى ان موقف «رابوتشايا ميسل» من النضال السياســـي ايضاً ليس موقف انكار له بمقدار ما هو موقف تقديس **لعفويته** تقديس لعدم وعيه فهي اذ تعترف تماماً بالنضال السياسي الذي ينبثق بصورة عفوية من حركة العمال نفسها (او الاصح بتمنيات العمال ومطالبهم السياسية) ترفض كل الرفض **ان تضع بصورة مستقلة سياسة اشتراكية-ديموقراطية** خاصة تتفق والمهام العامة للاشتراكية والظروف الروسية الراهنـــة وسنبين فيما يلي ان «رابوتشييه ديلو» تقترف كذلك هذا الخطأ .

ج) «جماعة التحرير الذاتي» (٦١) و«رابوتشييه ديلو»

اذا كنا حللنا بهذا التفصيل افتتاحيـــة العدد الاول من «رابوتشايا ميسل» التي لا يعرفها غير القلائل والتي كادت تنسى في الوقت الحاضر فذلك لانها افصحت قبل الجميع وبشكل اوضح من الجميع عن ذلك السيل العام الذي خرج فيما بعد الى وضـح النهار جداول صغيرة لا تحصى لقد كان ف على تمام الحق عندما قال ممتدحا العدد الاول من «رابوتشايا ميسل» وافتتاحيتها انها كتبت «بحمية وشـــدة» («ليستوك «رابوتنيكا»» العـــدد ٩-١٠ ص ٤٩) ان كل انسان واثق من رأيه ويعتقد انه آت بجديد يكتب «بحمية» يكتب بشكل يعرب عن نظراته بجلاء ولا يخلو من «الحمية» غير الناس الذين اعتادوا الجلوس بين كرسيين وليس غير هؤلاء من يستطيع ان يمتدح في الامس حمية «رابوتشايا ميسل» وان يهاجم اليوم خصومها «لحميتهم في الجدال»

ودون ان نتوقف عند «الملحق الخاص ل«رابوتشايا ميسل»» (وسيتأتى علينا ان نستشهد فيما يأتي في شتى المناسبات بهذا المؤلف الذي يفصح عن افكار «الاقتصاديين» باكثر ما يمكن من الانسجام) نتناول فقط باختصار «نداء جماعة تحرير العمال الذاتي» (آذار – مارس – سنـــة ١٨٩٩ وقـــد اعيـــد نشره في «ناكانونيـــه» (٦٢) بلندن العدد ٧ تموز – يوليو – سنـــة ١٨٩٩) يقول واضعو هذا النداء وهم على تمام الحق ان «روسيا العمال **لا تفعل الآن غير ان تستيقظ** وتتلفت حولهـــا **وتتناول بصورة غريزية اول** وسيلة من وسائل النضال **تقع عليها يدها**» ولكنهم يخلصون من ذلك الى نفس الاستنتاج غير الصحيح الذي خلصت اليه «رابوتشايا ميسل» ناسين ان الغريزة هي عدم الوعي (العفوية) بالذات الذي ينبغي للاشتراكيين ان يخفوا لمساعدته ،

وان «اول وسيلة تقع عليها يدها» من وسائل النضال هي على الدوام في المجتمع الراهن وسيلة النضال التريديونيونية وان اول ايديولوجية «تقع عليها يدها» هي الايديولوجية البرجوازية (التريديونيونية) ثم ان واضعي هذا النداء لا «ينكرون» كذلك السياسة انما هم يقولون فقط (فقط !) في اثر السيد ف ف ان السياسة هي بناء فوقي ولذلك «ينبغي للتحريض السياسي ان يكون بناء فوقياً للتحريض على النضال الاقتصادي ينبغي ان ينمو على صعيد هذا النضال وان يسير في اثره»

اما «رابوتشييه ديلو» فقد بدأت نشاطها مباشرة بـ«الدفاع» عن «الاقتصاديين» فبعد ان نطقت «رابوتشييه ديلو» **بكذب جلي** في عددها الاول بالذات (العدد ١ ص ص ١٤١–١٤٢) زاعمة انها «لا تعلم عن اي الرفاق الشبـــاب تكلم آكسيلرود» الذي حذر «الاقتصاديين» في كراسه المعروف* اضطرت في مجرى احتدام الجدال مع آكسيلرود وبليخانوف بصدد هذا الكذب الى الاعتراف بانها «ارادت عن طريق التظاهر بالدهشة ان **تدفع** هذه التهمة الباطلة عن جميع الاشتراكيين-الديموقراطيين الاحدث سنـــاً في الخارج» (اتهام آكسيلرود «للاقتصاديين» بضيق الافق) والواقع ان هذا الاتهام كان صحيحاً كل الصحة وان «رابوتشييه ديلو» كانت تعلم حق العلم ان الاتهام ينال فيمن ينال عضو هيئـــة تحريرها ف ا واقول في هذا الصدد ان اكسيلرود كان على تمام الحق في هذا الجدال وان «رابوتشييه ديلو» كانت على تمام الخطـــأ في تفسير كراسي «مهام الاشتراكيين – الديموقراطيين

---

* «حول مهـــام الاشتراكـيين ــ الديموقراطيين الروس الحاليـــة وتكتيكهم» جنيف ، سنـة ١٨٩٨ . رسالتان الى «رابوتشايـا غازيتا» كتبتا في سنة ١٨٩٧ .

الروس» فقد كتبت هذا الكراس سنة ١٨٩٧ اي قبل ظهـــور «رابوتشايا ميسل» وعندما كنت اعتقد وكان يحق لي آنذاك ان اعتقد ان التفوق للاتجاه **الاولي** الذي اتجهه «اتحاد النضـــال» في سانت بطرسبورغ ، والذي حددت خصائصه آنفاً وقد كان هذا الاتجاه متفوقاً في الحقيقـــة حتى منتصف سنة ١٨٩٨ على الاقل ولذلك كان لا يحق لـ«رابوتشييه ديلو» على الاطلاق ان تستشهد في دحضها لوجود «الاقتصادية» وخطرها بكراس يعرض نظرات **حلت محلها** في ســـانت بطرسبورغ خلال سنتى ١٨٩٧-١٨٩٨ النظرات «الاقتصادية» *

بيد ان «رابوتشييه ديلو» لم تقتصر على «الدفاع» عـــن «الاقتصاديين» ولكنها كانت هي نفسها تنزلق على الدوام الى اخطائهم الاساسية ومصدر هذا الانزلاق هو الفهـم الملتبس

---

* ان «رابوتشييـــه ديلو» قد اضافت اثناء الدفاع عن نفسها الى كذبهـــا الاول («نحن لا نعلـــم عن اي الرفاق الشبـــاب تكلم ب ب آكسيلرود») كذبها الثاني عندما كتبت في «الجواب» «مذ كتب انتقـاد «المهام» ظهرت بين بعض الاشتراكيين – الديموقراطيين الروس او تبلورت لحد ما ميول الى الضيق الاقتصادي هي خطوة الى الوراء بالقياس الى الحال الذي كانت عليه حركتنا والمعروض في «المهام»» (ص ٩) هذا ما جاء في «الجواب» الصادر **سنة ١٩٠٠** وقد صدر العدد الاول من «رابوتشييـــه ديلو» (وفيه النقد) **في نيســـان (ابريل) سنة ١٨٩٩** احقا لم تظهر الاقتصادية الا في سنة ١٨٩٩ ؟ كلا ففي سنـــة ١٨٩٩ ارتفع لاول مرة احتجاج الاشتراكيين – الديموقراطيين **الروس** ضد «الاقتصادية» (الاحتجاج ضد "Credo") . اما «الاقتصادية» فقد ظهرت سنة ١٨٩٧ ، الامر الذي تعلمه «رابوتشييه ديلو» حـــق العلم ، مـــا دام ف إ قد كال المديح لـ«رابوتشايا ميسل» **في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٩٨** («ليستوك» رابوتنيكا» ، العدد ٩-١٠) .

للموضوعة التالية من برنامج «رابوتشييه ديلو» «ان اهم ظاهرة في الحياة الروسية الظاهرة التي من شأنها ان تكون العامل الرئيسي **في تحديد مهام** (حرف التأكيد لنا) الاتحاد وطابع نشاطه في مضمار المطبوعات هي في رأينا **حركة العمال الجماهيرية** (حرف التأكيد لـ«رابوتشييه ديلو») التي ظهرت في السنوات الاخيرة» لا مراء في ان الحركة الجماهيرية ظاهرة في منتهى الاهمية ولكن كل القضية هي في كيفية فهم «تحديد المهام» من قبل هذه الحركة الجماهيرية اذ يمكن ان يفهم ذلك على وجهين يمكن ان يفهم **اما** بمعنى تقديس عفوية هذه الحركة اي جعل دور الاشتراكية-الديموقراطية مجرد دور خادم لحركة العمال كما هي (هكذا تفهم ذلك «رابوتشايا ميسل» و«جماعة التحرير الذاتي» و«الاقتصاديون» الآخرون) **واما** بمعنى ان الحركة الجماهيرية تفرض علينا مهام **جديدة**، نظرية وسياسية وتنظيمية، اعقد بكثير من المهام التي كان يمكننا ان نكتفي بها في المرحلة التي سبقت ظهور الحركة الجماهيرية. وقد كانت «رابوتشييه ديلو» ولا تزال تميل الى المفهوم الاول بالضبط لانها لم تقل قط شيئا معينا عن اية مهام جديدة بل كانت تحاكم على الدوام كما لو كانت هذه «الحركة الجماهيرية» **تخلصنا** من ضرورة الادراك الواضح لما تطرحه من مهام ومن ضرورة القيام بهذه المهام وحسبنا ان نذكر بان «رابوتشييه ديلو» كانت تعتبر من غير الممكن ان توضع مهمة اسقاط الحكم المطلق كمهمة **اولى** لحركة العمال الجماهيرية وانها هبطت بهذه المهمة (باسم الحركة الجماهيرية) الى مستوى النضال من اجل اقرب المطالب السياسية («الجواب»، ص ٢٥)

لنترك جانباً مقال محرر «رابوتشييه ديلو» ب كريتشيفسكي في العدد ٧ – «النضال الاقتصادي والسياسي في

الحركة الروسية» ، هذا المقال الذي كرر نفس الاخطاء * ، ولننتقل مباشرة الى العدد ١٠ من «رابوتشييه ديلو» لن نحلل طبعاً اعتراضات ب كريتشيفسكي ومارتينوف على «زاريا» و«الايسكرا» واحداً واحداً اذ لا يهمنا هنا الا الموقف المبدئي الذي وقفته

---

* اليكم مثلا كيف يعكس هذا المقال «نظرية المراحل» او نظرية «التعاريج الوجلة» في النضال السياسي «ان المطالب السياسية ، وهي من حيث طابعها تخص روسيا كلها ، ينبغي لها مع ذلك ان تلائم في بادىء الامر» (كتب هذا في آب ــ اغسطس ــ سنة ١٩٠ !) «التجربة التي اكتسبتها من النضال الاقتصادي فئة معينة (كذا !) من العمال فعلى صعيد هذه التجربة وحده (!) يمكن ويجب الشروع بالتحريض السياسي» الخ (ص ١١) وفي الصفحة ٤ ينبري الكاتب لدفع اتهامات بالهرطقة الاقتصادية لا تقوم على اساس حسب رأيه ويصرخ منفعلا «اي اشتراكي ــ ديموقراطي لا يعلم ان المصالح الاقتصادية لمختلف الطبقات تلعب ، طبقاً لتعاليم ماركس وانجلس ، دوراً حاسماً في التاريخ وانه ، **تبعاً لذلك** ، ينبغي لنضال البروليتاريا في سبيل مصالحها الاقتصادية ان يكون ، بوجه خاص ، ذا اهمية اولية من حيث تطورها الطبقي ونضالها التحريري ؟» (حرف التاكيد لنا) أن «تبعاً لذلك» هذه ليست في مكانها على الاطلاق فمن كون المصالح الاقتصادية تلعب الدور الفاصل **لا يستطيع المرء ان يستنتج بحال** ان للنضال الاقتصادي (= المهني) اهمية اولية ، لان مصالح الطبقات الجوهرية «الحاسمة» «لا يمكن ان تلبى **الا** على اساس تغييرات **سياسية** جذرية بوجه عام ؛ وهكذا فان مصلحة البروليتاريا الاقتصادية الاساسية بوجه خاص لا يمكن ان تلبى الا عن طريق ثورة سياسية تحل ديكتاتورية البروليتاريا محل ديكتاتورية البرجوازية ان ب كريتشيفسكي يكرر رأي «اصحاب ف ف رجل الاشتراكية-الديموقراطية الروسية» (ــ السياسة تسير في اثر الاقتصاد الخ .) وبرنشتينيي الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية (كفولتمان مثلا الذي حاول ان يبرهن بالاستناد الى هذا الرأي على وجه الضبط انه ينبغي على العمال ان يكتسبوا «القوة الاقتصادية» قبل ان يفكروا بالثورة السياسية) .

«رابوتشييه ديلو» في العدد ١٠ .لن نحلل مثلا الامر الغريب التالي وهو ان «رابوتشييه ديلو» ترى «تناقضاً اساسياً» بين هـــذه الموضوعة

«ان الاشتراكية-الديموقراطية لا تقيد يديها لا تقيد نشاطها باي مشروع او اسلوب يوضع سلفاً من مشاريع او اساليب النضال السياسي فهي تعترف بجميع وسائل النضال على ان تتلاءم وقوى الحزب الواقعية» الخ («الايسكرا» ، العدد ١) *

وبين الموضوعة التالية

«اذا لم توجد منظمة قوية متمرسة بالنضال السياسي وتحسن القيام به في جميع الظروف والمراحل فلا يمكن ان يكون موضع بحث اي مشروع للعمل متماسك الاجزاء، موضح بمبادئ ثابتة، وينفذ باستقامة ، مشروع يستحق وحده من دون سائر المشاريع تسميته بالتكتيك» («الايسكرا» ، العدد ٤) **

ان الخلط بين الاعتراف **المبدئي** بجميع وسائل النضال بجميع المشاريع والاساليب على ان تكون ملائمة ، وبين المطالبة **في ظرف سياسي معين** بالاسترشاد بمشروع ينفذ باستقامة – ان هذا الخلط اذا كنا نريد الحديث عن التكتيك هو اشبـــه بالخلط بين اعتراف الطب بجميع طرق العلاج مع مطالبته باتباع طريقة معينة لمعالجة مرض معين ولكن القضية كلها في كـــون «رابوتشييه ديلو» المصابة هي نفسها بالمرض الذي سميناه نحن بتقديس العفوية لا تريد ان تعترف بايـــة «طرق علاج» **لهذا** المرض ولذلك توصلت الى اكتشاف فذ وهو ان «التكتيك-المشروع ينافي روح الماركسية من اساسهـــا» (العدد ١٠

---

* راجع مقال لينين «المهمات الملحة لحركتنا» . **الناشر** .

** راجع مقال لينين : «بم نبدأ ؟» . **الناشر** .

ص ١٨) وان التكتيك هو «**سير نمو مهام الحزب التي تنمو مع نمو الحزب**» (ص ١١ حرف التأكيد لـ«رابوتشييه ديلـــو») هنالك كل الامكانيات لان تصبح هذه الحكمة الاخيرة من الحكم المشهورة لان تصبح ذكرى «لاتجاه» «رابوتشييه ديلو» يعجز الدهر عن محوها فعلى سؤال «**الى اين نسير ؟**» تجيب الجريدة القائدة الحركة هي مجرى تغير المسافة بين نقطـــة الانطلاق والنقطة التالية للحركة ان هذا التفكير العميق منتهى العمق ليس من الطرائف وحسب (ولو كان الامر كذلك لما كان خليقاً بالوقوف عنده) انما هو ايضاً **برنامج اتجاه باكمله** هو البرنامج الذي اعرب ر م (في «الملحق الخاص لـ«رابوتشايا ميسل»») بكلمات المرغوب فيه هو النضال الممكن والممكن هو الذي يجري في هذه البرهة انه بالضبط اتجاه الانتهازية التي لا تعرف الحدود والتي تتكيف بصورة سلبية تبعاً للعفوية

«التكتيك-المشروع ينافي روح الماركسية من اساسهـــا !» ولكن هذا افتراء على الماركسية انه تحويل لها الى صورة شوهاء تشبه تلك التي عارضنا بها الشعبيون (٦٣) في حربهم علينـا ان هذا بالضبط تثبيط لمبادرة المناضلين الواعين وهمتهـــم في حين ان الماركسية ، على العكس من ذلك ، حافز هائل لمبادرة الاشتراكي-الديموقراطي وهمته ، فهي تكشف امامه اوسع الآفاق ، واضعة تحت تصرفه (ان امكن التعبير) القوى الهائلة قـــوى الملايين العديدة من ابناء الطبقة العاملة الناهضين «بصورة عفوية» الى النضال ان تاريخ الاشتراكية-الديموقراطية العالمية باكمله زاخر بالمشاريع التي وضعها هذا او ذلك من القادة السياسيين مشاريع تبرز بصيرة البعض وصحة نظراته السياسية والتنظيمية وتكشف عن قصر نظر البعض الآخر واخطائه السياسية فعندما اجتازت المانيا انعطافاً من اكبر الانعطافات في تاريخها – تشكيل

الامبراطورية وفتح الريخستاغ ومنح الحق الانتخابي العام – كان لدى ليبكنخت مشروع للسياسة الاشتراكية- الديموقراطية والعمل الاشتراكي-الديموقراطي بوجه عام وكان لدى شفيتزر مشروع آخر وعندما انقض على الاشتراكيين الالمان القانون الاستثنائي، كان ثمة مشروع لدى موست وهاسيلمان المستعديـــــن للدعوة صراحة الى العنف والارهاب ، وكان ثمة مشروع آخر لدى هوخبيرغ وشرام ولدى برنشتين (جزئياً) الذين حاولوا وعظ الاشتراكيين-الديموقراطيين بان القانون جاء نتيجة لشدتهم غير المعقولـــــة وثوريتهم وبانه ينبغي عليهم ان ينالوا المغفرة بحسن السلوك وكان ثمة مشروع ثالث لدى الذين اعدوا العدة لنشر جريدة سرية وحققوا ذلك (٦٤) وعندما يلقي المرء نظرة الى الوراء بعد انقضاء سنوات عديدة على انتهاء النضال حول مسالة اختيار الطريـــــق الواجب اتباعه وبعد ان قال التاريخ كلمته الاخيرة بصدد صحة الطريق الذي وقع عليه الاختيار لا يصعب عليه طبعاً ان يبرهن على عمق تفكير بقوله‌ان مهام الحزب تنمو مع نمو الحزب نفسه ولكن الاكتفاء بعمق التفكير هذا في وقت البلبلة * في الوقت الذي يهبط فيه «النقاد» و«الاقتصاديـــون» الروس بالاشتراكية-الديموقراطية الى مستوى التريديونيونية ويدعو فيه الارهابيون بقوة الى قبول «تكتيك-مشروع يكرر الاخطاء السابقة ، – اقول ان الاكتفاء بمثل هذا العمق في تفكير في مثل هذا الوقت يعني تسجيل المرء على نفسه «شهادة فقر حال» وفي الوقت الذي اصيب فيه كثيرون من الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس بنقص المبادرة والهمة على وجه

* Ein Yahr der Verwirrung (سنة البلبلة) ــ هكذا عنون مهرينغ فصلا في كتابه «تاريخ الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية» يصف فيه ما اظهره الاشتراكيون في البدء من تردد وعدم حزم عند اختيـــار «تكتيك-مشروع» يتفق والظروف الجديدة .

الدقة بنقص «المدى في الدعاية السياسية والتحريض السياسي والتنظيم السياسي» * بالنقص في «مشاريع» تنظيم العمل الثوري على نطاق اوسع – ان القول في مثل هذا الوقت ان «التكنيك -المشروع ينافي روح الماركسية من اساسها» لا يعني ابتذال الماركسية نظرياً وحسب بل يعني ايضاً **جر الحزب** عملياً **الى الوراء .**

تعلمنا «رابوتشييه ديلو» بعد ذلك ان «واجب الاشتراكي-الديموقراطي الثوري ليس الا تعجيل التطور الموضوعي بعمله الواعي ، لا الغاءه او الاستعاضة عنه بالمشاريع الذاتية و«الايسكرا» تعرف كل ذلك من الناحية النظرية ولكن الاهمية الكبرى التي تعيرها الماركسية ، بحق ، للعمل الثوري الواعي تحملها عملياً ، نتيجة لنظرتها الجامدة الى التكتيك ، **على التقليل من اهمية العنصر الموضوعي او العفوي في التطور»** (ص ١٨)

وها نحن مرة اخرى امام تشويش نظري خارق خليق بالسيد ف ف وشركائه بودنا ان نسأل فيلسوفنا بم يمكن ان يتجلى «التقليل من اهمية» التطور الموضوعي لدى واضع المشاريع الذاتية ؟ واضح ان ذلك يتجلى في كونه يغفل ان هذا التطور الموضوعي ينشئ او يقوي يهلك او يضعف هذه او تلك من الطبقات او الفئات او الجماعات من الامم او مجموعات الامم الخ مشترطاً بذلك هذه او تلك من تكتلات القوى السياسية العالمية ومواقف الاحزاب الثورية الخ ولكن خطأ مثل هذا الواضع لا يكون والحالة هذه التقليل من اهمية العنصر العفوي ، بل بالعكس التقليل من اهمية العنصر **الواعي** اذ ينقصه «الوعي» لفهم التطور الموضوعي فهماً صحيحاً ولذلك فان مجرد الكلام عن «تقدير الأهمية **النسبية**» (حرف التأكيد لـ«رابوتشييه

* من افتتاحية العدد ١ لـ«لايسكرا» . راجع مقال **لينين** : «المهمات الملحة لحركتنا» . **الناشر .**

ديلو») للعفوية والوعي يكشف عن انعدام «الوعي» انعداماً تاماً فلئن كان الوعي الانساني يستطيع بوجه عام فهم بعض «عناصر التطور العفوية» فان عدم تقديرها على الوجـــه الصحيح يعادل «التقليل من اهمية عنصر الوعي» اما اذا كان الوعي عاجزاً عـن فهمها فنحن اذن لا نعرفها وليس بوسعنا ان نتكلم عنهـا فعم يتكلم اذن ، ب كريتشيفسكي ؟ اذا كان يعتبر «المشاريـــع الذاتية» التي وضعتها «الايسكرا» مغلوطة (وهو يعلنها على وجه الدقة ، مغلوطة) فقد كان عليه ان يبرز ما تغفله هذه المشاريع بالضبط من الوقائع الموضوعية وان يتهم «الايسكرا» لهذا الاغفال **بعدم كفاية الوعي** بـ«التقليل من اهمية عنصر الوعـــي» اذا استعملنا تعابيره اما اذا كان غير راض عن المشاريع الذاتية ولا توجد لديه براهين غير الكلام من «التقليل من اهمية العنصر العفوي» (!!) فهو لا يفعل اكثر من ان يبرهن بذلك انه (١) من الناحية النظرية يفهم الماركسية à la * كاريف وميخايلوفسكي واضرابهما الذين سخر منهم بلتوف (٦٥) بما فيه الكفاية وانه (٢) من الناحية العمليـة راض كل الرضى عـــن «عناصر التطور العفوية» التي ساقت ماركسيينا العلنيين الى البرنشتينيـــــة واشتراكيينا-الديموقراطيين الى «الاقتصادية» وانه «مغيظ حانق» على الناس المصممين على **صرف** الاشتراكية-الديموقراطية الروسية عن طريق التطور «العفوي» مهما كلفهم الامر

وتأتي بعد ذلك اشياء مسليـــة جداً «كمـــا ان الناس سيستمرون في التكاثر على طريقة الاجداد بالرغم من كل النجاحات التي توصلت اليها العلوم الطبيعية كذلـــك فان ولادة نظام اجتماعي جديد – بالرغم من كل نجاحات العلوم الاجتماعية ونمو

---

* ــ على نمط . ــ بالفرنسية في النص الاصلي . **الناشر** .

المناضلين الواعين – ستظل في المستقبل ايضاً **وبالدرجة الاولى** نتيجة للانفجارات العفوية» (ص ١٩) وكما جاء في حكمة الاجداد من ذا الذي نقصه العقل من اجل ان ينجب اطفالا كذلك يقـــول «الاشتراكيون المحدثون» (à la نرسيس توبوريلوف (٦٦)) في حكمتهم لن ينقص احد العقل من اجل الاشتراك في ولادة عفويـة لنظام اجتماعي جديد ونحن نعتقد ايضاً ان احداً لن ينقصـــه العقل فلمثل هذا الاشتراك حسب المرء ان **يستسلم** «للاقتصادية» عندما تسود «الاقتصادية» وان يستسلم للارهابية عندما تنشـــأ الارهابية وهكذا في ربيع هذه السنة عندما كان من الهام جداً التحذير من الولع بالارهاب وقفت «رابوتشييه ديلو» وقفة الحائر امام مسألة «جديدة» بالنسبة اليها والآن ، بعد مضى نصف سنة ، عندما فقدت المسألة حدتها تقدم لنا في وقت معاً تصريحاً : «نحن نعتقد ان مهمة الاشتراكية-الديموقراطية لا يمكن ولا ينبغي ان تكون الوقوف في وجه تعاظم الميول الارهابية» («رابوتشييه ديلو» ، العدد ١٠ ، ص٢٣) وقرار المؤتمر «يعتقد المؤتمر ان الارهاب الهجومي المنتظم ليس في حينه» («مؤتمران» ص ١٨) يا له من وضوح ومن ترابط لا نقف في وجهه ولكننا نعلن انه ليس في حينه – ونعلن بشكل يجعل «القرار» لا يشمل الارهاب الدفاعي وغير المنتظم ولا بد من الاعتراف بان هذا القرار لا ينطوي على اي خطر وهو معصوم من كل خطأ كما يعصم من الخطأ من يتكلم لكي لا يقول شيئاً ولوضع مثل هذا القرار لا يحتاج المرء الا لامر واحد ان يحسن التمسك **بذيل** الحركة وعندمـــا سخـــرت «الايسكرا» من اعلان «رابوتشييه ديلو» مسألة الارهاب مسألـة جديدة * غضبت آنئذ «رابوتشييه ديلو» وهاجمت «الايسكرا»

* راجع مقال لينين : «بم نبدأ ؟» . **الناشر** .

متهمة اياها قائلة «ان «الايسكرا» تطمع بصورة لا يتصورها العقل في ان تفرض على المنظمة الحزبية حلاً لمسائل تكتيكية وضعه فريق من الكتاب المهاجرين منذ خمس عشرة سنة ونيف» (ص ٢٤) ويا له ، في الحقيقة ، من ادعاء ، يا له من غلو في عنصر الوعي حل المسائل سلفاً من الناحية النظرية لكيما يصار فيما بعد اقناع المنظمة والحزب والجماهير بصحة هذا الحل * وكم يختلف الحال اذا اقتصر المرء على اجترار اشياء سبق قولها وعلى الخضوع لكل «انعطاف» سواء في اتجاه «الاقتصادية» او في اتجاه الارهابية دون فرض اي شيء على احد ولا تحجم «رابوتشييه ديلو» حتى عن تعميم هذه الوصية العظمى لحكمة الحياة وتتهم «الايسكرا» و«زاريا» بانهما «تعارضان الحركة ببرنامجهما بوصفه روحاً تحوم فوق هيولى لا صورة لها» (ص ٢٩) فبم يتلخص اذن دور الاشتراكية-الديموقراطية ان لم يتلخص في ان تكون «روحاً» لا تحوم فوق الحركة العفوية وحسب بل **ترفع** هذه الحركة **الى مستوى «برنامجها»** ؟ لا يمكنه على كل حال ان يتلخص في الانجرار في **ذيل** الحركة فهو امر في احسن الحالات لا يفيد الحركة بشيء وفي اردأ الحالات يسبب لها اكبر الضرر اما «رابوتشييه ديلو» فانها لا تكتفي بالسير على هذا «التكتيك-الحركة» بل تجعل منه مبدأ بحيث يصبح الوصف الاصح لاتجاهاتها لا الانتهازية بل **الذيلية** (من كلمة الذيل) ولا بد من الاعتراف بان الناس المصممين كل التصميم على السير دائماً وأبداً خلف الحركة بصفة ذيل لها يأمنون على انفسهم بصورة اكيدة والى الابد من «التقليل من اهمية عنصر التطور العفوي»

---

* ولا ينبغي ان ننسى كذلك ان فرقة «تحرير العمل» بحلها «نظرياً» مسالة الارهاب قد **لخصت** تجربة الحركة الثورية السابقة .

* * *

وهكذا يتضح لنا ان الخطأ الاساسي الذي يقترفه «الاتجاه الجديد» في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية هو تقديس العفوية هو عدم فهمه ان عفوية الجماهير تتطلب منا نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين قدراً كبيراً من الوعي وكلما ارتفع نهوض الجماهير العفوي واتسعت الحركة كلما ازدادت باسرع بما لا يقاس الحاجة الى قدر كبير من الوعي في عمل الاشتراكية-الديموقراطية النظري والسياسي والتنظيمي

وقد جرى نهوض الجماهير العفوي في روسيا (وما يزال يجري) بسرعة ظهرت معها الشبيبة الاشتراكية-الديموقراطية غير مستعدة للقيام بهذه المهام العظمى وعدم الاستعداد هذا هو مصيبتنا العامة ، مصيبة **جميع** الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس لقد تعاظم نهوض الجماهير واتسع باستمرار واطراد ، وهو **فضلاً** عن انه لم يتوقف في الاماكن التي بدأ فيها اخذ يشمل مناطق جديدة وفئات جديدة من السكان (فتحت تأثير حركة العمال ، اشتد الغليان بين الطلاب والمثقفين بوجه عام وحتى بين الفلاحين) اما الثوريون فقد **تاخروا** عن هذا النهوض بـ«نظرياتـ»هم وبنشاطهم ولم يفلحوا في تشكيل منظمة دائمة تعمل دون انقطاع وقادرة على **قيادة** الحركة بكاملها

لقد اشرنا في الفصل الاول الى ان «رابوتشييه ديلو» قد حطت من مهامنا النظرية ورددت «عفويا» الشعار الشائع – «حرية النقد» ان الذين رددوا هذا الشعار لم يتحلوا بما يكفي من «الوعي» لأن يفهموا التضاد التام بين موقف «النقاد» الانتهازيين وموقف الثوريين في المانيا وفي روسيا

وفي الفصول التالية سنبين كيف تجلى تقديس العفوية هذا في نشاط الاشتراكية-الديموقراطية التنظيمي وفي مهامها السياسية .

٣

السياسة التريديونيونية
والسياسة الاشتراكية-الديموقراطية

لنبدأ مرة اخرى بامتداح «رابوتشييه ديلو» لقد نشر مارتينوف في العدد ١٠ من «رابوتشييه ديلو» مقالا عن الخلافات مع «الايسكرا» بعنوان «ادب التشهير والنضال البروليتاري» وقد صاغ جوهر هذه الخلافات بقوله «لا يمكننا ان نقتصر على مجرد التشهير بالاوضاع التي تعترض طريق تطوره (تطور حزب العمال) بل ينبغي علينا ان نستجيب كذلك لمصالح البروليتاريا العاجلة والراهنة» (ص ٦٣) «الايسكرا» هي في الواقع جريدة للمعارضة الثورية تشهر باوضاعنا والسياسية منها بصورة رئيسية اما نحن فنعمل وسنعمل لقضية العمال على صلة عضوية وثيقة با لنضال البروليتاري» (نفس المصدر) لا يسعنا الا ان نعرب لمارتينوف عن الامتنان لصيغته هذه فهي تكتسب اهمية عامة كبرى لانها في الجوهر لا تشمل خلافاتنا مع «رابوتشييه ديلو» وحسب بل تشمل بوجه عام جميع الخلافات القائمة بيننا وبين «الاقتصاديين» بصدد مسألة النضال السياسي لقد بينا فيما سبق ان «الاقتصاديين» لا ينكرون «السياسة» انكاراً مطلقاً ولكنهم ينزلقون على الدوام من المفهوم الاشتراكي-الديموقراطي عن السياسة الى المفهوم التريديونيوني وبالصورة نفسها ينزلق مارتينوف ولذلك نريد نحن ان نأخذه هو بالذات **نموذجا** لاخطاء «الاقتصادية» في هذه المسألة وسنسعى لكي نبين انه لن يحق لا لواضعي «الملحق الخاص لـ«رابوتشايا ميسل»» ولا لواضعي بيان «جماعة التحرير الذاتي» ولا لواضعي الرسالة «الاقتصادية» المنشورة في العدد ١٢ من «الايسكرا» ان يلوموا لهذا الاختيار .

أ) التحريض السياسي وتضييق الاقتصاديين له

يعلم الجميع ان اتساع نضال العمال الروس الاقتصادي * واشتداده قد سارا جنبا الى جنب مع نشوء «ادب» التشهير الاقتصادي (الذي يتناول حياة المعامل والحياة المهنية) فالموضوع الرئيسي في «المناشير» كان التشهير بالاوضاع السائدة في المعامل وسرعان ما ظهر بين العمال شغف حقيقي بالتشهير وما ان رأى العمال حلقات الاشتراكيين-الديموقراطيين تريد وتستطيع ان تقدم لهم نوعاً جديداً من مناشير تقول الحقيقة كاملة عن حياتهم البائسة وعن عملهم المرهق الى حد لا يطاق وعن حرمانهم من كل حق حتى اخذوا يمطرون الرسائل ان جاز التعبير من المعامل والمصانع وقد كان هذا «الادب التشهيري» يحدث صدى عظيما لا يقتصر على المصنع الذي يشهر هذا المنشور او ذاك باوضاعه بل يتعداه الى جميع المعامل التي تبلغها اصداء الوقائع المشهر بها ونظرا لوجود سمات كثيرة مشتركة بين احتياجات العمال ونكباتهم في مختلف المعامل والمهن كانت «الحقيقة عن الحياة العمالية» تفتن لب **الجميع** وقد نما بين اكثر العمال تأخراً شغف حقيقي بـ«طبع بنات افكارهم»، وهو شغف نبيل بشكل جنيني من اشكال الحرب ضد النظام الاجتماعي الراهن كله القائم على النهب والظلم وفي معظم الحالات كانت هذه «المناشير» في الواقع اعلاناً للحرب لأن التشهير كان يثير العمال بشدة

---

* نلاحظ دفعاً للالتباس اننا فيما يأتي من البحث نفهم على الدوام من النضال الاقتصادي (حسب التعبير الشائع عندنا) «النضال الاقتصادي العملي» الذي دعاه انجلس في الفقرة التي اثبتناها اعلاه بـ«مقاومة الرأسماليين» والذي يسمى في البلدان الحرة بالنضال المهني او النقابي او التريديونيوني .

ويدفعهم الى المطالبة المشتركة بازالة المظالم الفظيعة ويجعلهم على استعداد لدعم مطالبهم هذه بالاضرابات وقد اضطر اصحاب المصانع انفسهم في نهاية الامر الى ان يروا في هذه المناشير اعلاناً للحرب بحيث افقدتهم في الكثير من الحلات الرغبة في انتظار الحرب نفسها وكان التشهير كما هو الحال دائما يكتسب قوته لمجرد ظهوره ويحرز اهمية ضغط معنوي كبير فقد حدث غير مرة ان كان مجرد ظهور المنشور كافيا لتلبية جميع المطالب او بعضها وبكلمة ، لقد كان التشهير الاقتصادي (المعملي) وما يزال وسيلة هامة للنضال الاقتصادي وسيحتفظ بأهميته هذه ما بقيت الرأسمالية التي تدفع العمال بالضرورة الى الدفاع عن انفسهم ففي ارقى البلدان الاوروبية يحدث حتى الآن ان يكون التشهير بظروف عمل فظيعة في «مهنة» متلاشية او في اي فرع من فروع العمل المنزلي لا يسترعي انتباه احد حافزاً ليقظة الوعي الطبقي ولبدء النضال المهني وانتشار الاشتراكية •

• نحن نتكلم في هذا الفصل عن النضال **السياسي** وحده وعن فهمه بهذه الدرجة او تلك من الاتساع ولذلك لن نتناول الا في معرض الحديث وكامر طريف ، اتهام «رابوتشييه ديلو» «للايسكرا» «بالافراط في التحفظ» حيال النضال الاقتصادي («مؤتمران» ، ص ٢٧ ، وقد اجتره مارتينوف في كراسه «الاشتراكية-الديموقراطية والطبقة العاملة») ولو قاس السادة اصحاب الاتهام ، بالارطال او بالملازم (كما يحبون ان يفعلوا) ، باب النضال الاقتصادي في «الايسكرا» خلال سنة وقارنوه بهذا الباب في «رابوتشييه ديلو» و«رابوتشايا ميسل» مجتمعتين ، لاتضح لهم بسهولة ان كفتهم هي الخاسرة حتى في هذا الحقل ايضا والظاهر ان فهمهم لهذه الحقيقة البسيطة يحملهم على اللجوء الى حجج تكشف بوضوح عن حيرتهم فهم يكتبون «ان «الايسكرا» مضطرة (!) طوعاً او كرهاً (!) ان تأخذ بعين الاعتبار متطلبات الحياة التي تفرض نفسها وان تنشر على الاقل (!!) رسائل عن حركة العمال» («مؤتمران» ، ص ٢٧) . انها وايم الحق حجة قصمت ظهورنا !

ان الاكثرية الكبرى من الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس كانت في الآونة الاخيرة منصرفة بكليتها تقريبا الى تنظيم عمل التشهير هذا في المعامل وحسبنا ان نتذكر «رابوتشايا ميسل» لكيما نرى الى اي حد بلغ انصرافهم هذا فقد نسوا ان هذا النشاط **بحد ذاته** ليس بعد من حيث الاساس نشاطا اشتراكيا-ديموقراطيا بل نشاط تريديونيونى فقط فالتشهير لم يشمل في الجوهر غير العلاقات بين العمال واصحاب العمل في **مهنة معينة** ، ولم يسفر الا عن نتيجة واحدة ، وهي ان الذين يبيعون قوة عملهم قد تعلموا كيف يبيعون هذه «البضاعة» بفائدة اكبر وكيف يناضلون ضد المشتري على صعيد المساومة التجارية الصرف وكان بالامكان ان يصبح هذا التشهير (شريطة ان تستفيد منه منظمة الثوريين بصورة ملائمة) نقطة انطلاق للنشاط الاشتراكي-الديموقراطي وجزءا منه لا يتجزأ ولكنه كان بالامكان ايضا ان يؤدي (وفي ظروف تقديس العفوية يؤدي لا محالة) الى النضال «المهني فقط» والى حركة عمالية غير اشتراكية-ديموقراطية فالاشتراكية-الديموقراطية لا تقود نضال الطبقة العاملة في سبيل شروط افضل لبيع قوة العمل وحسب بل كذلك في سبيل القضاء على النظام الاجتماعي الذي يرغم المعدمين على بيع انفسهم الى الاغنياء ان الاشتراكية-الديموقراطية تمثل الطبقة العاملة لا في علاقاتها مع فئة معينة من اصحاب الاعمال وحسب ، بل ايضاً في علاقاتها مع جميع الطبقات في المجتمع الراهن ومع الدولة بوصفها قوة سياسية منظمة يتضح من ذلك ان الاشتراكيين-الديموقراطيين فضلاً عن انهم لا يستطيعون الاقتصار على النضال الاقتصادي لا يمكنهم ايضا ان يسمحوا بان يستغرق تنظيم التشهير الاقتصادي القسم الاكبر من نشاطهم يجب علينا ان نعمل بنشاط على تربية الطبقة العاملة سياسيا على تنمية وعيها السياسي **والآن** ، بعد اول هجوم تشنه زاريا» و«الايسكرا» على «الاقتصادية» «يوافق الجميع» على ذلك (وان كانت موافقة البعض لا تتعدى القول كما سنرى الآن) .

قد يسأل سائل بم ينبغي ان تتلخص التربية السياسية ؟ هل يمكن الاقتصار على الدعاية الى فكرة عداء الطبقة العاملة للحكم المطلق ؟ كلا ، طبعاً فليس يكفي ان **نبين** للعمال ما يحيق بهم من ظلم سياسي (كما لم يكن كافيـــا ان **نبين** لهم التضاد بين مصالحهم ومصالح اصحاب العمل) ان مـــن الضروري ان نقوم بالتحريض بصدد كل مظهر ملموس من مظاهر هذا الظلم (كما كنا نتناول بتحريضنا مظاهر الظلم الاقتصادي الملموسة) ولما كان **هذا** الظلم يمس شتى طبقات المجتمع على اختلافها ، ولما كان يتجلى في مختلف ميادين الحياة والنشاط – المهنية والعامة والخاصة والعائلية والدينية والعلمية الخ الخ أفليس من الواضح **اننا لن نقوم بمهمتنا** ، مهمة انماء وعي العمال السياسي ان **لم ناخذ على عاتقنا** امر تنظيـــم **التشهير** بالحكم المطلق **تشهيراً سياسياً شاملاً** ؟ ذلك لاننا اذا كنا نريد ان يتناول تحريضنـــا هذا الظلـم في مظاهره الملموسة فينبغي فضح هذه المظاهـر (كما ان التحريض الاقتصادي كان يقتضـــي فضح الفظائـــع في المعامل) ؟

الامر واضح كما يبدو ولكن يبدو هنا بالذات ان ضرورة تطوير الوعـــي السياسي **من كل النواحي** لا يقرها «الجميع» الا بالقول وهنا بالذات يظهر ان «رابوتشييه ديلو» مثلا عدا انها لم تأخذ على عاتقها مهمة تنظيم (او المبادرة الى تنظيم) التشهير السياسي الشامل ، اخذت **تجر الى الوراء** «الايسكرا» التـــي بادرت الى القيام بهذه المهمة اسمعوا هذا «ان نضال الطبقة العاملة السياسي لا يعدو ان يكون» (وفي الحقيقة يعدو ان يكون) «الشكل الاكثر تطوراً وسعة وفاعلية للنضال الاقتصادي» (برنامـــــج «رابوتشييه ديلو» «رابوتشييه ديلو» العدد ١ ص ٣) «تواجه الاشتراكيين-الديموقراطيين الآن المهمة التاليـــة : كيف

نضفي على النضال الاقتصادي نفسه بقدر الامكان طابعاً سياسياً» (مارتينوف في العدد ١٠ ص ٤٢) «النضال الاقتصادي هو الوسيلة التي يمكن استعمالها باوسع شكل لجذب الجماهير الى النضال السياسي النشيط» (قرار مؤتمر «الاتحاد» (٦٧) و«التعديلات» «مؤتمران» ص ١١ و١٧) ان «رابوتشييه ديلو» كما يرى القارئ زاخرة بكل هذه الافكار منذ نشوئها حتى «التعليمات» الاخيرة «الى هيئة التحرير» وجميعها تعرب كما هو ظاهر عن نظرة واحدة الى التحريض والنضال السياسيين انظروا الى وجهة النظر هذه من زاوية الرأي السائد لدى جميع «الاقتصاديين» والقائل انه ينبغي للتحريض السياسي ان **يتبع** التحريض الاقتصادي فهل صحيح ان النضال الاقتصادي هو بوجه عام * «الوسيلة التي يمكن استعمالها باوسع شكل» لجذب الجماهير الى النضال السياسي ؟ كلا ليس هذا بصحيح على الاطلاق ان **جميع** مظاهر الاضطهاد البوليسي والطغيان الاستبدادي **بشتى اشكالها** لا المظاهر المرتبطة بالنضال الاقتصادي وحده هي وسيلة لمثل هذا «الجذب يمكن استعمالها» بشكل ليس اقل سعة على الاطلاق ان «الزيمسكييه

---

* نقول «بوجه عام» لأن «رابوتشييه ديلو» تتحدث بالضبط عن المبادئ العامة والمهام العامة للحزب باكمله ولا شك في ان هناك حالات في الواقع **ينبغي** فيها للسياسة ان تتبع فعلا الاقتصاد ولكن ليس من احد غير «الاقتصاديين» يمكنه ان يتحدث عن ذلك في قرار معد لروسيا كلها فهناك كذلك حالات **يمكن** فيها «منذ البدء» القيام بتحريض سياسي «على الصعيد الاقتصادي وحده» ، ومع ذلك وصل تفكير «رابوتشييه ديلو» بها في نهاية الامر الى حد الفهم بانه «لا ضرورة اطلاقا» لذلك («مؤتمران» ، ص ١١) وسنظهر في الفصل التالي ان تكتيك «السياسيين» والثوريين لا يغفل المهام التريديونيونية القائمة امام الاشتراكية-الديموقراطية ، وليس هذا وحسب ، بل انه ، بالعكس ، التكتيك الوحيد الذي **يضمن** تحقيق هذه المهام باستمرار .

ناتشالنيكي» (٦٨) والقصاص الجسدي بالفلاحين وارتشاء الموظفين ، ومعاملة الشرطة «للعامة» في المدن ومكافحة الجياع وقمع مساعي الشعب الى النور والمعرفة والتفنن في جباية الضرائب ، وملاحقة الشيع الدينية وترويض الجنود ومعاملة الطلاب والمثقفين الليبيراليين معاملة الجنود – ان جميع هذه المظاهر والألوف الاخرى من مظاهر الاضطهاد المشابهة غير المرتبطة ارتباطاً مباشراً بالنضال «الاقتصادي» لماذا ينبغي ان تعتبر بوجه عام وسائل ومناسبات للتحريض السياسي ولجذب الجماهير الى النضال السياسي «ذات امكانيات للاستعمال» **اقل** سعة ؟ الصحيح هو العكس تماما فحالات الاضطهاد البوليسي الناشئة عن النضال المهني بالضبط ليست دون شك غير قلة قليلة من مجموع حالات الحياة التي يتألم فيها العامل (لنفسه او لقريبه) من الاستبداد والطغيان والعنف . فلماذا اذن **نضيق** سلفاً اطار التحريض السياسي ونصف بـ«امكان الاستعمال على اوسع شكل» وسيلة **واحدة** من وسائله ينبغي ان توجد الى جانبها – بالنسبة للاشتراكي-الديموقراطي – وسائل اخرى «ذات امكانيات للاستعمال» ليست عموما بأقل سعة ؟

لقد كتبت «رابوتشييه ديلو» منذ عهد بعيد (منذ سنة خلت ! .) «ان المطالب السياسية المباشرة تصبح في متناول فهم الجماهير بعد اضراب واحد او بعد بضعة اضرابات على الاكثر» ، «ان تستخدم الحكومة الشرطة والدرك» (العدد ٧ ص ١٥ **آب** – اغسطس – سنة ١٩٠٠) ان نظرية المراحل الانتهازية هذه قد رفضت الآن من قبل «الاتحاد» الذي يتنازل امامنا معلناً انه «لا ضرورة اطلاقا للقيام منذ البدء بالتحريض السياسي على الصعيد الاقتصادي وحده» («مؤتمران» ، ص ١١) ان هذا الانكار وحده من قبل «الاتحاد» لقسم من اخطائه السابقة سيبين لمؤرخ

الاشتراكية-الديموقراطية الروسية المقبل بصورة اوضح من كل الشروح المطولة الى اي درك من الانحطاط دفع «اقتصاديونـــا» الاشتراكية ولكن اية سذاجة يبديها «الاتحاد» اذ يتصور انـــه بتنازله عن شكل من اشكال تضييق السياسة يحملنا على القبول بشكل آخر من اشكال تضييقها ألا نكون اقرب الى المنطق اذا قلنا هنا ايضاً انه ينبغي القيام بالنضال الاقتصادي على اوســـع وجه ممكن وانه ينبغي الاستفادة منـــــه على الدوام للتحريض السياسي ولكن «لا ضرورة اطلاقا» لاعتبار النضال الاقتصادي الوسيلة التي يمكن استعمالها **باوسع** شكل لجذب الجماهير الى النضال السياسي النشيط ؟

ان «الاتحاد» يرى اهمية في ما اقدم عليه من الاستعاضـــــة عن تعبير «افضل وسيلة» الوارد في القرار المعني مـــن قرارات المؤتمر الرابع لاتحاد العمال اليهود (البوند) (٦٩) بتعبير «الوسيلة التي يمكن استعمالها بأوسع شكل» ونحن في الحقيقة نجد انفسنا في موقف حرج لو طلب الينا ان نقول اي القرارين افضل فان القرارين في رأينا **هما كلاهما من اردأما يكون** فـ«الاتحاد» والبوند ينزلقان هنا (وربما كان ذلك جزئيا عن غير وعي ، تحت تأثير العادة) الى التأويل الاقتصادي التريديونيوني للسياسة ولا يتغير شيء في فحوى الامر اذا تم ذلك بواسطة كلمة «افضل» او تعبير «يمكن استعمالها بأوسع شكل» ولو قال «الاتحـــــاد» ان «التحريض السياسي على الصعيد الاقتصادي» هو الوسيلـــة التي تستخدم (لا التي يمكن استعمالها) باوسع شكل لكان على حق بالنسبـــة لمرحلة معينة في تطور حركتنا الاشتراكية-الديموقراطية ولكان على حق بالضبط حيال «**الاقتصاديين**» حيال الكثيرين (ان لـــم نقل الاكثرية) من المشتغلين في الميدان العملي في سنوات ١٨٩٨ –١٩٠١ ، لأن هؤلاء «الاقتصاديين» المشتغلين في الميدان العملي

قد **استخدموا** في الواقع التحريض السياسي (هذا اذا كانوا يستخدمونه بوجه عام !) **على الصعيد الاقتصادي وحده تقريبا** وقد رأينا ان «رابوتشايا ميسل» و«جماعة التحرير الذاتي» قد اعترفتا بل اوصتا بتحريض سياسي **من هذا النوع** وقد كان على «رابوتشييه ديلو» ان **تشجب بعزم** كون التحريض الاقتصادي المفيد يرافقه تضييق مضر للنضال السياسي ولكنها اعلنت بدلاً من ذلك ان الوسيلة المستخدمة باوسع شكل **(من قبل «الاقتصاديين»)** هي الوسيلة التي **يمكن** استخدامها باوسع شكل ولا مجال للاستغراب اذا لم يجد هؤلاء الناس من سبيل عندما ندعوهم «بالاقتصاديين» الا ان يصمونا باقبح النعوت من نوع «المشعوذين» و«المخربين» و«سفراء البابا» و«المفترين» * وان يشكوا امام الجميع وامام كل بمفرده مدعين اننا وجهنا لهم اهانة دامية وان يصرخوا على نمط من يقسم بالايمان المغلظة «لا توجد اليوم اية منظمة اشتراكية-ديموقراطية مذنبة «بالاقتصادية»» ** يا لهؤلاء المفترين الاشرار-الساسة ألا يحتمل ان يكونوا قد اخترعوا «الاقتصادية» كلها اختراعاً لكي يوجهوا الى الناس الاهانات الدامية لا لشيء الا لحقدهم على البشر ؟

ما هو بلسان مارتينوف المعنى الواقعي الملموس للمهمة التي يضعها امام الاشتراكية-الديموقراطية «اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه» ؟ ان النضال الاقتصادي هو نضال العمال الجماعي ضد

---

* نفس التعابير الواردة في كراس «مؤتمران» ، ص ص ٣١ ، ٣٢ ، ٢٨ ٣٠

** «مؤتمران» ، ص ٣٢ .

اصحاب العمل بغية **بيع قوة العمل** بشروط مفيدة بغية تحسين ظروف عمل العمال وظروف حياتهم وهذا النضال هو بالضرورة نضال مهني لأن ظروف العمل تختلف اختلافاً كبيراً باختلاف المهن ولذا لا يمكن للنضال بغية **تحسين** هذه الظروف ان يجري الا تبعاً للمهن (النقابات في الغرب والاتحادات المهنية الموقتة والمناشير في روسيا الخ .) اذن ان اضفاء «الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه» يعني السعي الى تحقيق المطالب المهنية نفسها والى التحسين نفسه في ظروف العمل المهنية بواسطة «اجراءات تشريعية وادارية» (كما يقول مارتينوف في الصفحة التالية من مقاله الصفحة ٤٣) وهذا بالذات ما تقوم به وما قامت به على الدوام جميع نقابات العمال تصفحوا مؤلف العالمين الرصينين (والانتهازيين «الرصينين») الزوجين ويب تروا ان نقابات العمال الانكليزية قد وعت وراحت تنفذ منذ عهد جد بعيد مهمة «اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه» وانها تناضل منذ عهد جد بعيد في سبيل حرية الاضراب ، في سبيل ازالة شتى اشكال العقبات الحقوقية القائمة في وجه الحركة التعاونية والنقابية في سبيل اصدار قوانين لحماية النساء والاطفال في سبيل تحسين ظروف العمل بواسطة التشريع الصحي والصناعي الخ

وهكذا ان هذه العبارة الطنانة «الرهيبة» بدويها العميق والثورى «اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي **نفسه**» ، تخفي وراءها في الواقع النزوع التقليدي الى **الهبوط** بالسياسة الاشتراكية- الديموقراطية حتى مستوى السياسة التريديونيونية ! فبذريعة اصلاح ضيق افق «الايسكرا» التى تعتبر – ويا للهول – «بث الروح الثورية في العقائد اعلى شأناً من

بثها في الحياة» يعرضون علينا **النضال من اجل الاصلاحات الاقتصادية** على انه شيء جديد والواقع ان عبارة «اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه» خالية من كل شيء عدا النضال في سبيل الاصلاحات الاقتصادية وكان بوسع مارتينوف ان يصل بنفسه الى هذا الاستنتاج البسيط لو اعمل الفكر قليلاً في معنى كلماته فقد قال موجهاً مدفعيته الثقيلة الى «الايسكرا» «ان حزبنا يمكنه ويجب عليه ان يطالب الحكومة باجراءات تشريعية وادارية ملموسة ضد الاستثمار الاقتصادي ضد البطالة وضد الجوع الخ (ص‌ص ٤٢-٤٣ من «رابوتشييه ديلو» العدد ١٠) المطالبة باجراءات ملموسة - ألا يعني ذلك المطالبة بالاصلاحات الاجتماعية ؟ وها نحن نسأل مرة اخرى القراء المنصفين أنفتري على «الرابوتشييه ديلوويين» (وارجو المعذرة على هذا التعبير الفظ الشائع !) اذا وصفناهم ببرنشتينيين مستترين عندما يعلنون ان **خلافاتهم** مع «الايسكرا» تدور حول ضرورة النضال في سبيل الاصلاحات الاقتصادية ؟

ان الاشتراكية-الديموقراطية الثورية قد ضمّنت نشاطها وتضمنه على الدوام النضال من اجل الاصلاحات ولكنها تستخدم التحريض «الاقتصادى» لا لمطالبة الحكومة بمختلف الاجراءات وحسب بل لمطالبتها كذلك (وقبل كل شيء) بان تكف عن ان

---

* «رابوتشييه ديلو» ، العدد ١٠ ، ص ٦٠ انها طريقة مارتينوف لتطبيق صيغة «كل خطوة تخطوها الحركة الفعلية هي اهم من دستة من البرامج» على وضع حركتنا الحالي الهيولي ، الامر الذي وصفناه من قبل والواقع ان هذه العبارة ليست في الجوهر غير الترجمة الروسية لعبارة برنشتين السيئة الصيت : «الحركة هي كل شيء ، الهدف النهائي هو لا شيء» .

تكون حكومة استبدادية وهي عدا ذلك ترى من واجبها ان تقدم للحكومة هذا الطلب لا على صعيد النضال الاقتصادي **وحسب** بل كذلك على صعيد جميع مظاهر الحياة السياسية الاجتماعية بوجه عام انها بكلمة تخضع النضال من اجل الاصلاحات بوصفه جزءا من كل للنضال الثوري من اجل الحرية ومن اجل الاشتراكية اما مارتينوف فيبعث نظرية المراحل بشكل آخر محاولاً ان يحصر تطور النضال السياسي في طريق ان جاز القول اقتصادي بكل تأكيد انه اذ ينادى في مرحلة النهوض الثوري بالنضال من اجل الاصلاحات على انه «مهمة» خاصة كما يزعم يجر بذلك الحزب الى الوراء ويساعد الانتهازية «الاقتصادية» والانتهازية الليبيرالية على حد سواء

ثم ان مارتينوف بعد ان ستر بحياء النضال من اجل الاصلاحات بالصيغة الطنانة «اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه» وضع في المقام الاول وكشيء خاص **الاصلاحات الاقتصادية وحدها** (وحتى الاصلاحات في داخل المعامل وحدها) ونحن لا ندري لماذا فعل ذلك ترى أعن سهو ؟ ولكنه ان كان لم يقصد الاصلاحات «المعملية» وحدها فان كل صيغته التي ذكرناها للتو تفقد عندئذ كل معنى او لعله فعل ذلك لانه يعتقد ان الحكومة لا يمكن ولا يحتمل ان «تتنازل» الا في الميدان الاقتصادي وحده ؟ * ولئن كان الامر كذلك فهذا ضلال غريب فالتنازلات محتملة وتحدث ايضا في ميادين التشريع الذي يتناول السياط والجوازات والتعويضات عن شراء الاراضى (٧٠) والشيع

---

* ص ٤٣ «اذا اوصينا العمال بان يتقدموا الى الحكومة ببعض المطالب الاقتصادية ، فانما نفعل ذلك طبعاً لأن الحكومة الاستبدادية مضطرة بالضرورة الى القبول ببعض التنازلات في الميدان **الاقتصادي**» .

الدينية والرقابة الخ وهلم جـــرا وواضـــح ان التنازلات «الاقتصادية» (او التنازلات الكاذبة) هي الاهون على الحكومـــة والاكثر فائدة لها لأن الحكومة تأمل ان تكسب بذلك ثقة جماهير العمـــال ولهذا بالذات **لا ينبغـــي** لنا نحـــن الاشتراكيين-الديموقراطيين ان نفسح باي شكل من الاشكال اي مجال للاعتقاد (او للتوهم) بان الاصلاحات الاقتصادية هي الاغلى على قلوبنا او اننا نعتبرها الاهم الخ يقول مارتينوف متحدثاً عن الاجراءات التشريعية والادارية الملموسة التي تقدم بها اعلاه «ان مثل هذه المطالب لا تبقى كلاماً فارغاً لانها اذ تبعث الامل بنتائج حسية معينة يمكن ان تجد التأييد النشيط لدى جماهير العمال»

نحن لسنا «باقتصاديين» نستغفر الله كل ما في الامر اننـــا نزحف امام «حسية» النتائج الملموسة بمثل خنوع السادة برنشتين وبروكوبوفيتش وستروفه ور م و tutti quanti * كل ما في الامر اننا نلمح (مع نارسيس توبوريلوف) الى ان كل ما لا «يبعث الامل بنتائج حسية» هو «كلام فارغ» ! كل ما في الامر اننا نفصح بشكل يبدو منه وكأن جماهير العمال ليست اهلاً (وانها بالرغم من جميع الذين يلقون عليها تفاهاتهم لم تبرهن على انهـــا اهل) لأن تؤيد بنشاط **كل** احتجاج على الحكم المطلق حتى الاحتجـاج الذى **لا يبعث فيها اي امل بنتائج حسية** !

حسبنا ان نضرب الامثلة التى ذكرها مارتينوف نفسه عـن «الاجراءات» ضد البطالة والمجاعة فبينمـــا انهمكت «رابوتشييه ديلو» كما يؤخذ من وعدها في وضع وتحضير «مطالب لاجراءات تشريعية وادارية ملموسة» (بشكل مشاريع قوانين ؟) «تبعـــث الامل بنتائج حسية» ، عملت «الايسكرا» التي «تفضل على الدوام بث

---

* ــ جميع اضرابهم .ــ بالايطالية في النص الاصلى . **الناشر** .

الروح الثورية في العقائد بدلاً من بثها في الحياة» على تبيان الصلة الوثقى التي تربط البطالة بالنظام الرأسمالي باكملـــه ونبهت الى ان «المجاعة زاحفة» وشهرت بالاعمال التي تقوم بها الشرطة «لمكافحة الجياع» (٧١) وبفظاعة «الاحكام الموقتة للاشغال الشاقة» (٧٢) واصدرت «زاريا» في هذا الوقت في طبعة على حدة بصفة كراس من كراسات التحريض قسما من «استعراض الوضع الداخلي» يتناول المجاعة ولكن ، رباه كم كان هؤلاء الارثوذكس المصابـــون بضيق الافق حتى مخ العظم كم كانوا في هذه الحالات «محدودي التفكير» كم كانوا متحجرين صماً حيال مقتضيـــــات «الحياة نفسها» فهم لم يدرجوا في اي مقال من مقالاتهم – ويا للهول – **اي مطلب** – أتتصورون ؟ اى «مطلب ملموس» «يبعث الامـــــل بنتائج حسية» يا لهم من جامدي العقيدة تعساء **الا فليذهبوا** وليتتلمذوا على امثال كريتشيفسكى ومارتينوف كي يتعلموا ان التكتيك هو سير النمو هو سير ما ينمو الخ وانه ينبغي اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادى **نفسه** !

«ان لنضال العمال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة («النضال **الاقتصادي** ضد الحكومة» !!) عدا اهميته الثوريـــة المباشرة اهمية اخرى تتلخص في كونه يضع العمال على الدوام امام مسألة حرمانهم من الحقوق السياسية» (مارتينوف ص ٤٤) نحن لا نثبت هذه العبارة لكيما نكرر للمرة المئـــة او للمـــرة الالف ما سبق لنا ان قلناه بل لكيما نقدم لمارتينوف بوجـــه خاص الشكر على هذه الصيغة الجديدة الرائعة «نضال العمال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» يا للروعـــة باي نبوغ لا يضارع وباية مهارة تُلغى جميع الخلافات الثانويـــة وجميع الاختلافات في التلاوين بين «الاقتصاديين» ويُفصح هنـــا في عبارة مقتضبة واضحة عن **جوهر** «الاقتصادية» **كله** ابتداء مـــن

دعوة العمال الى «النضال السياسي الذي يقومون به لمصلحتهم المشتركة بغية تحسين وضع جميع العمال» * ومروراً بنظرية المراحل ثم انتهاء بقرار المؤتمر عن «الوسيلة التي يمكن استعمالها باوسع شكل» الخ ان «النضال الاقتصادي ضد الحكومة» هو بالضبط السياسة التريديونيونية البعيدة جداً ، البعيدة منتهى البعد عن السياسة الاشتراكية-الديموقراطية

ب) حكاية عن كيف عمق مارتينوف بليخانوف

«كم ظهر عندنا في الآونة الاخيرة من امثال للومونوسوف اشتراكيين-ديموقراطيين – هذا ما قاله ذات مرة رفيق من الرفاق مشيرا الى الميل الغريب لدى الكثيرين من الميالين الى «الاقتصادية» الى ان يكتشفوا «بعقولهم هم» الحقائق العظمى (من نوع ان النضال الاقتصادي يضع العمال امام مسألة حرمانهم من الحقوق) مغفلين في الوقت نفسه بعنجهية العباقرة الافذاذ كل ما اعطاه التطور السابق للفكرة الثورية وللحركة الثورية ومن هؤلاء الافذاذ لومونوسوف-مارتينوف القوا نظرة على مقاله «القضايا المباشرة» تروا كيف **يتوصل** «بعقله هو» الى ما سبق لآكسيلرود ان قاله منذ امد بعيد (والذي يصمت عنه كل الصمت طبعاً هذا اللومونوسوف) وكيف **يأخذ** مثلا يفهم انه لا يمكننا ان نتجاهل روح المعارضة لدى هذه او تلك من فئات البرجوازية («رابوتشييه ديلو» العدد ٩ ص ص ٦١ ٦٢ ٧١ قارن ذلك بـ«جواب» هيئة تحرير «رابوتشييه ديلو» على آكسيلرود ، ص ص ٢٢ ، ٢٣–٢٤) الخ . ولكنه – واحسرتاه –

* «رابوتشايا ميسل» ، «الملحق الخاص» ، ص ١٤ .

لم يزد على ان «يتوصل» ، على ان «يأخذ» لانه ما يزال جد بعيد عن فهم افكار آكسيلرود الى حد انه يتكلم عن «النضال الاقتصادى ضد اصحاب الاعمال والحكومة» طيلة ثلاث سنوات (١٨٩٨ ١٩٠١) حشدت «رابوتشييه ديلو» قواها لفهم آكسيلرود ومع ذلك مع ذلك لم تفهمه بعد ! ولعل منشأ ذلك كون الاشتراكية-الديموقراطية «كشأن البشرية» لا تضع نصب عينيها على الدوام الا المهام الممكنة التحقيق ؟

ولكن ميزة امثال هذا اللومونوسوف لا تتلخص فقط في كونهم يجهلون اشياء كثيرة (ولو اقتصر الامر على ذلك لكانت نصف مصيبة !) بل انهم لا يعلمون انهم جاهلون ، وهذه مصيبة حقاً وهذه المصيبة تحفزهم على ان يأخذوا على الفور بـ«تعميق» بليخانوف .

يقول لومونوسوف-مارتينوف «لقد تغيرت امور كثيرة مذ كتب بليخانوف الكتاب المذكور («مهام الاشتراكيين في مكافحة المجاعة في روسيا») فالاشتراكيون-الديموقراطيون الذين قادوا نضال الطبقة العاملة الاقتصادي طيلة عشر سنوات لم يتسن لهم بعد ان يقيموا تكتيك الحزب على اساس نظري واسع اما الآن فقد نضجت هذه المسألة . واذا ما اردنا اقامة مثل هذا الاساس النظري وجب علينا ، حتماً ، ان نعمق لدرجة كبيرة تلك المبادئ التكتيكية التي طرحها بليخانوف فيما مضى يجب علينا اليوم ان نحدد الفرق بين الدعاية والتحريض بشكل يختلف عن تحديد بليخانوف» (وقد ذكر مارتينوف لتوه كلمات بليخانوف «الداعية يعطي كثرة من الافكار لشخص او لعدد من الاشخاص ، والمحرض يعطي فكرة واحدة او بضع افكار ولكنه يعطيها بالمقابل لجمهور كبير من الاشخاص») «وبودنا ان نفهم من الدعاية الشرح الثوري للنظام الحالي باكمله او لبعض مظاهره ، سواء جرى ذلك بشكل يفهمه افراد او جمهور كبير من الناس ، فلا فرق ونفهم من التحريض بمعنى الكلمة الدقيق (كذا !) نداء الجماهير الى بعض اعمال ملموسة ، مساعدة البروليتاريا على التدخل الثوري المباشر في الحياة الاجتماعية» .

اننا نهنىء الاشتراكية-الديموقراطية الروسية – والعالمية – باصطلاحات جديدة مارتينوفية ، اكثر دقة وعمقاً فقد كنا نعتقد حتى الآن (مع بليخانوف وجميع قادة حركة العمال العالمية) ان الداعية ، اذا ما اخذ مثلا مسألة البطالة نفسها ينبغي له ان يشرح الازمات وطبيعتها الرأسمالية وان يبين اسباب حتميتها في المجتمع الراهن وان يبين ضرورة تحويله الى مجتمع اشتراكي الخ وبكلمة ينبغي له ان يعطي «كثرة من الافكار» كثيرة لدرجة لا يمكن ان يستوعبها بمجموعها دفعة واحدة غير عدد من الاشخاص قليل (نسبياً) اما المحرض فانه اذ يتكلم عن المسألة نفسها يأخذ ابرز مثل يعرفه مستمعوه اكثر من غيره من الامثال ، لنقل مثلا موت عائلة عامل عاطل عن العمل بسبب المجاعة او انتشار التسول الخ ويوجه جميع جهوده استنادا الى هذا الواقع الذي يعرفه الجميع لاعطاء «الجمهور» **فكرة واحدة** فكرة التناقض غير المعقول بين تزايد الغنى وتزايد الفقر باذلاً جهده لكي **يثير في الجمهور** الاستياء والسخط من هذا الظلم الفاضح تاركاً للداعية مهمة الشرح الكامل لهذا التناقض ولذلك يعمد الداعية بالدرجة الاولى الى الكلمة **المطبوعة** ويعمد المحرض الى الكلمة **الحية** ولا تتطلب من الداعية الصفات نفسها التي تتطلب من المحرض فنحن نصف مثلا كاوتسكي ولافارغ بانهما من الدعاة ، ونصف بيبل وغيد بانهما من المحرضين وما تعيين ميدان ثالث وظيفة ثالثة للنشاط العملي وظيفة تتلخص في «نداء الجماهير الى بعض اعمال ملموسة» الا الحماقة الكبرى لأن «النداء» بوصفه عملاً على حدة إما ان يكون لا محالة التتمة الطبيعية للبحث النظري ولكراس الدعاية ولخطاب التحريض وإما ان يكون عملاً تنفيذياً صرفاً وفي الحقيقة لنأخذ مثلاً نضال الاشتراكيين-الديموقراطيين الالمان الحالي ضد الرسوم الجمركية المفروضة على الحبوب .

النظريون يكتبون الابحاث عن السياسة الجمركية «منادين» ، مثلا الى النضال من اجل المعاهدات التجارية ومن اجل حرية التجارة والداعية يقوم بالعمل نفسه في مجلة والمحرض في خطابات امام الجمهور و«الاعمال الملموسة» التي تقوم بها الجماهير في هذه الحالة هي عبارة عن توقيع عرائض الى الريخستاغ تطالب بعدم زيادة الرسوم المفروضة على الحبوب والنداء الى هذا العمل يصدر بصورة غير مباشرة عن النظريين والدعاة والمحرضين وبصورة مباشرة عن العمال الذين يطوفون بهذه العرائض على المعامل والبيوت ويستنتج من «اصطلاحات مارتينوف» ان كلا من كاوتسكي وبيبل كليهما من الدعاة وان حاملي العرائض من المحرضين أليس كذلك ؟

ان مثل الالمان هذا قد ذكرني بالكلمة الالمانية "Verballhornung„ اي حرفياً «البلهرة» من كلمة بالهورن ويوحنا بالهورن ناشر عاش في القرن السادس عشر في ليبزيغ وقد قام بنشر كتاب الالفباء وفيه كالمعتاد رسوم بينها صورة ديك ولكن الديك ظهر في هذا الرسم بدون شوكتين على رجليه ومع بيضتين الى جانبه وقد اضاف الناشر على الغلاف كلمات «طبعة **منقحة** ليوحنا بالهورن» ومنذ ذلك الحين والالمان يصفون بالبلهرة كل «تنقيح» هو في الواقع نقيض التحسين ويتذكر المرء عفو الخاطر بالهورن هذا عندما يرى كيف «يعمق» اضراب مارتينوف بليخانوف

لِمَ «اخترع» صاحبنا اللومونوسوف هذه البلبلة ؟ ذلك لكيما يبين ان «الايسكرا» ، «كشان بليخانوف منذ عقد ونصف من السنين لا ترى من الاشياء غير وجه واحد» (ص ٣٩) «في «الاسكرا» نرى مهام الدعاية تدفع الى المقام الثاني في الآونة الحاضرة على الاقل ، مهام التحريض» (ص ٥٢) . واذا ما

ترجمنا هذه العبارة الاخيرة من لغة مارتينوف الى لغة البشر (لانه لم يتسن للبشرية بعد ان تتبنى الاصطلاحات التى اكتشفها مارتينوف حديثاً) تكون النتيجة ما يلي في «الايسكرا» نرى مهام الدعاية السياسية والتحريض السياسي تدفع الى المقام الثاني مهمة «مطالبة الحكومة باجراءات تشريعية وادارية ملموسة» «تبعث الامل بنتائج حسية معينة» (او المطالبة باصلاحات اجتماعية اذا سمح لنا بان نستخدم ولو مرة اخرى الاصطلاحات القديمة للبشرية القديمة التي لم ترتفع بعد الى مستوى مارتينوف) ليقارن القارئ هذه الفكرة بالقطعة البليغة التالية

«ان ما يثير استغرابنا في هذه البرامج» (برامج الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين) «كونها تضع في المقام الاول على الدوام مزايا عمل العمال في البرلمان (غير الموجود عندنا) وتهمل بصورة تامة (من جراء نيهيليّتها الثورية) اهمية اشتراك العمال في المجالس التشريعية لاربـاب المعامل ، المختصة بشؤون المعامل ، وهي موجودة عندنا او على الاقل اشتراك العمال في المجالس البلدية

ان واضع هذه القطعة البليغة يعرب بصورة اقرب الى الصراحة والوضوح والجلاء عن نفس الفكرة التي توصل اليها لومونوسوف-مارتينوف بعقله هو وواضع هذه القطعة البليغة هو ر م في «الملحق الخاص لـ«رابوتشايا ميسل»» (ص ١٥)

ج) التشهير السياسي و«تربية النشاط الثوري»

عندما عارض مارتينوف «الايسكرا» بـ«نظريته» عن «رفع مستوى نشاط جماهير العمال» كشف في الواقع عن نزوعه الى **الحط من مستوى** هذا النشاط باعلانه ان الوسيلة الافضل الوسيلة الاهم الوسيلة «التي يمكن استعمالها باوسع شكل» لاثارة هذا النشاط ، ان ميدان هذا النشاط هو ذلك النضال

الاقتصادي نفسه الذي يركع امامه جميع «الاقتصاديين» انه خطأ نموذجي لأنه ابعد من ان يختص به مارتينوف وحده والواقع اننا لا «نرفع مستوى نشاط جماهير العمال» الا اذا **لم نكتف** بـ«التحريض السياسي على الصعيد الاقتصادي» ولما كان احد الشروط الاساسية لضرورة توسيع التحريض السياسي هو تنظيم التشهير السياسي **في جميع الميادين** لأن تربية وعي **الجماهير** السياسي ونشاطها الثوري **لا تمكن** الا عن طريق **هذا** التشهير ، – كان هذا النوع من النشاط وظيفة من اهم وظائف الاشتراكية-الديموقراطية العالمية باكملها لأن الحرية السياسية هي الاخرى لا تزيل هذا التشهير البتة بل تغير اتجاهه بعض الشيء فالحزب الالماني مثلا يعزز مواقعه ويوسع نفوذه لدرجة كبيرة بفضل حملة التشهير السياسي بالذات التي يشنها بنشاط لا يفتر ولا يمكن ان يكون وعي الطبقة العاملة وعياً سياسياً حقاً اذا لم يتعود العمال الرد على كل حالة من حالات الطغيان والظلم والعنف وسوء الاستعمال **على اختلافها وبصرف النظر عن الطبقة** التي توجه اليها على ان يكون الرد من وجهة النظر الاشتراكية-الديموقراطية لا من اية وجهة نظر اخرى ولا يمكن ان يكون وعي جماهير العمال وعياً طبقياً حقاً اذا لم يتعلم العمال الاستفادة من الوقائع والحوادث السياسية الملموسة والعاجلة (الملحة) حتماً في الوقت نفسه لمراقبة **كل** طبقة من الطبقات الاجتماعية الاخرى في **جميع** مظاهر حياتها العقلية والاخلاقية والسياسية اذا لم يتعلموا ان يطبقوا في العمل التحليل المادي والتقدير المادي **لجميع** اوجه نشاط وحياة **جميع** طبقات السكان وفئاتهم وجماعاتهم ان كل من يوجه انتباه الطبقة العاملة وقوة ملاحظتها ووعيها الى نفسها فقط او الى نفسها بالدرجة الاولى ليس باشتراكي-ديموقراطي ، لأن معرفة الطبقة العاملة لنفسها

مرتبطة ارتباطاً لا ينفصم بمعرفتها معرفة واضحة تامة للعلاقات المتبادلة بين جميع طبقات المجتمع الراهن معرفة ليست نظرية وحسب والاصح ان نقول ليست نظرية بمقدار ما هي مبنية على تجربة الحياة السياسية ولذلك فان ما ينادي به «اقتصاديونا» من ان النضال الاقتصادي هو الوسيلة التي يمكن استعمالها باوسع شكل لجذب الجماهير الى الحركة السياسية هو امر ضار منتهى الضرر ورجعي منتهى الرجعية من حيث نتائجه العملية فلكيما يصبح العامل اشتراكياً-ديموقراطياً ينبغي له ان يكون لنفسه صورة واضحة عن الطبيعة الاقتصادية والسيماء الاجتماعية والسياسية للملاك العقاري والكاهن وصاحب الرفعة والفلاح والطالب والصعلوك وان يعرف نواحي قوتهم ونواحي ضعفهم، وان يحسن فهم معاني مختلف العبارات الشائعة والسفسطات التي **تخفي** بها كل طبقة وكل فئة مطامعها الانانية وحقيقة «دخيلتها» وان يعرف ما هي المؤسسات والقوانين التي تعكس هذه المصالح او تلك وكيف تعكسها وهذه «الصورة الواضحة» لا يستطيع العامل ان يجدها في اي كتاب لا يستطيع ان يستمدها الا من الصور الحية الا من التشهير الذي يذاع مباشرة اثر ما يجري حولنا في برهة ما ويصبح موضوعاً يتحدث به الناس، جماعات او افراداً او يهمسون به على الاقل وما يتجلى في هذه او تلك من الاحداث والارقام والاحكام القضائية، الخ الخ. ان هذا التشهير السياسي الذي يشمل جميع الميادين هو شرط **اساسي** لا بد منه لتربية نشاط الجماهير الثوري

لماذا لا يظهر العامل الروسي حتى الآن غير القليل من النشاط الثوري حيال ما يلقاه الشعب من وحشية الشرطة حيال اضطهاد الشيع الدينية حيال ضرب الفلاحين حيال فضائح الرقابة حيال تعذيب الجنود، حيال ملاحقة المبادرات الثقافية حتى اضعفها،

وهلم جرا ؟ أليس مرد ذلك الى ان «النضال الاقتصادي» لا«يدفعه» الى مثل هذا النشاط وان هذه الامور «تبعث فيه الامل» بقلة من «النتائج الحسية» وتعطيه قلة من النتائج «الايجابية» ؟ لا ان ادعاء المرء بمثل هذا يعني ونكرر ذلك محاولة لعزو اخطائه هو الى الآخرين ، عزو تفاهته (اي البرنشتينية) الى جماهير العمال اننا اذا كنا لم نستطع حتى الآن تنظيم التشهير بجميع هذه السفالات بما ينبغي من السعة والسرعة والوضوح فسبب ذلك نحن ، سبب ذلك تأخرنا عن حركة الجماهير اذا فعلنا ذلك (وهذا يجب علينا ونستطيع ان نفعله) ، لرأينا حتى اكثر العمال تأخرا يدرك او **يحس** ان الطالب وتابع البدعة الدينية والفلاح والكاتب يتلقى الاهانات والطغيان من تلك القوة السوداء نفسها التي تضغط عليه وتسحقه في كل خطوة من حياته وما ان يحس حتى يرغب حتى يرغب اشد الرغبة في ان يرد بنفسه ، ويستطيع عندئذ ان ينظم اليوم عرضا صاخبا في وجه المراقبين وغدا مظاهرة امام دار حاكم قمع انتفاضة فلاحين وبعد غد القاء درس على الدوك لابسي مسوح الكهان الذين يقومون باعمال محاكم التفتيش المقدسة ، الخ . اننا لم نعمل غير النزر القليل ، لم نعمل تقريبا اي شيء **لالقاء** تشهيرات بين جماهير العمال ، تتناول مواضيع الساعة وتشمل جميع ميادين الحياة . حتى ان الكثيرين منا لم يدركوا بعد **واجبهم** هذا ، ويستمرون على زحفهم العفوي خلف «النضال الجاري المعتاد» ضمن اطار الحياة المعملية الضيق ان القول في مثل هذه الظروف بان ««الايسكرا» تميل الى التقليل من اهمية تقدم النضال الجاري المعتاد بالقياس الى الدعوة للافكار البراقة والمتبلورة» (مارتينوف ص ٦١) — يعني جر الحزب الى الوراء والدفاع عن عدم استعدادنا وعن تأخرنا ، والاشادة بهما .

اما نداء الجماهير الى العمل فهو امر يأتي من تلقاء نفسه متى وجد التحريض السياسي النشيط والتشهير الواضح الحي. ان القاء القبض على مجرم متلبساً بالجريمة والتشهير به على الفور امام الجميع وفي كل مكان هو عمل يؤثر بحد ذاته تأثيراً اقوى من كل «نداء» يؤثر في الغالب تأثيراً يتعذر معه فيما بعد معرفة الـــذي «نادى» الجموع والذي وضع مشروع هذه المظاهرة او تلك الخ. والنداء – بمعنى الكلمة الملموس لا بمعناها العام – لا يمكن ان يحدث الا في ساحة العمل نفسه ، ولا يمكن ان ينادي الا السائـــر مباشرة بنفسه في الساحة وواجبنـــا نحن الكتاب الاشتراكيين-الديموقراطيين هـو ان نعمق التشهير والتحريض السياسيين وان نوسعهما ونقويهما

وللمناسبـــة لنقل الآن كلمـــة في «النداءات» **لقد كانت «الايسكرا» الجريدة الوحيدة** التي **نادت** العمال **قبل** حوادث الربيع (٧٣) الى التدخل النشيط في مسألة لا **تبعث** فيهم على الاطلاق اي **امل بنتائج حسية** – هي مسألة تجنيد الطلاب الاجباري ففـــور اصدار قرار ١١ كانون الثاني (يناير) بصدد «تجنيد ١٨٣ طالباً» **وقبل** الشروع باية مظاهرة نشرت «الايسكرا» مقالا حول هـــذا الامر (العدد ٢ شباط – فبراير) * **ونادت** جهاراً «العامـــل الى مساعدة الطالب» ، نادت «الشعب» الى الرد الصريح على هذا التحدي الفظ من قبل الحكومة ونحن نسأل الجميع وكلاً بمفرده كيف نفسر هذا الواقع البليغ في دلالته – وهو ان مارتينوف الذي يتكلم عن «النداءات» بهذه الكثرة بل انه يرفع «النداءات» الى شكل خاص من اشكال النشاط لم ينبس ببنت شفة عن **هذا** النداء ؟ أفليس من النفاق بعد ذلك ان يعلن مارتينوف ان «الايسكرا» **لا ترى الا**

* راجع مقال لينين : «تجنيد ١٨٣ طالباً» . **الناشر** .

ناحية واحدة لانها لا «تنادي» بصورة كافية الى النضال من اجل مطالب «تبعث الامل بنتائج حسية» ؟

لقد احرز «اقتصاديو» نا بما فيهم «رابوتشييه ديلو» نجاحاً لأنهم تكيفوا تبعاً للعمال المتأخرين ولكن العامل الاشتراكي-الديموقراطي العامل الثوري (وعدد هؤلاء العمال في تزايد مستمر) سيرد بسخط على جميع هذه الحجج عن النضال من اجل مطالب «تبعث الامل بنتائج حسية» الخ. لأنه سيفهم ان ذلك ليس غير شكل جديد للأغنية القديمة اغنية الكوبيك المضاف الى الروبل ان هذا العامل سيقول لمن يسدون له النصائح في «رابوتشايا ميسل» و«رابوتشييه ديلو» انكم تخطئون ايها السادة في ازعاج انفسكم هذا الازعاج بتدخلكم هكذا في امور نعالجها بأنفسنا وبتهربكم من واجباتكم الحقيقية فليس من الفطنة اطلاقاً ان تقولوا ان واجب الاشتراكيين-الديموقراطيين هو اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه فذلك ليس الا بداية وما هو بمهمة الاشتراكيين-الديموقراطيين الرئيسية لأنه في العالم كله بما في ذلك روسيا **ليس من النادر** ان تكون **الشرطة هي البادئة في اضفاء** الطابع السياسي على النضال الاقتصادي فيأخذ العمال انفسهم في تبين الجانب الذي تسانده الحكومة * والواقع ان «نضال العمال الاقتصادي ضد اصحاب

* ان المطالبة بـ «اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه» تفصح باقصى الوضوح **عن تقديس العفوية** في ميدان النشاط السياسي فالنضال الاقتصادي يكتسب الطابع السياسي في معظم الاحيان **بصورة عفوية** اي بدون تدخل «الجرثومة الثورية ـ المثقفين» بدون تدخل الاشتراكيين-الديموقراطيين الواعين فنضال العمال الاقتصادي في انكلترا ، مثلاً ، قد اكتسب كذلك الطابع السياسي دون اي اشتراك من قبل الاشتراكيين ولكن واجب الاشتراكيين-الديموقراطيين لا ينحصر بالتحريض

الاعمال والحكومة» هذا النضال الذي تمتدحونه كما لو كنتم قد اكتشفتم اميركا ثانية يقوم به في المناطق الروسية المنسيـــة العمال انفسهم ممن سمعوا عن الاضرابات ولكنهم على ما يبدو يجهلون كل شيء عن الاشتراكية والواقع ان «نشاط »نا نحن العمال الذي تريدون انتم جميعاً ان تؤيدوه بوضع المطالب الملموسة التي تبعث الامل بنتائج حسية هو نشاط موجود فينا ونحن انفسنا في عملنا المهني اليومي الطفيف كثيراً ما نضـع هذه المطالب الملموسة دون اية مساعدة من قبل المثقفين ولكن **مثل هذا** النشاط لا يكفينا فنحن لسنا باطفال يمكن اطعامهم من حساء السياسة «الاقتصادية» وحدها نحن نريد ان نعرف كـل ما يعرفه الآخرون ، نريد الاطلاع على تفاصيل اوجه الحياة السياسية **جميعها** وان نشترك **بنشاط** في كل حادث سياسي مهما كان وهذا يتطلب من المثقفين ان يقللوا من تكرار ما نعرفه نحـــن انفسنا * وان يكثروا من اعطائنا ما لم نتوصل الى معرفته ما

السياسي على الصعيد الاقتصادي ، بل ان واجبهم ان **يحولوا** هذه السياسة التريديونيونية الى نضال سياسي اشتراكي-ديموقراطي ان يستفيدوا من ومضات الوعي السياسي التي يبعثهـا في العمال النضال الاقتصادي ، لكي يرفعوا العمال الى مستوى الوعي السياسي **الاشتراكي-الديموقراطي** امـا مارتينوف ومن على شاكلته ، فبدلاً من ان يرفعوا ويدفعوا الى الامـــام الوعي السياسي المستيقظ بصورة عفوية ، **يخرون سجدا امام العفويـــة** ويكررون ، يكررون تكراراً تمجه النفس ، ان النضال الاقتصادي «يضـع» العمال امام مسالة حرمانهم من الحقوق السياسيـة والمؤسف ان هذه اليقظة العفوية للوعي السياسي التريديونيوني لا «تضعكم» انتم ايها السادة امام مسالة واجباتكم الاشتراكية-الديموقراطية !

* ولكيما نبين اننا لم نخترع عبثاً خطاب العمال هذا الموجه الى الاقتصاديين نرجع الى شاهدين لا شك انهما يعرفان حركـة العمال عن كثب ولا يمكنهما ان يتحيزا لجانبنا نحن «ذوى العقيدة الجامدة» ما دام

لا نستطيع ابداً ان نتوصل الى معرفته من تجربتنا المعملية و«الاقتصادية» – ونعني المعرفة السياسية تستطيعون انتم معشر المثقفين ان تحصلوا على هذه المعرفة وانكم **لملزمون** بان تقدموها لنا باكثر مما فعلتم الى اليوم بمئة بل بألف مرة على ان لا تقدموها فقط بشكل محاكمات وكراريس ومقالات (هي في حالات كثيرة – واعذرونا على صراحتنا ! – مملة بعض الشيء) بل حتماً بشكل **تشهير** حي بما تفعله بالذات حكومتنا وطبقاتنا السائدة

احدهما من «الاقتصاديين» (يعتبر حتى «رابوتشييه ديلو» جريدة سياسية !) والثاني ارهابي اول الشاهدين هو كاتب مقال رائع من حيث صدقه وحيويته عنوانه «حركة العمال في بطرسبورغ ومهام الاشتراكيين-الديموقراطيين العملية» العدد ٦ من «رابوتشييه ديلو» وهو يقسم العمال الى ١) ثوريين واعين ، ٢) فئة وسط ، ٣) الجمهور الباقي ونرى الفئة الوسط «في حالات كثيرة تهتم بقضايا الحياة السياسية اهتماماً اكبر من اهتمامها بمصالحها الاقتصادية المباشرة التي ادركت منذ امد بعيد صلتها بالظروف الاجتماعية العامة» «ينتقدون «رابوتشايا ميسل» اشد الانتقاد» «دائما الشيء نفسه ما نعرفه منذ امد بعيد ، ما قرأناه منذ امد بعيد» «وفي الاستعراض السياسي مرة اخرى لا شيء» (ص ص ٣٠–٣١) ولكن حتى الفئة الثالثة نفسها «اي جمهور العمال الذين هم اقوى حساً واحدث سناً والذين هم اقل فساداً من جانب الحانة والكنيسة والذين لا يجدون على الاطلاق تقريبا امكانية الحصول على كتاب سياسي ، يسهبون في الحديث بالطالع والنازل عن مظاهر الحياة السياسية ويعملون الفكر في النتف التي تصل اليهم من اخبار تمرد الطلاب» الخ ويكتب الارهابي «... انهم يقرؤون مرة او مرتين توافه اخبار المعامل في المدن الاخرى ، لا في مدنهم ، ثم يكفون امر ممل فعدم الحديث عن الدولة في جريدة عمال يعني النظر الى العامل كما ينظر الى طفل صغير والعامل ليس بطفل» («سفوبودا» (٧٤) ، جريدة الجماعة الاشتراكية-الثورية ، ص ٦٩ و٧٠) .

في هذا الظرف بالذات في جميع ميادين الحياة هلموا اذن للقيام بواجبكم هذا بهمة اكبر **واقلوا من الكلام عن «رفع مستوى نشاط جماهير العمال»** فنشاطنا اكثر مما تظنون بكثير فنحن نعرف كيف ندعم بالنضال السافر في الشارع حتى المطالب التي لا تبعث الامل باية «نتائج حسية» لستم انتم المدعوين لـ«رفع مستوى» نشاطنا لأن **النشاط بالذات هو ما ينقصكم انتم** اقلوا من السجود امام العفوية واكثروا من التفكير برفع مستوى نشاطكم **انتم** ايها السادة

د) ما هو مشترك بين الاقتصادية والارهابية ؟

جمعنا آنفا في زاوية الملاحظات بين «اقتصادي» من جهة ، وارهابي غير اشتراكي-ديموقراطي من جهة اخرى فظهرا متضامنين مصادفة ولكن ثمة صلة تربط بينهما بوجه عام صلة داخلية ليست عرضية بل ضرورية وسنعود الى الحديث عنها فيما يأتي من البحث كما انه من الضروري التطرق اليها فيما يخص مسألة تربية النشاط الثوري بالذات لدى «الاقتصاديين» وارهابيي اليوم جذر مشترك هو بالضبط **تقديس العفوية** الذي تكلمنا عنه في الفصل السابق كظاهرة عامة والذي سنتناوله الآن من حيث تأثيره في ميدان النشاط السياسي والنضال السياسي وقد يبدو زعمنا هذا لاول وهلة متناقضا اذ ان الفرق الظاهري كبير جداً بين اناس يضعون في المقام الاول «النضال الجاري المعتاد» واناس يدعون الافراد الى نضال يتطلب الحد الاقصى من انكار الذات ولكن ليس ثمة هنا من تناقض «فالاقتصاديون» والارهابيون يقدسون قطبين مختلفين من التيار العفوي «الاقتصاديون» يقدسون عفوية «الحركة العمالية الصرف» والارهابيون يقدسون عفوية

شديد سخط المثقفين الذين لا يعرفون او لا يستطيعون ان يربطوا العمل الثوري بحركة العمال في كل واحد وفي الحقيقة يصعب على من فقد ايمانه بهذه الامكانية او الذي لم يؤمن بها قط ان يجد مخرجا لسخطه وهمته الثورية غير الارهاب وهكذا ان تقديس العفوية في الاتجاهين المذكورين ليس الا **البدء بتحقيق** برنامج "Credo" **المشهور** العمال ينصرفون الى «نضالهم الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» (وليعذرنا واضع "Credo" اذ نعرب عن افكاره بكلمات مارتينوف ونعتقد ان ذلك من حقنا ما دام "Credo" هو الآخر يقول ان العمال «يصطدمون» في نضالهم الاقتصادي «بالنظام السياسي») اما المثقفون فيخوضون النضال السياسي بقواهم الخاصة ، عن طريق الارهاب طبعاً ! وهو **استنتاج** منطقي ومحتوم تماماً لا بد من الالحاح عليه ، **ولو كان الذين** يشرعون بتحقيق هذا البرنامج **لا يدركون هم انفسهم** حتميته ان للنشاط السياسي منطقه المستقل عن ادراك الذين يدعون ، عن حسن نية الى الارهاب او الى اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه ان جهنم مبلطة بالنوايا الطيبة وفي هذه الحالة ايضا لا تمنع النوايا الطيبة من الانجرار العفوي في اتجاه «اهون السبل» في اتجاه برنامج "Credo" **البرجوازي الصرف** كذلك ليس من قبيل المصادفات ان نرى الكثيرين من الليبراليين الروس – الليبراليين البينين او المقنعين بالماركسية – يحبذون الارهاب بكل جوارحهم ويسعون لدعم نهوض الميول الارهابية في الظرف الحاضر

ونرى ان ظهور «جماعة سفوبودا الاشتراكية-الثورية» التي وضعت نصب عينيها بالضبط مهمة مساعدة حركة العمال بكل الوسائل ولكنها سجلت **في برنامجها** الارهاب وتحرير نفسها ان امكن القول ، من الاشتراكية-الديموقراطية – ان هذا الواقع قد بين

مرة اخرى واخرى روعة نفاذ بصر ب. ب. آكسيلرود الذي **تنبأ بالمعنى الحرفي للكلمة منذ اواخر سنة ١٨٩٧** نتيجة التردد الاشتراكي-الديموقراطي هذه («حول مسألة المهام الحالية والتكتيك») ورسم «احتماليه» المشهورين ان جميع المجادلات والخلافات التي حدثت بعد ذلك بين الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس يحتويها هذان الاحتمالان كما تحتوى البذرة النبتة *

ويتضح ايضاً من وجهة النظر المذكورة ان «رابوتشييه ديلو» التى لم تصمد امام عفوية «الاقتصادية» لم تستطع ان تصمد كذلك امام عفوية الارهابية ومن المهم جداً ان نشير هنا الى الحجج الفريدة في بابها والتي قدمتها «سفوبودا» دفاعا عن الارهاب فهي «تنكر بصورة تامة» دور الارهاب التخويفي («بعث الثورية» ص ٦٤) ولكنها تشير في المقابل الى «دوره التهييجي» وهذا بليغ الدلالة اولا بوصفه مرحلة من مراحل تفسخ وانحطاط

* ان مارتينوف «يتصور احتمالين آخرين اقرب الى الواقع (!)» («الاشتراكية-الديموقراطية والطبقة العاملة»، ص ١٩) «اما ان تاخذ الاشتراكية-الديموقراطية على نفسها ان تقود مباشرة نضال البروليتاريا الاقتصادي، وتحوله بذلك (!) الى نضال طبقي ثوري» «بذلك»، اي كما يظهر بالقيادة المباشرة للنضال الاقتصادي ألا فليتفضل مارتينوف وليدلنا على المكان الذي جرى فيه تحويل الحركة التريديونيونية الى حركة طبقية ثورية **بمجرد** قيادة النضال المهني ؟ ألا يدرك ان هذا «التحويل» يقتضينا ان ننهض بنشاط بـ«القيادة المباشرة» للتحريض السياسي في **جميع اشكاله** ؟ وإما الاحتمال الآخر فهو ان تتخلى الاشتراكية-الديموقراطية عن قيادة نضال العمال الاقتصادي وتقص بذلك اجنحتها» انها «الايسكرا» التي «تتخلى» عن ذلك حسب رأي «رابوتشييه ديلو» الذي ذكرناه ولكننا رأينا انها تفعل لقيادة النضال الاقتصادي **اكثر جداً مما تفعل «رابوتشييه ديلو»**، على انها لا تقتصر على ذلك **ولا تضيق في** سبيله مهامها السياسية .

دائرة الافكار التقليدية (السابقة للاشتراكية-الديموقراطية) التي كانت ترغم على التمسك بالارهاب فالاعتراف بانه يستحيل الآن «تخويف» الحكومة بالارهاب وبالتالي بعث الانحلال فيها يعني في الجوهر شجب الارهاب بصورة تامة بوصفه طريقة نضال بوصفه ميداناً للنشاط يقدسه برنامج وهو ثانياً ابعد في الدلالة بوصفه نموذجاً يبين عدم فهم مهامنا الملحة في قضية «تربية نشاط الجماهير الثوري» بيد ان «سفوبودا» تبشر بالارهاب بوصفه وسيلة «تهييج» لحركة العمال بوصفه «حافزا قويا» لها ان من الصعب تصور حجة تدحض نفسها بنفسها بوضوح اكبر اننا نسأل هل خلت الحياة الروسية من المساوئ لدرجة تحمل على اختراع وسائل خاصة «للتهييج» ؟ أوليس من الواضح من الناحية الاخرى ان الذي لا يهتاج ولا يمكن ان يهتاج حتى من جراء الطغيان الروسي سينظر كذلك الى المبارزة الدائرة بين الحكومة وقبضة الارهابيين وهو «ينكش انفه» ؟ والواقع ان شناعات الحياة الروسية تهيج جماهير العمال لدرجة كبيرة ولكننا لا نحسن ان امكن التعبير جمع وتركيز كل قطرات وجداول التهيج الشعبى التي تنضح من الحياة الروسية بكميات اكبر جداً مما نتصور ونحسب جميعاً والتي ينبغي مع ذلك جمعها بالضبط في سيل **واحد** جارف وهي مهمة ممكنة التحقيق تماماً يبرهن على ذلك بما لا يقبل الدحض نهوض حركة العمال هذا النهوض الكبير وما اشرنا اليه فيما تقدم من شدة تعطش العمال الى المطبوعات السياسية اما النداءات الى الارهاب فانها مثل النداءات الى اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه ليست الا اشكالاً مختلفة **للتهرب** من الحّ واجبات الثوريين الروس تنظيم التحريض السياسي بجميع اشكاله . ان «سفوبودا» تريد ان **تحل** الارهاب **محل** التحريض ،

معترفة صراحة بان «دوره التهييجي ينتهي منذ ان يبدأ التحريض النشيط القوي بين الجماهير» (ص ٦٨ من «بعث الثورية») وهذا ما يدل بالضبط على ان الارهابيين «والاقتصاديين» على حد سواء **يستصغرون** نشاط الجماهير الثوري بالرغم من الشهادة الواضحة التي قدمتها حوادث الربيع * فهؤلاء يندفعون الى البحث عن «مهيجات» مصطنعة واولئك يتحدثون عن «المطالب الملموسة» وهؤلاء واولئك لا يلتفتون التفاتا كافيا الى رفع **نشاطهم هم** في ميدان التحريض السياسي وتنظيم التشهير السياسي مع ان شيئا لا يمكن ان **يحل محل** هذا الامر لا في الوقت الحاضر ولا في اي وقت آخر

٥) الطبقة العاملة مناضل طليعي من اجل الديموقراطية

لقد رأينا ان القيام بالتحريض السياسي باوسع شكل وبالتالي تنظيم التشهير السياسي الشامل هو مهمة ضرورية دون قيد او شرط هو مهمة النشاط ذات الضرورة **الاكثر الحاحاً**، اذا كان هذا النشاط اشتراكياً-ديموقراطياً حقاً ولكننا خلصنا الى هذا الاستنتاج منطلقين **فقط** من حاجة الطبقة العاملة الملحة الى المعرفة السياسية والتربية السياسية الا ان طرح المسألة على هذا الشكل وحده يكون ضيقاً جداً ويغفل المهام الديموقراطية العامة التي تواجه كل اشتراكية-ديموقراطية بوجه عام والاشتراكية-الديموقراطية الروسية المعاصرة بوجه خاص

---

* المقصود ربيع سنة **١٩٠١** عندما بدأت المظاهرات الكبرى في الشوارع . (ملاحظة من لينين لطبعة سنة ١٩٠٧ . **الناشر** .)

ولكيما نشرح هذا الامر بأوضح شكل سنحاول تناول المسألة من الناحية «الاقرب» الى «الاقتصاديين» ، من الناحية العملية بالضبط ان «كل الناس متفقون» على ضرورة انماء وعي الطبقة العاملة السياسي والسؤال هو **كيف** نقوم بذلك وماذا ينبغي للقيام بذلك ؟ ان النضال الاقتصادي لا «يصدم» العمال الا بمسائل موقف الحكومة من الطبقة العاملة ولذلك **مهما بذلنا من جهد** في «اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه» **لا نستطيع ابدا** ان نصل الى انماء وعي العمال السياسي (الى درجة الوعي السياسي الاشتراكي-الديموقراطي) ضمن اطار هذه المهمة ، لأن **هذا الاطار نفسه ضيق** ان صيغة مارتينوف ذات قيمة في نظرنا لا لأنها تدل على موهبة مارتينوف في التشويش بل لانها تدل بجلاء على الخطأ الرئيسي الذي يقترفه جميع «الاقتصاديين» ونعني الاعتقاد بانه يمكن انماء وعي العمال السياسي الطبقي **من داخل** نضالهم الاقتصادي ، ان امكن القول ، اي انطلاقاً من هذا النضال وحده (او منه بصورة رئيسية على الاقل) واستناداً الى هذا النضال وحده (او اليه بصورة رئيسية على الاقل) وهذا الرأي مغلوط من اساسه ، وبما ان «الاقتصاديين» ، من غضبهم علينا لجدالنا اياهم لا يريدون ان يعملوا الفكر في مصدر خلافاتنا يكون الحاصل اننا لا نفهم بعضنا بعضاً بالمعنى الحرفي للكلمة ونتكلم بلغات مختلفة.

ان الوعي السياسي الطبقي لا يمكن حمله الى العامل **الا من الخارج** ، اي من خارج النضال الاقتصادي من خارج دائرة العلاقات بين العمال واصحاب الاعمال فالميدان الوحيد الذي يمكن ان نستمد منه هذه المعرفة هو ميدان علاقات **جميع** الطبقات والفئات تجاه الدولة والحكومة ميدان علاقات **جميع** الطبقات بعضها تجاه بعض ولذلك على سؤال ماذا ينبغي لحمل المعرفة السياسية الى العمال ؟ لا يمكن تقديم ذلك الجواب الوحيد

الذي يكتفي به في معظم الحالات المشتغلون في الميدان العملي فضلاً عن اولئك الذين يميلون منهم الى «الاقتصادية» ونعني جواب «التوجه الى العمال» فلكيما يحمل الاشتراكيون-الديموقراطيون **الى العمال** المعرفة السياسية ينبغي لهم **التوجه الى جميع طبقات السكان** ينبغي لهم ان يرسلوا فصائل جيشهم **الى جميع الجهات**

اذا كنا قد تعمدنا هذه الصيغة الخشنة اذا كنا قد تعمدنا هذا التبسيط الجارح في التعبير فليس منشأ ذلك الرغبة في الاغراب بل الرغبة في «صدم» «الاقتصاديين» صدماً بتلك المهام التي يغفلونها بشكل لا يغتفر بذلك الفرق الذي لا يريدون فهمه، والموجود بين السياسة التريديونيونية والسياسة الاشتراكية-الديموقراطية ولذلك نطلب الى القارئ ان يتذرع بالصبر وان يصغي الينا بانتباه حتى النهاية

خذوا نموذج الحلقة الاشتراكية-الديموقراطية الاوسع انتشاراً في السنوات الاخيرة وامعنوا النظر في عملها ان لها «صلات بالعمال» وانها لقانعة بذلك وهي تنشر المنشورات التي تندد فيها بما يجري في المعامل من التجاوزات وبسلوك الحكومة الممالئ للرأسماليين وبالطغيان البوليسي والحديث في اجتماعات العمال لا يخرج في المعتاد عن اطار المواضيع نفسها او يكاد لا يخرج عنها اما المحاضرات والاحاديث عن تاريخ الحركة الثورية وعن قضايا سياسة حكومتنا في الحقلين الداخلي والخارجي وعن مسائل التطور الاقتصادي في روسيا وفي اوروبا وعن وضع هذه او تلك من الطبقات في المجتمع الراهن الخ فهي نادرة جداً ولا يخطر ببال احد ان يعقد وينمي الصلات بصورة دائبة في طبقات المجتمع الاخرى والحق ان المثل الاعلى للمناضل في نظر اعضاء مثل هذه الحلقة، هو، في معظم الاحيان، اشبه كثيراً

بسكرتير التريديونيون منه بالاشتراكي الزعيم السياسي وبالفعل ان سكرتير اي تريديونيون سكرتير تريديونيون انكليزي مثلا يساعد العمال دائما على القيام بالنضال الاقتصادي وينظم التشهير بالحياة في المعامل ويشرح الظلم الكامن في القوانين والتدابير التي تقيد حرية الاضراب وحرية اقامة مراكز الحراسة (لتنبيه الجميع وكل فرد الى ان عمال هذا المعمل او ذاك مضربون) ويبين تحيز الحكم الذي ينتمي الى طبقات الشعب البرجوازية الخ الخ وباقتضاب ان كل سكرتير لتريديونيون يقوم ويساعد على القيام بـ«النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» ولسنا نغالي مهماالحنا في القول ان ذلك **ليس بعد** بالاشتراكية-الديموقراطية وان المثل الاعلى للاشتراكي-الديموقراطي لا ينبغي ان يكون سكرتير التريديونيون، بل **الخطيب الشعبي** الذي يحسن الرد على كل مظهر من مظاهر الطغيان والظلم بصرف النظر عن مكان حدوثه وعن الفئة او الطبقة التي يصيبها هذا الطغيان والظلم يحسن تلخيص جميع هذه المظاهر ويخلق منها لوحة تامة للطغيان البوليسي وللاستثمار الرأسمالي يحسن الاستفادة من كل امر تافه لكي يعرض **امام الجميع** عقائده الاشتراكية ومطالبه الديموقراطية ولكي يشرح **للجميع** ولكل فرد الاهمية التاريخية العالمية لنضال البروليتاريا التحريري قارنوا مثلا بين روبرت نايت (السكرتير والقائد المعروف لجمعية عمال المراجل وهي من اقوى التريديونيونات في انكلترا) وولهلم ليبكنخت وطبقوا عليهما المتضادات التي لخص بها مارتينوف خلافاته مع «الايسكرا» تروا – واني لأبدأ بتصفح مقال مارتينوف – ان ر نايت قد تفوق جداً في «مناداة الجماهير الى اعمال معينة ملموسة» (ص ٣٩) وان و ليبكنخت قد تفوق «في الانصراف الى شرح ثوري للنظام الراهن باكمله او لمظاهره

الجزئية» (صص ٣٨-٣٩) وان ر نايت قد «صاغ مطالب البروليتاريا المباشرة وبيّن طرق تحقيقها» (ص ٤١) وان و. ليبكنخت قد قام بذلك دون ان يستنكف من ان «يقود في الوقت نفسه العمل النشيط لمختلف الفئات المعارضة» ومن ان «يملي عليها برنامجاً ايجابيا للعمل» * (ص ٤١)؛ وان ر. نايت قد بذل جهده على وجه الدقة «ليضفي الطابع السياسي بقدر الامكان على النضال الاقتصادي نفسه» (ص ٤٢) وانه كان بارعاً في «مطالبة الحكومة باجراءات ملموسة تبعث الامل ببعض النتائج الحسية» (ص٤٣) ، في حين ان و ليبكنخت قد بذل جهداً اكبر بكثير في «التشهير» «الوحيد الجانب» (ص ٤٠) وان ر نايت قد اضفى اهمية اكبر على «تقدم النضال الجاري المعتاد» (ص ٦١) وان و ليبكنخت قد اعار اهمية اكبر «للدعوة الى الافكار البراقة المتبلورة (ص ٦١) وان و ليبكنخت قد جعل من الجريدة التي يشرف عليها «جريدة للمعارضة الثورية تشهر باوضاعنا ولا سيما بالاوضاع السياسية ما دامت تصطدم بمصالح مختلف فئات السكان» (ص ٦٣) ، في حين ان ر نايت قد «عمل لقضية العمال على صلة عضوية وثيقة بالنضال البروليتاري» (ص ٦٣) – اذا فهمنا «الصلة العضوية الوثيقة» بمعنى تقديس العفوية الذي درسناه اعلاه استناداً الى مثل كريتشيفسكي ومارتينوف ، – و«ضيق ميدان تاثيره» متأكداً على غرار مارتينوف طبعاً من انه «يزيد بذلك تركيز التأثير نفسه» (ص ٦٣) وبكلمة ترون ان مارتينوف يهوى de facto ** بالاشتراكية-الديموقراطية الى

* اثناء الحرب الفرنسية البروسية ، مثلاً ، املى ليبكنخت برنامجاً لنشاط **الديموقراطية كلها** ، كما فعل ماركس وانجلس ذلك في سنة ١٨٤٨ على نطاق اوسع

** فعلا ، في الواقع . – باللاتينية في النص الاصلي . **الناشر** .

مستوى التريديونيونية لا بالطبع لأنه لا يريد الخير للاشتراكية-الديموقراطية بل لانه يتسرع بعض الشيء في تعميق بليخانوف ، بدلاً من ان يبذل جهده لفهمه

ولكن لنعد الى بحثنا لقد قلنا انه يجب على الاشتراكي-الديموقراطي اذا كان اعترافه بضرورة انماء وعي البروليتاريا السياسي الشامل لا يقف عند حد القول ان «يتوجه الى جميع طبقات السكان» وهنا تطرح الاسئلة التالية كيف نقوم بذلك ؟ ألدينا من القوى ما يكفي لذلك ؟ هل من صعيد لمثل هذا العمل في جميع الطبقات الاخرى ؟ ألا يعني هذا تراجعاً ، او يؤدي الى التراجع عن وجهة النظر الطبقية ؟ لنتناول هذه المسائل .

ينبغي لنا ان «نتوجه الى جميع طبقات السكان» بوصفنا نظريين وبوصفنا دعاة وبوصفنا محرضين وبوصفنا منظمين . لا يشك احد في انه ينبغي لعمل الاشتراكيين-الديموقراطيين النظري ان يتجه لدراسة جميع خصائص الوضع الاجتماعي والسياسي لمختلف الطبقات ولكن العمل في هذا الاتجاه قليل – قليل جداً اقل بكثير من العمل الذي يجري لدراسة خصائص حياة المعامل انكم تصادفون في اللجان والحلقات اناسا يتعمقون في تخصص في دراسة هذا الميدان او ذاك من ميادين انتاج الحديد ولكنكم لا تصادفون تقريباً مثلاً يستدل منه على ان اعضاء المنظمات (المضطرين كما يحدث في كثير من الحالات الى ترك النشاط العملي لسبب من الاسباب) ينصرفون بصورة خاصة الى جمع مواد حول قضية من قضايا الساعة في حياتنا الاجتماعية والسياسية يمكن ان تتيح للاشتراكية-الديموقراطية فرصة العمل بين فئات السكان الاخرى ونحن عندما نتكلم عن ضعف الاستعداد لدى معظم قادة حركة العمال الحاليين لا يسعنا الا ان نذكر التحضير في هذا الحقل ايضاً اذ انه مرتبط كذلك بالمفهوم «الاقتصادي» «للصلة العضوية الوثيقة

بالنضال البروليتاري» ولكن الامر الاهم طبعاً هو **الدعاية والتحريض** بين جميع فئات الشعب ان ما ييسر هذا الواجب على الاشتراكي-الديموقراطي في اوروبا الغربية انما هي الاجتماعات والتجمهرات العامة التي يحضرها **كل** راغب وييسره البرلمان الذي يتكلم فيه امام نواب من **جميع** الطبقات اما نحن فليس لدينا برلمان ولا حرية اجتماع ولكننا نحسن مع ذلك تنظيم اجتماعات للعمال الذين يريدون ان يصغوا الى **اشتراكي-ديموقراطي** وينبغي لنا ان نحسن كذلك تنظيم اجتماعات يحضرها ممثلو جميع طبقات السكان الذين يريدون ان يصغوا الى **ديموقراطي** لأنه ليس باشتراكي-ديموقراطي من ينسى عملياً ان «الشيوعيين يؤيدون كل حركة ثورية» (٧٥) واننا تبعاً لذلك ملزمون بان نعرض **امام الشعب كله** ونشدد على **المهام الديموقراطية العامة** دون ان نخفي لحظة واحدة عقائدنا الاشتراكية ليس باشتراكي-ديموقراطي من ينسى عملياً انه ملزم بان يكون **اول** من يطرح ويشجذ ويحل **كل** مسألة من المسائل الديموقراطية العامة

قد يقاطعنا القارئ غير الصبور قائلاً «ان الجميع دون استثناء متفقون على ذلك وان التعليمات الجديدة الى هيئة تحرير «رابوتشييه ديلو» ، هذه التعليمات التي اتخذت في آخر مؤتمر «للاتحاد» تقول بصراحة «ينبغي ان يستفاد من اجل الدعاية والتحريض السياسيين ،من جميع ظواهر واحداث الحياة الاجتماعية والسياسية التي تمس البروليتاريا إما مباشرة بوصفها طبقة على حدة واما بوصفها **طليعة جميع القوى الثورية في النضال من اجل الحرية**» («مؤتمران» ، ص ١٧ حرف التأكيد لنا) اجل انها لكلمات طيبة وصحيحة كل الصحة ونكون راضين كل الرضى لو **فهمتها** «رابوتشييه ديلو» ، **ولو لم تقل الى جانب هذه الكلمات**

ما يناقضها اذ لا يكفي اتخاذ اسم «الطليعة» او الفصيلة الامامية بل ينبغي ان نعمل بشكل يحمل **جميع** الفصائل الاخرى على ان ترى وعلى ان تعترف باننا نسير في المقدمة ونحن نسائل القارئ هل ممثلو «الفصائل» الاخرى من البلاهة بحيث يصدقوننا لمجرد ادعائنا باننا «الطليعة» ؟ بحسبكم ان تتصوروا هذا المشهد يذهب اشتراكي-ديموقراطي الى «فصيلة» الراديكاليين الروس المثقفين او الدستوريين الليبيراليين ويقول نحن الطليعة «وتواجهنا الآن المهمة التالية كيف نضفي الطابع السياسي بقدر الامكان ، على النضال الاقتصادي نفسه» وما ان يسمع هذا الخطاب راديكالي او دستوري ذكي لدرجة ما (والاذكياء على كل حال كثيرون بين الراديكاليين والدستوريين الروس) حتى يبتسم ويقول (في نفسه طبعاً لأنه في معظم الحالات ديبلوماسي خبير) «كم هي ساذجة هذه «الطليعة» انها عاجزة حتى عن ان تفهم ان اضفاء الطابع السياسي على نضال العمال الاقتصادي **نفسه** هو مهمتنا ، مهمة ممثلي الديموقراطية البرجوازية المتقدمين فنحن ايضا كشأن جميع البرجوازيين في اوروبا الغربية نريد ان نجذب العمال الى السياسة **ولكن السياسة التريديونيونية على وجه الضبط ، لا السياسة الاشتراكية-الديموقراطية** فالسياسة التريديونيونية لطبقة العمال هي على وجه الدقة **السياسة البرجوازية** لطبقة العمال وعندما تضع هذه «الطليعة» صيغة لمهمتها فهي بالضبط تضع صيغة السياسة التريديونيونية ! فليقولوا عن انفسهم انهم اشتراكيون-ديموقراطيون ما طاب لهم ذلك فانا لست في الحقيقة طفلاً اغضب لمجرد الالقاب المهم ان لا ينجروا مع هؤلاء الاشرار اصحاب العقيدة الجامدة الارثوذكس المهم ان يتركوا «حرية النقد» الى الذين يجرون الاشتراكية-الديموقراطية عن غير وعي الى المجرى التريديونيوني !»

وتنقلب بسمة هذا الدستوري الناعمة الى قهقهة عاصفة عندما يعلم ان الاشتراكيين-الديموقراطيين الذين يتكلمون عن دور الاشتراكية-الديموقراطية الطليعي في هذا الوقت الذي تكاد فيه العفوية تسيطر سيطرة تامة فى حركتنا لا يخشون شيئاً كخشيتهم «الانتقاص من شأن العنصر العفوي» كخشيتهم «التقليل من اهمية تقدم النضال الجاري المعتاد بالقياس الى الدعوة للافكار البراقة والمتبلورة» ، الخ الخ أهي فصيلة «الطليعة» التي تخشى ان يسبق الوعي العفوية التي تخشى وضع «مشروع» جرىء ينتزع اعتراف الجميع حتى من الذين يفكرون على نمط آخر أتراهم يخلطون بين كلمة الطليعة وكلمة المؤخرة ؟

اعملوا الفكر حقاً في حجة مارتينوف التالية انه يقول في الصفحة ٤٠ ان تكتيك «الايسكرا» التشهيري ذو وجه واحد واننا «مهما بذرنا من بذور الحذر والحقد حيال الحكومة لا نبلغ الهدف ما لم يتيسر لنا تنمية همة اجتماعية نشيطة لدرجة تكفي لاسقاطها» ونقول بين قوسين ان هذا هو ما قد عرفناه من الاهتمام بانماء نشاط الجماهير مع النزوع الى التقليل من نشاطهم انفسهم ولكن القضية لا تكمن في هذا الآن ان مارتينوف يتحدث هنا اذن عن الهمة **الثورية** («من اجل الاسقاط») والى اي استنتاج يخلص ؟ بما ان الفئات الاجتماعية المختلفة تتجه حتماً في الوقت العادي اتجاهات مختلفة «يتضح نظراً لذلك اننا نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين لا نستطيع ان نقود في وقت واحد العمل النشيط لمختلف الفئات المعارضة لا نستطيع ان نملي عليها برنامجا ايجابياً للعمل لا نستطيع ان نبين لها الطرق التي ينبغي لها ان تتبعها في نضالها اليومي من اجل مصالحها اما الفئات الليبيرالية فتهتم هي نفسها بالنضال النشيط من اجل مصالحها المباشرة ، ذلك النضال الذي يصدمها وجهاً لوجه بنظامنا

السياسي» (ص ٤١) وهكذا فان مارتينوف ما ان بدأ بالكلام عن الهمة الثورية عن النضال النشيط من اجل اسقاط الحكم المطلق حتى انزلق الى الهمة المهنية الى النضال النشيط من اجل المصالح المباشرة غنى عن القول اننا لا نستطيع ان نقود نضال الطلاب والليبيراليين وغيرهم من اجل «مصالحهم المباشرة ولكن الحديث لم يدر في هذا الموضوع يا ايها «الاقتصادي» المحترم لقد تحدثنا عن اشتراك مختلف الفئات الاجتماعية الممكن والضروري في اسقاط الحكم المطلق **وهذا** «العمل النشيط لمختلف الفئات المعارضة» **لا نستطيع** قيادته وحسب بل يجب علينا ان نقوده حتماً اذا كنا نريد ان نكون «الطليعة» اما «صدم» طلابنا وليبيراليينا وغيرهم «وجهاً لوجه بنظامنا السياسي» فهو امر لا يهتمون هم به وحسب بل انه الامر الذي تهتم به قبل الجميع واكثر من الجميع الشرطة نفسها وموظفو الحكومة الاستبدادية انفسهم ولكن ينبغي لنا «نحن» اذا كنا نريد ان نكون ديموقراطيين طليعيين ان نهتم **بصدم** المستائين على وجه الخصوص من الحالة السائدة في الجامعات وحدها او في الزيمستفوات وحدها الخ بفكرة ان النظام السياسي كله غير صالح ينبغي **لنا** ان نأخذ على عاتقنا **مهمة** تنظيم نضال سياسي شامل تحت قيادة حزبنا **نحن** بشكل يمكّن سائر الفئات المعارضة على اختلافها من ان تقدم لهذا النضال ولهذا الحزب ويجعلها تقدم بالفعل ما في وسعها من مساعدة ينبغي **لنا** ان نخلق من الاشتراكيين-الديموقراطيين المشتغلين في الميدان العملي قادة سياسيين يحسنون قيادة جميع مظاهر هذا النضال الشامل يحسنون في اللحظة المناسبة «املاء برنامج ايجابي للعمل» على الطلبة الذين هم في غليان وعلى الزيمستفويين الساخطين ، وعلى اتباع البدع الغاضبين وعلى المعلمين الشعبيين

المظلومين الخ . ، الخ ولـــذا **ليس بصحيح على الاطلاق** ما يزعمه مارتينوف من اننا «**لا** نستطيع ان نبرز حيال هذه الفئـات **الا** في دور **سلبي** الا في دور المشهر بالاوضاع لا نستطيع **سوى** تبديد آمالها في مختلف اللجـــان الحكومية» (حرف التأكيد لنا) ان مارتينوف يبرهن بقوله هذا انه **لا يفهم اي شيء على الاطلاق** في مسألة دور «الطليعة» الثورية الحقيقي واذا ما اخذ القارىء ذلك بعين الاعتبار اتضح له **المعنى الحقيقي** لكلمـــات مارتينوف هذه ««الايسكرا» هي جريدة المعارضة الثوريـــة وهي تشهر باوضاعنا والسياسية منها بصورة رئيسية ما دامت تصطدم بمصالح مختلف فئات السكان اما نحن فنعمل وسنعمل لقضية العمال على صلة عضويـة وثيقـــة بالنضال البروليتاري ونحن بتضييقنا ميدان تأثيرنا نزيد بذلك تركيـز التأثيـــر نفسه» (ص ٦٣) ان **المعنى الحقيقي** لهذا الاستنتاج هو ان «الايسكرا» تريد **رفع مستوى** السياسة التريديونيونية لطبقة العمـال (التي يكتفي بها المشتغلون في الميدان العملي عندنا في حالات كثيرة إما لسوء الفهم او لعدم الاستعداد او بسبب الاعتقاد) الى مستوى السياسة الاشتراكية-الديموقراطية اما «رابوتشييه ديلو» فتريد ان **تهوي** بالسياسة الاشتراكية-الديموقراطية الى مستوى السياسة التريديونيونية وهي في اثناء ذلك تؤكد للجميع ولكل بمفرده ان هذين «موقفان قابلان للاتفاق كلياً في القضية العامة» (ص ٦٣)

* O, sancta simplicitas!

وبعد ، هل نملك من القوى ما يكفي لتوجيه دعايتنا وتحريضنا الى **جميع** طبقات السكان ؟ نعم بكل تأكيد «فاقتصاديو»نا الذين يميلون في كثير من الاحيان الى انكار ذلك يغفلون الخطوة الكبرى

---

* ــ يا للسذاجة المقدسة . ــ باللاتينية **في** النص الاصلي . **الناشر** .

التي خطتها حركتنا الى الامام منذ سنة ١٨٩٤ (تقريباً) حتى سنة ١٩٠١ فهم لكونهم «ذيليين» حقاً يعيشون في الغالب بتصورات عهد بداية الحركة الذي انصرم منذ وقت بعيد في ذلك الحين كانت قوانا في الحقيقة قليلة جداً في ذلك الحين كان من الطبيعي والمشروع ان نلحّ على الانصراف بكل قوانا الى العمل بين العمال وان نشجب بشدة كل انحراف عنه فقد كانت المهمة كلها تنحصر آنئذ في توطيد مواقعنا في صفوف الطبقة العاملة اما اليوم فقد انجذبت الى الحركة قوى كبرى والينا تتجه نخبة ممثلي الجيل الناشئ من الطبقات المثقفة ويضطر دائماً وابداً للاقامة في جميع الاقاليم اناس ساهموا في الحركة او لديهم رغبة بالمساهمة فيها اناس يميلون الى الاشتراكية-الديموقراطية (بينما كان الاشتراكيون-الديموقراطيون الروس يعدون على اصابع اليد في سنة ١٨٩٤) ان احد النواقص الاساسية السياسية والتنظيمية في حركتنا هو كوننا **لا نحسن** استخدام جميع هذه القوى وتكليف الجميع بالعمل الملائم لهم (وسنتكلم عن ذلك بمزيد من التفصيل في الفصل التالي) والاكثرية الكبرى من هذه القوى محرومة تماماً من كل امكانيات «التوجه الى العمال» بشكل لا مجال معه الى الحديث عن خطر تحويل القوى عن قضيتنا الاساسية ولكيما نقدم للعمال المعرفة السياسية الحية الشاملة الحقيقية يجب ان يكون لدينا «رجالنا» يجب ان يكون لدينا اشتراكيون-ديموقراطيون في كل مكان في جميع الفئات الاجتماعية وفي جميع المواقع التي توفر امكانية معرفة النوابض الداخلية لآلة دولتنا. ونحن بحاجة الى هؤلاء الناس لا للدعاية والتحريض وحسب بل ايضاً وعلى وجه الخصوص ، للتنظيم

وهل من صعيد للعمل بين جميع طبقات السكان ؟ ان من لا يرى ذلك يثبت مرة اخرى ان وعيه متخلف عن نهوض الجماهير

العفوى لقد اثارت الحركة العمالية ولا تزال تثير لدى بعضهم الاستياء ولدى آخرين الامل بتأييد المعارضة ولدى قسم ثالث ادراك تعنر الحكم المطلق وحتمية انهياره اننا لا نكون «ساسة» واشتراكيين-ديموقراطيين الا بالقول (كثيراً جداً ما يحدث ذلك في الحياة) اذا لم ندرك ان من واجبنا ان نستفيد من جميع مظاهر الاستياء على اختلافها ان نجمع وندرس جميع بذور الاحتجاج ولو كان في حالة جنينية ناهيك عن ان الملايين والملايين من الفلاحين الكادحين والحرفيين وصغار المنتجين وغيرهم ستصغي على الدوام بتعطش الى دعاية اشتراكي-ديموقراطي ماهر الى حد ما ولكن هل من الممكن ان نشير ولو الى طبقة من طبقات السكان تخلو من اشخاص وجماعاتوحلقات من الساخطين على الاستبداد والطغيان والقابلين بالتالي لدعاية الاشتراكي-الديموقراطي المفصح عن اشد الاماني الديموقراطية العامة الحاحاً ؟ واذا اراد احد ان يكوّن لنفسه صورة ملموسة عن هذا التحريض السياسي للاشتراكي-الديموقراطي بين **جميع** طبقات السكان وفئاتهم فنحن ندله على **التشهير السياسي** بمعنى الكلمة الواسع بوصفه الوسيلة الرئيسية (ولكن لا الوحيدة طبعاً) لهذا التحريض

لقد كتبت في مقالى «بم نبدأ ؟» («الايسكرا» العدد ٤ ايار – مايو – سنة ١٩٠١) هذا المقال الذي سنتحدث عنه بتفصيل فيما يأتي من البحث «ينبغي لنا ان نوقظ الشغف الى التشهير **السياسي** في جميع فئات السكان الواعين بعض الشيء ولا ينبغي ان نتهيب حيال ما نراه اليوم من ضعف وندرة ووجل من الناحية السياسية في اصوات التشهير فسبب ذلك ليس البتة تسليم الجميع بالطغيان البوليسي سبب ذلك هو كون الناس القادرين على التشهير والمستعدين له لا يجدون منبراً يرفعون منه اصواتهم ، لا يجدون بيئة تصغي الى الخطباء بانتباه وتشجعهم ،

لا يرون هنا وهناك في الشعب قوة تستحق جهد التوجه اليهـــا بالشكاية من الحكومة الروسية «ذات الحـــول والطول» وفي وسعنا اليوم ومن واجبنا انشـــاء منبر للتشهيـــر بالحكومـــة القيصرية امام الشعب كله وهذا المنبر ينبغي ان يكون الجريدة الاشتراكية-الديموقراطية»

والبيئة المثلى لهذا التشهير السياسي هي بالذات الطبقـــة العاملة التي تحتاج قبل كل شيء واكثر ما تحتاج الى المعرفـــة السياسية الحية والشاملة الطبقة العاملة التي تفوق الجميع في قدرتها على تحويل هذه المعرفة الى نضال نشيط وان كان لا يبعث الامل باية «نتائج حسية» اما منبر التشهير **امام الشعب كله** فلا يمكن ان يكون غير جريدة لعامة روسيا «فبدون جريدة سياسية لا يمكن في اوروبا الراهنة تصور حركة جديرة بان توصف بانهـا سياسية» وروسيا من وجهة النظر هذه هي ايضاً دونما شك من اوروبا الراهنة فمنذ امد بعيد غدت الصحافة عندنا قوة والا لما انفقت الحكومة عشرات الالوف من الروبلات لرشوتها ولتمويل اناس من امثال كاتكوف وميشيرسكي وليس بالحادث الجديد في روسيا ذات الحكم المطلق ان تحطم الصحف السرية حواجـــز الرقابة **وتجبر** الجرائد العلنية والمحافظة على التحدث عنها جهاراً فقد حدث ذلك في سنوات العقد الثامن وحتى في سنوات العقـــد السادس ولكم ازدادت اليوم سعة وعمقاً الفئات الشعبيـــــة المستعدة لقراءة الصحف السرية وللتعلم منها «كيف تحيا وكيف تموت» ، على حد تعبير عامل وجه رسالة الى «الايسكرا» (العدد ٧) ان التشهير السياسي هو اعلان الحرب **على الحكومة** مثلمـــا ان التشهير الاقتصادي هو اعلان الحرب على صاحب المعمل ويكتسب اعلان الحرب هذا اهمية معنوية تزداد بمقدار ما تتسع وتقوى حملة التشهير هذه ، وبمقدار ما تزداد عدداً وعزماً **الطبقة** الاجتماعية التي

تعلن الحرب لتبدأ الحرب ولذلك فالتشهير السياسي هو بحد ذاته وسيلة قوية من وسائل **تفسيخ** النظام المعادي وسائل فصل العدو عن حلفائه الطارئين او الموقتين وسائل بذر بذور العداء والحذر بين المشتركين الدائمين في السلطة الاستبدادية

لا يمكن ان يصبح طليعة للقوى الثورية في زمننا غير الحزب الذي **ينظم** تشهيراً يسترعي انتباه **الشعب كله** حقاً ولكلمة «الشعب كله» مضمون كبير جداً والاكثرية الكبرى من المشهرين الذين لا ينتسبون الى الطبقة العاملة (والحال وان من يريد ان يكون الطليعة ينبغي له ان يجذب الطبقات الاخرى) هم ساسة حُصفاء واناس عمليون رابطو الجأش يعرفون حق المعرفة مبلغ خطر «الشكوى» حتى من موظف صغير ناهيك عن الحكومة الروسية «ذات الحول والطول» وهم لن يتوجهوا **الينا** بالشكوى ، الا عندما يرون انها ستكون **فعلاً** ذات تأثير واننا **قوة سياسية** ولكيما نصبح مثل هذه القوة في نظر الآخرين لا يكفي ان نعلق لافتة «الطليعة» على نظرية المؤخرة وممارستها بل ينبغي لنا ان نعمل بدأب واصرار على **رفع** مستوى وعينا ومبادرتنا وهمتنا

سيسألنا ولقد سألنا بالفعل المتحمس حماساً يفوق المعقول «للصلة العضوية الوثيقة بالنضال البروليتاري» – ولكن اذا كان ينبغي لنا ان نأخذ على عاتقنا تنظيم تشهير بالحكومة يستدعي انتباه الشعب كله حقاً فبم يتجلى طابع حركتنا الطبقي ؟ – انه يتجلى في كون تنظيم هذا التشهير الذي يسترعي انتباه الشعب كله يجري بالذات من قبلنا نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين – يتجلى في كون شرح جميع القضايا التي يثيرها التحريض سيجري على الدوام بالروح الاشتراكية-الديموقراطية دون اي تسامح بتشويه الماركسية عن قصد او غير قصد – يتجلى في كون هذا التحريض السياسي الشامل سيجري من قبل حزب يوحد في كل لا يتجزأ ، **الهجوم** على الحكومة باسم الشعب كله

وتربية البروليتاريا تربية ثورية مع الاحتفاظ باستقلالها السياسي وقيادة نضال الطبقة العاملة الاقتصادي والاستفادة من اصطداماتها العفوية مع مستثمريها هذه الاصطدامات التي تستنهض وتجذب الى معسكرنا فئات جديدة وجديدة من البروليتاريا !

ولكن احدى السمات المميزة جداً «للاقتصادية» هي بالضبط عدم فهم هذه الصلة ، بل قل عدم فهم هذا التوافق بين ما تحتاج اليه البروليتاريا اشد الحاجة (التربية السياسية الشاملة عن طريق التحريض والتشهير السياسيين) وما تحتاج اليه الحركة الديموقراطية العامة وعدم الفهم هذا لا يتجلى في العبارات «المارتينوفية» وحسب بل يتجلى ايضاً في استشهادات بوجهة نظر طبقية مزعومة استشهادات يطابق معناها هذه العبارات كل المطابقة اليكم مثلاً كيف يفصح عن ذلك واضعو الرسالة «الاقتصادية» في العدد ١٢ من «الايسكرا» * «ان نقص «الايسكرا» الاساسي نفسه (المغالاة في اهمية الايديولوجيا) هو سبب عدم تماسكها في المسائل المتعلقة بموقف الاشتراكية-الديموقراطية من مختلف الطبقات والاتجاهات الاجتماعية ان «الايسكرا» بعد ان حلت عن طريق الحسابات النظرية (لا عن طريق«نمو المهام الحزبية النامية مع نمو الحزب .») «مهمة الانتقال الفوري الى

* ضيق المكان في «الايسكرا» لم يسمح لنا باعطاء رد مفصل جداً على هذه الرسالة الفائقة الدلالة بالنسبة للاقتصاديين وقد سررنا جداً لظهورها ، لأن ما يقال عن عدم تمسك «الايسكرا» بوجهة النظر الطبقية كان قد بلغنا منذ امد بعيد من جهات مختلفة تماما ، وكنا نبحث عن الفرصة الملائمة او الصيغة المكتملة لهذا الاتهام الشائع لكي نرد عليه . فنحن لم نعتد الرد على الهجمات بالدفاع ، بل بالهجمات المضادة .

النضال ضد الاستبداد وبما انها تشعر في اكبر الظن بكل صعوبتها بالنسبة للعمال في الاوضاع الراهنة» (انها لا تشعر وحسب بل تعلم حق العلم ان هذه المهمة تبدو للعمال اسهل مما هي بالنسبة للمثقفين «الاقتصاديين» المعتنين بالاطفال الصغار لأن العمال مستعدون للنضال حتى من اجل مطالب لا تبعث اذا استعملنا تعابير مارتينوف الخالد الذكر اي امل «بنتائج حسية») «وبما انها لا تستطيع مع ذلك ان تصبر حتى يستجمعوا القوى اللازمة لهذا النضال ، فتراها تأخذ في البحث عن حلفاء في صفوف الليبيراليين والمثقفين .

اجل اجل لم يعد في وسعنا حقاً ان «نصبر» و«ننتظر» حلول ذلك الزمن السعيد الذي وعدنا به منذ عهد بعيد «التوفيقيون» على اختلاف مللهم ونحلهم ، ذلك الزمن الذي يكف فيه «اقتصاديو» نا عن القاء تبعة تأخرهم هم على العمال وعن تبرير ضعف همتهم بما يزعمونه من عدم كفاية قوى العمال اننا نسأل «اقتصاديي» نا بم ينبغي ان يتلخص «قيام العمال بتجميع القوى اللازمة لهذا النضال» ؟ أليس واضحاً ان ذلك يتلخص في تربية العمال السياسية في التشهير امامهم **بجميع** مظاهر الحكم المطلق البغيض القائم عندنا ؟ أليس من الواضح اننا ، **من اجل القيام بهذا العمل بالذات** بحاجة الى «حلفاء في صفوف الليبيراليين والمثقفين» على استعداد لمشاطرتنا ما عندهم من التشهير بالحملة السياسية التي تشن على الزيمستفويين (٧٦) وعلى المعلمين والاحصائيين والطلاب الخ ؟ هل من الصعب في الحقيقة فهم هذا «الامر العويص» المدهش ؟ أولم يؤكد لكم ب ب آكسيلرود منذ سنة ١٨٩٧ ان «مهمة اكتساب الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس للانصار والحلفاء من مباشرين وغير مباشرين بين الطبقات غير البروليتارية يحددها بالدرجة الاولى وبصورة رئيسية طابع الدعاية في البيئة

البروليتارية نفسها» ؟ ومع ذلك ما يزال مارتينوف واضرابه وغيرهم من «الاقتصاديين» يتصورون انه ينبغي للعمال **في البدء** ان يجمعوا القوى (من اجل السياسة التريديونيونية) «عن طريق النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» لكي «ينتقلوا» **بعد ذلك** فقط ، على ما يبدو ، من «تربية النشاط» التريديونيونية الى النشاط الاشتراكي-الديموقراطي

ويضيف «الاقتصاديون» قائلين ان «الايسكرا» في بحثها كثيراً ما تحيد عن وجهة النظر الطبقية طامسة التناقضات الطبقية وواضعة في المقام الاول شيوع الاستياء من الحكومة ، وان كانت دواعي هذا الاستياء ودرجاته متفاوتة جداً لدى «الحلفاء» وهذا هو ، مثلاً ، موقف «الايسكرا» من الزيمستفو» فـ«الايسكرا» ، على حد زعمهم ، «تعد النبلاء ، المستائين من صدقات الحكومة بان الطبقة العاملة ستساعدهم وهي تفعل ذلك دون ان تنبس بكلمة عن التنافر الطبقي بين هاتين الفئتين من السكان» . واذا ما رجع القارئ الى مقالي «الحكم المطلق والزيمستفو» («الايسكرا» ، العددان ٢ و ٤) المقالين اللذين يشير اليهما **في اكبر الظن** واضعو الرسالة ، يرى ان هذين المقالين * يتناولان موقف **الحكومة** من «التحريض الرخو الذي تقوم به الزيمستفو البيروقراطية المراتبية» ومن «مبادرة الطبقات المالكة نفسها» وقد جاء في المقال ان العامل لا يجوز لـه ان يقف موقف عدم الاكتراث من نضال الحكومة ضد الزيمستفو وان الزيمستفويين مدعوون الى ترك الخطابات الرخوة والى قول كلمتهم بقوة وحزم عندما تقف الاشتراكية-الديموقراطية

---

* **وبين** هذين المقالين نشرت «الايسكرا» (العدد ٣) مقالاً خاصاً عن التناحرات الطبقية في اريافنا . (راجع مقال لينين «حزب العمال والفلاحون» . **الناشر**).

الثورية في وجه الحكومة بكل قامتها ما هو الامر الذي لا يوافق عليه هنا واضعو الرسالة ؟ لا ندري ترى هل يحسبون ان العامل «لن يفهم» كلمات «الطبقات المالكة» و«الزيمستفو البيروقراطية المراتبية» ؟ هل يحسبون ان **دفع** الزيمستفويين الى الانتقال من الكلمات الرخوة الى الكلمات الحازمة «مغالاة في اهمية الايديولوجيا ؟» هل يظنون ان العمال «سيجمعون القوى» للنضال ضد الحكم المطلق اذا كانوا لا يعرفون موقف الحكم المطلق من الزيمستفو **ايضا** ؟ كل هذه الامور لا نعرفها انما هنالك امر جلي وهو ان واضعي الرسالة يتصورون المهام السياسية التي تواجه الاشتراكية-الديموقراطية تصوراً غامضاً جداً ويظهر ذلك بجلاء اكبر من عبارتهم «وهذا هو ايضا» (اي انه «يطمس» ايضا «التناحرات الطبقية») «موقف «الايسكرا» من حركة الطلاب» . فبدلاً من نداء العمال الى ان يعلنوا بمظاهرة علنية ان المصدر الحقيقي للعنف والطغيان والاستهتار المنفلت ليس الطلاب بل الحكومة الروسية («الايسكرا» العدد ٢ *) كان علينا على ما يبدو ان ننشر حججاً مستوحاة من «رابوتشايا ميسل» وهذه الافكار تصدر عن اشتراكيين-ديموقراطيين في خريف سنة ١٩٠١ بعد احداث شباط (فبراير) وآذار (مارس) وعلى ابواب نهضة طلابية جديدة تظهر ان «عفوية» الاحتجاج على الحكم المطلق **تسبق** في هذا الميدان ايضاً القيادة الواعية للحركة من قبل الاشتراكية-الديموقراطية ان نزوع العمال العفوي الى الدفاع عن الطلاب الذين انهالت عليهم عصي الشرطة والقوزاق يسبق نشاط المنظمة الاشتراكية-الديموقراطية الواعي

---

* راجع مقال لينين : «تجنيد ١٨٣ طالبا» . **الناشر** .

ويستطرد واضعو الرسالة «ومع ذلك فـ«الايسكرا» تشجب بشدة في مقالات اخرى كل مساومة وتأخذ جانب الدفاع مثلاً عن عدم تساهل الغيديين» اننا ننصح الذين يدعون عادة بغرور وخفة بالغين ان الخلافات الموجودة في بيئة الاشتراكيين-الديموقراطيين الحاليين غير جوهرية وانها لا تبرر الانشقاق، – بان يمعنوا الفكر في هذه الكلمات. فهل يمكن ان يتعاون في منظمة واحدة تعاوناً مثمراً اناس يؤكدون اننا لم نفعل غير النزر اليسير في تبيان عداء الحكم المطلق لمختلف الطبقات وفي اطلاع العمال على معارضة مختلف الفئات للحكم المطلق مع اناس يرون في هذا الامر «مساومة» مساومة على ما يبدو مع نظرية «النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» ؟

لقد تحدثنا بمناسبة مرور اربعين سنة على تحرير الفلاحين، عن ضرورة ادخال النضال الطبقي في القرية (العدد ٣) (٧٧) وتحدثنا بمناسبة مذكرة فيته (٧٨) السرية عن التضاد بين الاستقلال الاداري الذاتي والحكم المطلق (العدد ٤) وهاجمنا بمناسبة القانون الجديد ما يظهره ملاكو الاراضي والحكومة التي تخدمهم من ميل الى نظام القنانة (العدد ٨) (٧٩) ورحبنا بمؤتمر الزيمستفوات السرى وشجعنا الزيمستفويين على ترك الاسترحامات المهينة والانتقال الى النضال (العدد ٨) * لقد شجعنا الطلاب الذين اخذوا يدركون ضرورة النضال السياسي والذين شرعوا بهذا النضال (العدد ٣) وقرعنا في الوقت نفسه «بلادة الذهن الوحشية» التي اظهرها انصار الحركة «الطلابية الصرف» الذين دعوا الطلاب الى عدم الاشتراك في مظاهرات الشوارع (العدد ٣ لمناسبة النداء الصادر عن لجنة الطلاب التنفيذية بموسكو في ٢٥ شباط – فبراير) ؛

* راجع مقال لينين : «مؤتمر الزيمستفوات» . **الناشر** .

وقد فضحنا «الاحلام الجوفاء» و«النفاق والكذب» من جانب المحتالين الليبيراليين في جريدة «روسيا» (٨٠) (العدد ٥) واشرنا في الوقت نفسه الى جنـــون السجن الحكومي الذي «ينكل بكتـــاب مسالمين وباساتذة وعلماء شيوخ وبزيمستفويين ليبيراليين مـــرموقين» (العدد ٥ «غارة بوليسية على الادب») لقد فضحنا جوهر برنامج «عناية الدولة بتحسين ظروف حياة العمـــال» ورحبنا بـ«الاعتراف القيم» التالي «درء المطالب النابعة من اسفل باصلاحات مـــن اعلى خير من انتظار حدوث الاحتمال الاول» (العدد ٦) * لقـــد شجعنا الاحصائيين المحتجين (العدد ٧) ونددنا بالاحصائيين كاسري الاضراب (العدد ٩) ان من يرى في هذا التكتيك تعمية لوعـــي البروليتاريا الطبقي **ومساومة مع الليبيرالية** يثبت بالتالي انه لا يفهم على الاطـــلاق المعنى الحقيقـــي لبرنامج "Credo" **ويطبق** de facto ** **هذا البرنامج بالذات** مهما تبرأ منه لأنه يجر **بذلك** الاشتراكية-الديموقراطية الى «النضال الاقتصادي ضد اصحـــاب الاعمال والحكومة» **ويتقهقر امام الليبيرالية** بتخليه عن مهمة التدخل النشيط في **كل** مسألة «ليبيرالية» وعن تحديد موقفه **هو** موقفه الاشتراكي-الديموقراطي ، من هذه المسألة

و) مرة اخرى «مفترون» ، مرة اخرى «مشعوذون»

هذه الكلمات اللطيفة صدرت كما يذكر القارئ عـــن «رابوتشييه ديلو» التي اجابت بهذه الصورة على اتهامنا لها «بتمهيد التربة بصورة غير مباشرة لتحويل حركة العمال الى اداة للديموقراطية

* راجع مقال لينين «اعتراف قيم» **الناشر**

** – في الواقع . – باللاتينية في النص الاصلي . **الناشر** .

البرجوازية» وقد قررت «رابوتشييه ديلو» ، لسذاجة نفسها ، ان هذا الاتهام ليس غير نزوة من نزوات الجدال فقد خطر لها ان جامدي العقيدة الاشرار هؤلاء قد صمموا على ان ينسبوا لنا مختلف الاشياء غير المستحبة ، وهل يمكن ان يكون هناك للمرء شيء اشد ازعاجاً من ان يكون اداة للديموقراطية البرجوازية ؟ وهكذا نشرت بالخط العريض «تكذيباً» «افتراء سافر» («مؤتمران» ص ٣٠) «شعوذة» (ص ٣١) ، «مسخرة» (ص ٣٣) . ان «رابوتشييه ديلو» ، على غرار جوبيتر (وان كانت قليلة الشبه به) تغضب بالضبط لانها على غير الحق ، مبرهنة باسراعها الى الشتائم انها عاجزة عن فهم مجرى تفكير خصومها ومع ذلك لا يحتاج المرء الى تفكير طويل لكي يدرك السبب الذي يجعل بالضبط من كل تقديس لعفوية الحركة الجماهيرية ، من كل هبوط بالسياسة الاشتراكية-الديموقراطية الى مستوى السياسة التريديونيونية بمثابة تمهيد التربة لتحويل حركة العمال الى اداة للديموقراطية البرجوازية فالحركة العمالية العفوية بحد ذاتها تستطيع ان تنشئ (وهي تنشئ حتماً) التريديونيونية فقط وما السياسة التريديونيونية للطبقة العاملة غير السياسة البرجوازية للطبقة العاملة . واشتراك الطبقة العاملة في النضال السياسي وحتى في الثورة السياسية لا يجعل اطلاقاً بعد من سياستها سياسة اشتراكية-ديموقراطية ترى الا يخطر على بال «رابوتشييه ديلو» ان تنكر ذلك ؟ ألا يخطر على بالها في النهاية ان تعرض امام الجميع بصراحة ودون لبس او ابهام مفهومها عن القضايا الملحة في الاشتراكية-الديموقراطية العالمية والروسية ؟- كلا لن يخطر لها ابداً ببال اى شيء من هذا القبيل اذ انها تتمشى بدقة مع الطريقة التي يمكن ان تسمى بطريقة «لا عين رأت ولا اذن سمعت» دعوني وشأني لا علاقة لي بالامر نحن لسنا «باقتصاديين» ، ان «رابوتشايا ميسل» ليست «بالاقتصادية» ،

و«الاقتصادية» بوجه عام لا وجود لها في روسيا وهي طريقة لبقة جداً و«سياسية» ليس فيها غير عيب واحد صغير فقد جرت العادة ان يطلق على الجرائد التي تطبقهـا لقب «امر ؟ خدمـة ؟» (٨١)

يخيل الى «رابوتشييه ديلو» ان الديموقراطية البرجوازيـــة بوجه عام ليست في روسيا غير «شبح» («مؤتمران» ص ٣٢) * ما اسعد هؤلاء الناس فهم كالنعامة يخبئون رؤوسهم تحت اجنحتهم ويتصورون ان كل ما يحيط بهم يزول بذلك كتاب ليبيراليـــون يعلنون على الملأ كل شهر عن فرحهم المظفر بانحلال الماركسيـة وحتى تلاشيها ؛ جرائد ليبيرالية («سانت بيتربورغسكيه فيدوموستي» (٨٢) و«روسكيه فيدوموستي» (٨٣) وجرائد اخرى كثيرة) تشجع اولئك الليبيراليين الذين يحملون الى العمال المفهوم البرينتاني عن النضال الطبقي (٨٤) والمفهـوم التريديونيوني عن السياسة ؛ — كوكبة من نقاد الماركسية كشف "Credo" بوضوح عن حقيقـة اتجاهاتهم وانتشار بضاعتهم الادبية وحدها في ارجاء روسيا بدون عائق بدون ضرائب ولا رسوم ؛ — انتعاش الاتجاهات الثورية غير الاشتراكية-الديموقراطية ولا سيما بعد حوادث شباط (فبراير) وآذار (مارس) ؛ — كل ذلك على ما يبدو ليس غير شبـــح

* يستشهدون هنا ايضاً بـ«الظروف الروسية الملموسة التي تدفع حركة العمال بصورة جبريـــة الى الطريق الثوري» ان هؤلاء الناس لا يريدون ان يفهموا ان الطريق الثوري لحركـة العمال يمكنـه ان يكون ايضاً طريقـاً غير اشتراكي-ديموقراطي ! فالواقع ان البرجوازية في اوروبا الغربية كلها كانت في عهد الحكم المطلق «تدفع» العمال ، تدفعهـم عن وعي ، الى الطريق الثوري اما نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين فلا يمكن ان نكتفي بذلك واذا ما هبطنا نحن بالسياسـة الاشتراكيـة-الديموقراطيـة بشكل من الاشكال الى مستوى السياسـة العفويـة ، التريديونيونية ، فاننا بذلك نسهل امور الديموقراطيـة البرجوازية .

كل هذه امور لا علاقة لها على الاطلاق بالديموقراطية البرجوازية !

ينبغي لـ«رابوتشييه ديلو» كما ينبغي لواضعي الرسالة «الاقتصادية» في العدد ١٢ من «الايسكرا» ان «يعملوا الفكر فيما يلي لماذا افضت حوادث الربيع الى انتعاش الاتجاهات الثورية غير الاشتراكية-الديموقراطية هذا الانتعاش الكبير بدلاً من ان تفضي الى رفع نفوذ ومكانة الاشتراكية-الديموقراطية» ؟ – ذلك لأننا لم نكن اكفاء للمهمة ، لأن نشاط جماهير العمال قد فاق نشاطنا لأنه لم يكن لدينا قادة ومنظمون ثوريون معدّون اعداداً كافياً ويعرفون حق المعرفة مزاج جميع الفئات المعارضة ويحسنون الوقوف في رأس الحركة وتحويل المظاهرة العفوية الى مظاهرة سياسية وتوسيع طابعها السياسي الخ. واذا ما استمرت هذه الحال فسيستغل تأخرنا حتماً الثوريون غير الاشتراكيين-الديموقراطيين ، الاشد حركة والابعد همة اما العمال ، فمهما اظهروا من تفان وهمة في المعارك ضد الشرطة والجيش ومهما اظهروا من الروح الثورية سيبقون مجرد قوة تساند هؤلاء الثوريين سيبقون مؤخرة الديموقراطية البرجوازية لا الطليعة الاشتراكية-الديموقراطية خذوا الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية التي لا يريد «اقتصاديو» نا ان يقتبسوا منها غير جوانبها الضعيفة لماذا لا يقع حادث سياسي **واحد** في المانيا دون ان يقوي اكثر فاكثر من نفوذ الاشتراكية-الديموقراطية ويرفع من مكانتها ؟ ذلك لأن الاشتراكية-الديموقراطية هي دائما اول من يعطي التقدير الاكثر ثورية لهذا الحادث وأول من يسند كل احتجاج على الاستبداد فهي لا تعلل النفس بآراء مآلها ان النضال الاقتصادي يصدم العمال بمسألة حرمانهم من الحقوق وان الظروف الملموسة تدفع حركة العمال بصورة جبرية الى الطريق الثوري انها تتدخل في جميع ميادين وجميع قضايا الحياة الاجتماعية والسياسية : تتدخل

عندما لا يصادق غليوم على انتخاب رئيس بلدية من البرجوازيين التقدميين (لم يجد «اقتصاديو»نا بعد الوقت الكافي لأن يعلموا الالمان ان هذا في الجوهر مساومة مع الليبيرالية !) وعندما يصدر قانون ضد الكتب والصور «الخليعة» وعندما تمارس الحكومة ضغطها اثناء انتخاب الاساتذة الخ. وهلم جراً في كل مكان يتقدم الاشتراكيون-الديموقراطيون الصفوف مستثيرين الاستياء السياسي في جميع الطبقات ، هازين النيام ، مستحثين المتأخرين مقدمين مواد تتناول جميع الميادين بغية تنمية وعي البروليتاريا السياسي ونشاطها السياسي والنتيجة ان هذا المناضل السياسي السائر في الطليعة يكتسب الاحترام حتى من اعداء الاشتراكية الواعين وليس بنادر ان نرى وثيقة هامة لا من المحيط البرجوازي وحده بل وحتى من محيط الدواوين والبلاط تقع لا ندري بأية معجزة ، في مكتب تحرير "Vorwärts" *

هنا سر «التناقض» الظاهري الذي يفوق درجة فهم «رابوتشييه ديلو» بحيث يجعلها ترفع يديها الى السماء وتصرخ «مسخرة» تصوروا من فضلكم نحن «رابوتشييه ديلو» نضع **في المقام الاول** حركة العمال **الجماهيرية** (ونطبع ذلك بالحرف العريض !) ونحذر الجميع وكلاً بمفرده من التقليل من اهمية العنصر العفوي نحن نريد ان نضفي الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه ، **نفسه** ، نحن نريد ان نبقى على صلة عضوية وثقى بالنضال البروليتاري ! فيقولون لنا اننا نمهد التربة لتحويل حركة العمال الى اداة للديموقراطية البرجوازية ومن يقول لنا ذلك ؟ اناس «يساومون» مع الليبيرالية بتدخلهم في كل مسألة «ليبيرالية» (ويا

---

* — "Vorwärts" («الى الامام») — بالالمانية في النص الاصلي . **الناشر** .

له من عدم فهـــم «للصلة العضوية بالنضال البروليتـــاري» !) وباهتمامهـــم اهتماماً كبيراً بالطـــلاب وحتى (ويا للهـــول !) بالزيمستفويين اناس يريدون بوجه عام ان يكرسوا نسبة اكبر (بالقياس الى «الاقتصاديين») من قواهم الى العمل بين طبقات السكان غير البروليتارية ! ألا ترون ان هذه «مسخرة» ؟ ؟

مسكينة «رابوتشييه ديلو» هل يسعفها الحظ في يـــوم فتكتشف سر هذا الامر العويص ؟

٤

عمل الاقتصاديين الحرفي وتنظيم الثوريين

ان ما قمنا بتحليله من مزاعم «رابوتشييه ديلو» ان النضال الاقتصادي هـــو الوسيلة التي يمكن استعمالها باوسع شكـــل للتحريض السياسي وان واجبنا الآن هو اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه الخ. يعرب عن فهـــم ضيق لا لمهامنا السياسية وحسب بل لمهامنا **التنظيمية** ايضاً فـ«النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» لا يتطلب على الاطلاق – ولذلك لا يمكن ان تنشأ على اساس هذا النضال – منظمة متمركزة لعامة روسيا توحد في ضغط واحد عام جميع مظاهر المعارضـــة السياسية والاحتجاج والاستياء على اختلافها منظمة تتألف مـــن ثوريين محترفين يقودها زعماء سياسيون حقيقيون للشعب كله وهذا امر بديهي فطابع تنظيم كل مؤسسة يحدده بصورة طبيعية محتومة مضمون نشاط هذه المؤسسة ولذلك تكرس «رابوتشييه ديلو» مزاعمها التي حللناها اعلاه وتصبغ بالصبغة الشرعية لا ضيق النشاط السياسي وحسب ، بل ضيق العمل التنظيمي ايضاً . فهي

في هذه الحالة ايضاً كشأنها في جميع الحالات ، جريدة يقف وعيها عاجزاً امام العفوية والحال ان تقديس الاشكال التنظيمية التي تتكون عفوياً وعدم ادراكنا لمدى ضيق عملنا التنظيمي وطابعه البدائي وجهلنا الى اي حد ما نزال «حرفيين» في هذا الميدان الهام اقول ان هذا الجهل هو مرض حقيقي في حركتنا بديهي انه مرض نمو لا مرض انحطاط ولكن ، في هذا الوقت الذي تدفقت فيه موجة السخط العفوي ، ويمكن ان نقول ذلك علينا نحن قادة الحركة ومنظميها ، في هذا الوقت بالذات لا بد لنا بصفة خاصة ان نخوض نضالاً لا يعرف الهوادة ضد كل دفاع عن التأخر ضد كل تسويغ لهذا الضيق لا بد لنا بصفة خاصة ان نوقظ في كل من يساهم او يهم فقط بالمساهمة في النشاط العملي ، روح الاستياء من **العمل الحرفي** السائد عندنا والتصميم والحزم على الخلاص منه

أ) ما هو العمل الحرفي ؟

فلنحاول الجواب على هذا السؤال باعطاء صورة صغيرة عن نشاط حلقة اشتراكية-ديموقراطية نموذجية في سنوات ١٨٩٤-١٩٠١ لقد اشرنا الى شغف الطلبة العام في ذلك العهد بالماركسية وواضح ان هذا الشغف لم يستهدف الماركسية بوصفها نظرية وحسب وبالاحرى لم يستهدفها بوصفها نظرية بمقدار ما استهدفها بوصفها جواباً على سؤال «ما العمل ؟» ، بوصفها نداء الى شن حملة على العدو وقد نزل المقاتلون الجدد الى الحملة بتدريب وعتاد بدائيين لدرجة مدهشة وفي معظم الحالات كان العتاد معدوما تقريباً والاستعداد معدوماً تماما لقد توجهوا الى الحرب كفلاحين تركوا المحراث لتوهم دون ان يأخذوا معهم غير هراوة . حلقة طلاب لا تربطها اي صلة بمناضلي الحركة

القدماء لا تربطها اي صلة بالحلقات القائمة في المناطق الاخرى وحتى في الاحياء الاخرى من المدينة (او في المعاهد الاخرى) دون اي تنظيم لمختلف اجزاء العمل الثوري دون اي منهاج عمل منتظم لفترة طويلة لحد ما حلقة تقيم صلات مع العمال وتبدأ العمل وتوسع الحلقة الدعاية والتحريض شيئا فشيئا وتكتسب بمجرد عملها تحبيذ فئات من العمال واسعة لحد لا بأس به ، وتحبيذ قسم من المجتمع المثقف يقدم لها النقود ويضع تحت تصرف «اللجنة» جماعة من الشبيبة بعد اخرى وتزداد جاذبية اللجنة (او اتحاد النضال) ويتسع ميدان نشاطها وهي توسع هذا النشـــاط بصورة عفوية تماماً فنفس الاشخاص الذين اشتركوا منذ سنة او عدة اشهر في حلقات الطلاب وانكبوا على حل مسألة «الى اين نتجه ؟» والذين اقاموا الصلات بالعمال وحافظوا عليهـا وحضروا المناشير واصدروهـــا يقيمون الصلات مع فرق مـــن الثوريين ويحصلون على المطبوعات ويشرعون باصدار جريدة محلية ويأخذون بالحديث عن تنظيم مظاهرة وينتقلون في النهاية الى الاعمال الحربية المكشوفة (علما بان هذه الاعمال الحربية المكشوفة قد تكـــون حسب الظروف اول نشرة من نشرات التحريض او اول عدد مـــن اعداد الجريدة او اول مظاهرة) وفي المعتاد تفضي بداية هـــذه الاعمال بالذات الى الانهيار التام على الفور تفضي على الفـور الى الانهيار التام لأن هذه الاعمال الحربية لم تأت على وجه الدقة نتيجة لمنهاج منتظم وضع سلفاً بعد تبصر واعمال فكر لنضال مديد عنيد بل مجرد تطور عفوي لعمل الحلقات الجاري حسب المعتاد لأن الشرطة كانت بطبيعة الحال تعرف دائماً تقريباً جميع مناضلي الحركة المحلية الرئيسيين الذين «اشتهر امرهم» مذ كانوا طلاباً على مقاعد الدراسة ولم تكن تنتظر غير الظرف المناسب للقبض عليهم تاركة للحلقة عن عمد امكانية النمو وتوسيع نشاطها الى

حد يكفى لكي تحصل على corpus delicti * تاركة دائماً عن عمد بعض الاشخاص الذين تعرفهم لاستخدامهم «طعماً» (حسب التعبير الفني الذي يستعمله كما اعلم رفاقنا والدرك على السواء) ومثل هذه الحرب لا يمكن ان يقارن الا بحملة زمر من الفلاحين مسلحين بالهراوى ضد جيش حديث ولا يسع المرء الا ان يدهش لحيوية هذه الحركة التي كانت تتسع وتنمو وتحرز الانتصارات بالرغم من انعدام التدريب انعداماً تاماً لدى المقاتلين صحيح ان بدائية العتاد لم تكن في البدء امراً محتوماً وحسب بل كانت ايضاً امراً **مشروعا** من وجهة النظر التاريخية باعتبارها شرطا من شروط جذب المقاتلين على نطاق واسع ولكن مذ بدأت المعارك الحربية الخطيرة (وقد بدأت في الاساس باضرابات صيف سنة ١٨٩٦) اخذت نواقص تنظيمنا الحربي تزداد وضوحاً اكثر فاكثر فبعد صدمة المفاجأة في البداية واقتراف عدد من الاخطاء (من نوع التوجه الى الرأي العام بوصف آثام الاشتراكيين ونفي العمال من العاصمتين الى المراكز الصناعية في الاقاليم) تكيفت الحكومة بسرعة حسب ظروف النضال الجديدة واستطاعت ان تحشد في الاماكن المناسبة ما لديها من فصائل المخبرين والجواسيس والدرك المجهزين بجميع العتاد الحديث واخذت الضربات تنهال بتواتر وتشمل جمهوراً كبيراً جداً من الاشخاص وتكنس الحلقات المحلية الى درجة ان كانت جماهير العمال تفقد بالمعنى الحرفي للكلمة جميع قادتها وتغدو الحركة فى بلبلة شديدة ولا يعود بامكانها ان تبقي على اية استمرارية او اي تناسق في العمل وقد كانت النتيجة المحتومة لهذه الظروف التي وصفناها ان انقسم المناضلون المحليون انقساماً مذهلاً واصبح تركيب الحلقات

* – جسم الجريمة – . باللاتينية في النص الاصلي . **الناشر** .

عرضياً وانعدم الاستعداد وضاق افق النظر في ميادين المسائل النظرية والسياسية والتنظيمية وقد بلغ الامر ان اصبح العمال في بعض المناطق بسبب النقص في رباطة جأشنا وفي سريـــة عملنا يفقدون ثقتهم بالمثقفين ويتهربون منهـم ويقولون ان المثقفين يسببون الاخفاقات من جراء طيشهم المفرط !

ان كل مطلع على الحركة ولو اقل اطلاع يعلم ان جميـــع الاشتراكيين-الديموقراطيين المفكرين اخذوا في النهاية يـــرون في طريقة العمل الحرفي هذه مرضاً حقيقياً ولكيلا يحسب القارئ غير المطلع على الحركة اننا «ننشئ» بصورة مصطنعة مرحلة خاصـــة او مرضاً خاصـــاً في الحركة نستشهد بشاهد سبق لنـــا ان استشهدنا به ونرجوا ان لا نلام لاقتباسنا هذه الفقرة الكبيرة

كتب بـــف في العدد ٦ من «رابوتشييه ديلو» «اذا كان الانتقال التدريجي الى نشاط عملي اوسع ــ هذا الانتقال المتعلق تعلقاً مباشراً بمرحلة الانتقال العامة التي تجتازها حركة العمال الروسية ــ سمة مميزة فهناك سمة اخرى لا تقل اثارة للاهتمام في مجموع آلية الثورة العمالية الروسية. نعني **النقص العام في القوى الثورية القادرة على العمل** * ، النقص الذي يشعر بوجوده في جميع انحاء روسيا ، لا في بطرسبورغ وحدها وبمقدار مـا تشتد حركة العمال بوجه عام ، وتنمو جماهير العمال بوجه عام ، وتتزايد الاضرابات ، ويصبح نضال العمال الجماهيري اكثر صراحة ، هذا النضال الذي يقوي الملاحقات الحكومية وحوادث الاعتقال والابعاد والنفي ، ــ **يصبح هذا النقص في القوى الثورية ذات الكفاءات العالية اشد بروزاً** ، ويترك دونما شك **اثره في عمق الحركة وطابعها العام** ان الكثير من الاضرابات يجري دون ان تؤثر فيه المنظمات الثورية تاثيراً قوياً ومباشراً ... اننا نشعر بالنقص في منشورات التحريض والمطبوعات السرية ... ان حلقات العمال تبقى دون محرضين والى جانب ذلك نشعر بالحاجـــة الدائمـــة الى النقود وباختصار نقول ان **نمو حركة العمال يسبق نمو المنظمات الثورية وتطورها.**

* حرف التاكيد في كل هذه الفقرة لنا .

ان الثوريين العاملين هم من القلة بحيث لا يستطيعون ان يجمعوا في ايديهم التاثير في جميع جماهير العمال المضطربة وان يضفوا على جميع الاضطرابات ولو ظلاً من الانسجام والتنظيم فالحلقات المنفردة ، والثوريون المنفردون غير مجموعين ، غير موحدين ، لا يؤلفون منظمة موحدة قوية تخضع لنظام معين وتتطور اجزاؤها حسب منهاج» وبعد ان يتحفظ الكاتب قائلاً ان ظهور الحلقات الجديدة فوراً في مكان المنهارة «يبرهن على حيوية الحركة فقط ولكنه لا يدل على وجود عدد كاف من القادة الثوريين الصالحين تماما» ، يخلص الى هذا الاستنتاج «ان عدم الاستعداد العملي لدى ثوريي بطرسبورغ يؤثر ايضاً في نتائج عملهم فالمحاكمات الاخيرة ولا سيما محاكمتا جماعتي «التحرير الذاتي» و«نضال العمل ضد راس المال» (٨٥) ، قد اظهرت بوضوح ان المحرض الشاب غير المطلع على تفاصيل ظروف العمل وبالتالي على ظروف التحريض في هذا العمل أو ذاك والذي يجهل مبادى العمل السري والذي تعلّم» (وهل تعلم ؟) «الآراء الاشتراكية-الديموقراطية العامة فقط ، قد يعمل اربعة اشهر او خمسة او ستة وبعد ذلك تحل ساعة الاعتقال الذي يستتبع في الكثير من الحالات انهيار المنظمة كلها او قسم منها على الاقل اذن ، هل تستطيع جماعة ان تعمل بصورة مثمرة وبنجاح اذا كانت حياتها لا تزيد على اشهر ؟ واضح ان من غير الجائز ان تنسب جميع نواقص المنظمات الموجودة الى مرحلة الانتقال واضح ان عدد اعضاء المنظمات العاملة ، وخصوصا صفاتهم ، يلعبان في ذلك دوراً هاماً ، وان مهمة اشتراكيينا-الديموقراطيين الاولى ينبغي ان تكون **توحيد المنظمات توحيداً فعليا مع اختيار اعضائها اختياراً دقيقاً**»

ب) العمل الحرفي والاقتصادية

ينبغي لنا ان نتناول الآن سؤالاً يدور في خلد كل قارئ بالتأكيد هذا العمل الحرفي بوصفه مرض نمو يلازم الحركة **بمجموعها** هل يمكن ان يقرن «بالاقتصادية» باعتبارها **احد** تيارات الاشتراكية-الديموقراطية الروسية ؟ نعتقد ان ذلك ممكن . ان

نقص الاستعداد العملي ان عدم المهارة في العمل التنظيمي هو في الحقيقة شيء عام بالنسبة **الينا جميعاً** حتى الذين تمسكوا منذ البدء بوجهة نظر الماركسية الثورية ولا يمكن لاحد بطبيعة الحال ان يلوم المشتغلين في الميدان العملي لنقص الاستعداد بحد ذاته ولكن مفهوم «العمل الحرفي» يتضمن فضلاً عن نقص الاستعداد شيئا آخر هو ضيق نطاق العمل الثوري كله بوجه عام وعدم فهم ان منظمة ثوريين جيدة لا يمكن ان تتكون على اساس هذا العمل الضيق واخيراً وهو الامر الاهم محاولات تبرير هذا النطاق الضيق ورفعه الى مقام «نظرية» خاصة ، اي تقديس العفوية في هذا الميدان ايضاً ومذ ظهرت هذه المحاولات لم يبق شك في ان العمل الحرفي مرتبط «بالاقتصادية» واننا لن نتخلص من ضيق نشاطنا التنظيمي اذا لم نتخلص من «الاقتصادية» عموماً (اي من المفهوم الضيق للنظرية الماركسية ولدور الاشتراكية-الديموقراطية ولمهامها السياسية) والواقع ان هذه المحاولات برزت في اتجاهين فقد اخذ بعضهم يقول ان جمهور العمال لم يطرح هو نفسه بعد مهام كفاح سياسية واسعة كالتي «يفرضها» عليه الثوريون ولا يزال عليه ان يناضل من اجل المطالب السياسية **المباشرة** وان يقوم بـ«النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» * (وهذا النضال الذي هو في «متناول» الحركة الجماهيرية تلائمه بصورة طبيعية منظمة هي في «متناول» حتى الشبيبة الاقل إعداداً) واخذ آخرون من الذين هم بعيدون عن كل «تدرجية» يقولون يمكن ويجب «القيام بالثورة السياسية» ولكن ذلك لا يتطلب البتة انشاء منظمة ثوريين قوية تربي

---

* «رابوتشايا ميسل» و«رابوتشييه ديلو» وبوجه خاص «الجواب» الموجه الى بليخانوف .

البروليتاريا على النضال الحازم العنيد ، بل يكفينا لذلك ان نتشبث جميعنا بالهراوة المألوفة التي فى «متناولنا» واذا لم نلجـأ الى التشابيه نقول ان علينـا ان ننظم الاضراب العـام * او ان نهيج بواسطة «ارهاب تهييجي» حركة العمال «الخاملة» ** هذان التياران الانتهازيون و«الثورويون» يستسلمان امام العمـل الحرفي السائد ولا يؤمنان بامكان الخلاص منه ولا يدركان مهمتنا العملية الاولى التي لا تقبل التأجيل انشاء **منظمة ثوريين** قادرة على ان تؤمن للنضال السياسي القوة والثبات والاستمرارية

لقد اثبتنا آنفاً كلمات ب–ف «نمو حركة العمال يسبق نمو المنظمات الثورية وتطورها» ان لهذا «النبأ القيم من مراقب عن كثب» (من تقريظ هيئة تحرير «رابوتشييه ديلو» لمقالة ب–ف) اهمية مزدوجة في نظرنا فهو يبين اننا كنا على حق عندما رأينا السبب الاساسي لأزمة الاشتراكية-الديموقراطية الروسية الحالية في **تأخر القـادة** (مـن «ايديولوجيين» ، وثوريين واشتراكيين-ديموقراطيين عن **نهوض الجماهير العفوي** وهـو يبرهن ان جميع هذه الاقوال لواضعي الرسالة «الاقتصادية» («الايسكرا» العدد ١٢) ب كريتشفسكي ومارتينوف بصـدد خطر التقليل من اهمية العنصر العفوي والنضال الجاري المعتاد والتكتيك-الحركة الخ ، ليست غير تمجيد للعمل الحرفي ودفاع عنه . فهؤلاء الناس الذين لا يستطيعون النطق بكلمة «نظري» دون ان يكشروا عن انيابهـم باحتقار والذين يطلقون على سجودهم امام نقص الاستعداد لامور الحياة ونقص التطور اسم «حس الحياة» يكشفون في الواقع عن عدم

---

* كراس «من يقوم بالثورة السياسيـة ؟» وقد صدر في روسيا في مجموعة «النضال البروليتاري» واعادت طبعه لجنة كييف .

** « بعث الثورية» و«سفوبودا» .

فهم لمهامنا **العملية** الاكثر الحاحـــا انهم يصرخـــــون بالناس المتأخرين وحدوا الخطى ! لا تسبقوا ! اما بالناس المصابين بنقص الهمة والمبادرة في العمل التنظيمي المصابين بنقص «المشاريع» للعمل الجريء الواسع فيصرخون عليكم بـ«التكتيك-الحركة» ان ذنبنا الاساسي هو **الهبوط** بمهامنا السياسيـــة **والتنظيمية** الى مستوى مصالح النضال الاقتصادي الجاري المباشرة «الملموســـة» «الحسية» ومع ذلك لا يفتأون يتحفوننا باغنية ينبغي ان نضفي الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه نكرر انه حقاً «حس حياة» اشبه بحس بطل الاسطورة الشعبية الذي اخذ يصرخ وقد رأى موكب جنازة «ان شاء الله دايمه !»

تذكروا كيف اخذ هؤلاء الحكماء يعظون بليخانوف بعنجهيـــة لا تضارعها غير عنجهية «نرسيس» (٨٦) قائلين «ان المهـــام السياسية بمعنى الكلمة الحقيقي **العملي** اي بمعنى النضـــال **العملي** المعقول والناجح من اجل المطالب السياسية ليست بوجه عام (كذا !) في متناول **حلقات** العمـــال» («جواب هيئـــة تحرير «رابوتشييه ديلو»» ص ٢٤) ثمة حلقات وحلقات يا سادة فالمهام السياسية ليست طبعاً في متناول حلقة من «الحرفيين» ما لم يدرك هؤلاء الحرفيون انهم يعملون على الطريقة الحرفية ، وما لم يتخلصوا منها واذا ما اظهر هؤلاء الحرفيون فضلاً عن ذلك هياماً بطريقتهم الحرفيـــة واذا ما اخذوا يكتبون كلمة «عملي» بالحرف العريض على الدوام ويتصورون ان الروح العملية تتطلب منهم الهبوط بمهامهم الى مستوى فهم اكثر فئات الجماهير تأخراً عندئذ يتضـــح ان مرض هؤلاء الحرفيين مستعص وان **المهـــام السياسية بوجه عام ليست ، فعلاً ، في متناولهم** ولكن المهـــام السياسية بكل معنى هذه الكلمة الحقيقي بكل معناها العملي هي في متناول حلقة اقطاب من امثال الكسييف وميشكين وخالتورين

وجيليابوف وذلك بالضبط لأن دعايتهم الحارة تجد صـــدى في الجماهير المستيقظة بصـــورة عفويـــة وبقدر ما تجد هذا الصدى ولأن همتهم المتأججة تؤيدها وتدعمها همة الطبقة الثورية، وبمقدار ما تؤيدها وتدعمها لقد كان بليخانوف الف مرة على حق عندما لم يكتف بالاشارة الى وجود هذه الطبقة الثورية ولم يكتف بالبرهان على ان يقظتها العفوية امر محتوم لا مفر منه بل وضع امام «حلقات العمال» مهمة سياسيـــة ساميـــة كبرى اما انتم فتستشهدون بالحركة الجماهيرية التي انبثقت منذ ذلك الحين لكيما **تهبطوا** بهذه المهمة لكيما **تضيقوا** نطاق نشاط «حلقات العمال» وتضعفوا همتها وكيف نسمي ذلك ان لم نسمـــه بهيام الحرفي بطريقته الحرفية ؟ تتبجحون بروحكم العملية ولكنكم لا ترون الواقع الذي يعرفه كل من ساهم في الحركة الروسية لا ترون المعجزات التي تستطيع الاتيان بها في العمل الثوري همة اشخاص منفردين فضلاً عن همة الحلقة بمجموعها هل تحسبون ان حركتنا لا تستطيع ان تنجب اقطاباً كاقطاب سنوات العقد الثامن ؟ ولماذا ؟ ألأن استعدادنـــا قليل ؟ ولكننـــا نستعد وسنستعد وسنصبح مستعدين ! حقاً لقد نبت عندنا ، لسوء الحظ ، الطحلب على مستنقع «النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومـــة» لقد ظهر اناس يجثون على ركبهم ويتعبدون العفوية ويتأملون بخشـــوع (حسب تعبير بليخانوف) «دبر» البروليتاريا الروسية ولكننـــا سنستطيع الخلاص من هذا الطحلب فالثوري الروســـي الذي يسترشد بنظرية ثورية حقاً ويستند الى طبقة ثورية حقاً تستيقظ بصورة عفويـــة يستطيع في هذا الوقت بالذات يستطيع في النهاية – في النهاية ! – ان ينتصب بكل قامتـــه ويطلق كل قواه العملاقة وهذا لا يتطلب غير شـــيء واحد هو ان تستقبل كل محاولة من محاولات الهبوط بمهامنا السياسية وتضييق نطاق عملنا

التنظيمي ببسمة سخريـــة واحتقار من قبل جمهور المشتغلين في الميدان العملي ومن قبل الجمهور الاوســـع منه جمهور الذين يحلمون بالنشاط العملي منذ ان كانوا على مقاعد الدراســـة سنتوصل الى ذلك ، فاطمئنوا ايها السادة !

لقد كتبت ضد «رابوتشييه ديلو» في مقال «بم نبدأ ؟» قائلاً «خلال ٢٤ ساعة يمكن تغيير تكتيك التحريض في مسألة معينة من المسائل التكتيك الذي يرمي الى تحقيق عنصر معين من عناصر التنظيم الحزبي اما ان يغير المرء نظراته لا في ٢٤ ساعة ، بل حتى في ٢٤ شهراً بصدد ما اذا كانت هنالك حاجة بوجه عام ، حاجة دائمة وأكيدة لمنظمة كفاحية وللتحريض السياسي بين الجماهير ، فهو امر لا يستطيعـــه غير اناس لا مبـــادئ لهم» وقد اجابت «رابوتشييه ديلو» قائلة «ان اتهام «الايسكرا» هذا الوحيد من بين الاتهامات التي تدعي لنفسها بالطابع العملي لايقوم على اي اساس فقراء «رابوتشييه ديلو» يعرفون حق المعرفة اننا منذ البدء لم نقتصر على الدعوة الى التحريض السياسي دون ان ننتظر ظهور «الايسكرا»» (قائلين آنذاك ان «اسقاط الحكم المطلق لا يمكن ان يوضع كمهمة سياسية اولى امام حركة العمال الجماهيرية» فضلاً عن حلقات العمال ، وانه لا يمكن ان يوضع كمهمة سياسية اولى غير النضال من اجل المطالب السياسية المباشرة ، وان «المطالب السياسية المباشرة تصبح في متناول الجماهير بعد اضراب او عدة اضرابات على اكثر تقدير») .«بل اننا اوصلنا كذلك من الخارج بواسطة مطبوعاتنا مادة التحريض السياســـي الاشتراكيـــة-الديموقراطية **الوحيدة** الى الرفاق العاملين في روسيا» (علمـا بانكم ، في مادتكم الوحيدة هذه لم تقتصروا على ممارسة اوســـع تحريض سياسي على صعيد النضال الاقتصادي وحده بل لقد بلغ بكم تفكيركم في النهاية حداً اعلنتم معـــه ان هذا التحريض الضيق

هو الذي «يمكن استعماله باوسع شكل» الا تلاحظون ايهـــا السادة ان حججكم لا تبرهن الا على ضرورة ظهور «الايسكرا» – ما دام هذا هو نوع المادة **الوحيدة** – وإلا على ضرورة نضال «الايسكرا» ضد «رابوتشييه ديلو» ؟) «ومن الجهة الاخرى ان نشاطنا بوصفنا ناشرين قد مهد في الواقع لوحدة الحزب التكتيكية» (وحدة الاعتقاد بان التكتيك هو سير نمو المهام الحزبية التي تنمو مع نمو الحزب ؟ ما اثمنها من وحدة !) «ومهد بذلك لامكانية انشاء «منظمة كفاحية» عمل «الاتحاد» كل ما في طاقة منظمة في الخارج ان تبذله عموماً لانشائهـــا» («رابوتشييه ديلو» العدد ١٠ ص ١٥) عبثاً تحاولون التملص ! اما انكم بذلتم كل ما في طاقتكم، فهو امر لم افكر بانكاره قط فقد اكدت وأؤكد ان **حدود** «متناول»كم يضيقها قصر نظركم بل انه من المضحك الحديث عن «منظمـــة كفاحية» للنضال من اجل «المطالب السياسية المباشرة» او من اجل «النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة»

ولكن اذا كان القارئ يريد ان يرى درر الهيام «الاقتصادي» بالعمل الحرفي فينبغي له ان يتوجـــه طبعاً من «رابوتشييه ديلو» الاختيارية وغير الثابتة الى «رابوتشايا ميسل» المستقيمة والحازمة فقد كتب ر م في «الملحق الخاص» ص ١٣ «سنتناول الآن بكلمتين من يسمون بالمثقفين الثوريين بالذات لقد برهنوا حقاً غير مرة من خلال العمـــل انهم مستعدون كل الاستعداد «لخوض المعركة الفاصلة ضد القيصرية» ولكن المصيبة كل المصيبة هي في كون مثقفينا الثوريين الذين تلاحقهم الشرطة السياسية دون رحمة قد حسبوا النضال ضد الشرطة السياسية نضالاً سياسياً ضد الحكم المطلق ولذلك لم يجدوا حتى الآن الجواب الواضح على سؤال «من اين نستمد القوى للنضال ضد الحكم المطلق ؟»» .

هذا الاستخفاف الرائع بالنضال ضـــد الشرطة من قبل هائم (بأردأ معانى الكلمة) بالحركة **العفوية** أليس بديعاً حقاً ؟ انـــه مستعد **لتبرير** عدم مهارتنا في العمل السري بحجة ان النضال ضـد الشرطة السياسية لا اهمية له في جوهر الامر بالنسبة لنا في حالة الحركة الجماهيرية العفوية لن يوقع على هذا الاستنتاج الفظيع غير قلة قليلة فقد حز الالم صميم افئدة الجميع من جراء نواقص منظماتنا الثورية ولكن اذا كان مارتينوف ، مثلاً يرفض التوقيع عليه فما ذلك الا لأنه لايحسن التفكير بموضوعاته حتى نهايته المنطقية او لا يجرؤ على ذلك وفي الحقيقة اذا ما وضعت الجماهير مطالـب معينة تبعث الامل بنتائج حسية ، فهل تتطلب هذه «المهمة» اهتماماً خاصاً بانشاء منظمة ثوريين وطيدة متمركزة قادرة على الكفاح ؟ ألا يقوم بهذه المهمة جمهور لا «يناضل ضد الشرطة السياسية» على الاطلاق ؟ وفوق ذلك هل يمكن تنفيذ هذه **المهمة** اذا لم ينهض بها ايضاً عدا القادة القلائل عمال هم (في اكثريتهم الكبرى) **غير اهل** على الاطلاق «للنضال ضد الشرطة السياسية» ؟ فهؤلاء العمال هؤلاء الناس المتوسطون من الجماهير يستطيعون اظهار فيض من الهمة والتفاني في الاضراب وفي نضـال الشوارع ضـــد البوليس والجيش يستطيعون (وهم وحدهم الذين يستطيعون) **تقرير** نتيجة حركتنا باكملها – ولكن النضـــال ضـــد البوليس **السياسي** هو الذي يتطلب صفـــات خاصـــة يتطلب ثوريين **محترفين** وينبغي لنا ان نحرص لا على ان «يقدم» الجمهور مطالب ملموسة وحسب ، بل على ان «يقدم» جمهور العمال كذلك امثال هؤلاء الثوريين المحترفين بعدد متزايد على الدوام . وهكذا نصل الى مسألة التناسب بين منظمة الثوريين المحترفين وحركة العمال الصرف ان هذه المسألة التي قلما وجدت لها مكاناً في المنشورات قد شغلتنا كثيراً نحن «السياسيين» في الاحاديث والجدال مع الرفـــاق الذين

يميلون الى «الاقتصادية» الى هذا الحد او ذاك وهي مسألة تستحق الوقوف عندها بوجه خاص ولكن لنختتم اولاً باستشهاد آخر عرض رأينا في الصلة بين العمل الحرفي و«الاقتصادية»

لقد كتب السيد .N.N في مقاله «الجواب» (٨٧) «ان فرقة «تحرير العمل» تنادي بالنضال المباشر ضد الحكومة دون ان تقدر اين تكمن القوة المادية الضرورية لهذا النضال ودون ان تشير الى **طرق هذا النضال**» وقد وضع الكاتب بالخط العريض الكلمات الاخيرة ووضع تحت كلمة «طرق» الملاحظة التالية «هذا الواقع لا يمكن تفسيره باهداف العمل السري لأن البرنامج لا يتحدث عن مؤامرة بل عن **حركة جماهيرية** ولا يمكن للجمهور ان يسير في الطرق السرية اذ هل يمكن وجود اضراب سري ؟ هل يمكن وجود مظاهرة او عريضة سرية ؟» ("Vademecum" «فاديميكوم» ص ٥٩) لقد وقف الكاتب وجهاً لوجه امام هذه «القوة المادية» (منظمو الاضرابات والمظاهرات) وامام «طرق النضال» ولكنه يجد نفسه مع ذلك في حيرة وبلبلة ، لأنه «يقدس» الحركة الجماهيرية ، اي انه ينظر اليها نظرته الى امر **يعفينا** من نشاطنا الثوري لا الى امر من شأنه ان يشجع **ويحفز** نشاطنا الثوري . الاضراب السري مستحيل بالنسبة للمضربين وللاشخاص الذين لهم علاقة مباشرة به ولكن هذا الاضراب قد يبقى (وانه ليبقى في معظم الحالات) «سرا» بالنسبة لجمهور العمال الروس لأن الحكومة تعمل على ان تقطع كل صلة بالمضربين تعمل على ان تجعل من المستحيل نشر اي نبأ عن الاضراب وهنا تظهر الحاجة الى «النضال ضد الشرطة السياسية» وهو نضال خاص لا يمكن ان يقوم به بنشاط في اي حال من الاحوال جمهور كبير كالجمهور الذي يشترك في الاضرابات . وينبغي ان ينظم هذا النضال «وفق جميع اصول الفن»

من قبل اناس يجعلون من النشـــاط الثوري مهنة لهم **ولا تقل الحاجة** الى تنظيم هذا النضال من جراء انجذاب الجمهور الى الحركة بصورة عفوية بل بالعكس ، فان هذا الواقع **يزيد الحاجة** الى هذا التنظيم لأننا نحن الاشتراكيين لا نقوم بواجباتنا المباشرة امام الجمهور اذا كنا لا نستطيع اعاقة الشرطة عن ان تبقي طي الكتمان (واذا كنا لا نحضر نحن احياناً في طي الكتمان) اي اضراب او اية مظاهرة في طاقتنا ان **نفعل** هذا وذلك على وجـــه الضبط لأن الجمهور المستيقظ بصورة عفوية **سيقدم ايضا من صفوفه** «ثوريين محترفين» بعدد متزايد (هذا اذا لم يخطر لنا ان ندعو العمـــال بمختلف النغمات الى المراوحة في مكان واحد)

ج) منظمة العمال ومنظمة الثوريين

اذا كان مفهوم «النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمـــال والحكومة» في نظر الاشتراكي-الديموقراطي مفهوم النضـــال السياسي فطبيعي ان نتوقع لمفهوم «منظمة العمال» ان يغطي في نظره الى حد ما مفهوم «منظمة الثوريين» وهذا ما يحدث في الواقع حتى اننا نجد انفسنا حيال لغات تختلف كل الاختلاف عندما يدور الحديث عن التنظيم اذكر مثلاً حديثاً جرى بيني وبين احد «الاقتصاديين» المستقيمين الى حد لا بأس به لم تسبق لي به معرفة (٨٨) وقد تناول الحديث كراس «مـــن يقوم بالثـــورة السياسية ؟» وقد اتفقنا بسرعة على ان النقص الاساسي فيه هو اغفال مسألة التنظيم وتصورنا ان وجهات نظرنا متفقـــة ولكن عندما تابعنا الحديث ظهر لنـــا اننا نتكلم عن امـــور مختلفة فمحدثي يتهم مؤلف الكراس باغفال صناديق الاضرابات وجمعيات تبادل المساعدة الخ. ، في حين كنتُ اقصد منظمـــة

الثوريين الضرورية «للقيام» بالثورة السياسية ولا اذكر اني اتفقت مع هذا «الاقتصادي» حول اية مسألة من المسائل المبدئية بعد ظهور هذا الخلاف !

فما هو مصدر خلافاتنا ؟ انه يكمن في كون «الاقتصاديين» ينزلقون على الدوام من الاشتراكية-الديموقراطية الى التريديونيونية إن في المهام التنظيمية ام في المهام السياسية فنضال الاشتراكية-الديموقراطية السياسي اوسع جداً واكثر تعقيداً من نضال العمال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة وكذلك (وتبعاً لذلك) لا بد لتنظيم الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الثوري من ان يكون من **نوع آخر** يختلف عن تنظيم العمال للنضال الاقتصادي اذ ينبغي لمنظمة العمال ان تكون اولاً مهنية ثانياً واسعة ما امكن ثالثاً علنية ما امكن (هنا وفيما يأتي من البحث لا اعني بالطبع غير روسيا الحكم المطلق) وبالعكس ينبغي لمنظمة الثوريين ان تضم بالدرجة الاولى وبصورة رئيسية اناساً يكون النشاط الثوري مهنتهم (ولذلك اتحدث عن منظمة **الثوريين** وانا اعني الثوريين-الاشتراكيين-الديموقراطيين) وحيال هذه الصفة المشتركة بين اعضاء مثل هذه المنظمة **ينبغي ان يمحّي بصورة تامة كل فرق بين العمال والمثقفين** فضلاً عن الفروق بين مهن هؤلاء واولئك على اختلافها ينبغي لهذه المنظمة بالضرورة ان لا تكون واسعة جداً وان تكون على اكثر ما يمكن من السرية فلنتناول هذه الفروق الثلاثة

ان الفرق بين التنظيم المهني والتنظيم السياسي واضح تماماً في البلدان التي تتمتع بحرية سياسية وضوح الفرق بين التريديونيونات والاشتراكية-الديموقراطية وطبيعي ان علاقة الاشتراكية-الديموقراطية بالتريديونيونات تختلف حتماً من بلد الى آخر ، تبعاً للظروف التاريخية والحقوقية وغيرها ، ويمكن ان

تكون على جانب معين من القوة ، والتعقيد ، الخ . (وينبغي ان تكون حسب رأينا قويةً الى اقصى حد وخالية من التعقيد ما امكن) ولكن لا يمكن باي حال ان تعتبر المنظمة النقابية ومنظمة الحزب الاشتراكي-الديموقراطي في البلدان الحرة شيئاً واحداً اما في روسيا فان طغيان الحكم المطلق يمحو لأول وهلة كل فرق بين المنظمة الاشتراكية-الديموقراطية ونقابة العمال لأن **جميع** نقابات العمال **وجميع** الحلقات ممنوعة لأن المظهر الاساسي والاداة الاساسية لنضال العمال الاقتصادى – اي الاضراب – يعتبر بوجه عام جريمة يعاقب عليها قانون الجزاء (ويعتبر احياناً جريمة سياسية !) وهكذا «تصدم» الظروف عندنا بشدة العمال الذين يخوضون النضال الاقتصادي بالقضايا السياسية هذا من جهة ومن جهة اخرى «تصدم» الاشتراكيين-الديموقراطيين بالخلط بين التريديونيونية والاشتراكية-الديموقراطية (وان اصحابنا كريتشيفسكي ومارتينوف وشركاهما من الذين لا يفتأون يتحدثون عن «الصدم» من النوع الأول لا يلاحظون «الصدم» من النوع الثاني) وبالفعل تصوروا اناساً انهمكوا بنسبة ٩٩ بالمئة في «النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» فثمة قسم منهم لن يصطدم مرة واحدة طيلة فترة نشاطه **كلها** (٤–٦ اشهر) بمسألة منظمة للثوريين اكثر تعقيداً وثمة آخرون «يصطدمون» في اكبر الظن بمطالعة المنشورات البرنشتينية المنتشرة نسبياً ويستمدون منها الاعتقاد بالاهمية البالغة التي يتسم بها «تقدم النضال الجاري المعتاد» وهناك اخيراً قسم ثالث يحتمل ان يهيم بفكرة مغرية هي اعطاء العالم نموذجاً جديداً عن «الصلة العضوية الوثيقة بالنضال البروليتاري» عن الصلة بين الحركة المهنية والاشتراكية-الديموقراطية وكأني بهؤلاء الناس يفكرون على النحو التالي بمقدار ما يتأخر بلد من البلدان

عن الدخول في مسرح الرأسمالية وبالتالي ، في مسرح الحركة العمالية يزداد امكان مساهمة الاشتراكيين في الحركة المهنية ودعمهم اياها ويقل امكان ووجوب وجود نقابات غير اشتراكية-ديموقراطية هذا التفكير الى هنا صحيح كل الصحة ولكن المصيبة انهم يسيرون الى حد ابعد ويحلمون بمزج الاشتراكية-الديموقراطية والتريديونيونية مزجاً تاماً وسنستشهد الآن بـ«النظام الداخلي لاتحاد النضال في سانت بطرسبورغ» لكي نرى مبلغ ضرر تأثير هذه الاحلام في مشاريعنا التنظيمية

يجب ان تكون منظمات العمال الخاصة بالنضال الاقتصادي منظمات مهنية ويجب على كل عامل اشتراكي-ديموقراطي ان يساعد هذه المنظمات على قدر الطاقة وان يعمل فيها بنشاط هذا صحيح ولكن ليس من مصلحتنا على الاطلاق ان نطالب بان يكون اعضاء الجمعيات «المهنية» من الاشتراكيين-الديموقراطيين وحدهم ، لأن ذلك يسفر عن تقلص نفوذنا في الجماهير فليشترك في الجمعية المهنية كل عامل يدرك ضرورة الاتحاد للنضال ضد اصحاب الاعمال والحكومة فهدف الجمعيات المهنية ذاته لا يمكن بلوغه ان لم تضم هذه الجمعيات جميع الذين يبلغون على الاقل هذه الدرجة البدائية من درجات الفهم ان لم تكن هذه الجمعيات المهنية منظمات **واسعة** جداً وبمقدار ما تتسع هذه المنظمات يتسع نفوذنا فيها وهو نفوذ لا ينشأ فقط عن التطور «العفوى» للنضال الاقتصادي انما ينشأ ايضاً عن تأثير اعضاء الجمعية الاشتراكيين في رفاقهم تأثيراً مباشراً واعياً ولكن عندما يكون عدد المنتمين الى منظمة من المنظمات كبيراً تتعذر السرية الدقيقة (التي تتطلب استعداداً اكبر جداً من الاستعداد اللازم للنضال الاقتصادي) فكيف نحل هذا التناقض بين ضرورة سعة المنظمة وضرورة السرية الدقيقة ؟ كيف نعمل لتكون المنظمات المهنية

سرية لاقل حد ممكن ؟ لبلوغ ذلك لا يوجد بوجه عام غير سبيلين اما جعل الجمعيات المهنية علنية (وقد حدث هذا في بعض البلدان قبل ان تصبح الجمعيات الاشتراكية والسياسية علنية) واما ابقاء المنظمة سرية ، ولكن «حرة» وغير واضحة الحدود ، اي lose كما يقول الالمان لدرجة تصبح معها الصفة السرية بالنسبة لجمهور الاعضاء في حكم العدم تقريباً

لقد بدأ في روسيا انتقال جمعيات العمال غير الاشتراكية وغير السياسية الى العلنية ، ولا مجال لأي شك في ان كل خطوة تخطوها حركتنا العمالية الاشتراكية-الديموقراطية النامية بسرعة ستضاعف وتشجع محاولات الانتقال الى هذه العلنية – وهي محاولات صادرة بصورة رئيسية عن انصار النظام القائم ولكنها صادرة ايضاً بصورة جزئية عن العمال انفسهم والمثقفين الليبيراليين لقد رفع علم العلنية اناس من اضراب فاسيلييف وزوباتوف ، وقد وعد السادة من اضراب اوزيروف وفورمس بالعمل على ذلك وبروا بوعدهم ولقد ظهر بين العمال اتباع لهذا الاتجاه الجديد فلا يمكننا من الآن فصاعداً الا نحسب الحساب لهذا التيار اما كيف نحسب له الحساب فهذا كما نعتقد ، ما لا يمكن ان يختلف عليه الاشتراكيون-الديموقراطيون نحن ملزمون بان نفضح على الدوام اشتراك امثال زوباتوف وفاسيلييف والدرك والكهنة في هذا التيار ، ملزمون بان نبين للعمال حقيقة اهداف هؤلاء المشتركين ونحن ملزمون كذلك بان نفضح جميع النغمات التوفيقية و«المنسجمة» التي ستكشف عنها خطابات الليبيراليين في اجتماعات العمال العلنية – سواء اصدرت هذه النغمات عن ليبيراليين يعتقدون مخلصين بان التعاون السلمي بين الطبقات امر مرغوب فيه او عن ليبيراليين تحدوهم الرغبة في تملق الرؤساء او في النهاية عن ليبيراليين هم بكل بساطة غير حاذقين ونحن ملزمون ،

اخيراً بان نحذر العمال من الشرك الذي تنصبه لهم الشرطة في حالات كثيرة لتبحث في هذه الاجتماعات العلنية وفي الجمعيات المرخص لها عن «الناس الذين تتأجج النار في صدورهم» ولتدس في المنظمات السرية ايضا المخبرين عن طريق المنظمات العلنية

ولكن قيامنا بكل ذلك لا يعنى البتة اننا ننسى ان جعل حركة العمال علنية سيعود بالنفع في **نهاية** الامر علينا نحن ، لا على امثال زوباتوف البتة ان الامر على العكس ، فبحملتنا التشهيرية نفصل نحن الزوان عن الحنطة وقد بينا الزوان اما الحنطة فهي لفت انظار اوسع فئات العمال واكثرها تأخراً الى المسائل الاجتماعية والسياسية ، هي تحريرنا نحن الثوريين ، من وظائف هي في الجوهر علنية (نشر الكتب العلنية المساعدة المتبادلة ، الخ) وظائف يؤدي تطورها حتماً الى اعطائنا عدداً متزايداً على الدوام من المواد للتحريض وبهذا المعنى يمكننا وينبغي لنا ان نقول لزوباتوف واوزيروف واضرابهما اجتهدوا ايها السادة ، اجتهدوا ! فنحن لكم بالمرصاد وسنفضحكم عندما تنصبون للعمال الشرك (عن طريق الاستفزازات المباشرة او عن طريق افساد العمال «الشريف» «بالستروفية») (٨٩) واذا ما خطوتم حقاً خطوة الى امام ، ولو بشكل «انعطاف ضعيف جداً» ، ولكنها خطوة الى امام نقول لكم اعملوا معروفاً ان فسح المجال حقاً امام العمال مهما كان طفيفاً هو وحده الذي يمكنه ان يشكل خطوة الى امام حقاً وكل فسح لهذا المجال يخدمنا نحن ويعجل ظهور جمعيات علنية لا يصطاد فيها المخبرون الاشتراكيين بل يصطاد فيها الاشتراكيون الاتباع لهم ان مهمتنا الآن هي باقتضاب مكافحة الزوان فليس من اختصاصنا استنبات الحنطة في آنية بالغرف فنحن اذ نقتلع الزوان ننظف التربة ممهدين لنمو بذور الحنطة المحتمل . واثناء انهماك اضراب افاناسي

ايفانوفيتش وبولخيريا ايفانوفنا (٩٠) بالزراعة في الغرف ينبغي لنا ان نعد حاصدين يحسنون اجتثاث زوان اليوم وجني حصـــاد حنطة الغد *

واذن لا نستطيع **نحن** عن طريق العلنية ان **نحل** مسالـــة انشاء منظمة مهنية تكون سرية لاقل حد ممكن وواسعة لاقصى حد ممكن (ولكن نكون سعداء جداً اذا اعطانا امثال زوباتوف واوزيروف ولو جزئياً امكانية هذا الحل وللحصول على هذه الامكانية ينبغي لنا ان نكافحهم باكبر ما يمكن من الهمة !) يبقى طريق المنظمات المهنية السرية وهنا **يجب علينا** ان نقدم كل مساعدة للعمـال الذين اخذوا (كما نعرف بدقة) يسلكون هذا الطريق فالمنظمات المهنية لا يمكنها ان تقدم فائدة كبرى في تطوير وتعزيز النضال الاقتصادي وحسب بل يمكنها فضلاً عن ذلك ان تصبح عاملاً مساعداً كبير الاهمية للتحريض السياسي والتنظيم الثوري. ولبلوغ هذه النتيجة، لتوجيه الحركة المهنية المبتدئة الى المجرى الذي تريده الاشتراكية-الديموقراطية ينبغي قبل كل شيء ان نتبين بوضوح سخافة المشروع التنظيمي الذي يطبل ويزمر له «الاقتصاديون»

---

* ان نضال «الايسكرا» ضد الزوان قد دفع «رابوتشييه ديلو» الى هذه الكلمات الغاضبة «ان «الايسكرا» لا ترى رمز الزمن في هذه الاحداث الكبرى (احداث الربيع) بمقدار ما تراه في المحاولات الحقيرة التي يبذلها عملاء زوباتوف لجعل حركة العمال «علنية» وهي لا ترى ان هذه الوقائع تتكلم ضدها بالذات، فهي تدل على ان حركة العمال اكتسبت مقاييس خطرة جداً في نظر الحكومة» («مؤتمران»، ص ٢٧). كل الذنب هو ذنب «الجمود العقائدي» لهؤلاء الارثوذكس «الصم حيال مقتضيات الحياة» فهم يتعامون باصرار عن رؤية الحنطة التي بلغت الذراع طولاً ويكافحون نبتات الزوان التي لا تزيد عن الشبر ! أليس ذلك «بتحسس مقلوب لمستقبل حركة العمال الروسية» (نفس المصدر، ص ٢٧) ؟

في بطرسبورغ منذ ما يقرب من خمس سنوات وقد ورد هذا المشروع في «النظام الداخلي لصندوق العمال» المؤرخ في تموز (يوليو) سنة ١٨٩٧ («ليستوك «رابوتنيكا»» العدد ٩-١٠ ص ٤٦ ، من العدد ١ من «رابوتشايا ميسل») وفي «النظام الداخلي لمنظمة العمال النقابية» المؤرخ في تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٠ (صفحة على حدة طبعت في سانت بطرسبورغ وورد ذكرها في العدد ١ من «الايسكرا») والخطأ الاساسي في كلا النظامين هو طرح جميع التفاصيل المتعلقة بمنظمة عمالية واسعة وخلط منظمة الثوريين بها فلنأخذ النظام الداخلي الثاني باعتباره اكثر دقة انه يتألف من **اثنتين وخمسين** فقرة منها ٢٣ فقرة تتناول تنظيم «حلقات العمال» التي يجرى تشكيلها في كل معمل («على ان لا تزيد كل حلقة على عشرة اشخاص») والتي تنتخب «الجماعات المركزية (في المعمل)» كما تتناول طريقة تصريف امورها ومدى صلاحيتها وقد جاء في الفقرة ٢ «تراقب الجماعة المركزية كل ما يجري في مصنعها او معملها وتسجل الاحداث التي تجري فيه» «تقدم الجماعة المركزية كل شهر تقريراً عن حالة الصندوق لجميع المشتركين» (الفقرة ١٧) الخ وهناك ١٠ فقرات تتناول «منظمة الحي» و١٩ فقرة تتناول التشابك المعقد منتهى التعقيد بين «لجنة المنظمة العمالية» و«لجنة اتحاد النضال في سانت بطرسبورغ» (منتدبون عن كل حي وعن «الجماعات التنفيذية» — «جماعة من الدعاة جماعة للاتصال بالاقاليم جماعة للاتصال بالخارج جماعة لادارة المستودعات جماعة للمنشورات ، جماعة للصندوق»)

الاشتراكية-الديموقراطية = «الجماعات التنفيذية» بالنسبة الى نضال العمال الاقتصادي لعل من الصعب ان نبين بأبرز من ذلك كيف تنزلق فكرة «الاقتصادي» من الاشتراكية-الديموقراطية

الى التريديونيونيـــة ، وكيف لا يستطيـــع اطلاقاً ان يتصور ان الاشتراكي-الديموقراطي ملزم بان يفكر قبل كل شيء بمنظمـــة ثوريين اكفاء لقيادة نضال البروليتاريا التحريرى **كله** فالحديث عن «تحرير الطبقة العاملة السياسي» ، وعن النضال ضد «الطغيان القيصري» وتحبير مثل هذه الانظمة الداخلية للمنظمة يعنـــي عدم ادراك اي شيء على الاطلاق من المهام السياسية الحقيقية التي تواجه الاشتراكية-الديموقراطية ليست ثمة اية فقرة بين الفقرات الخمسين تنم عن بارقة ادراك لضرورة القيام بأوســـع تحريض سياسي بين الجماهير يكشف عن جميع نواحي الاستبداد الروسي عن كل سيماء مختلف الطبقـــات الاجتماعيـــة في روسيـــا وهذا النظام الداخلي فضلاً عن انه لا يمكن من بلوغ الاهداف السياسية لا يمكن كذلك من بلوغ الاهداف التريديونيونيـــة نفسها اذ انها تتطلب تنظيماً **حسب المهن** ، وهو ما لا يؤتـــى على ذكره اطلاقاً

ولعل السمة الابعد في الدلالة هي مبلغ ثقل كل هذا «النظام» الذي يحاول ان يربط كل مصنـــع الى «اللجنة» برباط دائم من قواعد متشابهة وتافهة لدرجة مضحكة وعلى اساس نظام انتخابي ذي ثلاث درجات ان التفكير الذي يخنقه ضيق افق «الاقتصادية» ينطلق هنا الى تفاصيل تنز منها روائح المماطلة والدواوينيـــة والواقع ان ثلاثة ارباع هذه الفقرات لا تطبق ابداً ولكن هذا التنظيم «السري» الذي توجد جماعة مركزية له في كل مصنع يسهل بالمقابل على الدرك تنظيم الاعتقالات على نطاق واسع الى حد لا يصدق لقد اجتاز الرفاق البولونيون هذه المرحلة من مراحل الحركة حين شغف الجميع بتشكيل صناديق عمال على نطـــاق واسع ولكنهم لم يلبثوا ان تخلوا عن هذه الفكرة اذ اتضح لهم انهم بذلك لا يفعلون اكثر من تقديم غلة كبيرة للدرك واذا كنا نريد منظمات عمال واسعة ، واذا كنا لا نريد اعتقالات واسعة

ولا نريد ادخال المسرة الى قلوب الدرك فيجب علينا ان نعمل لكي لا تتخذ هذه المنظمات اي شكل تنظيمي . – ولكن هل يمكن لمنظمات كهذه ان تقوم بوظائفها ؟ – لنلق نظرة على هذه الوظائف مراقبة كل ما يجري في المصنع وتسجيل الاحداث التي تجري فيه» (الفقرة ٢ من النظام الداخلي) وهل تحتاج هذه الوظيفة حقاً الى شكل تنظيمي ؟ ألا يمكن تنفيذها بصورة افضل عن طريق رسائل الى الجرائد السرية دون ان تنظم لهذا الغرض اية جماعات خاصة ؟ «. قيادة نضال العمال من اجل تحسين حالتهم في العمل» (الفقرة ٣ من النظام الداخلي) وهذا ايضاً لا يحتاج الى اي شكل تنظيمي فمحادثة بسيطة تكفي لأن يعرف المحرض بكل دقة مهما كانت درجة ذكائه ما هي المطالب التي يريدها العمال وعندما يعرفها يستطيع ان يرفعها الى منظمة غير واسعة الى منظمة ضيقة من الثوريين لايصال النشرة المناسبة تنظيم صندوق يكون رسم الاشتراك فيه كوبيكين عن كل روبل» (الفقرة ٩) ومن ثم اعطاء تقرير شهري للجميع عن حالة الصندوق (الفقرة ١٧) وطرد الاعضاء الذين لا يدفعون اشتراكاتهم (الفقرة ١٠) الخ وهذا هو بالنسبة للشرطة الجنة عينها لأنه ليس ثمة ما هو اسهل من التسلل الى اعماق هذا السر ، سر «الصندوق المركزى» في المعمل ومن مصادرة النقود واعتقال نخبة الاعضاء أليس من الافضل اصدار طوابع بكوبيك او كوبيكين تحمل خاتم منظمة معينة (ضيقة جداً وسرية جداً) او حتى جمع تبرعات بدون طوابع تنشر جريدة سرية تقارير عنها بلغة متفق عليها ؟ ان الهدف نفسه يمكن بلوغه بذلك ولكن اكتشاف المنظمة يصبح اصعب على الدرك بمئة مرة .

بوسعي ان استمر في تحليل فقرات النظام الداخلـــي ولكني احسب ان في ما ذكرته الكفاية ان نواة صغيرة متراصة تتألف من اشد العمال ثقة وحنكة وتمرساً بالنضال لها معتمدون في المناطق الرئيسية وتتصل بمنظمة الثوريين على اساس مراعاة قواعد العمل السري بكل دقة تستطيع تماماً استناداً الى اوسع تأييد من قبل الجمهور وبدون اي شكل تنظيمي ان تقوم **بجميع** الوظائف الملقاة على المنظمة المهنية وتستطيع فضلاً عن ذلك القيام بها على وجه الضبط بالشكـــل الذي تريـــده الاشتراكية-الديموقراطية هذا هو الطريق الوحيد الذي يمكن من **تعزيـــز** وتطوير الحركة المهنية **الاشتراكية-الديموقراطية** بالرغم من الدرك كله

وسيعترضون علي بقولهم ان منظمة lose * الى حد انها لا تتخذ لنفسها اي شكل معين واعضاءهـــا غير معروفين وغير مسجلين لا يمكن ان تسمى بمنظمة – ربما لست ممـــن يهتمون بالاسماء ولكن هذه «**المنظمة بلا اعضاء**» ستقوم بكل ما يلزم وستؤمن منذ البدء الصلة الوثقى بين تريديونيوناتنا المقبلة وبين الاشتراكية وكل من يريد في ظل الاستبداد منظمة عمال **واسعة** تنتخب هيئاتها على اساس الاقتراع العام وتقدم التقارير والخ ، فهو بكل بساطة طوبوي لا يرجى له شفاء

والعبرة التي تستخلص من ذلك بسيطة اذا بدأنا بتكوين منظمة ثوريين وطيدة قوية استطعنا ان نضمن الاستقرار للحركة بمجموعها استطعنا ان نبلغ الاهداف الاشتراكية-الديموقراطية والاهداف التريديونيونية الصرف ايضا اما اذا بدأنا بتكويـــن منظمة عمال واسعة ، منظمة يُزعـــم انها «اسهل منالا» للجماهير

---

* – حرة ، واسعة . – بالالمانية في النص الاصلي . **الناشر** .

(والواقع انها اسهل منالاً للدرك وانها تجعل الثوريين اسهل منالاً للشرطة) فاننا لن نبلغ لا هذه الاهداف ولا تلك ولن نتخلص من العمل الحرفي بل اننا بانقساماتنا وانهياراتنا الدائمة ، نجعل طراز تريديونيون زوباتوف او اوزيروف اسهل منالاً للجماهير

بم ينبغي ان تتلخص وظائف منظمة الثوريين هذه ؟ — سنتناول الآن ذلك بالتفصيل ولكننا سنبدأ بتحليل آراء نموذجية اخرى لصاحبنا الارهابي الذي يظهر مرة اخرى (ويا لسوء الطالع !) متاخماً «للاقتصادي» نجد في العدد ١ من «سفوبودا» ، وهي مجلة للعمال مقالاً تحت عنوان «التنظيم» يحاول كاتبه ان يدافع فيه عن معارفه من العمال «الاقتصاديين» في ايفانوفو-فوزنيسينسك يقول

«لا خير في جموع صامتة ، غير واعية ، لا خير في حركة لا تاتي من اسفل انظروا عندما يعود الطلاب من مدينة جامعية الى بيوتهم في ايام الاعياد او في الصيف ، تتوقف حركة العمال وهل يمكن لحركة عمال يدفعونها من خارجها ان تكون قوة حقاً ؟ مطلقاً انها لم تتعلم بعد المشي على قدميها ويسندونها كالاطفال وهكذا في كل شيء يسافر الطلاب فتقف الحركة يلتقطون الاكثر كفاءة من الزبدة فيفسد الحليب يعتقلون «اللجنة» فيسود السكون الى ان تتالف لجنة جديدة ؛ ومن يدري كيف تكون الجديدة ، فقد تختلف عن السابقة كل الاختلاف لجنة كانت تقول شيئا والاخرى ستقول العكس ، وتنقطع الصلة بين الامس والغد ، ولا تعود خبرة الماضي مفيدة للمستقبل . وكل هذا من جراء عدم وجود جذور في الاعماق ، في الجموع ؛ كل هذا لأن العمل لا يجري من قبل مئة من الحمقى ، بل من قبل دستة من الاذكياء سهل دائماً على الحوت ان يبتلع عشرة اشخاص ، ولكن اذا ما شملت المنظمة الجموع ، اذا ما صدر كل شيء عن الجموع ، فليس في وسع اي جهد ان يقضي على القضية» (ص ٦٣) .

لقد وصفت الوقائع وصفاً صادقاً فقد اعطى الكاتب صورة لا بأس بها عن عملنا الحرفي ولكن الاستنتاجات خليقة بـ«رابوتشايا ميسل» سواء من حيث الغباء ام من حيث انعدام الذوق السياسي انها الذروة في الغباء ، اذ ان الكاتب يخلط بين مسألة «جذور» الحركة «في الاعماق» – وهي مسألة فلسفية واجتماعية تاريخية ، ومسألة تحسين النضال ضد الدرك – وهي مسألة تكنيكية تنظيمية انها الذروة في انعدام الذوق السياسي لأن الكاتب ، بدلا من ان يدعو الى ان يحل القادة الصالحون محل القادة الرديئين يدعو الى ان تحل «الجموع» محل القادة عموماً ان هذه محاولة تجرنا الى الوراء في الميدان التنظيمي ، مثلما ان فكرة حلول الارهاب التهييجي محل التحريض السياسي تجرنا الى الوراء في الميدان السياسي وانى والحق يقال في embarras de richesses * لا ادري بما ابدأ تحليل التشويش الذي اتحفتنا به «سفوبودا» سأحاول البدء بضرب مثل للوضوح ولنأخذ الالمان وآمل انكم لن تنكروا ان المنظمة عندهم تشمل الجموع وان كل شيء يصدر عن الجموع وان حركة العمال قد تعلمت المشي على قدميها ولكن كم تحسن هذه الجموع الغفيرة تقدير «الدستة» من قادتها السياسيين المجربين ، وبأية قوة تتمسك بهم فكم من مرة وقف نواب الاحزاب المعادية في البرلمان لازعاج الاشتراكيين وقالوا : «ما اجملكم من ديموقراطيين ! حركتكم هي حركة الطبقة العاملة في مجال القول وحسب ولكن في مجال العمل تبرز على الدوام نفس الزمرة من القادة طيلة السنين وعشرات السنين نرى بيبل لا يحول ولا يزول نرى ليبكنخت لا يحول ولا يزول ان نوابكم الذين تدعون انهم منتخبو العمال هم اثبت في مناصبهم

* ــ حيرة حيال الغنى . ــ بالفرنسية في النص الاصلي . الناشر .

مـــن الموظفين الذين يعينهم الامبراطور !» غير ان الالمان قـــد استقبلوا ببسمة ازدراء هذه المحاولات الديماغوجية التي تستهدف معارضة «الزعماء» بـ«الجموع» واثارة غرائز الغرور الرديئـة في الجموع وحرمان الحركة متانتها وثباتها عن طريق تقويض ثقـة الجماهير بـ«دستة الاذكياء» لقد بلغ الالمان من تطور الفكـــر السياسي واكتسبوا من الخبرة السياسية ما جعلهم يفهمون انـــه يتعذر في المجتمع الراهن على كل طبقة من الطبقات ان تناضـــل بثبات بدون «دستة» من الزعماء النوابغ (والنوابغ لا يولـــدون بالمئات) المجربين والمتفقين في الرأي اروع الاتفاق والمحضريـــن مهنياً والذين حنكتهم تجارب الايام لقد عرف الالمان في بيئتهم كذلك ديماغوجيين تملقوا «المئات من الحمقى» ورفعوهم فوق «دستات الاذكياء» تملقوا «قبضة» الجمهور «المفتولة العضل» مستثيرينـه (على غرار موست وهاسيلمان) الى اعمال «ثورية» طائشة وباذرين الشك بالزعماء الرصينين الحازمين. وما كانت الاشتراكية الالمانية لتتوطد وتنمو هذا النمو لولا نضالها في الداخل نضالاً عنيداً لا هوادة فيه ضد جميع العناصر الديماغوجية على اختلافها اما حكماؤنا فانهم في هذا الظرف الذي تفسر فيه كل ازمة الاشتراكيـــة-الديموقراطية الروسيـــة بكون الجماهيـــر المستيقظة بصورة عفوية لا تجد قادة على قدر كاف من الاستعداد والتطور والتجربة ، يعلنون بعمق تفكير الغبي «لا خير في حركة لا تأتي من اسفل» !

«لجنة الطلبة لا تصلح انها غير ثابتة» . – هذا صحيح كل الصحة ولكن يستنتج منه ان الامـــر يتطلب لجنة من **ثوريين** محترفين من اناس ينمون في انفسهم صفات الثوري المحترف ولا يهم بعد ذلك ان يكونوا عمالاً او طلاباً بينما تستنتجون انتـم انه لا ينبغي دفع حركة العمال من خارجها انكم لا تلاحظون بسبب سذاجتكم السياسية ، انكـم تخدمون بذلك «اقتصاديي»نا

وطريقتنا في العمل الحرفي واسمحوا لنا بان نسألكم بـم تجلى «دفع» طلابنا لعمالنا ؟ الامر **الوحيد** الذي تجلى فيه هذا الدفع هو كون الطالب قد حمل للعامل شذرات المعارف السياسية الموجودة لديه وفتات الافكار الاشتراكية التي جمعها (لأن طالب اليوم يجد غذاءه العقلي الرئيسي في الماركسية العلنية التي لم تكن تستطيع ان تعطيه غير الابجدية وغير الفتات) **ان مثل هذا** «الدفع مـــن الخارج» بالذات لم يكن في حركتنا بالكثير ، بل بالعكس لقد كان قليلاً جداً قليلاً لحد مخجل ومشين لأننا افرطنا في الانطواء على انفسنا افرطنا في السجود كالعبيد امام «نضال العمـــال» البدائي «الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» **ومثل هذا** «الدفع» بالذات ينبغي لنا نحن الثوريين المحترفين ان ننصرف اليه وسننصرف اليه بجهود مضاعفة مئة مرة بيد انه نظراً لوقوع اختياركم بالضبط على هذا التعبير الشنيع ، «الدفع من الخارج» هذا التعبير الذي يوحي للعامل حتماً (على الاقل للعامل المتأخـــر بمقدار تأخركم انتم) عدم الثقة **بجميع** من يحملون اليه من الخارج المعرفة السياسية والخبرة الثورية ويثير فيه غريزة الرغبة في صد **جميع** امثال هؤلاء الناس نظراً لهذا الواقع بالضبط تكونون من **الديماغوجيين** والديماغوجيون هم شر اعداء الطبقة العاملة

نعم نعـــم لا تتسرعوا في رفع عقيرتكم بالعويل حـــول «اساليبي غير الرفاقية» في الجدال ! فليس في نيتي ان اشك في صفاء طويتكم لقد سبق لي ان قلت انه يمكن ان يصبح المرء من الديماغوجيين لمجرد سذاجته السياسية ولكني برهنت انكـم هويتم الى درك الديماغوجية وسأكرر دون كلل ان الديماغوجيين هم شر اعداء الطبقة العاملة هم بالضبط شر اعداء الطبقة العاملة لأنهم يثيرون في الجموع الغرائز السيئة ولأن العمال المتأخرين لا يستطيعون تبين هؤلاء الاعداء الذين يدعون انهم اصدقاء لهم ،

ويدعون ذلك احياناً مخلصين هم شر الاعداء اذ انه في مرحلة التبعثر والتردد في المرحلة التي لا تزال فيها سيماء حركتنا في دور التكوين ليس ايسر من جذب الجموع عن طريق الديماغوجية فلا يقنعها فيما بعد بخطئها غير المحن المريرة ولذلك يجب على الاشتراكي-الديموقراطي الروسي اليوم ان يجعل شعار الساعة النضال الحازم سواء ضد «سفوبودا» التي تهوي الى درك الديماغوجية او ضد «رابوتشييه ديلو» التي تهوي هي ايضاً الى درك الديماغوجية (الامر الذي سنبينه بتفصيل * فيما يأتي من البحث) .

«اصطياد دستة اذكياء اسهل من اصطياد مئة احمق» ان هذه الحقيقة الرائعة (التي تضمن لكم على الدوام التصفيق من مئة احمق) لا تبدو جلية الا لأنكم قد قفزتم في مجرى تفكيركم من مسالة الى اخرى لقد بدأتم الحديث وما زلتم تتحدثون عن اصطياد «اللجنة» ، عن اصطياد «المنظمة» ، وقد قفزتم الآن الى مسالة اصطياد «جذور» الحركة «في الاعماق» واضح ان حركتنا لا يمكن القبض عليها ولو بسبب ان لها مئات ومئات الالوف من الجذور في الاعماق ولكن المسالة ليست هنا فحتى في الوقت الحاضر ، وبالرغم من كل طريقتنا الحرفية في العمل يتعذر «اصطياد» نا بمعنى اصطياد «جذورنا في الاعماق» ولكننا جميعا نشكو مع ذلك ، ولا بد لنا ان نشكو من هذا القبض على «**المنظمات**» الذي يقوض

---

* اما هنا فنلاحظ فقط ان كل ما قلناه بصدد «الدفع من الخارج» وجميع اقوال «سفوبودا» اللاحقة حول التنظيم يتعلق **كليا بجميع** «الاقتصاديين» بمن فيهم جماعة «رابوتشييه ديلو» لأنهم جزئيا نادوا بنشاط بنفس الآراء في مسائل التنظيم ودافعوا عنها ، وجزئيا انزلقوا نحو هذه الآراء .

كل استمرارية في الحركة امـــا اذا طرحتم مسألـــة القبض على **المنظمات** دون ان تحيدوا عنها فاني اقول لكـــم ان القبض على دستة من الاذكياء اصعب جداً من القبض على مئة احمق وسأدافع عن هذا الرأي مهما ألّبتم علي الجمـــوع بسبب موقفي «المعادى للديموقراطية» الخ. ينبغي لنا ان نفهم من تعبير «الاذكياء» في الميدان التنظيمي – كما اشرت غير مرة – **الثوريين المحترفين** فقط، سواء ظهروا من بين الطلاب او العمال فلا فرق وها انـــا ذا اجزم بانه ١) لا يمكن ان توجد اية حركة ثورية وطيـدة بدون منظمة من القادة ثابتة تحافظ على الاستمرارية ٢) بمقدار مـــا يتسع الجمهور الذي ينهض بصورة عفوية الى النضال والذي يؤلف قاعدة الحركة ويساهم فيها تشتد الحاجة الى مثل هذه المنظمة وينبغي لها ان تكون اوطد (والا سهل بنفس المقدار على كـــل ديماغوجي التغرير بفئات الجمهور المتأخرة ٣) ينبغي لهـــذه المنظمة ان تتألف بصورة رئيسية من اناس يجعلون من النشاط الثوري مهنة لهـــم ٤) بمقدار ما **نضيق** في بلاد يسودهـــا الاستبداد قوام اعضاء هذه المنظمة بحيث لا يشترك فيها غير الاشخاص الذين جعلوا من النشاط الثوري مهنة لهم والذين تدربوا تدريباً مهنياً على فن النضال ضد الشرطة السياسية، تزداد صعوبة «اصطياد» هذه المنظمة و٥) **يزداد** عدد ابنـــاء الطبقة العاملـــة والطبقات الاجتماعية الاخرى الذين تتاح لهم امكانية الاشتراك في الحركة والعمل النشيط فيها

انـــي اطلب الى اصحابنا «الاقتصاديين» والارهـــابيين و«الاقتصاديين-الارهابيين» * ان يدحضوا هذه الصيغ التي لـــن

---

* ربمـــا كان هذا التعبير اضبط من التعبير السابق بالنسبـــة «لسفوبودا»، اذ انها تدافع عن الارهابية في مقال «بعث الثورية» وعن

اتناول منها الآن غير الصيغتين الاخيرتين ان مسألة ما اذا كان القبض على «دستة من الاذكياء» اسهل من القبض على «مئة من الحمقى» تؤول الى المسألة التي حللناها هل **المنظمة** الجماهيرية ممكنة مع ضرورة المراعاة الدقيقة لقواعد العمل السري ؟ لن نستطيع بحال من الاحوال ان نرفع منظمة واسعة الى ذلك المستوى من السرية الذي لا يمكن بدونه حتى الحديث عن نضال ضد الحكومة له صفة الثبات والاستمرارية ان تركيز جميع الوظائف السرية في ايدى اقل عدد ممكن من الثوريين المحترفين لا يعني قط ان هؤلاء «سيفكرون عوضاً عن الجميع» وان الجموع لن تساهم في **الحركة** بنشاط بل بالعكس فان الجموع ستبرز هؤلاء الثوريين المحترفين بعدد يتزايد باستمرار لأن الجموع ستعرف عندئذ انه لا يكفي ان يجتمع عدد من الطلاب والعمال القائمين بالنضال الاقتصادي ويشكلوا «اللجنة» انما ينبغي للجموع ان تنفق السنين على تنشئة ثوريين محترفين من صلبها وسينصرف «تفكير»ها الى هذه التنشئة بالذات لا الى العمل الحرفي وحده

«الاقتصادية» في المقال الذي نبحثه يمكننا ان نقول عن «سفوبودا» بصورة عامة الرغبة شديدة والنتيجة مرة ان لدى «سفوبودا» قابليات ممتازة ومقاصد حسنة ولكنها لا تعطي في النتيجة غير التشويش تشويش ينشأ بصورة رئيسية عن ان «سفوبودا» اذ تدافع عن استمرارية المنظمة لا تريد ان تعترف باستمرارية الفكرة الثورية والنظرية الاشتراكية-الديموقراطية فمن يسع ليبعث مرة اخرى الثوري المحترف («بعث الثورية») ويقترح لبلوغ ذلك ، اولاً ، الارهاب التهييجي ، وثانياً ، «منظمة عمال متوسطين» («سفوبودا» ، العدد ١ ، ص ٦٦ وما يليها) «يدفعون من الخارج» لاقل حد ممكن ــ يشبه من يريد ان يدفىء مسكنه فيهدمه ليجعل منه حطباً .

ان تركيز الوظائف السرية **للمنظمة** لا يعني اطلاقاً تركيز جميع وظائف **الحركة** فاشتراك اوسع **الجماهير** اشتراكاً نشيطاً في المنشورات السرية لا يقل من جراء تركيز «دستة» من الثوريين المحترفين للوظائف السرية في هذا العمل بل بالعكس **يزداد** اضعافاً مضاعفة ليس من طريق غير هذا الطريق يوصلنا الى جعل امر قراءة المنشورات السرية والمساهمة في تحريرها وحتى امر توزيعها الى حد معين **تكف تقريباً عن ان تكون امراً سرياً** لأن الشرطة لا تلبث ان تفهم ان من الحماقة والمستحيل اللجوء الى الاجراءات القضائية والادارية بصدد كل نسخة من الوف النسخ الموزعة ولا ينطبق ذلك على الصحافة وحسب ، انما ينطبق ايضاً على جميع وظائف الحركة بما في ذلك المظاهرات فاشتراك الجمهور في المظاهرة انشط اشتراك واوسعه عدا انه لا يصاب بأي ضرر ، يستفيد جداً اذا ما قامت «دستة» من الثوريين المجربين والمدربين تدريباً مهنياً لا يقل عن تدريب الشرطة عندنا بتركيز جميع النواحي السرية في العمل – تحضير المناشير وضع مشروع تقريبي تعيين هيئة قيادة لكل حي من احياء المدينة ولكل منطقة من مناطق المعامل ولكل مدرسة الخ. (اعلم انهم سيعترضون علي بأن نظراتي «غير ديموقراطية» ولكني سأجيب بالتفصيل على هذا الاعتراض الاخرق تماماً فيما يأتي من البحث) ان تركيز منظمة الثوريين لاكثر الوظائف سرية لا يضعف انما يزيد سعة ومضمون نشاط مجموعة كبرى من المنظمات الاخرى المعدة للجمهور الواسع والتي تخلو بسبب ذلك لاقصى حد ممكن من الشكل التنظيمي والسرية : كنقابات العمال وحلقات العمال للدراسة ولقراءة المنشورات السرية والحلقات الاشتراكية وكذلك الحلقات الديموقراطية بين **جميع** فئات السكان الاخرى الخ. الخ. ان هذه الحلقات والنقابات والمنظمات ضرورية في كل مكان ، **وباكبر** عدد ممكن

وبوظائف متنوعة ما امكن ولكن من خطل الرأي ومن الضرر ان **نخلط** بينها وبين منظمة **الثوريين** وان نطمس الحد الفاصل بين هذه المنظمات ومنظمة الثوريين وان نطفى في الجمهور نور الادراك الذي سبق له وخبا الى حد لا يصدق ، الادراك بان الحركة الجماهيرية تحتاج «لخدمتها» الى اناس يكرسون انفسهم خصيصا وكليا للنشاط الاشتراكي-الديموقراطي وانه ينبغي لهؤلاء الناس ان **يربوا** من انفسهم بصبر ومثابرة ثوريين محترفين

اجل ، لقد خبا هذا الادراك لدرجة يصعب تصورها والخطيئة الرئيسية التي اقترفناها في ميدان التنظيم هي كوننا **بعملنا الحرفي ، قد اسأنا الى سمعة الثوري في روسيا** ثوري ضيق الافق ضعيف ومتردد في القضايا النظرية يجعل من عفوية الجماهير مبرراً لرخاوته اشبه بسكرتير تريديونيون منه الى خطيب شعبي ، غير كفء لعرض برنامج واسع جريء ينتزع احترام الخصوم انفسهم قليل الخبرة واخرق في الفن الذي اتخذه لنفسه مهنة – النضال ضد الشرطة السياسية ، – هل هذا هو الثوري من فضلكم ! لا ، ان هذا حرفي يستحق الشفقة

ارجو الا يعتب علي احد من المشتغلين في الميدان العملي لهذه الكلمة الخشنة اذ اني انسبها لنفسي قبل كل شيء ما دمنا نتحدث عن قلة الاستعداد لقد عملت في حلقة (٩١) وضعت نصب عينيها اهدافاً واسعة شاملة وقد شعرنا جميعنا نحن اعضاء هذه الحلقة بالالم يحز في قلوبنا اذ ادركنا اننا حرفيون في ظرف تاريخي يمكننا ان نقول فيه مع بعض التغيير لعبارة من العبارات الشائعة اعطونا منظمة من الثوريين ، نقلب روسيا رأساً على عقب وبمقدار ما وجب علي منذ ذلك الحين ان اتذكر شعور الخجل الممض الذي كان يحز في نفسي آنذاك كانت تمتلئ نفسي بالمرارة ضد اولئك الاشتراكيين-الديموقراطيين المزيفين الذين

«يهينون لقب الثوري» بدعايتهم والذين لا يفهمون ان واجبنا ليس الدفاع عن الهبوط بالثوري الى مستوى الحرفي بل **رفع** الحرفيين الى مستوى الثوريين .

د) سعة العمل التنظيمي

سمعنا فيما تقدم من ب–ف عن «نقص القوى الثورية القادرة على العمل النقص الذي يشعر بوجوده في جميع انحاء روسيا لا في بطرسبورغ وحدها» ولا احسب ان هنالك احداً يعارض هذا الواقع ولكن القضية هي في كيفية تفسيره يقول ب–ف

«لن ناخذ في تبيان الاسباب التاريخية لهذه الظاهرة ؛ حسبنا ان نقول ان المجتمع ، وقد اضعفت معنوياته رجعية سياسية استمرت طويلاً وجزاته التغيرات الاقتصادية التي جرت ولا تزال تجري فيه ، لا يقدم من صفوفه غير **عدد محدود جداً من الاشخاص الصالحين للعمل الثوري** ، وان نقول ان الطبقة العاملة بتقديمها عمالاً ثوريين ، تكمل جزئياً صفوف المنظمات السرية ؛ ولكن عدد هؤلاء الثوريين لا يفي بمتطلبات الزمن وهذا صحيح لا سيما وان العامل المشغول في المعمل ١١ ١/٢ ساعة كل يوم لا يمكنه بحكم وضعه ان يقوم بصورة رئيسية بغير وظيفة التحريض اما وظائف الدعاية والتنظيم وانتاج المنشورات السرية وايصالها ، واصدار المناشير ، الخ .، فيقع ثقلها الاكبر بالضرورة على كواهل عدد قليل جداً من المثقفين» («رابوتشييه ديلو» ، العدد ٦ ، ص ٣٨–٣٩)

نحن لا نوافق ب–ف على رأيه هذا في نقاط كثيرة ولا نوافقه بوجه خاص على الكلمات التي طبعناها بالحرف العريض والتي تظهر بجلاء خاص ان ب–ف ، وقد عانى الكثير من الآلام (شأن كل من مارس النشاط العملي وكان مفكراً الى حد ما) بسبب عملنا الحرفي لا يستطيع لوجوده تحت ضغط «الاقتصادية» تحسس مخرج من الوضع الذي لا يطاق . لا ، ان المجتمع يقدم من صفوفه

عدداً كبيراً جداً من الاشخاص الاكفاء «للعمل» ، ولكننا لا نحسن الاستفادة منهم جميعاً ان وضع حركتنـــا الحرج وضعهـــا الانتقالي يمكن اجماله من هذه الناحية كما يلي **لا يوجد ناس — وتوجد كثرة من الناس** كثرة من الناس لأن الطبقة العاملة وفئات من المجتمع متزايدة التنوع تقدم من سنة لاخرى عدداً متعاظماً من الساخطين الراغبين في الاحتجاج والمستعدين للمساهمة على قدر الطاقة في النضال ضد الاستبداد الذي لم يدرك الجميع بعد انه غدا لا يطاق ولكن يحس به مع ذلك جمهور كبير يتعاظم باستمـــرار احساساً يشتد باطراد وفى الوقت نفسه لا يوجد ناس وذلك لعدم وجود قادة ، لعدم وجود زعماء سياسيين ، لعدم وجود منظمين موهوبين اكفاء لتنظيم عمل واسع وفي الوقت نفسه موحـــد ومنسجم يسمح بالاستفادة من كل القوى ، حتى اضعفها ان «نمو وتطور المنظمات الثورية» لا يتأخران عن نمو حركة العمال وحسب ، وهو الامر الذي يعترف به ب—ف ايضاً بل يتأخران كذلك عن نمو الحركة الديموقراطية العامة في جميع فئات الشعب (الا انه من المحتمل ان يعتقد ب—ف اليوم ان هذا ايضاً تتمة لاستنتاجه) ان نطاق العمل الثوري ضيق جداً بالقياس الى سعة اساس الحركـــة العفوي ، مضغوط جداً بالنظرية الفقيرة القائلة بـ«النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» هذا في حين ان «التوجه الى جميع طبقات السكان» * ليس اليوم واجب المحرضين السياسيين وحدهم ،

* يلاحظ ، مثلاً ، في الآونة الاخيرة ان الروح الديموقراطية آخذة في الانتعاش الاكيد في اوساط الجيش ، ويفسر ذلك بصورة جزئيـــة بتواتر المعارك التي تدور في الشوارع ضد «اعداء» كالعمال والطلاب ومد تتوفر لدينا القوى اللازمة لذلك يتوجب علينا حتماً ان نوجه انتباهنا الجدي الى الدعاية والتحريض بين الجنود والضباط والى تكوين «منظمات عسكرية» تنتسب الى حزبنا .

انما هو كذلك واجب المنظمين الاشتراكيين-الديموقراطيين ولا احسب ان احداً من المشتغلين في الميدان العملي يشك بانه يمكن للاشتراكيين-الديموقراطيين ان يوزعوا الالوف من الوظائف الجزئية في عملهم التنظيمي بين بعض ممثلي مختلف الطبقات فانعدام التخصص ، – الامر الذى يشكو منه ب – ف بمرارة وبملء الحق – هو نقص من اكبر النواقص فى تكنيكنا وبمقدار ما تصغر مختلف «عمليات» العمل المشترك ، تزداد امكانية ايجاد الاشخاص القادرين على القيام بهذه العمليات (وغير القادرين بتاتاً في معظم الحالات على ان يصبحوا ثوريين محترفين) ، وتزداد بالنسبة الى الشرطة صعوبة «اصطياد» جميع هؤلاء «القائمين بالجزئيات» وصعوبة تلفيق «قضية» تبرر نفقات الدولة على «الامن العام» من اجل القبض على شخص وهو يقوم بعمل تافه اما فيما يخص عدد المستعدين لمساعدتنا ، فقد سبق لنا ان اشرنا في الفصل السابق الى التغيرات الكبرى التي وقعت في هذا الحقل منذ نحو خمس سنوات على الاكثر. ولكن من جهة اخرى لكي نوحد جميع هذه الاجزاء الصغيرة في كل واحد ولكيلا تؤدي تجزئة وظائف الحركة الى تجزئة الحركة نفسها ولكي نوحي الى القائم بالوظائف الجزئية الايمان بضرورة واهمية عمله الايمان الذى لن يعمل ابدا بدونه * – لكل هذا

* اذكر ان احد الرفاق حدثنى ذات يوم عن مناظر في معمل كان على استعداد لأن يساعد الاشتراكية-الديموقراطية وهو يساعدها ؛ ولكنه كان يشكو بمرارة من كونه لا يعلم ما اذا كانت «اخباره» تصل الى المركز الثوري الحقيقي وما اذا كانت مساعدته مفيدة ، وما اذا كانت هناك امكانية للاستفادة من خدماته الجزئية الصغيرة وكل مشتغل في الحقل العملي يعرف طبعا حالات مماثلة كثيرة افتقدنا فيها عملنا الحرفي الحلفاء بيد ان هناك مستخدمين وموظفين في دوائر البريد والسكك الحديدية والجمارك ولدى الاعيان والكهنة وفي جميع الدوائر الاخرى بما في ذلك الشرطة والبلاط نفسهما ، فضلاً عن المستخدمين والموظفين في المعامل ، كانوا يستطيعون

يتطلب الامر على وجه الدقة منظمة قوية من الثوريين المجربين وفي حالة وجود هذه المنظمة يشتد الايمان بقوة الحزب ويتسع بمقدار مراعاة هذه المنظمة لقواعد العمل السري فمن المعروف ان احد الامور الهامة منتهى الاهمية في الحرب هو ان تشيع الايمان بقواك لا في جيشك وحسب بل في العدو وفي جميع العناصر **المعايدة** ايضا فالحياد مع التحبيذ يقرر في بعض الاحيان نتيجة المعركة وفي حالة وجود منظمة كهذه تقف على قاعدة نظرية وطيدة وتحت تصرفها جريدة اشتراكية-ديموقراطية لا يخشى على الحركة من ان تخرجها عن طريقها العناصر «الخارجية» الكثيرة المنجذبة اليها (بالعكس ، نلاحظ الآن بالضبط ، في ظل العمل الحرفي كيف يُجر كثيرون من الاشتراكيين-الديموقراطيين فى خط "Credo" حاسبين انهم وحدهم الاشتراكيون-الديموقراطيون) وباختصار ان التخصص يفترض بالضرورة التمركز ويتطلبه كأمر لا بد منه

ولكن ب-ف نفسه ، الذي بين بصورة رائعة ضرورة التخصص لا يقدره حسب رأينا التقدير الكافي في القسم الثاني من المقطع الذي اثبتناه انه يقول ان عدد الثوريين المنبثقين من

ان يقدموا لنا وهم سوف يقدمون لنا خدمات «صغيرة» اذا نظر اليها منفردة وعظيمة الاهمية اذا نظر اليها بمجموعها ! ولو كان لدينا منذ الآن حزب حقيقي ، لو كانت لدينا منظمة ثوريين كفاحية حقا لما تهافتنا على جميع هؤلاء «المساعدين» ، ولما سارعنا الى جرهم ، دائما وبالضرورة ، الى لجة «السرية» ، بل كنا بالعكس ، حرصنا عليهم اشد الحرص ، وحتى عملنا خصيصا على تحضير الناس لهذه الوظائف متذكرين ان كثيرين من الطلاب يمكنهم ان يقدموا للحزب بصفة موظفين «مساعدين» ، فوائد اكبر من الفوائد التي يقدمونها بصفة ثوريين «لآجال قصيرة» غير ان تطبيق هذه الخطة ــ واكرر ذلك مرة اخرى ــ لا يحق الا لمنظمة وطيدة تماما لا تعاني نقصا في القوى النشيطة .

العمال غير كاف وهذا صحيح كل الصحة ونحن نؤكد مـــرة اخرى ان «هذا النبأ القيم من مراقب عن كثب» يثبت بصورة تامة صحة نظرتنا عن اسباب الازمة الراهنة في الاشتراكية-الديموقراطية، وبالتالي عن وسائل الخروج منها فالقضية لا تقتصر على تأخر الثوريين بوجه عام عن مجاراة نهوض الجماهير العفوي فالعمـــال الثوريون متأخرون هم ايضاً عن مجاراة نهوض جماهير العمـــال العفوي وهذا **الواقع** يثبت بكل جلاء وحتى من وجهة النظـــر «العملية». خطل «التربية» التي يكثرون من تقديمها لنا عند بحث مسألة واجباتنا حيال العمال كما يثبت فضلاً عن ذلك **طابعهـــا السياسي الرجعي** فهذا الواقع يدل على ان واجبنا الاول الواجب الذي يفرض نفسه فرضاً هو المساعدة على تنشئة ثوريين عمال يقفون على صعيد واحد مع الثوريين المثقفين **من وجهة نظر النشاط الحزبي** (ونحن نكتب بحرف عريض كلمات من وجهة نظـــر النشاط الحزبي لأن بلوغ العمال هذا المستوى من وجهات النظر الاخرى امر اقل سهولة بكثير واقل الحاحاً بكثير وان كان ضرورياً) ولذلك يجب علينا ان نضع نصب عيوننا **بصورة رئيسية رفـــع** العمال الى مستوى الثوريين **لا الهبوط** حتماً بانفسنـــا نحن الى مستوى «جماهير العمال» كما يريد «الاقتصاديون» او حتماً الى مستوى «العامل المتوسط» كما تريد «سفوبودا» (التي ترتفع في هذا الصدد الى الدرجة الثانية من «التربية» الاقتصاديـة) لـــم يخطر لي قط ان انكر ضرورة اصدار منشورات للعمال بلغـــة مبسطة وضرورة اصدار منشورات اخرى بلغة مبسطة جداً (على ان لا تكون مبتذلة طبعاً) للعمال المتأخرين جداً ولكن ما يثيرني هو هذا الميل الدائم الى لصق التربية بقضايا السياسة وقضايـــا التنظيم فانتم ايها السادة الاوصياء على «العامل المتوسط» تهينون العامل في جوهر الامر برغبتكـــم الدائمة في **الانحناء** ازاءه قبل ان

تتحدثوا اليه عن السياسة العمالية والمنظمة العمالية ارفعوا رؤوسكم اذن لتتحدثوا عن الامور الجدية ودعوا التربية للمزبين لا للسياسيين والمنظمين ألا يوجد بين المثقفين ايضاً مبرزون و«متوسطون» و«جمهور» ؟ ألا يعترف الجميع بضرورة اصدار منشورات بلغة مبسطة للمثقفين ايضاً أولا تكتب مثل هذه المنشورات ؟ تصوروا ان كاتباً كتب مقالاً عن منظمة الطلبة الجامعيين او الثانويين واخذ يجتر بلهجة من اكتشف اكتشافاً عظيماً ويقول ان اول ما يجب هو ايجاد منظمة «للطلبة المتوسطين» اكبر الظن ان الناس سيسخرون من هذا الكاتب بحق كامل وسيقولون له ان كانت لديك افكار تنظيمية فهاتها واتركنا نقرر حينذاك بأنفسنا من منا «المتوسط» ومن منا الاعلى ومن منا الادنى اما اذا كان وفاضك خالياً من الافكار التنظيمية الخاصة بك ، فاعلم ان جميع محاولاتك العقيمة عما يخص «الجمهور» و«المتوسطين» تبدو مجرد لغو ممل اعرف ، اذن ، ان قضايا «السياسة» و«التنظيم» هي بحد ذاتها قضايا خطيرة بحيث لا يجوز الكلام عنها الا بجدية كاملة يمكن ويجب **اعداد** العمال (والطلبة الجامعيين والثانويين) لكي **يصبح بالامكان الحديث** معهم عن هذه المسائل ؛ ولكن ما دمت قد شرعت بالحديث فاعط الاجوبة الحقيقية ولا تتقهقر شطر «المتوسطين» او شطر «الجمهور» ، ولا تحاول التملص بعبارات او نكات *

* «سفوبودا» ، العدد ١ ، مقال «المنظمة» ، ص ٦٦ «ان جماهير العمال ستدعم بكل قوتها جميع المطالب التي ستصاغ باسم **العمل** الروسي» لا بد لكلمة العمل من ان تكتب بالحرف الكبير ! ويهتف الكاتب نفسه «لست بعدو للمثقفين على الاطلاق ، ولكن» (**ولكن** هذه هي التي ترجمها شدرين بكلمات : ليس يمكن للاذنين ان تعلوا على الجبهة !) «ولكني اغتاظ جداً على الدوام عندما يأتيني شخص ويتحفني بما عنده من اشياء جميلة رائعة طالبا قبولها لما لها (او له ؟) من الجمال والمزايا الاخرى» (ص ٦٢) . وانا ايضا «اغتاظ جداً على الدوام» من هذا ...

ان العامل الثوري ، لكي يكون على استعداد تام للقيـــام بمهمته ينبغي له هو ايضاً ان يصبح ثورياً محترفاً ولذا كان ب – ف على غير صواب اذ يقول انه لما كان العامل مشغولاً في المعمل ١١١/٢ ساعة فان سائر الوظائف الثورية الاخرى (عدا التحريض) «يقع ثقلها الاكبر **بالضرورة** على كواهل عدد قليل جداً مـــن المثقفين» كلا ليس ذلك اطلاقاً «بالضرورة» ، بل بحكم تأخرنا ان ذلك يحدث لأننا لا ندرك اننا ملزمون بمساعدة كل عامل موهوب على التحول الى **محترف** في الدعاية والتحريض وفي التنظيم والتوزيع الخ . ، الخ . فنحن ، من هذه الناحية ، نبدد قوانا بصورة مشينة تماماً ولا نحسن صيانة ما ينبغي لنا ان ننميه وننشئه بكـــل عناية انظروا الى الالمان قواهم اكثر من قوانا بمئة مرة ، ولكنهم يعرفون خير المعرفة ان صفوف «المتوسطين» لا تقدم اطلاقاً في كثير جداً من الحالات محرضين اكفاء حقاً ولذلك يسعون لكي يضعوا على الفور كل عامل موهوب في ظروف تضمن تفتح مواهبه على احسن وجه والاستفادة منه على احسن وجه يجعلون منه محرضاً محترفاً ويشجعونه على توسيع ميدان نشاطه وجعله يتجاوز حدود المعمل ليشمل المهنة كلها ويتجاوز حدود المنطقة ليشمل البلاد كلها فيحصل هذا العامل على الخبرة وعلى المهارة في مهنته ويوسع افقه ومعارفه ويتتبع عن كثب البارزين من الزعمـــاء السياسيين في المناطق الاخرى والاحزاب الاخرى ويسعى للارتفـــاع الى هذا المستوى ويعمل ليجمع في نفسه معرفة البيئة العماليـــة وطراوة العقائد الاشتراكية مع التدريب المهني الذي **لا يمكن** للبروليتاريا بدونه ان تقوم بنضال عنيد ضد اعدائها المدربين على خير وجه بهذا الشكل وبهذا الشكل وحده ينبثق من جمهور العمال امثال بيبل وآوير ولكن ما يجري الى حد كبير من تلقاء نفسه في بلاد تتمتع بالحرية السياسية ، ينبغي ان يحقق عندنا بصورة منتظمة

من قبل منظماتنا ان المحرض العامل **لا ينبغي** ان يعمل في المعمل احدى عشرة ساعة اذا كان موهوباً و«باعثاً للآمال» ولو الى حد ضئيل ينبغي لنا ان نبذل جهدنا لكي يعيش على نفقة الحزب لكي ينتقل الى السرية في الوقت الملائم لكي يغير مكان نشاطه اذ انه ان لم يفعل ذلك لا يمكنه ان يكتسب خبرة كبيرة وان يوسع افقه وان يصمد عدة سنوات على الاقل في النضال ضد الدرك وكلما اتسع نهوض جماهير العمال العفوي وازداد عمقاً يبرز من صفوفها عدد اكبر لا من الموهوبين في التحريض وحسب بل من الموهوبين كذلك في التنظيم وفي الدعاية ومن «المشتغلين في الميدان العملي» بمعنى الكلمة الحسن (القلائل جداً عندنا بين مثقفينا الذين هم في معظمهم على شيء من الرخاوة والجمود الروسيين) وعندما تصبح لدينا فصائل من الثوريين العمال المعدين اعداداً خاصاً والذين اجتازوا مدرسة نضال طويـــــل (والاختصاصيين طبعاً في «جميع الاسلحة») عندئذ لا يمكن لأية شرطة سياسية في العالم ان تتغلب على هذه الفصائل لأن هذه الفصائل المؤلفة من اناس مخلصين للثورة منتهى الاخلاص ستتمتع ايضاً بثقة لا حد لها بين اوسع جماهير العمال **وخطأنا** الأكيد هو كوننا قلما «ندفع» العمال الى هذه الطريق المشتركة بينهم وبين «المثقفين» طريق التدريب الثوري المهني ونكثر من جرهم الى الوراء بخطاباتنا البليدة عما هو «في متناول» جماهير العمال و«العمال المتوسطين» ، الخ

ان ضيق نطاق العمل التنظيمي هو من هذه الناحية كما في النواحي الاخرى ، على صلة لا تنفصم عراها ولا شك فيها بتضييق نظريتنا ومهامنا السياسية (وان كانت الاغلبية الساحقة مـــــن «الاقتصاديين» والمشتغلين في الميدان العملي المبتدئين لا يعون هذه الصلة) فتقديس العفوية يبعث فينا الخوف من ان نحيد ولو خطوة عما هو «في متناول» الجمهور ، الخوف من ان نرتفع جداً عن

مجرد ارضاء حاجاته الحالية المباشرة لا تخافوا ايها السادة تذكروا ان مستوانا التنظيمي على درجة من الانحطاط بحيث ان من السخف مجرد التفكير باننا **نستطيع** الارتفاع **اكثر من اللازم**

هـ) المنظمة «التآمرية» و«الروح الديموقراطية»

وهذا بالذات ما يخافه منتهى الخوف اناس كثيرون جداً بيننا ، مرهفو السمع «لصوت الحياة» الى حد هذا الخوف ، وهم يتهمون الذين يتمسكون بالنظرات المعروضة هنا بالسير على خطى «نارودنايا فوليا» وبعدم فهم «الروح الديموقراطية» الخ . وينبغي لنا ان نقف عند هذه الاتهامات التي كانت «رابوتشييه ديلو» طبعاً من مرددیها

ان كاتب هذه الاسطر يعلم حق العلم ان «الاقتصاديين» في بطرسبورغ قد اتهموا «رابوتشايا غازيتا» كذلك بالسير على خطى «نارودنايا فوليا» (وهو امر لا يستغرب اذا ما قورنت بـ«رابوتشايا ميسل») ولذلك لم نستغرب ابداً عندما بلغنا احد الرفاق فور صدور «الايسكرا» ان الاشتراكيين-الديموقراطيين في مدينة معينة يصفون «الايسكرا» بانها جريدة جماعة «نارودنايا فوليا» وغنى عن القول اننا لم نر في هذا الاتهام غير نوع من المديح فهل وجد اشتراكي-ديموقراطي جدير بهذا الاسم لم يتهمه «الاقتصاديون» بالسير على خطى «نارودنايا فوليا» ؟

ان هذه الاتهامات ناشئة عن سوء تفاهم مزدوج الأول ان تاريخ الحركة الثورية مجهول عندنا لدرجة تنسب معها الى جماعة «نارودنايا فوليا» كل فكرة عن منظمة كفاح متمركزة تعلن الحرب بحزم على القيصرية ولكن تلك المنظمة الرائعة التي كانت لدى الثوريين في العقد الثامن والتي ينبغي لها ان تكون نموذجاً نحتذيه

جميعا لم تؤسسها جماعة «نارودنايا فوليا» بل اسستها جماعة «**زيمليا إي فوليا**» (٩٢) التي انشقت فيما بعد الى جماعة «تشيورني بيريديل» وجماعة «نارودنايا فوليا» فمن الحماقة اذن من وجهتي النظر التاريخية والمنطقية ان نرى في منظمة الكفاح الثورية سمة من السمات التي اختصت بها جماعة «نارودنايا فوليا» لان **كل** اتجاه ثوري شرط ان يستهدف فعلاً القيام بنضال جدي لا يمكنه ان يستغني عن مثل هذه المنظمة فجماعة «نارودنايا فوليا» لم تخطئ اذ دأبت على ان تجذب الى منظمتها **جميع** الساخطين وعلى ان توجه هذه المنظمة الى النضال الحازم ضد الحكم المطلق بل انما كان ذلك ، بالعكس ، مأثرتها التاريخية العظمى لقد كان خطأ هذه الجماعة انها استندت الى نظرية ليست في الجوهر بثورية اصلاً ، وانها لم تعرف او لم تستطع ربط حركتها ربطاً وثيقاً بالنضال الطبقي داخل المجتمع الرأسمالي المتطور ان الرأي القائل بان نشوء حركة العمال الجماهيرية العفوية **يخلصنا** من واجب تأسيس منظمة ثوريين جيدة كالمنظمة التي اسستها جماعة «زيمليا إي فوليا» بل تفضلها جداً ، لا يمكن ان ينبثق الا على اساس عدم فهم للماركسية فظ الى ابعد حدود الفظاظة (او على اساس «فهم»ها على نمط «الستروفية») بالعكس ، ان هذه الحركة **تفرض** علينا بالذات هذا الواجب لأن نضال البروليتاريا العفوي لا يصبح «نضالاً طبقياً» حقاً للبروليتاريا الا عندما توجهه منظمة ثوريين قوية

الثاني ان هناك كثيرين ومنهم ب. كريتشيفسكي على ما يبدو («رابوتشييه ديلو» العدد ١٠ ، ص ١٨) لا يفهمون على الوجه الصحيح ذلك الجدال الذي خاضه الاشتراكيون-الديموقراطيون على الدوام ضد المفهوم «التآمري» للنضال السياسي لقد وقفنا وسنقف على الدوام طبعاً في وجه **حصر** النضال السياسي في نطاق

التآمر * ولكن ذلك لم يعن على الاطلاق اننا ننكر ضرورة وجود منظمة ثورية قوية ففي الكراس المشار اليـــه في الملاحظة مثلاً قد اعطينـــا الى جانب الجدال ضـــد الهبوط بالنضال السياسي الى مستوى التآمر ، خطوطاً عامة لمنظمة (معروضة كأنها المثل الاعلى الاشتراكي-الديموقراطي) بالغة من القوة حداً تستطيع معه ان «تلجأ من اجل توجيه الضربة القاضية للحكم المطلق» الى «الانتفاض» والى كل «طريقة اخرى من طرق الهجوم» ** ومن حيث **الشكل** يمكن وصف مثل هذه المنظمة الثورية القوية في بـلاد يسودهـــا الحكم المطلق بانها منظمة «تآمرية» ، لأن كلمـــة "conspiration" الفرنسية تعادل الكلمـــة الروسية «زاغوفور» («التآمر») والتآمرية ضرورية لمثل هذه المنظمـة الى اقصى حد ان التآمرية شرط ضروري جداً لهذه المنظمة بحيث ينبغي لجميع الشروط الاخرى (كعدد الاعضاء وطريقة اختيارهم ووظائفهم

---

* قارن «واجبات الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» ، ص ٢١ ، جدال ضد لافروف

** «واجبات الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس»، ص ٢٣ وهذا ، بالمناسبة ، مثل آخر يظهر ان **«رابوتشييه ديلو»** اما انها لا تفقـه مـا تقول او انها تتقلب مع «كل ريح» فقد نشرت «رابوتشييه ديلو» في العدد ١ وبالحرف العريض **«ان فحوى الكراس المعروض يتفق تماما مع برنامج هيئـــة تحريـر «رابوتشييـــه ديلو»»** (ص ١٤٢) أحقـــا تقولون ؟ وهل تتفق مع «الواجبات» النظريـة القائلة بان مهمة اسقاط الحكم المطلق لا يمكن ان توضع امام الحركة الجماهيرية كواجب اول ؟ وهل تتفق مع «الواجبات» نظرية «النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» ؟ وهل تتفق مع «الواجبات» نظرية المراحل ؟ نترك للقارئ ان يحكـم في هل يمكن ان توصف بالاستقرار المبدئي جريدة تفهـــم «التوافق» هذا الفهم الغريب ؟

الخ .) ان تتلاءم معه ولذا ، من السذاجة كل السذاجة ان نخاف نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين من ان نتهم بأننا نريد انشـــاء منظمة تآمرية فمثل هذا الاتهام هو اطراء لكل عدو «للاقتصادية» كالاتهام بالسير على خطى جماعة «نارودنايا فوليا»

يعترض علينا : ان منظمة قوية وسرية جداً تجمع في يديها جميع خيوط النشاط السري وتقوم بالضرورة على المركزية يمكن لها ان تندفع بسهولة فائقة الى الهجوم قبل الاوان يمكن لها ان توتر الحركة بطيش قبل ان يبلغ السخط السياسي والفوران والنقمة في الطبقة العاملة الخ . ، حداً يجعل ذلك امراً ممكنـــاً وضرورياً ونحن نجيب على ذلك قائلين اذا تكلمنا بصورة مجردة فلا يصح طبعاً ان ننكر انه **من المحتمل** ان تشن المنظمة الكفاحية دونما تبصر معركة **يحتمل** ان تنتهي الى هزيمة ليست محتمة ابداً في ظروف اخرى ولكن الاقتصار على الاعتبارات المجردة في مثل هذه المسألة امر مستحيل اذ ان كل معركة تنطوي من الناحية المجردة على احتمال الهزيمة وليس هناك وسيلـة **لتقليل** هذا الاحتمال غير الاستعداد للمعركة بصورة منظمة اما اذا طرحنا المسألة على الصعيد الملموس على صعيد الظروف الروسية الراهنة فلا بد من ان نخلص الى استنتاج ايجابي ، وهو ان المنظمة الثورية القوية امر ضروري تماماً وذلك بالضبط لاعطاء الحركة طابع الثبات **ولوقايتها** من احتمال الهجمات الطائشة فاليوم على وجه الدقة اذ تنقصنا هذه المنظمة واذ تنمو الحركة الثورية بصورة عفويـــة وسريعة **نلاحظ منذ الآن** قطبين متضادين («يلتقيان» كما ينبغي لهما) فمن ناحية ، «اقتصادية» واهية تماماً ، وتبشير بالاعتدال ؛ ومن ناحية اخرى «ارهاب تهييجي» يضاهي الاولى في الوهي ويسعى الى ان «يثير بصورة مصطنعـــة اعراض الانتهـــاء في حركة آخذة في النمو والتعزز ولكنها ما تزال اقرب الى نقطة البداية

منها الى نقطة النهاية» (ف. زاسوليتش «زاريا» العدد ٢-٣ ص ٣٥٣) ويتبين من مثال «رابوتشييه ديلو» ان هنالك في **الواقع** اشتراكيين-ديموقراطيين يلقون السلاح امام كلا القطبين وهذه الظاهرة لا تستدعي اي استغراب لاسباب عديدة منها ان «النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» لا يمكن **ابداً** ان يرضي الثوري ولأن الاقطاب المتضادة ستنبثق على الدوام تارة هنا وتارة هناك ان منظمة كفاحية متمركزة تنتهج السياسة الاشتراكية-الديموقراطية دون عوج وترضي ان امكن القول جميع الغرائز والمطامح الثورية هي وحدها القادرة على حفظ الحركة من الهجمات الطائشة وعلى تحضير هجوم يبعث على الامل بالنجاح

ويعترض علينا ايضاً ان وجهة النظر المعروضة بصدد المنظمة تتناقض و«المبدأ الديموقراطي» ان هذا الاتهام ذو طابع **اجنبي بحت** بمقدار ما يستمد الاتهام السابق جذوره من الخصائص الروسية الصرف وما كان يمكن الا لمنظمة تقيم في الخارج («اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس») ان توجه ، من جملة ما وجهت الى هيئة تحريرها ، التعليمات التالية

«**المبدأ التنظيمي** لاجل تطوير وتوحيد الاشتراكية-الديموقراطية بنجاح ينبغي التشديد على المبدأ الديموقراطي الواسع في تنظيمها الحزبي وتطوير هذا المبدأ والنضال في سبيله ، وهو امر ضروري جداً نظراً لظهور ميول معادية للديموقراطية في صفوف حزبنا» («مؤتمران» ، ص ١٨).

كيف تناضل على وجه الدقة «رابوتشييه ديلو» ضد «الميول المعادية للديموقراطية» التي تظهرها «الايسكرا» ؟ سنبين ذلك في الفصل التالي اما الآن فلندرس عن كثب هذا «المبدأ» الذي يعرضه «الاقتصاديون» نحسب ان الجميع يوافقون على ان مفهوم «المبدأ الديموقراطي الواسع» ينطوي على الشرطين الضروريين التاليين : أولاً ، العلنية التامة ، ثانياً ، الا نتخاب الى جميع الوظائف.

فمن المضحك الحديث عن الديموقراطية بدون علنية تكون غير منحصرة في اعضاء المنظمة نحن نصف الحزب الاشتراكي الالماني بانه منظمة ديموقراطية ، لأن جميع اعماله تجري علناً بما في ذلك جلسات مؤتمر الحزب ولكن ليس في وسع احد ان يصف بالديموقراطية منظمة يسترها غطاء السرية عن جميع الذين ليسوا من اعضائها اننا نسأل وأي معنى لوضع «المبدأ الديموقراطي **الواسع**» اذا كان شرطه الاساسي **غير ممكن التحقيق** بالنسبة لمنظمة سرية ؟ هذا «المبدأ الواسع» ليس اكثر من عبارة رنانة ولكنها فارغة وفوق ذلك ان هذه العبارة تدل على جهل تام بمهام الساعة في ميدان التنظيم فالجميع يعلمون مبلغ عدم مراعاة جمهور الثوريين «الواسع» عندنا لقواعد العمل السري وقد رأينا بأي مرارة يشكو من ذلك ب-ف الذي يطالب بملء الحق بـ«اختيار الاعضاء اختياراً دقيقاً» («رابوتشييه ديلو» ، العدد ٦ ، ص ٤٢) وها نحن نرى اناساً يتبجحون بـ«تحسسهم بالحياة» **يؤكدون** في مثل هذه الارضاع لا ضرورة المراعاة الدقيقة لقواعد العمل السري والاختيار الدقيق (وبالتالي الاضيق) للاعضاء بل «المبدأ الديموقراطي **الواسع**» وهذا ما يسمى بالسخافة المطبقة !

وليست الحالة افضل فيما يتعلق بالسمة الثانية من سمتي الديموقراطية ، بمبدأ الانتخاب ان هذا الشرط يعتبر امراً بديهياً في بلدان الحرية السياسية فالفقرة الاولى من النظام الداخلي للحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني تنص على ما يلي «يعتبر عضواً في الحزب كل من يعترف بمبادئ برنامج الحزب ويؤيد الحزب قدر الطاقة» ولما كان الميدان السياسي كله مكشوفاً امام الجميع كالمسرح امام النظارة فان الجميع يعرفون من الصحف والاجتماعات العامة ما اذا كان هذا الشخص او

ذاك يعترف او لا يعترف يؤيد او يعارض ويعلم الجميع ان هذا السياسي او ذاك قد بدأ على هذا النحو او ذاك وانه سلك هذا الاتجاه او ذاك وانه وقف في الساعات الحرجة هذا الموقف او ذاك وانه يمتاز على وجه العموم بهذه الصفات او تلك ، ولذلك يستطيع **جميع** اعضاء الحزب لعلمهم بحقائق الامور ان ينتخبوا هذا الرجل او ان لا ينتخبوه لهذه الوظيفة الحزبية او تلك ان المراقبة العامة (بمعنى الكلمة الحرفي) على كل خطوة يخطوها رجل الحزب فى حياته السياسية تخلق آلية تعمل بصورة اوتوماتيكية وتضمن ما يسمونه في علم الحياة بـ«بقاء الاصلح» وبفضل هذا «الانتخاب الطبيعي» الناشئ عن العلنية التامة وبفضل المبدأ الانتخابي والرقابة العامة ، يصبح كل عضو من الاعضاء في نهاية الامر «في المكان الذى خلق له» ويقوم بالعمل الذي يتناسب احسن التناسب مع قواه وكفاءاته ويتحمل بنفسه جميع تبعات اخطائه ويظهر امام الجميع قدرته على فهم اخطائه وتجنبها

جربوا اذن ادخال هذه اللوحة في اطار الحكم المطلق السائد في بلادنا ! هل من المعقول في ظروفنا ان يقوم جميع «الذين يعترفون بمبادئ برنامج الحزب ويؤيدون الحزب قدر الطاقة» بمراقبة كل خطوة يخطوها الثوري السري ؟ هل من المعقول ان يختار جميع هؤلاء احداً من بين الثوريين السريين اذا كانت مصلحة العمل **تلزم** الثوري بان يخفي هويته عن تسعة اعشار هؤلاء «الجميع» ؟ اعملوا الفكر ولو بعض الشيء في حقيقة معنى الكلمات الطنانة التي القتها «رابوتشييه ديلو» يتضح لكم ان «الديموقراطية الواسعة» في منظمة حزبية تعيش في دياجير الحكم المطلق وفي ظل سيطرة نظام الاختيار الذي يمارسه الدرك ليست **غير لغو فارغ وضار** انها لغو فارغ لأن الديموقراطية **الواسعة** لم تمارس قط ولا يمكن

ان تمارس من قبل اية منظمة ثورية مهما بلغت رغبة هـذه المنظمة في ذلك وهي لغو ضار لأن محاولة تطبيق «المبـدأ الديموقراطي الواسع» لن تكون نتيجتها غير مساعدة الشرطة في تنظيم الاعتقالات الواسعة وغير تخليد الطريقة الحرفية المسيطرة وتحويل انظار القائمين بالنشاط العملي عن المهمة الخطيرة التي تواجههم بالحاح ، مهمة تنمية صفات الثوري المحترف في انفسهم الى تدبيج انظمة مفصلـة «على الورق» عن الطرق الانتخابية ان هذا «اللعب بالديموقراطية» لم يكن من الممكن ان يتطور هنـا وهناك وخصوصاً لدى الفرق الصغيرة ، الا في الخارج حيث لايندر ان يجتمع اناس ممن لا يجدون امكانية القيام بعمل حقيقي وحي

ولكيما يتبين للقارئ مبلغ البشاعة في الوسيلة المفضلـة التي تعمد اليها «رابوتشييه ديلو» اذ تنادي بـ«مبدأ» جميل المظهر كمبدأ الديموقراطية في العمل الثوري ، نلجأ مرة اخرى الى شهادة شاهد . وهذا الشاهد هو ى. سيريبرياكوف المحرر في المجلة اللندنية «ناكانونيه» ، وهو من المغرمين بـ«رابوتشييه ديلو» والحاقدين على بليخانوف و«البليخانوفيين» فمجلة «ناكانونيه» ، في المقالات التي تناولت فيها انقسام «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» في الخارج قد وقفت بحزم الى جانب «رابوتشييه ديلو» وصبت على بليخانوف وابلاً من الكلمات الحقيرة وهذا يجعل لهذه الشهادة في هذه المسألة قيمة اكبر في نظرنا ففي مقال نشرته «ناكانونيه» في العدد ٧ (تموز – يوليو – سنة ١٨٩٩) عنوانه «بصدد نداء جماعة تحرير العمال الذاتي» قال ى. سيريبرياكوف ان من «غير اللائق» اثارة مسائل «الغرور والرئاسة وما يسمى بمجمع الحكماء الاعلى في حركة ثورية جدية» وكتب فيما كتب

«ان ميشكين وروغاتشوف وجيليابوف وميخايلوف وبيروفسكايـا وفيغنر وغيرهم لم يعتبروا انفسهم من الزعماء قط ، ولم ينتخبهـم او

يعينهم احد ، ومع ذلك كانوا زعماء في الحقيقة ، لأنهم في مرحلة الدعاية كما في مرحلة النضال ضد الحكومة قد حملوا على عاتقهم العبء الاكبر من اعباء العمل وتوجهوا الى اشد الاماكن خطراً ، ولأن نشاطهم قد اعطى احسن الثمرات فزعامتهم لم تكن نتيجة رغبتهم ، بل كانت نتيجة الثقة بعقولهم وهمتهم واخلاصهم ، الثقة التي اولاهم اياها الرفاق المحيطون بهم . وعلى ذلك فالخوف اذن من مجمع حكمـــاء (لو لم يكن الخوف موجـوداً فما الداعي للكتابة عنه) ينفرد في ادارة الحركة هو السذاجة عينها فمن ذا الذي يطيعه ؟»

ونحن نسأل القارئ ما الفرق بين «مجمع الحكماء» و«الميول المعادية للديموقراطية» ؟ أفليس من الواضح ان مبدأ «رابوتشييه ديلو» التنظيمي «الجميل المظهر» هو ايضاً ساذج وغير لائق ، ساذج لأنه لن يوجد احد يطيع «مجمع الحكماء» او الناس ذوي«الميول المعادية للديموقراطية» اذا لم توجد «الثقة بعقولهم وهمتهم واخلاصهم من جانب الرفاق المحيطين بهم» . وهو غير لائق ، لأنه نزوة ديماغوجية تستغل غرور البعض وجهل البعض الثاني لحقيقة وضع حركتنا وعدم استعداد البعض الثالث ايضاً وجهله لتاريخ الحركة الثورية ان المبدأ التنظيمي الجدي الوحيد ينبغي ان يكون بالنسبة للعاملين في حركتنا المراعاة الدقيقة لقواعد العمل السري والاختيار الدقيق للاعضاء واعداد الثوريين المحترفين فاذا ما وجدت هذه الصفات حصلنا على شيء اكثر من «الديموقراطية» ، حصلنا بالضبط على الثقة الرفاقية التامة بين الثوريين وهذا الشيء الاكثر هو امر لا نستطيع ابداً الاستغناء عنه ، لأن الاستعاضة عنه بالرقابـــــة الديموقراطية العامة امر لا يمكن ان يطرح على بساط البحث عندنا في روسيا بأي وجه من الوجوه ونخطئ اكبر الخطأ اذا تصورنا ان استحالة تطبيق رقابة «ديموقراطية» حقاً تجعل اعضاء المنظمة الثورية غير خاضعين للرقابة ؛ فليس لديهم من الوقت ما يسمح

لهم بالتفكير في الاشكال الديموقراطية الصبيانية (ديموقراطية داخل نواة متراصة من رفاق يثق احدهم بالآخر كل الثقة) ولكنهم يشعرون **بمسؤوليتهم** اعمق الشعور ويعلمون في الوقت نفسه من تجربتهم ان منظمة الثوريين الحقيقيين لا تحجم عن وسيلة للخلاص من عضو فاسد ولدينا فوق ذلك في الوسط الثوري الروسي (والعالمي) رأي عام متطور بشكل كاف ومتأصل الجذور في اعماق الماضي يعاقب اشد العقاب على كل خروج عن واجبات الرفاقية (و«الديموقراطية» الديموقراطية الحقيقية لا الصبيانية تدخل كجزء من كل في مفهوم الرفاقية !) خذوا كل ذلك بعين الاعتبار تدركوا مبلغ ما يفوح من هذه الخطابات والقرارات بصدد «الميول المعادية للديموقراطية» من نتن اللعب في الخارج بلعبة لجنرالات !

وخليق بنا ان نشير الى ان السذاجة–وهي الينبوع الآخر لهذه الخطابات – تتغذى من عدم وجود فكرة واضحة من الديموقراطية ايضاً فكتاب الزوجين ويب عن التريديونيونات الانكليزية يتضمن فصلاً طريفاً يسترعي الانتباه «الديموقراطية البدائية» يقول المؤلفان في هذا الفصل ان العمال الانكليز في المرحلة الاولى لوجود نقاباتهم كانوا يعتبرون ان اشتراك جميع الاعضاء في جميع اعمال ادارة النقابات سمة ضرورية من سمات الديموقراطية فقد كانت جميع القضايا تقرر بتصويت عام يشترك فيه جميع الاعضاء وفضلاً عن ذلك كانت الوظائف نفسها تمارس من قبل جميع الاعضاء بالتناوب وقد تطلب الامر تجربة تاريخية طويلة لكيما يدرك العمال خراقة هذا المفهوم عن الديموقراطية وضرورة المؤسسات التمثيلية من جهة ووجود موظفين محترفين من الجهة الاخرى وقد تطلب الامر افلاس صناديق النقابات عدة مرات لكيما يفهم العمال ان مسألة النسبة بين ما يدفعونه من اشتراكات

وبين ما يتلقونه من مساعدات لا يمكن ان تحل بالتصويت الديموقراطي وحده وانها تتطلب كذلك رأي اختصاصي في شؤون الضمان خذوا بعد ذلك كتاب كاوتسكي عن البرلمانية والتشريع الشعبي تروا ان استنتاجات النظري الماركسي تطابق الدرس الذي تعلمه من التجربة الطويلة العمال الذين اتحدوا بصورة «عفويـــة» فكاوتسكي يقف بحزم ضد فهم ريتينغهاوزن البدائي للديموقراطية ويسخر من اناس يطلبون باسم هذه الديموقراطية ان «يحرر الشعب مباشرة الجرائد الشعبية» ويبرهن ضرورة الصحفيين والبرلمانيين **المحترفين** الخ لقيادة نضال البروليتاريا الطبقـــي قيادة اشتراكية-ديموقراطية ويهاجم «اشتراكية الفوضوييـن والادباء» الذين ينادون «سعياً وراء لفت النظر» بالتشريع الشعبـــي المباشر ولا يفهمون ان امكانية تطبيقه في المجتمع الراهن نسبية جداً

ان الذين ساهموا في النضال العملي في حركتنا يعرفون مبلغ انتشار مفهوم الديموقراطية «البدائي» بين جماهير الطلاب والعمال فلا غـــرو ان يتسرب هذا المفهوم الى الانظمة الداخليـــة والى المطبوعات «فالاقتصاديون» ذوو الميول البرنشتينية قد كتبوا في نظامهم الداخلي «الفقرة ١٠ جميع القضايا التي تخص المنظمة بمجموعها تقرر باكثرية اصوات جميع اعضائها» ويردد بعدهم «الاقتصاديون» ذوو المفاهيم الارهابية «من الضروري ان تمـر قرارات اللجان بجميع الحلقات وحين ذاك فقط تصبح شرعيـــة» («سفوبودا» العدد ١ ص ٦٧) لاحظـــوا ان طلب التطبيق الواسع للاستفتاء يقدم **اضافة** الى المطالبة ببناء المنظمة **كلها** على المبدأ الانتخابي لا يخطر لنا ببال طبعاً ان نلـــــوم على ذلك المشتغلين في الحقل العملي الذين لم تتح لهم فرص كثيرة للاطلاع على نظرية وعمل المنظمات الديموقراطية الحقيقية . ولكن عندمـا

نرى «رابوتشييه ديلو» التي تدّعي بدور القيادة تكتفي في مثل هذه الظروف بقرار عن المبدأ الديموقراطي الواسع هل نملك انفسنا عن وصف ذلك بانه مجرد «سعي وراء لفت النظر» ؟

و) العمل في النطاق المحلي والروسي العام

اذا كـــانت الاعتراضات الموجهة الى المشروع التنظيمـــي المعروض هنا والتي تدعي بانه غير ديموقراطي وذو طابع تآمري ، لا تقوم على اساس ، فهنالك مسالة اخرى كثيراً ما تثار ويجدر بنا ان نتناولها بالتفصيل وهي مسالة التناسب بين العمل في النطاق المحلي والعمل في النطاق الروسي العام يتساءلـون بقلق ألا يؤدي تشكيل منظمة متمركزة الى انتقال مركز الثقل من الاول الى الثاني ؟ ألا يضر ذلك بالحركة اذ يضعف متانة صلاتنا بجمهـور العمال ويضعضع استقرار التحريض المحلي بوجه عام ؟ ونحـــن نجيب على ذلك بقولنا ان حركتنا في السنوات الاخيرة تشكو على وجه الدقة من كون العاملين في النطاق المحلي يفرطون في الانهماك بالعمل المحلي وان من الضروري نظراً لذلك نقل مركز الثقـــل بعض الشيء الى العمل في النطاق الروسي العام وان هذا النقل لا يضعف بل يعزز متانة صلاتنا واستقرار تحريضنا المحلي فلنأخذ مسالة الجريدة المركزية والجرائد المحلية ونطلب الى القارئ ان لا ينسى ان مسالة الجرائد ليست في نظرنا اكثر من مثل يعطي صورة عن العمل الثوري الواسع جداً والمتنوع جداً بوجه عام

عندما كانت الحركة الجماهيرية في عهدهـــا الاول (سنوات ١٨٩٦–١٨٩٨) قام العاملون في النطاق المحلي بمحاولة لاصدار جريدة لعامة روسيا – «رابوتشايا غازيتا» وفي المرحلة التاليـة (سنوات ١٨٩٨–١٩٠٠) خطت الحركة خطوة كبرى الى الامام ،

ولكن الجرائد المحلية استنفدت انتباه القادة الكامل واذا احصينا جميع هذه الجرائد المحلية يكون الحاصل * بالاجمال اصدار عدد واحد في كل شهر أليس هذا صورة واضحة عن طريقتنا الحرفية ؟ ألا يظهر ذلك بكل وضوح تأخر منظمتنا الثورية عن نهوض الحركة العفوي ؟ واذا ما صدر **العدد نفسه** من الجرائد لا عن جماعات محلية مبعثرة بل عن منظمة واحدة فاننا لا نوفر الكثير من الجهود وحسب بل نضمن ايضاً لعملنا وضعاً من الثبات والاستمرارية افضل جداً وهذا الامر البسيط كثيراً جداً ما يغيب سواء عن نظر العاملين الذين يبذلون جهودهم **بنشاط** على الجرائد المحلية وحدها تقريباً (وبكل اسف لا يزال الوضع كما هو حتى اليوم في معظم الحالات) ام عن نظر الكتاب الصحفيين الذين يظهرون في هذا الامر «دونكيشوتية» مدهشة ان المساهم في الميدان العملي يكتفي عادة بالفكرة القائلة بان اصدار جريدة لعامة روسيا «امر صعب» ** على العاملين المحلين وبان اصدار الجرائد المحلية خير من عدم اصدار اية جريدة والملاحظة الاخيرة صحيحة طبعاً ولا يوجد اي مساهم في الميدان العملي يمكن ان يسبقنا الى الاعتراف بان الجرائد المحلية هي بوجه عام ، ذات اهمية قصوى وفائدة قصوى ولكن الحديث لا يتناول هذه الناحية بل ناحية اخرى هي : ألا نستطيع الخلاص من هذا التبعثر وهذا العمل الحرفي اللذين

---

* راجع «تقرير لمؤتمر باريس» (٩٣) ، ص ١٤ «ومنذ ذلك التاريخ (سنة ١٨٩٧) حتى ربيع سنة ١٩٠٠ صدر في مختلف المناطق ثلاثون عدداً من مختلف الجرائد فقد صدر في المتوسط اكثر من عدد في الشهر»

** هذه الصعوبة ظاهرية فقط اذ **لا توجد** في الواقع اية حلقة محلية ليس في استطاعتها ان تأخذ بنشاط هذه او تلك من وظائف العمل الروسي العام . «لا تقل : لا استطيع ، بل قل : لا اريد» .

تجليا اوضح ما تجليا في ثلاثين عدداً من الجرائد المحلية صدرت في جميع انحاء روسيا في غضون سنتين ونصف لا ينبغي لكم ان تكتفوا بالاعتراف بفائدة الجرائد المحلية بوجه عام وهو امر لا جدال فيه ولكنه عام جداً بل ينبغي لكم ان تجدوا كذلك في انفسكم الرجولة على الاعتراف صراحة بما اظهرته تجربة السنتين والنصف من نواحيها السلبية فقد اظهرت هذه التجربة ان الجرائد المحلية في ظروفنا الراهنة تكشف في اكثر الحالات عن عدم استقرار مبدئي وانها غير ذات اهمية من وجهة النظر السياسية وان تكاليفها كبيرة جداً من وجهة نظر انفاق القوى الثورية وانها غير مرضية قطعاً من وجهة النظر التكنيكية (لا اقصد طبعاً تكنيك الطبع بل اقصد تواتر وانتظام صدورها) وجميع هذه النواقص المذكورة ليست عرضية بل هي نتيجة محتومة لذلك التبعثر الذي يفسر من جهة تفوق الجرائد المحلية في المرحلة التي نبحثها **ويثبت اقدامه** من جهة اخرى من جراء هذا التفوق وفي الحقيقة **ليس بمستطاع** اية منظمة محلية ان تضمن لجريدتها الثبات المبدئي وان ترفعها الى مستوى الجريدة السياسية **ليس بمستطاع** اية منظمة محلية ان تجمع المواد الكافية وان تستفيد منها لالقاء الضوء على حياتنا السياسية كلها اما تلك الحجة التي يدعمون بها في المعتاد ضرورة الاكثار من الجرائد المحلية في البلدان الحرة – حجة قلة التكاليف بسبب ان عمال المنطقة هم الذين يطبعونها وتقديمها للسكان المحليين انباء اوفى وبسرعة اكبر هذه **الحجة تنقلب** عندنا كما تدل التجربة ، **ضد** الجرائد المحلية . وهي غالية جداً من حيث انفاق القوى الثورية وهي تصدر بين فترات متباعدة **جداً** ، ومنشأ ذلك انه لا بد للجريدة **السرية** ، مهما كانت صغيرة ، من جهاز سري كبير يتطلب صناعة المعامل الضخمة ، لأنه لا يمكن انشاء هذا الجهاز في ورشة حرفية . فالطابع البدائي

في الجهاز السري يؤدي الى ان الشرطة (وكل من مارس النشاط العملي يعرف العديد من مثل هذه الامثلة) كثيراً جداً ما تستغل صدور وتوزيع عدد او عددين للقيام باعتقالات **واسعة** لا تبقي ولا تذر فيتأتى البدء من جديد ان الجهاز السري الجيد يتطلب من الثوريين اعداداً مهنيا طيباً ويتطلب تقسيماً للعمل ينفذ بمنتهى الدقة وليس في طاقة اية منظمة محلية مهما كانت قوية في هذا الظرف ان تضمن تحقيق هذين الشرطين وحتى اذا ضربنا صفحاً عن مصالح حركتنا بمجموعها (تربية العمال تربية اشتراكية وسياسية ومبدئية) نرى **الجرائد غير المحلية تخدم** المصالح المحلية الصرف ايضاً **بصورة افضل** ولا يبدو ذلك مستغرباً الا لاول وهلة ، فتجربة السنتين والنصف التي تحدثنا عنها تعطي في الحقيقة على ذلك البرهان القاطع واضح للجميع ان جميع هذه القوى المحلية التي اصدرت ثلاثين عدداً من الجرائد كان يمكنها فيما لو عملت في جريدة واحدة ان تصدر ستين عددا اذا لم نقل مئة ، وكان يمكنها تبعاً لذلك ان تفصح بصورة اوفى عن جميع خصائص الحركة ذات الطابع المحلي الصرف وما من شك في ان بلوغ هذه الدرجة من التنظيم امر ليس بالسهل ولكن ينبغي لنا ان ندرك ضرورتها وينبغي لكل حلقة محلية ان تفكر فيها **وتعمل** على تحقيقها **بنشاط** دون ان تنتظر دافعاً من الخارج ، دون ان تستسلم لاغراء سهولة الجريدة المحلية وكونها قريبة المنال هذا القرب الذي يظهر كما تبرهن تجربتنا الثورية وهمياً لحد كبير

ويقدم للنشاط العملي خدمة رديئة اولئك الصحفيون الذين يعتبرون انفسهم قريبين جداً من المشتغلين في الحقل العملي والذين لا يرون ما فى هذا الامر من الوهم والذين يتنصلون باعتبارات رخيصة جداً وفارغة جداً نحن بحاجة الى جرائد محلية نحن بحاجة الى جرائد منطقية ، نحن بحاجة الى جرائد لعامة روسيا .

واضح ان كل هذا ضروري بوجه عام ولكن من الضروري ايضاً التفكير في ظروف الزمان والمكان ما دمنا نواجه مسالة تنظيمية ملموسة أفليس من الدونكيشوتية حقاً ان يقول المرء كما فعلت «سبفوبودا» (العدد ١ ص ٦٨) عندما «تناولت **مسالة الجريدة**» بوجه خاص «باعتقادنا انه ينبغي لكل محلة تضم عدداً كبيراً من العمال لحد ما ان تنشىء جريدتها العمالية الخاصة جريدة لا تستوردها من مكان ما بل خاصة بها بالضبط» واذا كان هذا الكاتب لا يريد ان يفكر بمعنى كلماته ، ففكر عنه على الاقل انت ، ايها القارئ كم في روسيا من عشرات ان لم نقل من مئات «المحلات التي تضم عدداً كبيراً من العمال لحد ما» ، وكم يخلد عملنا الحرفي اذا ما اخذت كل منظمة محلية تصدر في الواقع جريدتها الخاصة ! وكم يسهل ذلك على الدرك عندنا صيد العاملين المحليين ودون جهد «كبير لحد ما» — في بدء عملهم وقبل ان يتسنى لهم ان يربوا في انفسهم صفات الثوريين الحقيقيين ! يستطرد الكاتب ويقول في جريدة لعامة روسيا لا يتشوق القراء الى قراءة وصف الاعيب اصحاب المعامل و«توافه حياة المعامل في مدن اخرى ليست بمدنهم» في حين ان «ساكن اوريول لا يمل قراءة انباء ما يجري في اوريول ففي كل مرة يعلم من «قرعوه» ومن «انبوه» فيشتغل ذهنه» (ص ٦٩) . اجل اجل ان ذهن ساكن اوريول يشتغل ولكن افكار كاتبنا «تشتغل» جداً هي الاخرى أمن اللائق الدفاع عن هذه التفاهة ؟ يحسن كاتبنا صنعاً لو فكر في ذلك نحن نعترف بضرورة واهمية التشهير بما يجري في داخل المعامل من مساوئ خيراً مما يعترف بذلك اي شخص آخر ولكن ينبغي لنا ان نتذكر اننا بلغنا حداً سئم معه ساكن بطرسبورغ قراءة رسائل بطرسبورغ في جريدة «رابوتشايا ميسل» الصادرة في بطرسبورغ اننا للتشهير بالمساوئ في حياة المعامل ، كنا نلجأ على الدوام **وينبغي ان نلجأ**

على الدوام الى المناشير اما نوع **الجريدة** فينبغي لنا ان نرفع مستواه لا ان نهبط به الى مستوى منشور عن حياة معمل اننا لسنا بحاجة ، من اجل «الجريدة» ، الى التشهير بـ«التوافه» بقدر ما نحن بحاجة الى التشهير بالنواقص الكبيرة النموذجية في حياة المعامل الى تشهير يستند الى امثلة بارزة جداً ويستطيع لهذا السبب ان يسترعي اهتمام **جميع** العمال وجميع قادة الحركة ويستطيع ان يزيد معلوماتهم فعلاً ، وان يوسع افقهم ، وان يوقظ منطقة جديدة ،وفئة مهنية جديدة من العمال .

«وبعد ، ففي الجريدة المحلية يمكن تلقف جميع الاعيب ادارة المعمل او السلطات الاخرى على الفور ، قبل ان يبرد اثرها اما الجريدة العامة فهي بعيدة ، يمر دهر قبل ان يبلغها الخبر ، وقبل ان تصل يكون الحادث قد نسي وتساءل القراء «متى حدث ذلك ، يا ترى ؟ ليذكرنا الله !»» (نفس المصدر) اجل ، ليذكرنا الله ! فالاعداد الثلاثون التي صدرت خلال سنتين ونصف قد صدرت في ست مدن كما ينبئنا بذلك المصدر ذاته ومعنى ذلك ان كل مدينة قد اصدرت في المتوسط **عدداً واحداً في كل ستة اشهر** ! واذا افترضنا ان كاتبنا الطائش يضاعف مردود العمل المحلي الى **ثلاثة اضعاف** (وهو ما يكون خطأ اكيداً بالنسبة لمدينة متوسطة ، لأن زيادة المردود زيادة محسوسة في اطار العمل الحرفي امر مستحيل) ، فالحاصل لن يكون اكثر من عدد واحد في كل شهرين ، اي شيئاً لا يشبه بوجه من الوجوه «التلقف قبل ان يبرد الاثر» هذا بينما يكفي ان تتحد عشر منظمات محلية وان توفد مندوبيها للعمل النشيط على تنظيم جريدة عامة حتى يصبح بامكاننا ان «نتلقف» في **روسيا من اقصاها الى اقصاها** لا التوافه بل المساوئ الفاضحة حقاً والنموذجية في كل اسبوعين مرة وكل من يعلم حقيقة الوضع في منظماتنا لا يشك في ذلك . اما القبض

على العدو متلبساً بالجريمة ، اذا فهمنا هذا التعبير فهماً جدياً ولم ننظر اليه من حيث انه صيغة جميلة وحسب ، فهو امر لا يسمح الجريدة السرية حتى ان تفكر به ، اذ لا يمكن القيام بذلك الا بوسيلة المنشور المدسوس خلسة ، لأننا في معظم الحالات لا نجد تحت تصرفنا لمثل هذا القبض غير يوم او يومين على الاكثر (مثلاً في حالات اضراب معتاد قصير او تنكيل في معمل او مظاهرة الخ .)

ويستطرد كاتبنا منتقلاً من الخاص الى العام بمنطق صارم يشرّف بوريس كريتشيفسكي نفسه «لا يعيش العامل في المعمل وحسب ، ولكنه يعيش في المدينة ايضاً» ثم يشير الى قضايا مجالس الدوما والمستشفيات والمدارس في المدن مطالباً بان لا تغفل الجريدة العمالية قضايا المدن بوجه عام وهذا مطلب طيب بحد ذاته ولكنه يظهر بكل جلاء مبلغ التجريد الفارغ الذي كثيراً جداً ما يكتفون به عندما يتناولون الجرائد المحلية بالبحث فاولاً اذا ما ظهرت الجرائد فعلاً «في كل محلة تضم عدداً كبيراً من العمال لحد ما» ، واذا ما حوت هذه الجرائد باباً عن حياة المدينة مفصلاً كما تريد «سفوبودا» ، فان ذلك سيفضي حتماً في ظروفنا الروسية الى تفاهات حقيقية الى اضعاف ادراكنا لاهمية الهجوم الثوري الروسي العام على الحكم المطلق القيصري الى تقوية نبتات الاتجاه الشديدة الحيوية – تلك التي لم تجتث جذورها وانما هي في اكبر الظن مستترة او مكبوتة – هذا الاتجاه الذي اشتهر بالعبارة المشهورة عن الثوريين الذين يتكلمون كثيراً جداً عن البرلمان غير الموجود وقليلاً جداً عن مجالس الدوما الموجودة في المدن (٩٤) قلنا حتماً لأننا اردنا ان نشدد بذلك على ان «سفوبودا» لا تريد هذا الامر بالتأكيد بل تريد العكس ولكن النوايا الطيبة وحدها لا تكفي . فلكيما نشرح شؤون المدن من

زاوية تتناسب مع عملنا باكمله ينبغي **في البدء** ان توضع هذه الزاوية بصورة تامة ، وان تحدد بصورة ثابتة لا بمجرد المحاكمات العقلية بل بمجموعة من الامثلة ايضاً ينبغي ان تكتسب متانة **التقاليد** وما زلنا بعيدين جداً عن ذلك ، في حين ينبغي **البدء به** ، قبل ان يصبح في الامكان الشروع بالتفكير او بالكلام عن الصحافة المحلية الواسعة

وثانياً لكيما يحسن المرء حقاً الكتابة عن شؤون المدن بصورة تسترعي الاهتمام ينبغي له ان يعرف هذه الشؤون معرفة جيدة ، لا عن طريق الكتب وحدها وليس **في روسيا كلها** تقريباً اشتراكيون-ديموقراطيون يعرفون هذه الامور فللكتابة عن شؤون المدن والدولة في الجريدة (لا في كراس شعبي) يتطلب الامر معلومات جديدة متنوعة يجمعها ويدرسها شخص خبير ولجمع ودراسة هذه المعلومات لا تكفي «الديموقراطية البدائية» في حلقة بدائية يقوم فيها الجميع بكل شيء ويتسلون فيها بلعبة الاستفتاءات ان هذا يتطلب هيئة اركان من كتاب اختصاصيين ، مراسلين اختصاصيين ، جيشاً من مراسلين اشتراكيين-ديموقراطيين يعقدون الصلات في كل ناحية ويحسنون التسلل الى جميع «اسرار الدولة» على اختلافها (التي طالما يتباهى بها الموظف الروسي والتي يفشيها بفائق السهولة) والتغلغل في جميع «الكواليس» ، جيشاً من اناس تلزمهم «وظائفهم» بان يكونوا في كل مكان ويعرفوا كل شيء ونحن ، حزب النضال ضد **كل** ظلم اقتصادي وسياسي واجتماعي وقومي يمكننا ويجب علينا ان نجد ونجمع ونعلم ونعبئ وندفع للقتال مثل هذا الجيش من الناس الذين يعلمون كل شيء ولكن ينبغي لنا ان نقوم بذلك هذا ولا يقتصر الامر على اننا لم نخط اي خطوة في هذا الاتجاه في الاكثرية الساحقة من المناطق ، ولكننا ايضاً لا **ندرك** في معظم الاحيان ضرورة ذلك . فتشوا

في صحافتنا الاشتراكية-الديموقراطية عن مقالات ورسائل حية شيقة رسائل تشهر بالخطير والتافه من امورنا الديبلوماسية والعسكرية والدينية والبلدية والمالية الخ. الخ. لن تجدوا من ذلك غير النزر اليسير او لن **تجدوا تقريباً اي شيء** على الاطلاق* ولذلك «اغتاظ جدا على الدوام عندما يأتيني شخص ويتحفني بما عنده من اشياء جميلة رائعة» عن ضرورة وجود جريدة «في كل محلة تضم عدداً كبيراً من العمال لحد ما» تشهر بالمساوئ في حياة المعامل وحياة المدن وحياة الدولة !

ان تفوق الجرائد المحلية على الجرائد المركزية اما ان يكون دليل الفقر او دليل البذخ فهو دليل الفقر ، اذا كانت الحركة لم تعد بعد القوى اللازمة للانتاج الضخم ، واذا كانت ما تزال تتسكع في الحرفية ، واذا كانت غارقة تقريباً في «توافه حياة المعامل» . وهو دليل البذخ ، اذا كانت الحركة **قد حققت بصورة تامة مهمة التشهير** الشامل والتحريض الشامل بشكل تنشأ معه ضرورة وجود عدد كبير من الجرائد المحلية الى جانب الجريدة المركزية فليقرر اذن

---

* لهذا السبب نرى ان حتى مثال الجرائد المحلية الجيدة جداً يثبت هو ايضاً وجهة نظرنا فجريدة «يوجني رابوتشي» (٩٥) ، مثلاً ، جريدة ممتازة خالية تماماً من التذبذب المبدئي ، ولكن ما ارادت ان تقدمه للحركة المحلية لم يتحقق بسبب ندرة صدورها وكثرة الاعتقالات والامر الذي يحتاج اليه الحزب اشد الحاجة في هذا الظرف ــ اعني المبدئية في طرح المسائل الاساسية التي تواجه الحركة ، والتحريض السياسي الشامل ــ قد كان فوق طاقة الجريدة المحلية وما اعطته من مواد ممتازة كالمقالات عن مؤتمر اصحاب المناجم وعن البطالة الخ لم يكن عبارة عن مواد محلية صرف ، بل كان مادة **تحتاج اليها روسيا كلها** ، لا الجنوب وحده . ونحن لا نجد في جميع صحافتنا الاشتراكية-الديموقراطية مقالات كهذه .

كل بنفسه على اي شيء يدل تفوق الجرائد المحلية عندنـــا الآن اما انا فساقتصر على تحري الدقة في صياغة استنتاجي دفعـــاً لسوء الفهم حتى الآن تقصر معظم المنظمات المحلية عندنا تفكيرها كله تقريباً على الجرائد المحلية وحدها وتقصر نشاطها كله تقريباً على هذه الجرائد هذا امر غير طبيعي ويجب ان يكون العكس ينبغي ان يتجه تفكير معظم المنظمات المحلية اول ما يتجـــه الى الجريدة الروسية العامة وان توجه نشاطها اليها قبل غيرها وما لم يحدث ذلك ، سنظل عاجزين عن تنظيم **اية جريدة** تستطيع ، ولو لحد ما ، ان تخدم الحركة حقاً بتحريض **شامل** في الصحف وعندما يحدث ذلك نرى العلاقة الطبيعية بين الجريدة المركزية الضرورية والجرائد المحلية الضرورية تقوم من تلقاء نفسها

* * *

قد يبدو لاول وهلة ان الاستنتاج بصدد ضرورة نقل مركز الثقل من العمل المحلي الى العمل في النطاق الروسي العام غير قابل للتطبيق فيما يتعلق بميدان النضال الاقتصـــادي المحض لأن اعداء العمال المباشرين في هذه الحالة هم اصحاب الاعمال منفردين او جماعات منهم غير مرتبطين بمنظمة تشبه ولو اقل الشبه منظمة عسكرية صرفاً ، متمركزة جداً ، توجهها حتى في اصغر الامور ارادة موحدة ، كمنظمة الحكومة الروسية ، عدونا المباشر في النضـــال السياسي

ولكن الامر ليس كذلك فالنضال الاقتصادي – وقد اشرنا الى ذلك مراراً – هو نضال مهني ، وهو لذلك يتطلب اتحاد العمال حسب المهن ، لا تبعاً لاماكن عملهم وحسب وهذا الاتحاد حسب المهن يصبح امراً لا مناص منه بمقدار ما يسرع اصحاب الاعمال عندنا الى الاتحاد في مختلف انواع الجمعيات والنقابات . وما تبعثرنا

وطريقة عملنا الحرفي الا عائق مباشر في طريق هذا الاتحاد الذي يتطلب منظمة ثوريين واحدة لعامة روسيا ، قادرة على قيادة نقابات العمال في النطاق الروسي العام لقد تكلمنـــا عن طراز التنظيم المرغوب فيه لهذا الغرض ، ونكتفي الآن باضافة بضع كلمات فيما يتعلق بمسألة صحافتنا

لا يشك احد على ما نحسب بوجوب وجود **باب** للنضال المهني (الاقتصادي) في كل جريدة اشتراكية-ديموقراطيـــة ولكن نمو الحركة المهنية يحمل على التفكير بالصحافة المهنية ايضاً ويخيل الينا مع ذلك ان مسألة الصحافة المهنية لا يمكن حتى ان تطرح الآن في روسيا الا في حالات نادرة جداً فهي دليل البذخ ، في حين لا نجد في معظم الحالات خبزنا كفاية يومنا فشكل الصحافة المهنية المناسب لظروف العمل السري والضروري اليوم ينبغي ان يكون عنانا **الكراريس المهنية** . ينبغي ان تجمع فيها وتصنف بصورة منتظمة المواد **العلنية** * وغير العلنية عن ظروف العمل في مهنة بعينها

---

* للمواد العلنية اهمية خاصة في هذا المجال ، ونحن تاخرنا جداً في معرفة جمعها والاستفادة منها بصورة منتظمة ولا نغالي اذا قلنا ان كتابة كراس مهني على اساس المواد العلنية وحدهـــا امر ممكن بشكل او بآخر ، بينما يستحيل ذلك على اساس المواد غير العلنية وحدها ونحن ، اذ نجمع المواد غير العلنية من العمال حول مسائل من نوع المسائل التي نشرتها «رابوتشايا ميسل» (٩٦) ، نبذر دون طائل قدراً كبيراً جداً من قوى الثوريين (الذين يمكن ان يقوم مقامهم في هذا العمل بسهولة مناضلون علنيون) دون ان نحصل مـــع ذلك على مواد طيبة ؛ لأن العمـــال الذين لا يعرفون في معظم الحالات غير قسم من اقسام معمل كبير ، ويعرفون دائما تقريبا النتائج الاقتصادية وحدها ويجهلون ظروف واحوال عملهـــم العامة ، لا يمكنهم عمومـــا ان يكتسبوا المعارف الموجودة لدى موظفي المعمل والمفتشين والاطباء ، الخ . ، والمعلومات المبعثرة بكثرة في الرسائل

وعن اختلاف هذه الظروف في شتى مناطق روسيا وعن المطالب الرئيسية لعمال مهنة من المهن وعن نواقص القوانين التي تتعلق بهذه المهنة ، وعن حالات نضال العمال الاقتصـــادي الهامة التي تحدث في هذه المهنة او تلك وعن الامور الجنينية ووضع منظمتهم المهنية الراهن وحاجات هذه المنظمة الخ. أولاً ان هذه الكراريس تحرر صحافتنا الاشتراكية-الديموقراطية من كثرة من التفاصيل المهنية التي لا تهم غير عمال مهنـــة بعينها وثانياً تسجل هذه الكراريس نتائج خبرتنا في النضـــال المهني وتحفظ المواد المجموعة التي تضيع اليوم بالمعنى الحرفي للكلمة في العدد الكبير من المناشير ومن الرسائل غير المنتظمـــة وتلخص هذه المواد وثالثاً يمكن ان تكون نوعاً من موجه للمحرضين ، لأن ظروف العمل تتغير بصورة بطيئة نسبياً ولأن المطالب الاساسية لعمال مهنة معينة ، ثابتة جداً (قارن مطالب عمال النسيج في منطقة موسكو في سنة ١٨٨٥ (٩٧) وفي منطقـــة بطرسبورغ في سنـــة

الصحفية الصغيرة وفى المطبوعات الخاصة التى تصدرها الدوائر الصناعيـــة والصحية ودوائر الزيمستفو ، الخ

ما زلت اذكر حتى الآن «تجربتى الاولى» التى لن اكررها ما عشت لقد قضيت اسابيع عديدة وانا استجوب «بتحيز» عاملا كان يزورنى عن جميع الاوضاع على اختلافها فى المعمل الكبير الذى يعمل فيه وصحيح انى تمكنت بعد الجهد الجهيد من كتابة وصف عن هذا المعمـــل (معمل واحد فقط !) ولكن العامل كان يبتسم فى بعض الاحيان عند نهاية الحديث ويقول وهو يمسح العرق المتصبب على جبينه «العمل ساعات اضافية اسهل عندى من الاجابة على اسئلتك !»

وبمقدار ما يزداد نشاطنـــا فى العمل الثورى ، بمقدار ما تضطر الحكومة الى اعطاء الصفة العلنية لقسم من عملنا «المهنى» فيخف بالتالى قسم من عبء العمل الملقى على كه اهلنا .

١٨٩٦) ومجموعة هذه المطالب والحاجات يمكن ان تكون ، طيلة سنوات دليلاً رائعاً للتحريض الاقتصادي في المناطق المتأخرة او بين الفئات المتأخرة من العمال ان امثلة الاضرابات الناجحة في منطقة من المناطق والمعلومات عن وجود مستوى معيشة اعلى وظروف عمل احسن في منطقة من المناطق تشجع العمال في المناطق الاخرى على مواصلة النضال رابعاً ان الاشتراكية-الديموقراطية، اذ تبادر الى تلخيص النضال المهني وتوثق بهذا الشكل الصلة بين الحركة المهنية الروسية وبين الاشتراكية ، تعمل في الوقت نفسه على ان يشغل عملنا التريديونيوني حيزاً غير صغير جداً وغير كبير جداً من مجمل عملنا الاشتراكي – الديموقراطي والمحافظة على النسبة الصحيحة في ذلك امر صعب يكاد يكون مستحيلاً في بعض الاحيان اذا كانت المنظمة المحلية منقطعة عن المنظمات في المدن الاخرى (ومثال «رابوتشايا ميسل» يُظهر الى اي درك فظيع من الافراط في المسير في اتجاه التريديونيونية يمكن ان يؤدي ذلك) ولكن منظمة من الثوريين لعامة روسيا لا تحيد ابداً عن وجهة نظر الماركسية الثابتة وتقود النضال السياسي باكمله ولها هيئة اركان من المحرضين المحترفين ، لن تجد اية صعوبة في تحديد هذه النسبة الصحيحة

٥

«مشروع» جريدة سياسية لعامة روسيا

كتب ب كريتشيفسكي («رابوتشييه ديلو» ، العدد ١٠ ص ٣٠) متهماً ايانا بالميل الى «تحويل النظرية عن طريق عزلها عن التطبيق ، الى عقيدة ميتة» فقال : «ان الخطأ الاكبر الذي تقترفه

«الايسكرا» في هذا الحقل هو «مشروع»ها عن المنظمة الحزبية العامة» (اي مقال «بم نبدأ ؟») وينضم مارتينوف الى جوقته ويقول ان «ميل «الايسكرا» الى التقليل من اهميـــة تقدم النضـــال الجاري المعتاد بالنسبة للدعاية الى الافكار البراقة المتبلورة قد تكلل بمشروع تنظيم الحزب الذي تعرضه في مقـــال «بم نبدأ ؟» المنشور في العدد ٤» (نفس المصدر ص ٦١) واخيراً انضـــم ايضاً ل ناديجدين في آخر وقت الى الذين اغاظهم هذا «المشروع» (ومن شأن الأهِلّة هنا ان تشير الى التهكم منـــه) فقد كتب في كراس «عشية الثورة» الذي تلقيناه لتونا (والذي اصدرته جماعة **سفوبودا** «الاشتراكية-الثورية» التي سبق لنا ان تعرفنا عليها) ان «الكلام في هذا الوقت عن منظمة متصلة الاسباب بجريدة لعامـــة روسيا يعني توليد الافكار المكتبية والعمل المكتبي» (ص ١٢٦) يعني مظهراً من مظاهر «التنميق الادبي» ،الخ .

ان تضامن هذا الارهابي مع انصار «السير الصاعد للنضال الجاري المعتاد» لا يمكن ان يدهشنا الآن بعد ان تبينا جذور هذه القرابة في الفصلين عن السياسة وعن التنظيم ولكن يجدر بنا ان نلاحظ هنا ان ل ناديجدين هو الوحيد الذي حاول صادقاً ان يدرك اتجاه افكار المقال الذي لم يحز رضاه وهو الوحيد الذي حاول ان يرد عليه من حيث الجوهر بينا لم تقل «رابوتشييه ديلو» من حيث الجوهر اي شيء على الاطلاق وقصرت جهودهـــا على تشويش المسألة متوسلة الى ذلك بكومة من الاساليب الديماغوجية غير اللائقة وسيترتب علينا ، مهما يكن ذلك غير سار ، ان نضيع الوقت اولاً في تنظيف اسطبلات اوجياس هذه (٩٨) .

أ) من اغاظتهم مقالة «بم نبدأ ؟» ؟ *

فلنسرد باقة التعابير والصرخات التي انهالت بها علينا «رابوتشييه ديلو» «ليست الجريدة هي التي تستطيع ان تنشئ منظمة الحزب ، بل العكس هو الصحيح» «جريدة **فوق** الحزب ، لا **تخضع لرقابته** ومستقلة عنه بفضل شبكة عملائها الخاصة» «باية معجزة نسيت «الايسكرا» المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية القائمة في الواقع والعائدة للحزب الذي تنتسب اليه «الايسكرا» نفسها ؟» «حملة المبادئ الثابتة والمشروع المناسب هم ايضاً الضابطون الاعلون للنضال الفعلي للحزب وهم الذين يملون عليه تنفيذ مشروعهم» «المشروع يسوق منظماتنا الحية والحيوية الى عالم الاشباح ويريد ان يبعث الحياة في شبكة عملاء من صنع الخيال» «اذا وضع مشروع «الايسكرا» موضع التنفيذ ، ادى الى محو كل اثر لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا الذي يجري تكوينه عندنا» «جريدة الدعاية تصبح مشرّعاً للنضال الثوري العملي بأكمله مستبداً غير خاضع للرقابة» «اي موقف يجب على حزبنا ان يقفه من خضوعه **التام** لهيئة تحرير مستقلة» الخ . الخ .

---

* في مجموعة «في ١٢ سنة» ، اسقط لينين الفقرة «أ» من الفصل الخامس واعطى الملاحظة التالية «اننا نسقط في الطبعة الحالية الفقرة «أ) من اغاظتهم مقالة «بم نبدأ ؟»؟» ، لأنها لا تحتوي الا جدالاً ضد «رابوتشييه ديلو» والبوند حول مساعي «الايسكرا» الى «القيادة» الخ وقد جاء في هذه الفقرة فيما جاء ان البوند نفسه دعا (في ١٨٩٨ ــ ١٨٩٩) اعضاء «الايسكرا» الى اعادة اصدار جريدة الحزب المركزية والى تنظيم «مختبر ادبي» » . **الناشر** .

يتضح للقارئ من مضمون ولهجة العبارات المذكورة ان «رابوتشييه ديلو» **مغتاظة** ولكنها ليست مغتاظة لنفسها بل لمنظمات ولجان حزبنا التي يُزعم ان «الايسكرا» تريد ان تسوقها الى عالم الاشباح وحتى ان تمحو اثرها اترى اي فظائع ؟ ولكن هنالك امر غريب فقد صدرت مقالة «بم نبدأ ؟» في ايار (مايو) سنة ١٩٠١ وصدرت مقالات «رابوتشييه ديلو» في ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠١ ونحن الآن في منتصف كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٢ وخلال هذه الاشهر الخمسة كلها لم ترفع (لا قبل ايلول ولا بعد ايلول) لجنة **واحدة** او منظمة **واحدة** من منظمات الحزب احتجاجاً رسمياً على هذا الهول الذي يريد ان يسوق اللجان والمنظمات الى عالم الاشباح وفي غضون هذه الفترة نشرت «الايسكرا» وغيرها من المطبوعات الكثيرة ذات الطابع المحلي وغير المحلي عشرات بل مئات من الاخبار تلقتها من جميع زوايا روسيا فكيف نفسر ان الذين يراد سوقهم الى عالم الاشباح لم يلاحظوا ذلك ولم يغظهم ذلك ، بل اغاظ طرفاً ثالثاً ؟

تفسير ذلك ان اللجان وغيرها من المنظمات منصرفة الى العمل الحقيقي لا الى اللعب بـ«الديموقراطية» لقد قرأت اللجان مقالة «بم نبدأ ؟» ورأت انها محاولة «لوضع مشروع معين للمنظمة ، **لكيما يمكن الشروع ببنائها من جميع الجهات»** ولما كانت تعلم وترى بوضوح ان **اية** جهة من «جميع **الجهات**» هذه لن تفكر «بالشروع بالبناء» ما لم تقتنع بضرورته وبصحة المخطط الهندسي لم يخطر لها ببال طبعاً ان تغتاظ من جرأة الناس الذين اعلنوا في «الايسكرا» قائلين «اننا نظراً لكون المسألة هامة لا تقبل التأجيل عزمنا من جهتنا على ان نعرض على انظار الرفاق الخطوط الكبرى لمشروع نفصله في الكراس الذي نعده

للطبع» هل في وسع المرء حقاً ، اذا وقف من الامر موقفاً وجدانياً ان لا يفهم ان الرفاق اذا ما **قبلوا** المشروع المعروض عليهم سينفذونه لا عن «خضوع» بل عن قناعة بضرورته لقضيتنا المشتركة وان «الخطوط الكبرى» (كلمة تدل على الادعاء أليس كذلك ؟) تبقى في حالة **عدم قبولهم** له مجرد خطوط كبرى ؟ أفليس من الديماغوجية حقاً ان يحاربوا الخطوط الكبرى لمشروع لا «بنسفها» وحسب ولا بنصح الرفاق بردها وحسب بل ايضاً **باثارة** القليلي الخبرة في العمل الثوري على واضعي الخطوط الكبرى **لسبب واحد** هو انهم **تجرؤوا** على الوقوف موقف «المشرع» و«الضابط الاعلى» اي انهم تجرؤوا على **اقتراح** خطوط كبرى لمشروع ؟؟ وهل يمكن لحزبنا ان يتطور ويتقدم اذا كانت محاولة **رفع** المناضلين المحليين الى نظرات ومهام ومشاريع اوسع الخ تستدعي الاعتراض لا بسبب عدم صحة هذه النظرات وحسب بل ايضاً بسبب «الغيظ» من كون البعض «يريد» «**رفعنا**» ؟ هذا ل ناديجدين مثلاً لقد «نسف» هو ايضاً مشروعنا نسفاً ولكنه لم ينحط الى درك الديماغوجية التي لم يعد بالامكان تفسيرها بمجرد السذاجة او ببدائية النظرات السياسية ، لقد رفض بحزم منذ البدء تهمة الوقوف موقف «المفتش حيال الحزب» ولذلك يمكن ويجب ان نجيب على انتقاده للمشروع من حيث الجوهر ، في حين لا يمكن ان نرد على «رابوتشيية ديلو» بغير الازدراء .

ولكن الازدراء بكاتب يهوي حتى درك الصراخ عن «الاستبداد» و«الخضوع» لا يخلصنا بعد من واجب ايضاح التشويش الذي يقدمه امثال هؤلاء الناس للقارئ وهنا نستطيع ان نبين للجميع بجلاء نوع هذه العبارات الشائعة عن «الديموقراطية الواسعة» يتهموننا بنسيان اللجان ، وباننا نريد او نحاول سوقها الى عالم

الاشباح الخ وكيف نجيب على هذه الاتهامات ما دمنا **لا نستطيع** ان نقص على القارئ **اي شيء واقعي تقريباً** عن مواقفنا الحقيقية حيال اللجان ، ما دمنا لا نستطيع ذلك بحكم ظروف العمل السري ؟ هؤلاء الناس الذين يلقون الاتهامات اللاذعة والمثيرة للجموع يتقدموننا بفضل استهتارهم وبفضل استخفافهم بواجبات الثوري الذي يخفي بعناية عن عيون الناس العلاقات والصلات التي يمارسها والتي ينظمها او يعمل لتنظيمها ومن الواضح اننا نرفض رفضاً مباراة هؤلاء الناس على صعيد «الديموقراطية» والوسيلة الوحيدة التي تمكننا من القيام بواجبنا حيال القارئ غير المطلع على جميع الشؤون الحزبية ، هي ان نجعل موضوع حديثنا معه ، لا ما هو كائن او ما هو im Werden * بل **جزءاً** مما كان ومما يمكن الحديث عنه لأنه شيء من الماضي

يلمح البوند الى «تدجيل»نا ** ويتهمنا «الاتحاد» المقيم في الخارج بمحاولة محو كل اثر للحزب مهلاً ايها السادة ستنالون ما يرضيكم كل الرضى عندما نقص على الجمهور **اربع وقائع** من الماضي .

الواقعة الاولى *** ان اعضاء احد «اتحادات النضال» الذين اشتركوا اشتراكاً مباشراً في تشكيل حزبنا وفي ارسال مندوب الى المؤتمر الذي اسس الحزب قد اتفقوا مع احد اعضاء جماعة «الايسكرا» على تأسيس مكتبة عمالية خاصة لخدمة الحركة بمجموعها ولكن لم يتيسر تأسيس المكتبة العمالية اما

---

* ــ في الصيرورة . ــ بالالمانية في النص الاصلي **الناشر** .

** «الايسكرا» ، العدد ٨ ، جواب اللجنة المركزية لاتحاد اليهود العام في روسيا وبولونيا على مقالنا في مسالة القوميات

*** نحن نورد هذه الوقائع مخلين عن عمد بتتابع حدوثها (٩٩) .

الكراسان اللذان كتبا لهذه المكتبة وهما «واجبات الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» و«قانون المعمل الجديد» فقد وصلا بصورة غير مباشرة وعن طريق طرف ثالث الى الخارج حيث جرى طبعهما

الواقعة الثانية ان اعضاء لجنة البوند المركزية توجهوا الى احد اعضاء جماعة «الايسكرا» باقتراح تنظيم «مختبر ادبي» حسب التعبير الذي استعمله البوند آنذاك هذا وقد اشاروا الى ان حركتنا قد تتقهقر كثيراً في حالة عدم النجاح في ذلك وقد كان كراس «قضية العمال في روسيا» * نتيجة للمفاوضات التي جرت

الواقعة الثالثة ان لجنة البوند المركزية توجهت عن طريق مدينة صغيرة من مدن الملحقات الى احد اعضاء جماعة «الايسكرا» طالبة منه ان يأخذ على عاتقه تحرير «رابوتشايا غازيتا» التي يستأنف صدروها وكان الجواب بالموافقة طبعاً وبعد ذلك تغير الاقتراح: فقد اقترحوا التعاون لأن تغيرات جديدة قد طرأت على هيئة التحرير وبديهي ان الجواب كان بالموافقة مرة اخرى وارسلت مقالات (امكن حفظها) منها «برنامجنا» وهي تتضمن احتجاجاً صريحاً على النزعة البرنشتينية وعلى الانعطاف الذي حدث في المطبوعات العلنية وفي «رابوتشايا ميسل» و«واجبنا المباشر» («تنظيم جريدة حزبية تصدر بصورة منظمة وتربطها صلات وثيقة بجميع الفرق المحلية» ، نواقص «العمل الحرفي» السائد) ؛ و«مسألة

---

* واقول بالمناسبة ان مؤلف الكراس قد طلب مني ان اعلن انه ارسله كمؤلفاته السابقة الى «الاتحاد» حاسباً ان الهيئة التي تشرف على تحرير مطبوعاته هي فرقة «تحرير العمل» (فهو في ذلك الوقت ، اي في شباط ــ فبراير ــ سنة ١٨٩٩ لم يستطع بحكم بعض الظروف ان يعلم نبأ تغير هيئة التحرير) . وستعيد «العصبة» (١٠٠) طبع هذا الكراس في وقت قريب .

ملحة» (تحليل لاعتراض مآله انه ينبغى **في البدء** تطوير نشـــاط الفرق المحلية قبل الشروع بتنظيم جريدة عامة الاصرار على ان الاهمية الاولية تعود «للمنظمة الثورية» وعلى ضرورة «رفع التنظيم والنظام وفن العمل السري الى اعلى درجات الكمال») ولكن لـــم يتحقق اقتراح استئناف اصدار «رابوتشايـــا غازيتا» ولم تنشر المقالات

الواقعة الرابعة ان عضو اللجنة الذي نظم المؤتمر الثاني الدوري لحزبنا بلغ احد اعضاء جماعة «الايسكرا» برنامج المؤتمر ورشح هذه الجماعة لوظيفة تحرير «رابوتشايا غازيتا» التي يراد استئناف صدورها وقد حظيت خطوته التمهيدية ، ان صح القول، بالمصادقة فيما بعد من قبل اللجنة التي ينتمي اليها ومن قبل لجنة البوند المركزية وتلقت جماعة «الايسكرا» اعلاماً بزمان ومكان المؤتمر ولكنها (لعدم يقينها بامكان ارسال مندوب عنها الى هذا المؤتمر نظراً لبعض الاسباب) وضعت كذلـــك تقريراً خطياً للمؤتمر وقد تضمن هذا التقرير فكرة مفادها ان مجرد انتخابنا للجنة المركزية لا يحل مسألة التوحيد في ظرف التبعثـر الكامل الذي نجتازه ولكننا ايضاً اذا حدث اعتقال جديد سريع كامل هو اكثر من محتمل في ظروف سيطرة الاستخفاف بقواعد العمل السري قد نسيء للفكرة العظمى فكرة تأسيس الحزب وانه نظراً لذلك ينبغي البدء بدعوة جميع اللجان وجميع المنظمات الاخرى الى تأييد الجريدة العامة التي يعاد اصدارها والتي مـــن شأنها ان تربط **فعلاً** جميع اللجـــان برباط **عملي** وتحضر **فعلاً** فريقاً من القادة للحركة بمجموعها وان اللجان والحزب يستطيعان بسهولة ان يحولا هذا الفريق الذي انشأته اللجان الى لجنة مركزية مذ ينشأ هذا الفريق ويتوطد ولكن المؤتمر لم ينعقد بسبـــب جملة من الاعتقالات ، ولاعتبارات املتها ظروف العمل السري اتلف

التقرير بعد ان قرأه بعض الرفاق فقط ومنهم مندوبو احـــد اللجان .

نترك للقارئ الآن ان يحكم بنفسه على طابع هذه الاساليب التي من نوع تلميح البوند الى التدجيل وحجة «رابوتشييه ديلو» الزاعمة اننا نريد سوق اللجان الى عالم الاشباح و«الاستعاضة» عن منظمة الحزب بمنظمة تنشر افكار جريدة واحدة اجل لقد ابلغنا اللجان بالذات ، **بناء على دعوات كثيرة تلقيناها منها** ، عن ضرورة اقرار مشروع معين للعمل المشترك . ومن اجل المنظمة الحزبية بالذات، عرضنا نحن هذا المشروع في مقالات لـ«رابوتشايا غازيتا» وفي تقرير لمؤتمر الحزب وقد قمنا بذلك في هذه المرة ايضاً بناء على دعوة من هؤلاء الذين كانوا يتمتعون بنفوذ كبير في الحزب الى حد انهم اخذوا على عاتقهم المبادرة الى بعثه (العملي) . وبعد ان انتهت الى الاخفاق المحاولة التي قامت بها منظمة الحـــزب **مرتين** لتستأنف بالتعاون **معنا** اصدار جريدة الحزب المركزية **بصورة رسمية** بعد هذا الاخفاق فقط اعتبرنا ان الواجب المباشر يفرض علينا ان نصدر جريدة **غير رسمية** لكي يجد الرفاق امامهم ، في المحاولة **الثالثة** نتائج **تجربة** معينة وليس فقط افتراضات قائمة على الحدس والتخمين والآن يرى الجميع بوضوح بعض نتائج هـذه التجربة وفي وسع جميع الرفاق ان يحكموا فيما اذا كنا قـــد فهمنـــا واجبنا على الوجه الصحيح وماذا يجب ان نظن بامثـــال هؤلاء الناس الذين يبذلون جهودهم لتضليل الاشخاص غيـــر المطلعين على الماضي القريب ، ويحدوهم غيظهم من كوننا قد برهنا للبعض عدم استقامتهم في مسألة «القوميات» وللآخرين عدم جواز الترددات غير المبدئية .

ب) هل يمكن للجريدة ان تكون منظما جماعيا ؟

الامر الرئيسي في مقالة «بم نبدأ ؟» هو كونها قد طرحت هذا السؤال **بالذات** واجابت عليه بالايجاب ول ناديجدين هو على حد علمنا الشخص الوحيد الذي حاول تحليل هذه المسالة من حيث الجوهر والبرهان على ضرورة حلها حلاً سلبياً ونحن نثبت فيما يلي حججه كاملة

«... لقد اعجبنا جداً طرح «الايسكرا» (العدد ٤) لمسالة ضرورة اصدار جريدة لعامة روسيا ؛ ولكن لا نستطيع بوجه ان نسلم بان طرح المسالة على هذا الشكل يتلاءم وعنوان المقالة «بم نبدأ ؟» فهي امر في منتهى الاهمية دون شك ، ولكن ليس في وسعها او في وسع مجموعة كاملة من النشرات الشعبية او جبل من المنشورات ان تضع اساس المنظمة الكفاحية التي يقتضيها الظرف الثوري من الضروري الشروع بتشكيل منظمات سياسية محلية قوية وهذه المنظمات غير موجودة عندنا فقد جرى العمل عندنا بصورة رئيسية بين العمال المثقفين ، في حين كانت الجماهير تقوم بالنضال الاقتصادي وحده تقريبا **واذا لم تُرب منظمات سياسية محلية قوية ، فما جدوى جريدة لعامة روسيا وان كانت منظمة خير تنظيم ؟** العليقة تتوقد بالنار وهي لا تحترق ولا تحرق احداً ! حول هذه الجريدة وفي العمل من اجلها يجتمع الناس وينتظمون ــ هكذا تحسب «الايسكرا» **ولكن من الايسر لهم بكثير ان يجتمعوا وينتظموا حول عمل ملموس اكثر** ! هذا العمل يمكن ويجب ان يكون تنظيم الجرائد المحلية على نطاق واسع والشروع منذ الآن بتحضير قوى العمال للمظاهرات ، وقيام المنظمات المحلية بعمل دائم بين العاطلين عن العمل (توزيع النشرات والمنشورات بينهم دون انقطاع ودعوتهم الى الاجتماعات والى مقاومة الحكومة ، الخ .) ينبغي الشروع بعمل سياسي حي على النطاق المحلي ، وعندما تظهر ضرورة الاتحاد على هذا الصعيد الواقعي ، لن يكون الاتحاد مصطنعا ، ولا حبراً على ورق ان توحيد العمل المحلي وتحويله الى عمل روسي عام امر لا يمكن بلوغه عن طريق الجرائد !» («عشية الثورة» ، ص ٥٤) .

لقد طبعنا بالحرف العريض في هذه القطعة النثرية الرائعة الجمل التي تظهر باكبر الوضوح عدم صحة تقدير الكاتب لمشروعنا وبوجه عام عدم صحة وجهة نظره التي يعارض بها هنا «الايسكرا». اذا لم تربّ منظمات سياسية محلية قوية فلا جدوى من جريدة لعامة روسيا حتى وان كانت في ذروة الكمال هذا صحيح كل الصحة ولكن المصيبة كل المصيبة تكمن في **عدم وجود طريق لتربية** منظمات سياسية قوية غير طريق جريدة لعامة روسيا لقد غابت عن الكاتب اهم فقرة فيما كتبته «الايسكرا» ، وهي الفقرة الواردة **قبل الشروع** بعرض «مشروع»ها تنبغي «الدعوة لخلق منظمة ثورية اهل لتوحيد جميع القوى ولقيادة الحركة لا **بالاسم وحسب** ، بل بالفعل اي ان تكون **مستعدة على الدوام لتأييد كل احتجاج وكل غليان** وللاستفادة من هذه الاحتجاجات والغليانات في زيادة وتعزيز القوات الحربية الصالحة للمعركة الفاصلة» واستطردت «الايسكرا» قائلة ولكن الآن بعد حوادث شباط وآذار (فبراير ومارس) لا يعترض احد على ذلك من الناحية المبدئية غير ان ما نحتاج اليه ليس الحل المبدئي **للمسالة بل الحل العملي** ينبغي ان يوضع على الفور مشروع معين للبناء لكيما يستطيع الجميع الشروع بالبناء فوراً ومن **جميع الجهات** وها هم يجروننا مرة اخرى الى الوراء من الحل العملي الى حقيقة كبرى لا تقبل جدالاً وهي صحيحة من الناحية المبدئية كل الصحة ، ولكنها غير كافية بتاتاً وغير مفهومة بتاتاً لجمهور العاملين الواسع الى حقيقة «تربية منظمات سياسية قوية» ! ليس هذا محور الحديث يا حضرة الكاتب المحترم انما يدور الحديث عن **كيفية** تربيتها وانجاز تربيتها !

وليس بصحيح ان «العمل جرى عندنا بصورة رئيسية بين العمال المثقفين ، في حين كانت **الجماهير** تقوم بالنضال الاقتصادي

وحده تقريباً» فالصيغة بشكلها هذا تنزلق الى معارضة العمال المثقفين بـ«الجمهور» وهي معارضة اعتادت عليها «سفوبودا» ومغلوطة من اساسها فخلال السنوات الاخيرة قام عندنا العمال المثقفون هم ايضاً «بالنضال الاقتصادي وحده تقريباً» هذا من جهة ومن جهة اخرى لن تتعلم الجماهير ايضاً القيام بالنضال السياسي ما لم نساعد على ان **يتربى** القادة لهذا النضال من العمال المثقفين ومن المثقفين سواء بسواء وهؤلاء القادة **لا يمكن** ان يتربوا **الا** على اساس تقديرهم بصورة يومية منتظمة **لجميع** وجوه حياتنا السياسية **لجميع محاولات** الاحتجاج والنضال التي تقوم بها مختلف الطبقات **في** مختلف المناسبات **ولذلك** فان الكلام عن «تربية منظمات سياسية» والقيام **في** الوقت نفسه **بمعارضة** عمل الجريدة السياسية «الورقى» بـ«العمل السياسي الحي على النطاق المحلي» هما بكل بساطة امر مضحك ! و«الايسكرا» توفق «المشروع» الذي وضعته للجريدة مع «مشروع» لبلوغ «درجة من الاستعداد الكفاحي» تجعل من الممكن **في** وقت معاً مساندة حركة العاطلين عن العمل وانتفاضات الفلاحين واستياء الزيمستفويين و«سخط السكان من طغيان الباشبوزوق القيصريين» ، الخ ان كل مطلع على الحركة يعلم حق العلم ان كل ذلك **حتى لم يخطر** للاكثرية الكبرى من المنظمات المحلية على بال وان الكثير من مشاريع «العمل السياسي الحي» المشار اليها هنا لم تنفذ **ولو مرة** من قبل اية منظمة وان محاولة لفت النظر مثلاً الى تعاظم الاستياء والاحتجاج بين المثقفين الزيمستفويين تقلق وتحير سواء ناديجدين («رباه لعلها لجماعة الزيمستفو هذه الجريدة ؟») «عشية الثورة» ، ص ١٢٩) و«الاقتصاديين» (الرسالة في العدد ١٢ من «الايسكرا») ام كثيرين من المشتغلين **في** الميدان **العملي** في هذه الاحوال لا يمكن «البدء» **الا** من دفع الناس الى **التفكير** بكل

ذلك ، الا من دفعهم الى جمع وتلخيص جميع مظاهر التذمر والنضال النشيط على اختلافها وفي ايامنا هذه التي يُحط فيها من شأن مهام الاشتراكية-الديموقراطية لا يمكن **البدء** بـ«العمل السياسي الحي» **الا** من التحريض السياسي الحي الذي لا يمكن القيام بـه بدون جريدة لعامة روسيا تصدر بتواتر وتوزع توزيعاً صحيحاً

ان الناس الذين رأوا في «مشروع» «الايسكرا» مظهراً من مظاهر «التنميق الادبى» لم يفهموا البتة جوهر المشروع بالذات ورأوا الغاية فيما يعرض على انه انجع الوسائل في الوقت الحاضر ان هؤلاء الناس لم يكلفوا انفسهم عناء التفكير في مقارنتين شرحتا هذا المشروع بكل وضوح فقد جاء في «الايسكرا» ان تأسيس جريدة سياسية لعامة روسيا ينبغي ان يكون **الخيط الاساسي** الذي يمكننا ، متى امسكنا به ، من ان نطور ونعمق ونوسع باستمرار هذه المنظمة (اي المنظمة الثورية المستعدة على الدوام لتأييد كل احتجاج وكل غليان) قولوا لنا من فضلكم عندما يضع البناؤون في مختلف الاماكن حجارة عمارة كبيرة لا سابق لها أبداً ألا يقومون بعمل «ورقي» اذ يمدون خيطاً يساعدهم على ايجاد المكان الصحيح للصف ويبين لهم الهدف النهائي لعملهم المشترك ، ويمكنهم من الاستفادة لا من كل حجر وحسب بل ايضا من كل قطعة من الحجر الذي بتلاصقه مع سابقه ولاحقه يعطي المدماك النهائي الكامل؟ ألا نجتاز نحن في حياتنا الحزبية هذا الظرف الذي توجد فيه الحجارة ويوجد البناؤون ولا نجد بالضبط ذلك الخيط الذي يستطيع الجميع ان يروه وان يتمسكوا به ؟ فليصرخ من يريد ان يصرخ اننا بمدنا للخيط نريد ان يكون في يدنا الامر والنهي لو اردنا ذلك لكتبنا ايها السادة ، «رابوتشايا غازيتا العدد ٣» بدلاً من «الايسكرا العدد ١». الامر الذي اقترحه علينا بعض الرفاق والذي **كان يحق لنا تماماً ان نفعله** بعد تلك الحوادث التي تحدثنا

عنها ولكننا لم نفعل ذلك فلقد اردنا ان نترك ايدينا طليقة للنضال دون هوادة ضد جميع الاشتراكيين-الديموقراطيين الدجالين لقد اردنا لخيطنا ان يكتسب الاحترام لصحته اذا كان مده صحيحاً لا لكون مده قد جرى من قبل جريدة رسمية

ان ل ناديجدين يعظنا قائلاً «ان مسألة توحيد النشاط المحلي تدور في الهيئات المركزية في حلقة مفرغة فالتوحيد يقتضي تجانس العناصر وهذا التجانس نفسه لا يمكن تكوينه الا عن طريق شيء يوحد ولكن هذا الشيء الموحّد لا يمكن ان يكون غير نتاج منظمات محلية قوية لا تتصف البتة في الوقت الحاضر بالتجانس» حقيقة محترمة لا تقبل جدالاً كتلك التي تقول انه ينبغي تربية منظمات سياسية قوية حقيقة عقيمة كعقم الحقيقة السابقة ان كل مسألة «تدور في حلقة مفرغة» ، لأن الحياة السياسية باكملها عبارة عن سلسلة لا نهاية لها تتألف من عدد لا يحصى من الحلقات وتتلخص براعة السياسي كلها في ايجاد الحلقة اللازمة وفي التمسك بها بقوة ، الحلقة التي هي اشد الحلقات استعصاء على انتزاعها من بين يديه والتي هي اهم الحلقات في ظرف معين ، الحلقة التي تعطي الحائز عليها اكبر الضمانات بحيازة السلسلة كلها * ربما كان بامكاننا ان نتمسك بحلقة اخرى لو وجدت عندنا فصيلة بنائين ماهرين ومتضافرين لحد يمكنهم من وضع الحجارة حيث يجب حتى بدون الخيط (وهذا ليس اطلاقاً من المستحيلات اذا تكلمنا بصورة مجردة) ولكن المصيبة ،

---

* ايها الرفيق كريتشيفسكي ، ايها الرفيق مارتينوف ! الفت انظاركما الى هذا المظهر المثير للغضب من مظاهر «الاستبداد» ، من مظاهر «السلطان المطلق» ، من مظاهر «الضبط الاعلى» ، الخ الغوث ، الغوث ! انه يريد حيازة السلسلة كلها !! عجلا في كتابة شكاية انها موضوع جاهز لكتابة افتتاحيتين في العدد ١٢ من «رابوتشييه ديلو» !

كل المصيبة هي كون البنائين الماهرين المتضافرين غير موجودين عندنا بعد هي كون الحجارة توضع في غالب الاحيان كيفما اتفق دونما اكتراث بالخيط العام هي كونها توضع مبعثرة فيكفي العدو ان ينفخ عليها لتتناثر وكانها ذرات رمل لا حجارة

المقارنة الاخرى «الجريدة ليست فقط داعية جماعياً ومحرضاً جماعياً بل هي في الوقت نفسه منظم جماعي ومن هذه الناحية الاخيرة **يمكن ان تقارن بالسقالات** التى تنصب حول بناية يجرى تشييدها فتشير الى معالم البناية وتسهل الاتصال بين البناة وتساعدهم على توزيع العمل بينهم وعلى رؤية مجمل النتائج التي احرزها العمل المنظم» * أليس من الصحيح ان هذا القول من كاتب ، من انسان اعتاد العمل في المكتب ، اشبه كل الشبه بمغالاته بدوره ؟ السقالات ليست ضرورية بتاتاً للبناية نفسها ، والسقالات تصنع من الخشب الرديء وتنصب لفترة قصيرة وتلقى في النار عندما تكتسب البناية شكلها النهائي ولو بصورة عامة اما في بناء المنظمات الثورية فان التجربة (تجربة سنوات العقد الثامن مثلاً) تدل على انه يتيسر بناؤها احياناً بدون سقالات ولكن في ظروفنا الراهنة لا نستطيع حتى ان نتصور تصوراً امكانية الاستغناء عن السقالات في تشييد البناية التي نحتاجها

ان ناديجدين لا يوافق على ذلك ويقول «حول الجريدة وفي العمل من اجلها يجتمع الناس وينتظمون – هكذا تحسب «الايسكرا» **ولكن من الايسر لهم بكثير** ان يجتمعوا وينتظموا

---

* ان مارتينوف ، اذ اورد في «رابوتشييه ديلو» الجملة الاولى من هذا الاستشهاد (العدد ١٠ ، ص ٦٢) اسقط الجملة الثانية بالضبط فكانه اشار بذلك الى انه لا يريد ان يتناول المسالة من حيث الجوهر او الى انه لا يستطيع ادراك هذا الجوهر .

حول عمل **ملموس اكثر** !» نعم نعم «من الايسر بكثير حول عمل ملموس اكثر» يقول المثل الروسي لا تبصق في البئر فقد تعطش وتحتاج الى مياهها ولكن هنالك من لا يأنف من ري ظمئه من مياه بئر بصق فيها وهل ترك عندنا «نقاد الماركسية» العلنيون الرائعون والمعجبون السريون بـ«رابوتشايا ميسل» شيئاً من الكلام الشنيع لم يقولوه باسم هذا الملموس اكثر ! وكم يضغط على حركتنا كلها ضيق افقنا ونقص مبادرتنا وجبننا الذي نبرره بحجج تقليدية من نوع «من الايسر حول عمل ملموس اكثر» وهذا ناديجدين الذي يعتقد ان حس «الحياة» فيه عميق جداً والذي يندد اشد التنديد بالناس «القابعين في المكاتب» ويتهم «الايسكرا» (مدعياً الذكاء) بانها مصابة بوسواس يريها «الاقتصادية» حيث تولي وجهها والذي يتصور انـــه اعلى جداً من هذا التقسيـــم الى ارثوذكس ونقاد – ناديجدين هذا لا يلاحظ انه بحججه هذه يخدم ضيق الافق الذي يغضبه وانه يشرب من بئر امتلأت بصاقاً ! اجل ان اصدق غضبة من ضيق الافق واحر رغبـــة في انهاض الساجدين امام ضيق الافق لا تكفيان اذا كان الغاضب يندفـــع بدون شراع ولا دفة ويتشبث بصورة «عفوية» كشان ثوريـــي العقد الثامن بـ«الارهاب التهييجـــي» و«الارهـــاب الزراعي» و«الناقوس» الخ تمعنوا في هذا «الملموس اكثر» الذي حسب اعتقاده ، «من الايسر بكثير» الاجتماع والانتظام حوله ١ الجرائد المحلية ٢ الاستعداد للمظاهرات ٣ العمـــل بين العاطلين عن العمل يتضح حتى لأول وهلة ان جميع هذه الاشياء قد التقطت صدفة تماماً ، على بركة الله ، من اجل ان يقـــال شيء ما اذ اننا كيفما تمعنا فيها لا نرى فيها شيئا من خصائصه ان «يجمع وينظم»الا اذا خرجنا على كل منطق فناديجدين نفسه يقول بعد صفحتين : «لقد آن لنا ان نسجل هذا الواقع العمل المحلي

تافه جداً فاللجان لا تفعل حتى عُشر ما يمكنهـــا ان تفعل والمراكز الموحّدة الموجودة لدينا الآن سراب دواوينية ثورية منح البعض للبعض القاب الجنرالات وسيظل الامر على هذا النحو الى ان تنشأ منظمات محلية قوية» وهذه الكلمات تتضمن دون شك الى جانب ما فيها شطط كثيراً من الحقائق المرة ولكن هل حقاً لا يرى ناديجدين الصلة بين تفاهة العمل المحلي وضيق افق العاملين وضيق مدى نشاطهم وهما امران لا مفر منهمـــا عندما يكون العاملون المنحصرون في اطار المنظمات المحلية غير مستعدين ؟ هل حقاً نسي على غرار كاتب المقالة عن التنظيـــم في «سفوبودا» ان «الاقتصادية» و«الحرفية» قد قويتا كثيراً مـــع الانتقال الى الصحافة المحلية الواسعة (ابتداء من سنة ١٨٩٨) ؟ وحتى لو كان بالامكان تنظيم «صحافة محلية واسعة» تنظيماً مرضياً لحد ما (وقد برهنا فيما تقدم ان ذلك مستحيل باستثناء حالات خاصة جداً) لما استطاعت الجرائد المحلية ان «تجمع وتنظـــم» **جميع** قوى الثوريين للهجوم **العام** على الحكم المطلق ولقيادة النضال **الموحد** لا تنسوا ان الحديث لا يدور هنا **الا** حول اهمية الجريدة من حيث «التجميع» من حيث التنظيم ونحن نستطيع ان نضع امام نصير التجزئة ناديجدين نفس السؤال التهكمي الذي طرحه هو نفسه «لعلنا ورثنا عن احد ٢٠٠٠٠٠ قوة منظّمة ثورية ؟»

وبعد لا يمكن ان **نعارض** بـ«الاستعـــداد للمظاهرات» مشروع «الايسكرا» لمجرد ان هذا المشروع ينص بالذات على اوســـع المظاهرات **باعتبارها احد الاهداف** ولكن القضية قضية اختيار **الوسيلة** العملية وهنا اختلط الامر مرة اخرى على ناديجدين فقد غاب عنه ان «اعداد» المظاهرات (التي جرت حتى الآن بصورة عفوية تماماً في معظم الحالات) لا يستطيعه الا جيش «عبىء ونظم» والحال ان التعبئة والتنظيم هما بالذات ما **لا نحسن** القيام به .

«العمل بين العاطلين عن العمل» نفس التشويش اذ ان هذا الامر هو ايضاً عمل من الاعمال الحربية التي يقوم بها جيش معبأ وليس بمشروع لتعبئة جيش والواقع التالي يبين لنا مبلغ عدم ادراك ناديجدين هنا ايضاً لضرر تبعثرنا وعدم وجود «٢٠٠٠٠٠ قوة» عندنا هناك كثيرون (ومنهم ناديجدين) ينحون باللائمة على «الايسكرا» لقلة ما تنشر من انباء عن العاطلين ولنشرها رسائل عرضية عن الامور العادية جداً في حياة القرية ان اللوم في محله ولكن «الايسكرا» في هذا الامر «مذنب بريء» فنحن نحاول ان «نمد خيطنا» عبر القرية ايضاً ، ولكننا لا نعثر هناك على البنائين في اية ناحية تقريباً **فيتاتى** علينا ان نشجع **كل من** يرسل اي خبر ولو كان من الاخبار العادية جداً املاً بان يؤدي ذلك الى مضاعفة عدد المعاونين في هذه الناحية وان **يعلّمنا جميعاً** في نهاية الامر اختيار الوقائع البارزة حقاً ولكن مادة التعليم من القلة بحيث انه ان لم نجمعها من روسيا كلها لا نجد بين ايدينا اي شيء على الاطلاق نتعلم به ان الانسان الذي يملك او يكاد من المواهب في التحريض ومن عمق الاطلاع على حياة الصعاليك ما يظهره ناديجدين يستطيع دون شك ان يقدم للحركة خدمات لا تقدر بثمن في تحريضه بين العاطلين عن العمل ولكن هذا الانسان يدفن مواهبه اذا لم يعن باطلاع **جميع** الرفاق الروس على كل خطوة يخطوها في عمله لتكون عظة وقدوة لاناس لا يعرفون بعد في معظمهم كيف يقومون بهذا العمل الجديد

يتحدث الجميع الآن دون استثناء عن اهمية التوحيد وعن ضرورة «التجميع والتنظيم» ولكن ليست هناك في معظم الحالات اى فكرة واضحة عن كيفية الشروع بقضية التوحيد وكيفية تحقيقها ويوافق الجميع دون شك على اننا اذا ما «وحدنا» مثلاً حلقات الاحياء المختلفة في مدينة فان ذلك يتطلب **مؤسسات عامة** ، اي انه لا يتطلب عنواناً مشتركاً وحسب ، هو اسم

«الاتحاد» بل يتطلب ايضاً العمل **المشترك** حقاً وتبادل المواد والخبرة والقوى وتوزيع الوظائف لا على اساس الاحياء وحسب بل ايضاً على اساس جميع نواحي النشاط في المدينة ولا يشك احد في ان الجهاز السري الكبير لا يفي بتكاليفه (اذا جاز استعمال هذا التعبير التجاري) اذا اقتصرت «موارده» (المادية والبشرية طبعاً) على حي واحد ، وان مواهب الاختصاصي لا يمكنها ان تزدهر في مثل هذا الصعيد الضيق ولكن الامر لا يختلف فيما يتصل بتوحيد مختلف المدن لان تاريخ حركتنا الاشتراكية-الديموقراطية قد اظهر **ويظهر** ان صعيد المنطقة المحدودة ضيق جداً :: وقد برهنا ذلك بالتفصيل فيما تقدم بمثال التحريض السياسي والعمل التنظيمي يجب ، يجب بالضرورة ويجب قبل كل شيء آخر ، توسيع هذا الصعيد يجب ايجاد الصلة **الفعلية** بين المدن على اساس العمل **المشترك المنتظم** لأن التبعثر يضغط على الناس الذين «يجلسون كأنهم في قبو» (كما جاء في رسالة الى «الايسكرا») ولا يعرفون ماذا يجري في العالم ، لا يعرفون على من ينبغي لهم ان يتتلمذوا ولا يدرون كيف يحصلون على التجربة وكيف يروون ظمأهم الى النشاط الواسع واني اؤكد باصرار ان **الشروع** بايجاد هذه الصلة **الفعلية** لا يمكن الا على اساس الجريدة العامة بوصفها العمل الوحيد المنتظم على نطاق روسيا كلها العمل الذي يلخص نتائج النشاط في شتى ميادينه **ويدفع** الناس بذلك الى مواصلة السير الى امام دون كلل في **جميع** الطرق العديدة المفضية الى الثورة كما تفضي جميع الطرق الى الطاحون اذا كانت رغبتنا في التوحيد لا تقف عند حد القول فينبغي لكل حلقة محلية ان **تفرز على الفور** جزءاً من قواها ولنقل الربع للعمل **النشيط** في القضية **العامة** وعندئذ تدلها الجريدة * فوراً على المظهر العام

* **تحفظ** . اذا حبذت الحلقة اتجاه هذه الجريدة ورأت من المفيد للقضية ان تكون معاونة فيها ، قاصدة بذلك لا التعاون الادبي وحسب ، بل كل

وعلى مدى العمل وطابعه وتبين لها النواقص التي تبرز اكثر من غيرها في النشاط الروسي العام وتبين لها الاماكن التي ينعدم فيها التحريض وتضعف فيها الصلات وتدلها على براغي الجهاز العام الهائل التي تستطيع هذه الحلقة ان تصلحها او تستعيض عنها باصلح منها ويصبح في وسع الحلقة التي تبحث عن عمل دون ان يكون قد سبق لها ان اشتركت في عمل البدء لا بصفة حرفي في ورشة صغيرة منعزلة لا يعرف التاريخ الذي اجتازته «الصناعة» قبله ولا الحالة العامة لاساليب الانتاج الصناعية المعنية بل بصفة مشترك في مشروع كبير **يتجلى** فيه الاندفاع الثوري العام ضد الحكم المطلق وبمقدار ما يكون كل برغي متقناً وبمقدار ما يزداد العاملون في كل جزء من اجزاء العمل العام تزداد شبكتنا كثافة ويقل الاضطراب الذي تحدثه في صفوفنا العامة الاعتقالات المحتومة

ان توزيع الجريدة بحد ذاته يبدأ بانشاء الصلة **الفعلية** (اذا كانت الجريدة تستحق اسم الجريدة اي اذا كانت تصدر بصورة منتظمة لا مرة في الشهر كما تصدر المجلات الكبيرة بل اربع مرات في الشهر تقريباً) ان الاتصالات بين المدن اليوم لحاجات العمل الثوري هي امر نادر جداً وهي على كل حال شذوذ على القاعدة وعندئذ تصبح هذه الصلات هي القاعدة وتضمن طبعاً لا توزيع الجريدة فقط بل (وهو امر اهم بكثير) تبادل الخبرة والمواد والقوى والموارد عندئذ يتسع نطاق العمل التنظيمي

تعاون ثوري بوجه عام **ملاحظة من اجل «رابوتشييه ديلو»** ان هذا التحفظ بديهي بين الثوريين الذين يقدرون القضية ، لا اللعب بالديموقراطية ، والذين لا يفصلون «التحبيذ» عن اكثر المشاركات نشاطاً وحيوية .

اتساعاً كبيراً على الفور ويصبح النجاح في منطقة ما مشجعاً دائماً على تحسين العمل باستمرار وعلى الرغبة في الاستفادة من الخبرة التي اكتسبها الرفاق في زاوية من زوايا البلاد عندئذ يصبح العمل المحلي اكثر غنى وتشعباً بكثير مما هو عليه الآن والتشهير السياسي والاقتصادي الذي يُجمع في كل انحاء روسيا يقدم الغذاء العقلي للعمال في جميع المهن **وعلى اختلاف درجات التطور** ويقدم المادة والمناسبة لمحادثات وقراءات في مختلف المسائل تساهم في اثارتها تلميحات الجرائد العلنية والاحاديث في المجتمع والبلاغات الحكومية «الحيية» عندئذ تقدر كل فورة وكل مظاهرة وتبحث من جميع الوجوه في جميع انحاء روسيا مثيرة الرغبة في عدم التاخر عن الآخرين وفي العمل بشكل يفضل عمل الآخرين – (ونحن الاشتراكيين لا نرفض البتة كل مباراة وكل «منافسة» بوجه عام !) وفي التحضير بوعي لما جرى في المرة الاولى بشكل عفوي وفي الاستفادة من الظروف الملائمة في هذا المكان او في هذه اللحظة لتغيير مشروع الهجوم الخ وفي الوقت نفسه لا يفضي هذا الانتعاش الذي يدب في العمل المحلي الى اعتصار **جميع** الجهود على غرار ما يفعل يائس «محتضر» ، والى حشد **جميع** القوى كما يحدث عادة الآن لدى كل مظاهرة او كل عدد من اعداد الجريدة المحلية فمن جهة تجابه الشرطة عقبات اكبر جداً في الوصول الى «الجذور» ما دامت لا تدري في اية ناحية ينبغي لها ان تبحث عنها ومن جهة اخرى يعلم العمل العام المنتظم المناضلين كيف يلائمون بين قوة **هجوم معين** والحالة المعينة لقوى هذه الفصيلة او تلك من فصائل الجيش العام (الامر الذي لا يفكر فيه الآن احد تقريباً ، لأن تسعة اعشار الهجمات تشن بصورة عفوية) ويسهل «نقل» المطبوعات ، بل القوى الثورية ايضاً ، من مكان الى آخر .

هذه القوى تستنزف اليوم ، في معظم الحال ، دماءها على صعيد العمل المحلي الضيق ولكن عندئذ تظهر الامكانيات والمناسبات الدائمة لنقل محرض او منظم يظهر شيئاً من الكفاءة من طرف البلاد الى طرفها الآخر فالمناضل اذ يبدأ برحلة صغيرة في شؤون الحزب وعلى حساب الحزب يعتاد العيش بصورة تامة على نفقة الحزب ويصبح من الثوريين المحترفين ويخلق من نفسه قائداً سياسياً حقاً

واذا ما استطعنا فعلاً ان نجعل اللجان والجماعات والحلقات المحلية جميعها او معظمها تشترك اشتراكاً نشيطاً في العمل العام يصبح بامكاننا ان نصدر في المستقبل القريب جريدة اسبوعية توزع بصورة منتظمة في جميع انحاء روسيا بعشرات الالوف من النسخ وتصبح هذه الجريدة جزءاً من منفاخ حدادة هائل ينفخ في كل شرارة من شرارات النضال الطبقي والسخط الشعبي ويجعل منها حريقاً عاماً وحول هذا العمل الذي هو بريء جداً وصغير جداً بحد ذاته ولكنه منتظم وعام بكل معاني الكلمة يتعبأ بصورة منتظمة ويتعلم جيش دائم من مناضلين مجربين ولن يمضي طويل وقت حتى ينهض على سقالات ودعائم هذا التنظيم العام الجاري بناؤه من بين ثوريينا اشتراكيون-ديموقراطيون من طراز جيليابوف ومن بين عمالنا الروس رجال من طراز بيبل يقفون على رأس الجيش المعبأ ويستنهضون الشعب كله للاقتصاص من وصمة العار واللعنة الجاثمتين على صدر روسيا

هذا ما ينبغي لنا ان نحلم به !

* * *

«ينبغي ان نحلم !» ما ان كتبت هذه الكلمات حتى فزعت فقد خيل الي اني جالس في «مؤتمر التوحيد» واماما محررو

«رابوتشييه ديلو» ومعاونوها واذا بالرفيق مارتينوف ينهض ويوجه الي هذا الخطاب الرهيب «اجب من فضلك هل يحق لهيئة تحرير مستقلة ان تحلم دون ان تستاذن في ذلك لجان الحزب بصورة مسبقة ؟». ثم ينهض الرفيق كريتشيفسكي ويستطرد (معمقاً على نمط الفلاسفة الرفيق مارتينوف الذي عمق منذ زمن طويل الرفيق بليخانوف) قائلاً وفي صوته نبرة رهيبة اشد «لن اقف عند هذا الحد اني اسأل هل يحق لماركسي ان يحلم بوجه عام اذا كان لم ينس ان البشرية في رأي ماركس تضع نصب عينيها على الدوام اهدافاً قابلة للتحقيق وان التكتيك هو سير نمو المهام التي تنمو مع نمو الحزب ؟»

سرت القشعريرة في بدني لمجرد التفكير بهذه الاسئلة الرهيبة واخذت ابحث عن ملجأ اختبىء فيه اذن فلنلجأ الى بيساريف ونحاول الاحتماء به .

فقد كتب بيساريف بصدد مسألة الخلاف بين الحلم والحقيقة «ليست جميع الخلافات واحدة اذ يمكن ان يسبق حلمي مجرى الاحداث الطبيعي او يمكن ان يسير في اتجاه لا يمكن ان يفضي اليه سير الاحداث الطبيعي بحال من الاحوال في الحالة الاولى لا يسبب الحلم اي ضرر بل قد يشجع ويشدد عزيمة الانسان الكادح ليس في مثل هذه الاحلام ما يمكن ان يفسد او ان يشل القوة العاملة بل بالعكس تماماً فلئن كان الانسان محروماً تماماً من ملكة الحلم على هذا الشكل ، ولا يستطيع ان يستبق مجرى الاحداث احياناً وان يتصور العمل الذي بدأ به لتوه جاهزاً في صورته الكاملة النهائية عندئذ لا استطيع ان اتصور بوجه من الوجوه الدافع الذي يدفع الانسان الى الشروع بعمل جسيم متعب في ميادين الفن والعلم والحياة العملية والى الدأب حتى انجازه . . . ان الخلاف بين الحلم والحقيقة لا يسبب

اي ضرر على ان يكون الشخص الحالم صادق الايمان بحلمه وعلى أن يتأمل الحياة بانتباه ويقارن بين ملاحظاتـــه والقصور التـــي يبنيها في الهواء وعلى ان يعمل بوجه عام وبصورة وجدانية على تحقيق حلمه فعند وجود تماس بين الحلم والحياة تسير الامور على مـا يرام» (١٠١)

هذا النوع بالضبط من الاحلام قليل جداً لســـوء الحظ في حركتنا ويقع القسط الاكبر من تبعة ذلك على ممثلي الانتقادية العلنية و«الذيلية» غير العلنية الذين يتبجحون باعتدالهم و«حسهم» «للملموس»

ج) ما هو طراز المنظمة التي نحتاجها ؟

يرى القارئ مما تقدم ان «تكتيكنا-المشروع» يتلخص في انكار **النداء** المباشر الى الهجوم وفي المطالبة بضرب «حصـــار محكم حول حصن العدو» ، او بعبارة اخرى في المطالبة بتوجيه كل الجهود لحشد جيش دائم ولتنظيم هذا الجيش **وتعبئته** وعندما سخرنا من «رابوتشييه ديلو» لقفزها من «الاقتصادية» الى الصراخ بالهجوم (وقد ارتفع هذا الصراخ في **نيسان** – ابريل – سنة ١٩٠١ في العدد ٦ من «ليستوك «رابوتشييه ديلو»» (١٠٢)) انهالت على رأسنـــا طبعاً متهمة ايانا بـ«الجمود العقائدي» ، وعدم فهم الواجب الثوري وبالدعوة الى الاحتراس ، الخ ومن الواضح ان هذه الاتهامات لم تدهشنا بتاتاً على ألسنة اناس لا مبادئ لهم يتحصنون بـ«التكتيك-الحركة» العميقة الغور كما انه لم يدهشنا ان يكرر ناديجدين هذه الاتهامات اذ انه يكن بوجه عام اروع الاحتقار للمبادئ البرنامجية والتكتيكية الثابتة .

يقال ان التاريخ لا يعيد نفسه ولكن ناديجدين يسعى بكل قواه الى تكراره ويدأب على نسخ ما قاله تكاتشيف شاجباً «التثقيف الثوري» وصارخاً بـ«دق ناقوس الدعوة» وبـ«وجهة النظر» الخاصة «بعشية الثورة» ، الخ. وهو ينسى على ما يبدو العبارة الشائعة والقائلة ان الحادث التاريخي اذا كان في الاصل مأساة فان نسخته تكون مجرد مسخرة (١٠٣) ان محاولة الاستيلاء على السلطة ، التي حضرت لها دعاية تكاتشيف والتي تحققت عن طريق الارهاب «المخيف» والذي كان يخيف فعلاً قد كانت محاولة جليلة في حين ان الارهاب «التهييجي» الذي يدعو اليه تكاتشيف الصغير هو مضحك لا اكثر ولا اقل وهو مضحك بوجه خاص عندما يتممه بفكرة تنظيم المتوسطين

لقد كتب ناديجدين يقول «لو خرجت «الايسكرا» من محيطها الادبي لرأت انها امام اعراض (منها مثلاً رسالة العامل في «الايسكرا» ، العدد ٧ ، الخ.) تدل على ان ساعة «الهجوم» قريبة ، قريبة جداً ؛ وان الحديث الآن (كذا !) عن منظمة متصلة الاسباب بجريدة لعامة روسيا هو توليد الافكار المكتبية والعمل المكتبي» انظروا الى هذا التشويش الذي فاق حد التصور فمن جهة ، ارهاب تهييجي و«منظمة متوسطين» الى جانب رأي مفاده ان «من الايسر بكثير» التجمع حول عمل «ملموس اكثر» كالجرائد المحلية ، مثلاً ، ومن جهة اخرى ، الحديث «الآن» عن منظمة لعامة روسيا هو توليد الافكار المكتبية اي ان الاوان «الآن» اذا توخينا الوضوح والبساطة في التعبير قد فات ! أولم يفت اوان «تنظيم الجرائد المحلية على نطاق واسع» ايها المحترم ل ناديجدين ؟ قارنوا بذلك وجهة نظر «الايسكرا» وتكتيكها الارهاب التهييجي صبيانيات والحديث عن منظمة للمتوسطين بالذات وعن تنظيم الجرائد المحلية **على نطاق واسع** يعني فتح الابواب على مصاريعها امام «الاقتصادية» . ينبغي ان نتكلم عن

منظمة موحدة للثوريين في عامة روسيا ولن يفوت اوان الكلام عنها حتى اليوم الذي يبدأ فيه «الهجوم» لا على الورق ، بل في الحياة

يستطرد ناديجدين «اجل ، ان امورنا على اردأ حال فيما يخص المنظمة ؛ اجل ان «الايسكرا» على كامل الحق اذ تقول ان القسم الاكبر من قوانا الحربية يتالف من المتطوعين والثائرين وكونكم تتصورون تصوراً سليماً حالة قوانا هو امر تحمدون عليه ولكن لماذا تنسون مع ذلك ان **الجموع ليست الى جانبنا بتاتاً** وانها لذلك **لن تسألنا** عن الوقت الذي ينبغي لها فيه ان تشرع بالعمليات الحربية وتقذف بنفسها الى معمعان «الشغب» وعندما تنطلق الجموع نفسها بقواها التدميرية العفوية ، **تستطيع** ان تسحق وتدحر «الجيش النظامي» الذي تهمون بان تدخلوا عليه تنظيماً دقيقاً غاية الدقة ، ولكن لم يكن **لكم متسع من الوقت** لذلك» (حرف التاكيد لنا)

منطق عجيب ! فالصراخ بـ«الهجوم» على الفور هو امر غير معقول وغير لائق **والسبب هو بالضبط** ان «الجموع ليست الى جانبنا» ، اذ ان الهجوم هو حملة يشنها جيش نظامي لا فورة عفوية من جموع ولما كانت الجموع **تستطيع** ان تسحق وتدحر الجيش النظامي لذلك بالضبط يتحتم علينا ان «لا نتأخر» عن النهوض العفوي بعملنا على «ادخال التنظيم الدقيق غاية الدقة» في الجيش النظامي لأنه بمقدار ما «يتسنى» لنا ان «لا نتأخر» في ادخال هذا التنظيم يصبح من المحتمل ان الجيش النظامي لن يسحق من قبل الجموع بل سيسير في مقدمتها وفي رأسها ان ناديجدين يخطئ لأنه يظن ان هذا الجيش الذي يجري تنظيمه بصورة دائمة مشغول بأمور تفصله عن الجموع في حين ان شغله الشاغل هو في الواقع التحريض السياسي الشامل والمتعدد الوجوه اي انه مشغول بالضبط بعمل **يقرب** قوة الجموع التدميرية العفوية **ويوحدها في كل واحد** مع قوة منظمة الثوريين التدميرية الواعية انكم ايها السادة ، تأخذون البريء بجريرة المذنب ، لأن جماعة «سفوبودا»

بالذات بادخالها الارهاب في **البرنامج** تدعو بذلك الى منظمة ارهابيين ومن شأن مثل هذه المنظمة ان تحول انظار جيشنا حقاً عن الاقتراب من الجموع التي ليست بعد لسوء الحظ الى جانبنا من الجموع التي لا تسألنا لسوء الحظ او لا تسألنا الا فيما ندر عن موعد وكيفية البدء بالعمليات الحربية .

يستطرد ناديجدين في تخويف «الايسكرا» قائلاً «ستباغتنا الثورة نفسها كما باغتتنا الاحداث الراهنة التي انقضت على رؤوسنا كالثلج» ان هذه الجملة ، بالاضافة الى العبارات التي اثبتناها اعلاه تظهر لنا بكل جلاء سخف «وجهة النظر» الخاصة بـ«عشية الثورة»* ، التي اتحفتنا بها «سفوبودا» و«وجهة النظر» الخاصة هذه تتلخص، اذا عمدنا الى الوضوح في القول ، في انه قد فات «الآن» اوان البحث والاستعداد واذا كان الامر كذلك فلماذا دبجتم يا عدو «الادب» الفائق الاحترام ١٣٢ صفحة مطبوعة «عن مسائل النظرية** والتكتيك» ؟ ألا ترون انه انسب «لوجهة نظر عشية

---

* ص ٦٢ «عشية الثورة»

** ومع ذلك فان بحث ل ناديجدين «عرض المسائل النظرية» خال تقريباً من كل شيء فيما يخص المسائل النظرية باستثناء الفقرة التالية الطريفة منتهي الطرافة من «وجهة نظر عشية الثورة» : «البرنشتينية بمجموعها تفقد في ظرفنا حدتها ؛ وسواء ان يبرهن السيد اداموفيتش ان السيد ستروفه قد استحق المكافأة ، ام ان يحدث العكس ويدحض السيد ستروفه ما يقوله السيد اداموفيتش رافضاً الاستقالة ، لأن الساعة الحاسمة ، ساعة الثورة تقترب» (ص ١١٠) من العسير ان نصور ببروز اوضح استهتار ل ناديجدين بالنظرية ، هذا الاستهتار الذي تجاوز كل حد . فقد اعلنا اننا «في عشية الثورة» **ولذلك** فـ«سواء لدينا» ان يفلح الارثوذكس او لا يفلحون في ازاحة النقاد نهائياً عن موقفهم ! ولا يلاحظ حكيمنا اننا نحتاج الى نتائج النضال النظري ضد النقاد في زمن الثورة بالضبط بغية النضال الحازم ضد مواقعهم **العلمية** !

الثورة» اصدار ١٣٢ الف منشور تحمل النداء المقتضب «عليهم ، يا رجال !» ؟

قلما تباغت الثورة اناساً يجعلون من التحريض السياسي بين الشعب كله حجر الزاوية في كامل برنامجهم **وتكتيكهم وعملهم التنظيمي** كما تفعل «الايسكرا» فالناس المنصرفون في جميع انحاء روسيا الى فتل خيوط منظمة متصلة الاسباب بجريدة لعامة روسيا عدا انهم لم يتركوا حوادث الربيع تباغتهم قد اعطونا بالعكس امكانية التنبؤ بها ولم تباغتهم ايضاً المظاهرات التي وصفت في العددين ١٣ و١٤ من «الايسكرا» (١٠٤) ، بل ، بالعكس، اشتركوا فيها مدركين كل الادراك ان الواجب يتطلب منهم ان يخفوا الى مساعدة نهوض الجموع العفوي مساعدين في الوقت نفسه جميع الرفاق الروس عن طريق الجريدة على معرفة هذه المظاهرات والاستفادة من خبرتها واذا بقوا احياء ، فلن تباغتهم كذلك الثورة التي تتطلب منا اول ما تتطلب واكثر ما تتطلب ان نكون خبراء في التحريض وان نحسن مساندة (على الطريقة الاشتراكية-الديموقراطية) كل احتجاج ان نحسن توجيه الحركة العفوية وصيانتها سواء من اخطاء الاصدقاء او من احابيل الاعداء !

وهكذا وصلنا الى الاعتبار الاخير الذي يجعلنا نلح بقوة على مشروع التنظيم حول جريدة لعامة روسيا عن طريق تعاون الجميع على اصدار هذه الجريدة العامة فمثل هذا التنظيم هو وحده الذي يضمن للمنظمة الكفاحية الاشتراكية-الديموقراطية **المرونة** الضرورية ، اي قدرة التكيف على الفور تبعاً لمختلف ظروف النضال المتغيرة بسرعة ، قدرة تجعلها تستطيع «من جهة ، تجنب المعركة في ميدان مكشوف مع خصم متفوق العدد جمع في نقطة واحدة جميع قواه ، وتستطيع معها ، من الجهة الاخرى ، الاستفادة من عدم

مرونة هذا الخصم لمهاجمته حيث وحين قلما ينتظر الهجوم» *
من الخطأ الفاحش ان نبني المنظمة الحزبية دون ان نحسب الحساب لغير الانفجارات ونضال الشوارع او لغير «سير النضال الجاري المعتاد» ينبغي لنا ان نقوم **على الدوام** بعملنا الاعتيادي وان نكون مستعدين لكل شيء على الدوام لأن التنبؤ مسبقاً بحلول مراحل الهدوء محل مراحل الانفجارات كثيراً ما يكون من المستحيلات تقريباً وعندما يكون التنبؤ ممكناً لا تمكن الاستفادة منه لاعادة تنظيم المنظمة ، لأن تبدل الاوضاع هذا في بلاد يسودها الاستبداد يجري بسرعة خارقة وقد تكفي لذلك احياناً حملة في ليل يشنها انكشارية القيصر (١٠٥) والثورة نفسها لا ينبغي لنا ان نتصورها بشكل عمل واحد (كما يتصور ناديجدين وامثاله على ما يظهر) بل بشكل بضعة تبدلات سريعة من انفجارات شديدة لحد ما الى سكون عميق لحد ما ولذلك فان المضمون الاساسي لنشاط منظمتنا الحزبية ومحور نشاطها ينبغي ان يكون ذلك العمل

---

* «الايسكرا» ، العدد ٤ «بم نبدأ ؟» لقد كتب ناديجدين (ص٦٢) «ان طول العمل لا يقلق مطلقاً المربين الثوريين الذين لم يتبنوا وجهة نظر عشية الثورة» . ونحن نجيب على ذلك بالملاحظة التالية : اذا كنا لا نحسن وضع تكتيك سياسي ومشروع تنظيمي يعدان على التأكيد **لفترة عمل طويل جداً** ويضمنان في الوقت نفسه لحزبنا ، **بمجرى هذا العمل نفسه** ، ان يكون على اتم الاهبة لشغل منصبه وللقيام بواجبه في جميع الاحوال المفاجئة ومهما بلغت سرعة سير الاحداث ، ـ لكون عبارة عن مغامرين سياسيين يرثى لهم . وما من احد غير ناديجدين الذي انتحل اسم الاشتراكي-الديموقراطي من عصر الامس يستطيع ان ينسى ان هدف الاشتراكية-الديموقراطية هو تغيير ظروف حياة البشرية كلها من الاساس وانه لذلك لا يجوز للاشتراكي-الديموقراطي ان يترك «القلق» يستحوذ عليه من جراء طول العمل .

الممكن والضروري سواء في مراحل اقوى الانفجارات او في مراحل السكون التام ونعني التحريض السياسي الموحَّد في جميع انحاء روسيا والذي يلقى النور على جميع نواحي الحياة ويتوجه الى اوسع الجماهير ، وهذا العمل **لا يمكن تصوره** في روسيا الراهنة بدون جريدة لعامة روسيا تصدر في فترات متقاربة جداً والمنظمة التي تتألف من تلقاء نفسها حول هذه الجريدة منظمة **المتعاونين** على اصدارها (بمعنى الكلمة الواسع اي كل من يعمل من اجلها) ستكون بالضبط على استعداد **لكل شيء** ابتداء من انقاذ شرف الحزب وسمعته واستمرارية عمله فى فترات اشد «الضغوط» على الثوريين وانتهاء باعداد **الانتفاض الشعبي المسلح** وتحديد زمنه وتحقيقه .

وبالفعل تصوروا حالة من الحالات المعتادة جداً عندنا اعتقال الجميع في منطقة او عدد من المناطق لقد جرت العادة على ان يرافق هذه الاعتقالات انقطاع في النشاط يستمر اشهراً عديدة من جراء عدم وجود عمل **واحد** دائم مشترك بين **جميع** المنظمات المحلية ولكن في حالة وجود عمل مشترك بين الجميع يكفي حتى في حالة افظع الاعتقالات ان يعمل اثنان او ثلاثة من الرفاق البعيدي الهمة بضعة اسابيع ليربطوا بالمركز العام حلقات الشباب الجديدة التي تنشأ كما يعلم الجميع بسرعة حتى في الظرف الحاضر والتي يمكن ان تنشأ وترتبط بالمركز العام بسرعة اكبر اذا كان هذا العمل المشترك الذى تضرر من الاعتقالات معروفاً من الجميع

وتصوروا من ناحية اخرى الانتفاض الشعبي يتراءى لنا ان الجميع يوافقون اليوم على ضرورة التفكير به والاستعداد له ولكن **كيف** نستعد ؟ أترى يجب ان تعين اللجنة المركزية عملاء في جميع النواحي لتحضير الانتفاض ؟ ولكن اللجنة المركزية وان كانت موجودة عندنا ، لا تستطيع ان تبلغ شيئاً في الظروف

الروسية الراهنة عن طريق مثل هذا التعيين وعلى عكس ذلك شبكة العملاء * التي تتألف من تلقاء نفسها في العمل على تنظيم وتوزيع الجريدة العامة ، فهي لن «تنتظر مكتوفة الايدي» شعار الانتفاض بل ستقوم على وجه التحقيق بعمل منتظم يضمن لها اكبر امكانيات النجاح في حالة الانتفاض وهذا العمل بالذات يوثق الصلات باوسع جماهير العمال وبجميع الفئات الساخطة على الاستبداد ، وهو امر كبير الاهمية بالنسبة للانتفاض وعلى اساس هذا العمل بالذات تنمو ملكة التقدير الصحيح للوضع السياسي العام ، وبالتالي ، ملكة اختيار الساعة المناسبة للانتفاض وهذا العمل بالذات يعلّم جميع المنظمات المحلية على النهوض في وقت واحد للجواب على المسائل والطوارئ والاحداث السياسية الواحدة التي تثير روسيا من اقصاها الى اقصاها والجواب على هذه «الاحداث» باكثر ما يمكن من النشاط والتجانس والعقلانية ، — وما الانتفاض في الجوهر غير «جواب» الشعب كله على الحكومة باكثر ما يكون من النشاط والتجانس والعقلانية وهذا العمل بالذات

---

* اواه ، اواه ! لقد زل لساني مرة اخرى وانطلقت هذه الكلمة الفظيعة «عميل» التي تجرح بشدة الآذان المارتينوفية الديموقراطية ! لا افهم لماذا تجرح هذه الكلمة حرفيي سنوات العقد العاشر في حين انها لم تجرح اقطاب سنوات العقد الثامن ؟ ان هذه الكلمة تعجبني ، لأنها تشير بوضوح ودقة الى **القضية العامة** التي يقصر عليها جميع العملاء تفكيرهم ونشاطهم . واذا كانت هناك حاجة الى الاستعاضة عن هذه الكلمة باخرى لوقع اختياري على كلمة «معاون» لولا ما ينز منها من رائحة التنميق الادبي والميوعة . فنحن بحاجة الى منظمة عملاء عسكرية . وعلى كل حال يستطيع اضراب مارتينوف الكثيرون (في الخارج بوجه خاص) والمغرمون بان «يمنح بعضهم بعضا القاب الجنرالات» ان يقولوا بدل «عميل في قسم الجوازات» ، «القائد الاعلى للشعبة الخاصة بتجهيز الثوريين بالجوازات» ، الخ . .

يعلّم اخيراً جميع المنظمات الثورية في جميع انحاء روسيا ان تقيم بينها الروابط المنتظمة جداً والسرية جداً في آن واحد هذه الروابط التي تنشئ وحدة الحزب **الفعلية** والحال لا يمكن بدون هذه الروابط ان يبحث بصورة مشتركة مشروع الانتفـــاض وان تتخذ في عشيته التدابير التحضيرية الضرورية التي ينبغي ان تبقى في طي الكتمان التام

وبكلمة ، ان «مشروع الجريدة السياسية لعامة روسيا» ليس ثمرة تفكير اناس قابعين في مكتب ومصابين بالجمـــود العقائدي والتنميق الادبي (كما خيل لاناس لم يفكروا في الامر ملياً) ، وليس هذا وحسب ، بل انه ، بالعكس ، مشروع عملي جداً يعطينا امكانية الشروع من جميع الجهات وعلى الفور بالاستعداد للانتفاض دون ان ننسى في الوقت نفسه ولو للحظة عملنا اليومي المعتاد .

خاتمة

ينقسم تاريخ الاشتراكية-الديموقراطية الروسية بوضوح الى ثلاث مراحل .

تمتد المرحلة الاولى نحو عشر سنوات اي تقريباً من سنة ١٨٨٤ حتى سنة ١٨٩٤ وكانت مرحلة نشوء وتوطد نظرية الاشتراكية-الديموقراطية وبرنامجها وكان انصار الاتجاه الجديد في روسيا يعدون بالآحاد وكانت الاشتراكية-الديموقراطية موجودة بدون حركة عمال وكانت بوصفها حزباً سياسياً تجتاز مرحلة التطور الجنيني

وتشمل المرحلة الثانية ثلاث او اربع سنوات ١٨٩٤-١٨٩٨ وفيها خرجت الاشتراكية-الديموقراطية الى دنيانا بوصفها حركة اجتماعية ، بوصفها نهضة للجماهير الشعبية ، بوصفها حزباً سياسياً انها مرحلة الطفولة واليفاع وقد انتشر بين المثقفين ، بسرعة الوباء الشغف العام بالنضال ضد الشعبيين وبالتوجه الى العمال كما انتشر بين العمال الشغف العام بالاضرابات واحرزت الحركة نجاحات كبيرة وكان معظم القادة شباباً احداثاً بعيدين جداً عن «سن الخامسة والثلاثين» التي بدت للسيد ن. ميخايلوفسكي بمثابة حد طبيعي وقد ظهر هؤلاء بسبب حداثة سنهم ، غير مستعدين للنشاط العملي وتخلوا عن المسرح

بسرعة مدهشة ولكن نطاق عملهم كان في اغلب الحالات واسعاً جداً واخذ كثيرون منهم يفكرون تفكيراً ثورياً بوصفهم من جماعة «نارودنايا فوليا» وكان الجميع تقريباً في عهد الشبـــاب الاول ينحنون باكبار امام ابطال الارهاب وللخلاص من اغراء هـذا التقليد البطولي تطلب الامر نضالاً رافقه قطع الصلة باناس ارادوا ان يظلوا مهما كلف الامـر امناء لجماعة «نارودنايا فوليا» وكان الاشتراكيون-الديموقراطيون الشباب يكنون لهم اسمـــى الاحترام وقد فرض النضال ضرورة التعلـــم وقراءة المطبوعات السرية على اختلاف اتجاهاتها والدأب على دراسة مسائل الشعبية العلنية وكان الاشتراكيون-الديموقراطيون الذين تربوا في غمرة هذا النضال يتوجهون الى حركة العمال دون ان ينسوا «لحظة» لا النظرية الماركسية التي انارتهم بنورها الساطع ولا مهمة اسقاط الحكم المطلق وقد كان تشكيل الحزب في ربيـــع سنة ١٨٩٨ (١٠٦) ابرز عمل للاشتراكيين-الديموقراطيين في هذه المرحلة وكان في الوقت نفسه **آخر** عمل لهم

وقد ظهرت بوادر المرحلة الثالثة كمـا رأينـا في سنـة ١٨٩٧ وحلت نهائياً محل المرحلة الثانية سنة ١٨٩٨ (من ١٨٩٨ الى ؟ .) وهي مرحلة تبعثر وتفسخ وتارجح وبما انه يحدث للمرء في عهد اليفاع ان يتغير صوته فقد اخذ صوت الاشتراكية-الديموقراطية الروسية في هذا العهد يتغير ويصبح نشازاً من جهة في مؤلفات الســادة ستروفـــه وبروكوبوفيتش وبولغاكوف وبرديايف ومـــن جهـــة اخرى عند ف. ا. ور. م. وب. كريتشيفسكي ومارتينوف ولكن القادة هم وحدهم الذين كانوا يتيهون متفرقين ويتقهقرون على غير هدى اما الحركة نفسهـــا فكانت لا تفتأ تتســـع وتخطو خطوات كبرى الى الامام وكان النضال البروليتاري يشمل فئات جديدة من العمال ويمتد الى جميع

انحاء روسيا ، عاملاً في الوقت نفسه بصورة غير مباشرة على انعاش الروح الديموقراطية بين الطلاب وفئات السكان الاخرى اما وعي القادة فقد خار حيال سعة النهوض العفوي وقوته لقد سادت بين الاشتراكيين-الديموقراطيين مرحلة اخرى ، – مرحلة مناضلين تربوا على الادب الماركسي «العلني» وحده تقريباً وكان هذا الادب غير كاف خصوصاً وان عفوية الجماهير كانت تتطلب منهم المزيد من الوعي ولم يقتصر القادة على التخلف من الناحية النظرية («حرية النقد») ومن الناحية العملية («العمل الحرفي») على حد سواء بل حاولوا تبرير تخلفهم بمختلف الحجج المتفاضحة لقد انحطت الاشتراكية-الديموقراطية الى مستوى التريديونيونية سواء من قبل برينتانيي المطبوعات العلنية او من قبل دعاة الذيلية في المطبوعات السرية وبدأ برنامج "Credo„ يتحقق بوجه خاص عندما افضت «حرفية» الاشتراكيين-الديموقراطيين الى انتعاش الاتجاهات الثورية غير الاشتراكية-الديموقراطية

واذا ما لامني القارئ لاهتمامي هذا الاهتمام البالغ بجريدة كـ«رابوتشييه ديلو» فاني اجيبه لقد اكتسبت «رابوتشييه ديلو» اهمية «تاريخية» لأنها افصحت بمنتهى الجلاء عن «روح» هذه المرحلة الثالثة * فالذي يستطيع ان يعرب على احسن وجه عن التبعثر والتأرجح ، عن الاستعداد للتنازل حيال «النقد» وحيال «الاقتصادية» وحيال الارهابية ، ليس ر . م . ذو العقلية المستقيمة ، بل المتلونون

* وبوسعي ان اجيب كذلك بالمثل الالماني: Den Sack schlägt man, den Esel meint man او ما معناه بالروسية اضرب القطة تعط كُنّتك العبر **فالجمهور الواسع** من المشتغلين في الحقل العملي ، **والنظريين** ، لا «رابوتشييه ديلو» وحدها ، قد هام بموضة «النقد» واختلط عليه الامر في مسالة العفوية وانزلق في فهم مهامنا السياسية والتنظيمية من المفهوم الاشتراكي-الديموقراطي الى المفهوم التريديونيوني .

الكريتشيفسكيون والمارتينوفيون وما يميز هذه المرحلة ليس الاستخفاف المتعالي بالنشاط العملي من قبل هائم بـ«المطلق» بل على وجه الدقة المزج بين النشاط العملي التافه والاستهتار التام بالنظرية ، وابطال هذه المرحلة لم ينصرفوا الى انكار «الكلمات العظمى» انكاراً مباشراً بمقدار ما انصرفوا الى ابتذالها فلم تبق الاشتراكية العلمية نظرية ثورية متماسكة ، بل اصبحت تُحوَّل الى خليط يضيفون اليه ، «بحرية» ، سوائل من اي كتاب مدرسي الماني حديث ولم يعد شعار «النضال الطبقي» يدفع الى الامام الى عمل يتسع نطاقه باستمرار ويزداد نشاطه باستمرار بل غدا وسيلة تسكين ما دام «النضال الاقتصادي وثيق الصلة بالنضال السياسي» ولم تكن فكرة الحزب نداء الى انشاء منظمة ثوريين كفاحية ، بل كانت مبرراً لنوع من «الدواوينية الثورية» واللعب الصبياني بالاشكال «الديموقراطية»

لا ندرى متى تنتهي المرحلة الثالثة وتبدأ المرحلة الرابعة (التي نرى ، على كل حال الكثير من تباشيرها) . اننا ، هنا ، ننتقل من صعيد التاريخ الى صعيد الحاضر والمستقبل جزئياً ولكننا على يقين تام من ان المرحلة الرابعة ستفضي الى توطيد الماركسية الكفاحية وان الاشتراكية-الديموقراطية الروسية ستخرج من الازمة زاخرة بالصحة والرجولة ، وان مؤخرة الانتهازيين «سيستعاض عنها» بالطليعة الحقيقية من الطبقة التى لا تضارعها في ثوريتها طبقة اخرى

وفي وسعنا ، بصفة نداء الى هذه «الاستعاضة» وبصفة تلخيص لكل ما قلناه فيما تقدم ان نجيب على سؤال «ما العمل ؟» جواباً مقتضباً وهو

فلننه المرحلة الثالثة

محاولة توحيد «الايسكرا» و«رابوتشييه ديلو»

بقى علينا ان نصف التكتيك الذي اتخذته «الايسكرا» وطبقته باستقامة في علاقاتهـــا مع «رابوتشييـــه ديلو» لقد عرضت «الايسكرا» هذا التكتيك بصورة تامة في عددها الاول في مقـــال عن «انقسام اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الخارج» لقد اتخذنا للحال وجهة نظـر مفادها ان «اتحـــاد الاشتراكيين-الديموقـــراطيين الـــروس في الخـــارج» ذلك الاتحـــاد **الحقيقـي** الذي اعترف بـــه المؤتمـــر الاول لحزبنـــا ممثلاً له في الخارج قد **انقسم** الى منظمتين وان مسالة تمثيل الحزب ما تزال معلقة ما دامت لم تحل غير حل موقت مشروط بكون مؤتمر باريس العالمي قد انتخب عن روسيا في المكتب الاشتراكي العالمي (١٠٧) الدائم عضوين ، على اساس عضو عن كل شطر من شطري «الاتحاد» المنقسم وقد صرحنا بان «رابوتشييه ديلو» **على غير حق** من حيث الجوهر ووقفنا بحزم من الناحية المبدئية الى جانب فرقة «تحرير العمل» رافضين في الوقت نفسه الدخول في تفاصيل الانقسام ونوهنا بخدمات «الاتحاد» في ميدان النشاط العملي الصرف *

* هذا الرأي عن الانقسام مبني لا على الاطلاع على المطبوعات وحسب ، بل ايضاً على معلومات جمعها عدد من اعضاء منظمتنا اثناء وجودهم في الخارج .

وعلى ذلك كان موقفنـــا الى حد معين موقف انتظـــار تنازلنا حيال الرأي السائد بين اكثرية الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس ، والقائل بانه يمكن حتى لالد اعداء «الاقتصادية» ان يعملوا يداً بيد مع «الاتحاد» لأن «الاتحاد» قد اعلن غير مرة انه على اتفاق مبدئي مع فرقة «تحرير العمل» ، دون ان يدعي على ما يبدو بالاستقلال في المسائل النظرية والتكتيكية الاساسية والواقع التالي يبرهن بصورة غير مباشرة صحة الموقف الذي وقفناه في وقت واحد تقريباً مع صدور العـــدد الاول من «الايسكرا» (كانون الاول – ديسمبر –سنة ١٩٠٠) انفصل عن «الاتحـاد» ثلاثة من اعضائه وشكلوا ما سمي بـ«فريق المبادرين» وتوجهوا ١ – الى فرع منظمة «الايسكرا» في الخارج ٢ – الى منظمـــة «الاشتراكي-الديموقراطي» الثورية (١٠٨) ٣ – الى «الاتحاد» مقترحين الوساطة في اجراء مفاوضات للتصالح وقد اعلنـــت المنظمتان الاولى والثانية على الفور موافقتهما **ورفضت الثالثة** والحقيقة انه عندما عرض احد الخطباء هذه الوقائع في المؤتمـــر «التوحيدي» في السنة الماضية (١٠٩) صرح عضو من اعضاء ادارة «الاتحاد» بان السبب **الوحيد** للرفض هو عدم رضى «الاتحاد» عن تركيب فريق المبادرين واني اذ اعتقد ان الواجب يفرض علي ذكر هذا الشرح لا يسعني في الوقت نفســـه ألاّ الاحظ انـــي اعتبره من جهتي غير مرض فعندما بلغ «الاتحاد» قبول المنظمتين الاخريين للمفاوضات كان بوسعه ان يتوجه اليهما عن طريق وسيط آخر او بصورة مباشرة

وفي ربيع سنة ١٩٠١ انبرت «زاريا» (العدد ١ نيسان – ابريل) و«الايسكرا» (العدد ٤ ايار – مايو) واشتبكتا في جدال مباشر مع «رابوتشييه ديلو» * وقد هاجمت «الايسكرا»

* راجع مقال لينين : « بم نبدأ ؟ » . **الناشر** .

بوجه خاص «الانعطاف التاريخي» لـ«رابوتشييه ديلو» التي اظهرت في عدد **نيسان** (ابريل) اي بعد حوادث الربيع التردد حيال الميل الى الارهاب والنداءات «الدامية» وبالرغم من هذا الجدال قبل «الاتحاد» استئناف مفاوضات التفاهم بوساطة فريق آخر من «المصلحين» (١١٠) وقد عقدت بين مندوبي المنظمات الثلاث المذكورة مداولة تمهيدية في شهر حزيران (يونيو) ووضع مشروع معاهدة على اساس «اتفاق مبدئي» مفصل جداً طبعه «الاتحاد» في كراس «مؤتمران» وطبعته «العصبة» في كراس «وثائق المؤتمر «التوحيدي»» .

ان محتوى هذا الاتفاق المبدئي (او قرارات مداولة–كونفرانس حزيران كما يسمونها في اكثر الاحيان) يظهر بمنتهى الوضوح اننا وضعنا كشرط لا بد منه للتوحيد الرفض **الاحزم** لجميع مظاهر الانتهازية بوجه عام والانتهازية الروسية بوجه خاص فقد جاء في النقطة الاولى «نحن نرفض جميع المحاولات لادخال الانتهازية في نضال البروليتاريا الطبقي المحاولات التي تجلت فيما يدعى بـ«الاقتصادية» والبرنشتينية والميليرانية الخ.» «تشمل دائرة نشاط الاشتراكية-الديموقراطية النضال الفكري ضد جميع خصوم الماركسية الثورية» (٤ ج) «في جميع ميادين النشاط التنظيمي والتحريضي ينبغي ان لايغيب عن بال الاشتراكية-الديموقراطية ولو للحظة واجب البروليتاريا الروسية المباشر – اسقاط الحكم المطلق» (٥ أ) ؛ «التحريض ليس فقط على صعيد النضال اليومي بين العمل المأجور ورأس المال» (٥ ب) ؛ «مع عدم الاعتراف بمرحلة النضال الاقتصادي الصرف والنضال من اجل المطالب السياسية الخاصة» (٥ ج) «نعتبر من المهم للحركة نقد التيارات التي ترفع البدائية وضيق الاشكال السفلى للحركة الى درجة المبدأ» (٥ د) ان كل من يقرأ هذه القرارات بشيء من الانتباه يرى بكل وضوح ، من مجرد صيغها ، حتى وان لم تكن

له اية علاقة بالأمر انها موجهة ضد الناس الذيـــن كانـــوا انتهازيين و«اقتصاديين» والذين غاب عن بالهم ولو للحظة واجب اسقاط الحكم المطلق والذين اعترفوا بنظرية المراحل وجعلوا من الضيق مبدأ الخ. وكل من الم ولو اقل المام بجدال فرقة «تحرير العمل» و«زاريا» و«الايسكرا» ضد «رابوتشييه ديلو» لا يشك لحظة في ان هذه القرارات ترفض نقطة نقطة تلك الاخطاء بعينها التي وقعت فيها «رابوتشييه ديلو» ولهذا ، عندما اعلن احد اعضاء «الاتحاد» في المؤتمر «التوحيدي» ان المقالات المنشورة في العدد ١٠ من «رابوتشييه ديلو» لا تعود الى «الانعطاف التاريخي» الجديد من قبل «الاتحاد» ، بل الى طابع القرارات «المجرد» جداً * كان احد الخطباء على كامل الحق اذ ضحك من ذلك. وقد اجاب قائلاً ان القرارات ليست غير مجردة وحسب بل هي ملموســـة جداً بحيث يكفي المرء ان يلقي عليها نظرة ليدرك انه قد «اصطيد احد ما»

وهذا التعبير الاخير كان مناسبة لوقوع حادث في المؤتمر له مغزاه فمن جهة تشبث ب كريتشيفسكى بكلمة «اصطيد» ظناً منه انها زلة لسان تنم عن سوء قصد من جهتنا («نصـــب شرك») وصرخ بصوت مؤثر «من ؟ من بالذات الذي اصطيـــد هنا» ؟ فسأل بليخانوف متهكماً «حقاً من هذا الذي اصطيد ؟» فاجاب ب. كريتشيفسكي «سأساعد الرفيق بليخانوف على ما يظهر من قلة ذكاء سأوضح له انه اصطيد هنا **قلم تحريـــر «رابوتشييه ديلو»** (ضحك عام) ولكننا لم نقع في الفخ !» (صوت من اليسار وهذا لسوء طالعكم !) ومن جهة اخرى ، عندما تكلم عضو جماعة «النضال» (فريق المصلحين) ضد تعديلات «الاتحاد»

---

* تكرر هذا التاكيد في «مؤتمران» ، ص ٢٥ .

للقرارات قال ، رغبة منه في الدفاع عـــن خطيبنا ان كلمـــة «اصطيد» قد انطلقت على التأكيد عن غير عمد في حماسة الجدال

اما انا فاعتقد ان مثل هذا «الدفاع» ليس في مصلحة الخطيب الذي استعمل التعبير المذكور فانا اعتقد ان كلمات «اصطيـد احد ما» «تقدم الجد في ثوب المزاح» فقد كنا نتهم «رابوتشييه ديلو» على الدوام بالتردد والتأرجح فطبيعي انه **كان علينا** ان نسعى الى **اصطيادها** لكيما نجعل ترددها في المستقبل مستحيلاً . ولا مجال هنا للحديث عن سوء القصد لأن القضية قضية تردد مبدئي وقد تمكنا من «اصطياد» «الاتحاد» بصورة رفاقيـة * جداً جعلت ب. كريتشيفسكي نفسه يوقع قرارات حزيران (يونيو) مع عضو آخر من اعضاء ادارة «الاتحاد» .

ان مقالات العدد ١٠ من «رابوتشييه ديلو» (ولم ير رفاقنـــا هذا العدد الا عندما وصلوا لحضور المؤتمر وقبل افتتاح الجلسات ببضعة ايام) بينت بوضوح ان انعطافاً جديـــداً قد حـــدث في «الاتحاد» من الصيف الى الخريف فقد انتصر «الاقتصاديون» مرة

---

* وبالضبط قلنا في التمهيد لقرارات حزيران (يونيو) ان الاشتراكية-الديموقراطية الروسية بمجموعها قد وقفت على الدوام على صعيد مبادئ فرقـــة «تحرير العمل» وان مآثرة «الاتحاد» هي بوجـــه خاص نشاطه في ميدان المطبوعات والتنظيـــم وبعبارة اخرى ، اعربنـــا عن استعدادنا التـــام لتناسي الماضي كلـــه وللاعتراف بمـــا لعمل رفاقنـــا في «الاتحاد» من فائدة (للقضية) **بشرط** ان يوقف بصورة تامة التردد الذي قصدناه «بالاصطياد» وكل منصف يقرأ قرارات حزيران (يونيو) لا يفهمها الا على هذا الوجه . واذا كان «الاتحاد» ، بعد ان **سبب** الانفصال بانعطافه الجديد نحو «الاقتصادية» (في مقـــالات العدد ١٠ وفي التعديلات) ، يتهمنا الآن على مسمـــع من الملأ **بالافتئات على الحقيقة** («مؤتمران» ، ص ٣٠) بسبب هذه الكلمات عن مآثره ، فان هذه التهم لا يمكن طبعاً ان تستدعي غير الابتسام .

اخرى واخذت هيئة التحرير التي تساير كل «ريح» تدافع عن «البرنشتينيين المنفلتين من عقالهم» وعن «حرية النقد» واخذت تدافع عن «العفوية» وتبشر على لسان مارتينوف بـ«نظرية تضييق» ميدان تأثيرنا السياسي (بقصد تشديد التأثير نفسه على ما يقال) وقد ثبتت مرة اخرى صحة ملاحظة بارفوس الصائبة اذ قال انه ليصعب اصطياد الانتهازي بأية صيغة فهو يوقع **كل** صيغة بسهولة ويرتد عنها بسهولة ايضاً ، لأن الانتهازية تتلخص بالضبط في انعدام المبادئ المحددة والثابتة ولو لحد ما ان الانتهازيين يرفضون اليوم **كل** محاولة لادخال الانتهازية ، يرفضون **كل** ضيق ، ويعدون على مسمع من الملأ بان «لا يغيب عن بالهم ولو للحظة واجب اسقاط الحكم المطلق» وبان يقوموا «بالتحريض ليس فقط على صعيد النضال اليومي بين العمل المأجور ورأس المال» الخ . الخ . وفي الغد يغيرون اسلوب التعبير ويعودون الى القديم بحجة الدفاع عن العفوية ، وتقدم النضال الجاري المعتاد ، وامتداح المطالب التي تبعث الامل بنتائج حسية الخ . واذ يستمر «الاتحاد» على التأكيد بانه «لم ير ولا يرى» في مقالات العدد ١٠ «اي هرطقة وارتداد عن المبادئ العامة التي يقوم عليها مشروع المداولة» («مؤتمران) ص ٢٦) يكشف بذلك عن عجزه التام عن فهم فحوى الخلافات او عن عدم رغبته في فهمها

لم يبق امامنا بعد العدد ١٠ من «رابوتشييه ديلو» غير القيام بمحاولة واحدة البدء بمناقشة عامة لكيما نتبين ما اذا كان «الاتحاد» كله يؤيد هذه المقالات ويؤيد هيئة تحريره وهذا ما يجعل «الاتحاد» مستاء جداً منا متهماً ايانا بمحاولة بذر بذور الانقسام في «الاتحاد» وفي التدخل فيما لا يعنينا الخ . ومن الواضح ان هذه التهم باطلة ، لأنه في حالة وجود هيئة تحرير منتخبة «تميل» مع النسيم كيفما هب ، يتوقف كل شيء على اتجاه

الريح بالذات وقد حددنا هذا الاتجاه في جلسات مغلقة لم يحضرها احد غير اعضاء المنظمات التي تعتزم الاتحاد والتعديلات التي اقترح «الاتحاد» ادخالها على قرارات حزيران (يونيو) قد افقدتنا آخر امل بامكانية الاتفاق فقد اثبتت التعديلات بالوثائق الانعطاف الجديد نحو «الاقتصادية» وتأييد اكثرية «الاتحاد» للعدد ١٠ من «رابوتشييه ديلو» وقد حذف من مجمل مظاهر الانتهازية «ما يدعى «الاقتصادية»» (نظراً لما يزعم من «عدم وضوح معنى» هذه الكلمات الثلاث مع انه لا يمكن ان ينبثق من هذه الحجة غير ضرورة اعطاء تحديد اكثر دقة لجوهر هذا الخطأ المنتشر جداً) وحذفت «الميليرانية» (مع ان ب كريتشيفسكي قد دافع عنها في «رابوتشييه ديلو» ، العدد ٢-٣ ، ص‌ص ٨٣-٨٤ وبصورة اوضح في "Vorwärts" *) وبالرغم من ان قرارات حزيران (يونيو) قد اشارت بوضوح الى مهمة الاشتراكية-الديموقراطية وهي «قيادة **جميع** مظاهر نضال البروليتاريا ضد **جميع** اشكال الظلم السياسي **والاقتصادي** والاجتماعي» - مطالبة بذلك بادخال روح المنهاجية والوحدة في جميع مظاهر النضال هذه - اضاف «الاتحاد» كلمات لا لزوم لها قط وهي ان «النضال الاقتصادي حافز قوى للحركة الجماهيرية» (وهي كلمات لا جدال فيها بحد ذاتها ولكنها في حالة وجود «الاقتصادية» الضيقة ، تفسح المجال دونما شك للتأويلات المغلوطة) وفوق ذلك ادخل على قرارات حزيران (يونيو) **تضييق** مباشر «للسياسة» سواء عن طريق شطب كلمات «ولو للحظة» (في عبارة - لا ينبغي ان يغيب عن البال

---

* بدأ في "Vorwärts" («فورفارتس») جدال بهذا الصدد بين هيئة تحريرها الحالية وكاوتسكي و«زاريا» . وسنطلع القراء الروس حتماً على هذا الجدال (١١١) .

ولو للحظة هدف اسقاط الحكم المطلق) او عن طريق اضافة ان «النضال الاقتصادي هو الوسيلة التي يمكن استعمالها **باوسع شكل** لجذب الجماهير الى النضال السياسي النشيط» وغنى عن القول ان جميع خطباء طرفنا قد اخذوا بعد اقتراح هذه التعديلات يرفضون الواحد بعد الآخر الكلام ، معتبرين ان متابعة المفاوضات مع اناس ينعطفون مرة اخرى نحو «الاقتصادية» ويضمنون لانفسهم حرية التأرجح امر لا طائل منه

«ان ما اعتبره «الاتحاد» شرطاً sine qua non * لضمان متانة الاتفاق المقبل ، اي الاحتفاظ لـ«رابوتشييه ديلو» بسيمائها الخاصة واستقلالها هو بالذات ما اعتبرته «الايسكرا» حجر عثرة لتحقيق هذا الاتفاق» («مؤتمران» ، ص ٢٥) ان هذا بعيد جداً عن الدقة نحن لم نتطاول قط على استقلال «رابوتشييه ديلو» ** وقد **رفضنا** في الحقيقة **رفضاً قاطعاً** سيماءها الخاصة اذا فهمت من ذلك «السيماء الخاصة» في المسائل المبدئية النظرية والتكتيكية وقرارات حزيران (يونيو) تتضمن على وجه التحقيق الرفض القاطع **لمثل هذه** السيماء الخاصة ، لأن هذه «السيماء الخاصة» كانت تعني على الدوام في الواقع ونكرر ذلك التردد بمختلف مظاهره ودعم هذا التردد للتبعثر الذي يسود عندنا والذي لا يطاق من وجهة نظر الحزب ان «رابوتشييه ديلو» بمقالاتها في العدد ١٠ و«التعديلات» قد اظهرت بصورة واضحة رغبتها في ان تحتفظ لنفسها بهذه السيماء الخاصة بالذات وهذه الرغبة قد افضت

---

* ــ لا بد منه . ــ باللاتينية في النص الاصلي **الناشر** .

** هذا اذا لم تعتبر تضييقاً للاستقلال تلك المداولات التي اجرتها هيئات التحرير لمناسبة تأسيس مجلس اعلى عام للمنظمات المتحدة والتي قبلتها «رابوتشييه ديلو» ايضاً في حزيران (يونيو) .

بصورة طبيعية محتومة الى الانفصال واعلان الحرب ولكننا كنا جميعاً مستعدين للاعتراف لـ«رابوتشييه ديلـــو» «بسيماء خاصة» بمعنى تركيز انتباهها على نواح معينة من نواحي النشاط الادبي والتقسيم الصحيح لهذا النشاط يفرض نفسه بنفسه ١ – المجلة العلمية ٢ – الجريدة السياسية ٣ – المنتخبات المبسطـــة والكراريس المبسطة وبغير الموافقة على هذا التقسيم لا تبرهن «رابوتشييه ديلو» على صدق رغبتهـــا في تصفية تلك الاخطاء التي تتجه ضدها قرارات حزيران (يونيو) وليس من تقسيـم غير هذا التقسيم من شأنه ان يزيل كل امكانية للاحتكاكات ويضمن في الواقع متانة الاتفاق ويضع في الوقت نفسه الاساس لنهوض حركتنا نهوضاً جديداً ولاحرازها نجاحات جديدة

ليس ثمة الآن اشتراكي-ديموقراطي روسي يستطيع ان يشك في ان انفصال الاتجاه الثوري انفصالاً نهائياً عن الاتجاه الانتهازي لم ينشأ عن ايـــة اعتبارات «تنظيمية» ، بل انمـا نشأ عن رغبـــة الانتهازيين في توطيد سيمـــاء الانتهازية الخاصة وفي الاستمرار في تشويش الاذهان بمحاكمات كريتشيفسكي ومارتينوف واضرابهما

كتب في خـريف ١٩٠١ ــ شباط (فبراير) ١٩٠٢
طبع بشكل كتاب في شتوتغـارت في آذار (مارس) ١٩٠٢

المجلـــــد ٦ ، ص‌ص ٣ــ١٩٠

تعديل على «ما العمل ؟»

طلب مني «فريق المبادرين» الذي تحدثت عنه في كتاب «ما العمل ؟» ، ص ١٤١ * ان ادخل التعديل التالي على عرض اشتراكه في محاولة احلال التفاهم بين المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية في الخارج «ان عضواً واحداً فقط من اعضاء هذا الفريق الثلاثة قد انسحب من «الاتحاد» في اواخر سنة ١٩٠٠ ، اما العضوان الآخران فقد انسحبا سنة ١٩٠١ بعد ان تبينت لهما استحالة التوصل الى موافقة «الاتحاد» على الاشتراك في مداولة مع منظمة «الايسكرا» في الخارج و«منظمة الاشتراكي-الديموقراطي الثورية» وهي المداولة التي اقترحها «فريق المبادرين» وقد رفضت ادارة «الاتحاد» هذا الاقتراح في بادئ الامر قائلة ان رفضها الاشتراك في المداولة ناشىء عن «عدم اهلية» الاشخاص الذين يؤلفون «فريق المبادرين» للوساطة ، ومعربة عن رغبتها في الاتصال المباشر بمنظمة «الايسكرا» في الخارج غير ان ادارة «الاتحاد» قد ابلغت «فريق المبادرين» بعد مدة قصيرة انها بعد صدور العدد الاول من «الايسكرا» الذي تضمن مقالاً عن الانشقاق في «الاتحاد» قد غيرت رأيها وانها لا ترغب في الاتصال مع «الايسكرا» فكيف نفسر بعد ذلك تصريح

---

* راجع هذا الكتاب ، ص ٢٣١ . **الناشر** .

احد اعضاء ادارة «الاتحاد» بان السبب **الوحيد** لرفض «الاتحـــاد» الاشتراك في المداولة هو عدم رضاه عن قوام «فريق المبادرين» ؟ ونحن في الحقيقة لا نفهم كذلك موافقة ادارة «الاتحاد» على الاشتراك في مداولة حزيران (يونيو) السنة الماضيـــة ما دام مقال العدد الاول من «الايسكرا» ظل محتفظاً بمفعوله وما دام الموقف «السلبي» الذي تقفـه «الايسكرا» من «الاتحـــاد» قد ظهر بصورة اوضح في الكتيب الاول من «زاريا» وفي العدد ٤ من «الايسكرا» اللذين صدرا قبل مداولة حزيران»

ن . لينين

«الايســـكرا» ، العـــدد ١٩ ، ١ نيسان (ابريل) ١٩٠٢

المجلـــــد ٦ ص‌ص ١٩١ـ١٩٢

روح المغامرة الثورية

١

اننا نعيش ازماناً عاصفة يخطو فيها تاريخ روسيا بخطوات العمالقة وتعني فيها كل سنة احياناً اكثر مما تعنيه عشرات السنين في المراحل السلمية وتستخلص نتائج خمسين سنة من عهد الاصلاح (١١٢) وتوضع الحجارة لاجل البنيانات الاجتماعية والسياسية التي ستقرر لزمن طويل طويل مصير البلد كله ولا تزال الحركة الثورية تنمو بسرعة مذهلة ، – و«اتجاهاتنا» تنضج اكثر فاكثر (وتذبل) بسرعة خارقة والاتجاهات التي لها اسس متينة في البنيان الطبقي لبلد رأسمالي متطور بسرعة مثل روسيا تجد على الفور تقريباً «طابورها» وتتحسس الطبقات القريبة منها مثلاً تطور السيد ستروفه الذي اقترح العمال الثوريون منذ سنة ونصف السنة فقط «نزع قناع» الماركسي عنه والذي برز الآن هو نفسه بلا قناع كزعيم (او كخادم ؟) للملاكين العقاريين الليبيراليين الفخورين بثبات علاقتهم مع الشعب وثاقب بصيرتهم اما الاتجاهات التي لا تعبر الا عن التقلقل التقليدي لآراء فئات المثقفين الوسطية وغير المحددة فانها ، على العكس تحاول ان تستعيض عن التقارب مع طبقات معينة باقوال تزداد ضجة بقدر ما يشتد دوي الاحداث «لنضج يا اخوان لنضج» هذا هو شعار عدد كبير من الافراد ذوي المزاج الثوري الذين اجتذبتهم دوامة الاحداث والذين لا دعائم لهم لا نظرية ولا اجتماعية .

والى هذه الاتجاهات «الضاجـــة» ينتسب «الاشتراكيـــون-الثوريون» (١١٣) الذين ترتسم ملامحهم بوضـوح متعاظم ابـداً ولقد آن الاوان للبروليتاريا ان تمعن النظر في هذه الملامح وان تدرك بدقة مـــا يمثله بالفعل هؤلاء القـوم الذين يسعون وراء صداقتها بالحاح يتزايد بقدر ما يزدادون ادراكاً لاستحالة وجودهم كتيار خاص دون التقارب الوثيق مع الطبقة الاجتماعية الثوريـة فعلاً

هناك عوامل ثلاثة أسهمت اكثر من غيرها في توضيح ملامـح الاشتراكيين-الثوريين الحقيقية العامل الاول هو الانشقـــاق بين الاشتراكية-الديموقراطية الثورية وبين الانتهازية التي ترفع رأسها تحت راية «انتقاد الماركسية» والعامل الثاني هو اغتيال سيبياغين على يد بالماشيف والانعطاف الجديد نحو الارهاب في اذهان بعض الثوريين والعامل الثالث والرئيسي هو الحركة الحديثة في صفوف الفلاحين هذه الحركة التي اجبرت اولئك الذين اعتادوا الجلوس بين كرسيين والذين ليس عندهم اي برنامج على التقدم *post factum* وان بشيء مـــا شبيه ببرنامج لننظر الى هذه العوامل الثلاثة مع التنبيه الى انه لا يمكن في مقالة بجريدة غير الاشارة بايجاز الى النقاط الاساسية من التعليل والى انه سيتعين علينـــا العودة ، اغلب الظن الى عرض هذا التعليل بمزيد من التفصيل في مقالة بمجلة او في كراس

لم يعتزم الاشتراكيون-الثوريون نشر بيان نظري مبدئياً الا في العدد الثاني من «فستنيك روسكـــوي ريفولوتسيي» («بشير الثورة الروسية») (١١٤) وذلك في مقال لهيئة التحرير خال مـــن التوقيع عنوانه «نمو وازمـة الاشتراكيـة على النطاق العالمي» ونحن نوصي قطعاً بهذا المقال جميع من يريدون ان يكوّنوا فكرة واضحة عن اللامبدئية النظرية الكلية والتذبذب (وكذلك عن فن ستر

هذا بسيول الكلام) ومن الممكن تبيان كل مضمون هذا المقال الفائق الروعة في كلمتين الاشتراكية نمت وصارت قوة عالمية الاشتراكية (=الماركسية) تنقسم الآن من جرّاء الحرب بين الثوريين («الارثوذكس») والانتهازيين («النقاد») نحن الاشتراكيين-الثوريين لم نتعاطف يوماً «بالطبع» مع الانتهازية ولكننا نقفز فرحاً لمناسبة «النقد» الذي حررنا من العقيدة ونحن كذلك نناضل من اجل احادة النظر في هذه العقيدة ، – ورغم اننا لم نعرض بعد اي نقد (عدا النقد البرجوازي الانتهازي) ورغم اننا لم نعد بعد النظر في اي شيء ، الا ان حريتنا هذه من النظرية هي التي يجب اعتبارها مأثرة قمنا بها يجب اعتبارها مأثرة خصوصاً واننا بوصفنا اناساً احراراً من النظرية نؤيد بكل ضراوة الاتحاد العام ونحن نشجب بحرارة جميع المناقشات النظرية المبدئية ايا كانت «ان المنظمة الثورية الجدية ، – كما تؤكد لنا مجلة «بشير الثورة الروسية» (العدد ٢ ص ١٢٧) بفائق الجدية ، – تمتنع عن حل القضايا المختلف عليها والمفرّقة دائماً في النظرية الاجتماعية الامر الذي ينبغي له بالطبع ألاّ يحول دون النظريين والبحث عن حل لها» ، – او بشكل اصرح ليكتب الكاتب ، وليقرأ القارئ اما نحن فاننا ما دامت الامور تسير على هذا المنوال ، سنفرح فيما اذا فرغ وتحرر مكان ما

وبديهي انه لا حاجة الى تحليل جدي لهذه النظرية نظرية الانحراف (بسبب المناقشات الصرف) عن الاشتراكية نحن نرى ان ازمة الاشتراكية تلزم الاشتراكيين الجديين نوعاً بالامر التالي على وجه الدقة وهو الاهتمام الشديد بالنظرية ، – المزيد من الحزم في اتخاذ موقف محدد بصرامة ، – والتنصل بمزيد من الحزم من العناصر المتذبذبة وغير المسؤولة اما الاشتراكيون-الثوريون فانهم يرون انه ما دام الانشقاق بله التفارق قائماً «حتى عند

الالمان» فاننا نحن الروس انما الرب نفسه امرنا بان نفتخر لكوننا لا نعرف الى اين نسير نحن نرى ان عدم وجود النظريـــة ينتزع من الاتجاه الثوري الحق في الوجود ، ويحكم عليه ، عاجلاً ام آجلاً بالافلاس السياسي اما الاشتراكيون-الثوريون فانهم يرون ان عدم وجود النظرية هو امر حسن جداً ومناسب بخاصة «من اجل الاتحاد» وهكذا ترون اننا لن نتفاهم لاننـــا نتكلم نحن واياهم لغتين مختلفتين يبقى امل واحد ألن يعيدهم السيد ستروفه الى الصواب وهو الذي يتحدث ايضـــاً (ولكن بمزيد من الجد) عن الغاء العقيدة وعن ان قضيتنا «نحن» (مثل قضية كل برجوازيـــة تخاطب البروليتاريا) ليست التفرقة بل التوحيـــد ألن يـرى الاشتراكيون-الثوريون ذات يوم بمساعدة السيد ستروفه اي **اهمية عملية** يتسم بهـــا موقفهم ، موقف التحرر من الاشتراكية من اجل التوحيد والتوحيد بمناسبة التحرر من الاشتراكية ؟

لننتقل الى النقطة الثانية ، الى مسألة الارهاب

ان الاشتراكيين-الثوريين يبذلون قصارى جهدهم في الدفـــاع عن الارهاب الذي قدمت تجربة الحركة الثورية البرهان الواضـح على بطلانه ، ويعلنون انهم لا يعترفون الا بالارهاب المقترن بالعمل بين الجماهير وانها لا تمت بالتالي بصلة اليهم تلك الحجـج التي دحض بها الاشتراكيون-الديموقراطيون الروس (ودحضوا بها لزمن طويل) عقلانية هذا الاسلوب النضالي وهنا يتكرر حادث يشبه كثيراً موقفهم من «النقد» نحن لسنا انتهازيين – هكذا يصيـــح الاشتراكيون-الثوريون ويحيلون في الوقت نفسه الى الارشيـــف عقيدة الاشتراكية البروليتارية وذلك على اساس انتقاد انتهازي صرف لا غير نحن لا نكرر اخطـاء الارهابيين ، نحن لا نصرف احداً عن العمل بين الجماهير ، – هكذا يؤكد الاشتراكيون-الثوريـــون ويوصون الحزب بالحاح في الوقت نفسه باعمال كاغتيال سيبياغين

على يد بالماشيف ، مع ان كل امرئ يعرف ويرى جيداً جداً ان هذا العمل لم يمت وانه لم يكن بوسعه ان يمت ، من حيث اسلـــوب تنفيذه باي صلة الى الجماهير ، – وان اولئك الذين اقترفوا هذا العمل لم يعولوا ولم يأملوا باي عمل او مساندة من قبل الجماهير وبكل سذاجة لا يلحظ الاشتراكيون-الثوريون ان ميلهم الى الارهاب متصل اوثق صلة سببية بواقع انهم وقفوا منذ البدء ولا يزالون يقفون في معزل عن الحركة العمالية ، دون ان يسعوا الى ان يصبحوا حزباً للطبقة الثورية التي تخوض نضالها الطبقي وغالباً جداً مـا تدفع الايمان المغلظة الى الاحتراس والارتياب في صحة ما يحتاج الى توابل قوية واحياناً كثيرة اتذكر القول المأثور كيف لا تكل من حلف اليمين بالله ؟ – عندما اقرأ تأكيـدات الاشتراكيين-الثوريين نحن لا ننحّي العمل بين الجماهير بالارهاب والحال يؤكد هـــذا اولئك الذين تنحوا عن الحركة العمالية الاشتراكية-الديموقراطيـــة والذين لا يزالون يتنحون عنها متمسكين بنبذات من النظريات ايّاً كانت

ان منشور الثالث من نيسان (ابريل) ١٩٠٢ الذي اصـــدره «حزب الاشتراكيين-الثوريين» (١١٥) يمكن ان يكون برهاناً رائعاً على ما قيل اعلاه فهو المصدر الاوفر حيوية وصحة والاقرب الى العاملين المباشرين وان «طرح مسألة النضال الارهابي» في هذا المنشور «يتفق كلياً» ، حسب شهادة «ريفولوسيونايا روسيـــا» («روسيا الثورية») (العدد ٧ ص ٢٤) القيمة «مع مفهـــوم الحزب» *

---

* صحيح ان «ريفولوسيونايا روسيا» («روسيا الثورية») تقوم في هذه النقطة ايضاً بلعبة بهلوانية ما فمن جهة «يتفق كلياً» ، ومن جهة اخرى ، تلميح الى «المبالغة» . من جهة ، تعلن «ريفولوسيونايا روسيا»

ان منشور الثالث من نيسان (ابريل) يستنسخ بدقة رائعة «احدث» حجج الارهابيين فقبل كل شيء تستلفت نظركم كلمات «نحن ندعو الى الارهاب لا عوضاً عن العمل بين الجماهير بل بالضبط من اجل هذا العمل ومعه في الوقت نفسه» وهي تستلفت النظر لانها مصفوفة باحرف اضخم الى ثلاث مرات من احرف النص الباقي (وهو اسلوب تكرره بالطبع «ريفولوسيونايا روسيا» ايضاً) ذلك ان هذا بسيط للغاية في الواقع ! طبع «لا عوضاً عن بل مع» باحرف ضخمة فتسقط على الفور جميع حجج الاشتراكيين-الديموقراطيين وكل دروس التاريخ ولكن جربوا ان تقرأوا المنشور كله ، تروا ان حلف اليمين باحرف ضخمة يستخدم عبثاً اسم الجماهير . — ان ذلك الوقت «الذي سيخرج فيه الشعب العامل من الظلمات» و«يحطم فيه البوابات الحديدية اربا اربا بموجة شعبية جبارة» «لن يحل عما قريب مع الأسف» (حرفياً هكذا مع الأسف !) «ومن الرهيب التفكير بما سيكون عليه عدد الضحايا !» ترى ألا تفصح هذه الكلمات «مع الأسف ، لن يحل عما قريب» بحد نفسها عن انعدام الفهم كلياً للحركة الجماهيرية وعن عدم الثقة فيها ؟ ترى ألم تختلق هذه

ان هذا المنشور هو من صنع «فريق واحد» فقط من الاشتراكيين-الثوريين ومن جهة اخرى لدينا **الواقع** التالي وهو ان المنشور يحمل توقيعاً «منشورات **حزب** الاشتراكيين-الثوريين» ، فضلا عن تكريره لشعار «ريفولوسيونايا روسيا» ذاتها («في النضال تكسب حقك») نحن نفهم انه ليس من المستطاب «لريفولوسيونايا روسيا» ان تلمس هذه النقطة الحساسة ، ولكننا نعتقد انه من غير اللائق حقاً وفعلا اللعب بالغميضة في مثل هذه الاحوال كذلك كان من غير المستطاب للاشتراكية-الديموقراطية الثورية وجود «الاقتصادية» ، ولكنها فضحتها على المكشوف دون ان تحاول خداع احد في يوم من الايام .

الحجة قصداً وعمداً ازدراء بواقع ان الشعب العامل ينهض منذ حين ؟ واخيراً حتى وان كانت هذه الحجة المطروقة مدعّمة مثلما هي في الواقع سخيفة ، فانه ينجم منها بشكل بارز جداً عدم جدوى الارهاب لان القنابل ايا كانت عاجزة بصورة بيّنة **بدون** الشعب العامل

واسمعوا ايضاً «ان كل ضربة ارهابية كأنما تنتزع من الحكم المطلق بعضاً من القوة وتنقل (!) كل هذه القوة (!) الى صف المناضلين من اجل الحرية» «وما دام الارهاب سيتحقق بدأب وانتظام (!) فمن الواضح ان كفتنا هي التي سترجح في الميزان» اجل ، اجل ، من الواضح لكل امرئ اننا نواجه اعظم وهم من اوهام الارهابية مجلبباً باكثر الاشكال فظاظة الاغتيال السياسي «ينقل القوة» بحد ذاته ! اليكم اذن ، من جهة ، نظرية نقل القوة ومن جهة اخرى ، — «لا عوضاً عن بل مع فكيف لا تكل من حلف اليمين بالله ؟

ولكن هذا لا يزال بعد الزهور فالثمار ستكون الى قدام «الى من يجب توجيه الضربات ؟» — يتساءل حزب الاشتراكيين-الثوريين ويجيب الى الوزراء لا الى القيصر لان «القيصر لن يدفع الامور الى حد التطرف» (!! من اين عرفوا هذا ؟؟) ناهيك عن ان «هذا اسهل» (حرفياً هكذا !) «ان اي وزير لا يستطيع ان يتحصن في القصر كما في قلعة» وهذا التعليل ينتهي بالمحاكمة التالية التي تستحق تخليدها كنموذج «لنظرية» الاشتراكيين-الثوريين «ضد الجمهور يوجد لدى الحكم المطلق جنود وضد المنظمات الثورية ، البوليس السري والعلني ولكن ما ينقذه (من ذا الذي ينقذ الآخر ؟ الحكم المطلق ؟ ان المؤلف قد خلط دون ان يلحظ ذلك بين الحكم المطلق وبين الوزير الذي من الاسهل توجيه الضربات اليه !) «. . . من مختلف الافراد او الحلقات

الصغيرة التي تستعد للهجوم وتهاجم بلا انقطاع حتى خفية بعضها عن بعض (!!) ؟ وما من قوة بقادرة على قهر ما يستحيل اعتقاله وهذا يعني ان مهمتنا واضحة تكنيس كل عساف مستبد من الحكم المطلق بالوسيلة الوحيدة التي تركها (!) لنا الحكم المطلق ، – اي بالموت» ومهما دبج الاشتراكيون-الثوريون من جبال الورق للتأكيد بانهم لا ينحون ولا يشوشون العمل بين الجماهير بوعظهم بالارهاب ، فلن يدحضوا بسيول الكلام الواقع التالي وهو ان نفسية الارهابي المعاصر الفعلية انما يعكسها على وجه الضبط بكل أمانة المنشور المذكور آنفاً ان نظرية نقل القوة تكتمل بصورة طبيعية بنظرية استحالة الاعتقال هذه النظرية التي تقلب نهائياً رأساً على عقب لا كل تجربة الماضي وحسب ، بل كل فكر سليم ايضاً اما ان «أمل» الثورة الوحيد هو «الجمهور» وان النضال ضد البوليس لا يستطيعه غير منظمة ثورية صرف تقود (بالفعل لا بالقول) هذا الجمهور ، فان هذا هو الالفباء ومن المخجل تقديم البرهان عليه ان اولئك الذين نسوا كل شيء ولم يتعلموا شيئاً هم وحدهم الذين يمكنهم ان يقرروا «على العكس» متمادين في الكلام الى حد اطلاق خراقة فاحشة وفظيعة تزعم ان «انقاذ» الحكم المطلق من الجمهور في مستطاع الجنود ، ومن المنظمات الثورية في مستطاع البوليس بينما **لا شيء ينقذ** من بعض الافراد الذين يتصيدون الوزراء !!

ان هذه المحاكمة الخرافية المكتوب لها حسب اعتقادنا ان تحظى بالشهرة ليست ابداً مجرد شيء مضحك كلا فهي واسعة الدلالة لانها تكشف القناع بسيرها الجريء الى حد الخراقة عن خطأ الارهابيين الاساسي الذي يشاركهم فيه «الاقتصاديون» (لربما ينبغي القول الآن : الذى يشاركهم فيه

ممثلو «الاقتصاديـــة» الراحلـــة السابقون ؟) ان هذا الخطأ يقوم كما اشرنا مراراً عديدة **في عدم فهم** النقص الاساسي في حركتنا فبفضل نمو الحركة بسرعة خارقة تأخر القـــادة عن الجماهير وتبين ان المنظمات الثورية لم ترتفع الى مستوى نشاط البروليتاريا الثوري ، وانها عجزت عن السير في الطليعة وعن قيادة الجماهير اما ان هذا الضرب من عدم التطابق موجود فهذا ما لا يرتاب به اي انسان حسن النية ومطلّع نوعاً على حركتنا وما دام الحال هكذا فمن الواضـــح ان الارهابيين الحاليين هـــم «اقتصاديون» حقيقيون بالمقلوب اذ يبلغون حد التطرف السخيف نفسه ، ولكن من الجهة المقابلة وان الدعوة في مثل هذا الوقت الذي **تنقص** فيه الثوريين القوى والوسائل لاجل قيادة الجماهير بسبيل النهوض منذ حين ، – ان الدعوة الى هذا الارهاب كما هو عليـــه اغتيال الوزراء بيد افراد وحلقات لا تعرف بعضها بعضاً – انمـــا تعني **بالتالي** لا القضاء على العمل بين الجماهير وحسب بل ايضـاً تشويشه مباشرة – نحن الثوريين «اعتدنا الالتفاف بوجل في كومة ، – وهذا ما نقرأه في اعلان الثالث من نيسان ، – وحتى (NB) ذلك النسيم الجديد الجريء الذي هبّ في السنتين او السنوات الثلاث الاخيرة قد رفع حتى الآن مزاج الجمهور اكثر مما رفع مزاج الافراد» هذه الكلمات تنطوي على قدر من الحقيقة المقولة عـــن غير قصد وهذه الحقيقـة بالذات هي التي تحطم كليـــاً وعاظ الارهاب ومن هذه الحقيقة يستخلص كل اشتراكي مفكر الاستنتاج التالي وهو انه يجب العمل اكواماً اكواماً بمزيد من العزم والجرأة والانسجام اما الاشتراكيون-الثوريون فانهم يستنتجون قائلين «اطلق النار ايها الفرد الذي يستحيل اعتقاله لان الكومة مع الأسف لن تتشكل عما قريب ناهيك عن انه يوجد جنود ضد الكومة» . ان هذا غير معقول ابداً ، ايها السادة !

كذلك لا يستغني المنشور عن نظرية الارهـــاب التهييجي يقولون لنا «ان كل مبارزة يقوم بها البطل توقظ فينا جميعاً روح الكفاح والبسالة» ولكننا نعرف من الماضي ونرى في الحاضر ان الاشكال الجديدة للحركة الجماهيرية او ايقاظ فئات جديدة مـــن الجماهير على النضال المستقل هي **وحدها** التي توقظ **في الجميـع** روح النضال والبسالة اما المبارزات فانها ما دامت **مبارزات** اضراب بالماشيف لن تستتبع مباشرة غير تأثير عابر سريـــع الزوال وتؤدي بصورة غير مباشرة حتى الى الخمول ، الى الانتظار السلبي **للمبارزة** اللاحقة ثم يؤكدون لنا ان «كل برق ارهـــاب ينير العقل» ، ولكن هذا لـــم نلحظ تأثيره ، مع الأسف ، على حزب الاشتراكيين-الثوريين الذي يعظ بالارهاب ويتحفوننا بنظرية العمل الكبير والصغير «الا لا يكتفين بالعمل الصغير (!) ذاك الـــذي يملك قدراً اكبر من القوى قدراً اكبر من الامكانيـات والعزم فليفتش عن العمل الكبير ويكرس نفسه له ، – للدعاية للارهـاب بين الجماهير (!) لاعداد مؤسسات ارهابيـة معقدة (ان نظرية استحالة الاعتقال قد لفها النسيان الآن) فما اذكر وادهش هذا أليس كذلك ان التضحية بحياة الثوري لاجل الانتقام من النذل سيبياغين والاستعاضة عنه بالنذل بليفه انما هو عمـــل كبير اما اعداد الجمهور ، **مثلا** للتظاهر المسلح ، فهو عمـــل صغير وها هي ذي «ريفولوسيونايا روسيا» توضح هذا في العدد ٨ ، قائلة انه «من السهل الكتابة والتحدث» عن المظاهرات المسلحة «كما عن قضية من قضايا المستقبل البعيد غير المحدد» «ولكن جميع هذه الاقاويل لم تتسم حتى الآن الا بطابع نظري» (١١٦) ما احسن ما نعرف هذه اللغة لغة اناس متحررين من ضيـــق المذاهب والآراء الاشتراكية الثابتة الصحيحة من عبء تجربـــة جميع الحركات الشعبية على اختلافها ! وفيما يخص النتائج ، يخلطون

بين محسوسيتهـــا وتأثيريتهـــا المباشرة وبين عمليتهـــا والمطالبة بتبني وجهة النظر الطبقية ابداً ودائماً وبالسهر عـــلى طابع الحركة الجماهيري هي بالنسبة لهم «قولبة نظريـــة» «غير محددة» والتتبـــع الذليل لكل انعطاف في المزاج و والعجـــز المحتم من جرّاء ذلك لدن كل انعطاف هما الوضوح في نظرهم تبدأ المظاهرات – فاذا الجمل الدموية والثرثرات حول بداية النهاية تتدفق من افواه هؤلاء الناس تتوقف المظاهرات فاذا الهمـة تتلاشى وقبل ان تهترئ جزماتنا نصيح «ان الشعب مع الأسف ليس عمـــا قريب يقترف العسافون القيصريون قبيحة جديدة ، – فاذا بنا نطالب بان يدلونا على وسيلة «محددة» من شأنها ان تكون **جواباً** شافياً عن هذا العسف بالذات وسيلة من شأنها ان تؤدي فوراً الى «نقل القوة» واذا بنا نعد باعتزاز بهذا النقل ان هؤلاء الناس لا يفهمون ان هذا الوعد «بنقل» القوة هو بحد نفسه مغامرة سياسية وان مغامرتهم رهن بلامبدئيتهم

ان الاشتراكية-الديموقراطية ستحذر دائماً من المغامـــرة وستفضح بلا رحمة الاوهام التي تنتهي حتماً بالخيبة التامة ينبغي لنا ان نتذكر ان الحزب الثوري لن يستحق اسمه الا حين يقـــود **بالفعل** حركة الطبقة الثورية ينبغي لنا ان نتذكر ان كل حركـة شعبية تتخذ اشكالا متنوعة الى ما لا حد له صانعة على الدوام اشكالاً جديدة نابذة الاشكال القديمة محدثة تعديـــلات او تركيبات جديدة من الاشكال القديمة والجديدة وواجبنا ان نشترك بنشاط في هذه الصياغـة لاساليب النضال ووسائله فعندمـــا تأزمت الحركة الطلابية أخذنا ندعو العامل الى مساعدة الطالـــب («الايسكرا» العدد ٢) * دون ان نأخذ على عاتقنا امر التنبـــؤ

* راجع مقال لينين : «تجنيد ١٨٣ طالباً» . **الناشر** .

باشكال المظاهرات ، دون ان نعد بانها ستؤدي الى نقل القـــوة فوراً والى تنوير العقل والى استحالة الاعتقال بخاصة وعندما توطدت المظاهرات أخذنا ندعو الى تنظيمها الى تسليـــح الجماهير وطرحنا مهمة تحضير الانتفاضة الشعبيـة ودون ان ننكر اطلاقاً ، من حيث المبدأ ، العنف والارهاب ، طالبنا بالعمل على تحضير اشكال للعنف ترمي الى اشتراك الجماهير مباشرة وتؤمن هذا الاشتراك ونحن لا نغمض عيوننا على صعوبة هذه المهمة ولكننا سنعمل بثبات وعناد على تنفيذها دون ان تربكنـــا الاعتراضات بان هذا من «المستقبل البعيد غير المحدد» اجل ايها السادة اننا نذود ايضاً عن الاشكـال المقبلة للحركـة ولا نكتفي بالذود عن اشكالها الماضية ونحن نفضل العمل الطويـل والصعب لتحقيق ما ينتظره المستقبل على التكرار «السهل» لمـا شجبه الماضي ونحن سنكشف القناع على الدوام عن وجوه اولئك الذين يحاربون بألسنتهم فقط العقائد الجامدة وكليشيهاتها بينما ليس لديهم بالفعل غير كليشيهات اشد النظريات تداعياً وضرراً مثل نظرية نقل القوى ونظرية الفرق بين العمل الكبير والصغير وايضاً بالطبع نظرية الصراع والبراز الفردي «وكمـا كان الزعماء يقررون فيما مضى مصير القتال في معارك الشعوب بالمبارزة فيما بينهم كذلك الارهابيون سيظفرون لروسيا بالحريـة في المبارزة مع الحكم المطلق» ، – هكذا ينتهي منشور الثالث مـن نيسان (ابريل) حسبنا ان نعيـد طبع **مثل هذه** الجمـل لكي ندحضها

ان من يقوم فعلاً بعمله الثوري على صلة بنضال البروليتاريا الطبقي يعرف ويرى ويشعر جيداً جداً اي كثرة من مطالـب البروليتاريا (وفئات الشعب القادرة على تأييد البروليتاريا) المباشرة والفورية تبقى بدون تنفيذ ، ويعرف ان الشعب العامل في كثرة من

الاماكن في مناطق شاسعة برمتها يندفع اندفاعاً الى النضال وان انطلاقاته تتبدد هباء بسبب قلة المطبوعات والقادة بسبب انعدام القوى والوسائل عند المنظمات الثورية واذا بنا نجد انفسنا – ونحن نرى هذا نرى اننا نجد انفسنا ، – في نفس الحلقة المفرغة اللعينة التي خيمت زمناً طويلا جداً فوق الثورة الروسية كقدر مشؤوم من جهة يتبدد هباء الاندفاع الثوري للجمهور غير المنوّر كفاية وغير المنظم ومن جهة اخرى تتبدد هباء طلقات «الافراد الذين يستحيل اعتقالهم» والذين يفقدون الايمان بامكانية السير في صف واحد مع الجمهور والعمل يداً بيد مع الجمهور

ولكن القضية لا تزال قابلة كلياً للاصلاح ايها الرفاق ! ان فقدان الايمان في القضية الحقيقية ليس اكثر من استثناء نادر والانسياق وراء الارهاب ليس اكثر من مزاج عابر سريع الزوال فلتتراصّ صفوف الاشتراكيين-الديموقراطيين بمزيد من الوثوق فنجمع في كل واحد بين منظمة الثوريين الكفاحية والبطولة الجماهيرية للبروليتاريا الروسية !

في المقال التالي سندرس برنامج الاشتراكيين-الثوريين الزراعي

٢

ان موقف الاشتراكيين-الثوريين من الحركة الفلاحية يتسم باهمية خاصة ففي المسألة الزراعية على وجه الضبط اعتبر ممثلو الاشتراكية الروسية القديمة وورثتهم الشعبيون-الليبراليون وانصار النقد الانتهازي العديدون في روسيا الذين يؤكدون ، رافعين عقيرتهم بالصياح ، ان «النقد» قد ازاح الماركسية

نهائياً من مواقعهـــا في هذه النقطـــة – اعتبر هؤلاء جميعهم على الدوام انهم اقوياء بخاصة واصحابنا الاشتراكيون-الثوريـــون يمزقون الماركسية كما يقال اربباً اربباً «اوهـام عقائديـة جامدة عقائد شائخة نبذتها الحيـاة من زمان المثقفون الثوريون اغمضوا عيونهم عن الريف العمل الثوري بين الفلاحين منعته الارثوذكسية» وهكذا دواليك وهلمجرا فعلى الموضـة الآن رفس الارثوذكسية ولكن في اي فرع من نوع يجب تصنيف اولئك من الرافسين الذين **لم يفلحوا قبل بداية** الحركة بين الفلاحين حتى في رسم برنامجهم الزراعي بالذات ؟ وعندما رسمت «الايسكرا» حتى في عددها الثالث * برنامجها الزراعي لم تجد «فستنيـــك روسكوى ريفولوتسيي» ما تفعله غير الجمجمـــة «نظراً لطرح المسألـــة على هذا النحـــو ينمحي كثيراً خلاف آخـــر من خلافاتنا» علماً بانه وقعت لهيئة تحرير «فستنيك روسكـــوي ريفولوتسيي» مصيبة صغيرة مفادها انها لم تفهم البتة على وجـه الضبط طرح المسألة من قبل «الايسكرا» («حمل النضال الطبقي الى الريف») والآن تستشهد «ريفولوتسيونايـــا روسيا» بعد مرور الزمن بكراس «المسألة الدورية» رغم انه لا وجود لاي برنامـــج فيه ورغم انه لا ينطوي الا على اطراء «مشاهير» الانتهازيين مـن امثال هرتس

وهؤلاء الناس بالذات الذين كانوا قبل بداية الحركـــة موافقين مع «الايسكرا» ومع هرتس على السواء نشروا ، في اليوم الثاني من الانتفاضة الفلاحية ، بياناً «من الاتحاد الفلاحي (!) لحزب الاشتراكيين-الثوريين» ، علماً بانكم لن تجدوا في هذا البيان اي كلمة تنطلق فعلاً من الفلاح وبانكم لن تجدوا غير تكرار حرفي لمـــا

* راجع مقال لينين : «حزب العمال ، والفلاحون» . **الناشر** .

قرأتموه مئـــات المرات عند الشعبيين والليبيراليين و«النقـــاد» (١١٧) يقال ان الجرأة تساعد في احتلال المدن وهذا هـو الحال بالفعل ايها السادة الاشتراكيون-الثوريون ولكن الاعلان المرسوم والملون بفظاظة لا يدل على هذه الجرأة

لقد رأينا ان «مزية» الاشتراكيين-الثوريين الرئيسية تقوم في التحرر من النظرية ، وان فنهم الرئيسي يقوم في مهارة الكلام لكي لا يقولوا شيئاً ولكن لاجل اعطاء برنامج يجب بنحو او آخر ابداء الـــرأي يجب ، مثلاً ان تُطرح جانبـــاً «عقيدة الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس من اواخر الثمانينيات واوائل التسعينيـــات القائلة انه لا توجد اي قوة ثورية غير بروليتاريا المدن» ما انسب هذه الكليمة «عقيدة» ! يكفي تشويه نظرية الخصم بعض الشيء ، وستر هذا التشويه ببعبع «العقيدة» حتى تصبح الامور على خير ما يرام

ان الاشتراكية المعاصرة كلها ترتكز ابتداء مـــن «البيان الشيوعي» على هذه الحقيقة الثابتة القائلة ان البروليتاريـــا هي الطبقة الوحيدة الثورية **فعلاً** في المجتمع الرأسمالي اما الطبقات الاخرى ، فلا يمكن ان تكون ولا تكون ثورية الا جزئياً والا في ظروف معينة وهنا نتساءل ماذا يجب ان نفكر في اناس «حولوا» هذه الحقيقة الى عقيدة للاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في مرحلـة معينة ويحاولون ايهـــام القارئ الساذج بان هذه العقيدة كانت «ترتكز كلياً على الايمان في بعد النضال السياسي السافر» ؟

وضد مذهب ماركس بشأن الطبقة الوحيدة الثورية فعلاً في المجتمع المعاصر ، يتقدم الاشتراكيون-الثوريون بثلاثية «المثقفون والبروليتاريا والفلاحون» كاشفين بذلك تشوشاً في المفاهيم لا رجاء في اصلاحه فاذا عارضتم البروليتاريا والفلاحين بالمثقفين فان هذا يعني انكم تفهمون بالمثقفين فئة اجتماعية معينة ، جماعة

من افراد يشغلون وضعاً اجتماعياً معيناً كما هو معين وضع العمال الاجراء والفلاحين الاجتماعي ولكن المثقفين الروس هم على وجه الضبط بوصفهم فئة من هذا النوع مثقفون برجوازيون وبرجوازيون صغار وان السيد ستروفه محق تماماً في موقفه من هذه الفئة بتسميته جريدته بلسان حال المثقفين الروس اما اذا تكلمتم عن اولئك المثقفين الذين **لمّا يشغلوا** اي وضع اجتماعي معين او **طردتهم** الحياة من وضعهم العادي واخذوا ينتقلون الى جانب البروليتاريا ، – فليس من المحال آنذاك ان تعارضوا البروليتاريا بهؤلاء المثقفين فان البروليتاريا مثلها مثل كل طبقة اخرى في المجتمع المعاصر لا تصنع مثقفين خاصين بها وحسب بل تأخذ لنفسها كذلك انصاراً من عداد جميع الناس المتعلمين على اختلافهم وان زحف الاشتراكيين-الثوريين على «العقيدة» الاساسية في الماركسية لا يبرهن مرة اخرى الا ان كل قوة هذا الحزب تمثلها تلك الحفنة من المثقفين الروس الذين تخلفوا عن القديم ولم يلتحقوا بالجديد

اما فيما يتعلق بالفلاحين فان محاكمات الاشتراكيين-الثوريين بشأنهم اشد تشوشاً فاي قيمة لمجرد طرح السؤال «اي طبقات اجتماعية على العموم (!) تتمسك دائماً (!!) بالنظام القائم (الاوتوقراطي فقط ؟ ام البرجوازي على العموم ؟) وتصونه وتستعصى على التأثر بالروح الثورية ؟» حقاً اقول انه لا يمكن الجواب عن هذا السؤال الا بسؤال آخر اي من عناصر المثقفين تتمسك دائماً وعلى العموم بفوضى الافكار القائمة وتصونها وتستعصي على التأثر بنظرة اشتراكية معينة الى العالم ؟ ولكن الاشتراكيين-الثوريين يريدون ان يعطوا جواباً جدياً عن سؤال غير جدي فهم يصنفون في عداد «هذه» الطبقات **اولاً** البرجوازية ، لان «مصالحها ملبّاة» . ان هذا الوهم القديم الزاعم

ان مصالح البرجوازية الروسية ملبّاة الى حد انه لا توجد ولا يمكن ان توجد عندنا ديموقراطية برجوازية (قارنوا «فستنيك روسكوي ريفولوتسيي» ، العدد ٢ ، ص ١٣٢–١٣٣) ، هو الآن ملك مشترك «للاقتصاديين» والاشتراكيين-الثوريين ومرة اخرى ألا يعلمهم السيد ستروفه التعقل والحكمة ؟

ثانياً يصنّف الاشتراكيون-الثوريون في عداد «هذه» الطبقات «الفئات البرجوازية الصغيرة» «التي مصالحها فردية غير محددة كمصالح طبقية ولا تصاغ في برنامج اجتماعي سياسي سواء أكان اصلاحياً ام ثوريا» من اين هذا ؟ الله اعلم اما ان البرجوازية الصغيرة لا تصون دائماً وعلى العموم النظام القائم وليس هذا وحسب بل لا يندر لها ايضاً على العكس ان تعمل بصورة ثورية حتى ضد البرجوازية (واعني بالذات حين تلتحق بالبروليتاريا) واحياناً كثيرة جداً ضد الحكم المطلق وتصوغ دائماً تقريباً برامج اجتماعية اصلاحية فان هذا امر يعرفه الجميع وكل فرد الا ان صاحبنا المؤلف ثرثر «بمزيد من الضجة» ضد البرجوازية الصغيرة عاملاً بموجب تلك «القاعدة الحياتية» التي عرضها تورغينيف في احدى «قصائده النثرية» من كلمات «مكّار عتيق» والقائلة يجب على المرء ان يزعق بمزيد من الشدة ضد تلك العيوب التي يشعر بانه يعاني منها هو بالذات (١١٨) واليكم الحاصل **بما** ان الاشتراكيين-الثوريين يشعرون بانه لا يمكن لغير بعض الفئات البرجوازية الصغيرة من المثقفين ان تكون القاعدة الاجتماعية الوحيدة لوضعهم بين كرسيين – ، فانهم **لهذا السبب** يكتبون عن البرجوازية الصغيرة كأنّ هذا التعبير لا يعني فئة اجتماعية بل يعني مجرد عبارة جدالية وهم يريدون كذلك ان يتهربوا من هذه النقطة غير المستطابة وهي انهم لا يفهمون ان الفلاحين المعاصرين بوصفهم كلاً واحداً ، ينتسبون الى «الفئات

البرجوازية الصغيرة» أفلا تجربون ايها السادة الاشتراكيون-الثوريون ان تعطونا جواباً عن هذه النقطة ؟ أفلا تقولون لنا لماذا تعمدون وانتم تردون مقتطفات من نظريات الماركسية الروسية (مثلاً عن الاهمية التقدمية للارتزاق الفلاحي والتشرد الفلاحي) الى اغماض عيونكم عن واقع ان هذه الماركسية ذاتها قد اثبتت ان نموذج الاقتصاد الفلاحي الروسي هو برجوازي صغير ؟ أفلا توضحون لنا كيف يمكن في المجتمع المعاصر عدم تصنيف «المالكين او انصاف المالكين» في عداد الفئات البرجوازية الصغيرة ؟

كلا لا تأملوا فان الاشتراكيين-الثوريين لن يجيبوا ولن يقولوا ولن يوضحوا اي شيء من حيث جوهر الامر لانهم (مثل «الاقتصاديين» ايضاً) استوعبوا بثبات في ميدان النظرية تكتيك التهرب التام ان «ريفولوتسيونايا روسيا» تومئ الى «فستنيك روسكوي ريفولوتسيي» كأنما تقول : – هذا شأنهم (قارنوا العدد ٤ جواب الى «زاريا») بينما تحكي «فستنيك روسكوي ريفولوتسيي» للقارئ عن مآثر النقد الانتهازي وتتوعد وتتوعد ، وتتوعد بتسليط النقد بمزيد من الشدة هذا لا يكفي ايها السادة !

لقد حافظ الاشتراكيون-الثوريون على نقاوتهم من تأثير المذاهب الاشتراكية المعاصرة المفسد وقد صانوا كلياً الاساليب القديمة الطيبة للاشتراكية المبتذلة امامنا واقع تاريخي جديد حركة جديدة في فئة معينة من الشعب وهم لا يبحثون وضع هذه الفئة ، ولا يبتغون توضيح حركة هذه الفئة بطابع هذه الفئة وموقفها من النظام الاقتصادي المتنامي للمجتمع بكامله وكل هذا بالنسبة لهم عقيدة فارغة ارثوذكسية بالية وهذا يتحقق عندهم بمزيد من البساطة – عمّ يتحدث ممثلو الفئة الناهضة انفسهم ؟ عن الارض ، والضم ، والتقسيم . – وهذا كل شيء . اليكم اي

«برنامج نصف اشتراكي» ، اي «مبدأ صحيح تماماً» اي «فكرة مشرقة» اي «مثال اعلى يغيش منذ حين بشكل جنيني في رأس الفلاح» ، والخ كل ما ينبغي انما هو «تطهير وصياغة هذا المثل الاعلى» استخلاص «فكرة صافية عن الاشتراكية» ألا تصدق ايها القارئ ؟ هل يبدو لك من غير المعقول ان ينتشل هذه الاسمال البالية الشعبية ويعرضها على الملأ اناس يكررون بمثل هذه الخفة ما يقوله لهم آخر كتاب ؟ ولكن هذا واقع وجميع الكليمات التي استشهدنا بها انما اخذناها من البيان «من الاتحاد الفلاحي» في العدد ٨ من «ريفولوتسيونايا روسيا»

ويتهم الاشتراكيون-الثوريون «الايسكرا» بانها وقد نعتت الحركة الفلاحية بفتنة الفلاحين الاخيرة صلت على راحة نفس هذه الحركة قبل الاوان ويعظوننا يمكن للفلاحين ان يشتركوا ايضاً في الحركة الاشتراكية للبروليتاريا ان هذه التهمة تبين بجلاء كل تشوش فكر الاشتراكيين-الثوريين فهم لم يفهموا حتى الامر التالي وهو ان الحركة الديموقراطية ضد بقايا القنانة شيء وان الحركة الاشتراكية ضد البرجوازية شيء آخر وبما انهم لم يفهموا الحركة الفلاحية بالذات فانهم لم يستطيعوا ان يفهموا كذلك ان كلمات «الايسكرا» التي اخافتهم لا تتعلق الا بالحركة الاولى امّا ان المنتجين الصغار السائرين بسبيل الهلاك (بمن فيهم الفلاحون) يمكنهم ويجب عليهم ان يشتركوا في الحركة الاشتراكية للبروليتاريا فان «الايسكرا» لم تقل ذلك في برنامجها وحسب بل حددت كذلك بدقة شروط هذا الاشتراك ولكن الحركة الفلاحية المعاصرة ليست البتة حركة اشتراكية موجهة ضد البرجوازية والرأسمالية بل بالعكس فهي توحد العناصر البرجوازية والبروليتارية من الفلاحين الموحدة فعلاً في النضال ضد بقايا القنانة . ان الحركة الفلاحية المعاصرة تؤدي –

وسوف تؤدي – لا الى قيام النموذج الاشتراكي ولا الى قيام النموذج نصف الاشتراكي – بل الى قيام النموذج الريفي البرجوازي مطهرة من قيود القنانة دعائم ريفنا البرجوازية التي نضجت

ولكن كل هذا هو بالنسبة للاشتراكيين-الثوريين بمثابة شيء مستحيل المنال وقد بلغ بهم الامر الى حد انهم يؤكدون بجدّ «للايسكرا» ان تمهيد السبيل لتطور الرأسمالية عقيدة فارغة لان «اصلاحات» (الستينيات) (١١٩) «قد مهدت (!) المجال كلياً (!!) لتطور الرأسمالية» اليكم الى اي حد يمكن ان يتمادى في الكتابة رجل جريء يمتلكه قلم جريء ويتخيل انه يمكن ان يصدر كل شيء «عن الاتحاد الفلاحي» فان الفلاح لن يفهم – ولكن فكر ، من فضلك ايها المؤلف العزيز ألم تسمع يوماً ان بقايا القنانة تعرقل تطور الرأسمالية ؟ ألا يبدو لك ان هذا هو حتى تكرار للكلام تقريباً ؟ اولم تقرأ في مكان ما عن بقايا القنانة في الريف الروسي المعاصر ؟

تقول «الايسكرا» ان الثورة العتيدة ستكون ثورة برجوازية ويعترض الاشتراكيون-الثوريون قائلين انها ستكون «قبل كل شيء ثورة سياسية والى حد ما ثورة ديموقراطية» أفلا تجربون يااصحاب هذا الاعتراض اللطيف ان توضحوا لنا ما يلي هل قامت يوماً في التاريخ ، هل هي معقولة على العموم ثورة برجوازية ليست «الى حد ما ديموقراطية» ؟ ثم ان برنامج الاشتراكيين-الثوريين انفسهم (الانتفاع المتساوي بالارض التي انتقلت الى ملكية المجتمع) لايتخطى بعدُ اطار برنامج برجوازي لان الحفاظ على الانتاج البضاعي واجازة الاقتصاد الخاص وان في الارض المشتركة لا يقضي البتة على العلاقات الرأسمالية في الزراعة

وبقدر ما ينظر الاشتراكيون-الثوريون بمزيد من الخفة الى

ابسط حقائق الاشتراكية المعاصرة بقدر ما يختلقون بمزيد من السهولة «ابسط الاستدلالات» معتزين حتى يكون «برنامجهم يقتصر» على مثل هذه الاستدلالات لندرس الآن جميع استدلالاتهم الثلاثة التي ستبقى زمناً طويلاً على الارجح نصباً تذكارياً لحدة ذكاء الاشتراكيين- الثوريين ولعمق عقائدهم الاشتراكية

الاستدلال رقم ١ «الآن بالذات يخص قسم كبير من اراضي روسيا الدولة – فيجب ان تخص الارض كلها الشعب» «الآن بالذات» سئمنا من الاستشهادات الرقيقة بملكية الدولة للارض في مؤلفات الشعبيين البوليسيين (à la سازونوف وغيره) ومختلف اصلاحيي المنابر الجامعية (١٢٠) «يجب» ان يسير في اذيال هؤلاء السادة من يقولون عن انفسهم بانهم اشتراكيون وحتى ثوريون «يجب» ان يشير الاشتراكيون الى جبروت «الدولة» الكلي الموهوم (ناسين حتى ان النصيب الاكبر من اراضي الدولة يقع في اطراف البلد غير المأهولة) لا الى التضاد الطبقي بين الفلاح نصف القن والحفنة المميزة من كبار ملاكي الاراضي الذين يملكون معظم خيرة الاراضي المزروعة والذين عاشت «الدولة» معهم على الدوام من الروح للروح ان اصحابنا الاشتراكيين-الثوريين يتصورون انهم يستخلصون فكرة صافية عن الاشتراكية ولكنهم بالفعل يوسخون هذه الفكرة بموقفهم غير الانتقادي من الشعبية القديمة

الاستدلال رقم ٢ «والآن بالذات تنتقل الارض من الرأسمال الى العمل – فيجب ان تنجز الدولة هذه العملية» كلما اوغلنا في الغاب كلما ازداد الحطب لنقم بخطوة اخرى نحو الشعبية البوليسية لندع' «الدولة» (الطبقية !) الى توسيع الملكية الفلاحية للارض على العموم هذا رائع باشتراكيته ومدهش بثوريته . ولكن ما عسانا نتوقع من اناس يقولون عن شراء

واستئجار الاراضي من قبل الفلاحين بانهما لا يعنيان انتقال الارض من الملاكين العقاريين الاقطاعيين الى البرجوازية الريفية بل يعنيان انتقالها «من الرأسمال الى العمل» لنذكر هؤلاء القوم على الاقل بالمعطيات عن التوزع الفعلي للاراضي «المنتقلة الى العمل» «يتركز **في خُمس البيوت الفلاحية** اي في يد اقلية صغيرة من الميسورين ما يتراوح بين ٦ و٩ اعشار جميع مشتريات الفلاحين من الاراضي وما يتراوح بين ٥ و٨ اعشار الاراضي المستأجرة فاحكموا بالاستناد الى هذا هل تنطوي اقوال الاشتراكيين-الثوريين على قدر كبير من الحقيقة ، حين يزعمون «اننا لا نأمل» في الفلاحين الميسورين ، بل فقط في «الفئات الكادحة الصرف» ؟

الاستدلال رقم ٣ «منذ حين يحوز الفلاح الارض وينتفع بها في اغلبية الاحوال بموجب التوزيع المتساوي – فيجب السير بهذا الانتفاع بالعمل الى النهاية وانجازه عن طريق تطوير كل ضرب من التعاونيات في الانتاج الزراعي الجماعي» – حتى الاشتراكي-الثوري ، تجد السيد ف ف ! فما ان بلغت الامور حد الفعل ، حتى برزت في الحال جميع الاوهام القديمة من عهد الشعبية ، التي بقيت بأمن وسلامة تحت ستار من الجمل والتعابير الماكرة امتلاك الدولة للارض – انجاز الدولة لنقل الارض الى الفلاح – المشاعة – التعاون – الجماعية – هذا المخطط الرائع للسادة سازونوف ويوزوف ون – ون والاشتراكيين-الثوريين وغوفشتيتر وتوتوميانتس واضرابهم ومن لف لفهم – هذا المخطط ينقصه شيء تافه صغير جداً فلا وجود فيه لا للرأسمالية النامية ولا للنضال الطبقي ثم من اين كان يمكن ان يؤخذ هذا الشيء التافه في رؤوس اناس تتألف كل جعبتهم الفكرية من اسمال الشعبية ومن رقاع النقد الدارج الظريفة ؟ اولم يقل السيد بولغاكوف **نفسه** ، يا ترى ، انه لا مكان في الريف للنضال

الطبقي ؟ والاستعاضة عن النضال الطبقى «بشتى التعاونيات» ألا ترضي يا ترى الليبيراليين و«النقاد» وعلى العموم جميع الذين ليست الاشتراكية بالنسبة لهم اكثر من لافتة تقليدية ؟ ألا يمكن السعي الى طمأنة السذج بالتأكيد «نحن بالطبع براء من كل اضفاء صفة مثالية على المشاعية» ، رغم انكم تقرأون الى جانب هذا التأكيد شقشقة هائلة عن «التنظيم الهائل لفلاحي المير» * ، وعن انه «ما من طبقة في روسيا لا تندفع بدرجة معينة الى النضال السياسي الصرف (!) مثلما ينـدفع الفلاحون على وجه الضبط» وان حق الفلاحين في تقرير مصيرهم بانفسهم (!) اوسع بكثير من حيث حدوده وصلاحياته من حق الزيمستفوات في تقرير مصيرها وان هذا الجمع بين «الاستقلال» «الواسع» (حتى طرف القرية ؟) وبين انعدام «ابسط الحقوق المدنية» «قد اخترع فعلاً قصداً وعمداً لاجل ايقاظ وتدريب (!) الغرائز السياسية وعادات النضال الاجتماعي» اذا كان هذا لا يعجبك فلا تسمع ، ولكن

«لا بدّ ان يكون المرء اعمى لكي لا يرى الى اي حد من الاسهل الانتقال الى فكرة جتمعة الارض من تقاليد الادارة المشاعية للارض» اوليس العكس ايها السادة ؟ اوليسوا عمياناً صماً لا امل في شفائهم اولئك الذين لا يعرفون حتى الآن ان الانغلاق القروسطي للمشاعية نصف القنّية التي تقسّم الفلاحين الى اتحادات متناهية الصغر والتي تقيد البروليتاريا الريفية بيديها وقدميها هو الذي يدعم تقاليد الجمود والخنوع والتوحش ؟ اولا تضربون انفسكم بانفسكم حين تعترفون بفائدة الارتزاق الفلاحي الذي قضى على ثلاثة ارباع تساوي التقاليد المشاعية السيئ الشهرة ، وحصر هذه التقاليد في مجرد مشاحنة بوليسية ؟

---

* المير ـ المشاعة في روسيا سابقا . الناشر .

وبما ان برنامج الحد الادنى للاشتراكيين-الثوريين يرتكز على النظرية المدروسة اعلاه فانه شيء طريف حقاً بندان فى هذا «البرنامج» ١ – «جتمعة الارض اي نقلها الى ملكية المجتمع بأسره والى انتفاع الشغيلة» ٢ – «تطوير شتى انواع الاتحادات الاجتماعية والتعاونيات الاقتصادية في صفوف الفلاحين (لاجل النضال السياسي «الصرف» ؟) لاجل تحرر الفلاحين تدريجياً من سلطان الرأسمال النقدي (تحت سلطان الرأسمال الصناعي ؟) ولاجل اعداد الانتاج الزراعي الجماعي المقبل» في هذين البندين ، ينعكس ، مثل الشمس في قطرة صغيرة من الماء ، كل روح «الاشتراكية-الثورية» المعاصرة في النظرية – الجملة الثورية عوضا عن نظام بصير ومتكامل من المفاهيم في التطبيق – التلقف العاجز لهذه الوسيلة الصغيرة الدارجة او تلك عوضاً عن الاشتراك في النضال الطبقي – هذا كل ما عندهم ولاجل وضع جتمعة الارض والتعاونيات **جنباً الى جنب** في برنامج **الحد الادنى** ، لاجل هذا الغرض كان لا بدّ – ونعترف بذلك – من شجاعة مدنية نادرة ان برنامج الحد الادنى هذا هو ، من جهة بابوف ومن جهة اخرى السيد ليفيتسكى وهذا امر يستحيل تقليده

ولو كان من الممكن النظر الى هذا البرنامج نظرة جدية لتأتى لنا ان نقول ان الاشتراكيين-الثوريين اذ يخدعون انفسهم برنين الكلمات يخدعون الفلاحين ايضاً فمن الخداع الزعم ان «شتى التعاونيات» تضطلع بدور ثوري في المجتمع المعاصر وتهيئ لاشاعة الجماعية وليس لتوطيد البرجوازية الريفية ومن الخداع الزعم انه يمكن وضع جتمعة الارض امام انظار «**الفلاحين**» ، بوصفها «حداً ادنى» ، بوصفها شيئاً قريباً جداً ، مثل التعاونيات . وبوسع كل اشتراكي ان يوضح لاصحابنا الاشتراكيين-الثوريين ان القضاء على

الملكية الخاصة للارض لا يمكن ان يكون الآن غير العتبة المباشرة للقضاء على الملكية الخاصة بوجه عام وان مجرد نقل الارض الى «انتفاع الشغيلة» ليس من شأنه بعد' ان يرضي البروليتاريا لان الملايين وعشرات الملايين من الفلاحين الذين حل بهم الخراب عاجزون عن تسيير استثمارة في الارض حتى ولو كانت الارض في حوزتهم وان تزويد هؤلاء الملايين من الفلاحين الذين حل بهم الخراب بالادوات والمواشي وخلافها سيعني جتمعة جميع وسائل الانتاج ويتطلب ثورة اشتراكية تقوم بها البروليتاربا لا حركة فلاحية ضد بقايا القنانة ان الاشتراكيين-الثوريين يخلطون جتمعة الارض مع تأميمها البرجوازي وهذا الاخير معقول اذا تكلمنا بطريقة مجردة على قاعدة الرأسمالية ايضاً بدون القضاء على العمل المأجور ولكن مثال هؤلاء الاشتراكيين-الثوريين انفسهم هو الذي يؤكد بجلاء تلك الحقيقة القائلة ان رفع مطلب تأميم الارض في دولة بوليسية يعني طمس المبدأ الثوري الوحيد مبدأ النضال الطبقي وسكب الماء في طاحونة البيروقراطية ، كل بيروقراطية

وفضلاً عن ذلك ينزلق الاشتراكيون-الثوريون الى حد الرجعية السافرة حين يعترضون على مطلب مشروع برنامجنا «الغاء جميع القوانين التي تقيد الفلاح في التصرف بارضه» فبدافع وهم الشعبيين بصدد «المبدأ المشاعي» و«مبدأ التساوي» يرفضون للفلاح «حقاً مدنياً بسيطاً» كحق التصرف بارضه ويغمضون عيونهم بصدور منشرحة عن انغلاق المشاعة الفعلية الفئوي ويدافعون عن الموانع البوليسية التي تقرها وتدعمها «دولة» زيمسكييه ناتشالنيكي (١٢١) نحن نعتقد ان ليس السيد ليفيتسكي وحده بل والسيد بوبيدونوستسيف ، لا يخافان كثيراً من مطلب جتمعة الارض لاجل الانتفاع المتساوي بها ، طالما

يرفَع هذا المطلب كحد ادنى تظهر الى جانبه في آن واحد التعاونيات والدفاع عن تقييد الفلاح بطريقة بوليسية بحصة الارض الاميرية التي تؤمنه

فليكن برنامج الاشتراكيين-الثوريين الزراعي درساً وتحذيراً لجميع الاشتراكيين ومثالاً جلياً على ما تؤدي اليه اللافكرية واللامبدئية التي يسميها بعض الطائشين بالتحرر من العقيدة فما ان بلغت الامور حد الفعل ، حتى تبين انه لم يكن عند الاشتراكيين-الثوريين اي من الشروط الثلاثة الضرورية لاجل وضع برنامج اشتراكي منسجم : فلا فكرة واضحة عن الهدف النهائي ، ولا فهم صحيح للسبيل الذي يؤدي الى هذا الهدف ولا تصور دقيق عن وضع الامور الفعلي في الظرف الراهن وعن اقرب مهام هذا الظرف فان هدف الاشتراكية النهائى قد طمسوه بخلطهم جتمعة الارض مع تأميمها البرجوازي ، وخلطهم الفكرة الفلاحية البدائية عن الانتفاع المتساوي الصغير بالارض مع مذهب الاشتراكية المعاصرة بصدد تحويل جميع وسائل الانتاج الى ملكية اجتماعية وبصدد تنظيم الانتاج الاشتراكي ان تصورهم للسبيل الذي يؤدي الى الاشتراكية يتصف بصورة لا نظير لها بالاستعاضة عن النضال الطبقي بتطوير التعاونيات وفي تقييم الظرف الراهن من التطور الزراعي في روسيا نسوا امراً تافهاً عنينا به بقايا القنانة التي تضغط على ريفنا ثم ان ثلاثيتهم الشهيرة التي تفصح عن آرائهم النظرية – المثقفون والبروليتاريا والفلاحون – قد اكتملت بثلاثية «برنامجية» ليست اقل شهرة – جتمعة الارض التعاونيات ، التقييد بحصة الارض (١٢٢)

قارنوا بهذا «البرنامج» برنامج «الايسكرا» الذي يدل البروليتاريا المناضلة على الهدف النهائي الوحيد دون ان يحصره في «الحد الادنى» ، دون ان يحط من شأنه لاجل التكيف لافكار بعض

الفئات غير المتطورة من البروليتاريا او لافكار المنتجين الصغار ان السبيل الى بلوغ هذا الهدف واحد في المدينـــــة والريف على السواء – وهو نضال البروليتاريا الطبقي ضد البرجوازية ولكن علاوة على هذا النضال الطبقي لا تزال تدور في ريفنا رحى نضال آخر هو نضال الفلاحين جميعاً ضد بقايا القنانـــــة وفي هذا النضال يعد حزب البروليتاريا بدعم جميع الفلاحين مع سعيه الى تبيان الهدف الحقيقي لنهوضهم الثوري والى توجيه انتفاضتهم ضد العدو الحقيقي مع اعتباره انه من غير الشريف وغير اللائق ان يعامل المرء الفلاح كطفل تحت الوصاية ويخفي عنه ما يمكنه ان يتوصل اليه في الوقت الحاضر وعلى الفور بمجرد الغاء جميع آثار وبقايا القنانة بمجرد تمهيد السبيل لاجل نضال اوسع واصعب تخوضه البروليتاريا بأسرها ضد المجتمع البرجوازي بأسره

«الايسكرا» ، العـــــددان ٢٣ و٢٤ ، اول آب (اغسطس) واول ايلول (سبتمبر) ١٩٠٢

المجلـــــد ٦ ، ص‌ص ٣٧٧–٣٩٨

الى الفلاحين الفقراء

تعليق من اجل الفلاحين :
ما يريده الاشتراكيون-الديموقراطيون (١٢٣)

١ – نضال عمال المدن

كثيرون هم الفلاحون الذين سمعوا بلا ريب بالاضطرابات العمالية في المدن فان فريقاً من هؤلاء الفلاحين كان في العاصمتين (١٢٤) والمصانع ورأى بنفسه اعمال الشغب ، كما يسميها البوليس وفريق آخر منهم يعرف العمال الذين نفتهم السلطات الى القرى لاشتراكهم في الاضطرابات وفريق ثالث اتيحت له الفرصة ان يرى المناشير والكراريس حول نضال العمال، وفريق رابع سمع فقط اخبار الناس المطلعين على ما يحدث في المدن

فيما مضى كان الطلاب وحدهم يثورون اما الآن فان الآلاف وعشرات الآلاف من العمال قد ثاروا في جميع المدن الكبيرة وهم يناضلون في معظم الاحيان ضد ارباب عملهم ضد اصحاب المصانع الرأسماليين ويلجأ العمال الى الاضراب ويتركون جميعهم في آن واحد العمل في المصنع ويطالبون بزيادات في الاجور ويطالبون بعدم تشغيلهم في اليوم احدى عشرة ساعة او عشر ساعات بل بتشغيلهم ثماني ساعات فقط ويطالبون ايضاً بجميع التحسينات الاخرى في حياة العامل وهم يريدون ان يصار الى تحسين الاوضاع في مشاغلهم وان يصار الى احاطة الآلات باجهزة خاصة للوقاية ، والا تشوّه الآلات العمال الذين يشتغلون

عليها وان يتمكن اولادهم من الذهاب الى المدرسة وان يلقى المرضى العناية اللائقة في المستشفيات وان تكون مساكن العمال بيوتاً لائقة ، لا اكواخاً للكلاب

ويتدخل البوليس في نضال العمال فيلقي القبض على العمال، ويزجّ بهم في السجن ويبعدهم دون محاكمة الى مسقط رأسهم بل انه ينفيهم دون محاكمة الى سيبيريا وثمة قانون اصدرته الحكومة يمنع الاضرابات والاجتماعات العمالية ولكن العمال يخوضون النضال ضد البوليس والحكومة ، ويقولون كفانا خنوعاً وركوعاً نحن شعب العمال الذين نعد الملايين من البشر كفانا شغلاً في صالح الاغنياء بينا نظل نحن في بؤس مدقع لقد استسلمنا كفاية للنهب والسلب نريد تأليف اتحادات نريد حشد جميع العمال في اتحاد عمالي كبير موحّد (هو **حزب** العمال) نريد النضال معاً في سبيل حياة افضل نريد النضال في سبيل تنظيم جديد افضل للمجتمع وفي هذا المجتمع الجديد الافضل ينبغي الا يكون ثمة اغنياء وفقراء انما ينبغي ان يشترك الجميع في العمل ينبغي ان يتمتع جميع الشغيلة بثمار العمل المشترك لا حفنة من الاثرياء فقط ينبغي ان تسهل الآلات وسائر الاتقانات كدح الجميع لا ان تغني البعض على حساب الملايين وعشرات الملايين من الناس هذا المجتمع الجديد هذا المجتمع الافضل يُسمى **المجتمع الاشتراكي** والمذهب الذي ينادي به يسمى **الاشتراكية** واتحادات العمال التي تناضل في سبيل هذا التنظيم الافضل للمجتمع تسمى الاحزاب **الاشتراكية-الديموقراطية** وهذه الاحزاب موجودة علناً في جميع البلدان تقريباً (عدا روسيا وتركيا) كما ان عمالنا بالاتفاق مع الاشتراكيين من الناس المتعلمين قد شكلوا ايضاً حزباً كهذا هو **حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا** .

اما الحكومة فهي تضطهد هذا الحزب ولكنه موجود سراً ، رغم جميع قرارات المنع وهو يصـــدر الصحف والكراريس ويشكل الاتحادات السرية ولا يكتفي العمـــال بالاحتشـــاد في اجتماعات سرية ، بل ينزلون الى الشارع ، جماهير جماهير ويرفعون الرايات المكتوب عليها «عاش يوم العمل من ثماني ساعات عاشت الحرية عاشت الاشتراكية ولهذا تلاحق الحكومـــة العمال بوحشية بل انها ترسل الجيش ليطلق النار عليهم لقد قتل الجنود الروس عمالاً روساً في ياروسلافل وبطرسبورغ وريغا ، وروستوف على الدون ، وزلاتووست*

ولكن العمـــال لا يستسلمون بل يواصلون النضـــال ويقولون ليس ثمة اضطهادات ولا سجون ، ولا نفي ولا اعتقال مع الاشغال الشاقة ، ولا موت بوسعها ان ترهبنا ان قضيتنا عادلة فنحن نكافح في سبيل حرية وسعادة جميع الذين يكدحون نحن نكافح في سبيـــل التخلص من مظاهر العنف والاضطهـــاد والبؤس النازلة بعشرات ومئات الملايين من الكادحين والعمال يزدادون وعياً يوماً بعد يوم وعدد الاشتراكيين-الديموقراطيين يتعاظم بسرعة في جميع البلدان ولسوف ننتصر بالرغم من كل قمع وملاحقة

---

* في طبعـــة عام ١٩٠٥ استعيض عن النص البادئ بكلمتي «وهو يصدر» والمنتهي بكلمـــة «زلاتووست» بما يلي «والآن وعدت الحكومـــة بحرية الكلام وحرية الاجتماع ، وحرمة الفرد ، ولكن هذا الوعد كان كاذبا فان البوليس اخذ من جديد يفرق الاجتماعـــات ومن جديد اخذوا يغلقون جرائد العمال ومن جديد شرعوا يقبضون على الاشتراكيين-الديموقراطيين ويزجون بهم في السجن وقد اطلقوا النار على المناضلين من اجل الحرية في كرونشتادت وسيبـــاستوبول وموسكو والقفقـــاس ، في الجنوب وفي عموم روسيا» . **الناشر** .

ينبغي ان يدرك الفلاحون الفقراء جيد الادراك من هم هؤلاء الاشتراكيون-الديموقراطيون وماذا يريدون وما ينبغي القيام به في القرى من اجل مساعدتهم في الظفر بالسعادة للشعب

٢ – ماذا يريد الاشتراكيون-الديموقراطيون ؟

يناضل الاشتراكيون-الديموقراطيون الروس بادئ بدء في سبيل **الحرية السياسية** فهذه الحرية ضرورية لهم لحشد جميع العمال الروس على نطاق واسع وبصورة علنية في النضال من اجل تنظيم المجتمع تنظيماً جديداً تنظيماً افضل تنظيماً اشتراكياً

ما هي الحرية السياسية ؟

لكي يدرك الفلاح هذا الامر ينبغي له ان يقارن اولاً حريته اليوم بنظام القنانة (الاقطاعية) في ذلك العهد لم يكن يحق للفلاح ان يتزوج دون اذن الملاك العقاري اما الآن فالفلاح حر بان يتزوج دون اي اذن في ذلك العهد كان الفلاح ملزماً بالعمل بصورة مطلقة لحساب سيده في الايام التي يعينها وكيل السيد اما الآن فالفلاح حر بان يقرر لحساب اي سيّد يشتغل وفي اية ايام ولقاء اي أجر في ذلك العهد لم يكن يحق للفلاح ان يترك القرية دون اذن السيد اما الآن فالفلاح حر بالذهاب حيث يشاء اذا سمحت له المشاعة («المير») بالذهاب اذا لم يكن يترتب عليه دفع ضرائب متأخرة اذا اعطي تذكرة هوية اذا لم يمنعه المحافظ او مدير البوليس في القضاء* من التنقل ولذا لا يتمتع الفلاح اليوم ايضاً بكامل حرية الذهاب حيث يشاء بكامل

---

* بمعنى التقسيم الاداري . **المعرب** .

حرية التنقل فما يزال الآن نصف قن وسنقول فيما بعد بالتفصيل لماذا لا يزال الفلاح الروسي نصف قن وكيف يستطيع التخلص من هذا الوضع

في عهد القنانة لم يكن يحق للفلاح ان يحصل على اية ممتلكات دون اذن السيد ولم يكن يحق له اطلاقاً ان يشتري الارض اما الآن فالفلاح حر بالحصول على شتى انواع الممتلكات (غير انه ليس حراً اليوم تمام الحرية بان يترك المشاعة وبان يتصرف بارضه كما يشاء) في عهد القنانة كان بوسع الملاك العقاري انزال العقوبات الجسدية بالفلاح اما الآن فلم يعد بوسع الملاك العقاري انزال العقاب الجسدي بالفلاح رغم ان الفلاح لم يتحرر حتى الآن من العقوبات الجسدية .

هذه الحرية هي التي تسمى الحرية **المدنية** الحرية في حقل الشؤون العائلية في حقل الشؤون الشخصية في حقل الشؤون المتعلقة بالممتلكات فالفلاح والعامل حرّان (صحيح ان حريتهما غير تامة) بان ينظما حياتهما العائلية وشؤونهما الشخصية وبان يتصرفا بعملهما (بان يختارا سيداً لهما) وبممتلكاتهما

ولكن لا العمال الروس ولا الشعب الروسي كله ، يتمتعون حتى الآن بحرية التصرف بالشؤون المشتركة **التي تخص الشعب بأسره** فالشعب بأسره بمجمله لا يزال قناً للموظفين كما كان الفلاحون اقناناً للملاكين العقاريين فلا يحق للشعب الروسي ان يختار موظفيه ولا ان ينتخب الناس الذين يثق بهم من اجل تحضير القوانين لعموم الدولة بل انه لا يحق للشعب الروسي التجمع لمناقشة الشؤون **العامة** ، شؤون **الدولة** وبدون اذن الموظفين الموضوعين فوقنا دون رضانا ، – كما كان السيد في الزمن الغابر يعين الوكيل دون موافقة الفلاحين ، – لا يحق لنا حتى

طبع صحفنا وكتبنا والتكلم امام الجميع وللجميع عن الشؤون التي تتعلق بالدولة كلها !

وكما ان الفلاحين كانوا عبيد الملاكين العقاريين كذلك ما يزال الشعب الروسي حتى الآن عبد الموظفين وكما ان الفلاحين كانوا في عهد القنانة (الاقطاعية) محرومين من الحرية المدنيـــة كذلك ما يزال الشعب الروسي محروماً من الحرية **السياسية** حتى الآن ان الحرية السياسية انما هي حريـــة الشعب بتصريف شؤونه المشتركة الشؤون العامة ان الحرية السياسية انما هي حق الشعب بانتخاب نوابه الى دوما الدولة (١٢٥) (البرلمان) إن دوما الدولة* هذا (البرلمان) الذي ينتخبه الشعب بنفسه هو الذي ينبغي له وحده ان يناقش ويسنّ جميع القوانين وان يقر جميع الضرائب والرسوم ان الحرية السياسية انما هي حـــق الشعب في أن يختار بنفسه جميع الموظفين وأن ينظم شتى انواع الاجتماعات لمناقشة جميع الشؤون العامة وأن يطبع دون اي اذن ، ما يشاءه من الكتب والصحف .

ان جميع الشعوب الاوروبية الاخرى قد ظفرت منذ زمن طويل بالحرية السياسية في تركيا فقط وفي روسيا ، ما يزال الشعب سياسياً قنّاً لحكومة السلطان ولحكومة القيصر الاوتوقراطية ان الاوتوقراطية القيصرية انما هي سلطة القيصر التي لا حدّ لها فلا يأخذ الشعب اي قسط في تنظيم الدولة وادارتها فالقيصر وحده بحكم سلطته الشخصية غير المحدودة الاوتوقراطية هو الذي يسنّ جميع القوانين ويعيّن جميع الموظفين ولكنه

---

* هنا وفيما بعد ، وكذلك في ص‌ص ٢٧٥ ، ٢٧٨ من هذا المجلد ، استعيض في طبعة عام ١٩٠٥ عن كلمتي «دوما الدولة» بكلمات «جمعيـــة نواب الشعب» . ــ **الناشر** .

واضح ان القيصر نفسه **لا يمكن له حتى ان يعرف** جميع القوانين الروسية وجميع الموظفين الروس بل انه لا يستطيع ان يعرف ما يجري في الدولة انه يكتفي بالمصادقة على مشيئة عدة عشرات من كبار الموظفين واعلاهم مقاماً ان شخصاً واحداً مهما كانت رغبته شديدة ليعجز عن حكم دولة شاسعة كروسيا فليس القيصر هو الذي يحكم روسيا – ، ومع ذلك لا يسع المرء الا التحدث عن اوتوقراطية رجل واحد ! – بل تحكم روسيا حفنة من اكبر الموظفين ثراء وجاهاً ولا يعرف القيصر الاّ ما تشاء هذه الحفنة من الموظفين ان تبلغه اياه ولا يستطيع القيصر ابداً معارضة هذه الحفنة من كبار ممثلي النبلاء فالقيصر نفسه ملاك عقاري ونبيل وهو منذ طفولته لم يعش الاّ في وسط هؤلاء النبلاء فهم الذين ربوه وعلّموه اما الشعب الروسي بأسره فان القيصر لا يعرف عنه اكثر مما يعرف هؤلاء النبلاء الكبار والملاكون العقاريون الاغنياء والقلّة من التجار الاغنياء الذين يحق لهم دخول القصر

بوسعكم ان تجدوا في كل دائرة في النواحي (١٢٦) اللوحة التالية اللوحة تمثل القيصر (ألكسندر الثالث والد القيصر الحالي) القيصر يلقي خطاباً امام رؤساء بلديات النواحي ، القادمين لحضور تتويجه القيصر يأمرهم «**اطيعوا مارشالات النبلاء** ! (١٢٧)» وقد كرر قيصر اليوم نيقولاي الثاني الكلام نفسه فالقياصرة يعترفون اذن بانهم لا يستطيعون حكم الدولة الاّ بمساعدة النبلاء بوساطة النبلاء ينبغي لنا ان نحفظ جيّداً كلمات القيصر هذه حول طاعة الفلاحين للنبلاء ينبغي لنا ان ندرك تمام الادراك كذب ما يقوله للشعب هؤلاء القوم الذين يسعون جهدهم لتصوير الادارة القيصرية على انها خير ادارة يقول هؤلاء القوم : في البلدان الأخرى ، تنتخب الادارة انتخاباً ، فيُختار لها

الاغنيـاء والحال ان الاغنيـــاء يديرون دون انصاف فهـــم يضطهدون الفقراء اما في روسيا فلا يصار الى انتخاب الادارة فان القيصر الاوتوقراطي هو الذي يحكم كل شيء فالقيصر فوق جميع الناس الفقراء منهم والاغنياء والقيصر كما يزعم هؤلاء القوم ، منصف ازاء الجميع ، ازاء الفقراء والاغنياء ، دون اي تمييز .

ان مثل هذه الاقاويل رياء برياء فكل روسي يعرف ما هو عليه انصاف الادارة في بلادنا وكل امرئ يعرف اذا كان العامل البسيط أو الاجير الزراعي في بلادنا يستطيع ان يكون عضواً في مجلس الدولة بينما رأينا في جميع البلدان الاوروبيـــة الاخرى عدداً من عمال المصانع ومن الاجراء الزراعيين اعضـــاء في دومات الدولة (البرلمانات) كانوا يتكلمون بحرية امام الشعب كله عن بؤس العمال وكانوا يدعون العمال الى الاتحاد والنضال من اجل حياة افضل وما كان احد ليجرؤ على مقاطعة نواب الشعب عند القاء خطاباتهم هذه وما كان اي فرد من أفراد البوليس ليتجاسر على مسّهم باصبعه

ليس في روسيا ادارة منتخبة ، فالذين يديرون ليسوا الاغنياء والنبلاء وحسب بل شرهم ، اي امهرهم نمّاً في القصر وابرع من يحوكون المقالب ويكذبون ويفترون لدى القيصر ويتزلّفون ويداهنون انهم يديرون سراً ، ولا يعرف الشعب ولا يستطيع ان يعرف اية قوانين يهيئونها له ، واية حروب يستعدون لشنها ، واية ضرائب جديدة سيقرون واي موظفين سيكافئون ولماذا واي موظفين سيقيلون ولماذا* وما من بلد كروسيا يعرف مثل هذا

---

* في طبعة عام ١٩٠٥ ، ورد النص التالي بعد كلمات «واي موظفين سيقيلـــون ولمـــاذا» «من الذي اعلن الحرب على اليابـــان ؟ (١٢٨) الحكومـــة . هل سألوا الشعب ما اذا كان يريد ان يحـارب من اجل ارض

العدد اللجب من الموظفين وهؤلاء الموظفون ينتصبـــون فوق الشعب الصامت كغابة قاتمة ، – فان العامل البسيط لن يتوصل ابداً الى شق طريق له في هذه الغابة ولن يحصل على العدالة ومـا من شكوى ضد الموظفين المرتشين ، والناهبين والظالمين ترى النور فكل شكوى تذهب عبثاً ، بسبب من المماطلات البيروقراطية (الدواوينية) وصوت رجل بمفرده لا يبلغ ابداً مسامع الشعب كله بل يضيع في هذا الدغل الكثيف القاتم ويختنق في اقبيـــة البوليس ان جيش الموظفين الذين لم ينتخبهم الشعب والذيـــن ليسوا مسؤولين امامه قد حاك شبكة كثيفة يتخبط فيها الناس كالذباب *

ان الاوتوقراطية القيصرية انما هي اوتوقراطية الموظفين انما هي تبعية الشعب القنيّة ازاء الموظفين ولا سيما ازاء البوليس. ان الاوتوقراطية القيصرية انما هي اوتوقراطية البوليس

ولهذا ينزل العمال الى الشـــارع ويخطّون على راياتهم «لتسقط الاوتوقراطية «عاشت الحرية السياسية ولهذا

منشوريـا ؟ كلا ، لم يسألوه ، لان رئيس الدولـة يدير الدولة بواسطـة موظفيـه ، واذا الشعب ، بذنب من الحكومـة ، يحل به الخراب من جراء الحرب الشاقـة مئات الآلاف من الجنود الشبـاب لقوا مصرعهم ، وحل الخراب بعائلاتهم ، والاسطول الروسي هلك كله ، والقوات الروسية طردت من منشوريا ؛ وانفق على الحرب كلها اكثر من ملياري روبل (مليارا روبل ــ هذا يعني مائة روبل بكل عائلة من اصل عشرين مليون عائلة في روسيا) ان الشعب ليس بحاجة الى ارض منشوريا ان الشعب لم يرد الحرب ولكن حكومة الموظفين كانت تحكم الشعب حسب مشيئتها واجبرته على خوض غمار هذه الحرب المخزية والفتاكة والمدمرة» **الناشر**

* في طبعة عام ١٩٠٥ ، وردت بعد كلمة «كالذباب» الملاحظـة التالية في هامش الصفحة «ان سلطة الموظفين الكليـة هذه تسمى بالادارة البيروقراطية ، وكل سلك الموظفين بالبيروقراطية» . **الناشر** .

ينبغي على عشرات الملايين من الفلاحين الفقراء ايضاً ان يرددوا هتاف عمال المدن النضالي هذا وعلى غرار عمال المدن ينبغي على عمال الارياف والفلاحين الفقراء ، دون خشية من اعمال القمع دون خوف من اعمال التهديد والعنف من جانب العدو دون الاضطراب لدى اول هزيمة ، ينبغي عليهم القيام بنضال حاسم في سبيل حرية الشعب الروسي بأسره والمطالبة قبل كل شيء **بدعوة ممثلي الشعب الى الاجتماع** فليختر الشعب بنفسه نوابه في عموم روسيا ليؤلف هؤلاء النواب جمعية عليا تؤسس ادارة منتخبة في روسيا ، وتحرّر الشعب من التبعية القنّية ازاء الموظفين والبوليس وتؤمن للشعب حرية الاجتماعات وحرية الكلام والصحافة !

هذا ما يريده الاشتراكيون-الديموقراطيون قبل كل شيء وهذا ما يعنيه مطلبهم الاول **مطلب الحرية السياسية***

---

* في طبعة عام ١٩٠٥ ، ورد بعد كلمات **«مطلب الحرية السياسية»** النص التالي «وعدت الحكومة بدعوة ممثلي الشعب الى الاجتماع في دوما الدولة ولكن الحكومة خدعت الشعب مرة اخرى بهذا الوعد فتحت اسم دوما الدولة ، تريد ان تجمع ، لا نواب الشعب الحقيقيين ، بل مجموعة مختارة من الموظفين والنبلاء والملاكين العقاريين والتجار يجب اختيار نواب الشعب بحرية ، ولكن الحكومة لا تسمح بالانتخابات الحرة ، وتغلق جرائد العمال ، وتمنع الاجتماعات والتجمعات ، وتلاحق اتحاد الفلاحين (١٢٩) وتعتقل منتخبي الفلاحين وتزج بهم في السجن وهل يمكن ان تكون ثمة ، يا ترى ، انتخابات حرة اذا كان البوليس والزيمسكييه ناتشالنيكي يسخرون من العمال ومن الفلاحين كما من قبل ؟

ينبغي انتخاب نواب الشعب من جانب الشعب كله مناصفة لكي لا يكون للنبلاء والملاكين العقاريين والتجار التفوق على العمال والفلاحين ان النبلاء والتجار آلاف ؛ اما الفلاحون فملايين وتحت اسم دوما الدولة ، تدعو الحكومة الى الانعقاد جمعية لا تقوم على اساس

اننا نعلم ان الحرية السياسية حرية الانتخاب لدوما الدولة (البرلمان) حرية الاجتماعات حرية الصحافة لن تنقذ الشعب الشغيل دفعة واحدة من البؤس والظلم وليس ثمة وسيلة بوسعها ان تنقذ دفعة واحدة فقراء المدن والارياف من عملهم في صالح الاغنياء وليس امام الشعب العامل اي امرئ يعلّق عليه أمله او يعتمد عليه **الاّ نفسه بالذات** وما من احـــد سيحرّر العامل من بؤسه **اذا لم يفعل ذلك بنفسه** ولكي يتحرر العمال عليهم ان ينضموا في اتحاد واحد في حزب واحد من طرف البلاد الى الطرف الآخر في عموم روسيـــا ولكن ملايين العمـــال لا يستطيعون الاتحاد اذا كانت الحكومة البوليسية الاوتوقراطية تمنع كل الاجتماعات وجميع صحف العمـــال وجميع انتخابات نواب العمال لكي يتحد النـــاس ينبغي لهم حق تنظيم شتى انواع الاتحادات تنبغي حرية الاتحاد تنبغي الحرية السياسية

ان الحرية السياسية لن تنقذ الشعب العامل من البؤس دفعة واحدة ، **ولكنها ستعطي العمال سلاحاً للنضال ضد البؤس** وليس

الانتخابات المتساوية وقد نظمت الحكومة انتخابات على درجة من المكر بحيث ان النبلاء والتجار ينالون جميع المقاعد تقريباً في الدوما ، بينمـــا لا يكون للعمال والفلاحين حتى نائب واحد من كل عشرة هذا دوما مزوّر هذا دوما بوليسي هذا دوما الموظفين والاسياد فلاجل جمعيـــة حقيقية لنواب الشعب ، تنبغي حرية الانتخاب التامة ، تنبغي انتخابات متساوية من جانب الشعب كله ولهذا يعلن الأشتراكيون-الديموقراطيون العمال ليسقط الدوما ! لتسقط الجمعية المزوّرة ! نحن بحاجة الى جمعية حقيقية حرة من النواب عن الشعب كله ، وليس عن النبلاء والتجار ! نحن بحاجة الى جمعية تاسيسية لعامة الشعب لكي يملك الشعب السلطة الكاملة على الموظفين وليس لكي يملك الموظفون السلطة على الشعب ! » **الناشر** .

ثمة ولا يمكن ان يكون ثمة وسيلة اخرى للنضال ضد البؤس غير **اتحاد العمال انفسهم** ولن يستطيع الملايين من ابناء الشعب ان يتحدوا اذا لم تتوافر لهم **الحرية السياسية**

في جميع بلدان اوروبا التي ظفر فيها الشعب بالحرية السياسية اخذ العمال يتحدون منذ زمن طويل والعمال الذين لا ارض عندهم ولا مشاغل والذين يشتغلون طوال حياتهم أجراء عند الآخرين ، — ان هؤلاء العمال يسمونهم في كل اوروبا **بروليتاريين** فمنذ اكثر من خمسين سنة دوى نداء يدعو الى اتحاد الطبقة العاملة «يا عمال العالم ، اتحدوا !» (١٣٠) ان هذه الكلمات قد طافت العالم كله خلال الخمسين سنة الاخيرة وهي تعاد في عشرات ومئات الآلاف من اجتماعات العمال وانكم لتقرؤونها في ملايين الكتب والصحف الاشتراكية-الديموقراطية بجميع اللغات

ان حشد ملايين العمال في اتحاد واحد ، في حزب واحد ، هو بالطبع ، عمل صعب جداً ، جداً ويطلب فترة من الزمن وقدراً من المثابرة والعناد والشجاعة واننا لنرى العمال تسحقهم الحرمانات ويحطمهم البؤس ويُغلظ عقولَهم العملُ الدائب القاسي كالاشغال الشاقة في صالح الرأسماليين والملاكين العقاريين وفي كثير من الاحيان لا يتوفر لهم الوقت ليتساءلوا لماذا هم ابداً غارقون في لجة البؤس ، وكيف الخروج منها وبجميع الوسائل يمنعون العمال من الاتحاد اما انهم يمارسون مباشرة اعمالاً عنيفة وحشية في بلدان كروسيا حيث الحرية السياسية معدومة واما انهم يرفضون تشغيل العمال الذين يروّجون بمذهب الاشتراكية واما انهم يلجؤون اخيراً الى الكذب والرشوة ولكن ما من عنف ولا قمع بوسعهما ان يحملا العمال البروليتاريين على الكف عن النضال من اجل القضية الكبرى ، قضية تحرير الشعب

العامل بأسره من البؤس والظلم ان عدد العمـــال الاشتراكيين-الديموقراطيين يتعاظم بلا انقطاع ففي الدولة المجاورة ، مثلاً في المانيا توجد ادارة منتخبة فيما مضى كانت في المانيـــا ايضاً حكومة مَلَكية اوتوقراطية مطلقة ولكن الشعب الالماني هبّ منذ اكثر من خمسين سنة وحطم الاوتوقراطية وظفر بالحرية السياسية بالقوة فالقوانين في المانيا لا تسنّها حفنة من الموظفين كما في روسيا بل تسنّها **جمعية نواب الشعب** البرلمان او **الريخستاغ** كما يسميها الالمـــان وجميع الرجال الراشدين ينتخبون نواب الريخستاغ ولذا يمكن معرفة عدد الاصوات التي نالهـــا الاشتراكيون-الديموقراطيون ففي ١٨٨٧ نالوا **عشر** الاصوات كلها وفي ١٨٩٨ (لدن الانتخابات الاخيرة للريخستاغ) **ازداد** عدد اصوات الاشتراكيين-الديموقراطيين الى **ما يقرب من ثلاثة اضعاف** وهكذا نال الاشتراكيون-الديموقراطيون **اكثر من ربع** الاصوات كلها فقد صوّت **اكثر من مليوني** رجل راشد **لنوابهم الاشتراكيين-الديموقراطيين** في البرلمان* غير ان الاشتراكية ما تزال قليلة الانتشار بين عمال الارياف في المانيا ولكنها تخطو في الوقت الحاضر خطوات سريعة جداً وعندما ينضم سواد الأجراء الزراعيين ، والمياومين والفلاحين الفقراء المعدمين الى اخوانهم في المدن فان العمال الالمان سينتصرون ويقيمون نظاماً لا يعرف فيه الشغيلة لا البؤس ولا الظلم

ولكن كيف يريد العمال الاشتراكيون-الديموقراطيون انقاذ الشعب من البؤس ؟

---

* في طبعة عام ١٩٠٥ ، ورد بعد كلمة «البرلمان» النص التالي «في عام ١٩٠٣ انتخب ثلاثة ملايين رجل راشد الاشتراكيين-الديموقراطيين». **الناشر .**

لكي نعرف ذلك ينبغي ان ندرك جيد الادراك مصدر بؤس الجماهير الغفيرة في ظل النظام الاجتماعي الحالي فالمدن الغنية تتكاثر وتتعاظم ويصار الى تشييد المخازن والمباني الفخمة والى مد الخطوط الحديدية والى استعمال شتى انواع الآلات والتحسينات في الصناعة كما في الزراعة بينا لا يزال ملايين الناس يتخبطون في لجة البؤس ويكدحون طوال حياتهم لمجرد اعالة اسرهم بل ثمة اكثر من ذلك فان عدد العاطلين عن العمل يتزايد بلا انقطاع وفي الارياف والمدن يزداد على الدوام عدد الذين لا يستطيعون ايجاد اي عمل ففي الارياف يتضورون جوعاً وفي المدن يضخمون فرق الصعاليك وطوابير الحفاة وهم ينـدَسّون كالحيوانات في اقبية الضواحي أو في اكواخ وحجيرات زرية كما هي عليه مثلاً الاكواخ والحجيرات في حيّ خيتروف رينوك بموسكو

كيف يمكن ذلك ؟ الثروات ومظاهر البذخ تتكاثر على الدوام بينا الملايين والملايين من الناس الذين يخلقون كل هذه الثروات بكدحهم يظلون مع ذلك فقراء وتعساء ؟ الفلاحون يحصدهم الجوع والعمال يهيمون بلا عمل بينما يشحن التجار من روسيا الى الخارج ملايين البودات (البود يساوي ١٦,٣٨٠ كيلوغراماً **المعرب**) من الحبوب وبينا المصانع والمعامل متوقفة عن العمل لأنه لا يُعرف الى اين تُرسل البضائع بالنظر لانعدام اسواق التصريف ؟

سبب ذلك اولاً ان قسماً كبيراً جداً من الارض وكذلك المصانع والمعامل والمشاغل والآلات والابنية والسفن هي ملك عدد صغير من الاغنياء وهذه الاراضي وهذه المصانع والمشاغل حيث يشتغل عشرات الملايين من الناس تخص عدة آلاف او عدة عشرات الآلاف من الاغنياء ، من ملاكين عقاريين

وتجار وصناعيين ولهؤلاء الاغنياء يبيع الشعب قوة عمله لقاء اجر لقاء كسرة من الخبز وكل ما يصنع علاوة على بدل اعالة العمال البائس ، انما يذهب لاملاء جيوب الاغنياء ذلك هو ربحهم تلك هي «ايراداتهم» وكل الفوائد الناجمة عن الآلات والتحسينات في العمل هي في مصلحة ملاكي الاراضي والرأسماليين فهم يكدّسون ثروات باهظة بينا الذين يشتغلون لا يتلقون سوى فتات بائسة ان العمال يجتمعون من اجل العمل فان الاستثمارات الزراعية الكبيرة والمصانع الكبيرة تضم المئات من العمال واحياناً الالوف وبفضل هذا العمل المشترك وبفضل استخدام شتى انواع الآلات تغدو النتيجة أوفر فان عاملاً واحداً ينتج أكثر بكثير مما كان ينتجه عشرات العمال كانوا يشتغلون فيما مضي بصورة منفردة ودون اية آلة ولكن هذه النتيجة ولكن انتاجية العمل هذه لا تفيد جميع الشغيلة انما تفيد فقط عدداً ضئيلاً من كبار ملاكي الاراضي ومن التجار والصناعيين

غالباً ما نسمع ان الملاكين العقاريين والتجار «**يعطون**» الشعب «عملاً» «يعطون» الفقراء مورداً للرزق يقال مثلاً ان فلاحي تلك المحلة «**يعتاشون**» من المصنع المجاور او من الاستثمارة الزراعية المجاورة غير ان العمال هم الذين في الواقع **يعتاشون** من عملهم **ويُعيِّشون** جميع الذين لا يشتغلون **ولكن لقاء الاذن** بالعمل في ارض الملاك العقاري او في المصنع او في السكة الحديدية **يعطي** العامل **مجاناً** المالكَ كلَّ ما يصنع بينا لا يتلقى هو سوى اجر زهيد وهكذا نرى في الواقع ان ليس الملاكون العقاريون ولا التجار هم الذين يعطون العمال عملاً انما هم العمال الذين يعيلون بعملهم الجميع مقدمين مجاناً قسماً كبيراً من كدحهم

لنتابع ان بؤس الشعب ناجم في جميع الدول المعاصرة عن كون الشغيلة يصنعون جميع انواع السلع من اجل البيع في السوق فان الصناعي والحرفـــــي والملاك العقاري والفلاح الميسور يصنعون هذه السلعة او تلك ويربّون المواشي ويزرعون الحبوب ويحصدونها **من اجل البيع** من اجل كســـب **المال** وغدا المال في كل مكان القوة الرئيسية فجميع منتجات الكدح البشري عرضة للمبادلــة لقاء المال وبالمال يمكن شراء كل ما يراد بل يمكن شراء كائن بشري بالمال اي الزام رجل فقير على العمل لمن يملك المال فيما مضى كانت الارضُ القوةَ الرئيسية كان ذلك في عهد الاقطاعية كان مالك الارض يملك ايضاً القوة والسلطة اما الآن فان المال الرأسمال هو الذي غدا القوة الرئيسيـــة بالمال يمكن شراء قدر ما يراد من الارض وبدون مال لا يمكن للمرء ان يفعل شيئاً ما حتى ولو كان يملك ارضاً اذ لن يكون معه ما يشتري به محراثاً او غير ذلك من ادوات الزراعة او ما يشتري به ماشية وألبسة وغير ذلك من بضائع المدينة هذا عدا دفع الضرائب ونظراً لانعدام المال اقدم جميع الملاكين العقاريين تقريباً على رهن املاكهم لدى المصارف ولأجل الحصول على المال تستقرض الحكومة من الناس الاغنياء ومن اصحاب المصارف في العالم كله وتدفع من الفوائد سنوياً مئات الملايين من الروبلات

وبسبب المال يشنّها الجميع اليوم حرباً ضارية بعضهم ضد بعض كل يريد ان يشتري بأبخس الاسعار وان يبيع بأعلى الاسعار كل يريد التفوق على الآخر كل يريد ان يبيع اكبـر كمية ممكنة من البضائع ان يخفض الاسعار ان يخفي عـــن الآخرين سوقاً مفيدة للتصريف أو طلبية رابحة والناس الصغار ، الحرفي الصغير والفلاح الصغير ، هـم اشدّ من يعانـــون من هذا

الاندفاع العام الى المال فانهم يظلون ابداً وراء التاجر الغني او الفلاح الكانز وليس لديهم ابداً اي احتياطي ويعيشون بالتقتير كل يوم بيومه وهم لدى كل صعوبة لدى كل مصيبة يضطرون لرهن اسمالهم الاخيرة او لبيع ماشيتهم باسعار بخسة واذا ما وقعوا في مخالب الكولاكي (١٣١) أو المرابي فانهم نادراً ما يتمكنون من خلع سلاسلهم وهم في معظم الاحيان يفقدون كل شيء ففي كل سنة ، يغلق عشرات الالوف ومئات الالوف من صغار الفلاحين والحرفيين بيوتهم ويسلمون حصصهم من الارض للمشاعة مجاناً ويغدون عمالاً اجراء واجراء زراعيين وفعلة بروليتاريين بينا يزداد اصحاب الثروةثروة في هذا الصراع من اجل المال ان الاغنياء يكدسون المال في المصارف بالملايين ومئات الملايين من الروبلات ، ولا يغتنون بمالهم وحسب بل يغتنون ايضاً بالمال الذي يودعه الآخرون في المصارف ان الناس البسطاء الصغار لا يتقاضون لقاء عشرات او مئات الروبلات التي يودعونها في المصارف أو في صناديق التوفير سوى فائدة قدرها ثلاثة او اربعة كوبيكات عن كل روبل بينا يكدس الاغنياء الملايين بواسطة هذه العشرات او المئات من الروبلات فيزيدون بها رقم اعمالهم ويكسبون عشرة كوبيكات او عشرين كوبيكاً بكل روبل

ولهذا يعلن العمال الاشتراكيون-الديموقراطيون ان الوسيلة الوحيدة لوضع حد لبؤس الشعب هي ان نغيّر النظام الحالي برمّته في عموم البلاد ونقيم **النظام الاشتراكي** اي ان ننزع من كبار ملاكي الاراضي املاكهم ومن الصناعيين مصانعهم ومعاملهم ومن اصحاب المصارف رساميلهم وان نقضي على **ملكيتهم الخاصة** ونسلّمها الى الشعب العامل في عموم البلاد حينذاك لن يتصرف بعمل العمال الناس الاغنياء الذين يعيشون

من عمل الآخرين بل العمال انفسهم ونوابهم حينذاك سيستفيد جميع الشغيلة جميع العمال من ثمار العمل المشترك ومن المنافع الناجمة عن كل التحسينات وكل الآلات حينذاك ستزداد الثروة بمزيد من السرعة لأن العمال سيشتغلون احسن من ذي قبل اذ انهم سيشتغلون لانفسهم لا للرأسماليين وسيكون يوم العمل أقصر وتتحسن معيشة العمال وتتغير كل حياتهم تغيراً تاماً

غير انه ليس من السهل تغيير كل النظام في مجمل الدولة فانه يقتضى لهذا الغرض الكثير من الجهد والكثير من النضال العنيد الصبور ان جميع الاغنياء جميع الملاكين اي كل **البرجوازية** * سيدافعون عن ثرواتهم بكل قواهم كما ان الموظفين والجيش سيؤمنون الدفاع عن كل **الطبقة الغنية** لأن الحكومة نفسها هي في ايدي هذه الطبقة فينبغي على العمال ان يرصّوا صفوفهم ويصبحوا كرجل واحد من اجل النضال ضد جميع الذين يعيشون من عمل الآخرين ينبغي عليهم ان يتحدوا وان يوحّدوا جميع غير المالكين لكي يشكلوا **طبقة عاملة** واحدة **طبقة بروليتارية** واحدة ان النضال لن يكون سهلاً على الطبقة العاملة ولكنه سينتهي حتماً بانتصار العمال لأن البرجوازية اي الذين يعيشون من عمل الآخرين لا تشكل سوى قسم ضئيل من الشعب بينما تشكل الطبقة العاملة اغلبية الشعب الساحقة العمال ضد الملاكين ، انما هم الملايين ضد الآلاف

---

* البرجوازي هو المالك والبرجوازية هي جميع المالكين مجتمعين والبرجوازي الكبير هو المالك الكبير . والبرجوازي الصغير هو المالك الصغير . والبرجوازية والبروليتاريا انما هم المالكون والعمال ، الأغنياء وغير المالكين ، الذين يعيشون من عمل الآخرين والذين يشتغلون للغير لقاء أجر .

ان عمال روسيا اخذوا يتحدون في حزب اشتراكي-ديموقراطي عمالي واحد بقصد خوض هذا النضال العظيم ومهما كان الاتحاد صعباً في الظروف السرية ، في ظروف التخفي عن البوليس فان هذا الاتحاد يقوى مع ذلك على الدوام ويتسع مع ذلك على الدوام وعندما يظفر الشعب الروسي بالحرية السياسية فان قضية اتحاد الطبقة العاملة قضية الاشتراكية ستتقدم بمزيد من السرعة لا حدّ له واسرع بكثير مما تتقدم به عند العمال الالمان .

٣ – الثروة والبؤس ، الملاكون والعمال في الارياف

اننا نعرف الآن ما يريد الاشتراكيون-الديموقراطيون انهم يريدون النضال ضد كل الطبقة الغنية لكي ينتشلوا الشعب من لجة البؤس والواقع ان البؤس عندنا في الارياف لا يقل عنه في المدن بل انه بالاحرى اشدّ واننا لن نتحدث هنا عن درجة الشدة التي بلغها البؤس في الارياف فكل عامل اقام مدة في الريف وكل فلاح يعرفان جيداً جداً ما ينطوي عليه البؤس والمجاعة والبرد والخراب في الريف

ولكن الفلاح يجهل **لماذا** يعاني البؤس والجوع والخراب **وكيف** العمل للخلاص من هذا الفقر ولكي نعرف ذلك ينبغي لنا اولاً ان ندرك من اين تتأتى جميع الحرمانات وكل البؤس في المدن والارياف لقد سبق لنا ان تحدثنا بايجاز في هذا الموضوع ورأينا انه يترتب على الفلاحين الفقراء والعمال في الارياف ان يتحالفوا مع عمال المدن ولكن ذلك لا يكفي ينبغي ايضاً معرفة من هم في الريف الذين سيسيرون مع الاغنياء مع الملاكين ومن هم الذين سيسيرون مع العمال ، مع الاشتراكيين-الديموقراطيين . ينبغي معرفة ما اذا كانوا كثيرين اولئك الفلاحون

الذين يعزفون لا اقل من الملاكين العقاريين كيف يكدسون الرساميل ويعيشون من عمل الغير فاذا لم ندرس هذه القضية درساً معمّقاً فعبثاً جميع التحليلات والمحاكمات عن البؤس ولن يفهم فلاحو الريف الفقراء من هم في الريف اولئك **الذين** ينبغي التحالف فيما بينهم ومع عمال المدن **وما** ينبغي عمله لكي يكون هذا التحالف **وطيداً** لكي لا ينخدع الفلاح بالملاك العقاري ، وليس هذا وحسب بل لكي لا ينخدع ايضاً بأحد زملائه الفلاح الغني.

لكي ندرك هذا الامر سنبحث الآن فيما هي عليه قوة الملاكين العقاريين في الارياف وما هي عليه قوة الفلاحين الاغنياء

لنبدأ بالملاكين العقاريين يمكننا ان نحكم على قوتهم اولاً بمقدار الاراضي التي يملكونها ملكاً خاصاً ففي روسيا الاوروبية كانوا يقدّرون مجمل الاراضي الفلاحية المشاعية والاراضي ذات التملك الخاص بحوالي ٢٤٠ مليون ديسياتين * (الديسياتين = ١٠٩٢٥ متراً مربعاً **الناشر**) هذا عدا اراضي الدولة التي سنعود الى التحدث عنها فيها بعد ومن اصل هذه المساحة ٢٤٠ مليون ديسياتين يملك الفلاحون اي **اكثر من عشرة ملايين أسرة** ، ١٣١ مليون ديسياتين من الاراضي المشاعية بينا يملك الملاكون الخصوصيون اي **اقل من نصف مليون اسرة** ، ١٠٩ ملايين ديسياتين ولذا ، اذا اخذنا متوسط هذه الارقام نرى انه يعود لكل اسرة فلاحية ١٣ ديسياتيناً ، ولكل اسرة ملاك خصوصي

---

* جميع هذه الارقام والارقام التي تلي والتي تتعلق بمقدار الارض ، قد شاخت كثيراً فهي تعود الى سنتي ١٨٧٧–١٨٧٨ غير انه ليس هناك ارقام أحدث وليس بوسع الحكومة الروسية البقاء والصمود إلا في الظلام ولهذا كان من النادر جداً في بلادنا جمع معلومات كاملة حقيقية عن حياة الشعب في عموم البلاد .

٢١٨ ديسياتيناً ! ولكن عدم المساواة في توزيع الارض اشد بروزاً كما سنرى بعد قليل

فمن اصل ١٠٩ ملايين ديسياتين من الاراضي يحوزهـا الملاكون الخصوصيون **سبعة** ملايين تخص **الاقطاعات** الاميرية اي يملكهـا اعضاء اسرة القيصر فالقيصر مع اسرتـه هو الاول بين اسياد الاراضي في روسيا هو اغناهم ان اسرة **واحدة** تملك من الاراضي **اكثر** مما تملكه **نصف مليون** اسرة فلاحية ثم ان الكنيسة والاديرة تملـك ما يقرب من **ستـة** ملايين ديسياتين ان كهنتنا يعظون الفلاحين بالزهد والتجرد بينا استأثروا هم بجميع الوسائل الشرعيـة وغير الشرعية بمساحات شاسعة من الاراضي

ثم ان المدن والمدن الصغيرة تملك حوالي مليونـي ديسياتين كما ان شتى الجمعيات والشركات التجارية والصناعيـة تملك المساحة نفسها وثمة ٩٢ مليون ديسياتين (وبالأصح ٩١٦٠٥٨٤٥ ديسياتيناً ولكننا سنورد هنـا ارقاماً مبسّطة لمزيـد من التبسيط) تخص **اقل مـن نصف مليـون** (٣٥٨ ٤٨١) اسرة من الملاكين الخصوصيين ونصف هذا العدد من الاسر ملاكون صغار جداً فكل منهم يملك أقل من عشرة ديسياتينات. وجميعهم يملكون أقل من مليون ديسياتين بينما هناك **ستة عشر الف** اسرة تملك بالاجمـال **خمسة وستين مليون ديسياتين** وكل من هذه الاسر تملك **اكثر من الف** ديسياتين اما اية مساحـات شاسعة من الاراضي متجمعة في ايدي كبار ملاكي الاراضي فاننا لنرى ذلك في كون **أقل من الف اسرة** بقليل (٩٢٤) تملك كـل منها **اكثر من عشرة آلاف ديسياتين من الاراضي** وهى تملك بالاجمـال **سبعة وعشرين مليون ديسياتين** . ان الف اسرة تملك قدر ما يملك مليونا اسرة فلاحية .

ينجم مما سبق ان الملايين وعشرات الملايين من الناس **هم فريسة** البؤس والجوع **وسيظلون دائماً** فريسة البؤس والجوع طالما ان بضعة آلاف من كبار الاثرياء يملكون مثل هذه المساحات الشاسعة من الاراضي ومفهوم ان سلطة الدولة بدورها ان الحكومة نفسها (وان كانت الحكومة القيصرية) سترى نفسها ملزمة بان ترقص على مزمار هؤلاء الملاكين الكبار ومفهوم ان الفلاحين الفقراء لن يأملوا بان تمتد اليهم يد المساعدة من اي مكان ومن اي احد طالما لم يجمعوا صفوفهم بانفسهم لكي يؤلفوا طبقة واحدة بغية خوض نضال عنيد ضار ضد طبقة الملاكين العقاريين هذه

ونلاحظ هنا ان في بلادنا كثيرين (وحتى كثيرين من الناس المتعلمين) ممن ينادون بوجهة نظر خاطئة تماماً فيما يتعلق بقوة طبقة الملاكين العقاريين اذ يقولون ان «الدولة» تملك اكثر منهم من الاراضي ان ناصحي الفلاح الارديا‌ء هؤلاء يزعمون قائلين «ان قسماً كبيراً من مساحة روسيا (اي كل اراضيها) اصبح ملك الدولة» (هذه الكلمات وردت في صحيفة «ريفوليوتسيونايا روسيا»(«روسيا الثورية») ، العدد ٨ ، ص ٨) . اما مصدر ضلال هؤلاء القوم فهو التالي لقد سمعوا ان ثمة ١٥٠ مليون ديسياتين من الاراضي في روسيا الاوروبية هي ملك **الدولة** هذا صحيح بالفعل ولكنهم ينسون ان هذه الاملاك ١٥٠ مليون ديسياتين هي كلها تقريباً **اراض رديئة وغابات في اقصى الشمال** في محافظات ارخنجلسك وفولوغدا وأولونيتس وفياتكا وبيرم فتبقى اذن ضمن املاك الدولة اراضٍ كانت حتى الآن غير صالحة اطلاقاً للزراعة . اما فيما يتعلق بالاراضي الجيّدة ، فان الدولة تملك منها **أقل من اربعة ملايين ديسياتين** وهذه الاراضي الجيّدة من املاك الدولة ، (مثلاً ، في محافظة سامارا حيث هي كثيرة جداً)

يستأجرها الاغنياء ببدل بخس ، وحتى دون مقابل تقريباً وهؤلاء الاغنياء يستأجرون من هذه الاراضي الآلاف وعشرات الآلاف من الديسياتينات لكي يؤجروها بدورهم الى الفلاحين ببدلات تزيد ثلاثة اضعاف

يقيناً انهم ناصحون اردياء هؤلاء الذين ينصحـــون الفلاح قائلين ان املاك الدولة تشتمل على كثير من الاراضي ولكن الواقع يبين ان الكثير من الاراضي الجيدة هي في ايدي كبار الملاكين الخصوصيين (ومنهم القيصر) وان هؤلاء الملاكين العقاريين الكبار يضعون ايديهم حتى على املاك الدولة وطالما ان الفلاحين الفقراء لا يتحدون لكي يصبحوا باتحادهم قوة هائلة فان «الدولـة» ستظل ابداً الخادم الذليل لطبقة الملاكين العقاريين وينبغـــي الاّ يغيب عن البال الامر التالي فيما مضى كان النبلاء وحدهم او تقريباً وحدهم ملاكين عقاريين وما يزال النبلاء· يملكـــون اليوم مساحة كبيرة من الارض (كان من المقدّر ان ١١٥٠٠٠ من النبلاء يملكون ٧٣ مليون ديسياتين في ١٨٧٧–١٨٧٨) ولكن المال الرأسمال هو الذي غدا اليوم القوة الرئيسية فان التجار والفلاحين الاغنياء قد اشتروا مساحات هائلة من الاراضي. ومن المقدّر ان النبلاء قد خسروا (اي انهم باعوا أكثر مما اشتروا) من الاراضي ما تزيد قيمته على ٦٠٠ مليون روبل وذلك في مدى ثلاثين سنة (من ١٨٦٣ الى ١٨٩٢) وقد حصل التجـــار والموطنون المميزون على مساحة من هذه الاراضي تبلغ قيمتها ٢٥٠ مليون روبل وحصل الفلاحون والقوزاق و«سائر الرعاع الريفيين» (هكذا تسمي حكومتنا الناس البسطـــاء على خلاف «الجمهور النبيل» «الجمهور الحقيقي») على مساحة مـــن هذه الاراضي تبلغ قيمتها ٣٠٠ مليون روبل واننا لنرى بالتالـــي ان فلاحي عموم روسيا يشترون كل سنة ، بصورة وسطية ،

وكملكية خاصة ما قيمته ١٠ ملايين روبل من الاراضي يضمونها الى املاكهم

وهكذا نرى فلاحين من مختلف الفئات بعضهم يعاني البؤس والمجاعة والآخرون يغتنون ولذا يزداد عدد الفلاحين الاغنياء وهم يميلون نحو الملاكين العقاريين وسيقفون الى جانب الاغنياء ضد العمال اما الفلاحون الفقراء الذين يريدون التحالف مع عمال المدن فعليهم ان يفكروا بالامر ملياً وان يوضعوا مسألة معرفة ما اذا كان الفلاحون الاغنياء كثيري العدد ، وما هي قوتهم واي اتحاد يقتضى لنا لكي نخوض النضال ضد هذه القوة لقد تحدثنا آنفاً عن ناصحي الفلاح الارديا ان هؤلاء الناصحين الارديا يحبون ان يقولوا لقد شكل الفلاحون اتحاداً وهذا الاتحاد هو «المير» المشاعة و«المير» قوة هامة فهي تضم الفلاحين بصورة وثيقة ان منظمة (اي تجمع اتحاد) فلاحي المشاعات هي منظمة جبارة (اي هائلة ، كبيرة جداً)

هذا خطأ هذه حكاية خرافية وانها لحكاية رغم ان اناساً طيبين قد تصوّروها . واذا ما اخذنا في الاستماع الى الحكايات ، فاننا نسيئ الى قضيتنا ، اي الى تحالف الفلاحين الفقراء مع عمال المدن ليتطلع كل ساكن في الارياف الى ما حوله بانتباه فهل «المير» المشاعة الفلاحية ، تشبه اتحاد الفلاحين الفقراء من اجل النضال ضد جميع الاغنياء ، ضد جميع الذين يعيشون من عمل الغير ؟ كلا ، انها لا تشبهه ولا يمكن لها ان تشبهه في كل قرية في كل مشاعة كثيرون من الاجراء الزراعيين كثيرون من الفلاحين الذين افتقروا ؛ وهناك اغنياء يستخدمون عمالاً زراعيين ويشترون الارض «الى الابد» هؤلاء الاغنياء هم ايضاً اعضاء في المشاعة ويسودون فيها كالاسياد لانهم يشكلون قوة فهل هذا الاتحاد الذي يشترك فيه الاغنياء ويسودون فيه كالاسياد هو الاتحاد الذي

ينبغي لنا ؟ كلا ابداً ينبغي لنا اتحاد **من اجل النضال** ضد الاغنياء ولذا كان الاتحاد المشاعي لا يصلح لنا اطلاقاً

ينبغي لنا اتحاد قائم على حرية القبول ، اتحاد من اناس فهموا انه يترتب عليهم التحالف مع عمال المدن في حين ان المشاعة ليست اتحاداً قائماً على حرية القبول انما هي اتحاد اداري فالمشاعة لا تضم اولئك الذين يشتغلون للاغنياء والذين يريدون ان يناضلوا معاً ضد الاغنياء انما تضم شتى انواع القوم لا بملء ارادتهم بل لأن آباءهم عاشوا في هذه الارض ، واشتغلوا لهذا الملاك العقاري لأن السلطات سجلتهم في هذه المشاعة فالفلاحون الفقراء لا يستطيعون الخروج من المشاعة بحرية ولا يستطيعون ان يقبلوا فيها غريباً فرض عليه البوليس الاقامة في ناحية اخرى والحال ، ان ما ينبغي لاتحادنا ، قد يكون ان يقيم هذا الغريب بيننا كلا ينبغي لنا اتحاد آخر اتحاد قائم على حرية القبول اتحاد لا يضم غير العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء ، من اجل النضال ضد جميع الذين يعيشون من عمل الغير

لقد ولّت الازمان التي كانت فيها «المير» (المشاعة) قوة ولن تعود هذه الازمان ابداً لقد كانت «المير» قوة ، عندما لم يكن ثمة تقريباً بين الفلاحين اجراء زراعيون ولا عمال يهيمون عبر روسيا سعياً وراء مورد للعيش عندما لم يكن ثمة تقريباً اثرياء كبار وعندما كان الاقطاعي ينيخ بثقله على الجميع دون اي تمييز اما اليوم فان المال هو القوة الرئيسية فالمال هو الذي يدفع اعضاء مشاعة واحدة الى التصارع كالوحوش الكاسرة والفلاحون الذين يملكون المال ينيخون بثقلهم على اعضاء مشاعتهم وينهبونهم أشد مما كان ينهبهم الملاك العقاري فما ينبغي لنا الآن ليس اتحاداً مشاعياً بل اتحاد ضد **جبروت المال** ضد سلطة الرأسمال ، اتحاد جميع العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء من

مختلف المشاعات اتحاد جميع الفلاحين الفقراء مع عمال المدن بغية النضال ضد الملاكين العقاريين والفلاحين الاغنيـــاء دون اي تمييز

لقد رأينا آنفاً ما هي قوة الملاكين العقاريين لنر الآن اذا كان الفلاحون الاغنياء كثيرين وما هي قوتهم

لقد حكمنا على قوة الملاكين العقاريين وفقاً لمقدار الارض التي يحوزون ان الملاكين العقاريين يتصرّفون بارضهم كما يطيـــب لهم وهم يشترونها ويبيعونها بحرية ولذا يمكن الحكم بكل دقة على قوتهم وفقاً لمساحة الارض التي يحوزون اما الفلاحون فلا يحق لهم عندنا حتى الآن التصرّف بارضهم بحرية فما يزالـــون حتى الآن انصاف اقنان مرتبطين بمشاعتهم ولذا لا يمكـــن الحكم على قوة الفلاحين الاغنياء وفقاً لمساحة الارض المشاعية التي يستغلونها ان الفلاحين الاغنياء لا يغتنون من الحصة المشاعية انهم **يشترون** مساحات كبيرة من الارض يشترون الارض اما «الى الابد» (اي كملكية خاصـــة) واما «لسنـــوات» (اي يستأجرون الارض) انهم يشترون الارض من الملاكين العقاريين كما يشترونها من الفلاحين الذين يتركون الارض او الذين يؤجرون حصصهـــم بدافع العوز ولذا كان من الاضمن تحديد الفلاحين الاغنياء والفلاحين المتوسطين والفلاحين الفقراء وفقاً لعدد الاحصنة التي يملكون فالفلاح الذي يملك عدة احصنة هو دائماً تقريباً فلاح غني واذا كان لديه كثير من مواشي العمل فذلك يعني ان لديه كثيراً مـن الاراضي المزروعة وغيرها من الاراضي علاوة على الحصة المشاعية ، وان لديه مالاً احتياطياً ثم اننا نستطيع ان نعرف عـدد الفلاحين الذين يملك كل منهم عدة احصنة في عموم روسيا (روسيا الاوروبية عدا سيبيريا والقفقاس) ينبغي بالطبع الاّ ننسى انه ، فيما يتعلق بعموم روسيا ، لا يمكن التحدث الا بصـــورة

وسطية اذ ان هناك فرقاً بارزاً بين هذه الاقضية والمحافظات وتلك فغالباً ما نجد مثلاً ، حول المدن فلاحين مزارعين اغنياء لا يملكون الكثير من الاحصنة فالبعض يقوم بزراعة الخضراوات التي تدر عليه ايراداً حسناً والبعض الآخر يملك القليل من الاحصنة ، ولكنه يملك الكثير من البقر ويبيع الحليب وثمة ، في كل مكان من روسيا ، فلاحون لا يغتنون من الارض بل من التجارة فهم يقيمون مصانع الزبدة وقشّارات الحبوب وغير ذلك من المصانع وجميع الذين يسكنون في الارياف يعرفون جيداً جداً الفلاحين الاغنياء في قريتهم أو في ناحيتهم غير انه ينبغي لنا ان نعرف عدد هؤلاء الفلاحين الاغنياء في عموم روسيا وما هي قوتهم لكي لا يسير الفلاح الفقير على غير هدى ، مغمض العينين بل لكي يعرف على وجه الضبط من هم اصدقاؤه ومن هم اعداؤه

لذا سنرى اذا كانوا كثيرين الفلاحون الاغنياء والفلاحون الفقراء بالاحصنة لقد سبق لنا ان قلنا ان في روسيا ما يقرب من **عشرة ملايين** اسرة فلاحية ومن المحتمل انهم يملكون جميعاً ما يقرب من **خمسة عشر مليون** حصان (منذ اربعة عشر عاماً تقريباً كان هناك سبعة عشر مليون حصان والآن يوجد اقل مما مضى) اذاً تملك كل **عشر اسر** بصورة وسطية **خمسة عشر** حصاناً غير انه تنبغي الملاحظة ان البعض ، وهم قلائل ، يملكون الكثير من الاحصنة بينا الآخرون وهم كثيرون جداً يملكون القليل من الاحصنة أو لا يملكون ان الفلاحين الذين لا احصنة عندهم يبلغ **عددهم على الاقل ثلاثة ملايين** ، وثمة ما يقرب من ثلاثة ملايين ونصف مليون فلاح يملك كل منهم **حصاناً واحداً فقط** وهؤلاء الفلاحون هم امّا فلاحون اصيبوا بالخراب الشامل وامّا فلاحون غير مالكين ونحن نسميهم فلاحين فقراء ويبلغ عددهم **ستة ملايين ونصف مليون** من اصل عشرة ملايين فلاح ، اي انهم يبلغون **ما**

يقرب من الثلثين ! ثم يأتي الفلاحون المتوسطون الذين يملك كل منهم زوجاً من ماشيـــة العمل ويبلغ عـدد اسر هؤلاء الفلاحين **حوالي المليونين** وعندهم **نحو اربعة** ملايين حصـــان ثم يأتي الفلاحون الاغنياء الذين يملك كل منهم اكثر من زوج من ماشيـــة العمل ويبلغ عدد اسر هؤلاء الفلاحين الاغنيـــاء **مليونا ونصف مليون** ، ولكنهم يملكون **سبعة** ملايين **ونصف** مليون من الاحصنة * وهذا يعني ان ما يقرب من سدس الاسر الفلاحية يملك نصـف مجمل الاحصنة

واستناداً الى ما ورد اعلاه نستطيع ان نحكم بما يكفي من الدقة على قوة الفلاحين الاغنياء فهم ليسوا كثيري العـــدد ففي مختلف المشاعات ، في مختلف النواحي ، سنجد عشر اسر او عشرين اسرة من الفلاحين الاغنياء من اصل كل مئة اسرة فلاحية ، ولكن هذه الاسر القليلة العدد هي اغنى الاسر ولهذا تملك في عموم روسيا من الاحصنة ما يقرب من كل ما يملكه جميع الفلاحين الآخرين معاً

---

* نكرر مرة اخرى اننـــا نورد الارقام الوسطية ، التقريبية قد لا يكون عدد الفلاحين الاغنياء مليونا ونصف مليون بالضبط ، بل مليونـــا وربعاً او مليونا وثلاثة ارباع بل حتى مليونين ليس الفرق كبيراً وليس المقصود ان ناخذ بعين الاعتبار كل الف او كل مئة الف ؛ بل ان ندرك جيد الادراك ما هي قوة الفلاحين الاغنياء ، ما هو وضعهم ، لكي نعرف التميز بين اعدائنـــا واصدقائنـــا ، لكي لا نخدع بشتى الاقاويل والترهات ، لكي نعرف بالضبط وضع الفلاحين الفقراء ولا سيما وضع الفلاحين الاغنياء

فليدرس كل شغيل من شغيلـــة الريف عن كثب ناحيته والنواحي المجاورة فانه سيرى ان حسابنا صحيح ، وان الرقم الوسطي سيكون على النحو التالي من اصل كل مئـة اسرة ، عشرة اسر من الفلاحين الاغنياء او عشرون على الاكثر ، وعشرون اسرة تقريباً من الفلاحين المتوسطين ، والاسر الباقية اسر فلاحين فقراء .

ينجم بالتالي انهم يملكون ما يقرب من نصف جميع الاراضي المزروعة الفلاحية ان هؤلاء الفلاحين يحصدون من الحبوب اكثر بكثير مما ينبغي لاسرهم ويبيعون الكثير من الحبوب فهم لا يستخدمون الحبوب للتغذية وحسب ، بل للبيع ايضاً على الاخص لكسب المال هؤلاء الفلاحون يستطيعون ان يكدّسوا المال وهم يودعونه في صناديق التوفير أو في المصارف وهم يشترون الاراضي ملكاً لهم لقد سبق لنا ان تكلمنا عن كبر مساحة الاراضي التي يشتريها الفلاحون كل سنة في عموم روسيا فالفلاحون الاغنياء هؤلاء ، القليلو العدد يستأثرون بجميع هذه الاراضي تقريباً اما الفلاحون الفقراء فانهم لا يفكرون ابداً بشراء الاراضي ، انما يفكرون بباب للرزق بل ان المال ينقصهم في غالب الاحيان لشراء الخبز فكيف لا ينقصهم لشراء الارض ولذا فان جميع المصارف بوجه عام والمصرف الفلاحي بوجه خاص لا تساعد جميع الفلاحين في الحصول على الارض (كما يزعم غالباً اولئك الذين يخدعون الفلاح او كما يردد بعض الناس السذّج) بل تساعد عدداً ضئيلاً من الفلاحين الفلاحين الاغنياء فقط ولذا فان ناصحي الفلاح الارديا ، الذين سبق وتحدثنا عنهم ، لا يقولون الحقيقة فيما يتعلق بشراء الفلاحين الارض حين يزعمون ان هذه الارض تنتقل من الرأسمال الى العمل فلا يمكن ابداً للارض ان تنتقل الى العمل ، اي الى العامل غير المالك لأن للارض ثمناً لأن الارض تتطلب المال والحال ان الفقراء لا يملكون ابداً مالاً يفيض عنهم ان الارض لا تنتقل الاّ الى الفلاحين الاغنياء الذين يملكون المال الى الرأسمال الى الذين ضدهم ينبغي ان **يناضل** الفلاحون الفقراء بالتحالف مع عمال المدن

ان الفلاحين الاغنياء لا يشترون فقط الارض الى الابد بل يعمدون ايضاً على الاغلب الى استئجار الاراضي لعدة سنوات

وهم باستئجارهم مساحات شاسعة من الاراضي انما يحرمون الفلاحين الفقراء منها ففي قضاء واحد من اقضية محافظة بولتافا مثلاً (قضاء كونسطانطينوغراد) ، تم تحديد مساحة الاراضي التي استأجرها الفلاحون الاغنياء وماذا كانت النتيجة ؟ لقد تبين ان الذين استأجروا مساحة قدرها ٣٠ ديسياتيناً واكثر بالنسبة لكل اسرة كانوا قليلي العدد جداً كانوا يشكلون اسرتين فقط من اصل ١٥ اسرة ولكن هؤلاء الاغنياء استأثروا **بنصف** مجموع الاراضي المستأجرة وهكذا حصل كل ثري على **٧٥ ديسياتيناً** من الاراضي الموضوعة للايجار كذلك تم في محافظة توريدا تحديد ما استأثر به الاغنياء من الارض التي استأجرها الفلاحون من املاك الدولة **احساب المشاعة** فقد تبين ان الاغنياء الذين يشكلون **خُمس** الاسر فقط قد استأثروا **بثلاثة ارباع** مجموع الارض المستأجرة فان اقتسام الارض يجري في كل مكان على اساس المال والحال ان عدداً قليلاً جداً من الاغنياء يملكون المال

لنتابع ان الفلاحين انفسهم يؤجرون اليوم الكثير من الاراضي وهم يتخلّون عن الحصص المشاعية لأنهم لا يملكون ماشية ولا بذاراً ولا اي شيء آخر لاستثمار حصصهم وبدون مال لا فائدة من الارض في الزمن الراهن ففي قضاء نوفووزنسك من محافظة سامارا مثلاً نرى ان اسرة او حتى اسرتين من كل ثلاث اسر بين الفلاحين الاغنياء **تستأجر الحصص** في مشاعتها أو في المشاعة المجاورة والفلاحون الذين لا يملكون احصنة أو الذين يملك كل منهم حصاناً واحداً هم الذين يطرحون حصصهم للايجار ففي محافظة توريدا **ثلث** اسر الفلاحين تؤجر حصصها ، اي ما يبلغ **ربع** جميع حصص الفلاحين او ربع مليون ديسياتين ومن ربع المليون هذا يستأثر الفلاحون الاغنياء بمئة وخمسين الف ديسياتين (اي ثلاثة اخماس) . هنا

ايضاً نستطيع ان نرى اذا كانت «المير» ، اذا كانت المشاعة توافق الفلاحين الفقراء ففي المشاعة الفلاحية القوي هو من يملك المال والحال ان ما ينبغي لنا انما هو تحالف الفلاحين الفقراء من مختلف المشاعات

وكما يخدعون الفلاح في مسألة شراء الارض كذلك يخدعونه عندما يقولون له انه يستطيع ان يشتري باسعار زهيدة المحاريث والحاصدات وشتى انواع الادوات المتقنة الاخرى ويبنون مخازن الزيمستفو وينظمون ارتيلات ويقولون ان الادوات المتقنة ستحسن وضع الفلاح هذا كذب فان خيرة الادوات لا تعود الا للاغنياء بينما لا يتلقى الفلاحون الفقراء اية ادوات او يتلقون منها القليل القليل وعندهم ما يشغلهم عن التفكير بالمحاريث والحاصدات ، هو ألا يموتوا جوعاً ! ان كل هذه «المساعدة للفلاحين» ليست سوى مساعدة للاثرياء لا غير اما جمهور سواد الفقراء الذين لا ارض عندهم ولا ماشية ولا احتياطي فلا يمكن مساعدتهم بمجرّد تخفيض اسعار خيرة الادوات ففي احد اقضية محافظة سامارا مثلاً جرى تعداد جميع الادوات المتقنة عند الفلاحين الاغنياء والفلاحين الفقراء وقد تبيّن ان **خُمس** الاسر اي اكثر الفلاحين يسراً يملكون ما يقرب من **ثلاثة ارباع** جميع الادوات المتقنة بينما لا يملك الفقراء اي **نصف** الاسر سوى **جزء من ثلاثين** ان عشرة آلاف اسرة من اصل ثمانية وعشرين الف اسرة في هذا القضاء هي اسر فلاحين لا تملك كل منها اي حصان أو تملك كل منها حصاناً واحداً فقط وهذه الاسر العشرة الآلاف لا تملك كلها سوى **سبع** ادوات متقنة من اصل ٥٧٢٤ اداة متقنة تملكها جميع اسر الفلاحين في هذا القضاء سبع ادوات من اصل ٥٧٢٤ اداة ذلك هو نصيب الفلاحين الفقراء من جميع هذه الاتقانات من كل هذه التعميمات للمحاريث والحاصدات التي تساعد ، كما

يزعمون «سواد الفلاحين» وهذا ما ينبغي للفلاحين الفقراء ان ينتظروه من الذين يتحدثون عن «تحسين الاقتصاد الفلاحي» !

واخيراً من ميزات الفلاحين الاغنياء الرئيسية انهم **يستأجرون اجراء زراعيين ومياومين** فالفلاحون الاغنياء شأنهم شأن الملاكين العقاريين يعيشون من عمل الغير وهم يغتنون شأنهم شأن الملاكين العقاريين لأن جماهير الفلاحين يفتقرون ويحل بهم الخراب وهم ، شأنهم شأن الملاكين العقاريين ، يجهدون لكي يشغلوا اجراءهم اكثر ما يمكن ولكي يدفعوا لهم اقل ما يمكن من الاجور ولو لم يكن ملايين الفلاحين مصابين بالخراب التام وملزمين بالعمل عند الغير وبتأجير اذرعهم وبيع قوة عملهم لما استطاع الفلاحون الاغنياء ان يعيشوا ويستثمروا حصصهم ولما كان بوسعهم الاستئثار بالحصص «المتروكة» ولا ايجاد عمال والحال ان مليوناً ونصف مليون من الفلاحين الاغنياء في عموم روسيا يستأجرون بكل تأكيد **مليوناً** على الاقل من الاجراء الزراعيين والمياومين ومفهوم ان الفلاحين الاغنياء سيقفون الى جانب الملاكين وضد الطبقة العاملة في غمرة النضال الكبير بين طبقة الملاكين وطبقة غير المالكين ، بين ارباب العمل والعمال ، بين البرجوازية والبروليتاريا

اننا نعرف الآن وضع الفلاح الغني وقوته فلنر الآن كيف يعيش الفلاحون الفقراء

لقد سبق لنا ان قلنا ان الفلاحين الفقراء يشكلون اغلبية ساحقة اي ما يقرب من ثلثي جميع الاسر الفلاحية في عموم روسيا اولاً تعد الاسر التي لا تملك اي حصان **ثلاثة ملايين** اسرة على الاقل وقد تعدّ اكثر من ذلك ثلاثة ملايين ونصف مليون اسرة في الوقت الحاضر وكل سنة ماحلة كل موسم رديء يخرب عشرات الآلاف من الاستثمارات وعدد السكان ينمو باستمرار ، فيعيشون في ضيق متزايد الشدّة ، بينما يستأثر

الملاكون العقاريون والفلاحون الاغنياء بكل الاراضي الطيبة وها ان الخراب يحل كل سنة بعدد متزايد ابداً من الناس فيمضون يعملون في المدينة وفي المصانع ويشتغلون اجراء زراعيين وفعلة ان الفلاح الذي لا حصان عنده هو الفلاح الذي لم يبق يملك شيئاً انه بروليتاري وهو يعيش (طالما يعيش أو يتقلّب على جمر الحياة كما يستطيع) لا من الارض لا من استثمارته الريفية بل **من العمل المأجور** انه الاخ التوأم لعامل المدينة وما عساه ان يفعل بالارض الفلاح' الذي لا حصان عنده ان نصف الاسر التي لا احصنة عندها **تعرض حصصها للايجار** بل انها تسلم احياناً هذه الحصص الى المشاعة مجاناً (حتى انها تدفع مبلغاً ما للتخلص منها !) لأنها لا تستطيع زراعة الارض ان الفلاح الذي لا حصان عنده يكاد لا يبذر مساحة قدرها ديسياتين واحد أو اثنان على الاكثر وهو مكره ابداً على شراء كمية اضافية من الحبوب (هذا اذا كان لديه مال) لأن حبوبه لا تكفيه ابداً اما الفلاحون الذين يملك كل منهم حصاناً واحداً – ويبلغ عدد اسرهم ثلاثة ملايين ونصف مليون اسرة في عموم روسيا ، – فليسوا احسن حالاً بكثير لا ريب في ان ثمة استثناءات وقد سبق ان قلنا ان هناك فلاحين في بعض الاماكن يعيشون عيشة وسطية بل ثمة فلاحون اغنياء يملك كل منهم حصاناً واحداً فقط ولكننا لا نتحدث عن الاستثناءات ولا عن هذه المحلة أو تلك انما نتحدث عن عموم روسيا فاذا نظرنا الى سواد الفلاحين الذين يملك كل منهم حصاناً واحداً فقط رأينا بلا ريب انه سواد من الفلاحين الفقراء ومن المعوزين فالفلاح الذي يملك حصاناً واحداً يبذر حتى في المحافظات الزراعية ما مساحته ثلاثة ديسياتينات او اربعة ونادراً خمسة وحبوبه لا تكفيه ايضاً وحتى لوكانت السنة طيبة لما أكل احسن من الفلاح الذي لا حصان عنده ولذا فهو يعاني دائماً قلة التغذية ، يعاني دائماً

الجـــوع واستثمارتـــه في انحـــاط والماشيـــة هزيلـــة اذ ينقصها العلف – وليس به قوة للعناية بارضـــه والفلاح الذي يملك حصاناً واحداً يستطيع ان ينفق مبلغاً لا يزيد عـــلى **عشرين روبلاً بالسنة** – في محافظة فورونيـــج مثلاً – على كل استثمارته (هذا عدا علف الماشية) (اما الفلاح الغني فانـــه ينفق مبلغاً **يزيد عشر مرات** .) عشرون روبلاً بالسنة – لدفـــع بدل ايجار الارض وشراء الماشيـــة واصلاح المحراث الخشبي وغير ذلك من العتاد ودفع اجرة الراعي وكل الباقي فهـــل يسمى هذا استثمارة ؟ كلا ! فاية ازعاجات واية اعمال شاقة واي عذاب دائم ولذا كان مفهوماً جيداً جداً لماذا يقدم عدد من الفلاحين الذين يملك كل منهم حصاناً واحداً فقط بل عدد كبير جداً منهم على **تأجير حصصهم من الارض** فالمعوز وان كان يملك ارضاً لا يفيد منها شيئاً كثيراً فاذا لم يكن لديه مال فان الارض لن تعطيه هذا المال ، بل انها لن تعطيه ما يعيش منه بينما ينبغي ابداً المال للأكل للباس للاستثمارة لدفـــع الضرائب ففي محافظة فورونيج نرى ان مجرّد الضرائب التي يسدّدها على العموم الفلاح الذي يملك حصاناً واحداً تبلغ حوالي **ثمانية عشر روبلاً** بالسنة والحال انه لا يكسب ابداً اكثر مـــن ٧٥ روبلاً بالسنة ويترتب عليـــه مع ذلك ان يجابـــه **جميع** النفقات وليس الاّ من قبيل السخرية اذا امكن التحدث هنا عـــن شراء الارض وعن العتاد المتقن وعن المصارف الريفية فكل هذه الامور لم تُخترع من اجل الفلاح الفقير

ولكن اين يجد الفلاح المال في هذه الحال ؟ لا بدّ له من السعي وراء «مورد للرزق» ان الفلاح الذي يملك حصاناً واحداً شأنه شأن الفلاح الذي لا حصان عنده لا يستطيع ايجـــاد اي مخرج له الاّ بالسعي وراء «مورد للرزق» . ومـــا يعني «مورد

للرزق» ؟ انه يعني العمل عند الآخرين القيام بعمل مأجور وهذا يعني ان الفلاح الذي يملك حصاناً واحداً لم يبقَ مستثمراً الاّ بصورة نصفية فقد غدا اجيراً بروليتاريا ولهذا يطلق على هؤلاء الفلاحين اسم **انصاف البروليتاريين** وهم ايضاً الاخوان التوائم لعمال المدن ، لأنهم ايضاً منهوبون بشتى الطرق من قبل شتى انواع الاسياد وهم ايضاً لا مخرج لهم ولا وسيلة للخلاص الاّ بالتحالف مع الاشتراكيين-الديموقراطيين من أجل النضال ضد جميع الاغنياء ، ضد جميع الملاكين فمن يعمل في بناء الخطوط الحديدية ؟ من ينهبه المتعهدون ؟ من يشتغل في قطع الخشب أو في تعويمه ؟ من يعمل اجيراً زراعياً ؟ من يشتغل بالمياومة ؟ من يقوم بالاعمال الخشنة في المدن وفي المرافىء ؟ انهم ابداً الفلاحون الفقراء انهم ابداً الفلاحون الذين لا احصنة عندهم أو يملك كل منهم حصاناً واحداً انهم ابداً البروليتاريون وانصاف البروليتاريين من الريف واي جمهور غفير هؤلاء القوم في الارض الروسية من المقدّر ان السلطات تسلّم كل سنة في عموم روسيا (عدا القفقاس وسيبيريا) ثمانية واحياناً تسعة **ملايين** تذكرة هوية وهؤلاء الحاصلون على تذاكر الهوية انما هم جميعاً عمال يشتغلون خارج قراهم ونواحيهم وهم ليسوا فلاحين الاّ بالاسم أما في الواقع ، فهم اجراء ، عمال ولذا ينبغي عليهم جميعاً ان يشكلوا اتحاداً واحداً مع عمال المدن وكل شعاع من نور ومعرفة يتسرب الى القرية ، سيقوّي هذا الاتحاد ويوطده

كذلك لا ينبغي نسيان الامر التالي بصدد «مورد الرزق» وهو ان جميع الموظفين والذين يفكرون مثلهم يحبون ان يردّدوا ان الفلاح الموجيك «يحتاج» الى شيئين اولاً الارض (فقط مساحة غير كبيرة ، – ولكن ، من اين يأخذ الفلاح مساحة اكبر، ما دام الاغنياء قد استأثروا بالارض!) وثانيا ، «مورد للرزق».

ولذا يزعمون انه ، في سبيل مساعدة الشعب ، ينبغي تنظيم اكثر ما يمكن من الصناعات في الريف ، و«تأمين» «مورد للرزق» أوفر ان مثل هذه الاقاويل رياء برياء ان «مورد الرزق» للفلاحين الفقراء انما هو العمل المأجور ان «تأمين مورد رزق» للفلاح ، انما يعني تحويله الى عامل أجير فيا لها من مساعدة رائعة ، لا عيب فيها ! اما الفلاحون الاغنياء فلهم «مورد رزق» آخر يتطلب الاموال لبناء طاحونة مثلاً أو اية مؤسسة اخرى لشراء درّاسة للتجارة الخ فالخلط بين موارد الرزق هذه لاناس لديهم المال وبين **عمل** الفقراء **المأجور** انما يعني خداع الفقراء ان الاغنياء يفيدون بالطبع من هذا الكذب فمن المفيد لهم عرض الامور بصورة توهم الناس ان **جميع** الفلاحين يستطيعون الحصول على جميع «موارد الرزق» وان الوسائل متوافرة لهم من اجل هذا الغرض اما الذين يتمنّون حقاً الخير للفلاحين الفقراء فانهم يقولون لهم **كل الحقيقة وليس غير الحقيقة** .

بقي علينا الآن ان نتحدث عن الفلاحين المتوسطين لقد رأينا آنفاً انه يمكننا ان نعتبر بصورة وسطية ان الفلاح المتوسط هو ، في عموم روسيا ، الفلاح الذي يملك ماشيتي عمل ، وان هناك ما يقرب من مليوني اسرة من الفلاحين المتوسطين من اصل عشرة ملايين اسرة فلاحية ان الفلاح المتوسط هو في الوسط بين الغني والبروليتاري ، – ولهذا يسمونه الفلاح المتوسط وهو يعيش بصورة وسطية فعندما تكون السنة طيبة يحصل من استثمارته على ما يكفي ، ولكن العوز يتربص به دائماً اذ انه لا يستطيع ان يوفر اية نقود أو انه يوفر منها قليلاً جداً ولهذا كانت استثمارته غير مستقرة ومن الصعب ان يجد المال فان استثمارته لا تؤمن له الاّ نادراً جداً المبلغ الذي يحتاج اليه ، واذا ما امنت له مبلغاً ما ، فلا يتجاوز هذا المبلغ ابداً المبلغ المطلوب .

واذا شاء السعي وراء مورد للرزق اضطر لترك استثمارته اضطر لاهمال استثمارته ولكن كثيرين من الفلاحين المتوسطين لا يستطيعون الاستغناء عن مورد للرزق ولذا يضطرون للعمل اجراء للاستذلال امام الملاكين العقاريين للاستدانة والحال ان الفلاح المتوسط لا يتوصل ابداً تقريباً الى التخلص من الديون فليست لديه ايرادات ثابتة كما هي حال الفلاح الغني فاذا ما تقيّد بدين كان ذلك بمثابة حبل في عنقه فهو يظل غارقاً في ديونه الى ان يصاب بالخراب الشامل وفي غالب الاحيان يستسلم الفلاح المتوسط للملاك العقاري الذي يحتاج لبعض الاعمال المعينة ، الى فلاح لم يصب بالخراب ويملك حصانين وكل العتاد الضروري ومن الصعب على الفلاح المتوسط ان يشتغل خارج قريته وناحيته ولذا يستسلم ويخضع للملاك العقاري لكي يحصل على الخبز لكي يدفع بدل المرعى لكي يستأجر الاراضي المقتطعة من الفلاحين (اوتريزكي) (١٣٢) لكي يسدد دينه المالي الذي عقده في الشتاء وعدا الملاك العقاري والكولاكي نرى الجار الغني ينيخ بكلكله على الفلاح المتوسط فهو يسبقه لاخذ الارض ولا يترك ابداً مناسبة دون ان يضغط عليه بهذا الشكل أو ذاك وهكذا يعيش الفلاح المتوسط لا سمك ولا طير فهو ليس بمستثمِر حسن الادارة ولا بعامل ان جميع الفلاحين المتوسطين يرغبون في الارتفاع الى مستوى الاسياد انهم يريدون ان يصبحوا ملاكين ، ولكن قليلين منهم يبلغون هذا الهدف وليسوا بكثيرين اولئك الذين يستأجرون عمالاً زراعيين او مياومين ويسعون الى استغلال عمل الآخرين الى الاثراء على حساب الآخرين والحال ان اغلبية الفلاحين المتوسطين لا يستخدمون عمالاً آخرين انما يضطرون هم انفسهم الى الخدمة عند الغير

وحيثما يحتدم النضال بين الاغنياء والفقراء ، بين الملاكين

والعمال ، يقف الفلاح المتوسط في الوسط ولا يعرف الى اي جانب يقف فالاغنياء يجذبونه الى جانبهم قائلين له ألستَ مستثمِراً ألست ملاكاً وليس لك ما تفعله بين العمال المعوزين اما العمال فانهم يقولون له ان الاغنياء سيخدعونك ويسلبونك وليس ثمة اي خلاص لك الا بمساعدتنا في النضال ضد جميع الاغنياء ان هذا النزاع حول الفلاح المتوسط يستمر في كل مكان في جميع البلدان التي يناضل فيها العمال الاشتراكيون-الديموقراطيون من اجل تحرير الشعب العامل غير ان هذا النزاع ما يزال في بدايته في روسيا ولذا يتعيّن علينا ان ندرس هذه المسألة عن كثب وان ندرك جيداً باية اكاذيب يجرّ الاغنياء الفلاح المتوسط ، وما ينبغي القيام به من اجل فضح هذه الاكاذيب من اجل مساعدة الفلاح المتوسط في ايجاد اصدقائه الحقيقيين فاذا سار العمال الاشتراكيون-الديموقراطيون الروس في السبيل القويم منذ الخطوة الاولى ، استطعنا بصورة اسرع مما فعل رفاقنا العمال الألمان ان نشكّل اتحاداً مكيناً بين الشعب العامل في الارياف وبين عمال المدن واستطعنا التوصل بسرعة الى الانتصار على جميع اعداء الشغيلة

٤ – الى اي جانب ينبغي ان يقف الفلاح المتوسط ؟ الى جانب الملاكين والاغنياء ام الى جانب العمال وغير المالكين ؟

ان جميع الملاكين ، ان كل البرجوازية يسعون الى اجتذاب الفلاح المتوسط الى جانبهم ، فهم يعدونه بشتى انواع التدابير التي تؤول الى تحسين استثمارته (محاريث رخيصة الاسعار ، مصارف

ريفية ، اتباع طريقة زراعة الحشائش بيع المواشي والاسمدة باسعار مخفضة الخ .) ويشركونه ايضاً بشتى انواع الاتحادات الزراعية (التعاونيات كما يسمونها في الكتب) وهي اتحادات بين شتى اصناف الملاكين من اجل تحسين الزراعة على هذا النحو تسعى البرجوازية جهدها الى ان تصرف الفلاح المتوسط وحتى الفلاح الصغير ، وحتى نصف البروليتاري ، عن الاتحاد مع العمال بل انها تريد تحريضهم على الوقوف الى جانب الاغنياء الى جانب البرجوازية ، في نضالها ضد العمال ، ضد البروليتاريا

اما العمال الاشتراكيون-الديموقراطيون فانهم يردّون على هذه المساعي كما يلي ان تحسين الزراعة امر حسن فاي ضرر ينجم عن شراء المحاريث باسعار رخيصة فالتاجر الفظ يحاول الآن ان يبيع باسعار رخيصة لكي يجتذب الزبائن ولكن عندما يقولون للفلاح الفقير وللفلاح المتوسط ان تحسين الزراعة وترخيص اسعار المحاريث سيساعدان جميع الفلاحين الصغار والمتوسطين في التخلص من البؤس وفي النهوض من العثرة ، دون اي مساس بالاغنياء ، **فذلك خداع بخداع . فالاغنياء هم اكثر من يربحون** من جميع تخفيضات الاسعار ومن جميع هذه التحسينات والتعاونيات (اتحادات بيع وشراء البضائع) وهم يزدادون قوة على الدوام وينيخون اكثر فأكثر على الدوام بكلكلهم على الفلاحين الفقراء والمتوسطين ولذا فان الفلاحين الفقراء وكذلك الفلاحين المتوسطين لن يتخلصوا **ابداً** من البؤس ما دام الاغنياء اغنياء وما داموا يحوزون القسم الاكبر من الارض والماشية والعتاد والمال قد يتمكن فلاح أو فلاحان متوسطان من التسرّب الى صفوف الاغنياء بفضل هذه التحسينات وهذه التعاونيات ولكن الشعب بأسره وجميع الفلاحين المتوسطين سيغرقون مع ذلك أعمق فأعمق في لجة البؤس . فلكي يصبح **جميع** الفلاحين المتوسطين اغنياء ، ينبغي

القضاء على الاغنياء انفسهم ولن يتحقق هذا الغرض الا باتحاد عمال المدن مع الفلاحين الفقراء

ان البرجوازية تقول للفلاح المتوسط (بل للفلاح الصغير) سنبيعك الارض والمحاريث باسعار رخيصة غير انه يترتب عليك ان تبيعنا روحك وتتخلى عن النضال ضد جميع الاغنياء

اما العامل الاشتراكي-الديموقراطي فانه يقول اذا كانوا يبيعون فعلاً باسعار رخيصة ، فلماذا لا نشتري طالما معنا مال فتلك مسألة تجارية اما فيما يتعلق بالروح ، فينبغي ألا نبيعها ابداً ان التخلي عن النضال بالتحالف مع عمال المدن ضد كل البرجوازية انما يعني البقاء ابداً فريسة للبؤس والعوز فالغني يكسب اكثر من ترخيص اسعار البضائع ويغتني اكثر ولكن من ليس عنده ابداً مال لن يفيده الرخص ابداً طالما لم ينتزع هذا المال من البرجوازية

اليكم مثلاً ان انصار البرجوازية يتباهون بتعاونياتهم (اتحاداتهم للشراء باسعار رخيصة وللبيع باسعار طيّبة) بل ثمة من يزعمون انهم «اشتراكيون-ثوريون» ويعلنون على اثر البرجوازية ، ان ما ينبغي بخاصة للفلاحين انما هو التعاونيات في روسيا ايضاً بدأ تنظيم مختلف التعاونيات ولكن عددها ما يزال قليلاً جداً في بلادنا وسيبقى قليلاً جداً طالما لم نظفر بالحرية السياسية اما في المانيا ، مثلاً ، فهناك عدد طائل جداً من شتى انواع التعاونيات بين الفلاحين ولكن انظروا من تفيد هذه التعاونيات اكثر من غيرهم في عموم المانيا ١٤٠٠٠٠ ملاك ريفي منضمون الى تعاونيات لبيع الحليب ومنتجات الحليب وهؤلاء الـ١٤٠٠٠٠ (ونأخذ مرة اخرى ارقاماً مبسطة لتبسيط الامور) يملكون ١١٠٠٠٠٠ بقرة وفي عموم المانيا **اربعة ملايين** فلاح فقير ، ٤٠٠٠٠ فقط منهم منضمون الى تعاونيات : ينجم اذاً ان **فلاحاً**

واحداً من اصل مئة فلاح فقير يفيد من هذه التعاونيات وهـؤلاء الفلاحون الفقراء الـ٤٠٠٠٠ لا يملكون جميعاً سوى ١٠٠٠٠٠ بقرة ثـم ان عـدد المـلاكين المتوسطين اي الفـلاحين المتوسطين ، يبلـغ **مليوناً واحداً** يشترك ٥٠٠٠٠ منهـم في التعاونيات (اي خمسة اشخاص من كل مئـة) وهم يملكـون ٢٠٠٠٠٠ بقرة واخيراً هناك **ثلث مليون** مستثمر غني (اي من ملاكين عقاريين وفلاحين اغنياء معاً) يشترك ٥٠٠٠٠ منهـم في التعاونيات (اي **سبعة عشر** شخصاً من كل مئة !) وهم يملكون ٨٠٠٠٠٠ بقرة !

الى هؤلاء الاغنياء ، اليهم قبل كل شيء وفوق كل شيء ، تمد التعاونيات يد المساعدة هكذا يسخرون من الفلاح مع التبـاهي بانقاذ الفلاح المتوسط بوساطة شتى انـواع الاتحـادات للشراء باسعار رخيصة وللبيع باسعار طيبة يقيناً ان البرجوازية تريد ، بقليل من الكلفة ان «تشتري» الفلاح وتنتزعه من الاشتراكيين-الديموقراطيين الذين يدعون الفلاحين الفقراء والفلاحين المتوسطين على السواء الى الوقوف في جانبهم

كذلك ينشئون عندنا ارتيلات لصنع الجبنة ومراكز لجمـع الحليب وعديدون هم عندنا الذين يعلنون ارتيـلات و«ميرات» وجمعيات ، هذا ما يحتاج اليه الفلاح ولكن انظروا من تفيد هذه الارتيلات وهذه الجمعيات وهذه التأجيرات المشاعية فمن كـل مئة اسرة عندنا ، عشرون اسرة على الاقل لا تملك اية منها بقرة وثلاثون اسرة تملك كل منها بقرة واحدة وهذه الاسر تبيع حليبها بدافع الحاجة القصوى ولا يبقى ثمة حليب لاطفالهـا فيتضورون جوعاً ويموتون كالذباب اما الفلاحون الاغنياء فان كلاً منهم يملك ثلاث بقرات او اربع ، او اكثر ، وهم يملكون جميعاً نصف جميع البقرات الموجودة في حـوزة الفلاحين . فمن تفيد اذاً هذه

الارتيلات لصنع الجبنة ؟ اولاً ، بالطبـــــع ، الملاكين العقـــاريين والبرجوازية الريفية وبديهي **انهم يفيدون** اذا ما تبعهم الفلاحـــون المتوسطون والفلاحون الفقراء ، اذا ما اعتبر هؤلاء ان الوسيلـــة للخلاص من البؤس ليست في نضال جميع العمال ضد مجمـــل البرجوازية ، بل في ميل الملاكين المنفردين الصغار الى التخلص من وضعهم والارتقاء الى مستوى الاغنياء .

وهذا الميل يدعمـــه ويشجعه بجميع الطرق جميـع انصار البرجوازية الذين يزعمون انهم اصدقاء الفلاح الصغير وعديدون هـم الناس السذج الذين لا يعرفون الذئب المتستر بثوب الحمل ويكررون الكذب البرجوازي ظانيّن انهـم يفيدون بذلك الفلاح الصغير والفلاح المتوسط فهم يسعون ، مثلاً الى البرهان في الكتب والخطابات ان الاستثمارة الصغيرة هي الافيد والأربح وانها في ازدهار ولهذا كمـا يزعمون ، يوجد في كل مكان هذا العدد الكبير من المستثمرين الصغار في الزراعة ولهذا كمـــا ترون كان هؤلاء المستثمرون الصغار شديدي التعلق بالارض (لا لأن أجود الاراضي هي في حوزة البرجوازية ولأن كل المال ايضاً في حوزتها بينما يتكدّس الفلاحون الفقراء بعضهم فوق بعض ويكدحون طوال حياتهم على قطع صغيرة من الارض !) . ويقول هؤلاء القوم ذوو الخطابات المعسولة ليس الفلاح الصغير بحاجة الى كثير من المال فالفلاح الصغير والفلاح المتوسط هما اكثر توفيراً واشد اجتهاداً من الفلاح الكبير وكل منهما يعرف كيف يعيش بمزيد من التواضع فبدلاً من ان يشتري كمية اضافية من العلف للماشية ، يدبّر الامر ببعض القش وبدلاً من ان يشتري آلة غالية الثمن ، ينهض باكراً ويكدح مدة اطول ويشتغل جيداً كالآلة وبدلاً من ان يعطي المال للآخرين من اجل الاصلاحات يأخذ بنفسه الفأس يوم العيد ليقطع الخشب وينجّر ، – الامر الذي يكلف أقل بكثير

مما يكلّف الفلاح الكبير وبدلاً من ان ينفق على حصان أو على ثور يدبّر الامر ببقرته لكي يحرث الارض فان جميع الفلاحين الفقراء الألمان يحرثون الارض ببقراتهم ؛ ثم ان البؤس بلغ حداً عندنا بدأت معه حراثة الارض لا بالبقرات وحسب بل بالبشر ايضاً وما افيد هذا ! وما ارخصه ! أليس ذلك عملاً محموداً ان يكون الفلاح المتوسط والفلاح الفقير على مـــا هما عليه من الاجتهـــاد والاندفاع ، وانهما يعيشان حياة بسيطة جداً ولا يتلهيان بالترّهات ولا يفكران بالاشتراكية ، بل باستثمارتيهما فقط ! انهما لا يسيران على مثال العمال الذين يشنّون الاضرابات ضد البرجوازية بل يسيران على مثال الاغنياء وليس لديهما سوى فكرة واحدة هي ان يكونا من الناس الوجهاء ! فاذا كان كل امرئ بمثل هذا الاندفاع وهذا الاجتهاد واذا عاش حياة بسيطة واذا لم يسكر واذا وفر مبلغاً من المال اكثر واذا انفق اقل على شراء شتى القطنيات واذا انجب عدداً اقل من الاولاد حينذاك يعيش جميع الناس في البحبوحة ، ولا يبقى ثمة اي بؤس واي حرمان !

تلك هي الخطب المعسولة التي ترددها البرجوازية على مسامع الفلاح المتوسط ومع ذلك ثمة سذّج يصدّقون هذه الخطب ويردّدونهـــا ! * غير ان جميع هذه الخطب المعسولة ليست في

* ان السذج الذين يريدون عندنا في روسيا الخير للموجيك والذين ، مع ذلك ، تزل السنتهم ويلقون خطبـــاً معسولـــة كهذه ، يسمون «شعبيين» او «انصار الاستثمارة الصغيرة» ووراءهم يسير «الاشتراكيون-الثوريون» بسبب غباوتهم وعند الالمان ايضاً ، عدد كبير من الناس ذوي الكلام المعسول منهم ادوارد دافيد وقد كتب مؤخراً كتاباً ضخماً قال فيه ان الاستثمارة الصغيرة هي أفيد بما لا يقاس من الاستثمارة الكبيرة ، لأن الفلاح الصغير لا ينفق بلا جدوى ، ولا يربي احصنة للحراثة بل يدبر الامر ببقرته التي تعطيه حليباً ايضاً .

الواقع الا خداعاً للفلاح ، الا ازدراء به ان هؤلاء القوم يطلقون اسم الاستثمارة المفيدة الرخيصة التكاليف على البؤس البؤس المدقع الذي يدفع الفلاح المتوسط والفلاح الصغير الى الشغل من الصباح حتى الليل ، والى التوفير من كل لقمة خبز ، الى حرمان النفس من انفاق اي مبلغ زهيد من المال وبالفعل هل ثمة ما هو «ارخص» ، و«افيد» من لبس السروال نفسه ثلاث سنوات ، من الحفى ايام الصيف ، من شدّ المحراث الخشبي بخيط هزيل ومن اطعام البقرة القش العفن المنزوع عن سقف البيت ! فلو اكرهنا اي برجوازي أو اي فلاح غني على تحمل هذا النظام الاقتصادي «الرخيص» و«المفيد» ، لما طال به الامر حتى ينسى خطبه المعسولة !

ان الذين يطرون الاستثمارة الصغيرة يريدون احياناً تقديم خدمة للفلاح ولكنهم لا يحملون له ، في الواقع ، سوى الاذى ان خطبهم المعسولة تخدع الفلاح كما يخدع **اليانصيب** الشعب سأقول لكم ما هو اليانصيب عندي ، مثلاً ، بقرة تساوي خمسين روبلاً واريد ان اطرح هذه البقرة باليانصيب فاعرض على جميع الناس بطاقات ثمن كل منها روبل واحد يمكن للمرء ان يربح البقرة لقاء روبل واحد ويقع الناس في شباك الاغراء وتمطر الروبلات عليّ مدراراً وحين اجمع مئة روبل ، اسحب اليانصيب فالرابح صاحب الحظ يأخذ البقرة لقاء روبل واحد ، بينما يمضي الآخرون خاسرين فهل هذه البقرة كلّفت الشعب «رخيصاً» ؟ كلا انها كلّفت غالياً جداً لأن الناس دفعوا ضعفي ثمنها لأن شخصين (الذي نظّم اليانصيب والذي ربح البقرة) قد اغتنيا دون اي جهد على حساب تسعة وتسعين شخصاً فقدوا مالهم ولذا كان الزعم القائل بان اليانصيب يفيد الشعب مجرّد خداع للشعب كذلك يخدع الفلاحَ اولئك الذين يعدونه بمعالجة بؤسه وحرماناته بوساطة شتى انواع التعاونيات (جمعيات للبيع باسعار طيبة وللشراء

باسعار رخيصة) ، وشتى انواع التحسينات الزراعية ، والمصارف ، الخ وكما هو الحال في اليانصيب حيث الرابح واحد فقط ، بينا يخسر الآخرون ما دفعوه ، كذلك هي الحال هنا فان فلاحاً متوسطاً واحداً يدبر اموره ويصبح غنياً ، بينا يكدح رفاقه التسعة والتسعون طوال حياتهم دون ان يتخلصوا من البؤس ، بل انهم يزدادون خراباً على خراب ليدرس كل ساكن من سكان الريف الحالة في قريته وكل ناحيتـــه عن قرب قريب فهل ثمـــة كثيرون من الفلاحين المتوسطين يصبحون اغنياء وينسون البؤس ؟ وكم هو عدد الفلاحين المتوسطين الذين لا يستطيعون الخلاص من البؤس طيلة حياتهم ؟ وكم هو عدد الذين يحل بهم الخراب ويهجرون قراهم ؟ فليس في عموم روسيا ، كما رأينا ، اكثر من مليوني استثمارة تخص الفلاحين المتوسطين لنفترض ان عدد الجمعيات للشراء باسعار رخيصة وللبيع باسعار طيبة قد ازداد عشرة اضعاف بالنسبة لما هو عليه في الوقت الراهن فالامَ يؤدي ذلك ؟ ان ١٠٠٠٠٠ فلاح متوسط ، على اكبر تقدير سيبلغون مستوى الاغنياء وماذا يعني هذا ؟ انه يعني ان خمسة من كل مئة فلاح متوسط قد اغتنوا والخمسة والتسعون الباقون ؟ ان حالتهم صعبة كما من قبل بل ان وطأة الحياة تشتد على الكثيرين منهم ! اما الفلاحون الفقراء فيشتد خرابهم!

وطبيعي ان البرجوازيـة لا تطلب اكثر من ان يسعى اكبر عدد من الفلاحين المتوسطين والفلاحين الفقـراء الى بلوغ مستوى الاغنياء ، ومن ان **يؤمنوا** بامكانية الخلاص من البؤس دون النضال ضد البرجوازية ومن ان **يعتمدوا** على اجتهادهـــم وكدّهـــم وتقتيرهم واثرائهم لا على التحالف مع عمال الارياف والمدن كما ان البرجوازية تبذل كل جهودها لتغذية هذا الايمـــان الكاذب وهذا الامل عند الفلاح ؛ وهي تسعى لتخديره بخطب معسولة .

لأجل فضح كذب جميع هؤلاء الناس ذوي الكلام المعسول يكفي ان نطرح عليهم اسئلة ثلاثة .

السؤال الاول هل يستطيع الشعب العامل ان يتخلص من الحرمانات والبؤس عندما يكون مئة مليون ديسياتين في روسيا من اصل مئتين واربعين مليون ديسياتين من الاراضي الجيدة ملكاً للملاكين الخصوصيين ؟ وعندما يحوز ستة عشر الفاً من كبار ملاكي الاراضي خمسة وستين مليون ديسياتين من هذه الاراضي الجيدة ؟

السؤال الثاني هل يستطيع الشعب العامل ان يتخلص من الحرمانات والبؤس عندمـــا تكون مليون ونصف مليون اسرة من الفلاحين الاغنياء (من اصل عشرة ملايين اسرة فلاحية) قد استأثرت بنصف جميع الاراضي الفلاحية المزروعة ونصف جميع الاحصنة الفلاحية ونصف كل المواشي الفلاحيـــة وباكثر بكثير من نصف جميع الاحتياطيات والتوفيرات النقدية لدى الفلاحين ؟ عندما تزداد هذه البرجوازية الفلاحية ثراءً على الدوام ، منيخة بثقل على الفلاحين الفقراء والمتوسطين جامعة الثروة من كدح الآخرين من كدح الاجراء الزراعيين والمياومين ؟ عندما تكون ستة ملايين ونصف مليون اسرة تتألف من فلاحين حلّ بهم الخراب وابداً جائعين ويحصلون على كسرة بائسة من الخبز بالقيام بشتى الاشغال المأجورة ؟

السؤال الثالث هل يستطيع الشعب العامل ان يتخلص من الحرمانات والبؤس عندما يكون المال القوة الرئيسية وعندما يمكن شراء كل شيء بالمال المصنع والارض بل الكائنات البشرية لتحويلها الى عمال مأجورين الى ارقاء مأجورين ؟ عندما لا يستطيع المرء دون المال لا ان يعيش ولا ان يستثمر حصته من الارض ؟ عندما يترتب على الملاك الصغير ، الفقير ، ان يناضل ضد المستثمر الكبير لكي يحصل على المال ؟ عندما يكون عدة آلاف من الملاكين العقاريين ، والتجار ، والصناعيين ، واصحـــاب المصـــارف قد

استأثروا بمئات الملايين من الروبلات ويتصرّفون فوق ذلك بجميع المصارف التي تتجمّع فيها آلاف الملايين من الروبلات ؟

انه ليستحيل على المرء ان يتهرب من الاجابة على هذه الاسئلة بخطب معسولة حول فوائد الاستثمـــارة الصغيرة او حول فوائد التعاونيات فليس لهذه الاسئلـــة ســـوى جواب واحد هو «التعاون» الحقيقي ، الذي بوسعه انقاذ الشعب العامل ، هو **التحالف** بين الفلاحين الفقراء والعمال الاشتراكيين-الديموقراطيين في المدن من اجل النضال ضد البرجوازية برمتها وكلما اتسع **هذا** التحالف ورسخ كلما ادرك الفلاح المتوسط بمزيد من السرعة كل كذب الوعود البرجوازية ، كلما انضمّ الفلاح المتوسط الى جانبنا بمزيد من السرعة ايضاً

والبرجوازية تعرف ذلك ، ولهذا فهي تلجأ ، علاوة على الخطب المعسولة الى نشر الأكاذيب عن الاشتراكيين-الديموقراطيين فهي تزعم ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يريدون ان ينتزعوا ملكية الفلاح المتوسط والفلاح الصغير . **هذا كذب** . ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يريدون ان ينتزعوا فقط ملكية كبار المستثمرين ، **فقط** ملكية **الذين يعيشون من عمل الآخرين** ان الاشتراكيين-الديموقراطيين **لن ينتزعوا ابداً ملكية الملاكين الصغار والمتوسطين الذين لا يستخدمون عمالا اجراء** . ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يدافعون عن مصالح الشعب العامل بأسره ويحافظون عليها ، ولا يقصدون بذلك فقط مصالح عمال المدن الذين هم أكثر وعياً واتحاداً من الآخرين بل ايضاً مصالح عمال الارياف وكذلك مصالح الفلاحين وصغـــار الحرفيين اذا كانوا لا يستخدمون عمالاً ولا يسعون للارتقاء الى مستوى الاغنياء ، وللوقوف الى جانب البرجوازية **ان الاشتراكيين-الديموقراطيين انما يخوضون النضال لكي يؤمنوا للعمال والفلاحين جميع التحسينات في حياتهم** التي يمكن تحقيقها حالاً ما دمنا لم نحطم بعد سيادة البرجوازية ، والتي ستسهل هذا النضال ضد البرجوازية . ولكن

الاشتراكيين-الديموقراطيين لا يخدعون الفلاح بل يقولون له **كل الحقيقة** انهم يعلنون سلفاً وبكل صراحة ان ليس ثمة اية تحسينات بوسعها انتشال الشعب من لجة العوز والبؤس ما دامت سيادة البرجوازية ولكي يعرف **الشعب باسره** من هم الاشتراكيون-الديموقراطيون وماذا يريدون وضع الاشتراكيون-الديموقراطيون **برنامجهم*** ان البرنامج هو عبارة عن بيان موجز وواضح ودقيق **عن كل ما يريد الحزب بلوغه وعن كل ما يناضل في سبيله** ان الحزب الاشتراكي-الديموقراطي هو الحزب الوحيد الذي صاغ برنامجاً واضحاً ودقيقاً لكي يعرفه الشعب ويراه ، لكي لا يضم الحزب سوى اناس يرغبون حقاً في خوض النضال من اجل تحرير كل الشعب العامل من نير البرجوازية ، اناس يدركون تماماً من هم الذين يجب عليهم ان يتحدوا في سبيل خوض هذا النضال ، وكيف ينبغي خوض هذا النضال وفوق ذلك ، يرى الاشتراكيون-الديموقراطيون انه ينبغي على الحزب ان **يوضح** في برنامجه ، بصورة جلية وعلناً وبدقة **مصدر حرمانات الشعب العامل وبؤسه** ولماذا يتسع اتحاد العمال ويزداد شدّة وقوة فلا يكفي ان نعلن ان الحياة صعبة وان ندعو الى الثورة فان اي ثرثار يعرف كيف يفعل ذلك ولكن دون فائدة كبيرة ينبغي ان يدرك الشعب العامل كل الادراك **سبب** تعاسته **ومع من** ينبغي **عليه ان يتحد** للنضال في سبيل الخلاص من البؤس .

لقد قلنا ما يريده الاشتراكيون-الديموقراطيون ومن اين تتأتى حرمانات الشعب العمل وبؤسه وضد من ينبغي على

---

* انظر فيما بعد ، في آخر هذا المؤلف (« الى الفلاحين الفقراء ») ، **الملحق** ــ برنامج حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا كما عرضته الجريدة الاشتراكية-الديموقراطية « الايسكرا » ومجلة « زاريا » . **الناشر** .

الفلاحين الفقراء ان يناضلوا ومع من ينبغي عليهم ان يتحـــدوا في سبيل القيام بهذا النضال .

والآن سنبين **اية تحسينات** في حياة العمال وفي حياة الفلاحين نستطيع ان نظفر بها **الآن** ، بفضل هذا النضال .

٥ – اية تحسينات يريد الاشتراكيون-الديموقراطيون تحقيقها من اجل الشعب كله ومن اجل العمال ؟

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يناضلون في سبيـــل تحرير الشعب العامل بأسره من كل نهب ، وكل ظلم ، وكل تعسف ولكي تتحرر الطبقة العاملة ، يتعيّن عليها قبل كل شيء ان تتحد ولهذا الغرض ينبغي ان تتوافر لها حرية التجمع وحق التجمع ، ينبغي ان تتوافر لها **الحرية السياسية** لقد سبق ان قلنـــا ان الحكم الاوتوقراطي انما هو اذلال الشعب من قبل الموظفين والبوليس فالحرية السياسية ضرورية اذن لكل الشعب ، عدا قبضة من حاشية القصر وكبار اصحاب المراتب وكبـار ذوي النفوذ الذين يَلِجون ابواب القصر ولكن الحرية السياسية ضرورية بوجه خاص للعمال والفلاحين فالاغنياء يستطيعون انقاذ انفسهم بالمال من تعسف الموظفين والبوليس وطغيانهم وبوسعهم ان يرتقوا اعلى الدرجات لرفع شكاواهم ولذا يسمح رجال البوليس والموظفون لانفسهم بمماحكة الاغنياء اقل بكثير جداً من مماحكة الفقراء وليس لدى العمال والفلاحين ما يرشون به البوليس والموظفين ، وليس لهم من يقدمون له شكاواهم وليس لديهم اية وسيلة للدفاع عن انفسهم امام المحاكم ولن يستطيعوا ابداً التخلص من طغيان البوليس والموظفين وتعسفهم ونهبهم وسلبهم طالما لا تقوم في الدولـــة

حكومة منتخبة ، وجمعية نواب شعبية وهذه الجمعية هي وحدها التي تستطيع انقاذ الشعب من استذلال الموظفين له وعلى كل فلاح مدرك ان يقف الى جانب الاشتراكيين-الديموقراطيين الذين يطالبون الحكومة القيصرية قبل كل شيء وفوق كل شيء* **بعقد جمعية شعبية من النواب** ينبغي على جميع الناس دون تمييز في الفئة الاجتماعية التي اليها ينتسبون دون تمييز بين الاغنيـــاء والفقراء ان ينتخبوا النواب ينبغي ان يكون الانتخاب حراً دون اية عقبة من جانب الموظفين ينبغي ان يُعهد بالسهر على حسن سير الانتخابات الى رجال ثقة لا الى افراد البوليس في القضاء ، ولا الى الزيمسكييه ناتشالنيكي وفي هذه الحال يستطيع نواب الشعب بأسره بحث كل حاجات الشعب واقامـــة نظام أفضل في روسيا**

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يطالبون بمنع البوليس مـن

---

* في طبعة عام ١٩٠٥ ، استعيض عن النص البادئ بكلمة «يقف» والمنتهي بكلمات «فوق كل شيء» بالنص التالي : «يؤيد المطلب القائل بان يصار على الفور الى» **الناشر** .

** في طبعة عام ١٩٠٥ ، ورد بعد كلمتي «في روسيا» النص التالي «لقد سبق وقلنا ان دوما الدولة ليس جمعية حقيقية لنواب الشعب ، بل خداع بوليسي لان الانتخابات اليه غير متساوية (فان النبلاء والتجـار يتفوقون فيه على الفلاحين والعمال) ، ولان الانتخابات اليه ليست حرة ، بل تجري تحت عصا البوليس ان دوما الدولة ليس جمعية شعبية من النواب ، بل جمعية بوليسية من النبلاء والتجار ودوما الدولـة لا ينعقد لكي يؤمن حرية الشعب والادارة المنتخبة ، بل ينعقـد لكي يخدع العمال والفلاحين ويشدد من الاستبداد النازل بهم ان الشعب ليس بحاجة الى دوما حكومي ، بل الى جمعية تاسيسية ينتخبها جميع المواطنين بحرية بدون اى استثناء وبالتساوى» . **الناشر** .

سجن اي كان دون محاكمة ينبغي معاقبة الموظفين بصرامة اذا ما عمدوا الى الاعتقال الكيفي ان الموظفين يتصرفون كما يطيب لهم على هواهم فلأجل وضع حد لتصرفهم هذا ينبغي العمل بصورة ينتخبهم معها الشعب بنفسه بصورة يحق معها لأي كان تقديم الشكوى مباشرة الى المحكمة ضد اي كان من الموظفين وإلاّ فما الفائدة من تقديم الشكوى ضد احد افراد البوليس الريفي الى زيمسكي ناتشالنيك او ضد زيمسكي ناتشالنيك الى المحافظ ؟ غني عن البيان ان زيمسكي ناتشالنيك لن يلقي المسؤولية على رجل البوليس وان المحافظ لن يلقي المسؤوليـــة بدوره على زيمسكي ناتشالنيك ؛ بل ان الشاكي هو الذي سيتحمل وزر شكواه . فيزجون به في السجن أو ينفونه الى سيبيريا لن يأخذ الخوف اي مأخذ من الموظفين الاّ عندما يصبح في روسيا (كما في جميع الدول الاخرى) من حق كل فرد تقديم الشكوى الى الجمعية الشعبية، الى المحكمة المنتخبة وعرض حاجاته بكل حرية أو نشرها في الصحف

ان الشعب الروسي يخضع حتى الآن لتبعيـــة ذليلة ازاء الموظفين فبدون اذنهم لا يحق له تنظيم الاجتماعات ولا طبع الكتب او الصحف ! أليس في ذلك تبعية ذليلة ؟ فاذا كان ممنوعاً تنظيم الاجتماعات العلنية وطبع الكتب العلنية ، فكيف العمل لكبح جماح الموظفين والاغنياء ؟ وبالطبع يمنع الموظفون كل كتـــاب حقيقي صادق ، كل كلمة حقيقية صادقة عن بؤس الشعب وهذا الكتاب بالضبط هو الذي يترتب على الحزب الاشتراكي-الديموقراطي طبعه سراً وتوزيعه ونشره سراً وكل من يجدون عنده هذا الكتاب سيساق امام المحاكم والى السجن ولكن العمـــال الاشتراكيين-الديموقراطيين لا يخافون المحاكم ولا السجون ، وهم يطبعون اكثر فاكثر على الدوام الكتب الحقيقية الصادقة للشعب ، ويوزعونهـــا

اكثر فاكثر على الدوام وليس ثمة سجن ولا قمع بوسعهما ان يضعا حدًا للنضال في سبيل حرية الشعب !

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يطالبون بالغـــاء امتيازات الفئات الاجتماعية بمساواة جميع مواطني الدولة مساواة تامة في الحقوق ففي بلادنا الآن فئات تتحمل الضرائب وفئات اخرى لا تتحملها ؛ في بلادنا مميزون وغير مميزين ، وفي بلادنا نبلاء وعامة ؛ بل ما يزال عقاب الجلد معمولاً به ويطبق على عامة الشعب وليس ثمة في اي بلد من البلدان مثل هذا الاذلال للعمـــال والفلاحين وليس ثمة في اي بلد من البلدان قوانين مختلفة لمختلف الفئات الا في روسيـــا لقد حان للشعب الروسي ان يطالب بان يكون للموجيك جميع **حقوق** النبيل **نفسهـــا** أليس مـــن العار ان يظل معمولاً بعقاب الجلد بعد مضيّ اربعين سنة ونيف على الغاء القنانة وان يكون هناك فئة خاصة **تخضع** وحدها **للضريبة** ؟

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يطالبون بمنح الشعب الحرية التامة في التنقل وفي اختيار المهن والصنع وماذا تعني **حريـــة التنقل** ؟ انها تعني ان يكون الفلاح حراً في الذهاب الى حيث يشاء ، والاقامة حيث يطيب له واختيار اية قرية من القرى أو اية مدينة من المدن ، دون ان يطلب الاذن من اي كان ينبغي إلغاء جوازات السفر في روسيا ايضـــاً (فقد الغيت منذ زمن بعيد في البلدان الاخرى) ينبغي الاّ يكون لأي فرد من افراد البوليس او لأي رجل من الزيمسكييه ناتشالنيكي الحق بمنع اي فلاح كان من السكن والشغل حيث يطيب له ان الموجيك الروسي ما يزال خاضعـــاً للموظفين الى حدّ انه لا يستطيع المضي الى المدينة والاقامة فيها ولا الانتقال الى ارض اخرى والاقامة فيها بحرية والوزير يأمر المحافظين بمنـــع الهجرات **غير المسموح بها** فالمحافظ يعرف احسن من الموجيك الى اين ينبغي ان يمضـــي الموجيك ! فليس

الموجيّك سوى طفل صغير ممنوع عليه ان يخطو اية خطوة دون موافقة ولاة الشأن أليس هذا تبعية ذليلة ؟ ألا يعني هذا الهزء من الشعب عندما يكون لأي نُبَيِّل صغير افلس في القمار حق التآمُر بالمزارعين الراشدين ؟

هناك كتاب اسمه «**الموسم الرديء والكارثة الشعبية**» (المجاعة) كتبه «وزير الزراعة» الحالي السيد يرمولوف وقد جاء فيه بوضوح ما يلي ينبغي الاّ ينتقل الموجيك من مكانه الى مكان آخر حين يكون السادة الملاكون العقاريون بحاجة الى الايدي العاملة ان الوزير يتكلم بصراحة وعلناً ودون حياء وهو يظن ان الموجيك لن يسمع اقواله هذه وانه لن يفهمها لماذا نسمح للفلاحين بالنزوح عن قراهم حين يكون السادة الملاكون العقاريون بحاجة الى الايدي العاملة الرخيصة ؟ وكلما اشتد ضيق الشعب كان ذلك في مصلحة الملاكين العقاريين وكلما تفاقم البؤس هبطت الاجور وتحمل الفلاحون شتى ألوان الظلم بمزيد من الخضوع . وفيما مضى كان الوكلاء هم الذين يسهرون على مصلحة السيد اما الآن فهم الزيمسكييه ناتشالنيكي والمحافظ فيما مضى كان الوكلاء هم الذين يقررون تطبيق الجلد بالسوط في الاسطبل اما الآن فهم الزيمسكييه ناتشالنيكي الذين يأمرون بالجلد بالسوط في مكتب الناحية

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يطالبون بالغاء الجيش الدائم ، والاستعاضة عنه بنظام المقاومة الشعبية لكي يكون الشعب كله مسلحاً ان الجيش الدائم انما هو جيش منفصل عن الشعب ، يعدّونه لاطلاق النار على الشعب فاذا كانوا لا يحشرون الجندي سنوات في الثكنة واذا كانوا لا يدرّبونه بصورة غير انسانية ، فهل كان بوسع الجندي ان يطلق الرصاص على اخوانه ، على العمال والفلاحين ؟ وهل كان بوسع الجندي ان يمشي ضد الفلاحين

الجياع ؟ لأجل الدفاع عن الدولة ضد هجمات العدو ليس هناك ابداً حاجة لجيش دائم فالمقاومة الشعبية وحدها تكفي فاذا كان كل مواطن من مواطني الدولة مسلحاً فليس لروسيا ان تخشى اي عدو من الاعداء كذلك يتخلص الشعب من نير العسكرية فالدولة تنفق على الجيش **مئات الملايين من الروبلات كل سنة** وهذا المال انما تقتطعه من الشعب ، ولذا بلغت الضرائب هذا الحد من الفداحة ، وتفاقمت مصاعب الحياة يوماً بعد يوم ان العسكرية تقوّي ايضاً من سلطة الموظفين والبوليس على الشعب وهي وسيلة لنهب الشعوب الاخرى ، هي وسيلة مثلاً لانتزاع الارض من الصينيين وحياة الشعب لا تصبح أسهل مما هي عليه بسبب العسكرية بل تزداد صعوبة من جراء الضرائب الجديدة التي تتطلبها العسكرية ان استبدال تسليح الشعب كله بالجيش الدائم من شأنه ان يسهل حياة جميع العمال وجميع الفلاحين الى حدّ كبير جداً

كذلك من شان **الغاء الضرائب غير المباشرة** الذي يريد الاشتراكيون-الديموقراطيون تحقيقه ان يسهل حياة العمال والفلاحين الى حدّ كبير جداً ان الضرائب غير المباشرة **هي** الضرائب التي لا تستوفى مباشرة على الارض أو على الاستثمارة الريفية انما يؤديها الشعب بصورة **غير مباشرة** عن طريق رفع اسعار البضائع فان الدولة تفرض الضرائب على السكر والفودكا ، والكاز والكبريت وجميع سلع الاستهلاك الاخرى وهذه الضرائب يدفعها التاجر أو الصناعي للدولة لا من ماله الشخصي طبعاً بل من المال الذي يدفعه له الشارون ولذا يزداد سعر الفودكا والسكر والكاز والكبريت وكل من يشتري زجاجة فودكا أو رطلاً من السكر لا يدفع فقط ثمن البضاعة بل يدفع ايضاً الضرائب المترتبة عليها . مثلاً ، اذا

دفعت لنقل اربعة عشر كوبيكا ثمناً لرطل من السكر فان اربعة كوبيكات منها (تقريباً) تذهب الى الخزينة ضريبةً لقد سبق لصانع السكر ان دفع هذه الضريبة الى الخزينة وها هو الآن يقتطع من كل شار هذا المبلغ الذي دفعه وهكذا فان الضرائب غير المباشرة هي الضرائب التي تستوفى من ثمن حاجيات الاستهلاك والتي يدفعها الشاري عن طريق زيادة سعر البضاعة يقال احياناً ان الضرائب غير المباشرة هي أعدل الضرائب فالشاري يدفع حسب الكمية التي يشتريها ولكن ذلك كذب فالضرائب غير المباشرة هي اقل الضرائب عدلاً لأن الفقراء يتضايقون اكثر من الاغنياء عند دفعها فان دخل الغني هو ارفع من دخل الفلاح او العامل بعشرة اضعاف هذا اذا لم يكن ارفع منه بمئة ضعف ولكن هل يستهلك الغني من السكر مئة ضعف ما يستهلكه العامل والفلاح ؟ ومن الفودكا أو الكبريت ، عشرة اضعاف ؟ او من الكاز ؟ كلا ، طبعاً ان اسرة غنية تشتري من الكاز والفودكا والسكر ضعفي ما تشتريه اسرة فقيرة ، أو ثلاثة اضعاف على الاكثر وهذا يعني ان الغني يدفع من دخله ضريبة للدولة **نصيباً أقل** من النصيب الذي يدفعه الفقير من دخله ضريبة للدولة ولنفترض ان دخل الفلاح الفقير مائتي روبل بالسنة ولنفترض انه يشتري بستين روبلاً كمية من البضائع التي تخضع للضريبة والتي يزداد سعرها من جراء ذلك (فالسكر والكبريت والكاز تخضع لضريبة تسمى **رسم الانتاج** اي ان المنتج يدفع الضريبة قبل بيع البضاعة في السوق اما الفودكا التي تنتجها ادارة حصر المشروبات ، فان الدولة نفسها ترفع اسعارها وفيما يتعلق بالقطنيات والحديد وسائر البضائع فان اسعارها تزداد لأن البضائع الرخيصة المستوردة من الخارج لا تستطيع الدخول الى روسيا دون دفع رسوم عالية) . فمن اصل هذه الروبلات الستين ، **عشرون روبلاً**

تشكل الضريبة ولذا يدفع الفقير **عشرة كوبيكات** من كل روبل من دخله بشكل ضرائب غير مباشرة (هذا عدا الضرائب المباشرة وتعويضات شراء الارض، والاتاوات النقدية والضرائب الزراعية، والضرائب للزيمستفو والناحية والمشاعة). اما الفلاح الغني، فان دخله يبلغ الف روبل، وهو يشتري بمئة وخمسين روبلاً كمية من البضائع التي تخضع للضريبة فيدفع **خمسين روبلاً** كضريبة (من اصل هذه الروبلات المائة والخمسين) ولذا لا يدفع الغني ضريبة غير مباشرة من كل روبل من دخله سوى **خمسة كوبيكات** وكلما ازداد غناه، **قلّ** ما يدفعه من دخله ضريبة غير مباشرة ولذا كانت الضرائب غير المباشرة **اقل** الضرائب **عدلاً** فان الضرائب غير المباشرة هي الضرائب التي تصيب الفقراء والفلاحون والعمال يشكلون معاً تسعة اعشار مجموع السكان وهم يدفعون تسعة اعشار أو ثمانية اعشار الضرائب غير المباشرة كلها بينما لا يحصل الفلاحون والعمال، بلا ريب، على اكثر من اربعة اعشار مجمل الدخل في البلاد ! ولهذا يطالب الاشتراكيون-الديموقراطيون بالغاء الضرائب غير المباشرة وبفرض ضريبة **تصاعدية** على الدخل والارث وهذا يعني انه ينبغي ان تزداد الضريبة بقدر ما يزداد الدخل فمن بلغ دخله الف روبل ترتب عليه ان يدفع كوبيكاً واحداً عن كل روبل ومن بلغ دخله الفي روبل ترتب عليه ان يدفع كوبيكين الخ.. اما الايرادات الصغيرة (التي لا تتجاوز مثلا، مبلغ اربعمائة روبل)، فلا ينبغي ان تدفع اية ضريبة واما كبار الاغنياء فيترتب عليهم ان يدفعوا ضرائب باهظة ان هذه الضريبة المسماة ضريبة **الدخل** أو بالاصح **الضريبة التصاعدية على الدخل**، هي اعدل بكثير من الضرائب غير المباشرة ولهذا يسعى الاشتراكيون-الديموقراطيون الى الغاء الضرائب غير المباشرة والى فرض ضريبة تصاعدية على الدخل بيد انه غني عن البيان

ان جميع الملاكين كل البرجوازية ، لا يريدون ذلك ويعارضونه ان التحالف الوطيد بين الفلاحين الفقراء وعمال المدن هو وحده الذي يستطيع **ان ينتزع** هذا التحسين من البرجوازية

واخيراً ثمة تحسين على درجة بالغة من الاهمية بالنسبة لمجمل الشعب ولا سيما بالنسبة لفقراء الريف هو **التعليم المجاني** للاطفال ، وهو ما يطالب به الاشتراكيون-الديموقراطيون ففي الوقت الحاضر يوجد في الريف عدد من المدارس اقل بكثير من عددها في المدن هذا مع العلم ان الطبقات الغنية ان البرجوازية هي التي تتوافر لها في كل مكان امكانية تأمين تعليم جيّد لابنائها فقط التعليم المجاني الالزامي **لجميع الاطفال** سيحرر الشعب وان جزئياً من الجهل الحالي والحال ، ان الفلاحين الفقراء يعانون بخاصة وطأة هذا الجهل وهم بحاجة ماسة الى التعليم بيد انه يقتضى لنا بالطبع تعليم حقيقي حرّ لا التعليم الذي يريده الموظفون والكهنة

ثم ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يطلبون لكل انسان الحق المطلق بان يعتنق بكل حرية الدين الذي يريده فقط روسيا وتركيا بين الدول الاوروبية احتفظتا بالقوانين المخزية ضد الذين هم من دين آخر ، غير الدين الارثوذكسي ، ضد المنشقين ، واصحاب الملل الخاصة ، واليهود فان هذه القوانين تمنع صراحة هذا الدين أو ذاك ، أو تمنع نشره ، أو انها تحرم من بعض الحقوق الناس الذين ينتسبون الى هذا الدين او ذاك ان جميع هذه القوانين هي اشد القوانين ظلماً وتعنتاً وخزياً ينبغي ان يكون لكل امرئ الحرية التامة باعتناق الدين الذي يريد كما ينبغي ان يكون له ايضاً الحرية التامة **بنشره أو باعتناق دين آخر** وما من موظف ينبغي ان يكون له حق سؤال اي كان من الناس عن الدين الذي يعتنق . فتلك مسألة ضمير لا يحق لأي احد ان يتدخّل فيها .

ينبغي الاّ يكون هناك اي دين «سائد» او اية كنيسة «سائدة» بل ينبغي ان تكون جميع الاديان وجميع الكنائس متساوية امام القانون وينبغي ألاّ يعيش رجال الدين من جميع الطوائف إلاّ على حساب الذين ينتمون الى طوائفهم ، ولا ينبغي للدولة ان تموّل بالاموال العامة ، اي دين أو اي رجل دين ، سواء أكان ارثوذكسياً، أم منشقاً ، أم من ملة خاصة ، أم غير ذلك وفي سبيل هذا يناضل الاشتراكيون-الديموقراطيون وطالما لا يصار الى تطبيق هذه التدابير دون اي تحفظ ودون اي تهرب فان الشعب لن يكون في مأمن من الاضطهادات البوليسية المخزية بسبب الدين ولا من الحسنات والتبرعات البوليسية المخزية ايضاً لأهل هذا الدين او ذاك

* * *

لقد بحثنا في التحسينات التي يسعى الاشتراكيون-الديموقراطيون الى تحقيقها لما فيه خير الشعب كله ولا سيما الفلاحون الفقراء لنر الآن اية تحسينات يجهدون لتحقيقها من اجل العمال ، لا عمال المصانع والمدن وحسب بل عمال الارياف ايضاً ان عمال المصانع والمعامل يعيشون في ضيق أشد مكدسين بعضهم فوق بعض بصورة أشد وهم يشتغلون في مشاغل كبيرة ولذا كان من الأسهل عليهم الافادة من العون الذي يسديه اليهم الاشتراكيون-الديموقراطيون المثقفون لجميع هذه الاسباب ، بدأ عمال المدن ، قبل غيرهم بكثير ، النضال ضد ارباب العمل وحصلوا على تحسينات اهم بكثير بل حصلوا على سن قوانين عمالية ولكن الاشتراكيين-الديموقراطيين يناضلون في سبيل تحقيق التحسينات نفسها **لجميع** العمال الحرفيين الصغار الذين يشتغلون في بيوتهم لحساب ارباب العمل ، في المدن كما

في القرى والعمال الاجراء الذين يشتغلون عند صغار الحرفيين والصنّاع ، وعمال البناء (النجارين والبنائين الخ..) وعمال الغابات والفعلة ، **والعمال الزراعيين على حدّ سواء** ان جميع هؤلاء العمال بدأوا يتحدون منذ الآن في عموم روسيا على اثر عمال المصانع وبمساعدتهم وهم يتحدون للنضال من اجل شروط حياة افضل من اجل يوم عمل اقصر **من اجل اجر ارفع** ان الحزب الاشتراكي-الديموقراطي يأخذ على نفسه مهمة مساندة **جميع** العمال في نضالهم من اجل حياة افضل ومساعدتهم في تنظيم (حشد) اشد العمال ثقة وحزماً في اتحادات قوية واعانتهم عن طريق توزيع الكتب والمناشير بينهم وارسال العمال المجربين الى العمال غير المجربين ومساعدتهم بوجه عام بجميع الوسائل الممكنة وعندما نظفر بالحرية السياسية سيكون لنا ايضاً في جمعية النواب الشعبية ، رجال لنا ، سيكون لنا نواب عمال اشتراكيون-ديموقراطيون يعمدون مثل رفاقهم في البلدان الاخرى الى المطالبة بسن قوانين في صالح العمال

لن نعدد هنا جميع التحسينات التي يريد الحزب الاشتراكي-الديموقراطي تحقيقها في صالح العمال فهذه التحسينات معروضة في البرنامج ومشروحة بصورة مفصلة جداً في كراس «قضية العمال في روسيا» نكتفي الآن بذكر التحسينات الرئيسية ينبغي ألاّ يتجاوز يوم العمل ثماني ساعات في اليوم ينبغي دائماً تكريس يوم واحد في الاسبوع للراحة ينبغي منع ساعات العمل الاضافي منعاً تاماً وكذلك العمل الليلي ينبغي ان يكون تعليم الاولاد مجانياً حتى السادسة عشرة من العمر ولذا ينبغي عدم تشغيل الذين لم يبلغوا هذه السن ينبغي عدم تشغيل النساء في الصناعات التي تضر بصحتهن ينبغي على رب العمل ان يدفع تعويضاً للعمال الذين يصابون بطوارئ العمل اثناء العمل ؛ مثلا ،

الطوارئ التي تحدث للذين يشتغلون على الدراسات على المذاري الخ.. ينبغي دفع الاجور لجميع العمال الاجراء ودفعها دائماً **مرة في الاسبوع** ، لا مرة واحدة كل شهرين أو ثلاثة اشهر كما يحدث غالباً للذين يقومون باشغال الحقول فالعمال يهمهم كثيراً ان يقبضوا اجرتهم بانتظام مرة في الاسبوع ، ونقداً لا بضاعة فارباب العمل يحبون كثيراً ان يفرضوا على العمال ، على حساب اجورهم ، شتى انواع السلع الرديئة التي تزيد اسعارها ثلاثة اضعاف ؛ فلأجل وضع حدّ لهذه الفضيحة ينبغي اطلاقاً ان يمنع القانون دفع اجور العمال عيناً ثم انه ينبغي ان يتقاضى العمال المسنّون راتباً تقاعدياً من الدولة فان العمال يعيلون بعملهم كل الطبقات الغنية والدولة برمتها ولذا كان حقهم في الراتب التقاعدي لا يقل عن حق الموظفين الذين يفيدون من هذا الراتب ولكي لا يفكر ارباب العمل باستغلال وضعهم وبمخالفة الانظمة المقررة لصالح العمال ينبغي تعيين مفتشين لا للاشراف على المصانع وحسب بل للاشراف ايضاً على الاستثمارات العقارية الكبيرة وللاشراف بوجه عام على جميع المشروعات التي تستخدم عمالاً اجراء غير انه ينبغي ألاّ يكون هؤلاء المفتشون موظفين يعينهم الوزراء او المحافظون او البوليس انما ينبغي ان يكون المفتشون **عمالاً منتخبين** ، وينبغي على الدولة ان تدفع اجراً للذين يثق بهم العمال ويختارونهم بكل حرية وينبغي على هؤلاء النواب العمال ان يحرصوا ايضاً على ان تكون مساكن العمال حسنة الترتيب وعلى ألاّ يعمد ارباب العمل الى اسكان العمال في نوع من زرائب الكلاب أو في اكواخ ترابية (كما يحدث غالباً في اثناء اشغال الحقول) وعلى ان يصار الى التقيد بنظام راحة العمال الخ.. ولكنه ينبغي عدم النسيان انه لن تكون ثمة اية جدوى من النواب الذين ينتخبهم العمال ما دامت الحرية السياسية غير متوافرة

وما دام البوليس كلي الجبروت وغير مسؤول امام الشعب ان جميع الناس يعرفون ان البوليس يعتقل الآن النواب العمال دون اية محاكمة ، بل يعتقل ايضاً كل عامل يجرؤ على التحدث باسم الجميع ، وعلى فضح انتهاك القانون ، وعلى دعوة العمال الى الاتحاد ولكن النواب العمال سيؤدون خدمة جلّى عندما تتوافر لنا الحرية السياسية

ينبغي **منع** جميع اصحاب العمل (من صناعيين وملاكين عقاريين ، ومتعهدي اشغال ، وفلاحين اغنياء) **منعاً مطلقاً** عن اجراء اية حسومات من تلقاء انفسهم على اجور العمال ، كاجراء حسومات لسبب سوء الصنعة وحسومات بشكل غرامات الخ.. فعندما يعمد ارباب العمل ، **بدافع سلطتهم** ، الى اجراء حسومات على اجور العمال ، فانهم يخالفون القانون ، ويرتكبون عملاً تعسفياً ينبغي عدم السماح لرب العمل بتخفيض اجور العمال ، باية حجة كانت ولا باي حسم كان ينبغي الاّ يكون رب العمل قاضياً ايضاً (ويا له من قاضٍ ممتاز هذا الذي يضع في جيبه الحسومات من اجرة العامل !) انما ينبغي الرجوع الى **محكمة حقيقية** وهذه المحكمة ينبغي اختيار اعضائها من بين العمال وارباب العمل على قدم المساواة فقط مثل هذه المحاكم تستطيع ان تحكم بانصاف بجميع دواعي استياء ارباب العمل من العمال وبجميع دواعي استياء العمال من ارباب العمل .

تلك هي التحسينات التي يريد الاشتراكيون-الديموقراطيون ان يصار الى تحقيقها في صالح الطبقة العاملة بأسرها ففي كل ضيعة ، في كل استثمارة عقارية كبيرة ، وعند كل متعهد ، ينبغي على العمال ان يدرسوا معاً ، ومع اهل الثقة ، اية تحسينات ينبغي النضال من اجلها ، واية مطالب ينبغي تقديمها (ان مطالب العمال

لن تكون ، بالطبع ، متماثلة في مختلف المصـــانع وفي مختلف الاستثمارات العقارية الكبيرة ، وعند مختلف المتعهدين)

ان اللجان الاشتراكية-الديموقراطية تساعد عمال روسيـــا كلها على صياغة مطالبهم بصورة واضحة دقيقة ، على اذاعة المناشير المطبوعة التي تعرض هذه المطالب لكي يطلع عليها جميـــع العمال ، وارباب العمل ، وولاة الشأن وعندما يكافح العمال معاً كرجل واحد في سبيـــل مطالبهم فان ارباب العمل يضطرون للتراجع وللقبول بمطالب العمال بهذه الوسيلة حصل عمال المدن على العديد من التحسينات وها ان الحرفيين الصغـــار وشتى اصحاب المهن اليدوية ، والعمـــال الريفيين اخذوا يتحدون الآن (ينتظمون) ويناضلون في سبيل مطالبهم وما دمنا لا نتمتـــع بالحرية السياسية ، فاننا نناضل في السرّ ، متسترين عن البوليس الذي يمنع المناشير والجمعيات العمالية على انواعها ولكن عندما نظفر بالحرية السياسية فاننا سنواصل هذا النضال على نطاق أوسع وعلنا على رؤوس الاشهـــاد لكي يتحد الشعب العامل في عموم روسيا ويدافع عن نفسه بمزيد من التضامن ضد الظلم وكلما ازداد عدد العمال **في صفوف حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي** تعاظمت قوتهم وتوصلوا بمزيد من السرعـــة الى تحرير الطبقة العاملة تحريراً تاماً من كل ظلم ، من كل عمل مأجور، من كل عمل في صالح البرجوازية

* * *

لقد قلنا ان حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي يعمل في سبيل تحقيق تحسينات لا للعمال وحسب بل **لجميع الفلاحين** ايضاً لنر الآن ما هي التحسينات التي يجهد للحصول عليها من اجل جميع الفلاحين .

٦ – اية تحسينات يجهد الاشتراكيون-الديموقراطيون للحصول عليها من اجل جميع الفلاحين ؟

من اجل تحرير جميع الشغيلـــة تحريراً تاماً ينبغي على الفلاحين الفقراء ان يعمدوا بالتحالف مع عمال المدن ، الى خوض النضال ضد البرجوازية برمتها بمن فيها الفلاحون الاغنياء ان الفلاحين الاغنياء يرغبون في ان يدفعوا لاجرائهم اجراً اقل ويجبروهم على العمل مدة اطول وبصورة اشق بينما يجهد عمـــال المدن والارياف لكي يحصل الاجراء الذين يشتغلون عند الفلاحين الاغنياء على اجرة احسن ولكي يكون عملهم اقل ضنى ولكي يحصلوا على الراحة ولذا ينبغي على الفلاحين الفقراء ان يؤلفوا جمعيات خاصة بهم لا يشترك فيها الفلاحون الاغنياء ، – وقد سبق ان تحدثنا بهذا الصدد ، ولن نكف عن ترديد اقوالنا

ولكن الفلاحين جميع الفلاحين الاغنياء منهم والفقراء ما يزالون في روسيا مستعبدين من نواحٍ عديدة كما في الماضي فهم يشكلون **الفئة الدنيا ، السوداء ، الفئة التي تتحمل الضرائب** انهم كلهم خاضعون لموظفي البوليس وللزيمسكييه ناتشالنيكي ؛ وكلهم يشتغلون في معظم الاحيان ، كما في الماضي ، لحساب السيد الملاك العقاري لقاء حق استثمار الاراضي المقتطعة من الفلاحين لقـــاء مسقى الماشية ، لقاء مرعى الماشية ، لقاء المرج ، تماماً كما كانوا يشتغلون للسيد الاقطاعي في عهد القنانـــة ان **جميع** الفلاحين يريدون التحرر من هذا الاستعباد الجديد **جميعهم** يريدون التمتع بجميع الحقوق ، **جميعهم** يكرهون الملاكين العقاريين الذين يجبرونهم حتى الآن على **القيام باعمال السخرة** على العمل في صالح السادة النبلاء لقاء الارض ، ومرعى الماشية ، ومسقى الماشية ، والمرج لقاء الاضرار التي تسببها الماشية ؛ والذين يجبرونهم حتى الآن على

ارسال نسائهم يحصـــدن ، «بدون اي اجر» ان الفلاحين الفقراء يعانون من واجبات العمل هذه اكثر مما يعاني الفلاحون الاغنياء فان الفلاحين الاغنياء يدفعون الاموال احياناً لانقاذ انفسهم من هذا العمل المترتب للاسياد الملاكين العقاريين ، ولكن الملاكين العقاريين يضطهدون الفلاحين الاغنياء ايضاً في معظم الاحيان اضطهاداً شديداً. ولذا ينبغي على الفلاحين الفقراء ان يناضلوا بالتحالف مع الفلاحين الاغنياء ضد استعباد الملاكين العقاريين ضد جميع اعمـــال السخرة ، ضد جميع واجبات العمل اننا لن نتحرر من **كل** عبودية، من **كل** بؤس الاّ حين نتغلب على **كل** البرجوازية (بمن فيهـــا الفلاحون الاغنياء) ولكن ثمة عبودية سنتخلص منها **قبل** غيرها لأن الفلاح الغني لا يغتبط بها ايضاً فما يزال في روسيا حتى اليوم كثير من الاماكن والنواحي ما يزال فيها جميع الفلاحين في الغالب كالاقنان تماماً ولذا ينبغي على جميع العمال الروس وعلى جميع الفلاحين الفقراء **خوض النضال من جهتين** من جهة **ضد جميع البرجوازيين** بالتحالف مع جميع العمال ومن جهة اخرى **ضـــد الموظفين في الارياف ، ضد الملاكين الاقطاعيين** ، بالتحالف مع جميع الفلاحين واذا لم يشكل الفلاحون الفقراء اتحاداً خاصاً لا يشترك فيه الفلاحون الاغنياء فان الفلاحين الاغنياء سيخدعون الفلاحين الفقراء ويواربونهم ويتحولون الى ملاكين عقاريين ولن يكتفوا بابقاء الفلاحين الفقراء معدمين تماماً وحسب ، بل سيرفضون ايضاً منحهم حرية الاتحاد واذا لم يعمد الفلاحون الفقراء الى النضـــال بالتحالف مع الفلاحين الاغنياء ضد العبودية الاقطاعيـــة فانهم سيظلون مربوطين بمكان واحد ولن يحصلوا ايضاً على الحرية التامة بالاتحاد مع عمال المدن

ينبغي على الفلاحين الفقراء ان يسددوا الضربـــة اولاً الى الملاكين العقاريين ، وان يخلعوا على الاقل العبودية التي هي اقسى

العبوديات واشدها ضرراً والتي فرضهـا الأسيـاد الملاكون العقاريون وفي هذا المجال ، سيقف انصار البرجوازية والكثيرون من الفلاحين الاغنيـاء الى جانب الفلاحين الفقراء لأنه لم يبق في وسعهم احتمال ازدراء الاسياد وتعاليهم ولكن ما ان نبتر قليلاً من سلطـة الملاكين العقاريين ، حتى يبرز الفلاح الغني ، ويمدّ مخالبه ، مخالبه الكلاّبية ، التي نهبت حتى الآن الكثير من الاشياء ولذا تنبغي اليقظة واقامة تحالف وطيد ، راسخ لا يتزعزع مع عمال المدن فان عمال المدن سيساعدون في حمل الملاك العقاري على التخلّي عن عاداته القديمة الاقطاعية ، وفي تهدئة الفلاح الغني ايضاً (كما فعلوا الى حدّ ما مع ارباب العمل) فبدون التحالف مع عمال المدن لن يتحرر الفلاحون الفقراء **ابداً** من كل العبوديـات وكل الحرمانات وكل البؤس **وليس ثمة اي آخر** سيساعدهم في هذا المجال ولا ينبغي لهم الاعتماد الاّ على انفسهم ولكن ثمة تحسينات سنحققها قبل غيرها بل نستطيع تحقيقها فوراً في بداية هذا النضال الكبير ففي روسيا امثلة عن الاستعباد زالت منذ زمن بعيد في البلدان الاخرى فمن هذا الاستعباد للموظف ، من هذا الاستعبـاد للسيد للاقطاعي يستطيع **كل الفلاحين الروس** ان يتخلصوا **حالاً**

والآن سندرس التحسينـات التي يريد حزب العمـال الاشتراكي-الديموقراطي تحقيقها اولاً ، وبالدرجة الاولى من اجل تحرير كل الفلاحين الروس من اقسى عبودية اقطاعية على الاقـل ومن اجل فك القيد عن يدي الفلاح الفقير في النضـال ضد كـل البرجوازية الروسية

ان المطلب الاول لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي هـو التالي العمل فوراً على الغاء جميع التعويضات عن الاراضي وعلى الغاء جميع الاتاوات وجميع الالتزامات التي تثقل كواهل الفـلاحين

«الذين يتحملون الضرائب» فعندما كانت لجان النبلاء وحكومة نبلاء القيصر الروسي «تعتق» الفلاحين من القنانة كانت تلزم الفلاحين **بشراء اراضيهم نفسها من جديد** ، بشراء الاراضي التي كان الفلاحون يزرعونها منذ اجيال واجيال ! كان ذلك ضرباً من **النهب** كانت لجان النبلاء **تنهب** الفلاحين بكل بساطة بمساعدة الحكومة القيصرية التي كانت ترسل الجيش الى العديد من الاماكن بقصد تطبيق الشرعات التنظيمية (١٣٣) **بالقوة** وبقصد انزال العقوبات العسكرية بالفلاحين الذين كانوا لا يقبلون بالاراضي المقتطعة «البائسة» ولولا مساعدة الجيش لولا التعذيبات والاعدامات رمياً بالرصاص ، لما استطاعت لجان النبلاء ابداً ان تنهب الفلاحين بمثل الوقاحة التي نهبتهم بها في اثناء تحرير الفلاحين من القنانة ينبغي ان يتذكر الفلاحون على الدوام كيف خدعتهم لجان الملاكين العقاريين لجان النبلاء ، وكيف نهبتهم لأن الحكومة القيصرية ما تزال تعين اليوم لجان نبلاء أو لجان موظفين عندما يتعلق الامر باصدار قوانين خاصة بالفلاحين فمنذ بعض الحين ، اصدر القيصر بياناً (بتاريخ ٢٦ فبراير – شباط – ١٩٠٣) وعد فيه باعادة النظر في القوانين الخاصة بالفلاحين وتحسينها ولكن من ذا الذي سيعيد النظر ؟ من اذ الذي سيحسّن ؟ – النبلاء ايضاً ، والموظفون ايضاً وسيظل الفلاحون مخدوعين طالما لم يتوصلوا الى تأليف **لجان فلاحية** مهمتها تحسين حياة الفلاحين كفى ما حكم وما أمر وما نهى الملاكون العقاريون والزيمسكييه ناتشالنيكي وشتى اصناف الموظفين بحق الفلاحين ! كفى استعباداً للبوليس الريفي ، ولجميع ابناء النبلاء السكارى المدمنين الذين يعينونهم زيمسكييه ناتشالنيكي او رؤساء البوليس في الاقضية ، او محافظين ينبغي على الفلاحين ان يطالبوا بحرية تصريف شؤونهم **بانفسهم** بحرية التفكير **بانفسهم** في القوانين الجديدة ، بحرية تعيينها وسنّها **بانفسهم** .

ينبغي عليهم ان يطالبوا **بلجان فلاحية** حرة ومنتخبة وطالما لم يحصلوا على هذا فسيظل النبلاء والموظفون يخدعونهم وينهبونهم وما من احد سينقذ الفلاحين من براثن الموظفين مصاصي الدماء اذا لم يحرر الفلاحون انفسهم بانفسهم ، اذا لم يتحدوا لأخذ مصيرهم **بايديهم ذاتها** .

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين لا يطلبون فقط الغاء تعويضات الاراضي والاتاوات وجميع الالتزامات الأخرى الغاء تاماً وفورياً بل يطلبون ايضاً **ان تعاد الى الشعب** هذه التعويضات المقتطعة منه ففي عموم روسيا ، دفع الفلاحون مئات الملايين من الروبلات منذ ان حررتهم لجان النبلاء من القنانة وهذه المبالغ انما ينبغي ان يستعيدها الفلاحون فلتفرض الحكومة ضريبة خاصة على كبار ملاكي الاراضي النبلاء لتؤخذ اراضي الاديرة والاقطاعات الاميرية (اي اراضي اسرة القيصر) لتنفق جمعية النواب الشعبية هذا المال في صالح الفلاحين فليس في العالم مكان بلغ فيه اذلال الفلاح وافقاره وهلاك الملايين من الفلاحين جوعاً ، حداً مرعباً كما في روسيا لقد اكره الفلاح في روسيا على الموت جوعاً لأنه سبق للجان النبلاء ان نهبته لأنه يُنهب كل سنة منذ ذلك الحين باجباره على دفع جزيته القديمة للاقطاعيين القدماء المتبقين باجباره على دفع تعويضات الارض وعلى تسديد الاتاوات فليتحمل الذين ينهبونه وزر ما يفعلون لتؤخذ من كبار الملاكين النبلاء المبالغ الضرورية لاسداء معونة فعالة للجياع فالفلاح الجائع ليس بحاجة الى الاحسان ولا الى الصدقات البائسة ليطالبنّ باعادة المبالغ التي دفعها طوال سنوات وسنوات للملاكين العقاريين والدولة اذ ذاك تستطيع جمعية النواب الشعبية واللجان الفلاحية تقديم مساعدة حقيقية وجدّية للجياع .

لنتابع ان حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي يطالب بان يصار فوراً الى الغاء التكافل والتضامن (١٣٤) الغاء تاماً وكذلك **جميع القوانين التي تحدّ من حرية تصرّف الفلاح بارضه** ان بيان القيصر الصادر بتاريخ ٢٦ فبراير – شباط – ١٩٠٣ يعد بالغاء التكافل والتضامن وقد صدر مؤخراً قانون ينص على الغائهما ولكن ذلك لا يكفي ينبغي فوق ذلك ان يصار فورا الى الغاء **جميع القوانين التي** تحدّ من حرية تصرّف الفلاح بارضه وبدون ذلك لن يكون الفلاح حراً تماماً حتى اذا الغي التكافل والتضامن بل يظل نصف قن ينبغي ان يتمتع الفلاح بحرية التصرف بأرضه **حرية تامة** ينبغي ان يكون له حق التنازل عنها وبيعها لمن يشاء دون ان يطلب الاذن من اي كان وهذا ما لا يسمح به مرسوم القيصر فان جميع النبلاء والتجار والبرجوازيين الصغار يستطيعون التصرّف باراضيهم بكل حرية باستثناء الفلاح فالفلاح ليس سوى طفل صغير ينبغي فرض اشراف زيمسكي ناتشالنيك عليه كما تشرف المربية على الطفل ينبغي منع الفلاح من بيع ارضه لأنه قادر على تبديد ماله ! هكذا يفكر الاقطاعيون وثمة سذج بلهاء يصدّقونهم ويتمنون الخير للفلاح قائلين انه ينبغي منعه من بيع ارضه بل ان الشعبيين (الذين سبق ان تحدثنا عنهم آنفاً) والذين يسمون انفسهم «اشتراكيين-ثوريين» يوافقون على رأي الاقطاعيين ايضاً وهم يرون انه من الافضل منع الفلاح من بيع ارضه ولو بقي قناً الى حدّ ما

اما الاشتراكيون-الديموقراطيون فانهم يقولون هذا رياء برياء هذا يعني التظاهر بمظاهر الاسياد ، وهذه كلمات معسولة فقط فحين نحقق الاشتراكية وتتغلب الطبقة العاملة على البرجوازية تصبح كل الارض للجميع ولن يبقى **لأي احد حق** بيعها . ولكن من الآن حتى ذلك الحين ؟ النبيل والتاجر يستطيعان

بيع الارض ولكن الفلاح لا يستطيع بيعها ؟ النبيل والتاجر حرّان بينما يظل الفلاح في حالة نصف قن أليس كذلك ؟! وسيظل الفلاح يستعطي الاذن من ولاة الشأن ، أليس كذلك ؟!

ليس ذلك سوى كذب وان كان مقنعاً بكلمات معسولة ولكنه يبقى مع ذلك كذباً

وطالما يسمحون للنبيل وللتاجر ببيع الارض ، فينبغي ايضاً ان يكون للفلاح **الحق التام** ببيع ارضه والتصرف بها **بحرية تامة** شأنه شأن النبيل والتاجر

وعندما تتغلب الطبقة العاملة على البرجوازية بأسرها ، فانها ستنتزع ارض كبار الملاكين وتنظم **استثمارات تعاونية في الاملاك** الكبيرة ، لكي يزرع العمال الارض بصورة مشتركة ، بالاتفاق فيما بينهم وينتخبوا بحرية المسؤولين الاداريين من بين الذين يثقون بهم ويستخدموا شتى انواع الآلات بغية تسهيل العمل ولا يشتغل كل منهم بدوره اكثر من ثماني ساعات (بل ربما يشتغل ستّ ساعات) في اليوم اما الفلاح الصغير الذي يريد الاستمرار على استغلال ارضه حسب الطريقة القديمة بصورة منفردة فانه هو ايضاً سيكف عن استثمار ارضه من اجل السوق ومن اجل بيع منتجاته لاول قادم وسيعمل من اجل جمعيات العمال فان الفلاح الصغير سيقدّم لجمعيات العمال الخبز واللحم والخضار وسيعطيه العمال دون مال الآلات والمواشي والاسمدة والألبسة وكل ما يحتاج اليه حينذاك سيزول النضال بسبب المال بين المستثمر الكبير والمستثمر الصغير وسيزول العمل المأجور لحساب الآخرين وسيعمل جميع الشغيلة لأنفسهم وستفيد الآلاتُ وجميع التحسينات العمال انفسهم وتسهّل عملهم وتحسّن حياتهم .

ولكن كل امرئ سليم التفكير يدرك ان من المستحيل تحقيق الاشتراكية دفعة واحدة فلهذا الغرض ينبغي خوض نضال عنيد ضد البرجوازية كلها ضد الحكومات من اي طراز ونوع كانت لهذا الغرض ينبغي حشد جميع عمال المدن في عموم روسيا والفلاحين الفقراء معهم ، في اتحاد متين لا يتزعزع وتلك مهمة كبيرة ، وجديرة بان يكرس لها المرء كل حياته ولكن ، طالما لم نحقق الاشتراكية فان المستثمر الكبير سيناضل ابداً ضد المستثمر الصغير ، بسبب المال فهل يكون المستثمر الكبير حراً حقاً ببيع الارض بينما الفلاح الصغير ليس بحرّ ؟ اننا نكرر ان الفلاحين ليسوا اطفالاً صغاراً ولن يسمحوا لأحد بان يتأمر عليهم فينبغي ان ينال الفلاحون **جميع الحقوق** جميع الحقوق دون اي قيد جميع الحقوق التي يتمتع بها النبلاء والتجار

ويقولون ايضاً ان الفلاح لا يملك ارضه لنفسه انما ارضه تخص المشاعة ولا يمكن السماح لأحد ببيع الارض التي تخص المشاعة . – وهذا قول كذب ايضاً فهل النبلاء والتجار ليس لهم مثل هذه الجمعيات ؟ ألا يشكلون شركات ألا يشترون معاً الاراضي والمصانع وكل ما تريدون ؟ لماذا لا يلفّقون اي قيد لجمعيات النبلاء بينما تتدخل الحثالة البوليسية بشؤون الفلاح وتتخيّل شتى القيود والموانع ؟ ان الفلاحين لم يروا قط اي موقف طيب من جانب الموظفين ولم يعرفوا منهم سوى الضرب والنهب والسلب والاهانة ، ولن يرى الفلاحون خيراً طالما لم يأخذوا شؤونهم بأيديهم ، طالما لم يظفروا بالمساواة التامة في الحقوق وبالحرية التامة فاذا شاء الفلاحون ان تكون الارض للمشاعة فلا يفكرنّ احد بمنعهم عن ذلك ، فانهم سيؤلفون بالتفاهم فيما بينهم ، جمعية مع من يشاؤون وكما يشاؤون ويصوغون عقداً لجمعيتهم كما يطيب

لهم وبكل حرية فلا يحاولنّ الموظف حشر انفه في شـــؤون الفلاحين الجماعية ولا يفكرنّ احد بمخاتلة الفلاحين ولا بتلفيق القيود والموانع لهم

* * *

واخيراً يريد الاشتراكيون-الديموقراطيون الحصول عـــلى تحسين هام آخر للفلاحين انهم يريدون الحدّ فوراً حالاً من حالة الاستعباد للسيّد من عبودية الفلاح الاقطاعية لا ريب في اننا لن نتوصل الى التخلص تماماً من العبودية ، طالما البؤس يعمّ العالم ، ولا الى التخلص من البؤس طالما الارض والمصانع في ايدي البرجوازية طالما المال هو القوة الرئيسية في العالم طالمـا لم يُبْنَ **المجتمعُ الاشتراكي** بيد انه ما تزال في القرى الروسيـة عبودية قاسية جداً غير معروفة في البلـــدان الاخرى رغم ان الاشتراكيـــة لم تُبْنَ فيها بعد **فالعبودية الاقطاعية** ما تزال عظيمة الشأن في روسيا وهي تفيد جميع الملاكين العقـــاريين وتنيخ بكلكلها على جميع الفلاحين بيد انه يمكن ويجب الغاؤها فوراً ، حالاً ، وبالدرجة الاولى

لنوضح ما سميناه العبودية الاقطاعية

ان كل من يسكن الريف يعرف من هذه الحالات . فارض السيّد تقع الى جانب ارض الفلاح وعند تحرير الفلاحين ، اقتطعوا منهـم الاراضي التي يحتاجون اليها ، والمراعي والغابات ، والمساقي ولا يعرف الفلاحون اين يمضون وما يفعلون دون هذه الاراضي التي اقتطعوها منهم دون المراعي دون المساقي ولذا يضطرون لأن يطلبوا من الملاك العقاري ان يسمح لهم بمرور الماشيـة الى المسقى ان يعطيهم مرعى للماشية الخ والحال ان الملاك العقاري لا يستثمر املاكه ، وقد لا يكون لديه اي مال ، وهو لا

يعيش الاّ من استعباد الفلاحين وهؤلاء يشتغلون مجاناً في املاكه لقاء الاراضي التي اقتطعوها منهم فيما مضى ويحرثون ارضه باحصنتهم ويحصدون حبوبه ويحصدون هشيم مروجه ويدرسون حبوبه وفي بعض الاماكن يحملون سمادهم الى ارض السيّد ويقدّمون له الاقمشة والبيض والدجاج. تماماً كما في عهد القنانة في عهد القنانة كان الفلاحون يشتغلون مجاناً لمالك الاقطاع حيث يعيشون وهم الآن يشتغلون ايضاً ، في معظم الاحيان مجاناً للسيّد لقاء الارض نفسها التي اقتطعتها لجان النبلاء من الفلاحين لدن تحريرهم وما تزال السخرة ذاتها هكذا يسمي فلاحو بعض المحافظات هذا العمل الذي يقومون به في صالح السيّد وهذا ما نسميه العبودية الاقطاعية فعند تحرير الفلاحين ، دبّرت لجان الاسياد الاقطاعيين أو لجان النبلاء الامور بصورة يستطيعون معها استعباد الفلاحين كما في الماضي فاقتطعوا قصداً من حصص الفلاحين وشقوا اراضي الفلاحين باراضي الاسياد كالاسفين لكي لا يكون للفلاح مكان يطلق فيه دجاجة ونقلوا الفلاحين الى اراضٍ قاحلة ، وقطعوا بارض الاسياد الطريق الى مسقى الماشية اي انهم دبّروا الامور بصورة يقع فيها الفلاحون في الفخّ واسرى دون اية صعوبة وكم من القرى – وعددها لا حدّ له – ما يزال فيها الفلاحون اسرى الملاكين العقاريين المجاورين ، اسرى كما كانوا في عهد القنانة في هذه القرى نرى الفلاح الغني والفلاح الفقير مكبلي الايدي والاقدام ، وتحت رحمة الملاك العقاري وحياة الفلاح الفقير اصعب بكثير من حياة الفلاح الغني فالفلاح الغني يملك احياناً ارضه الخاصة فيرسل العامل المأجور يقوم عنه باعمال السخرة . اما الفلاح الفقير ، فليس له اي مخرج ، فيفعل الملاك العقاري به ما يريد والفلاح الفقير ، الذي يعاني هذا الاستعباد لا يجد غالباً الوقت الكافي للاستراحة ، والجهد الذي يبذله في صالح سيده

يمنعه من العمل خارج قريته وناحيته ، ومن التفكير بالانضمام بحرية الى اتحاد واحد ، الى حزب واحد ، مع جميع الفلاحين الفقراء وعمال المدن.

ولكن أليس ثمة وسيلة لالغاء هذه العبودية فوراً ودفعة واحدة ؟ ان حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي يقدّم للفلاحين **وسيلتين** من اجل بلوغ هذا الهدف غير اننا نقول مرة اخرى ان الاشتراكية وحدها هي التي ستحرر الفلاحين الفقراء من جميع العبوديات لأن الاغنياء سيضطهدون الفلاحين بطريقة أو باخرى طالما هم اقوياء ومن المستحيل الغاء هذه العبودية تماماً ، ودفعة واحدة غير انه يمكن الحد من هذه العبودية الاقطاعية ، التي هي اقسى واشنع عبودية والتي تنيخ بكلكلها على الفلاحين الفقراء والفلاحين المتوسطين سواء بسواء حتى على الفلاحين الاغنياء ايضاً يمكن التوصل فوراً الى التخفيف من وطأة هذه العبودية على الفلاحين

ولهذا الغرض ، توجد وسيلتان

الوسيلة الاولى انما هي المحاكم التي يختار اجراء الارياف والفلاحون الفقراء وكذلك الفلاحون الاغنياء والملاكون العقاريون اعضاءها بحرية من بين الذين يثقون بهم

الوسيلة الثانية انما هي **اللجان الفلاحية** المختارة بحرية ينبغي ان تتمتع هذه اللجان بحق بحث واقرار جميع التدابير التي تؤول الى الغاء السخرة والى محو بقايا القنانة كما ينبغي ان تتمتع ايضاً بحق **انتزاع الاراضي المقتطعة سابقاً من الفلاحين واعادتها اليهم** *

---

* في طبعة عام ١٩٠٥ ، ورد بعد كلمة «**اليهم**» النص التالي ، «ينبغي ان يكون للجان الفلاحين الحق في انتزاع جميع الاراضي من الملاكين العقاريين ومن جميع المالكين الخصوصيين على العموم ، علماً بان جمعية النواب الشعبية ستقرر بنفسها ما يجب فعله بهذه الاراضي التي تنتقل الى ملكية الشعب باسره» . **الناشر** .

لندرس هاتين الوسيلتين بمزيد من التفصيل ان المحاكم المختارة اعضاؤها بحرية من بين اهل الثقة ستبحث في جميع شكاوى الفلاحين ضد العبودية وسيكون من حق هذه المحاكم تخفيض بدلات ايجار الاراضي اذا استغل الملاكون العقاريون بؤس الفلاحين وحددوا بدلاً باهظاً وسيكون من حق هذه المحاكم تحرير الفلاحين من المدفوعات الجائرة مثلاً اذا استأجر الملاك العقاري الفلاح في فصل الشتاء لكي يقوم له باشغاله في فصل الصيف بنصف الاجر العادي فان المحكمة تبحث القضية وتحدد اجراً منصفاً وينبغي ان تتألف هذه المحكمة بالطبع لا من الموظفين ، بل من اهل الثقة المختارين بحرية وينبغي اطلاقاً ان يكون للأجراء الريفيين والفلاحين الفقراء عدد من الممثلين لا يقل عن عدد ممثلي الفلاحين الاغنياء والملاكين العقاريين وستبحث هذه المحاكم ايضاً جميع النزاعات بين العمال وارباب العمل وهكذا ستخف المصاعب امام العمال والفلاحين الفقراء لعرض حقوقهم والدفاع عنها امام هذه المحاكم وستخف المصاعب امامهم للاتحاد فيما بينهم ولمعرفة من هم الذين يدافعون عن الفلاحين الفقراء وعن العمال بامانة واخلاص ، لمعرفتهم بدقة

واليكم ايضاً وسيلة اخرى اهم هي **اللجان الفلاحية** المختارة بحرية من بين اهل الثقة الذين يمثلون الاجراء الزراعيين والفلاحين الفقراء والمتوسطين والاغنياء في كل قضاء من الاقضية (او عدة لجان في كل قضاء ، اذا ارتأى الفلاحون ذلك ضرورياً بل قد يشكلون لجاناً فلاحية في كل ناحية وكل قرية كبيرة) وما من احد يعرف خيراً من الفلاحين اي عبودية تنيخ بثقلها على كواهلهم وما من احد سيعرف خيراً من الفلاحين كيف يفضح الملاكين العقاريين الذين يعيشون حتى الآن من العبودية الاقطاعية ان اللجان الفلاحية ستقرر اية هي الاراضي أو المروج أو المراعي ، الخ . التي أقتطعت

جوراً وظلماً من الفلاحين وستقرر اذا كان ينبغي انتزاع هـذه الاراضي مجاناً أو دفع تعويض للذين اشتروها ، وذلك على حساب كبار الملاكين العقاريين النبلاء وستحرر هذه اللجان الفلاحين على الأقل من الاشراك التي اوقعهم فيها الكثير من لجان الاسياد الاقطاعيين من لجان النبلاء وستحرر الفلاحين من تدخّل الموظفين ؛ وستبين ان الفلاحين يريدون ويستطيعون تصريف شؤونهم بانفسهم وستساعد الفلاحين في التفاهم حول حاجاتهم وفي حسن معرفة الناس القادرين على الصمود الى جانب الفلاحين الفقراء والى جانب تحالفهم مع عمال المدن ان اللجان الفلاحية تشكل **خطوة اولى** الى الامام لكي يهب الفلاحون وقوفاً حتى في انأى القرى ويأخذوا مصيرهم بأيديهم

ولهذا يحذر العمال الاشتراكيون-الديموقراطيون الفلاحين قائلين لهم

لا تثقوا باية لجنة من لجان النبلاء ولا باية لجنة من لجان الموظفين .

طالبوا بجمعية نواب شعبية .

طالبوا بانشاء اللجان الفلاحية .

طالبوا بالحرية التامة لطبع جميع انواع الكتب والصحف .

وعندما يصبح من حق الجميع ، ومن حق كل فرد من الافراد ، حرية التعبير عن الآراء والرغبات في جمعية النواب الشعبية وفي اللجان الفلاحية وفي الصحف دون خشية من احد عند ذاك سيُعرف من ذا الذي يقف الى جانب الطبقة العاملة ومن ذا الذي يقف الى جانب البرجوازية اما الآن فان الاغلبية الساحقة لا تفكر ابداً في هذا الامر وهناك من يخفون رأيهم الحقيقي وهناك من لا يعرفون انفسهم حتى الآن ؛ وهناك من يخدعون قصداً وعمداً ولكن الجميع سيفكرون حينذاك في هذا الامر ، ولن تبقى ثمة حاجة الى

التخفي ، فكل شيء سيتضح حالاً لقد سبق ان قلنا ان البرجوازية ستجتذب الفلاحين الاغنياء الى جانبها وكلما تحقق الغاء العبودية الاقطاعية بمزيد من السرعة والاكتمال وكلما تعاظمت الحرية الفعلية التي يظفر بها الفلاحون اتحد الفلاحون الفقراء فيما بينهم بمزيد من السرعة ، واسرع الفلاحون الاغنياء بالاتحاد مع البرجوازية كلها لندعهم اذن يتحدون فاننا لا نخاف هذا الاتحاد مع اننا نعلم تمام العلم ان هذا الاتحاد سيزيد من قوة الفلاحين الاغنياء لاننا سنتحد بدورنا وسيكون **تحالفنا** – تحالف الفلاحين الفقراء مع عمال المدن – اكثر عدداً بما لا حد له ، انه سيضم عشرات الملايين ضد تحالف مئات الآلاف ونحن نعلم ايضاً ان البرجوازية ستسعى جهدها (وهي تسعى جهدها منذ الآن !) لكي تجتذب الفلاحين المتوسطين الى جانبها بل الفلاحين الصغار ايضاً ؛ انها ستحاول ان تخدعهم وتغرّهم وتفرّق شملهم وتعد كلاً منهم بترقيته الى فئة الاغنياء لقد رأينا آنفا الى اية وسائل واية اكاذيب تلجأ البرجوازية لاجتذاب الفلاح المتوسط فينبغي لنا اذن ان نفتح عيون الفلاحين الفقراء سلفاً وان نوطد سلفاً تحالفهم الخاص مع عمال المدن ضد البرجوازية برمّتها

ليتطلع كل ساكن من سكان الارياف فيما حوله بانتباه فما اكثر ما يرفع الفلاحون الاغنياء الصوت ضد الاسياد ، ضد الملاكين العقاريين ولكم يتذمرون من الظلم النازل بالشعب ومن بقاء اراضي الاسياد بوراً بلا جدوى ولكم يحبون الوشوشة (فرداً لفرد) بانه ينبغي نقل هذه الاراضي الى حوزة الموجيك !

ولكن هل يمكننا تصديق ما يقوله الاغنياء ؟ كلا فهم لا يريدون الحصول على الارض من اجل الشعب بل من اجل انفسهم فهم منذ الآن قد اشتروا واستأجروا مساحات كبيرة من الارض ولكن ذلك لا يكفيهم . **ولذا لن يسير الفلاحون الفقراء طويلاً مع**

الفلاحين الاغنياء ضد الملاكين العقاريين ولا يسعنا ان نخطو معهم سوى خطوة اولى ومن ثم لا بدّ لنا ان يسير كل منا على حدة

ولهذا ينبغي ان نفصل بوضوح هذه الخطوة الاولى عن الخطوات الاخرى وعن خطوتنا الاخيرة ، الرئيسية ان الخطوة الاولى الواجب القيام بها في الارياف ، هي تحرير الفلاح تماماً ومنحه الحقوق الكاملة ، وانشاء لجان فلاحية من اجل استعادة الاراضي المقتطعة* اما خطوتنا الاخيرة ، في المدينة كما في الريف ، فهي التالية **سننتزع جميع الاراضي وجميع المصانع من الملاكين العقاريين والبرجوازية وسنبني المجتمع الاشتراكي** ** وبين الخطوة الاولى والخطوة الاخيرة سيترتب علينا ان نناضل طويلاً **فمن يخلط بين الخطوة الاولى والخطوة الاخيرة ، فانه يسيء الى هذا النضال ؛ وكانه عن غير قصد ، يذرّ الرماد في عيون الفلاحين الفقراء .**

اما الخطوة الاولى ، فان الفلاحين الفقراء سيقومون بها بالاتفاق مع جميع الفلاحين ولكن مع العلم ان بعض الكولاك لن يقدموا عليها ، أو ان فلاحاً من اصل مئة لن يتذمر من اية عبوديّة ولكن كل الجمهور ايضاً سيناضل في هذا الميدان من اجل شيء واحد لأن الحقوق المتساوية ضرورية لجميع الفلاحين فان استعباد الملاك العقاري يكبّل ايدي الجميع واقدامهم اما الخطوة الاخيرة فان جميع الفلاحين لن يقوموا بها ابداً معاً لأن جميع الفلاحين

---

* في طبعة عام ١٩٠٥ ، وردت بعد كلمتي «الاراضي المقتطعة» الكلمات التالية «ومن اجل انتزاع الارض **كلها** من الملاكين العقاريين» **الناشر**

** في طبعة عام ١٩٠٥ ، استعيض عن النص البادى بكلمة «سننتزع» والمنتهي بكلمتي «**المجتمع الاشتراكي**» بالنص التالي «القضاء على الملكية الخاصة للارض والمصانع وبناء المجتمع الاشتراكي» . **الناشر** .

الاغنياء سيهبّون ضد الاجراء الزراعيين حينذاك ينبغي لنا تحالف متين بين الفلاحين الفقراء **والعمال الاشتراكيين-الديموقراطيين في المدن** فاذا قال احد للفلاحين انهم يستطيعون القيام دفعة واحدة بالخطوة الاولى والخطوة الاخيرة فهذا يعني انه يخدعهم وهذا يعني انه ينسى النضال الكبير القائم بين الفلاحين انفسهم النضال الكبير القائم بين الفلاحين الفقراء والفلاحين الاغنياء

لهذا لا يعد الاشتراكيون-الديموقراطيون الفلاح من **الدفعة الاولى** بالمن والسلوى وبأنهر من العسل واللبن لهذا يطلبون قبل كل شيء الحرية التامة للطبقة العاملة برمتها في نضالها في نضالها الكبير الواسع الشامل ضد البرجوازية برّمتها لهذا يشير الاشتراكيون-الديموقراطيون **الى الخطوة الاولى الواجب خطوها ، وهي خطوة صغيرة ولكنها خطوة اكيدة .**

يعتقد البعض ان مطلبنا بانشاء لجان فلاحية بغية الحد من العبودية واستعادة الاراضي المقتطعة فيما مضى انما هو ضرب من سياج نوع من سدّ فكأننا نقول قفوا لا تمضوا أبعد من ذلك ان هؤلاء القوم قد اساؤوا التفكير فيما يريده الاشتراكيون-الديموقراطيون ان مطلب انشـــاء لجان فلاحية بغية الحدّ من العبودية واستعادة الاراضي المقتطعة فيما مضى ليس سدّاً انه **باب** وينبغي اجتياز هذا الباب اولاً **من اجل المضي الى أبعد** من اجل اتباع الطريق الرحبة المفتوحة **الى النهاية** الى ان يتحرر الشعب العامل والشغيل في روسيا تحرراً تامـــاً وطالما لا يجتاز الفلاحون هذا البـــاب فانهـــم سيبقون غارقين في لجّة الجهل خاضعين للعبودية محرومين من كامل الحقوق من الحرية التامة الحقيقية بل انهـــم سيظلون عاجزين عن التمييز بين اصدقـــاء الشغيلة واعدائهم ولذا يشير الاشتراكيون-الديموقراطيون الى هذا الباب ويقولون انه ينبغي اولاً دفع هذا الباب معاً ، بجهد مشترك ،

وتحطيمه تحطيماً تامـــاً اذ ثمة اناس يقولون عن انفسهم انهم شعبيـــون واشتراكيون-ثوريون ويريدون هم ايضـــاً الخير للفلاح انهم يصرخون ويضجون ويلوّحون بالايدي ، ويريدون اسداء المساعدة ، ولكنهم لا **يرون هذا الباب** وهؤلاء القوم عميان الى حد انهـــم يقولون بانه لا ينبغي ابداً منح الفلاح حق التصرف بارضه بحرية انهم يريدون الخير للفلاح ولكنهم يفكرون احياناً مثل الاقطاعيين تماماً ان مساعدة مثل هؤلاء الاصدقاء لن تكون كبيرة الفائدة فماذا يجدي نفعاً ان تريد الخير للفلاح اذا كنت لا ترى بوضوح هذا الباب الاول الذي ينبغي تحطيمـــه ؟ وماذا يجدي نفعاً ان يطمح المرء شخصياً الى الاشتراكية اذا كان لا يرى الوسيلـــة للخروج الى طريق النضـــال الشعبي الحر من اجـــل الاشتراكية لا في المدينة وحسب بل في الريف ايضاً لا ضد الملاكين العقاريين وحسب بل **ضدّ الاثرياء في قلب المشاعة ، في قلب «المير»** ؟

لهذا يشير الاشتراكيـــونَ-الديموقراطيون بمثل هذا العنـــاد البالغ الى هذا الباب الاول والقريب جداً فليس من الصعب ابداً الاكثار من التمنيات الطيبـــة بل الصعب هو ان نبيّن بوضوح الطريق الواجب اتباعهـــا ان ندرك بوضوح **ما ينبغي القيام به لتحقيق هذه الخطوة الاولى** . ان يكون الفلاح الروسي مرهقاً باثقال العبودية ان يكون قد ظل نصف قن فذلك ما يتحدث عنه جميع اصدقائـــه ويكتبون عنه منذ اربعين سنة ان يكـــون الملاكون العقاريون ينهبون الفلاح ويستعبدونـــه بصورة فاضحة بوساطة شتى انواع الاراضي المقتطعة فيما مضى فذلك ما كتب عنه جميع اصدقـــاء الفلاح العديـــد من الكتب قبـــل ظهـــور الاشتراكيين-الديموقراطيين في روسيـــا بزمن طويـــل ان يكون من المترتب مساعدة الفلاح حـــالاً ، دون تأخير ، وتحريره الى حدّ مـــا من

العبودية ، فذلك ما يراه الآن جميع الناس الشرفاء ، وما اخذ يتحدث عنه الآن حتى موظفو حكومتنا البوليسية فالمسألة كلها تنحصر في معرفة **كيف نشرع بالامر ، كيف نخطو الخطوة الاولى** اي باب نقتحمه في بادئ الامر

على هذا السؤال يعطي مختلف الناس (ممن يريدون الخير للفلاح) جوابين مختلفين وينبغي على كل بروليتاري من بروليتاريي الارياف ان يسعى جهده لفهم هذين الجوابين فهماً جيداً وان يكوّن رأياً واضحاً دقيقاً ان جواب الشعبيين والاشتراكيين-الثوريين هو التالي انهم يقولون ينبغي اولاً تطوير شتى انواع الجمعيات (التعاونيات) في صفوف الفلاحين ينبغي توطيد «المير» ينبغي عدم منح كل فلاح حق التصرف بارضه بحرية لتتمتع المشاعة بمزيد من الحقوق ولتصبح كل الارض في روسيا مشاعية شيئاً فشيئاً * ينبغي منح الفلاحين شتى انواع التسهيلات فيما يتعلق بشراء الارض لكي تنتقل الارض من الرأسمال الى العمل بمزيد من السهولة

اما الاشتراكيون-الديموقراطيون فانهم يعطون جواباً آخر ينبغي اولاً ان يحصل الفلاح لنفسه على جميع الحقوق التي يتمتع بها النبلاء والتجار ، دون استثناء اي حق ينبغي ان يتمتع الفلاح بكامل حق التصرّف بارضه بحرية ومن اجل القضاء على اشد العبوديات بشاعة ، ينبغي انشاء لجان فلاحية بغية استعادة الاراضي المقتطعة لدن الغاء القنانة ** ان ما ينبغي لنا ليس تحالفاً

---

* في طبعة عام ١٩٠٥ ، ورد بعد كلمتي «شيئاً فشيئاً» النص التالي «لتنتزع الارض كلها من الملاكين العقاريين ولتوزع بالتساوي على من يحرثونها بانفسهم فقط» .**الناشر**

** في طبعة عام ١٩٠٥ ، ورد بعد كلمات «لدن الغاء القنانة» النص التالي : «ينبغي ان يكون للجان الفلاحية الحق في انتزاع **الارض كلها** من

مشاعياً بل تحالف الفلاحين الفقراء من مختلف المشاعات الريفية في عموم روسيـــا وتحالف بروليتاريي الارياف مع بروليتاريي المدن ان جميـع انواع الجمعيات (التعاونيـات) وعمليات شراء الارض بصورة مشاعية ستبقى ابداً ذا منفعة اكبر للفلاحين الاغنياء وستخدع الفلاح المتوسط

ان الحكومـــة الروسيـة تدرك انـــه ينبغي منح الفلاحين التسهيـلات ولكنهـــا تريد التنصل من ذلك بتوفير القشر دون اللباب انها تريد ان تفعل كل شيء باللجوء الى الموظفين فينبغي على الفلاحين ان يتسلحوا باليقظة لأن لجان الموظفين ستخدعهم كما خدعتهم لجان النبلاء ينبغي على الفلاحين ان يطالبوا بانتخاب لجان فلاحيـــة حرة فليس المقصود توقع تخفيفـات من جانب الموظفين انما ينبغي على الفلاحين ان يأخذوا مصيرهم بأيديهم لنخط اولاً خطوة واحدة ، لنحرر انفسنا اولاً من اسوأ العبوديات ، شرط ان يدرك الفلاحون قوتهـــم ، شرط ان يتفاهمـــوا ويتحدوا بحرية وما من احد اذا كان ذا وجدان يستطيع ان ينكر ان الاراضي المنتزعة فيما مضى تُستغل غالباً لتحقيق اسوأ عبوديـة اقطاعية فاضحة وما من احد اذا كان ذا وجدان يستطيع ان ينكر ان مطلبنـــا هو المطلب الاول واعدل المطالب ان يختار الفلاحون بحرية لجانهم دون موظفين بغية الغاء كل عبوديـــة اقطاعية

وفي اللجان الفلاحية الحرة (وكذلك في الجمعية الحرة لنواب عامة روسيا) سيباشر الاشتراكيون-الديموقراطيون فوراً وبكل

الملاكين العقاريين ان نواب الشعب سيقررون مـا يجب فعله **بالارض التي تخص الشعب** ولكنه يجب علينـــا ان نسعى للتوصل الى بنـاء المجتمع الاشتراكي كلياً وان لا ننسى ان اي توزيع للارض بالتساوي لن ينقذ الشعب من البؤس ما دامت سلطة النقود ، سلطة الرأسمال قائمة» . **الناشر** .

قواهم الى توطيد تحالف خاص بين بروليتاريي الارياف وبروليتاريي المدن وسيلحّ الاشتراكيون-الديموقراطيون على جميع التدابير الواجب اتخاذهـا في صالح بروليتاريي الارياف وسيساعدونهـم فوراً بعد تحقيق الخطوة الاولى ، في تحقيق الخطوة الثانية ، بأسرع وقت وبمزيد من التكاتف ثـم في تحقيق الخطوة الثالثة وهكذا دواليك حتى **انتصار البروليتاريا** التـام ولكن هل من الممكن ان نقول منذ الآن ، منذ الدفعة الاولى ، اي مطلب سيوضع على بساط البحث غداً من اجل تحقيق الخطوة الثانية ؟ كلا لا يمكننا ان نقول ذلك لأننـــا لا نعرف اي سلوك سيسلكه غداً الفلاحون الاغنيـــاء وكثير من النـاس المثقفين الذين يهتمون بشتى انواع التعاونيات وبقضية نقل الارض من الرأسمال الى العمل

قد لا ينجحون غداً في التفاهم مع الملاكين العقاريين فيريدون تسديد الضربة القاضية الى حكمهم هذا حسن جداً فالاشتراكيون-الديموقراطيون لا يطلبون خيراً من ذلك وسيوصون بروليتاريي الارياف والمدن بان يطالبوا بانتزاع كل اراضي الملاكين العقاريين وبتسليمهـا الى دولة شعبيـــة حرة وسيحرص الاشتراكيون-الديموقراطيون عن كثب على ان لا يستسلـم بروليتاريو الارياف للخداع على ان يرسخوا اكثر من ذي قبل في النضال النهائي من اجل تحرير البروليتاريا تحريراً تاماً

ولكن قد تجري الامور على غير هذا النحو بل من المحتمل اكثر ان تجري على غير هذا النحو فقد يتحد غداً الفلاحون الاغنياء وكثيرون من الناس المثقفين مع الملاكين العقاريين ، ما ان يصار الى الحد من اسوأ العبوديات حينذاك ستهب كل برجوازية الارياف ضد مجمل البروليتاريا الريفية حينذاك سيكون من السخف النضال ضد الملاكين العقاريين وحدهم حينذاك سيترتب علينا ان نناضل ضد كل البرجوازيـــة وان نطالب قبل كل شيء ، ومن اجل هذا

النضال باكبر قسط ممكن من الحرية والمدى وبشروط حياة افضل للعامل بغية تسهيل نضاله .

ان مهمتنا الاولى ، مهمتنا الرئيسية المحتومة ، هي في مطلق الحالات سواء جرت الامور على هذا النحو أو ذاك ، **توطيد التحالف بين بروليتاريي وانصاف بروليتاريي الارياف وبين بروليتاريي المدن** . ولهذا التحالف ينبغي لنا حالاً ، وفوراً ، **الحرية السياسية التامة للشعب ، والمساواة الحقوقية التامة للفلاح ، والغاء العبودية الاقطاعية** وبعد تحقيق هذا التحالف وتوطيده لن يكون من الصعب علينا فضح جميع الاكاذيب التي تلجأ اليها البرجوازية لاجتذاب الفلاح المتوسط الى جانبها وبسرعة وسهولة ، سنحقق الخطوة الثانية والثالثة والاخيرة ضد البرجوازية بكليتها ضد كل قوى الحكومة وحينذاك سنسير نحو النصر دون اي انحراف ، وسنتوصل بسرعة الى **تحرير الشعب العامل بأسره تحريراً تاماً**

٧ – النضال الطبقي في الريف

ما هو **النضال الطبقي** ؟ انه نضال قسم من الشعب ضد قسم آخر نضال جماهير الرعاع والمظلومين والشغيلة ضد اصحاب الامتيازات والظالمين والطفيليين نضال العمال الاجراء أو البروليتاريين ضد المالكين أو البرجوازية ان هذا النضال الكبير كان موجوداً دائماً وهو ما يزال قائماً الآن ايضاً في الارياف الروسية رغم ان ليس الجميع يستشفونه ويدركون مغزاه في عهد القنانة كان سواد الفلاحين يناضلون ضد ظالميهم ضد طبقة الملاكين العقاريين الذين كانت تحميهم حكومة القيصر وتدافع عنهم وتدعمهم . ولم يكن بوسع الفلاحين ان يتحدوا في

ذلك العهد لأنهم كانوا غارقين فى لجة الجهل الى ما فوق رؤوسهم ولم يكن لهم انصار ولا اخوان بين عمال المدن ولكنهم كانوا مع ذلك يناضلون كما يعرفون وكما كان بوسعهم ومـــا كانوا ليخشون قط الاضطهادات الوحشية من جانب الحكومة وما كان الذعر يدبّ في نفوسهـــم من جراء العقوبات واطلاق الرصاص وكانوا لا يصدّقون الكهنة الذين يبذلون قصارى جهدهم لتبيان ان الكتاب المقدّس يؤيد القنانة وان الله جعل منهـا امراً مشروعـاً (هكذا على وجـه الضبط كان يتكلـــم المطران فيلاريت في ذلك العهد !) كان الفلاحون ينتفضون هنا وهناك فاضطرت الحكومة الى التراجع في آخر الامر ، خوفاً من انتفاضة عامة يقوم بها الفلاحون جميعهم

وأُلغيت القنانة ولكنها لم تُلْغَ تماماً فظل الفلاحـــون محرومين من الحقوق وفئة دنيا تسحقها الضرائب فئة ســوداء تتخبط بين براثن العبودية الاقطاعية ولذا لا يزال الفلاحـون في هيجان يتحركون ساعين وراء حرية كاملة ، حقيقية ولكن بعد الغاء القنانة ظهر نضال طبقي جديد هو **نضال البروليتاريـــا ضد البرجوازية** فقد تكاثرت الثروات وبني العديد من الخطوط الحديدية والمصانع الضخمة وغدت المدن اكثر ازدحاماً بالسكان واكثر رفاهية وثراء غير ان عدداً ضئيلاً جداً من النـــاس كان يستأثر بهذه الثروات بينا الشعب يزداد فقراً وخرابـــاً ويعاني المجاعة ويمضي يشتغل عند الآخرين فشنّ عمال المدن نضالاً جديداً كبيراً ، هو نضال جميع الفقراء ضد جميع الاغنياء وهم وقد احتشدوا فى قلب **الحزب الاشتراكى-الديموقراطي** يناضلـون بعناد وثبات وبصفوف مرصوصة ، متقدمين خطوة فخطوة ، مستعدين للنضال النهائى الكبير ، مطالبين بالحرية السياسية للشعب بأسره .

واخيراً فرغ صبر الفلاحين بدورهم ففي ربيع السنة الماضية (١٩٠٢) ، انتفض الفلاحون في محافظتي بولتافا وخاركوف وغيرهما من المحافظات وهاجموا الملاكين العقاريين واقتحموا مستودعاتهم واقتسموا ممتلكاتهم ، ووزعوا على الجياع الحبوب التي بذرها وحصدها الموجيك والتي استأثر بها الملاك العقاري وطالبوا باقتسام الارض من جديد ولم يبق بوسع الفلاحين تحمّل الاضطهاد النازل بهم والذي لا مثيل له ، فأخذوا يسعون وراء مصير افضل . فقرروا – وهم على صواب في قرارهم – ان من الافضل لهم ان يموتوا في غمرة النضال ضد الطغاة من ان يهلكوا من جرّاء الجوع دون نضال ولكن احوال الفلاحين لم تتحسن فان حكومة القيصر اعلنت انهم مشاغبون ونهابون (لأنهم انتزعوا من النهّابين الملاكين العقاريين الحبوب التي بذرها الفلاحون وحصدوها !) وقد ارسلت الحكومة القيصرية الجيش ضدهم وكانت تعتبرهم اعداء وانهزم الفلاحون واطلقت قوات الجيش النار على الفلاحين وقتلت الكثيرين منهم وجلدت الكثيرين بالسوط حتى الموت وعذّبت الفلاحين كما لا يعذّب الاتراك ابداً اعداءهم ، المسيحيين . وكان رسل القيصر المحافظون ، اشدّ الجميع وحشية ، كأنهم جلادون حقيقيون. كان الجنود يغتصبون نساء الفلاحين وبناتهم . وبعد ذلك ، أحيل الفلاحون امام محكمة من الموظفين فحكمت عليهم بان يدفعوا ثمانيمائة الف روبل للملاكين العقاريين وفي هذه المحكمة ، هذه المحكمة المخزية السرية في محكمة التعذيب هذه بلغ الامر بالمشرفين عليها حدّ منع المحامين من التحدث عمّا فعله رسل القيصر الحاكم اوبولنسكي وغيره من خدم القيصر كيف جلدوا الفلاحين وعذبوهم

كانت القضية التي ناضل الفلاحون في سبيلها قضية عادلة وستكرّم الطبقة العاملة الروسية الى الابد ذكرى الشهداء الذين

اعدمهم خدم القيصر رمياً بالرصاص وجلدوهم حتى الموت كان هؤلاء الشهداء يكافحون في سبيل حرية الشعب العامل وسعادته لقد انهزم الفلاحون ولكنهم سينتفضون ايضاً وايضاً ولن يدعوا الهزيمة الاولى تثبط من عزائمهم ان العمال الواعين سيبذلون كل جهودهم لكي يعرف اكبر عدد من عمال المدن والارياف ما هو نضال الفلاحين ولكي يستعدوا في سبيل نضال جديد أوفر حظاً بالتوفيق كذلك فان العمال الواعين سيسعون بجميع قواهم الى مساعدة الفلاحين على **ان يدركوا جيداً لماذا سُحقت انتفاضة' الفلاحين الاولى** (١٩٠٢) **وما ينبغي القيام به لكي ينتصر الفلاحون والعمال لا خدم القيصر .**

لقد سُحقت انتفاضة' الفلاحين لأنها كانت انتفاضة قامت بها جماهير جاهلة غير واعية لأنها كانت انتفاضة لا مطالب **سياسية** لها واضحة ودقيقة اي دون مطلب تغيير النظام **السياسي** لقد سُحقت انتفاضة' الفلاحين لأنها **لم تهيئا** لقد سُحقت لأن التحالف بين بروليتاريّي الارياف وبروليتاريّي المدن لم يكن موجوداً حينذاك تلك هي الاسباب الثلاثة لهزيمة الفلاحين الاولى فلكي تنجح الانتفاضة ينبغي لها ان تقوم عن وعي وبعد تحضير وينبغي ان تمتد وتشمل عموم روسيا بالتحالف مع عمال المدن ان كل خطوة يخطوها نضال العمال في المدن وكل كتاب اشتراكي-ديموقراطي أو صحيفة اشتراكية-ديموقراطية وكل خطاب يلقيه عامل مدرك امام بروليتاريّي الارياف كل ذلك يقرّبنا من ساعة تجدد الانتفاضة وانتصارها

لقد هبّ الفلاحون بصورة عفوية لأنه لم يبق في وسعهم الاحتمال اكثر مما احتملوا ، لأنهم ارادوا ألا يموتوا دون ان ينبسوا ببنت شفة ودون ان يبدوا اية مقاومة لقد عانى الفلاحون من النهب والظلم والعذاب ما حملهم على الايمان لحظة واحدة بما يشاع

بصورة غامضة عن رحمة القيصر وما حملهم على الايمان بان كل انسان سليم التفكير يقر بان من العدل توزيع الحبوب على الجياع على الذين اشتغلوا طوال حياتهم من اجل الآخرين ، على الذين بذروا الحبوب وحصدوها والذين يموتون الآن جوعاً امام مستودعات حبوب «الاسياد» كان يبدو ان الفلاحين قد نسوا ان خيرة الاراضي وان جميع المصانع وجميع المعامل هي في حوزة الاغنياء في حوزة الملاكين العقاريين والبرجوازية وذلك بالضبط لكي يشتغل الناس الجياع من اجلهم لقد نسوا ان الكهنة يعظون دفاعاً عن طبقة الاغنياء وان الكهنة لا يقومون وحدهم بهذه المهمة بل ان حكومة القيصر تهبّ ايضاً بكل ما لديها من قطعان الموظفين والجنود دفاعاً عن طبقة الاغنياء وهذا ما شاءت حكومة القيصر ان تذكّر به الفلاحين فقد بيّنت لهم بأشدّ القساوة والوحشية ما هي سلطة الدولة ومن تخدم وعمن تدافع وينبغي لنا ان نذكّر الفلاحين بهذا الدرس مراراً عديدة فيدركوا حينذاك دون عناء ضرورة **تغيير النظام السياسي** وضرورة **الحرية السياسية** وحين يزداد على الدوام عدد الذين يدركون هذا الامر وحين يتوصل كل فلاح يعرف القراءة والتفكير الى معرفة **المطالب الرئيسية الثلاثة** التي ينبغي الكفاح من اجلها قبل كل شيء حينذاك لن تظل انتفاضات الفلاحين غير واعية اما هذه المطالب فهي التالية المطلب الاول عقد **جمعية شعبية للنواب بغية تشكيل حكومة شعبية منتخبة غير اوتوقراطية في روسيا** المطلب الثانى **الحرية للجميع ولكل فرد بطبع شتى انواع الكتب والصحف** المطلب الثالث **اعتراف القانون بالمساواة التامة في الحقوق بين الفلاحين وسائر الطبقات وانشاء اللجان الفلاحية المنتخبة بغية الغاء كل عبودية اقطاعية بالدرجة الاولى** تلك هي مطالب الاشتراكيين-الديموقراطيين الاساسية ، ولن يصعب على الفلاحين ان يفهموها الآن ، ان يفهموا

من اين ينبغي بدء النضال في سبيل حرية الشعب وحين يفهم الفلاحون هذه المطالب سيفهمون ايضاً انه ينبغي **الاستعداد** للنضال سلفاً وطويلاً وبعناد وثبات وحزم وانه لا ينبغي الاستعداد بصورة منفردة بل مع عمال المدن الاشتراكيين-الديموقراطيين

فليحشد كل عامل واع وكل فلاح مدرك حوله اكثر الرفاق تفهما وثقة وجرأة وليبذل كل جهده ليوضح لهم ما يريده الاشتراكيون-الديموقراطيون لكي يدرك الجميع اي نضال ينبغي القيام به وما تنبغي المطالبة به ليبدأ الاشتراكيون-الديموقراطيون الواعون ، شيئاً فشيئاً ، وباحتراس ، ولكن بعناد ، ليبدأوا باطلاع الفلاحين على مذهبهم بتوزيع الكتب الاشتراكية-الديموقراطية عليهم ، بالتعليق عليها في اجتماعات صغيرة تضم اهل ثقة

غير انه ينبغي عدم الاكتفاء بالكتب من اجل توضيح المذهب الاشتراكي-الديموقراطي انما تنبغي ايضاً الافادة من جميع الامثلة ، من جميع حالات الاضطهاد والظلم التي نراها تقع حولنا المذهب الاشتراكي-الديموقراطي هو مذهب النضال ضد كل اضطهاد ، ضد كل نهب ضد كل جور والاشتراكي-الديموقراطي الحقيقي هو من يعرف اسباب الاضطهاد **ويناضل طوال حياته ضد كل حالة من حالات الاضطهاد** ولكن كيف العمل ؟ ينبغي على الاشتراكيين-الديموقراطيين الواعين ان يجتمعوا في مدنهم وقراهم ويقرروا بانفسهم ما ينبغي القيام به من أجل اسداء اكثر ما يكون من الفائدة الى مجمل الطبقة العاملة وعلى سبيل المثال اورد حالة او حالتين لنفترض ان احد العمال الاشتراكيين-الديموقراطيين عاد الى قريته ليقضي فيها اجازته او ان احد العمال الاشتراكيين-الديموقراطيين جاء الى قرية غير قريته ان القرية ، كذبابة في شباك العنكبوت ، اسيرة برمتها بين براثن الملاك العقاري المجاور لا

تخرج من العبودية طوال حياتها ولا سبيل لها للتخلص منهـــا فينبغي حالاً اختيار اكثر الفلاحين جداً وثقة وتفهماً ، ممن يسعون وراء العدالة ولا يتراجعـــون امام اول كلب بوليسي ينبغي ان نوضح لهؤلاء الفلاحين منشأ هذه العبودية السوداء وكيف خدع الملاكون العقاريون في لجان النبلاء الفلاحين ونهبوهم ينبغي ان نحدثهم عن قوة الاغنياء وعن المساندة التي تسديها اليهم حكومة القيصر ينبغي ان نطلعهـــم على مطالب العمـــال الاشتراكيين-الديموقراطيين وحين يدرك الفلاحون كل هذه الآلية البسيطة ينبغي التفكير معاً لمعرفة ما اذا كان ثمة وسيلة للردّ معاً على هذا الملاّك العقاري ، ما اذا كان ثمة وسيلة للفلاحين بان يصوغوا مطالبهم الاولى الرئيسية (على غرار عمال المدن الذين يقدّمون مطالبهم لاصحاب المصانع) واذا كانت قرية كبيرة أو عدة قرى خاضعة لهذا الملاك العقاري فالافضل الحصـــول على **منشور** من لجنة اشتراكيـــة-ديموقراطية قريبة بواسطة جماعـــة من اهل الثقة وينبغي على اللجنة الاشتراكية-الديموقراطية ان تقول في هـــذا المنشـــور بوضوح ومنذ البداية ، اية عبودية يعانيها الفلاحون وما يطلبون بالدرجة الاولى (تخفيض بدل ايجار الارض تحديد اجرة العمـل بصورة عادية لا بنصفها في اثناء استئجار الشتـــاء (١٣٥) تخفيف الغرامات المترتب دفعها لقاء الاضرار التي تسببها الماشية ، وغير ذلك من المطالب) وعن طريق هذا المنشور يدرك جميع الفلاحين الذين يعرفون القراءة جوهر الامور ويوضحونها بدورهم للذين لا يعرفون القراءة حينذاك يدرك الفلاحون جيّد الادراك ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يقفون الى جانبهم وانهم يشجبون كـل اشكال النهب وحينذاك يدرك الفلاحون اية تخفيفات مهما كانت طفيفة ، – ولكنها تخفيفات على كل حال – يمكن الحصول عليهـــا فوراً ، من الدفعة الاولى ، اذا ما ناضلوا بصفوف متراصة ، وايـة

تحسينات كبيرة ينبغي الحصول عليها في مجمل الدولة اذا خاضوا نضـــالاً كبيراً بالتحالف مع عمـــال المدن من الاشتراكيين-الديموقراطيين حينذاك يستعد الفلاحون اكثر فأكثر لخوض هذا النضال الكبير ويتعلمون الوسيلـــة لايجاد اناس اهل للثقـــة ويتعلمون كيف ينبغي لهم ان يدافعوا معاً عن مطالبهم قد ينجحون من وقت الى آخر في تنظيم اضراب كما يفعل عمال المدن ولا ريب في ان ذلك أصعب في الريف ولكنه ممكن احياناً وقد رأينا في بلدان اخرى اضرابات مظفرة مثلا في زحمة الموسم عندما يكون الملاكون العقاريون والمزارعون الاغنياء بحاجة ماســـة الى الايدي العاملة واذا كان الفلاحون الفقراء مهيئين للاضراب اذا كان الجميع موافقين منذ زمن بعيد على المطالب العامة واذا تـم ايضاح هذه المطالب في المناشير أو اذا تم التعليق عليها بصورة جيدة في الاجتماعات فان الجميع سيصمدون ويضطر المـلاك العقاري للتراجع أو على الاقل للحد قليلاً من نهبه وسرقته واذا وقع الاضراب في زحمة الموسم واشترك فيه الجميع بصورة منظمة ، فان الملاك العقاري وحتى ولاة الشأن وجيشهم لن يجدوا بسهولـة وسيلة لمعالجة الاضراب فالوقت يمضي ومع الوقت يحل الخراب بالملاك العقاري فيخفف من تصلّبه وتشدّده يقيناً ان هـــذا امر جديد والامر الجديد لا يسير احياناً كثيرة في البدء على ما يرام في البدء كان عمال المدن هم ايضاً لا يعرفون كيـف يناضلون معاً بصورة منظمة ولا اية مطالب يصوغونها معاً كانوا يحطمون الآلات ويدمرون المصنع اما الآن فان العمال يعرفون كيف يناضلون معاً بصورة منظمة في البدء ينبغي دائمـــاً ان نتعلم ان العمال يدركون اليوم انهم لا يستطيعون الحصول ، من الدفعة الاولى الاّ على تخفيفات اذا ما هبوا معاً بصورة منظمة وخلال هذه الفترة ، يعتاد الشعب على الرد بصورة مشتركـــة ،

ويستعد اكثر فأكثر للمعركة الكبيرة الحاسمة كذلك سيتعلم الفلاحون كيف ينبغي الردّ على اشد النهّابين وحشية وكيف تنبغي المطالبة بالتخفيفات معاً وبصورة منظمة وكيف ينبغي الاستعداد شيئاً فشيئاً ، وبحزم وثبات وفي كل مكان للمعركة الكبيرة في سبيل الحرية ان عدد العمال والفلاحين الواعين سيزداد بلا انقطاع واتحادات الاشتراكيين-الديموقراطيين الريفيين ستزداد قوة يوماً بعد يوم وكل مثال على العبودية الاقطاعية على اعمال النهب والسلب التي يرتكبها الكهنة ، على اعمال الوحشية البوليسية والاضطهاد التي يقترفها ولاة الشأن سيفتح عيون الشعب أكثر فأكثر ويعوّده على الصمود الدائب وكذلك على التفكير بضرورة فرض تغيير النظام السياسي بالقوة

لقد سبق لنا ان قلنا منذ مطلع هذا الكراس ان الشعب العامل في المدينة ينزل الآن الى الشوارع والى الساحات لكي يطالب **بالحرية** علناً ، على رؤوس الاشهاد ، وقد سجّل على راياته واعلن «فلتسقط الاوتوقراطية !» وليس ببعيد ذلك اليوم الذي سيهبّ فيه الشعب العامل في المدينة لا ليتظاهر في الشوارع هاتفاً وحسب بل ليخوض المعركة الكبيرة الحاسمة وليس ببعيد ذلك اليوم الذي سيهتف فيه العمال كرجل واحد «اما ان نموت في غمرة النضال واما ان نظفر بالحرية وليس ببعيد ذلك اليوم الذي سيهب فيه الالوف من المكافحين الجدد وهم اشد حزماً وعزماً ، مكان المئات الذين استشهدوا في غمرة النضال وحينذاك سيهب الفلاحون بدورهم في عموم روسيا الى مساعدة عمال المدن الى الكفاح حتى النهاية في سبيل حرية الفلاحين والعمال ولن تكون هناك قطعان قيصرية تستطيع الصمود حينذاك وسينتصر الشعب العامل ، وتسير الطبقة العاملة في طريق واسعة رحبة نحو تحرير

جميع الشغيلة من كل اضطهاد وستفيد الطبقة العاملة من الحرية لكي تخوض النضال من اجل الاشتراكية !

برنامج حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا كما عرضته جريدة «الايسكرا» ومجلة «زاريا»

لقد سبق ان اوضحنا ما هو البرنامج ولما هو ضروري ولما كان الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الحزب الوحيد الذي يقدم برنامجاً واضحاً دقيقاً ولا يمكن اقرار البرنامج نهائياً إلاّ في مؤتمر حزبنا اي في اجتماع ممثلي جميع مناضلي الحزب وهذا المؤتمر تهيئه الآن اللجنة التنظيمية هذا مع العلم انها عديدة جداً لجان حزبنا التي اكّدت علناً موافقتها مع جريدة «الايسكرا» واعترفت بها جريدةً قائدة ولذا كان بوسع مشروع (اقتراح) برنامجنا ان يفيد كل من يريد ان يعرف بدقة ما يبتغيه الاشتراكيون-الديموقراطيون ولذا نرى من الضروري ان نقدم النصّ الكامل لهذا المشروع في ملحق لكراسنا

وبديهي ان ليس جميع العمال سيدركون ، دون تعليقات ، ما ورد في البرنامج ان الكثيرين من كبار الاشتراكيين قد اشتغلوا في وضع المذهب الاشتراكي-الديموقراطي الذي اتمّه ماركس وانجلس كذلك مرّ عمال جميع الاقطار بالكثير من المحن قبل ان يكتسبوا هذه التجربة التي نريد الافادة منها والتي نريد ان نجعلها اساساً لبرنامجنا ولذا ينبغي على العامل ان يدرس المذهب الاشتراكي-الديموقراطي لكي يفهم كل كلمة من البرنامج برنامجه **هو** ، ورايته **هو** في النضال . ان العمال يدركون ويستوعبون

البرنامج الاشتراكي-الديموقراطي بسهولة بالغة لأن هذا البرنامج يتحدث عمّا رآه وامتحنه كل عامل يفكر فلا تُنَفِّرنّ احداً «صعوبة» فهم البرنامج من الدفعة الاولى فكلما قرأ العامل وفكّر وازداد تجربة في النضال فهم البرنامج اكثر فاكثر ولكن ليفكر كل امرئ ويتعمق في **مجمل** برنامج الاشتراكيين-الديموقراطيين ليحفظ كل امرئ في ذاكرته **كل ما يريده الاشتراكيون-الديموقراطيون وما يفكرون به حول تحرير** الشعب العامل كله ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يريدون ان يدرك الجميع وكل فرد من الافراد بوضوح ودقة ، وحتى النهاية ، كل الحقيقة عن الحزب الاشتراكي-الديموقراطي

ونحن لا نستطيع هنا ان نشرح البرنامج بكل خطوطه فلهذا الغرض يقتضى كراس خاص انما نكتفي بان نقول بايجاز ما يتناوله البرنامج كما نوصي القارئ ، زيادة في الاطلاع ، بالحصول على كراسين احدهما «**برنامج ارفورت**» المترجم الى اللغة الروسية ، وهو بقلم كارل كاوتسكي الاشتراكي-الديموقراطي الألماني والثاني «**قضية العمال في روسيا**» وهو بقلم ل مارتوف الاشتراكي-الديموقراطي الروسي ان هذين الكراسين يساعدان في فهم كل برنامجنا

والآن سنعمد الى تعيين كل قسم من اقسام برنامجنا بحرف (انظر البرنامج فيما بعد) وسنتحدث عمّا يتناوله كل من هذه الاقسام

أ – ورد في مطلع البرنامج ان بروليتاريا العالم بأسره تناضل في سبيل تحررها وان البروليتاريا الروسية ليست سوى فصيلة من فصائل جيش الطبقة العاملة العالمي في جميع الاقطار

ب – ثم تناول البرنامج الانظمة البرجوازية في جميع بلدان العالم تقريباً بما فيها روسيا . وقال ان اغلبية السكان فريسة

للبؤس لانها تعمل في صالح ملاكي الاراضي والرأسماليين وان الخراب يحل بالحرفيين الصغار وبالفلاحين بينا تتكاثر المصانع الضخمة ، وان الرأسمال ينيخ بكلكله على العامل وزوجته واطفاله ، وان اوضاع الطبقة العاملة تتفاقم يوماً بعد يوم وان البؤس يشتدّ والبطالة تستشري

ج – كذلك تحدث البرنامج عن تحالف العمال وعن نضالهم وعن الهدف الكبير الذي يرمي اليه هذا النضال تحرير جميع المضطهَدين وضع حدّ نهائي لكل اضطهاد يسلطه الاغنياء على الفقراء واوضح البرنامج ايضاً لماذا تتعاظم قوة الطبقة العاملة يوماً بعد يوم ولماذا ستنتصر الطبقة العاملة حتماً على جميع اعدائها على جميع المدافعين عن البرجوازية

د – وبيّن البرنامج لماذا انشئت الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية في جميع البلدان وكيف تساعد الطبقةَ العاملةَ في النضال وكيف توحّد العمالَ وترشدهم وتعلّمهم وتهيئهم للنضال الكبير

هـ – وبيّن البرنامج لماذا يعاني الشعب في روسيا شروط حياة اسوأ مما هي عليه في سائر الاقطار واية مصيبة كبيرة هي الاوتوقراطية القيصرية وكيف ينبغي لنا ان ندكها قبل كل شيء ونقيم في روسيا حكومة شعبية منتخبة

و – اية تحسينات ستحققها الحكومة المنتخبة لعموم الشعب؟ لقد تحدثنا عن ذلك في كراسنا كما ان البرنامج تناول هذه الناحية ايضاً

ز – وفوق ذلك أوضح البرنامج اية هي التحسينات التي ينبغي الحصول عليها منذ الآن لعموم الطبقة العاملة لكي تصبح حياتها اقل صعوبة ولكي تناضل بمزيد من الحرية في سبيل الاشتراكية .

ح – واشار البرنامج بصورة خاصة الى التحسينات التي ينبغي الحصول عليها بالدرجة الاولى لعموم الفلاحين ، لكي يتمكن الفلاحون الفقراء من مواصلة النضال الطبقي ضد البرجوازية الريفية وضد عموم البرجوازية الروسية بمزيد من السهولة والحرية

ط – واخيراً نبّه الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الشعبَ الى انه ينبغي عدم تصديق اي وعد من الوعود التي يغدقها البوليس والموظفون أو اي خطاب معسول من الخطب التي يلقونها انما ينبغي النضال بثبات وحزم لكي يصار فوراً الى عقد جمعية نواب شعبية حرة

كتب في النصف الاول من آذار (مارس) ١٩٠٣
صدر بشكل كراس ، في شهر ايار (مايو) ١٩٠٣ في جينيف ؛ وقد اصدرته «العصبة الاشتراكية ـ الديموقراطية الروسية في المهجر »

المجلد ٧ ، ص‌ص ١٢٩ـ٢٠٣

المسألة القومية في برنامجنا

لقد طرحنا في مشروع برنامج الحزب مطلب جمهورية ذات دستور ديموقراطي يؤمن ، فيما يؤمن ، «الاعتراف بحق جميع الامم الداخلة في قوام الدولة في تقرير المصير» وقد بدا هذا المطلب البرنامجي للكثيرين على درجة غير كافية من الوضوح فأوضحنا في العدد ٣٣ (١٣٦) في معرض الكلام عن بيـــان الاشتراكيين-الديموقراطيين الارمن اهمية هذه النقطة على النحو التـالى ان الاشتراكية-الديموقراطية سوف تناضل على الدوام ضد كل محاولة للتأثير من الخارج ، عن طريق العنف او عن طريق اي ظلامة كانت ، على حق الامم في تقرير المصير ولكن الاعتراف بلا قيد ولا شرط بالنضال من اجل حرية تقرير المصير لا يلزمنا البتة بتأييد اي مطلب كان لحق الامم في تقريـــر المصير فان الاشتراكيـــة-الديموقراطية بوصفها حزب البروليتاريا تعتبر المساعدة في اقرار الحق في تقرير المصير لا للشعوب والامم بل للبروليتاريا في كل قومية مهمة ايجابية ورئيسية من مهامها يجب علينـــا ان نسعى دائماً ومن كل بد الى توحيد البروليتاريا من جميع القوميات اوثق التوحيد وليس في وسعنا الا في حالات منفردة استثنائية ، ان نطرح وان نؤيد بنشاط المطالب التي تميل الى انشاء دولة طبقية

جديدة او الى الاستعاضة عن الوحدة السياسية الكاملة للدولة بوحدة فيديرالية أضعف ، وما الى ذلك *

وقد استثار هذا التفسير لبرنامجنا في المسألة القومية الاحتجاج الحازم من جانب الحزب الاشتراكي البولوني (حاب) (١٣٧) ففي مقالة «موقف الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا من المسألة القومية» ("Przedświt" (١٣٨) آذار (مارس) ١٩٠٣) يعرب ح ا ب عن استيائه من هذا التفسير «المدهش» ومن «ضبابية» الحق «السرى» في تقرير المصير ويتهمنا بالجمود العقائدي وبالنظرة «الفوضوية» كأنما «ليس للعامل ما يفعله غير القضاء التام على الرأسمالية لأن اللغة والقومية والثقافة وخلافها حسبما يزعم ، هي مجرد اختلاقات برجوازية» ، وما الى ذلك

يجب ان نتناول بكل تفصيل هذا التعليل الذي يكشف مظاهر سوء الفهم العادية جداً والمنتشرة جداً بين الاشتراكيين في المسألة القومية ، يكشفها جميعها او يكاد

لماذا كان تفسيرنا «مدهشا» الى هذا الحد ؟ لماذا يُرى فيه تراجع عن المعنى «الحرفي» ؟ فهل يتطلب الاعتراف **بحق** الامم في تقرير المصير **دعم** اي مطلب لاي امة في تقرير مصيرها بنفسها ؟ فان الاعتراف **بحق** جميع المواطنين بتأليف الاتحادات الحرة لا يلزمنا البتة نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين **بدعم** تأليف اي اتحاد جديد ولا يمنعنا البتة عن ابداء رأينا وعن التحريض ضد لاعقلانية ولامعقولية فكرة تأليف اتحاد جديد ما معني نحن نعترف حتى للجزويت **بحق** القيام بالتحريض الحر ولكننا نناضل (وليس بالطريقة البوليسية نناضل بالطبع) ضد اتحاد الجزويت

* راجع مقال لينين «بصدد بيان «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الارمن»» . **الناشر** .

والبروليتاريين ولهذا حين تقول "Przedświt„ «اذا كان ينبغي فهم مطلب حرية تقرير المصير فهماً حرفياً (وهذا المعنى اضفيناه عليه حتى الآن) فمن شأنه في هذه الحال ان يرضينا» ، – فانه من الواضح تماماً ان ح ا ب بالذات هو الذي ينحرف عن المعنى الحرفي للبرنامج ان خلو استنتاجه من المنطق هو امر لا ريب فيه من الناحية الشكلية

ولكننا لا نريد ان نكتفي بالتحقق الشكلي من تفسيرنا . لنطرح المسألة مباشرة ومن حيث جوهر الامر أينبغي على الاشتراكية-الديموقراطية من كل بد ان تطالب دائماً بالاستقلال الوطني ام فقط في ظروف معينة واي ظروف بالذات ؟ ان ح ا ب قد حل دائماً هذه المسألة في صالح الاعتراف بلا قيد ولا شرط ولهذا لا نعجب البتة من لطفه حيال الاشتراكيين-الثوريين الروس الذين يطالبون بانظمة الدولة الفيديرالية مؤيدين «الاعتراف الكامل وغير المشروط بحق الامم في تقرير المصير» («ريفولوتسيونايا روسيا» العدد ١٨ مقالة «الاستعباد القومي والاشتراكية الثورية») ومن المؤسف ان هذا لا يعدو ان يكون جملة من تلك الجمل البرجوازية الديموقراطية التي تبين مئة مرة والف مرة الطبيعة الحقيقية لما يسمى بحزب من يسمون بالاشتراكيين-الثوريين وان ح ا ب ، الذي استسلم لاغراء هذه الجمل ، وافتتن بهذه الضجة ، يثبت بدوره بذلك ان صلته بنضال البروليتاريا الطبقي ضعيف في وعيه النظري ونشاطه السياسي فلمصالح هذا النضال على وجه الضبط يجب ان **نُخضع** مطلب حق الامم في تقرير المصير وفي هذا الشرط على وجه الضبط يقوم **الفرق بين** طرحنا للمسألة القومية وبين طرحها البرجوازي الديموقراطي فان الديموقراطي البرجوازي (وكذلك الانتهازي الاشتراكي المعاصر الذي يعتفي خطواته) يتصور ان الديموقراطية

تزيل النضال الطبقي ولهذا السبب يطرح جميع مطالبه السياسية بصورة مجردة بدون تمييز «بلا قيد ولا شرط» من وجهة نظر مصالح «الشعب كله» او حتى من وجهة نظر المبدأ-المطلق الاخلاقي الابدي ولكن الاشتراكي-الديموقراطي يفضح في كل مكان وزمان هذا الوهم البرجوازي بلا رحمة ولا هوادة سواء انعكس في فلسفة مثالية مجردة ام في طرح مطلب الاستقلال الوطني بلا قيد ولا شرط

واذا كان لا بد ايضاً من البرهنة على ان الماركسي لا يستطيع ان يعترف بمطلب الاستقلال الوطني الا بصورة مشروطة وبالشرط المشار اليه اعلاه على وجه الضبط ، فاننا نسوق كلمات كاتب كان قد **دافع** من وجهة النظر الماركسية عن طرح البروليتاريين البولونيين لمطلب بولونيا المستقلة فقد كتب كارل كاوتسكي في عام ١٨٩٦ في مقال "Finis Poloniae?„ * «ما دامت البروليتاريا البولونية تهتم بالمسألة البولونية فلا يسعها ان لا تطالب باستقلال بولونيا ولا يسعها بالتالي ان لا ترحب بكل خطوة يمكن القيام بها الآن في هذا الاتجاه لأن مثل هذه الخطوة يتطابق على العموم مع المصالح الطبقية للبروليتاريا المناضلة العالمية»

ويواصل كاوتسكي قائلا «وهذا التحفظ من الضروري الاعراب عنه في كل حال **فان الاستقلال الوطني لا يرتبط بالمصالح الطبقية للبروليتاريا المناضلة ارتباطاً لا انفصام له الى حد انه كان ينبغي السعي وراءه بلا قيد ولا شرط ، ايا كانت الظروف** ** ان ماركس وانجلس قد ناديا باشد الحزم بتوحيد

---

* ــ «نهاية بولونيا ؟» **الناشر** .

** حرف التاكيد لنا .

ايطاليا وتحريرها ولكن هذا لم يمنعهما من الاعتراض في عام ١٨٥٩ على اتحـــاد ايطاليـــا مع نابليـــون "Neue Zeit„) XIV, 2, S. 520) (١٣٩)

انتم ترون ان كاوتسكي يرفض قطعاً مطلب استقلال الامم **بدون قيد او شرط** ويطالب قطعاً بطرح المسألة لا على الصعيد التاريخي بوجه عام وحسب بل ايضاً على الصعيد الطبقي بوجه الدقة واذا عدنا الى الكيفية التي طرح بهـــا ماركس وانجلس المسألة البولونية فاننا نرى انهما هما ايضاً طرحاها على هذا النحو بالذات منذ بادئ بدء وقد خصصت «الجريدة الرينانية الجديدة» (١٤٠) مكاناً كبيراً للمسألة البولونية وطالبت قطعاً لا باستقلال بولونيا وحسب بل ايضاً بحرب تشنها المانيا على روسيا من اجل بولونيا ولكن ماركس انقض في هذا الوقت نفسه على روغه الذي تكلم في برلمان فرانكفورت (١٤١) مطالباً بحرية بولونيا حالاً المسألة البولونيـــة بوساطة الجمل والتعابير البرجوازية الديموقراطية وحدها عن «الظلم المخزي»، دون ان يقوم باي تحليل تاريخي ان ماركس لم يكن من عداد اولئك المتحذلقين والتافهين الضيقي الافق الناطقين باسم الثورة الذين يخشون اشد ما يخشون «المناظرات» في اللحظات التاريخية الثورية ولقد انهال ماركس بالتهكمات التي لا رحمة فيها ولا هوادة على المواطن «الانساني» روغه وبيّن له بمثال اضطهاد فرنســـا الجنوبية من قبل فرنسا الشمالية ان ليس اي اضطهاد قومي وليس دائماً يستتبع طموحاً الى الاستقلال مشروعاً من وجهة نظـــر الديموقراطية والبروليتاريا واستشهـــد ماركس بالظروف الاجتماعية الخاصة التي «جعلت من بولونيا جزءاً ثورياً من روسيا والنمسا وبروسيا وحتى طبقة النبلاء البولونيين التي كانت لا تزال قائمة جزئياً في تربة الاقطاعية ، انضمت بتفان لا نظير له

الى الثورة الزراعية الديموقراطية كانت بولونيا قد غدت بؤرة الديموقراطية الاوروبية بينما كانت المانيا لا تزال تعيش بخمول في حمأة ايديولوجية دستورية وفلسفية مزوّقة في منتهى الخساسة وما دمنا نحن (الالمان) نساعد في اضطهاد بولونيا ما دمنا نسمر جزءاً من بولونيا الى المانيا ، – فاننا سنبقى نحن انفسنا مسمَّرين الى روسيا والى السياسة الروسية ولن نتمكن من التحرر بصورة جذرية في بلادنا ايضاً من الحكم المطلق البطريركي الاقطاعي ان تأسيس بولونيا الديموقراطية هو الشرط الاول لتأسيس المانيا الديموقراطية» (١٤٢)

لقد استشهدنا بهذه الاقوال بمثل هذا التفصيل لأنها تبين بجلاء في اي ظروف تاريخية نشأت تلك الطريقة في طرح المسألة البولونية في الاشتراكية-الديموقراطية العالمية التي دامت طوال النصف الثاني كله تقريباً من القرن التاسع عشر ان عدم الاكتراث بالظروف التي تغيرت مذ ذاك والدفاع عن الحلول القديمة التي تقدمت بها الماركسية انما يعنيان الامانة لحرف المذهب لا لروحه انما يعنيان تكرار الاستنتاجات السابقة المحفوظة عن ظهر قلب دون معرفة الاستفادة من اساليب البحث الماركسي لأجل تحليل الوضع السياسي الجديد آنذاك والآن – عهد الحركات الثورية البرجوازية الاخيرة وعهد الرجعية المستميتة وتوتر جميع القوى اقصى التوتر عشية الثورة البروليتارية – يختلفان بينهما اشد الاختلاف **آنذاك** كانت بولونيا بالذات ثورية برمتها وليس الفلاحون وحدهم بل سواد طبقة النبلاء ايضاً وكانت تقاليد النضال من اجل التحرر الوطني قوية وعميقة الى حد ان خيرة ابناء بولونيا راحوا بعد الهزيمة في وطنهم يدعمون الطبقات الثورية في كل مكان وان ذكرى دومبروفسكي وفروبليفسكي ترتبط بصورة لا انفصام لعراها باعظم حركة للبروليتاريا في القرن التاسع عشر ،

بآخر – وسوف نأمل بان تكون الاخيرة الفاشلة – انتفاضة قام بها عمال باريس (١٤٣) **آنذاك** كان انتصار الديموقراطية الكامل في اوروبا امراً مستحيلاً بالفعل بدون بعث بولونيا **آنذاك** كانت بولونيا بالفعل حصن الحضارة ضد القيصرية الفصيلة الطليعية للديموقراطية اما **الآن** فان الطبقات الحاكمة في بولونيا والنبلاء العقاريين الصغار في المانيا والنمسا وطواغيت الصناعة والمال في روسيا يناصرون الطبقات الحاكمة في البلدان التي تضطهد بولونيا ؛ وتناضل البروليتاريا الالمانية والروسية في سبيل تحررها الى جانب البروليتاريا البولونية التي تبنت ببطولة التقاليد العظيمة لبولونيا الثورية القديمة **والآن** يعترف ممثلو الماركسية الطليعيون في البلد المجاور الذين يراقبون بانتباه تطور اوروبا السياسي والذين يزخرون بالتعاطف على نضال البولونيين الباسل ، – يعترفون مع ذلك بصراحة قائلين «لقد صارت بطرسبورغ في الوقت الحاضر مركزاً ثورياً أهم بكثير من فرصوفيا والحركة الثورية الروسية تتمتع الآن باهمية عالمية اكبر من التي تتمتع بها الحركة الثورية البولونية» هكذا قال كاوتسكي فى عام ١٨٩٦ في دفاعه عن جواز مطلب بعث بولونيا في برنامج الاشتراكيين-الديموقراطيين البولونيين اما في عام ١٩٠٢ فقد خلص مهرينغ بعد دراسة تطور المسألة البولونية منذ ١٨٤٨ حتى الوقت الحاضر ، الى الاستنتاج التالي «لو ان البروليتاريا البولونية سجلت على رايتها مطلب بعث الدولة الطبقية البولونية التي لا تريد الطبقات الحاكمة نفسها حتى ان تسمع بها للعبت دوراً كوميدياً مازحاً تاريخياً فمثل هذه المغامرة تحدث للطبقة المالكة (كما حدث ، مثلاً ، لطبقة النبلاء البولونيين في عام ١٧٩١) ولكنه لا ينبغي للطبقة العاملة ان تنحط الى هذا اما اذا عرضت هذه الطوبوية الرجعية امام الملأ لأجل اجتذاب تلك الفئات من المثقفين والبرجوازية الصغيرة ، التي لا

يزال يوجد بينها صدى معين للتحريض القومي الى جانب التحريض البروليتاري فان هذه الطوبوية تستحق والحالة هذه الشجب مرتين بوصفها تجلياً لتلك الانتهازية غير اللائقة التي تضحي بالمصالح العميقة للطبقة العاملة في سبيل نجاحات موقتة تافهة ورخيصة

ان هذه المصالح تقضي قطعاً على العمال البولونيين في جميع الدول الثلاث التي تتقاسم بولونيا بان يناضلوا مع رفاقهم في الوضع الطبقي كتفاً الى كتف بدون اي سريرة وقد مرت تلك الازمنة التي كان بمقدور الثورة البرجوازية فيها ان تبني بولونيا حرة وفي الوقت الحاضر لا يمكن بعث بولونيا الا عن طريق الثورة الاجتماعية التي تحطم فيها البروليتاريا المعاصرة سلاسلها»

نحن نوافق كلياً على استنتاج مهرينغ هذا ولكننا نلاحظ فقط ان هذا الاستنتاج يبقى صحيحاً تماماً ايضاً فيما اذا لم نمض في التعليل بعيداً بقدر ما يمضي مهرينغ فلا ريب في ان وضع المسألة البولونية الحالي يختلف اختلافاً جذرياً عما كان عليه الامر منذ ٥٠ سنة ولكنه لا ينبغي اعتبار هذا الوضع الحالي ابدياً ولا ريب في ان التناحر الطبقي قد دفع القضايا القومية الآن بعيداً الى الوراء، ولكنه لا يجوز التأكيد قطعاً دون السقوط في حمأة الجمود العقائدي انه يستحيل ان تظهر موقتاً في مقدمة حلبة المأساة السياسية هذه المسألة القومية وتلك في آن واحد ولا ريب في ان بعث بولونيا قبل سقوط الرأسمالية امر قليل الاحتمال للغاية، ولكنه لا يجوز القول انه امر مستحيل اطلاقاً وانه لا يمكن للبرجوازية البولونية ان تقف في ظروف معينة الى جانب الاستقلال، والخ والاشتراكية-الديموقراطية الروسية لا تقيد يديها في شيء. وهي تأخذ بالحسبان **جميع** الظروف الممكنة وحتى جميع الظروف التي يمكن **ان تخطر في البال** على العموم، حين تسجل في برنامجها

حق الامم في تقرير مصيرها ان هذا البرنامج لا يستبعد البتة ان تجعل البروليتاريا البولونية من الجمهورية البولونية الحرة والمستقلة شعاراً لها ، رغم ان حتى احتمال تحقيق هذا قبل الاشتراكية ضئيل للغاية ولكن هذا البرنامج يطالب فقط بان لا يفسد الحزب الاشتراكي فعلاً الوعي البروليتاري ولا يطمس النضال الطبقي ولا يغري الطبقة العاملة بالجمل البرجوازية الديموقراطية ولا يخالف وحدة نضال البروليتاريا السياسي المعاصر وفي هذا الشرط بالذات الذي لا نعترف بحق تقرير مصيرها الا بموجبه يكمن الجوهر كله وعبثاً يحاول الحزب الاشتراكي البولوني ان يصور الامور كأنّ ما يفصله عن الاشتراكيين-الديموقراطيين الالمان او الروس انما هو انكارهم لحق تقرير المصير لحق السعي وراء جمهورية مستقلة حرة فليس هذا بل نسيان وجهة النظر الطبقية وطمسها بالشوفينية وانتهاك وحدة النضال السياسي المعني – كل ذلك هو الذي لا يتيح لنا ان نرى في حزب اشتراكياً-ديموقراطياً عمالياً فعلاً اليكم ، مثلاً كيف يطرح حزب المسألة في المعتاد بفصل بولونيا يمكننا ان نضعف القيصرية فقط اما الاطاحة بها فيجب على الرفاق الروس ان يقوموا بها» او ايضاً بالقضاء على الاوتوقراطية نقرر بكل بساطة مصيرنا بحيث ننفصل عن روسيا» انظروا الى اي استنتاجات فظيعة يؤدي هذا المنطق الفظيع حتى من وجهة نظر مطلب البرنامج ببعث بولونيا **بما** ان بعث بولونيا هو احدى عواقب التطور الديموقراطي المحتملة (ولكن التي لا ريب في انها غير مؤمنة بالتأكيد في ظل سيادة البرجوازية) **لهذا السبب** ، لا ينبغي للبروليتاريا البولونية ان تناضل مع البروليتاريا الروسية من اجل الاطاحة بالقيصرية بل «فقط» من اجل اضعافها عن طريق فصل بولونيا **وبما** ان القيصرية الروسية

تعقد تحالفاً اوثق فأوثق مع البرجوازيات والحكومات الالمانيـــــة والنمساوية والخ ، **لهذا السبب** يجب على البروليتاريا البولونية ان تضعف تحالفها مع البروليتاريا الروسية والالمانية وخلافهما التى تناضل الآن معها ضد النير **الواحد ذاته** وهذا يعني امراً واحداً فقط ، هو التضحية باكثر مصالح البروليتاريا حيوية في سبيل فهم الاستقلال الوطني فهماً برجوازياً ديموقراطياً ان تفكك روسيـــا الذي يريد ح اب السعي اليه يبقى ، **خلافاً** لهدفنا وهو الاطاحـــة بالاوتوقراطية ، وسوف يبقى جملة فارغة ، ما دام التطور الاقتصادي يرص مختلف اجزاء كل سياسي واحد بمزيد من الوثوق وما دامت برجوازية جميع البلدان تتحد بتكاتف اشد فأشد ضـــد عدوهـا المشترك البروليتاريا ومن اجل حليفها المشترك ، القيصر اما **تفكك قوى البروليتاريا** التي تتعذب الآن تحت نير هذه الاوتوقراطية ، فهو بالمقابل واقع مؤسف وهو نتيجة مباشرة لخطأ ح اب نتيجة مباشرة لاستخذائه امام الصيغ البرجوازيـــة الديموقراطية ولاغماض العين عن تفكك البروليتاريا هذا يضطر ح اب للانحطاط الى درك الشوفينيـــة ولعرض نظرات الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس مثلاً على النحو التالي «يجب علينا (نحن البولونيين) ان ننتظر الثورة الاجتماعية ، وان نتحمـــــل بصبر حتى ذاك النير القومي» هذا خطأ جلي فان الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس لم ينصحوا يوماً بشيء من هذا القبيل ، وليس هذا وحسب بل على العكس يناضلون هم انفسهم ويدعون البروليتاريا الروسية كلها الى النضال ضد كل نير قومي في روسيـــــا ويسجلون في برنامجهم لا المساواة التامة في الحقـــوق بين اللغات والقوميات وخلافها وحسب ، بل ايضاً الاعتراف بحق كل امة في تقرير مصيرها بنفسها واذا كنا اذ نعترف بهذا الحق **نخضع** دعمنا مطلـــب الاستقلال الوطني لمصالح النضال البروليتـــــاري ، فليس غير

الشوفيني من يمكنه ان يفسر موقفنا بعدم ثقة الروسي بالغريب لأنه يجب الزاماً ان ينبع هذا الموقف بالفعل من عدم ثقة البروليتاريا الواعية بالبرجوازية ان ح اب يرى كأنّ المسألة القومية **تنحل** بنقيضها «نحن» (البولونيين) و«هم» (الالمـــــان والروس وخلافهم) اما الاشتراكي-الديموقراطي فانه يضع في المرتبة الاولى النقيض «نحن» – البروليتاريا و«هم» – البرجوازية «نحن» البروليتاريين رأينا عشرات المرات كيف **تخون** البرجوازية مصالح الحرية والوطن واللغة والامة حين تنتصب البروليتاريا الثورية امامها لقد رأينا كيف سلمت البرجوازية الفرنسية نفسها الى البروسيين في فترة عانت فيها الامة الفرنسية من الاضطهاد والاذلال اشدّهما وكيف تحولت حكومة الدفاع الوطني الى حكومة لخيانة الشعب وكيف استدعت برجوازية الامة المضطهدة الى نجدتها جنود الامة المضطهِدة لأجل قمع ابناء وطنها البروليتاريين الذين تجاسروا ومدوا يدهم الى السلطة ولهذا سنقول دائماً للعامل البولوني دون ان نرتبك اطلاقاً بالحملات الشوفينيية والانتهازية ان اكمل واوثق التحالف مع البروليتاريا الروسية هو وحده القادر على تلبية مطالب النضال السياسي الجاري المعني ضد الاوتوقراطية وهذا التحالف وحده هو الذي سيعطي ضمانة التحرر السياسي والاقتصادي التام

ان ما قلناه على المسألة البولونية يصح كلياً على اي مسألة قومية اخرى فان تاريخ الاوتوقراطية اللعين قد ترك لنا بالارث **تنابذاً** هائلاً بين الطبقات العاملة من مختلف الشعـــــوب التي تضطهدها هذه الاوتوقراطية وهذا التنابذ هـــو الشر الاكبر العقبة الكبرى في النضال ضد الاوتوقراطية وينبغي لنـــا ان لا نضفي على هذا الشر قوة القانون ونقدّس هذه القباحـــة باي «مبادئ» من الوضع الخاص الحزبي او من «الفيديرالية» الحزبية يقيناً انه من الابسط والاسهل ان نسير في خط الحد الادنى مـن

المقاومة وان يدبر كل منا اموره في زاويته حسب القاعدة القائلة «لا دخل لي في هذا» ، كما يريد البوند الآن ان يدبر اموره وبقدر ما ندرك ضرورة الوحدة وبقدر ما نزداد اقتناعاً باستحالة الضغط المشترك على الاوتوقراطية بدون الوحدة التامة وبقدر ما تشتد حدة الزامية تنظيم النضال تنظيماً مركزياً في ظل اوضاعنا السياسية ، – بقدر ما يقل ميلنا الى الاكتفاء الى حل المسألة حلاً «بسيطا» ولكنه ظاهري وزائف كلياً من حيث جوهره فاذا لم يتوفر ادراك ضرر التنابذ ، واذا لم تتوفر الرغبة في وضع حد لهذا التنابذ في معسكر الحزب البروليتاري بصورة جذرية وباي ثمن كان – فلا داعي آنذاك الى اوراق تين «الاتحاد» ولا داعي آنذاك الى الانصراف الى حل مسألة لا يريد احد «الاطراف» ان يحلها حقاً وفعلاً ومن الافضل آنذاك ان ندع دروس التجربة الحياتية والحركة الفعلية تقنع بضرورة المركزية لأجل نجاح نضال البروليتاريا من اي شعب كان تخنقه الاوتوقراطية ضد هذه الاوتوقراطية وضد البرجوازية العالمية التي تتحد بوثوق متزايد ابداً

«الايسكرا» ، العدد ٤٤ ، ١٥ تموز (يوليو) ١٩٠٣

المجلد ٧ ، ص‌ص ٢٣٣–٢٤٢

بداية الثورة في روسيا

جينيف ، الأربعاء ، ٢٥ (١٢) كانون الثاني (يناير)

تجري في روسيا حوادث تاريخية عظمى فالبروليتاريا قد انتفضت على القيصرية لقد دفعت الحكومة بالبروليتاريا حتى الانتفاض ولا نحسب الآن ان ثمة مجالا للشك بأن الحكومة قد تعمدت فسح المجال امام الحركة الاضرابية كي تتسع دون عائق نسبياً وكي تبدأ المظاهرة الواسعة رغبة منها في ان تدفع بالامور الى حد استخدام القوات العسكرية وقد دفعت بالامور الى هذا الحد فحاصل الأحد الدامي في بطرسبورغ احد ٩ كانون الثاني (يناير) (١٤٤) قد كان الوف القتلى والجرحى لقد انتصرت العساكر على العمال العزل والنساء والاطفال تغلبت العساكر على العدو مطلقة الرصاص على العمال الصرعى وبقحة يعجز وصفها القلم واللسان يقول اليوم خدم القيصر واندالهم في صفوف البرجوازية الأوروبية المحافظة «لقد القينا عليهم درساً طيباً !»

اجل لقد كان الدرس بليغاً ولن تنسى البروليتاريا الروسية هذا الدرس ففئات الطبقة العاملة الأقل دربة والأشد تأخراً الفئات التي كانت تؤمن بالقيصر ايماناً ساذجاً والتي كانت ترغب صادقة في ان تتقدّم سلمياً من «القيصر نفسه» بطلبات الشعب

المرهق ، قد تلقت جميعها درساً من القوات المسلحة التي يقودها القيصر او عم القيصر الأمير الكبير فلاديمير

تلقت الطبقة العاملة درساً بليغاً في الحرب الأهلية فتربية البروليتاريا تربية ثورية قد خطت الى الأمام خلال يوم واحد خطوة ما كان يمكن ان تخطو مثلها خلال اشهر بل سنين من حياة الركود اليومية البليدة ان شعار بروليتاريا بطرسبورغ الباسلة «الموت او الحرية يتردد اليوم كالصدى في جميع اصقاع روسيا ان الأحداث تتطور بسرعة مذهلة يتسع الاضراب العام في بطرسبورغ وقد اصاب الشلل الحياة الصناعية والاجتماعية والسياسية كلها ففي يوم الاثنين ١٠ كانون الثاني (يناير) اصبحت اصطدامات العمال بالعساكر اشد عنفاً وعلى الرغم من البلاغات الحكومية الكاذبة تسيل الدماء في الكثير الكثير من انحاء العاصمة وينهض عمال كولبينو ان البروليتاريا تتسلح وتسلح الشعب ويقال ان العمال قد استولوا على مستودغ الاسلحة في سيستروريتسك ويتزود العمال بالمسدسات ويصنعون لأنفسهم الأسلحة من ادواتهم ويحصلون على القنابل لنضال مستميت في سبيل الحرية ويشمل الاضراب العام الأقاليم فقد اضرب في موسكو ١٠ آلاف شخص وتقرر ان يبدأ غداً (الخميس ١٣ كانون الثاني – يناير) الاضراب العام في موسكو واندلع عصيان في ريغا ويتظاهر العمال في لودز ، ويحضر الانتفاض في فرصوفيا، وتجري مظاهرات البروليتاريا في هلسينغفورس وفي باكو واوديسا وكييف وخاركوف وكوفنو وفيلنو يشتد الغليان بين العمال ويتسع الاضراب وفي سيباستوبول تحترق المستودعات وترسانة المصلحة البحرية ويرفض الجنود اطلاق النار على البحارة الثائرين اضراب في ريفيل وفي ساراتوف . اصطدام مسلح بين الجنود والعمال والاحتياط في رادوم .

الثورة في اتساع وبدأت الحكومة تضطرب فهي تحاول الانتقال من سياسة القمع الدامي الى سياسة التنازلات الاقتصادية، تحاول الخلاص بصدقات او بوعد بتحديد يوم العمل بتسع ساعات غير انه لا يمكن لدرس اليوم الدامي ان يذهب سدى وينبغي لمطلب عمال بطرسبورغ الثائرين – الدعوة دون ابطاء لعقد جمعية تأسيسية على اساس الحق الانتخابي العام المباشر والمتساوي والسري – ان يصبح مطلب جميع العمال المضربين اسقاط الحكومة على الفور – بهذا الشعار اجاب على مذبحة ٩كانون الثاني (يناير) حتى عمال بطرسبورغ الذين كانوا يؤمنون بالقيصر وقد اجابوا بلسان زعيمهم الكاهن غيورغي غابون الذي قال بعد هذا اليوم الدامي «لم يبق لدينا قيصر فنهر من الدماء يفصل القيصر عن الشعب عاش النضال في سبيل الحرية !»

ونهتف نحن عاشت البروليتاريا الثورية يستنهض الاضراب العام ويعبئ جماهير اوسع فأوسع من الطبقة العاملة ومن فقراء المدن ان تسليح الشعب يصبح مهمة من المهام المباشرة في هذا الظرف الثوري .

ان الشعب المسلح هو وحده القادر على ان يكون الدعامة الحقيقية لحرية الشعب وبمقدار ما يتيسر للبروليتاريا ان تتسلح بسرعة وبمقدار ما تصمد في موقعها العسكري بصفة مضرب ثوري بمقدار ما تقرب ساعة حلول الرعدة في العساكر ويزداد بين الجنود عدد الناس الذين يفقهون في نهاية الأمر ما يفعلون والذين يقفون الى جانب الشعب ضد الوحوش ضد الطاغية ضد قتلة العمال العزل وزوجاتهم واولادهم وكيفما كانت نهاية الانتفاض الحالي في بطرسبورغ نفسها فلا مفر ولا مناص من ان يصبح على كل حال الدرجة الأولى في اتجاه انتفاض اوسع واوعى

واحسن اعداداً قد تفلح الحكومة في تأخير ساعة العقاب غير ان التأخير إن اسفر عن شيء فانه يسفر عن جعل الخطوة التالية في الهجوم الثوري اشد جسامة التأخير لن يكون غير فرصة تغتنمها الاشتراكية-الديموقراطية لرص صفوف المناضلين المنظمين ولنشر انباء مبادرة عمال بطرسبورغ ستنضم البروليتاريا الى النضال تاركة المصانع والمعامل ومعدّة لنفسها الأسلحة وستتغلغل شعارات النضال في سبيل الحرية اوسع فأوسع في وسط فقراء المدن وفي وسط الملايين من الفلاحين وستتأسس اللجان الثورية في كل مصنع وفي كل حي من احياء المدن وفي كل قرية كبيرة لحد ما وسيأخذ الشعب الثائر باسقاط جميع دوائر حكومة الحكم القيصري المطلق منادياً بعقد الجمعية التأسيسية على الفور

ان التسليح الفوري للعمال وسائر المواطنين بوجه عام وتحضير وتنظيم القوى الثورية بغية القضاء على السلطات والدوائر الحكومية هو الأساس العملي الذي يمكن ويجب له ان يصبح الصعيد الذي يلتقي عليه جميع الثوريين على اختلافهم بقصد توجيه الضربة المشتركة ينبغي للبروليتاريا ان تسير ابداً في طريقها المستقل دون ان تضعف صلاتها بالحزب الاشتراكي-الديموقراطي ودون ان تنسى اهدافها النهائية العظمى الرامية الى تخليص البشرية كلها من الاستثمار بجميع اشكاله غير ان استقلال الحزب البروليتاري الاشتراكي-الديموقراطي هذا لن يحملنا قط على نسيان اهمية الهجوم الثوري المشترك في زمن الثورة الحقيقية فبوسعنا ومن واجبنا نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين ان نسير مستقلين عن ثوريي الديموقراطية البرجوازية وان نصون استقلال البروليتاريا الطبقي ولكن يجب علينا ان نسير يداً بيد اثناء الانتفاض اثناء توجيه الضربات المباشرة للقيصرية اثناء صد الجيش ، اثناء شن الهجوم على حصون العدو اللعين ، عدو الشعب الروسي كله .

بفروغ صبر وبرجاء تتطلع الآن البروليتاريا في العالم بأسره الى البروليتاريا في روسيـــا من اقصاها الى اقصاها فاسقاط القيصرية في روسيا الذي بدأته طبقتنا العاملة ببطولة سيكون نقطة انعطاف في تاريخ جميع البلدان وتسهيلاً لقضية جميع العمال في جميع الامم وجميع الدول وفي جميع ارجاء الكرة الارضية وعلى كل اشتراكي-ديموقراطي على كل عامل مدرك ان يتذكر مبلغ عظمة مهام النضال الشعبي العام الملقاة الآن على كاهليه وعليه ألا ينسى انه يمثل كذلك حاجات ومصالح جميع الفلاحين ، جميع جماهير الكادحين والمستثمَرين عليه ألا ينسى انه يمثل حاجات ومصالح الشعب كله ضد عدو الشعب كله ان المثل الذي ضربـــه الأبطـــال بروليتاريو بطرسبورغ ماثل اليوم امام انظار الجميع

عاشت الثورة !

عاشت البروليتاريا الثائرة !

«فبريود» ، العدد ٤ ، ٣١ (١٨) المجلـــد ٩
كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ ص ص ٢٠١ـ٢٠٤

ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين
الديموقراطية الثورية

ان مسألة اشتراك الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الثورية الموقتة انما يطرحها في جدول الاعمال سيـــر الاحداث اقل ممـــا تطرحها المحاكمات النظرية التي يتقـــدم بها الاشتراكيـــون-الديموقراطيون من احد الاتجاهات وقد سبق لنا وحللنـــا في مقالتين ساخرتين (في العددين ١٣ و١٤) محاكمات مارتينوف * الذي كان اول من اثار هذه المسألة ولكنه يتبين ان الاهتمام بها لعلى درجة من العظمة ومظاهر سوء الفهم الناجمة عن المحاكمات المشار اليها (انظر على الاخص العدد ٩٣ من «الايسكرا») لعلى درجة من الضخامة بحيث انه من الضروري التوقف مرة اخرى عند هذه المسألة وكيفما قدّر الاشتراكيون-الديموقراطيون الاحتمال القائل بانه سيتعين علينا في المستقبل القريب ان نحل هذه المسالـــة وليس من الناحية النظرية وحسب فان وضوح الاهداف المباشرة ضروري لأجل الحزب فبدون جواب واضح عن هذه المسألة اصبح من المستحيل الآن الدعاية والتحريض المتمالكان الخاليان من التذبذب او من التحفظ في الكلام

---

* راجع مقال لينين «الاشتراكية-الديموقراطية والحكومة الثوريـــة الموقتة» . **الناشر** .

لنحاول بعث جوهر المسألة المختلف عليها اذا شئنا لا مجرد تنازلات من الاوتوقراطية بل الاطاحة بها حقا فانه يتعين علينا ان نتوصل الى الاستعاضة عن الحكومة القيصرية بحكومة ثورية موقتة تعمد من جهة الى عقد جمعية تأسيسية على اساس حق الاقتراع العام والمباشر والمتساوي والسري فعلاً ويكون بمقدورها من جهة اخرى ان تطبق فعلاً الحرية العامة اثناء الانتخابات وهنا نتساءل هل يجوز لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي ان يشترك في مثل هذه الحكومة الثورية الموقتة ؟ هذا السؤال طرحه للمرة الاولى ممثلو الجناح الانتهازي في حزبنا وعلى وجه الضبط مارتينوف وذلك حتى قبل ٩ كانون الثاني (يناير) علماً بانه هو و«الايسكرا» في اثره قد حلا هذه المسألة سلباً فقد حاول مارتينوف ان يدفع الى حد الخراقة نظرات الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين **مخيفاً** اياهم بانه في حال نجاح العمل في تنظيم الثورة في حال قيادة الانتفاضة الشعبية المسلحة من جانب حزبنا **سيتعين** علينا ان نشترك في الحكومة الثورية الموقتة والحال ان هذا الاشتراك انما هو «استيلاء على السلطة» غير جائز انما هو «جوريسية مبتذلة» (١٤٥) غير مقبولة بالنسبة للحزب الاشتراكي-الديموقراطي الطبقي

لنتوقف عند محاكمات انصار هذه النظرة يقولون لنا حين تكون الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الموقتة فانها ستقبض في يدها على زمام الحكم والحال لا تستطيع الاشتراكية-الديموقراطية بوصفها حزب البروليتاريا ان تقبض على زمام الحكم دون ان تحاول تحقيق برنامجنا برنامج الحد الاقصى اي دون ان تحاول تحقيق الانقلاب الاشتراكي وفي حال تحقيق هذا الاجراء ، تمنى حتماً في الوقت الحاضر بالهزيمة ولا تفعل غير ان

تخزي نفسها لا تفعل غير ان تخدم مآرب الرجعية ولهذا كان اشتراك الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الثورية غير جائز

ان هذا المحاكمة ترتكز على الخلط بين الانقلاب الديموقراطي والانقلاب الاشتراكي – بين النضال في سبيل الجمهورية (بما في ذلك هنا كل برنامجنا برنامج الحد الادنى) والنضال في سبيل الاشتراكية واذا ما حاولت الاشتراكية-الديموقراطية ان تجعل من الانقلاب الاشتراكي هدفها المباشر ، فانها لن تفعل حقاً غير ان تخزي نفسها ولكن الاشتراكية-الديموقراطية حاربت دائماً وعلى وجه الضبط مثل هذه الافكار الغامضة والمبهمة عند اصحابنا «الاشتراكيين-الثوريين» ولهذا السبب بالذات الحت دائماً على الطابع البرجوازي للثورة العتيدة في روسيا ولهذا السبب بالذات طالبت بفصل البرنامج الديموقراطي برنامج الحد الادنى بكل دقة ، عن البرنامج الاشتراكي برنامج الحد الاقصى وكل هذا يمكن ان ينساه في زمن الانقلاب بعض الاشتراكيين-الديموقراطيين- الميالين الى الاستسلام امام العفوية ، ولكن لا يمكن ان ينساه الحزب برمته ان انصار هذا الرأي الخاطئ يخرون سجداً امام العفوية لظنهم ان مجرى الامور يجبر الاشتراكية-الديموقراطية في هذا الوضع على الانصراف خلافاً لارادتها الى تحقيق الانقلاب الاشتراكي ولو كان الحال كذلك لكان برنامجنا بالتالي غير صحيح ولكان بالتالي غير متطابق مع «مجرى الامور» فان الذين يخرون سجداً امام العفوية يخافون هذا على وجه الضبط يخافون صحة برنامجنا ولكن خوفهم (الذي حاولنا ان نرسم في مقالتينا تفسيره النفساني) باطل كلياً ان برنامجنا صحيح وصحته يؤكدها من كل بد مجرى الامور على وجه الضبط ويؤكدها اكثر فاكثر مع مر الزمن . ومجرى الامور

على وجه الضبط «يفرض» علينا بلا قيد ولا شرط ضرورة النضال المستميت في سبيل الجمهورية ومجرى الامور على وجه الضبط يوجه عملياً في هذا الاتجاه بالذات قوانا قوى البروليتاريا النشيطة سياسياً ومجرى الامور على وجه الضبط يفرض علينا حتماً في ظل الانقلاب الديموقراطي مثل هذا العدد الضخم من الحلفاء من البرجوازية الصغيرة والفلاحين ممن تقتضي حاجاتهم الفعلية تطبيق برنامج الحد الادنى بالذات بحيث ان التخوف من الانتقال بخارق السرعة الى برنامج الحد الاقصى مضحك حقاً

ولكن هؤلاء الحلفاء بالذات من الديموقراطية البرجوازية الصغيرة يستثيرون مخاوف جديدة بين الاشتراكيين-الديموقراطيين من اتجاه معين يستثيرون على وجه الضبط المخاوف بصدد «الجوريسية المبتذلة» فان الاشتراك في الحكومة مع الديموقراطية البرجوازية ممنوع بقرار مؤتمر امستردام (١٤٦) وهذا هو الجوريسية اي الخيانة اللاواعية لمصالح البروليتاريا وتحويل البروليتاريا الى ذيل للبرجوازية وافسادها ببهرج السلطة المستحيلة اطلاقاً بالفعل في المجتمع البرجوازي

ان هذه المحاكمة ليست اقل خطأ فهي تبين ان اصحابها حفظوا غيباً قرارات جيدة ولكنهم لم يفهموا معناها — حفظوا غيباً بعض كليمات معادية للجوريسية ولكنهم لم يمعنوا الفكر فيها ولهذا يستعملونها بصورة غير مناسبة ابداً ؛ — استوعبوا حرف الدروس الاخيرة للاشتراكية-الديموقراطية الثورية العالمية لا روحها فان من يريد ان يقيِّم الجوريسية من وجهة نظر المادية الدياليكتيكية يتعين عليه ان يميّز بدقة بين الدوافع الذاتية والظروف التاريخية الموضوعية فذاتياً اراد جوريس ان ينقذ الجمهورية فتحالف لهذا الغرض مع الديموقراطية البرجوازية . اما الظروف الموضوعية لهذه «التجربة» ، فقد تلخصت

في ان الجمهورية كانت آنذاك في فرنسا امراً واقعاً وانه لم يكن يتهددها اي خطر جدي – وانه كانت تتوفر للطبقة العاملة الامكانية التامة لتطوير التنظيم الطبقي المستقل وانها كانت تستغل هذه الامكانية بصورة غير كافية ، وذلك جزئياً بتأثير فيض تبارين زعمائها البرلمانيين المبهرجة بالذات – وان التاريخ كان قد طرح بالفعل امام الطبقة العاملة بصورة موضوعية مهمات الانقلاب الاشتراكي الذي كان اضراب ميليران **يصرفون** البروليتاريا عنه بالوعد باصلاحات اجتماعية تافهة

والآن خذوا روسيا ذاتياً يريد اشتراكيون-ديموقراطيون ثوريون مثل الفبريوديين (١٤٧) او بارفوس ان يذودوا عن الجمهورية فيتحالفون لهذا الغرض مع الديموقراطية البرجوازية الثورية اما الظروف الموضوعية فانها تختلف عن الظروف الفرنسية كالسماء عن الارض فموضوعيا وضع مجرى الامور التاريخي الآن البروليتاريا الروسية امام مهمة الانقلاب البرجوازي الديموقراطي بالذات (الذي نشير الى كل مضمونه بغية الايجاز بكلمة الجمهورية) وامام هذه المهمة ايضاً يقف الشعب كله اي كل جمهور البرجوازية الصغيرة والفلاحين وبدون هذا الانقلاب يستحيل تطور التنظيم الطبقي المستقل تطوراً واسعاً نوعاً لأجل الانقلاب الاشتراكي

تصوروا بصورة ملموسة كل الفرق بين الظروف الموضوعية وقولوا ماذا يجب التفكير في اناس ينسون هذا الفرق لتولعهم بتشابه بعض الكلمات بتشابه بعض الاحرف بوحدة التعليل الذاتي ؟

وبما ان جوريس في فرنسا خر ساجداً امام الاصلاح الاجتماعي البرجوازي متسترأ بصورة غير صحيحة بهدف ذاتي بهدف النضال في سبيل الجمهورية ، لهذا السبب ، يتعين علينا ، نحن

الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس ان نمتنع عن النضال الجدي في سبيل الجمهورية فالى هذا الى هذا بالذات تؤول حكمة الايسكريين الجدد (١٤٨)

وبالفعل أليس واضحاً ان النضال في سبيل الجمهورية غير معقول بالنسبة للبروليتاريا بدون تحالفها مع الجمهور البرجوازي الصغير من الشعب ؟ اوليس من الواضح انه ليس ثمة اي ظل لأمل في نجاح هذا النضال بدون ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الثورية ؟ ومن اكبر نواقص النظرة التي نحللها شحوبها جمودها تناسيها لظروف الزمن الثوري ان النضال في سبيل الجمهورية ورفض الديكتاتورية الديموقراطية الثورية في الوقت نفسه انما يعنيان كما لو ان اوبيما قرر مقاتلة كورباتكين في جوار موكدن رافضاً سلفاً فكرة الدخول بنفسه الى موكدن ذلك اننا اذا اردنا نحن الشعب الثوري اي البروليتاريا والفلاحين ان «نضرب معاً» الاوتوقراطية ، تعين علينا كذلك ان نواصل معاً ضربها الى النهاية ، ان نقتلها معاً ، ان نرد معاً المحاولات المحتمة لاعادتها ! (ونتحفظ مرة اخرى تحوطاً لكل سوء فهم ممكن ونقول اننا لا نقصد بالجمهورية شكل الحكم وحسب وحتى لا نقصد بها شكل الحكم بقدر ما نقصد كل مجمل التحويلات الديموقراطية بموجب برنامجنا برنامج الحد الادنى) لا بد للمرء حقاً من فهم مدرسي عن التاريخ لكي يتصور القضية بدون «طفرات» بصورة خط مستقيم ما صاعد ببطء وانتظام في البدء كأنما الدور دور البرجوازية الكبيرة الليبيرالية – تنازلات صغيرة من الاوتوقراطية – ، ثم دور البرجوازية الصغيرة الثورية – الجمهورية البرجوازية ، – واخيراً دور البروليتاريا – الانقلاب الاشتراكي ان هذه اللوحة صحيحة كلياً واجمالاً صحيحة «لزمن طويل» كما يقول الفرنسيون ، لمدة قرن نوعاً (مثلاً ، بالنسبة لفرنسا ، من

عام ١٧٨٩ الى عام ١٩٠٥) ولكن لكي يضع المرء لنفسه بموجب هذه اللوحة خطة لنشاطه في العهد الثوري لهذا الغرض ينبغي ان يكون حاذقاً جداً في التفاهة وضيق الافق واذا كانت الاوتوقراطية الروسية لا تستطيع ان تتفلت حتى في الوقت الحاضر بالاكتفاء بدستور مبتور واذا كانت لن تزعزع وحسب بل **سيطاح** بها كذلك فعلاً فان الامر سيتطلب آنذاك ، على الارجح ، من جميع الطبقات المتقدمة بذل قدر هائل من الطاقة الثورية لأجل الذود عن هذا المكسب والحال ان هذا «الذود» لا يعدو ان يكون ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الثورية ! وبقدر ما نكسب المزيد الآن وبقدر ما نذود بمزيد من الحزم عن المكتسب بقدر ما تعجز الرجعية المقبلة المحتمة عن انتزاعه فيما بعد وتقصر هذه الفترات من الرجعية وتسهل المهمة على المناضلين البروليتاريين السائرين في اثرنا

وهنا يظهر اناس يريدون مسبقاً قبل النضال ، ان يقيسوا بدقة ، «على طريقة ايلوفايسكى» (١٤٩) قطعة صغيرة متواضعة جداً من المكاسب المقبلة وخطر في بالهم قبل سقوط الاوتوقراطية وحتى قبل ٩ كانون الثاني تخويف الطبقة العاملة في روسيا ببعبع الديكتاتورية الديموقراطية الثورية الرهيبة وهؤلاء الناس يدعون باسم الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين

وهم يتباكون قائلين ان الاشتراك في الحكومة الموقتة مع الديموقراطية الثورية البرجوازية انما يعني تقديس النظام البرجوازي تقديس الاحتفاظ بالسجون والبوليس والبطالة والبؤس والملكية والدعارة ان هذه الحجة جديرة اما بالفوضويين واما بالشعبيين فان الاشتراكية-الديموقراطية لا تعدل عن النضال من اجل الحرية السياسية بحجة انها حرية

سياسية برجوازية ان الاشتراكية-الديموقراطية تنظر الى «تقديس» النظام البرجوازي من وجهة النظر التاريخية فعندما سألوا فورباخ عما اذا كان يقدس مادية بوخنر وفوغت ومولیشوت اجاب انا اقدس المادية في موقفها من الماضي ولكن لا في موقفها من المستقبل وهكذا بالضبط تقدس الاشتراكية-الديموقراطية النظام البرجوازي وهى لم تخش يوماً ولن تخشى يوماً القول انها تقدس النظام البرجوازي الجمهوري الديموقراطـــي بالقياس الى النظام البرجوازي الاوتوقراطي الاقطاعي ولكنها لا «تقدس» الجمهورية البرجوازية الا بوصفها الشكل الاخير للسيادة الطبقية ، ولا تقدسها الا بوصفها انسب ساحة لأجل نضال البروليتاريا ضد البرجوازية ولا تقدسها من اجل سجونها وبوليسها ، من اجل الملكية والدعارة ، بل تقدسها من اجل النضال الواسع والحر ضد هذه المؤسسات اللطيفة

يقيناً اننا لا نفكر في الزعم ان اشتراكنا في الحكومة الثورية الموقتة لا يستتبع اية اخطار على الاشتراكية-الديموقراطية فلا يوجد ولا يمكن ان يوجد شكل للنضال ، وضع سياسي لا يستتبع الاخطار وبدون الغريزة الطبقية الثورية بدون عقيدة متكاملة تقف في مستـــوى العلـــم بدون الذكاء (ولا يغضبنّ الرفاق الايسكريون الجدد) ، من الخطر آنذاك الاشتراك في الاضرابات – فقد يؤدي الى «الاقتصادية» – والاشتراك في النضال البرلماني – فقد ينتهي بالبلاهة البرلمانية (١٥٠) – ودعم الديموقراطية الليبيرالية الزيمستفويـــة – فقد يؤدي الى «خطة الحملـــة الزيمستفوية» (١٥١) من الخطر آنذاك حتى قراءة مؤلفات جوريس واولار النافعة جداً في تاريخ الثورة الفرنسية – فقد تؤدي الى كراس مارتينوف عن الديكتاتوريتين .

وبديهي انه اذا ما نسيت الاشتراكية-الديموقراطية وان للحظة الفرق الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة واذا عقدت في وقت غير مناسب تحالفاً غير نافع بالنسبة لنا مع هذا الحزب البرجوازي الصغير المثقف الذي لا يستحق الثقة او ذاك ، واذا غابت عن بال الاشتراكية-الديموقراطية وان للحظة اهدافها المستقلة والضرورة القاضية (ايّاً كانت الاوضاع والظروف السياسية وايّاً كانت الانعطافات والانقلابات) بوضع تطوير وعي البروليتاريا الطبقي وتنظيمها السياسى المستقل في رأس الزاوية – فان الاشتراك في الحكومة الثورية الموقتة – سيكون في هذه الحال خطراً للغاية ولكن كل خطوة سياسية ، – ونكرر قولنا – ، خطرة في مثل هذا الظرف وبالقدر نفسه اما الى اي حد سيكون توقيت هذه الاخطار المحتملة وفقاً لوضع اقرب مهمات الاشتراكية-الديموقراطية الثورية في الوقت الحاضر واهياً وباطلاً فان هذا ستبينه للجميع ابسط المعلومات لن نتحدث عن انفسنا ولن نورد العديد من البيانات والتحذيرات والاشارات في جريدة «فبريود» بصدد المسالة التي نحللها – ولنستشهد ببارفوس ففي سياق تأييده لاشتراك الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الثورية الموقتة يشير بكامل الحزم الى الشروط التي ينبغي لنا ان لا ننساها يوماً الضرب معاً السير على حدة عدم خلط المنظمات مراقبة الحليف مراقبتنا للعدو والخ ولن نتناول بمزيد من التفصيل هذا الجانب من القضية الذي سبق وتناولناه في المقالة

كلا ان الخطر السياسي الفعلي الذي يتهدد الاشتراكية-الديموقراطية لا يكمن البتة في الوقت الحاضر حيث يفتش عنه الايسكريون الجدد فان ما يجب ان يخيفنا ليس فكرة ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية ، بل روح الذنبية

والجمود * التي تؤثر تأثيراً مفسداً في حزب البروليتاريا متجلية في شتى نظريات التنظيم-التفاعل ونظريات التسلح-التفاعل وما الى ذلك خذوا مثلاً محاولة «الايسكرا» الاخيرة لاقامة فرق بين الحكومة الثورية الموقتة وديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية اوليس هذا يا ترى نموذجاً على الكلامية الجامدة ؟ ان الذين لفقوا مثل هذه الفوارق يستطيعون ان يرصفوا كلمات جميلة ولكنهم لا يستطيعون البتة ان يفكروا ان العلاقة بين المفاهيم المذكورة تشبه تقريبا بالفعل العلاقة بين الشكل الحقوقي والمضمون الطبقي وان من يقول «الحكومة الثورية الموقتة» انما يؤكد على الجانب الدَوْلي الحقوقي من القضية على منشأ الحكومة من الثورة وليس من القانون على الطابع الموقت للحكومة المرتبطة بالجمعية التأسيسية المقبلة ولكن ايّاً كان الشكل وايّاً كان المنشأ وايّاً كانت الظروف يظل من الواضح في كل حال ان الحكومة الثورية الموقتة لا تستطيع ان لا تعتمد على طبقات معينة حسبنا التذكير بهذا الامر البدائي لكي نرى ان الحكومة الثورية الموقتة لا يمكن ان تكون غير ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الثورية ولذا لا يفعل الفرق الذي ساقته «الايسكرا» غير ان يجر الحزب الى الوراء الى المجادلات الكلامية العقيمة بدلاً من مهمة تحليل المصالح الطبقية في الثورة الروسية تحليلاً ملموساً

او خذوا محاكمة اخرى «للايسكرا» فبصدد الهتاف عاشت الحكومة الثورية الموقتة ! تلاحظ بلهجة واعظة «ان الجمع بين كلمة «عاشت» وكلمة «الحكومة» يدنّس الشفاه» اوليست هذه

---

* في المخطوطة روح الذنبية ، والتفاهة وضيق الافق ، والحَرْفية ، والتقليد المبتذل ، والجمود»

هنا ، وفيما بعد تعاد ، في الملاحظات في اسفل الصفحة ، حسب المخطوطة ؛ أهم الاماكن التي صححها وحررها اولمينسكي من اجل الجريدة . **الناشر** .

جملة طنانة فارغة * ؟ انهم يقولون باسقاط الاوتوقراطية ويخافون في الوقت نفسه من التدنس بتحية الحكومة الثورية ! من المدهش حقاً انهم لا يخافون التدنس من تحية الجمهورية فان الجمهورية تفترض بالضرورة الحكومـــة وما من اشتراكي – ديموقراطي خامره الشك يوماً في انها تفترض الحكومة البرجوازية على وجـــه الضبط فما هو الفرق اذن بين تحية الحكومة الثورية الموقتة وتحية الجمهورية الديموقراطيـــة ؟ هل يتعين على الاشتراكية-الديموقراطية القائدة السياسية للطبقة الاكثر ثوريـــة ان تتشبه ، يا ترى بعانس عجوز فقيرة الدم وهستيرية تصرّ بدلال على ضرورة ورقة التين تمكن تحية ما يقصد بالحكومة البرجوازية الديموقراطية ولكنه لا يجوز تحية الحكومة الثورية الديموقراطية الموقتة على المكشوف !

اللوحة انتصرت انتفاضـــة العمال في بطرسبورغ اطيح بالاوتوقراطية اعلنت الحكومة الثورية الموقتة يهلل العمـــال المسلحون هاتفين عاشت الحكومة الثوريـــة الموقتـــة ! يقف الايسكريون الجدد جانباً ويقولون برزانة رافعين عيونهم العفيفة الى اعلى قارعين على قلوبهم الحساسة الاخلاقية نشكرك يا رب ، على اننا لا نشبه هؤلاء العشارين على اننا لا ندنس شفاهنا بمثل هذا الجمع من الكلمات

كلا والف مرة كلا ايها الرفاق لا تخافوا مـــن تدنيس انفسكم بالاشتراك باشد الحزم ودون التوقف امام اي شيء

* بعد كلمة «جملة» ، ورد في المخطوطة ما يلي «اولا تكفي وحدها لرؤيـــة تطور معين من التعفن الـفكري في قســـم معين من الاشتراكيين-الديموقراطيين ؟ فان هذه ليست وجهة نظر طليعـة البروليتاريا ، بل وجهة نظر ذنبها ، وهؤلاء ليسوا قادة سياسيين ، بل واعظون سياسيون ، وهؤلاء ليسوا ثوريين ، بل تافهون ضيقو الافق . **الناشر** .

مع الديموقراطية البرجوازية الثورية في الانقلاب الجمهوري لا تستعظموا اخطار هذا الاشتراك الذي يمكن كلياً لبروليتاريانا المنظمة ان تقوم به ان اشهراً من ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الثورية ستفعل اكثر من عقود من السنين من الجو السلمي المخبّل ، جو الركود السياسي واذا كانت الطبقة العاملة الروسية قد استطاعت بعد ٩ كانون الثاني في ظروف العبودية السياسية ان تحشد اكثر من مليون بروليتاري لأجل النضال الجماعي والحازم والثابت – فاننا سنحشد في ظل الديكتاتورية الديموقراطية الثورية عشرات الملايين من فقراء المدينة والريف وسنجعل من الثورة السياسية الروسية مقدمة للانقلاب الاشتراكي الاوروبي

«فبريود» ، العدد ١٤ ، المجلد ١٠ ، ص ص ٢٠–٣١
١٢ نيسان – ابريل (٣٠ آذار – مارس) ١٩٠٥

ماركس و«التقسيم الاسود» الاميركي

لقد ألمح في العدد ١٢ من «فبريود» * ، الى مقال حول المسألة الزراعية نشره ماركس وعارض فيه كريغـــه لم يكن ذلك عام ١٨٤٨ كما زعم خطأ المقـــال ، – بل عام ١٨٤٦ فان هرمان كريغه معاون ماركس كان فتياً في ذلك الحين وقد هاجر الى اميركا عام ١٨٤٥ وأسس فيهـــا صحيفـــة "Volks-Tribun„ («فولكس‌تريبون» – «خطيب الشعب») (١٥٢) التي تكرست لدعاية الشيوعية ولكن دعايتـــه اتسمت بطابـــع اضطر ماركس الى الاحتجاج بحزم باسم الشيوعيين الالمان على هرمان كريغه الذي كان يسيء الى سمعة الحزب الشيوعي ان انتقاد نزعة كريغه المنشـــور عام ١٨٤٦ في مجلة "Westphälische Dampfboot„ («فيستفيليشيه دامبفبوت» – «الباخرة الوستفالية») (١٥٣) والوارد في المجلد الثاني من مؤلفات ماركس طبعة مهرينغ يرتدي اليوم اكبر الاهمية بالنسبة للاشتراكيين-الديموقراطيين الروس المعاصرين

ذلك ان مجرى الحركة الاجتماعية نفسه في اميركا كان يضع حينذاك المسألة الزراعية في احدى المراتب الاولى كما في روسيا اليوم ولم يكن المقصود بالضبط مجتمعاً رأسمالياً متطوراً بل

---

* راجع مقال لينين : «حول برنامجنا الزراعي» . **الناشر** .

كان المقصود توفير الشروط الاولية الاساسية لتطور الرأسمالية تطوراً حقيقياً وهذه الناحية الاخيرة ذات اهمية خاصة من اجل المقارنة بين موقف ماركس من الافكار الاميركية المتعلقة «بالتقسيم الأسود» (١٥٤) وبين موقف الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس من حركة الفلاحين المعاصرة

ان كريغه لم يكن يقدم في مجلته اية مواد يمكن الاعتماد عليها في دراسة خصائص النظام الاميركي الاجتماعية الملموسة وذلك لتوضيح الطابع الحقيقي لحركة الاصلاحيين الزراعيين في ذلك العهد الذين كانوا يطمحون الى الغاء الريع وبالمقابل كان كريغه (شأنه شأن اصحابنا «الاشتراكيين-الثوريين» تماماً) يخلع على مسألة الثورة الزراعية تعابير فخمة طنانة فقد قال «كل فقير يغدو فوراً عضواً مفيداً في المجتمع البشري ما ان تُوَفر له امكانية العمل بصورة منتجة وهذه الامكانية تؤمن له الى الابد ما ان يعطيه المجتمع قطعة ارض يستطيع ان يعيش منها هو وعائلته فاذا انتزعت من حلقة التبادل التجاري هذه المساحة الشاسعة من الاراضي (اي بالذات ١٤٠٠ مليون اكر* من اراضي الدولة في اميركا الشمالية) وأُمنت للعمل حصصاً محدودة ** ، فانه يقضي دفعة واحدة على الاملاق في اميركا»

وعلى ذلك يرد ماركس قائلا «كان من الممكن ان نتوقع فهم الامر التالي وهو انه ليس بمقدور المشترعين ان يوقفوا

---

* الاكر ــ مقياس للارض يختلف باختلاف البلدان ويساوي في انجلترا واميركا زهاء ٤ متر مربع **الناشر**

** تذكروا ما كتبته صحيفة «ريفوليوتسيونايا روسيا» ابتداء من عددها الثامن حول انتقال الاراضي من الرأسمال الى العمل ، واهمية اراضي الدولة في روسيا ، والانتفاع المتساوي بالارض ، والفكرة البرجوازية القائلة بادخال الاراضي في حلقة التبادل التجاري الخ . . تماماً مثل كريغه !

بالمراسيم والقوانين تطور النظام البطريركي الذي يرغب فيه كريغه الى نظام صناعي او ان يدفعوا الولايات الصناعية والتجارية القائمة في الشاطئ الشرقي الى الوراء الى احضان البربرية البطريركية»

فها نحن اذاً امام برنامج حقيقي للتقسيم الاسود الاميركي انتزاع مساحة من الاراضي من حلقة التبادل التجاري الحق في الارض تحديد امتلاك الارض او الانتفاع بالارض ويوجه ماركس بادئ بدء انتقاداً رصيناً للطوبوية ويبين حتمية تحول النظام البطريركي الى النظام الصناعي اي حتمية التطور الرأسمالي اذا تحدثنا بلغة العصر ولكنه من فادح الخطأ التفكير بان الاحلام الطوبوية التي حلم بها المشتركون في الحركة قد دفعت ماركس الى ان يتخذ بوجه عام موقفاً سلبياً من هذه الحركة فليس ثمة شيء من ذلك فان ماركس منذ بداية نشاطه ككاتب كان يعرف كيف يستخلص محتوى الحركة الفعلي والتقدّمي من بريق بهارجها الايديولوجية وقد كتب ماركس في القسم الثاني من انتقاده وعنوانه «اقتصاد (اي الاقتصاد السياسي) «خطيب الشعب» وسلوكها ازاء اميركا الفتية» ، يقول

«اننا نقر كل الاقرار بما لحركة الوطنيين-الاصلاحيين الاميركيين من شرعية تاريخية ونحن نعلم ان هذه الحركة تقصد نتيجة تدفع حقاً في الوقت الحاضر الى تصنيع المجتمع البرجوازي الحالي ولكنها بوصفها ثمرة حركة بروليتارية بوصفها تعدياً على الملكية العقارية بوجه عام وبخاصة في اوضاع اميركا حالياً لا بد لها بالضرورة من ان تدفع الى ابعد من ذلك الى الشيوعية بسبب من عواقبها ذاتها وكريغه الذي انضم مع الشيوعيين الالمان في نيويورك الى الحركة ضد الريع (Anti—Rent—Bewegung) ، يلقي على هذا الواقع البسيط

وشاح تعابيره الطنانة دون ان يمضي الى جوهر الحركة مثبتاً بذلك انه لا يرى ابداً الصلة بين اميركا الفتية والاوضاع الاجتماعية الاميركية واننا لنورد مثلاً آخر عن تعابيره الطنانة حول برنامج الزراعيين لتقسيم الملكية العقارية على النطاق الاميركي

ففي العدد العاشر من «خطيب الشعب» ، نقرأ في مقال «ما نريده» «ان الوطنيين-الاصلاحيين الاميركيين يسمون الارض بالملك المشترك بين جميع الناس ويطالبون بان تتخذ السلطة التشريعية الشعبية التدابير من اجل الحفاظ على الاكرات الـ١٤٠٠ المليون التي لمّا تقع في ايدي المضاربين النهابين بوصفها ملكاً للانسانية بأسرها لا يمكن التنازل عنه» ومن اجل الحفاظ على هذا «الملك المشترك الذي لا يمكن التنازل عنه» ،من اجل الحفاظ عليه للانسانية بأسرها يتبنى كريغه برنامج الوطنيين-الاصلاحيين «يوضع تحت تصرف كل فلاح ايّاً كانت بلاده ١٦٠ اكراً من الاراضي الاميركية بغية تأمين معيشته» وهذا البرنامج ورد في العدد الرابع عشر من المجلة في مقالة «جواب الى كونزه» (Konze) على النحو التالي «من ملكية الشعب هذه التي لمّا تمس ينبغي الا ينال احد اكثر من ١٦٠ اكراً وهذه الاكرات لا ينالها الا شرط ان يزرعها بنفسه» وعلى هذا النحو لكي تبقى الارض «ملكاً مشتركاً لا يمكن التنازل عنه» وملكاً «للانسانية بأسرها» ينبغي الشروع فوراً بتقسيمها وتوزيعها ويتصور كريغه انه سيتمكن بواسطة قانون ما من منع عواقب هذا التقسيم المحتومة تمركز تقدم صناعي الخ ان ١٦٠ اكراً من الاراضي هي بنظره قياس يساوي ابداً نفسه كأن قيمة مثل هذه المساحة لا تتغير حسب نوعها فلا بد ان يتبادل «الفلاحون» فيما بينهم ومع الآخرين منتجات اراضيهم على الاقل ان لم يتبادلوا اراضيهم . والحال ، اذا بلغ الامر هذا الحد ، رأينا عما قريب احد

«الفلاحين» حتى ولو لم يكن لديه رأسمال يتوصل بفضل كدحه والخصوبة الطبيعية العالية لاكراتـــه الـ١٦٠ الى جعل فلاح آخر اجيراً زراعياً له ثم ، أليس الامر سواء بسواء اذا كانت «الارض» او منتجات الارض هي التي «تقع في ايدي المضاربين الضواري» ؟ لنبحث جدياً هدية كريغه للانسانية ينبغي الحفـــاظ على ١٤٠٠ مليون اكر «ملكاً مشتركاً للانسانية بأسرها لا يمكن التنازل عنه». وحصة كل فلاح من هذا الملك تبلغ ١٦٠ اكراً وعلى هذا الاساس نستطيع ان نحسب مدى «الانسانية بأسرها» التي يقول بها كريغه – بالضبط ٨٧٥٠٠٠٠ «فلاح» اي بالاجمـــال ٤٣٧٥٠٠٠٠ كائن بشري باعتبار ان كل عائلة تعد ٥ افراد كذلك نستطيع ان نحســـب كم سيدوم «الابد» الذي «تستطيع البروليتاريا» خلاله «امتلاك كل الارض بوصفها ممثلة الانسانيـــة» في الولايات المتحدة على الاقل فاذا استمر نمو عدد السكان في الولايـــات المتحدة بنفس النسبة كما هي الحال حتى الآن اي اذا تضاعف هذا العدد خلال كل ٢٥ سنة فان هذا «الابد» لن يدوم ٤٠ سنة كاملة وفي هذه الحقبة من الزمن سيتم اشغال هذه الاكرات الـ١٤٠٠ المليون ولن يبقى للاجيال المقبلة «ما تمتلكه» ولكن لما كان توزيع الارض مجاناً سيزيد الهجرة الى اميركا زيادة كبيرة فمن المحتمل ان ينتهي «ابد» كريغه قبل ذاك خصوصاً اذا اخذنا بعين الاعتبار ان مساحة من الارض تكفي ٤٤ مليوناً من الناس لن تكون البتة قناة تصريف كافية حتى للاملاق الاوروبي الحالي اذ ثمة معدم من اصل كل عشرة من السكان في اوروبا والجزر البريطانية وحدها تقدّم ٧ ملايين معدم واننا نجد السذاجـــة الاقتصادية-السياسية نفسها في العدد ١٣ في مقال «الى النساء» حيث يقول كريغه اذا منحت مدينـــة نيويورك مجاناً ما تملكه في جزيرة لونغ – آيلند من اراض وقدرها ٥٢٠٠٠ اكر فان ذلك يكفي لانقاذ نيويورك «دفعة واحدة» من الاملاق والبؤس ، والجرائم.

فلو ان كريغه رأى في حركة تحرير الارض الشكل الاول الضروري للحركة البروليتارية في ظروف معينة ولو انه قدّر انه لا بد لهذه الحركة من ان تتطور بالضرورة الى حركة شيوعية بسبب شروط معيشة الطبقة التي تنبثق عنها ولو انه بين كيف انه كان على الميول الشيوعية ان تتجلى في البدء في اميركا بهذا الشكل الزراعي الذي يبدو انه يتناقض تمام التناقض مع الشيوعية لما كان ثمة ما يُعترض عليه ولكن كريغه يعلن هذا الشكل لحركة اناس فعليين محدّدين قضية الانسانية بأسرها مع ان هذا الشكل لا يتسم الا باهمية ثانوية ثم يرفع هذه القضية ويجعل منها الغاية الاخيرة العليا لكل حركة بوجه عام جاعلاً على هذا النحو من اهداف محدّدة للحركة امراً اخرق تماماً يتجاوز كل الحدود غير انه يواصل نشيد الظفر هذا في المقال نفسه من العدد العاشر «وهكذا تتحقق اخيراً احلام الاوروبيين القديمة فستهيى لهم ارض من هذا الجانب من الاوقيانوس حيث لا يبقى لهم سوى اخذها وتلقيحها بكدح ايديهم لكي يتمكنوا من الهتاف امام جميع طغاة العالم بهذا الهتاف الابي «هذا هو كوخي **انا** الذي لم تبنوه قط هذا هو موقدي **انا** الذي يغمر قلوبكم بالحسد»

وكان بامكان كريغه ان يضيف قائلاً هذه كومة زبلي **انا** انتجته انا وزوجتي واولادي وخادم مزرعتي ومواشيّ ولكن من هم هؤلاء الاوروبيون الذين يرون ان ذلك يحقق «احلامهم» ؟ ليسوا العمال الشيوعيين بل انهم اصحاب الحوانيت والمعلمون الحرفيون المفلسون او الفلاحون الذين حل بهم الخراب ممن يطمحون الى السعادة سعادة ان يعودوا في اميركا برجوازيين صغاراً وفلاحين وما هي هذه «الاحلام» التي تتيح هذه الاكرات الـ ١٤٠٠ المليون تحقيقها ؟ ان هذه الاكرات لن تتيح تحقيق اي حلم سوى الحلم

في جعل جميع النـــاس ملاكين فرديين وهو حلم شيوعي وممكن التحقيق بقدر ما هي عليه الرغبة في جعل جميـــع الناس اباطرة وملوكاً وبابوات»

ان انتقاد ماركس يقطر السم والسخرية وهو يسلط سياط النقد اللاذع على كريغه لميزات نظريته التي نراها اليوم بالضبط عند اصحابنا «الاشتراكيين-الثوريين» سيادة التعابير الفارغة طوبويات برجوازية صغيرة تُعرض بوصفها طوبوية ثورية سامية عدم فهم الاسس الفعلية للنظام الاقتصادي المعاصر ولتطوره فببصيرة رائعة بيّن ماركس دور التبادل والاقتصاد البضاعي ولم يكن حينذاك سوى اقتصادي **مقبل** فلقد قال اذا لم يتبادل الفلاحون الارض فانهم سيتبادلون منتجات الارض وهذا يقول كل شيء ان كل هذه الطريقة في طرح السؤال تُطبق على الحركة الفلاحية الروسية ومفكريها «الاشتراكيين» البرجوازيين الصغار

ولكن ماركس هو في الوقت نفسه بعيد جداً عن مجرد «نفي» هذه الحركة البرجوازية الصغيرة عن تجاهلها كما يفعل العقائدي الجامد عن الخوف الذي يتميز به كثيرون من الشراح السطحيين الخوف من توسيخ اليدين بملامسة الديموقراطيـــة الثورية البرجوازية الصغيرة فان ماركس يسخر بلا شفقـــة من سخافة تمويه الحركة الايديولوجي ويسعى في الوقت نفسه لكي يحدد برصانة كمادي محتوى الحركة التاريخي **الفعلي** والنتائج الضرورية التي لا بد لها ان تحصل بسبب الاحوال الموضوعية وبصرف النظر عن ارادة هؤلاء او اولئك ، بصرف النظر عن ادراكهم واحلامهم ونظرياتهم ولذا لا يلوم ماركس الشيوعيين لأنهـــم ساندوا هذه الحركة بل يؤيدهم كل التأييد فقد نظر ماركس الى المسألة من وجهة نظر ديالكتيكية اي انه رأى الى الحركـــة من جميع نواحيها ، واخذ الماضي والمستقبل بالحسبان ، فاستشف

ما في الهجوم على الملكية العقارية من ثوري واستبشر في الحركة البرجوازية الصغيرة شكلاً بدائياً اصيلاً للحركة البروليتارية الشيوعية وقد قال ماركس لكريغه ان ما تحلمون بالحصول عليه بوساطة هذه الحركة لن تحصلوا عليه فبدلاً من الاخاء العزلة البرجوازية الصغيرة بدلاً من استحالة تنازل الفلاحين عن حصصهم في الارض إجتذاب الاراضي الى حلقة التداول التجاري بدلاً من الضربة الواجب تسديدها للمضاربين-النهابين توسيع في اساس التطور الرأسمالي ولكن الشرّ الرأسمالي الذي تعتقدون عبثاً انكم ستجتنبونه انما هو تاريخياً ، خير ، لانه سيعجل التطور الاجتماعي بسرعة بالغة جداً ويقرّب كثيراً اشكالاً جديدة عليا للحركة الشيوعية ان الضربة المسدّدة للملكية العقارية ستسهل في المستقبل الهجمات المحتومة ضد الملكية بوجه عام والعمل الثوري الذي تقوم به طبقة دنيا في سبيل تحويل يؤدي الى رفاهية موقتة ضيقة – لا للجميع – سيسهل العمل الثوري الذي ستقوم به حتماً الطبقة الدنيا في سبيل تحويل يضمن فعلاً ، سعادة انسانية كاملة لجميع الشغيلة

ان موقف ماركس من كريغه ينبغي ان يكون مثالاً لنا نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس فلا سبيل الى الشك في الطابع البرجوازي الصغير الحقيقي الذي تتصف به الحركة الفلاحية الحالية في روسيا وينبغي لنا ان نوضح هذا الطابع بجميع الوسائل وان نكافح بلا رحمة بلا هوادة جميع اوهام «الاشتراكيين-الثوريين» او الاشتراكيين البدائيين من كل شاكلة وطراز بهذا الصدد ان تنظيم حزب مستقل للبروليتاريا يهدف عبر جميع الانقلابات الديموقراطية الى ثورة اشتراكية كاملة ان تنظيم هذا الحزب تنظيماً خاصاً ينبغي ان يكون هدفنا الدائم الذي ينبغي الا يغيب عن بالنا لحظة واحدة . ولكن الانصراف لهذا السبب عن

الحُركة الفلاحيـــة انما يعني تقديم الدليل على تفاهة وضيق افق وادعاء بالمعرفة لا شفاء له كلا لا سبيل الى الشك في طابـــع هذه الحركة الثوري-الديموقراطي وينبغي لنا ان نؤيدها بكل قوانا وان نطورها ونجعلها واعيـــة سياسياً ومحددة طبقياً وندفعها الى امام ونسير معها يداً بيد الى النهاية لاننا نمضي ابعد بكثير من الغاية التي ترمي اليها اية حركة فلاحية لاننـــا نمضي نحو زوال كل انقسام في المجتمع الى طبقات زوالاً نهائياً واننا لنشك في ان يكون ثمة في العالم بلد آخر يعاني فيه الفلاحون المظلومون والغارقون في لجة الاهانات قدر ما يعاني الفلاحون في روسيا وكلما تفاقم الظلم فيما مضى اشتدت يقظة الفلاحين الآن واستحـــال اكثر فاكثر كبح انطلاقهم الثوري فواجب البروليتاريا الثورية الواعية ان تساند انطلاق الفلاحين هذا بكل قواها لكي لا يدع حجراً على حجر من روسيا القديمة الملعونة روسيا الاوتوقراطية والقنانة لكي يلد جيلاً جديداً من اناس احرار اجرياء لكي يخلق بلاداً جديدة جمهورية ينفتح المجال فيها رحباً امام نضالنا البروليتاري في سبيل الاشتراكية

«فبريود» ، العدد ١٥ المجلـــــد ١٠
٢٠ (٧) نيسان (ابريل) ١٩٠٥ ص‌ص ٥٣ــ٦٠

خطتا الاشتراكية-الديموقراطية
في الثورة الديموقراطية (١٥٥)

مقدمة

من الصعب جداً في زمن الثورة تتبع الاحداث التي توفر كمية مذهلة من المواد الجديدة لتقدير الشعارات التكتيكيـــة (الخططية) التي تنادي بها الاحزاب الثورية وقد كتب هذا الكراس قبل حوادث اوديسا * وسبق لنا واشرنا في «بروليتاري» (١٥٧) (العدد ٩ «الثورة تعلّم») الى ان هذه الحوادث قد اجبـــرت حتى الاشتراكيين-الديموقراطيين الذين وضعوا نظريـــة الانتفاضة – التفاعل وانكروا الدعاية لتشكيل حكومة موقتة ثورية على الانتقال او على البدء بالانتقال فعلاً الى مواقف مجادليهم ولا ريب ان الثورة تعلّم بسرعة وعمق يبدوان غير معقولين في مراحل التطور السياسي السلمية وما يهم على الاخص هو انها لا تعلّم القادة وحسب بل الجماهير ايضاً

ولا سبيل الى الشك في ان الثورة ستعلّم الجماهير العمالية في روسيا ستعلمها الاشتراكية-الديموقراطية وستؤكد الثورة في الواقع صحة برنامج الاشتراكية-الديموقراطيـــة وتكتيكهـــا (خطتها) بتبيانها الطبيعة الحقيقية لمختلف الطبقات الاجتماعية

---

* المقصود الانتفاضة على متن المدرعـة «بوتيومكين» (١٥٦) . (ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧ . **الناشر** .)

وطابع ديموقراطيتنا البرجوازي والمطامح الحقيقية لطبقة الفلاحين الثورية بالمعنى الديموقراطي البرجوازي مع العلم ان هذه المطامح لا تنطوي على فكرة «جعل الملكية اجتماعية» بل تنطوي على نضال طبقي جديد بين البرجوازية الفلاحية والبروليتاريا الريفية ان الاوهام القديمة التي كانت تتسم بها الشعبية القديمة (١٥٨) والتي تتجلى بوضوح بالغ مثلا في مشروع برنامج «حزب الاشتراكيين-الثوريين» سواء فيما يخص تطور الرأسمالية في روسيا ام فيما يخص نزعة «مجتمع»نا الديموقراطية واهمية انتصار الانتفاضة الفلاحية التام ان جميع هذه الاوهام ستبددها الثورة نهائياً وبلا رحمة وستمنح مختلف الطبقات المعمودية السياسية الاولى الحقيقية وستخرج هذه الطبقات من الثورة بسيماء سياسية محددة المعالم لأنها لن تبرز في برامج مفكريها وشعاراتهم التكتيكية وحسب بل ايضاً في نشاط الجماهير السياسي السافر

ويقيناً ان الثورة ستعلّمنا ، وانها ستعلم الجماهير الشعبية ولكن المسألة التي توضع الآن امام الحزب السياسي المناضل انما هي مسألة معرفة ما اذا كنا سنتمكن من تعليم الثورة شيئاً ما فهل نتمكن من الاستفادة من صحة مذهبنا الاشتراكي-الديموقراطي ومن صلتنا مع الطبقة الوحيدة الثورية الى النهاية البروليتاريا لكي نطبع الثورة بطابع بروليتاري لكي نسير بها الى انتصار حاسم حقاً بالافعال لا بالاقوال لكي نشل تذبذب البرجوازية الديموقراطية وترددها وخيانتها ؟

الى هذا الغرض يجب ان نوجه كل جهودنا فالنجاح يتوقف من جهة ، على صحة تقديرنا للموقف السياسي ، على صحة شعاراتنا التكتيكية ومن جهة اخرى على تأييد هذه الشعارات من جانب قوى الكفاح الفعلية ، قوى الجماهير العمالية . ان كل العمل العادي،

المنتظم الجاري الذي تقوم به جميع منظمات حزبنا وفرقه – من دعايـــة وتحريض وتنظيم – يبتغي توطيد الصلات مع الجماهير وتوسيعها وهذا العمل ضروري دائماً ولكن في زمن الثورة اكثر من اي زمن آخر لا يمكن اعتباره كافياً ففي مثل هذا الزمن تطمح الطبقة العاملة بالغريزة الى العمل الثوري السافر ويجب علينا ان نعرف كيف نطرح اهداف هذا العمل طرحاً صحيحاً لكي نعمل فيما بعد على تعريفها وافهامها على اوسع نطاق ممكن ولا يجوز ان ننسى ان التشاؤم الدارج ازاء صلتنا مع الجماهير يخفي اليوم في كثير من الحالات افكاراً برجوازية عن دور البروليتاريا في الثورة ولا ريب انه لا يزال علينا ان نعمل الكثير الكثير من اجل تربية الطبقة العاملة وتنظيمها ولكن كل ما في الأمر الآن ان نعرف اين يجب ان يكون مركز الثقل السياسي الرئيسي في هذه التربية وهذا التنظيم أفي الجمعيات الشرعيـــة والنقابات ام في الانتفاضة المسلحة ، في قضية انشاء جيش ثوري وحكومة ثورية ؟ ان الطبقة العاملة تتربى وتنتظم في كلا الحالتين وبديهي ان هاتين الحالتين ضروريتان ولكن كل ما في الأمر الآن في الثورة الحالية ان نعرف في اي نقطة الاولى ام الثانية سيكون مركز الثقل في تربية الطبقة العاملة وتنظيمها

ان مآل الثورة يتوقف على ما يلي أتقوم الطبقة العاملة بدور المساعد للبرجوازية مساعد قوي من حيث شـــدة هجومه على الاوتوقراطية ولكنه عاجز من الوجهة السياسيـــة ام انهـــا ستضطلع بدور القائد للثورة الشعبية ؟ ان ممثلي البرجوازيـــة الواعين يدركـــون ذلك تمـــام الادراك ولـــذا تطـــري «اوسفوبوجدينييه» (١٥٩) في الاشتراكية-الديموقراطية النزعـــة الاكيموفية «الاقتصادية» (١٦٠) التي تضع **الآن** في المرتبـــة الاولى النقابات والجمعيات الشرعية ولذا يستبشر السيد ستروفه

(العدد ٧٢ من «اوسفوبوجدينييه») بالميول الاكيموفية المبدئية في «الايسكرا» الجديدة. ولذا يصب كل جام غضبه على ضيق الافق الثوري الكريه في قرارات المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا

ان الشعارات التكتيكية الصحيحة التي ترفعها الاشتراكية-الديموقراطية تتسم الآن باهمية خاصة من حيث قيادة الجماهير وليس ثمة في زمن الثورة أخطر من استصغار اهمية الشعارات التكتيكية المنطبقة بكل دقة على المبادئ. فان «الايسكرا» ، مثلا تنتقل فعلا في عددها رقم ١٠٤ الى جانب مجادليها في الاشتراكية-الديموقراطية ولكنها في الوقت نفسه تتحدث بازدراء عن اهمية الشعارات والقرارات التكتيكية التي تستبق الحياة وتبين السبيل الذي تتبعه الحركة بجملة من الاخفاقات والاخطاء الخ وبالعكس يتسم وضع القرارات التكتيكية الصحيحة باهمية كبرى بالنسبة لحزب يريد بروح ماركسي صرف ان يقود البروليتاريا لا ان يسير في ذيل الحوادث وحسب ان قرارات المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا وقرارات المجلس العام للقسم المنشق عن الحزب* تعطينا أدق وأعقل وأكمل تعبير عن الآراء حول التكتيك باعتبار ان هذه الآراء لم يدل بها بعض الكتاب عرضاً بل اقرها ممثلو البروليتاريا

* لقد اشترك البلاشفة وحدهم في المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (لندن ، ايار ــ مايو ــ ١٩٠٥) واشترك المناشفة وحدهم في «المجلس العام» (جينيف ، في الحقبة نفسها) ؛ ونحن غالباً ما نسميهم في هذا الكراس «جماعة «الايسكرا» الجديدة» لأنهم ، وقد تابعوا اصدار «الايسكرا» اعلنوا بلسان رفيقهم بالفكر آنذاك تروتسكي ، بان بين «الايسكرا» القديمة والجديدة هوة . (ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧ . **الناشر** .)

الاشتراكية-الديموقراطية المسؤولون وان حزبنا ليتقدم جميع الاحزاب الاخرى من حيث ان له برنامجاً دقيقاً أقره جميع اعضائه ويجب عليه ايضاً ان يعطي الاحزاب الاخرى المثال على التقيد الصارم بقراراته التكتيكية خلافاً لانتهازية البرجوازية الديموقراطية في «اوسفوبوجدينييه» وللتعابير الثورية الطنانة التي يتشدق بها الاشتراكيون-الثوريون الذين انتظروا الثورة حتى يستدركوا ويتقدموا بـ«مشروع» برنامج وينصرفوا للمرة الاولى الى حل مسألة معرفة ما اذا كانت الثورة الجارية امام انظارهم ثورة برجوازية

ولهذا نعتبر ان ألحّ مهمة تواجهها الاشتراكية-الديموقراطية الثورية انما هي التمعن في دراسة القرارات التكتيكية التي اتخذها كل من المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا والمجلس العام وتحديد الانحرافات فيها عن مبادئ الماركسية وادراك الاهداف الملموسة للبروليتاريا الاشتراكية-الديموقراطية في الثورة الديموقراطية وذلك هو غرض هذا الكراس فان التثبت من صحة تكتيكنا من وجهة نظر المبادئ الماركسية ودروس الثورة ضروري ايضاً لكل من يريد فعلا تحضير الوحدة التكتيكية بوصفها القاعدة المقبلة لتوحيد مجمل حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا توحيداً تاماً لا الاقتصار على المواعظ

ن لينين

تموز (يوليو) ١٩٠٥

١ – مسألة سياسية ملحة

ان مسألة الدعوة لعقد جمعية تأسيسية تمثل الشعب بأسره ترد على بساط البحث في هذه الساعة الثوريـــــة التي نعيش فكيف يمكن حل هذه المسألة ؟ ان الآراء تختلف فهناك ثلاثة ميول سياسية ترتسم ان حكومة القيصر تقر بضرورة دعـــوة ممثلي الشعب الى الاجتماع ، ولكنها لا تريد في اي حال ان تقبل بان تكون جمعيتهم تأسيسية تمثل الشعب بأسره واذا اخذنا بانباء الصحافة عن اعمال لجنة بوليغين (١٦١) يتبين ان الحكومة القيصرية قد توافق على جمعية استشارية منتخبة دون حرية التحريض وبنظام انتخابي يفرض شروطاً قاسية او يشمل فئات ضيقة مغلقة تماماً اما البروليتاريا الثورية فانها ، ما دامت تسير بقيادة الاشتراكية-الديموقراطية تطالب بنقل كامل السلطة الى الجمعية التأسيسية ولهذا الهدف لا تناضل في سبيل الاقتراع العام وحرية التحريض التامة وحسب انما تناضل ايضاً من اجل دك حكومة القيصر فوراً والاستعاضة عنها بحكومة ثورية موقتة واخيراً ان البرجوازية الليبيرالية التي تعرب عن أمانيها بلسان زعماء ما يسمى «الحزب الدستوري-الديموقراطي» (١٦٢) لا تطالب باسقاط الحكومـــة القيصرية ولا تصوغ شعار الحكومة الموقتة ولا تصر على ضمانات فعلية لحرية وصحة الانتخاب التامتين لكي تكون جمعيـــة الممثلين

ممثلة للشعب بأسره فعلا وتأسيسية فعلا ففي الاساس تسعى البرجوازية الليبيرالية السند الاجتماعي الجدّي الوحيد لميل جماعة «اوسفوبوجدينييه» وراء صفقة سلمية قدر الامكان بين القيصر والشعب الثوري على ان تكون صفقة تمنحها اي البرجوازية أكثر ما يمكن من السلطة والشعب الثوري البروليتاريا والفلاحين ، أقل ما يمكن من السلطة

هذا هو الوضع السياسي في الظرف الراهن وهذه هي الميول السياسية الرئيسية الثلاثة المقابلة للقوى الاجتماعية الرئيسية الثلاث في روسيا اليوم وقد تحدثنا مراراً في «بروليتاري» (الاعداد ٣ ٤ ٥) * عن الطريقة التي تستر فيها جماعة «اوسفوبوجدينييه» وراء جمل ديموقراطية مزعومة سياستها المتذبذبة او بالاحرى بتعابير ابسط واصرح سياستها القائمة على الخيانة والغدر ازاء الثورة لنر الآن كيف يأخذ الاشتراكيون-الديموقراطيون بالحسبان مهام الساعة فهناك قراران اتخذهما لأمد قريب جداً المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا و«المجلس العام» للقسم المنشق عن الحزب يشكلان بهذا الصدد مرجعاً ممتازاً وان اهمية هائلة لتتسم بها مسألة معرفة اي من هذين القرارين يأخذ الوضع السياسي بالحسبان على نحو أصح ويحدد تكتيك (خطة) البروليتاريا الثورية على نحو أصح وكل اشتراكي-ديموقراطي راغب في القيام عن وعي بواجباته في حقل الدعاية والتحريض والتنظيم انما يجب عليه ان يدرس هذه المسألة بكل الانتباه المنشود تاركاً تماماً جانباً الاعتبارات الغريبة عن جوهر القضية

---

* راجع مقالات لينين «النضال الثوري والسمسرة الليبيرالية» «المهام الديموقراطية للبروليتاريا الثورية» ، «اولى خطوات الخيانة البرجوازية» . **الناشر** .

ان المقصود بتكتيك حزب ما سلوكه السياسي او طابع اتجاه طرائق نشاطه السياسي ان مؤتمر الحزب يتخذ قرارات تكتيكية لكي يحدد بدقة السلوك السياسي للحزب بمجمله ازاء مهام جديدة او ازاء وضع سياسي جديد وقد نشأ وضع جديد من هذا النوع بفعل الثورة التي بدأت في روسيا اي بفعل النزاع الكلي القاطع السافر بين اغلبية الشعب الساحقة وحكومة القيصر اما القضية الجديدة فهي معرفة الوسائل العملية اللازمة لعقد جمعية تشمل حقاً الشعب بأسره تأسيسية حقاً (اما من الناحية النظرية فان مسألة هذه الجمعية قد حلتها الاشتراكية-الديموقراطية في برنامجها رسمياً ، منذ زمن بعيد وقبل جميع الاحزاب الاخرى) واذا كان الشعب على خلاف مع الحكومة واذا كانت الجماهير قد ادركت ضرورة اقامة نظام جديد فعلى الحزب الذي يستهدف اسقاط الحكومة ان يفكر بالضرورة باية حكومة يستعيض عن الحكومة السابقة الحكومة المقصود اسقاطها ان مسألة **جديدة** توضع مسألة الحكومة الثورية الموقتة وللاجابة عنها جواباً تاماً يجب على حزب البروليتاريا الواعية ان يوضح ١ – **اهمية** الحكومة الثورية الموقتة في الثورة القائمة وفي كامل نضال البروليتاريا بوجه عام ٢ – **موقفه** من الحكومة الثورية الموقتة ٣ – الشروط الدقيقة **لاشتراك** الاشتراكية-الديموقراطية في هذه الحكومة ٤ – شروط الضغط الذي يجب ممارسته **من تحت** على هذه الحكومة ، اي اذا لم تكن الاشتراكية-الديموقراطية ممثلة فيها وفي هذا الصدد لن يكون سلوك الحزب السياسي جلياً ثابتاً مطابقاً لمبادئه الا اذا اتضحت كل هذه القضايا

لنر اذن كيف حل قرار المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا هذه القضايا . اليكم هذا القرار بنصه الكامل :

«قرار بصدد الحكومة الثورية الموقتة .

حيث

١ – ان مصالح البروليتاريا المباشرة ، وكذلك مصالح نضالها في سبيل اهداف الاشتراكية النهائية تتطلب اكمل ما يمكن من الحرية السياسية وبالتالي احلال الجمهورية الديموقراطية محل شكل الحكم الاوتوقراطي

٢ – ان الجمهورية الديموقراطية في روسيا لا يمكن ان تقوم الا نتيجة انتفاضة شعبية ظافرة يكون جهازها الحكومة الثورية الموقتة القادرة وحدها على تأمين الحرية التامة للتحريض الانتخابي وعقد جمعية تأسيسية تنتخب بالاقتراع العام المتساوي المباشر ، السري ، وتعبر فعلا عن ارادة الشعب

٣ – ان هذا الانقلاب الديموقراطي في روسيا نظراً لنظامها الاجتماعي والاقتصادي الحالي لن يضعف بل سيعزز سيطرة البرجوازية التي ستحاول حتماً في لحظة معينة ودون التراجع عن شيء ان تسلب بروليتاريا روسيا اكبر قسم ممكن من مكتسباتها في المرحلة الثورية

يقرر المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا

أ – من الضروري ان يصار في صفوف الطبقة العاملة الى نشر مفاهيم ملموسة عن سير الثورة الاكثر احتمالا وعن ضرورة نشوء حكومة ثورية موقتة في لحظة معينة من الثورة حكومة تطالبها البروليتاريا بتلبية جميع المطالب السياسية والاقتصادية المباشرة الواردة في برنامجنا (برنامج الحد الادنى)

ب – تبعاً لنسبة القوى وغيرها من العوامل التي يستحيل تحديدها مسبقاً بدقة يمكن القبول باشتراك اشخاص مفوضين من قبل حزبنا في حكومة ثورية موقتة ، بغية النضال بلا هوادة

ضد جميع المحاولات المعادية للثورة والدفاع عن المصالح الخاصة للطبقة العاملة

ج – ان الشرط الذي لا بد منه لهذا الاشتراك هو رقابة الحزب الصارمة على مفوضيه والمحافظة الدائبة على استقلال الاشتراكية-الديموقراطية التي تطمح الى انقلاب اشتراكي كلي والتي هي بحكم هذا الطموح معادية لجميع الاحزاب البرجوازية عداء مستعصياً لا حل له

د – بصرف النظر عن امكان اشتراك الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الثورية الموقتة من اللازم ان يصار في صفوف اوسع الاوساط البروليتارية الى الترويج بالفكرة التالية وهي انه من الضروري ان تقوم البروليتاريا المسلحة التي تقودها الاشتراكية-الديموقراطية بضغط مستمر على الحكومة الموقتة لأجل حماية مكتسبات الثورة وتوطيدها وتوسيعها»

٢ – ماذا يعطينا قرار المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا بشأن الحكومة الثورية الموقتة ؟

ان قرار المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا مكرس بكليته وبوجه الحصر كما يستفاد من العنوان لمسألة الحكومة الثورية الموقتة وهذا يعني ان اشتراك الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الثورية الموقتة يظهر هنا جزءا من هذه المسألة ومن جهة اخرى لا يتناول القرار الا الحكومة الثورية الموقتة لا شيئاً آخر وهذا يعني انه لا يتناول ابداً ، مثلا مسألة «الاستيلاء على السلطة» بوجه عام الخ. فهل كان المؤتمر على صواب حين استبعد هذه المسألة والمسائل

المماثلة ؟ لا يمكن الشك بذلك لأن الوضع السياسي في روسيا لا يطرح اطلاقاً مثل هذه المسائل على بساط البحث بل بالعكس فان الشعب بأسره قد وضع على بساط البحث اسقاط الاوتوقراطية وعقد الجمعية التأسيسية فعلى مؤتمرات الحزب ان لا تطرح القضايا التي يثيرها هذا الكاتب او ذاك عن خطأ او صواب بل ان تطرح القضايا التي ترتدي اهمية سياسية جدية ، نظراً لاوضاع الساعة والسير الموضوعي للتطور الاجتماعي

ما هي اهمية الحكومة الثورية الموقتة بالنسبة للثورة الحالية وبالنسبة لنضال البروليتاريا العام ؟ ان قرار المؤتمر يوضح هذا الأمر اذ يشير منذ البداية الى ضرورة «اكمل ما يمكن من الحرية السياسية» سواء أمن حيث مصالح البروليتاريا المباشرة ام من حيث «اهداف الاشتراكية النهائية» والحال لكي تكون الحرية السياسية كاملة يجب ان يستعاض عن الاوتوقراطية القيصرية بجمهورية ديموقراطية وهذا ما سبق واقره برنامج حزبنا وتطبيقاً للمبادئ والمنطق كان يترتب الاشارة في قرار المؤتمر الى شعار الجمهورية الديموقراطية لأن البروليتاريا بوصفها المكافحة الطليعية في سبيل الديموقراطية تطالب على وجه الضبط بالحرية الكاملة وفضلا عن ذلك كانت هذه الاشارة مناسبة خصوصاً في الظرف الراهن اذ نرى الآن بالدقة ملكيين يتسترون عندنا براية «الديموقراطية» فهكذا يفعل الحزب المسمى بالحزب الدستوري-«الديموقراطي» او بحزب «اوسفوبوجدينييه» ولتأسيس جمهورية تنبغي اطلاقاً جمعية ممثلي الشعب شرط ان ينتخبها الشعب كله (بالاقتراع العام المتساوي المباشر السري) وشرط ان تكون جمعية تأسيسية وهذا ما يقر به قرار المؤتمر فيما بعد ولكن هذا القرار لا ينحصر في هذا فلأجل اقامة نظام جديد «يعبر فعلا عن ارادة الشعب» ، لا يكفي نعت

جمعية الممثلين بانها جمعية تأسيسية انما ينبغي ايضاً ان تتمتع هذه الجمعية بسلطة وقوة «التأسيس» وادراكاً لهذا الامر لم يقتصر قرار المؤتمر على مجرّد صياغة شعار «الجمعية التأسيسية» بل اضاف الشروط المادية التي تتيح وحدها لهذه الجمعية القيام حقاً بمهمتها وكان من الملح والضروري اجراء مثل هذه الاشارة الى الشروط التي يمكن بها ان تتحول جمعية تأسيسية بالقول الى جمعية تأسيسية بالفعل لأن البرجوازية الليبيرالية التي يمثلها الحزب الدستوري-الملكي تشوه قصداً وعمداً كما اوضحنا مراراً ، شعار الجمعية التأسيسية التي تمثل الشعب بأسره وتجعل منه تعبيراً أجوف لا معنى له

ان قرار المؤتمر يقول ان الحكومة الثورية الموقتة شرط ان تكون جهاز الانتفاضة الشعبية الظافرة ، هي **وحدها** التي تستطيع ان تؤمن الحرية التامة للتحريض الانتخابي وعقد جمعية تعبر فعلا عن ارادة الشعب فهل هذه الموضوعة صحيحة ؟ ان من يرتأي دحضها انما يتعين عليه ان يثبت انه يمكن للحكومة القيصرية ان لا تمد اليد الى الرجعية وانها قادرة على التزام الحياد في الانتخابات وانه يمكنها ان تعنى بالتعبير الحقيقي عن ارادة الشعب ان هذه المزاعم خرقاء بحيث انه لن يفكر احد بدعمها علنا ولكن اصحابنا جماعة «اوسفوبوجدينييه» بالضبط يروجون بها خلسة في ظل الراية الليبيرالية . يجب ان يعقد احد الجمعية التأسيسية يجب ان يؤمن احد حرية وصحة الانتخابات يجب ان يخوّل احد هذه الجمعية كامل القوة والسلطة فقط حكومة ثورية تكون جهاز الانتفاضة في وسعها ان تبتغي هذه الامور بكل اخلاص وان تملك القوة لفعل كل شيء من اجل تحقيقها الا ان حكومة القيصر ستعارض حتماً وان حكومة ليبيرالية تعقد صفقة مع القيصر ولا تعتمد كلياً على الانتفاضة الشعبية ، لن يكون في

مقدورها لا ان تبتغي هذه الامور بكل اخلاص ولا ان تقوم بها حتى ولو ملكت اخلص الرغبة وهكذا فان قرار المؤتمر يعطي الشعار الصحيح الوحيد والديموقراطي المنسجم تماماً

ولكن تقدير اهمية الحكومة الثورية الموقتة يكون ناقصاً وخاطئاً اذا غاب عن البال الطابع الطبقي للانقلاب الديموقراطي ولذا فان القرار يضيف ان الانقلاب سيعزز سيطرة البرجوازية وهذا امر لا مناص منه في النظام الاجتماعي والاقتصادي الحالي ، اي النظام الرأسمالي وتعزيز سيطرة البرجوازية على بروليتاريا تتمتع ببعض الحرية السياسية سيؤدي حتماً الى النضال الضاري بين البرجوازية والبروليتاريا في سبيل السلطة الى محاولات يائسة تبذلها البرجوازية «لسلب البروليتاريا مكتسباتها في المرحلة الثورية» ولذا يترتب على البروليتاريا التي تكافح في سبيل الديموقراطية في طليعة الجميع وعلى رأس الجميع ان لا تنسى لحظة واحدة التناقضات الجديدة التي تكمن في اعماق الديموقراطية البرجوازية وان لا تنسى النضال الجديد

وهكذا فان اهمية الحكومة الثورية الموقتة قد حددها تحديداً كاملا القسم الذي بحثناه من القرار اي سواء أمن حيث موقفها من النضال في سبيل الحرية وفي سبيل الجمهورية ام من حيث موقفها من الجمعية التأسيسية ام من حيث موقفها من الانقلاب الديموقراطي الذي يمهد المجال لنضال طبقي جديد

وبعد ذاك نتساءل اي موقف يجب ان تقفه البروليتاريا بوجه عام من الحكومة الثورية الموقتة ؟ عن هذا السؤال يجيب قرار المؤتمر بادئ ذي بدء بتوصية الحزب صراحة بالعمل على اقناع الطبقة العاملة بضرورة حكومة ثورية موقتة فعلى الطبقة العاملة ان تدرك هذه الضرورة وبينا تغفل البرجوازية «الديموقراطية» مسألة اسقاط الحكومة القيصرية ، يتعين علينا نحن ان نضع هذه المسألة

في المرتبة الاولى ونلح على ضرورة حكومة ثورية موقتة وفضلا عن ذلك يتعين علينا ان نعرض برنامج عمل هذه الحكومة على ان يكون مطابقاً للظروف الموضوعية في المرحلة التاريخية التي نمر بها ولمهمات الديموقراطية البروليتارية وهذا قوام **كل** برنامج الحد الادنى لحزبنا برنامج التحويلات السياسية والاقتصادية المباشرة القابلة للتحقيق تماماً وكمالا في ظروف العلاقات الاقتصادية والاجتماعية الحالية من جهة والضرورية من جهة اخرى للسير خطوة جديدة الى الامام لتحقيق الاشتراكية

وعلى هذا النحو يوضح القرار تماماً طابع الحكومة الثورية الموقتة وغرضها فمن الضروري ان تكون هذه الحكومة من حيث اصولها وطابعها الاساسي جهاز الانتفاضة الشعبية ومن الضروري ان تكون ، من حيث القصد الصريح منها اداة لعقد جمعية تأسيسية تشمل الشعب بأسره ومن الضروري ان تحقق ، من حيث مضمون نشاطها برنامج الحد الادنى للديموقراطية البروليتارية القادر وحده على تأمين مصالح الشعب الثائر على الاوتوقراطية

قد يعترض احد بان الحكومة الموقتة لكونها موقتة لا تتمكن من تطبيق برنامج ايجابي لما يوافق عليه الشعب بأسره الا ان هذا الاعتراض لن يكون سوى سفسطة جديرة برجعي و«موال للاوتوقراطية» ان الامتناع عن تطبيق اي برنامج ايجابي انما يعني التساهل بوجود الاوضاع الاقطاعية للاوتوقراطية المتعفنة ان حكومة من خونة الثورة لا حكومة تكون جهازاً للانتفاضة الشعبية هي وحدها التي تستطيع ان تتساهل بوجود مثل هذه الاوضاع وانه لمن السخر بالناس ان يقترح احد العدول عن تطبيق حرية الاجتماع تطبيقاً فعلياً طالما لم تعترف الجمعية التأسيسية بهذه الحرية بحجة ان الجمعية التأسيسية قد لا تعترف بها وانه لمن السخر بالناس ايضاً ان يعترض احد على تطبيق برنامج الحد الادنى فوراً من قبل الحكومة الثورية الموقتة .

واخيراً نلاحظ ان القرار اذ يعهد الى الحكومة الثورية الموقتة بمهمة تطبيق برنامج الحد الادنى انما يستبعد بالتالي الافكار الخرقاء شبه الفوضوية القائلة بتطبيق برنامج الحد الاقصى فوراً بالاستيلاء على السلطة من اجل الانقلاب الاشتراكي فان درجة التطور الاقتصادي في روسيا (الشرط الموضوعي) ودرجة الوعي والتنظيم عند الجماهير الغفيرة من البروليتاريا (الشرط الذاتي المرتبط ارتباطاً وثيقاً لا تنفصم عراه بالشرط الموضوعي) تجعلان من المستحيل تحرير الطبقة العاملة فوراً وكلياً وليس غير أجهل الناس من يستطيعون ان يتجاهلوا الطابع البرجوازي للانقلاب الديموقراطي القائم وليس غير المتفائلين المغرقين في السذاجة من يستطيعون ان ينسوا ان سواد العمال لا يعرفون حتى الآن الا القليل القليل عن اهداف الاشتراكية ووسائل تحقيقها ونحن مقتنعون جميعاً بان تحرير العمال لا يمكن ان يكون إلا من صنع العمال انفسهم ودون وعي الجماهير وتنظيمها دون اعدادها وتربيتها عن طريق النضال الطبقي السافر ضد البرجوازية بأسرها ، لا يمكن حتى الكلام عن الثورة الاشتراكية وجواباً عن الاعتراضات الفوضوية الزاعمة اننا نرجئ الانقلاب الاشتراكي نقول اننا لا نرجئه انما نخطو الخطوة الاولى نحوه بالوسيلة الممكنة الوحيدة وبالطريق القويم الوحيد اي بطريق الجمهورية الديموقراطية ان من يريد السير الى الاشتراكية بطريق آخر ، خارج الديموقراطية السياسية يصل حتماً الى استنتاجات خرقاء ورجعية سواء بمعناها الاقتصادي ام بمعناها السياسي واذا جاء هؤلاء العمال او اولئك وسألونا ، في لحظة مناسبة ما لِم لا نطبق برنامج الحد الاقصى ؟ فاننا سنجيبهم بالاشارة الى اي حد بعيد لا تزال الجماهير الشعبية ذات الميول الديموقراطية غريبة عن الاشتراكية الى اي حد كبير لا تزال التناقضات الطبقية ضعيفة التطور ، الى اي حد

كبير لا يزال البروليتاريون غير منظمين فنظموا اذن مئات الآلاف من العمال في عموم روسيا اكتسبوا تحبيذ الملايين لبرنامجكم حاولوا ان تفعلوا ذلك دون ان تكتفوا بالتعابير الفوضوية الطنانة ، ولكن الجوفاء تروا حالا ان تحقيق هذا التنظيم ونشر هذا التثقيف الاشتراكي يتوقفان على تحقيق التحويلات الديموقراطية باكمل ما يمكن

لنتابع اذ اتضحت اهمية الحكومة الثورية الموقتة وموقف البروليتاريا منها يبرز السؤالان التاليان هل يجوز اشتراكنا في هذه الحكومة (العمل من القمة) وباية شروط ؟ كيف يجب ان يكون عملنا من القاعدة ؟ ان القرار يعطي جوابين دقيقين على هذين السؤالين فهو يعلن بكل جلاء انه **يجوز** مبدئياً اشتراك الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الثورية الموقتة (في عهد الانقلاب الديموقراطي ، في عهد النضال من اجل الجمهورية) وبهذا الاعلان ، ننفصل نهائياً عن الفوضويين الذين يجيبون مبدئياً بالنفي على هذا السؤال وكذلك عن ذنبيي الاشتراكية-الديموقراطية (امثال مارتينوف وجماعة «الايسكرا» الجديدة) الذين كانوا **يخيفوننا** باحتمال نشوء وضع نضطر فيه الى الاشتراك في الحكم وبهذا الاعلان نبذ المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا نهائياً فكرة «الايسكرا» الجديدة التي تزعم ان اشتراك الاشتراكيين-الديموقراطيين في الحكومة الثورية الموقتة سيكون ضرباً من الميليرانية (١٦٣) وان هذا الاشتراك لا يجوز مبدئياً لأنه يكرّس النظام البرجوازي ، الخ

ولكن مسألة الجواز المبدئي لا تحل بعد مسألة الفائدة العملية وهذا غني عن البيان ففي اية ظروف يكون مفيداً هذا الشكل الجديد للنضال النضال «من القمة» الذي اقره مؤتمر الحزب ؟ بديهي انه لا يمكن التحدث الآن عن الظروف الملموسة ،

كالنسبة بين مختلف القوى الخ والقرار يمتنع بالطبع عن تحديد هذه الشروط سلفاً وليس ثمة انسان عاقل يأخذ على نفسه التنبؤ الآن باي شيء بصدد المسألة التي تهمنا ولكن من الممكن ومن الواجب تحديد طابع اشتراكنا وغرضه وهذا ما يفعله القرار فهو يشير الى هدفين من الاشتراك ١ – النضال بلا هوادة ضد المحاولات المعادية للثورة و٢ – الدفاع عن المصالح الخاصة للطبقة العاملة وبينا يشرع البرجوازيون الليبيراليون في الحديث بحمية عن نفسية الرجعية (راجع المقالة الواسعة الدلالة «رسالة مفتوحة» للسيد ستروفه ، في العدد ٧١ من «اوسفوبوجدينييه») ساعين جهدهم الى تخويف الشعب الثوري وحثه على التنازل ازاء الاوتوقراطية يكون من المناسب بخاصة ان يذكر حزب البروليتاريا بضرورة خوض حرب حقيقية ضد الحركة المعادية للثورة فان قضايا الحرية السياسية والنضال الطبقي الكبيرة لا يحلها آخر الامر غير القوة فيجب علينا ان نعنى باعداد وتنظيم هذه القوة واستعمالها بنشاط ، لا للدفاع وحسب ، بل للهجوم ايضاً ان المرحلة الطويلة التي تسود فيها الرجعية السياسية في اوروبا بصورة متواصلة تقريباً منذ كومونة باريس ، قد عودتنا كثيراً جداً على التفكير بالعمل «من القاعدة» فقط لقد عودتنا كثيراً جداً على ان لا نرى الا النضال الدفاعي ولا جدال اننا دخلنا اليوم مرحلة جديدة فقد بدأ عهد من الهزات السياسية والثورات وفي مرحلة كالتي تجتازها روسيا لا يجوز الاكتفاء بالكليشهات القديمة انما يجب الدعاية لفكرة العمل من القمة يجب الاستعداد لأشد الاعمال الهجومية حزماً يجب دراسة شروط هذه الاعمال واشكالها وقرار المؤتمر يضع في المرتبة الاولى اثنين من هذه الشروط احدهما يتعلق بالناحية الشكلية من اشتراك الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الثورية الموقتة

(رقابة الحزب الصارمة على مفوضيه) والثاني يتعلق بطابع هذا الاشتراك بالذات (ان لا يغيب عن البال ولو لحظة واحدة هدف الانقلاب الاشتراكي الكامل)

وهكذا فان القرار بعد ان يوضح من كل النواحي سياسة الحزب في العمل «من القمة» – هذه الوسيلة النضالية الجديدة التي تكاد تكون غير معروفة حتى الآن – يتناول ايضاً الحالة التي لا يمكننا فيها العمل من القمة ففي جميع الحالات يجب علينا ان نضغط من القاعدة على الحكومة الثورية الموقتة ولممارسة هذا الضغط من القاعدة يجب ان تكون البروليتاريا مسلحة – لأن الامور تبلغ بسرعة فائقة حد الحرب الاهلية السافرة في الظرف الثوري – وسائرة بقيادة الاشتراكية-الديموقراطية والغرض من ضغط البروليتاريا المسلح – «حماية مكتسبات الثورة وتوطيدها وتوسيعها» اي تلك المكتسبات التي يجب ان تتلخص من وجهة نظر مصالح البروليتاريا في تحقيق كل برنامجنا برنامج الحد الادنى

وبهذا ننتهي من بحثنا السريع لقرار المؤتمر الثالث بشأن الحكومة الثورية الموقتة ان هذا القرار كما يرى القارئ يبين اهمية هذه المسألة الجديدة وموقف حزب البروليتاريا منها وسياسة الحزب سواء أفي داخل الحكومة الثورية الموقتة ام خارجها

لنر الآن الى القرار المقابل الذي اتخذه «المجلس العام»

٣ – ماذا يعني «انتصار الثورة الحاسم على القيصرية» ؟

ان قرار «المجلس العام» مخصص لقضية **«الاستيلاء على السلطة والاشتراك في الحكومة الموقتة»** * ان هذه الطريقة في طرح المسألة تنطوي بحد نفسها على تشوش كما سبق وقلنا

* بامكان القارئ ان يعيد النص الكامل لهذا القرار اذا ما جمع الاستشهادات الواردة في الصفحات ٤٠٠ ، ٤٠٣ ـ ٤٠٤ ، ٤٠٧ ، ٤٣١ ،

فمن جهة تطرح المسألة على نحـــو ضيق فلا يـــــرى الا الى اشتراكنا في الحكومة الموقتة ولا يرى الى مهمات الحزب بوجه عام ازاء الحكومة الثورية الموقتة ومن جهة اخرى خلط بين مسألتين تختلف طبيعة احداهما عن طبيعة الاخرى اختلافاً كلياً اشتراكنـــــا في احد اطوار الانقلاب **الديموقراطي** وفي الانقلاب **الاشتراكي** وبالفعل ان «الاستيلاء على السلطة» من قبـــــل الاشتراكية-الديموقراطية يعني بالضبط الانقلاب الاشتراكي ولا يمكن ان يعني شيئاً آخر اذا استعملنا هذه الكلمات بمعناها الاصلي والعادي واذا فسرناها على انها تعني الاستيلاء على السلطة لا من اجل انقلاب اشتراكي ولكن من اجل انقلاب ديموقراطي فأي جدوى من التحدث آنذاك لا عن الاشتراك في الحكومة الثورية الموقتة وحسب بل ايضاً عن «الاستيلاء على السلطة» **بوجه عام**؟ وواضح ان اصحابنا «المشتركين في المجلس العام» لم يعرفوا هم انفسهم جيداً عما يجب عليهم ان يتحدثوا بالضبط عن الانقلاب الديموقراطي ام عن الانقلاب الاشتراكـــــي ان الذيـــن تابعوا المنشورات المخصصة للقضية يعرفون ان الرفيق مارتينوف هو الذي دشن هذا التشوش في مؤلفه الشهير «ديكتاتوريتان» ان جماعة «الايسكرا» الجديدة لا يتذكرون بطيبة خاطر الطريقة التي وضعت بها هذه المسألة (قبل ٩ كانون الثانـــي – يناير) في هذا المؤلف الذي يعتبر نموذجاً «للذنبية»؛ غير انه لا يمكن الشك في التأثير الفكري الذي مارسه على المجلس العام (الكونفيرانس)

ولكن لندع جانباً عنوان القرار فان محتواه يتكشف لنا عن اخطاء أعمق وأفدح بما لا يقارن اليكم القسم الاول من القرار

---

٤٣٣ ـ ٤٣٤ من الكراس الحالي (ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧) (راجع هذا المجلد ، ص ص ٤٢٠ ، ٤٢٧ ، ٤٣٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨٣ . **الناشر** .)

«ان انتصار الثورة الحاسم على القيصرية يمكن ان يتسم ، إما بتأليف حكومة موقتة منبثقة عن الانتفاضة الشعبية الظافرة ، واما بالمبادرة الثورية من جانب هذه المؤسسة التمثيلية او تلك التي تقرر ، تحت الضغط الثوري المباشر من الشعب ، تنظيم جمعية تأسيسية تمثل الشعب بأسره»

وهكذا يقال لنا ان انتصار الثورة الحاسم على القيصرية يمكن ان يكون إما انتفاضة ظافرة واما القرار الذي تتخذه مؤسسة تمثيلية لتنظيم الجمعية التأسيسية ما هذا ؟ وكيف هذا ؟ يمكن ان يشار الى الانتصار الحاسم بـ«قرار» بتنظيم جمعية تأسيسية ؟؟ وهذا «الانتصار» يرد الى جانب تشكيل حكومة موقتة «منبثقة عن انتفاضة شعبية ظافرة» ان المجلس العام لم يلاحظ ان الانتفاضة الشعبية **الظافرة وتشكيل** حكومة موقتة يعنيان انتصار الثورة **فعلا** بينما «القرار» بتنظيم جمعية تأسيسية لا يعني الا انتصار الثورة **بالاقوال**

ان المجلس العام الذي عقده المناشفة الايسكريون الجدد قد وقع في نفس الخطأ الذي يقع فيه دائماً الليبيراليون جماعة «اوسفوبوجدينييه» فان اعضاء هذه الجماعة يطلقون الجمل والتعابير الطنانة عن الجمعية «التأسيسية» ويغمضون عيونهم حياء على واقع ان القوة والسلطة لا تزالان في يد القيصر وهم ينسون انه من اجل «التأسيس» لا بد من **القوة** للتأسيس كذلك نسي المجلس العام ان البون شاسع بين «قرار» يتخذه ممثلون أياً كانوا وبين تطبيق هذا القرار ونسي المجلس العام ايضاً انه ما دامت السلطة في يد القيصر فان جميع القرارات التي يتخذها جميع الممثلين أياً كانوا ستبقى ثرثرات فارغة يرثى لها شأنها شأن «قرارات» برلمان فرانكفورت المعروف في تاريخ الثورة الالمانية عام ١٨٤٨ . فان ماركس ، الناطق بلسان

البروليتاريا الثورية كان في صحيفته «الجريدة الرينانية الجديدة» (١٦٤) يسلط سياط سخره اللاذع بلا رحمـــة ولا شفقة على «الاوسفوبوجدينيين» الليبيراليين الفرانكفورتيين لأنهم بالضبط كانوا يتشدقون بكلمات طيبـــة ويتخذون شتى «القرارات» الديموقراطية و«يؤسسون» مختلف انواع الحريات ولكنهم يتركون السلطة فعلا في يد الملك ولا ينظمون النضال المسلح ضد القوة العسكرية التي يتصرف بها هذا الملك وبينـــا الاوسفوبوجدينيون الفرانكفورتيون يكثرون من الثرثرات كان الملك ينتظر اللحظة المناسبة ويعزز قواته العسكرية بحيث ان الحركة المعادية للثورة المعتمدة على قوة فعليـــة هزمت الديموقراطيين هزيمة ماحقة رغم كل «قراراتهم» الظريفة

ولقد وصف المجلس العام بالانتصار الحاسم شيئاً ينقصه على وجه الدقة الشرط الحاسم للانتصار فكيف امكن ان وقع في هذا الخطأ اشتراكيون-ديموقراطيـــون يعترفون بالبرنامج الجمهوري لحزبنا ؟ لفهم هذا الواقع الغريب ينبغي لنا ان نعود الى قرار المؤتمر الثالث بشأن القسم المنشق عن الحزب * فان

---

* فيما يلي النص الكامل لهذا القرار : «ان المؤتمر يلاحظ انه لا تزال في قلب ح ع د ر ، منذ نضاله ضد «الاقتصادية» ، تلاوين قريبـــة من «الاقتصادية» بدرجات مختلفة وبعلاقات متنوعة ، وتتصف بميل عام الى الاستصغار من دور عناصر الوعي في النضال البروليتاري ، والى اخضاعها لعناصر العفويـــة ففي حقل التنظيم ، يصوغ ممثلو هذه التلاوين ، نظريـــاً ، مبدأ التنظيم-التفاعل ، الذي لا يطابق عمل الحزب النهاجي المنتظم ؛ وفي النشاط العملي ، يلجؤون ابداً ودائماً ، في كثرة من الحالات ، الى طريقة التهرب من الطاعـــة الحزبيـــة ؛ وفي حالات أخرى ، يسعون جهدهم الى تحطيم القواعد الوحيدة الممكنة حالياً لصلة الحزب ، بترويج دعايتهم بين أقل عناصر الحزب وعياً وقولهم بتطبيق المبدأ الانتخابي على نطاق واسع دون اخذ ظروف

هذا القرار يشير الى ان في حزبنا تيارات شتـــى «قريبة مـــن «الاقتصادية»» ان اصحابنا المشتركين في المجلس العام (الذين لا يتأثرون عبثاً بتأثير مارتينوف الفكري) يسهبون البحـــث في الثورة تماماً بنفس الروح التي كان يسهب بها «الاقتصاديون» في بحث النضال السياسي او يوم العمل من ثمانـــي ساعات وسرعان ما كان «الاقتصاديون» يطلعون بنظريتهم المسماة «نظرية المراحل» ١ – النضـــال في سبيـــل الحقوق ٢ – التحريض السياسي ٣ – النضال السياســـي او ١ – يوم العمل من ١٠ ساعات ٢ – يوم العمل من ٩ ساعات ٣ – يوم العمل من ٨ ساعات .ومعروفة كفاية من الجميع النتائج التي اسفـــر عنها هذا «التكتيك – التفاعل» والآن يقترح علينا تقسيم الثورة ايضاً مسبقاً وبعناية الى مراحل هي ١ – القيصر يعقد مؤسسة تمثيلية ٢ – هذه المؤسسة التمثيلية «تقرر» تحت ضغط «الشعب» تنظيم جمعية تأسيسية ٣ – حول

الواقع الروسي الموضوعية بالحسبان . وهم في مسائل التكتيك ، يسعون وراء التضييق من نطاق النشاط الحزبي ، اذ يعارضون إتباع تكتيك حزبي مستقل قطعاً عن الاحزاب البرجوازية الليبيرالية ، واذ ينكرون ، بالنسبة لحزبنا ، امكانية وفائدة القيام بدور تنظيمي في الانتفاضـــة الشعبيـــة ، ويعارضون اشتراك الحزب في الحكومـــة الثوريـــة الديموقراطيـــة الموقتـــة ، أيا كانت الظروف

ان المؤتمر يدعو جميع اعضاء الحزب الى خوض نضال فكري شديد في كل مكان ضد هذه الانحرافات الجزئية عن مبادئ الاشتراكية-الديموقراطية الثورية ؛ غير انه يعتبر في الوقت نفسه انه يجوز ان ينتسب الى منظمات الحزب اشخـــاص يشاطرون هـــذه الآراء الى هذا الحـــد او ذاك ، ولكن بشرط ضروري ، هو ان يعترفوا بمؤتمرات الحزب ونظام الحزب الداخلي ، ويخضعوا لطاعة الحزب خضوعاً تاماً» . (ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧ . **الناشر** .)

المرحلة الثالثة لم يتفق المناشفة بعد وقد نسوا ان الضغط الثوري من جانب الشعب يصطدم بضغط القيصرية المعادي للثورة، وتكون النتيجة إما ان «القرار» يبقى حبراً على ورق واما ان انتصار او هزيمة الانتفاضة الشعبية هو الكلمة الفاصلة، مرة اخرى ان قرار المجلس العام يشبه تماماً محاكمة «الاقتصاديين» التالية ان انتصار العمال الحاسم يمكن ان يتسم إما بالظفر الثوري بيوم العمل من ٨ ساعات واما بمنح يوم العمل من ١٠ ساعات و«القرار» بالانتقال الى يوم العمل من ٩ ساعات تماماً الشيء نفسه

قد يعترض احد علينا بان اصحاب القرار لم يفكروا في اعتبار انتصار الانتفاضة و«قرار» مؤسسة تمثيلية يدعو القيصر الى انعقادها **شيئاً واحداً** وبانهم ارادوا فقط ان يبحثوا سلفاً تكتيك الحزب في الحالتين وعلى هذا الاعتراض نجيب ١ – ان نص القرار يصف صراحة ودون لبس او ابهام **قرار** مؤسسة تمثيلية بانه «انتصار الثورة الحاسم على القيصرية» ربما هذا نتيجة لصياغة مهملة ربما يمكن اصلاحها وفقاً للمحاضر ولكن هذه الصياغة لن يكون لها سوى معنى واحد طالما لم تصلح وهذا المعنى هو بكليته معنى «**اوسفوبوجديني**» ٢ – ان مجرى الافكار «الاوسفوبوجديني» الذي انزلق اليه اصحاب القرار يتجلى ايضاً بوضوح اكبر بما لا حد له في كتابات اخرى لجماعة «الايسكرا» الجديدة فان جريدة لجنة تفليس «سوسيال-ديموقراط» (١٦٥) (التي تصدر باللغة الجورجية وفي اطرائها بالغت «الايسكرا» في عددها الـ١٠٠) مثلا يبلغ بها الامر حد القول في مقال بعنوان «الزيمسكي سوبور * وتكتيكنا» ان «التكتيك» «الذي يجعل من الزيمسكي سوبور محور نشاطنا» (ومن

* المقصود ـ الجمعية التمثيلية لعامة روسيا . **المعرب** .

جهتنا نضيف اننا لما نعرف شيئاً دقيقاً عن انعقاده !) «أفيد لنا» من «تكتيك» الانتفاضة المسلحة وتشكيل حكومة ثورية موقتة وسنعود فيما بعد الى هذا المقال ٣ – لا يمكن الاعتراض بشيء على بحث تكتيك الحزب مسبقاً في حال انتصار الثورة كما في حال الهزيمة ، في حال نجاح الانتفاضة وفي حال عجز الانتفاضة عن الاحتدام والتحول الى قوة مهيبة وقد تتمكن الحكومة القيصرية من عقد جمعية تمثيلية بغية عقد صفقة مع البرجوازية الليبيرالية الا ان قرار المؤتمر الثالث قد اخذ ذلك بعين الاعتبار فاشار بوضوح الى «السياسة المنافقة» و«الديموقراطية المزيفة» و«الاشكال الكاريكاتورية للتمثيل الشعبي من نوع ما يسمى الزيمسكي سوبور» * ولكن القرار بشان الحكومة الثورية الموقتة

* فيما يلي نص هذا القرار حول الموقف من تكتيك الحكومة عشية الانقلاب

«حيث ان الحكومة ، سعياً منها الى البقاء في المرحلة الثورية التي نعيش ، تزيد من حدة تدابير القمع العادية الموجهة بصورة رئيسية ضد العناصر الواعية من البروليتاريا ، وفي الوقت نفسه ١ – تحاول ، عن طريق التنازلات والوعود بالاصلاحات ، افساد الطبقة العاملة سياسياً وصرفها بالتالي عن النضال الثوري ؛ ٢ – تضفي للغرض نفسه ، على سياستها المنافقة ، سياسة التنازلات ، اشكالا ديموقراطية مزيفة ، ابتداء من دعوة العمال الى انتخاب ممثليهم الى اللجان والاجتماعات ، وانتهاء باستنباط اشكال كاريكاتورية للتمثيل الشعبي من نوع ما يسمى الزيمسكي سوبور ٣ – تنظم ما يسمى المئة السود (١٦٦) وتدفع ضد الثورة كل ما في الشعب من عناصر رجعية بوجه عام ومن عناصر غير واعية او اعماها الحقد العرقي والحقد الديني ، –

يقرر المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا دعوة جميع منظمات الحزب الى

أ – فضح الاهداف الرجعية من تنازلات الحكومة ؛ الاشارة في الدعاية والتحريض الى طابعها الاضطراري من جهة ، ومن جهة اخرى ، الى انه من

لا ينبس بكلمة حول هذا الموضوع لأن لا علاقة له بالحكومة الثورية الموقتة وهنا بيت القصيد ان الحالة التي نتناولها تستبعد قضية الانتفاضة وتشكيل حكومة ثورية موقتة وتعدلها الخ والواقع ان المقصود الآن ليس امكان شتى التركيبات ليس امكان الانتصار والهزيمة امكان السبل المستقيمة والملتوية انما المقصود ، هو انه لا يجوز للاشتراكي-الديموقراطي ان يزرع التشويش في افكار العمال حول السبيل الثوري حقاً لا يجوز ، على طريقة «اوسفوبوجدينييه» ، ان يسمي بالانتصار الحاسم شيئا ينقصه الشرط **الاساسي** للانتصار وقد لا نحصل ايضاً دفعة واحدة على يوم العمل من ثماني ساعات وقد يتعين علينا ان نسلك طريقاً طويلاً ملتوياً لبلوغ هذا الهدف ولكن ما عساكم ان تقولوا عن ذاك الذي يسمي حالة من العجز من الضعف تجعل البروليتاريا **عاجزة** عن مقاومة المماطلات والموارابات والمساومات والخيانة والرجعية يسمي هذه الحالة انتصاراً للعمال ؟ ومن الممكن ان تنتهي الثورة الروسية

المستحيل اطلاقا على الاوتوقراطية ان تمنح اصلاحات من شانها ارضاء البروليتاريا

ب ـ استغلال الحملة الانتخابية لتنوير العمال حول المغزى الحقيقي لمثل هذه التدابير التي تتخذها الحكومة ، والبرهنة على انه من الضروري للبروليتاريا ان تعقد ، بالطريق الثوري ، جمعية تاسيسية منتخبة بالاقتراع العام ، المتساوي ، المباشر ، السري ؛

ح ـ تنظيم البروليتاريا لتطبيق يوم العمل من ٨ ساعات وغيرها من المطالب الملحة للطبقة العاملة تطبيقا فوريا بالطريق الثوري ؛

د ـ تنظيم المقاومة المسلحة ضد المئة السود ، وعلى العموم ، ضد جميع العناصر الرجعية السائرة بقيادة الحكومة» . (ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧ . **الناشر** .)

«بطرح دستوري» كمـــا قالت «فبريود» * ذات يوم ولكن هل يمكن ان يبرر هذا القول الاشتراكي-الديموقراطي الذي ينعت هذا الطرح عشية النضال الحاسم بانـــه «انتصـــار حاسم على القيصرية» ؟ بل انه من الممكن في اسوأ الحالات ان لا نتوصل الى الظفر بالجمهورية وحتى ان لا نحصل الا على طيف دستور دستور «على طريقة شيبوف» (١٦٧) ولكن هل يستتبع هذا انه يمكن عذر الاشتراكي-الديموقراطي الذي يطمس شعارنا شعار الجمهورية ؟

يقيناً ان الايسكريين الجدد لما يبلغوا هذا الحد ولكن ما يبين بوضوح خاص الى اي حد فقدوا الروح الثوري الى اي حد يخفي عنهم التزمت العقيم اهداف الكفاح الحالية هو انهم **نسوا** في قرارهم ان يذكروا الجمهورية بالضبط هذا لا يصدق ولكن هذا امر واقع فان مختلف قرارات المجلس العام تؤكد وتكرر وتشرح باسهـــاب وتدرس بالتفصيـــل جميـــع شعارات الاشتراكية-الديموقراطية دون ان تغفل حتى انتخـــاب رؤساء الفرق والمندوبين في المصانع من قبل العمال ولكنهم لم يجدوا مناسبة لذكر الجمهورية في القرار بشأن الحكومة الثورية الموقتة ان التحدث عن «انتصار» الانتفاضة الشعبية وتشكيل حكومة موقتة ، دون توضيـــح العلاقـــة بين هاتين «الخطوتين» وهذين العملين

* صدرت جريدة «فبريود» في جينيف ابتداء من كانون الثاني ــ يناير ــ ١٩٠٥ ، بوصفها لسان حال كتلة الحزب البلشفية وقد صدر منها ١٨ عدداً مـــن كانون الثـــاني الى ايـــار (مايو) وابتداء مـــن ايار ، حلت «بروليتاري» بوصفهـــا الجريدة المركزيـــة ح ع د ر محـــل «فبريود» بموجب قرار من المؤتمر الثالث ل ح ع ا د ر (انعقـــد هذا المؤتمر في لندن في شهر ايار ؛ ولم يحضره المناشفة اذ نظموا «مجلسهم العام» في جينيف) . (ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧ . **الناشر** .)

للظفر بالجمهورية انما يعني تدبيج قرار لا لقيادة نضال البروليتاريا بل للمشي عرجاً في ذيل الحركة البروليتارية

لنوجز ان القسم الاول من القرار ١ – لم يلق اي نور على اهمية الحكومة الثورية الموقتة من وجهة نظر النضال في سبيل الجمهورية ومن وجهة نظر ضمان انعقاد جمعية تأسيسية فعلا وممثلة فعلا للشعب كله ٢ – زرع تشويشاً حقيقياً في وعي البروليتاريا الديموقراطي بوصفه وضعاً لا يزال ينقصه بالضبط الشرط الاساسي للانتصار الحقيقي بانه انتصار الثورة الحاسم على القيصرية

٤ – الجمهورية وتصفية النظام الملكي

لننتقل الى القسم التالي من القرار

«. ان هذا الانتصار سيكون ، في كل من الحالين ، بداية طور جديد في العهد الثوري

والمهمة التي تعهد بها ، بصورة عفوية ، ظروف التطور الاجتماعي الموضوعية الى هذا الطور الجديد انما تقوم في تصفية نظام الفئات المغلقة الملكي كله تصفية نهائية في مجرى النضال المتبادل بين عناصر المجتمع البرجوازي المتحرر سياسياً في سبيل تحقيق مصالحها الاجتماعية وفي سبيل امتلاك السلطة مباشرة

ولهذا فان الحكومة الموقتة التي تتولى تنفيذ مهمات هذه الثورة البرجوازية بحكم طابعها التاريخي انما يتعين عليها الى جانب ضبط النضال المتبادل بين الطبقات المتضادة في الامة بسبيل التحرر ، لا ان تدفع التطور الثوري الى الامام وحسب ، بل ان تكافح ايضاً بين عوامله تلك التي تهدد أسس النظام الرأسمالي»

لنتوقف عند هذا المقطع الذي يؤلف قسماً خاصاً من القرار ان الفكرة الرئيسية في هذه المحاكمات التي استشهدنا بها تطابق

الفكرة المعروضة في النقطة الثالثة من قرار المؤتمر ولكن المقارنة بين هذين المقطعين من القرارين سرعان ما تبرز الفرق الجوهري التالي بينهما فان قرار المؤتمر اذ يحدد في كلمتين الاساس الاقتصادي والاجتماعي للثورة يركز كل الانتباه على النضال الواضح المعالم والحدود بين الطبقات حول مكتسبات معينة ويضع في المرتبة الاولى اهداف كفاح البروليتاريا اما قرار المجلس العام فانه يصف مطولا وبصورة غامضة مشوشة الاساس الاقتصادي والاجتماعي للثورة ويتحدث بتعابير مبهمة جداً عن النضال في سبيل مكتسبات معينة ويغفل اطلاقاً اهداف كفاح البروليتاريا ثم ان قرار المجلس العام يتطرق الى تصفية النظام القديم في مجرى النضال المتبادل بين عناصر المجتمع بينا يقول قرار المؤتمر انه يترتب علينا نحن حزب البروليتاريا ان نقوم بهذه التصفية وان تأسيس الجمهورية الديموقراطية هو وحده الذي سيكون التصفية الفعلية وانه يجب علينا ان نظفر بهذه الجمهورية واننا سنناضل من اجلها ومن اجل الحرية الكاملة لا ضد الاوتوقراطية وحسب بل ايضاً ضد البرجوازية حين تحاول هذه البرجوازية (ولا بدّ لها ان تحاول) ان تنتزع منا مكتسباتنا ويدعو قرار المؤتمر طبقة معينة الى الكفاح من اجل هدف مباشر واضح المعالم كلياً بينا يحاكم قرار المجلس العام حول النضال المتبادل بين قوى مختلفة احد هذين القرارين يعكس نفسية النضال النشيط والثاني نفسية التأمل السلبي احدهما من أوله الى آخره نداء الى النشاط الحي والثاني سفسطة تزمت عقيم وكل منهما يعلن ان الانقلاب القائم ليس بالنسبة لنا الا خطوة اولى تتبعها خطوة ثانية ولكن احدهما يستخلص من ذلك انه ينبغي خطو هذه الخطوة الاولى بمزيد من السرعة وتصفيتها بمزيد من السرعة ، والظفر

بالجمهورية وسحق الحركة المعادية للثورة سحقاً لا رحمة فيه وتمهيد السبيل الى الخطوة الثانية بينا يتشدق القرار الثاني اذا جاز القول باوصاف مسهبة لهذه الخطوة الاولى و(اعذروني لابتذال التعبير) يمص الافكار بشأنها ان قرار المؤتمر يتخذ على سبيل الفاتحة او البديهية الاولى الافكار الماركسية القديمة الجديدة دائماً (عن صفة الانقلاب الديموقراطي البرجوازيـــة) لكي يستخلص منها المهمات التقدمية للطبقـــة الطليعيـة التي تكافح في آن من اجل الانقلاب الديموقراطـــي ومن اجل الانقلاب الاشتراكي اما قرار المجلس العام فيكتفي بالفاتحة وحدهـــا ويلوكها ويفرط في المحاكمة بشأنها

ان هذا الفرق هو الذي يقسم منذ زمن بعيـــد الماركسيين الروس الى جناحين جناح المتزمتين وجناح المكافحين من عهـــد الماركسية العلنية (١٦٨) الذي ولّى الجناح الاقتصادي والجناح السياسي من عهد مطلع الحركة الجماهيرية فمن مبدأ الماركسية الصحيح حول الجذور الاقتصادية العميقة للنضال الطبقي بوجه عام والنضال السياسي بوجه خاص كان «الاقتصاديون» يستخلصون هذا الاستنتاج الغريب القائل بانه يجب ادارة الظهر للنضـــال السياسي وعرقلة تطوره وتقليص مداه والاستصغار من اهدافه اما السياسيون فقد كانوا على العكس يستخلصون من المبادئ نفسها استنتاجاً آخر يقول بانه يجب ان يكون نضالنا اكثر اتساعاً واوفر جرأة واشد عزيمة واوفى مبادرة بقدر ما تكون اليوم جذور نضالنا اشد عمقاً واليوم ايضاً يبرز النقاش نفسه امامنا ، في ظروف جديدة ، بشكل آخر فانطلاقاً من المبادئ القائلة ان الانقلاب الديموقراطي ليس بعد — وما ابعد الشقة ! — الانقلاب الاشتراكي وانه لا «يهم» فقط — وما ابعد الشقة ! — غير المالكين ، وان جذوره العميقة تمتد الى الضرورات والحاجات

المحتمة للمجتمع البرجوازي **بأسره** نخلص الى القول بانه يترتب على الطبقة الطليعية بالاخص ان تضع مهماتها الديموقراطية بمزيد من الجرأة وان تصوغها الى النهاية بمزيد من الوضوح وان ترفع شعار **الجمهورية** الصريح وتروج بالفكرة القائلة بضرورة حكومة ثورية موقتة وضرورة سحق القوى المعادية للثورة سحقاً لا رحمة فيه بينما مجادلونا جماعة «الايسكرا» الجديدة يخلصون من المبادئ نفسها الى القول بانه لا يجب صياغة الاستنتاجات الديموقراطية الى النهاية وانه يمكن عدم ايراد شعار **الجمهورية** في عداد الشعارات العملية وانه يجوز عدم ترويج الفكرة القائلة بضرورة حكومة ثورية موقتة وان مجرد القرار بدعوة **الجمعية** التأسيسية الى الانعقاد يمكن اعتباره انتصاراً حاسماً وانه يمكن ان لا تصاغ مهمة النضال ضد الحركة المعادية للثورة بوصفه غرضاً من اغراض نشاطنا بل يمكن اغراقها في تلميح غامض (وخاطى الصياغة كما سنرى الآن) الى «مجرى النضال المتبادل» ان هذه اللغة ليست لغة السياسيين انما هي لغة لجنة ما من لجان حفظة الارشيف !

وبقدر ما ترون بمزيد من الانتباه الى بعض الصيغ في القرار الايسكري **الجديد** بقدر ما تكتشفون فيها على نحو اوضح الخصائص الاساسية التي اشرنا اليها يحدثوننا مثلا عن «مجرى النضال المتبادل بين عناصر المجتمع البرجوازي المتحرر سياسياً» وبما اننا نذكر الموضوع الذي حرر بشأنه القرار (الحكومة الثورية الموقتة) فاننا نتساءل بدهشة اذا كان لا بد من الحديث عن مجرى النضال المتبادل فكيف يمكن لزوم الصمت حول العناصر التي **تستعبد** المجتمع البرجوازي سياسياً ؟ وهل يظن المشتركون في المجلس العام انهم ما داموا قد افترضوا انتصار الثورة ، فان هذه العناصر قد زالت ؟ ان مثل هذه الفكرة لفكرة

خرقاء بوجه عام وتنم عن سذاجة سياسية بالغة وقصر نظر سياسي بوجه خاص ان الحركة المعادية للثورة لن تزول بعد انتصار الثورة على هذه الحركة بل بالعكس فانها ستبدأ حتماً نضالاً جديداً اشد ضراوة ونحن اذ نخصص قرارنا لتحليل مهامنا في حال انتصار الثورة انما من واجبنا ان نولي مهام صد الهجوم المعادي للثورة انتباهاً كبيراً جداً (وهذا ما فعلناه في قرار المؤتمر) لا ان نغرق هذه المهمات السياسية الملحة العاجلة ، المباشرة الموضوعة امام حزب كفاحي في اعتبارات عامة حول ما سيعقب العهد الثوري الراهن وحول ما سيجري عندما ينشأ «مجتمع **متحرّر** سياسياً» وكما كان «الاقتصاديون» يلجؤون الى الاستشهادات بالحقائق العامة حول خضوع السياسة للاقتصاد بغية اخفاء عدم فهمهم لمهمات الساعة السياسية كذلك يلجأ الايسكريون الجدد الى الاستشهادات بالحقائق العامة حول النضال في قلب مجتمع **متحرّر** سياسياً بغية اخفاء عدم فهمهم للمهمات الثورية الملحة المباشرة مهمات **تحرير** هذا المجتمع سياسياً

اليكم هذا التعبير «تصفية نظام الفئات المغلقة الملكي كله تصفية نهائية» تصفية المَلكية نهائياً هذا يعني بكلام واضح تأسيس الجمهورية الديموقراطية ولكن هذا التعبير يبدو بسيطاً جداً وصافياً جداً لصاحبنا الطيب مارتينوف والمعجبين به فهم يريدون اطلاقاً «التعميق» وقول الاشياء «بطريقة أذكى» مما يسفر عن جهد مضحك للتفكير بعمق هذا من جهة ومن جهة اخرى نرى وصفاً بدلا من شعار وبدلا من نداء ناشط للسير الى امام نرى نظرة كئيبة الى الوراء فكأننا لسنا امام اناس احياء يريدون ان يكافحوا في سبيل الجمهورية فوراً ، بدون تأخر ،

بل امام موميات متحجرة ترى sub specie aeternitatis * الى المسألة من وجهة نظر plusquamperfectum **

وبعد الحكومة الموقتة تتولى تنفيذ مهمات هذه الثورة البرجوازية هنا يتضح فوراً ان اصحابنا المشتركين في المجلس العام قد غفلوا عن المسألة الملموسة التي برزت امام قادة البروليتاريا السياسيين فان المسألة الملموسة مسألة الحكومة الثورية الموقتة قد غابت من مجالهم البصري امام مسألة الحكومات المتعاقبة التي ستنفذ مهمات الثورة البرجوازية بوجه عام فاذا شئتم ان تبحثوا المسألة من الوجهة «التاريخية» فان مثال اي من بلدان اوروبا سيبين لكم ان جملة من الحكومات غير «الموقتة» اطلاقاً هي التي نفذت المهمات التاريخية للثورة البرجوازية حتى ان الحكومات التي تغلبت على الثورة قد اضطرت الى تنفيذ المهام التاريخية لهذه الثورة المغلوبة ولكن ما يسمى بـ«الحكومة الثورية الموقتة» ليس ابداً ما تتحدثون عنه فان هذه التسمية تطلق على حكومة العهد الثوري على الحكومة التي تخلف فوراً الحكومة المقلوبة وتعتمد على الانتفاضة الشعبية لا على اي مؤسسات تمثيلية منبثقة عن الشعب ان الحكومة الثورية الموقتة هي جهاز النضال في سبيل انتصار الثورة فوراً في سبيل صد المحاولات المعادية للثورة فوراً وليست اطلاقاً جهازاً لتنفيذ المهمات التاريخية للثورة البرجوازية بوجه عام لندع ايها السادة للمؤرخين المقبلين في «روسكايا ستارينا» (١٦٩) المقبلة امر تعيين المهمات التي نفذناها نحن وانتم او هذه الحكومة او تلك من بين مهمات

---

* ــ من زاوية الخلود **الناشر** .

** ــ الماضي الابعد ، الزمن الغابر . **الناشر** .

الثورة البرجوازية فان هذا العمل لن يفوت وقت القيام به حتى بعد ٣٠ سنة بينما يترتب علينا اليوم ان نعطي شعارات وتوجيهات عملية بشأن النضال في سبيل الجمهورية واشتراك البروليتاريا باشد العزيمة في هذا النضال

ولهذه الاسباب نرى ان الاحكام الاخيرة في القسم الذي استشهدنا به من القرار هي ايضاً غير مرضية فالتعبير الذي يقول بان على الحكومة الموقتة ان «تضبط» النضال المتبادل بين الطبقات المتضادة تعبير غير موفق اطلاقاً او على الاقل اخرق فليس للماركسيين ان يستخدموا صيغة ليبيرالية كهذه على طريقة «اوسفوبوجدينييه» صيغة تفسح المجال للتفكير بامكان حكومات «تضبط» نضال الطبقات بدلا من ان تكون جهاز هذا النضال . . يتعين على هذه الحكومة «لا ان تدفع التطور الثوري الى الامام وحسب بل ان تكافح ايضاً بين عوامله تلك التي تهدد اسس النظام الرأسمالي» ان هذا «العامل» هو بالضبط البروليتاريا التي يتكلم القرار باسمها فبدلا من القول كيف يجب على البروليتاريا في هذه اللحظة «ان تدفع التطور الثوري الى الامام» (ان تدفعه الى ما وراء الحد الذي تود ان تذهب اليه البرجوازية الدستورية) وبدلا من النصح بالاستعداد على نحو ما لمحاربة البرجوازية حين تنقلب هذه البرجوازية على مكتسبات الثورة بدلا من هذا يتحفوننا بوصف عام للتفاعل ويلزمون الصمت المطبق حول مهمات نشاطنا **نحن** الملموسة ان طريقة الايسكريين الجدد في بسط افكارهم تذكرنا بتقدير ماركس (في «موضوعات»ه الشهيرة حول فورباخ) للمادية القديمة الغريبة عن فكرة الديالكتيك قال ماركس كان الفلاسفة لا يفعلون غير ان **يفسروا** العالم بشتى الطرائق بينما المقصود **تحويل** هذا العالم (١٧٠) ان جماعة «الايسكرا» الجديدة ، في مستطاعهم هم ايضاً ان يصفوا

ويشرحوا بصورة لا بأس بها النضال الذي يجري امام انظارهم ولكنهم عاجزون كلياً عن صياغة شعار صحيح في هذا النضال انهم يسيرون بحمية ولكنهم يسيئون القيادة فيحقرون المفهوم المادي عن التاريخ لانهم يتجاهلـــون الدور الفعال القيادي الموجه الذي يمكن ويجب ان تضطلع به فى التاريخ الاحزاب التي ادركـت ظروف الانقلاب الماديـــة وسارت على رأس الطبقـــات الطليعية

٥ – كيف يجب «دفع الثورة الى الامام» ؟

اليكم القسم التالي من القرار

«في هذه الاحوال ، يجب على الاشتراكية-الديموقراطية ان تجهـــد للاحتفاظ طوال مدة الثورة كلها على وضع يؤمن لها على خير وجه امكانية دفع الثورة الى الامام ، ولا يقيد يديها في النضال ضد السياسة المغرضـــة والمتذبذبة التي تنتهجها الاحزاب البرجوازية ، ويقيهـــــا من الذوبان في الديموقراطية البرجوازية

ولذا ينبغي على الاشتراكية-الديموقراطية ان لا تستهدف الاستيلاء على الحكم او المشاركة به في الحكومة الموقتة انما ينبغي لها ان تظل حزب اقصى المعارضة الثورية»

ان النصيحة باتخاذ وضع يؤمن على خير وجه امكانية دفـــع الثورة الى الامام تطيب لنا الى ما لا حد له الا اننا نود لو ان هذه النصيحة الطيبة ترفق باشارة دقيقة الى الطريقة التي يترتب بهـا على الاشتراكية-الديموقراطية ان تدفع الثورة الى الامام في هذه الفترة بالضبط في الوضـــع السياسي الراهن في هذه الحقبة مـــن الاشاعات والفرضيات والاحاديث والمشاريع لدعوة ممثلي الشعب الى الاجتماع . فهل يستطيع اليوم ان يدفع الثورة الى الامام

ذاك الذي لا يدرك خطر نظرية «اوسفوبوجدينييه» ، نظرية «التفاهم» بين الشعب والقيصر ذاك الذي يعتبر مجرد «القرار» بدعوة الجمعية التأسيسية الى الانعقاد انتصاراً ذاك الذي لا يضع مهمة الدعاية النشيطة للفكرة القائلة بضرورة حكومة ثورية موقتة ذاك الذي يغفل شعار الجمهورية الديموقراطية ؟ فالحقيقة ان هؤلاء النـــاس **يعودون بالثورة القهقرى** لأنهم ظلوا في حقل **السياسة العملية** في مستوى موقف «**اوسفوبوجدينييه**» فاي جدوى من اعترافهـــم ببرنامج يطالب بالاستعاضة عن الاوتوقراطية بجمهورية حين لا يرد شعار النضال من اجل الجمهورية في قرار تكتيكي يحدد اهداف الحزب الحالية والقريبة في ساعة الثورة ؟ ذلك بالضبط ان موقف انصار «اوسفوبوجدينييه» موقف البرجوازية الدستورية يتصف فعلا في الوقت الحاضر بكونهم يعتبرون القرار بدعوة جمعية تأسيسية تمثل الشعب بأسره الى الانعقاد انتصاراً حاسماً ويتجنبون عـــن حكمة كل ذكر للحكومة الثورية الموقتة والجمهورية فلأجل دفـع الثورة **الى الامام** اي دفعها الى ما وراء الحد الذي تدفعها اليـــه البرجوازية الملكية ينبغي الاشارة الى شعارات **تنقي** «تذبذب» الديموقراطية البرجوازية ينبغي رفع هذه الشعارات بنشاط ووضعها في المرتبـة الاولى وهذه الشعارات **ليست** في الظرف الراهن **الا شعارين اثنين** ١ – الحكومة الثورية الموقتة و٢ – الجمهوريـة لان البرجوازيـة الملكيـة قد **تبنت** شعار الجمعيـة التأسيسية التي تمثل الشعب بأسره (راجع برنامـــج «اتحـــاد اوسفوبوجدينييه») (١٧١) وتبنته بالضبط من اجل تمويـــه الثورة والحيلولة دون انتصارها التام ومن اجل عقد صفقـــة سمسرة بين البرجوازية الكبيرة والقيصرية ومن بين الشعاريـــن القادرين وحدهما على دفع الثورة الى امام نرى ان المجلس العام ينسى شعار الجمهورية كلياً ويجعل من شعار الحكومة الثورية الموقتة

معادلاً مباشراً لشعار الجمعية التأسيسية التي تمثل الشعب بأسره الشعار الذي صاغته «اوسفوبوجدينييه» اذ نعت هذا وذاك بانه «انتصار الثورة الحاسم» !!

اجل هذا هو الواقع الذي لا شك فيه الواقع الذي سيكون حسب اقتناعنا نقطة الاستدلال بالنسبة لمؤرخ الاشتراكية-الديموقراطية الروسية المقبل ان مجلس الاشتراكيين-الديموقراطيين العام يتخذ في ايار (مايو) ١٩٠٥ قراراً يورد كلمات طيبة حول ضرورة دفع الثورة الديموقراطية الى امام ولكنه في الواقع يعود بها القهقرى ولا يتجاوز في الواقع الشعارات الديموقراطية التي ترفعها البرجوازية الملكية

ان جماعة «الايسكرا» الجديدة يطيب لهم ان يتهمونا بتجاهل خطر ذوبان البروليتاريا في الديموقراطية البرجوازية اننا نود ان نرى ذاك الذي يأخذ على عاتقه اثبات هذه التهمة بالاستناد الى نصوص القرارات التي اتخذها المؤتمر الثالث لـ ح ع ا د ر اننا سنجيب مجادلينا ان الاشتراكية-الديموقراطية اذ تعمل على صعيد المجتمع البرجوازي لا يسعها الاشتراك في السياسة اذا لم تمش في هذه الحالة الخاصة او تلك ، **الى جانب** الديموقراطية البرجوازية ولكن الفرق بيننا وبينكم هو اننا نمشي الى جانب البرجوازية الثورية والجمهورية دون ان نمتزج بها بينما تمشون انتم الى جانب **البرجوازية الليبيرالية والملكية** ، دون ان تمتزجوا بها ايضاً **هذه هي الوقائع .**

ان شعاراتكم التكتيكية التي صيغت باسم المجلس العام **تطابق** شعارات الحزب «الدستوري-الديموقراطي» اي **حزب البرجوازية الملكية** مع العلم انكم لم تلاحظوا هذه المطابقة لم تدركوها وهكذا وجدتم انفسكم في الواقع **في ذيل جماعة «اوسفوبوجدينييه» .**

اما شعاراتنا التكتيكية التي صيغت باسم المؤتمر الثالث لـ ح ع ا د ر فانها تطابق شعارات البرجوازية الثورية الديموقراطية والجمهورية وهذه البرجوازية والبرجوازية الصغيرة لم تؤلفا حتى الآن في روسيا حزباً شعبياً كبيراً * ولكن من يرتاب بوجود عناصر هذا الحزب ، لا يمكن ان يكون إلا ذاك الذي لا يدرك شيئاً عما يجري حالياً في روسيا وفي نيتنا ان لا نكتفي بقيادة البروليتاريا المنظمة من قبل الحزب الاشتراكي-الديموقراطي (فيما اذا تطورت الثورة الروسية الكبرى بنجاح) بل ان نقود ايضاً هذه البرجوازية الصغيرة القادرة على السير الى جانبنا

ان المجلس العام **يهبط** بفعل قراره ودون ادراك منه الى مستوى البرجوازية الليبيرالية والملكية بينما **يرفع** مؤتمر الحزب بفعل قراره وبادراك منه الى مستواه عناصر الديموقراطية الثورية القادرة على النضال لا على السمسرة

وهذه العناصر عديدة على الاخص بين الفلاحين وبوسعنا لدن تصنيف الفئات الاجتماعية الكبيرة وفقاً لميولها السياسية ، ان نعتبر ، دون الوقوع في خطأ جسيم ان الديموقراطية الثورية والجمهورية هي نفس سواد الفلاحين وبالطبع بالمعنى ذاته ومع التحفظات والشروط الضمنية ذاتها التي تتيح لنا ان نعتبر ان الطبقة العاملة هي الاشتراكية-الديموقراطية نفسها وبتعبير آخر بوسعنا ايضاً ان نصوغ استنتاجاتنا على النحو التالي ان المجلس العام **يهبط** في زمن الثورة ، ودون ادراك منه ، **الى مستوى سواد الملاكين العقاريين** بفعل شعاراته **السياسية التي تشمل الامة**

---

* ان «الاشتراكيين-الثوريين» هم بالاحرى كتلة ارهابية من المثقفين لا نواة حزب كهذا ، رغم ان الدور الموضوعي لنشاط هذه الكتلة ينحصر بوجه الدقة في تنفيذ مهمات البرجوازية الثورية والجمهورية .

بأسرها * بينا مؤتمر الحزب **يرفع جماهير الفلاحين الى مستوى الثورة** بفعل شعاراته السياسية التي تشمل الامة بأسرها ومن يتهمنا بسبب من هذه الاستنتاجات باننا نميل الى التناقضات فاننا سنرد عليه بتحدّ حاول اذن ان تدحض هذه الموضوعة اذا لم تكن لدينا القوة الكافية للسير بالثورة الى النهاية ، واذا **انتهت** الثورة «بانتصار حاسم» حسب مفهوم «اوسفوبوجدينييه» ، يقتصر على جمعية تمثيلية يدعو القيصر الى انعقادها ولا يمكن تسميتها بالجمعية التأسيسية الا على سبيل الهزء والسخرية ، فان هذه الثورة ستكون آنذاك ثورة يهيمن فيها العنصر **الاقطاعي والبرجوازي الكبير** . وبالعكس اذا كان من حظنا ان نعيش ثورة كبيرة حقاً واذا لم يسمح التاريخ هذه المرة «بطرح» ، واذا كانت لنا القوة الكافية للسير بالثورة الى النهاية حتى النصر الحاسم لا بالمعنى الذي تقصده «اوسفوبوجدينييه» و«الايسكرا» الجديدة فان الثورة ستكون آنذاك ثورة يهيمن فيها العنصر الفلاحي والبروليتاري

ربما ان بعضهم سيرى في واقع القبول بفكرة هذه الهيمنة عدولا عن الاقتناع بطابع الثورة الوشيكة البرجوازي ؟ هذا ممكن جداً نظراً لما نشهده في «الايسكرا» من سوء استخدام لمفهوم الثورة البرجوازية ولذا ليس من نافل الكلام ابداً ان نتوقف عند هذه المسألة

٦ – من اي جهة يهدد البروليتاريا خطر تقييد يديها في النضال ضد البرجوازية المتذبذبة ؟

ان الماركسيين لعلى اقتناع مطلق بطابع الثورة الروسية البرجوازي فماذا يعني هذا ؟ هذا يعني ان التحويلات الديموقراطية

* نحن لا نقصد الشعارات الخاصة بالفلاحين التي وردت في قرارات خاصة مناسبة .

في النظام السياسي ثم التحويلات الاجتماعية والاقتصادية التي اصبحت ضرورية لروسيا لا تفترض بحد نفسها زعزعة الرأسمالية ، زعزعة سيطرة البرجوازية وليس هذا وحسب بل انها ، على العكس ستمهد ايضاً السبيل حقاً ، وللمرة الاولى لتطور واسع وسريع اوروبي لا أسيوي للرأسمالية وستجعل من الممكن للمرة الاولى قيام سيطرة البرجوازية بوصفها طبقة ان الاشتراكيين-الثوريين لا يستطيعون ادراك هذه الفكرة لانهم يجهلون ألفباء قوانين تطور الانتاج البضاعي والرأسمالي ولا يرون ان حتى نجاح الانتفاضة الفلاحية التام ، حتى اعادة توزيع الاراضي كلها وفقاً لمصالح الفلاحين وحسب رغائبهم («التقسيم الاسود» او ما اشبه) لن يقضي اطلاقاً على الرأسمالية ، بل انه ، على العكس ، يحفز تطورها ويعجل التمايز الطبقي بين الفلاحين بالذات ان عدم فهم الاشتراكيين-الثوريين لهذه الحقيقة يجعل منهم مفكري البرجوازية الصغيرة ، عن غير وعي منهم وان الالحاح على هذه الحقيقة يتسم بالنسبة للاشتراكية-الديموقراطية باهمية جليلة لا في حقل النظرية وحسب بل في حقل السياسة والنشاط العملي ايضاً اذ انه تنجم من هنا ضرورة صيانة الاستقلال الطبقي التام لحزب البروليتاريا في الحركة «الديموقراطية العامة» الحالية

ولكنه لا ينجم من هنا اطلاقاً ان الانقلاب **الديموقراطي** (البرجوازي بمحتواه الاقتصادي والاجتماعي) ليس على درجة **هائلة** من الاهمية بالنسبة للبروليتاريا لا ينجم من هنا اطلاقاً ان الانقلاب الديموقراطي لا يمكن له ان يرتدي على السواء اشكالا مفيدة على الاخص للرأسمالي الضخم وطاغوت المال ، والملاك العقاري «المستنير» ، واشكالا مفيدة للفلاح وللعامل

ان جماعة «الايسكرا» الجديدة يدركون بصورة خاطئة اطلاقاً معنى واهمية مفهوم الثورة البرجوازية . فدائماً تبرز في محاكماتهم

فكرة ان الثورة البرجوازية ثورة لا يمكنها ان تعطي إلا ما يفيد البرجوازية والحال ليس ثمة ما هو اخطأ من هذه الفكرة فان الثورة البرجوازية ثورة لا تخرج من نطاق النظام الاقتصادي والاجتماعي البرجوازي ، اي الرأسمالي ان الثورة البرجوازية تعكس حاجات تطور الرأسمالية وهي لا تنسف أسس الرأسمالية ، وليس هذا وحسب ، بل بالعكس توسعها وتعمقها ولذا فان هذه الثورة لا تعبر عن مصالح الطبقة العاملة وحسب ، بل تعبر ايضاً عن مصالح البرجوازية بأسرها وبما ان سيطرة البرجوازية على الطبقة العاملة أمر محتم في النظام الرأسمالي ، فيمكن القول عن كامل الحق والصواب ان الثورة البرجوازية لا تعبر عن مصالح البروليتاريا بقدر ما تعبر عن مصالح البرجوازية ولكن الفكرة القائلة انها لا تعبر ابداً عن مصالح البروليتاريا فكرة خرقاء حقاً وهذه الفكرة الخرقاء إما تنحصر في النظرية «الشعبية» القديمة جداً التي تزعم اننا لسنا بحاجة الى الحرية السياسية البرجوازية ما دامت الثورة البرجوازية مخالفة لمصالح البروليتاريا وإما تنحصر في الفوضوية التي تنكر كل اشتراك من جانب البروليتاريا في السياسة البرجوازية ، في الثورة البرجوازية ، في البرلمانية البرجوازية وهذه الفكرة تعني ، في حقل النظرية ، نسيان المبادئ الاولية للماركسية فيما يتعلق بحتمية تطور الرأسمالية على اساس الانتاج البضاعي فان الماركسية تعلمنا ان مجتمعاً يقوم على الانتاج البضاعي ويتعاطى التبادل مع الامم الرأسمالية المتمدنة ، لا بدّ له ، في مرحلة معينة من تطوره ان يسير حتماً هو ايضاً في طريق الرأسمالية ولقد قطعت الماركسية نهائياً كل صلة لها مع هذيان الشعبيين والفوضويين الذين يزعمون ، مثلا ، ان في مستطاع روسيا اجتناب التطور الرأسمالي ، او الخروج من الرأسمالية او القفز من فوقها بطريقة ما غير طريقة النضال الطبقي في ميدان وحدود هذه الرأسمالية نفسها .

وجميع هذه الموضوعات الماركسية ، انما أعطي البرهان عنها واجترت بكل تفاصيلها ، سواء بصورة عامة ام بصورة خاصة فيما يتعلق بروسيا وهذه الموضوعات تبين ان فكرة السعي وراء خلاص الطبقة العاملة عن طريق غير طريق تطور الرأسمالية المطرد فكرة **رجعية** ففي بلدان كروسيا لا تعاني الطبقة العاملة من الرأسمالية بقدر ما تعاني من النقص في تطور الرأسمالية ولذا فان **من مصلحة** الطبقة العاملة **اطلاقاً** ان تتطور الرأسمالية في منتهى الاتساع والحرية والسرعة من **المفيد** للطبقة العاملة اطلاقاً القضاء على جميع بقايا الماضي التي تعيق تطور الرأسمالية تطوراً واسعاً وحراً وسريعاً والثورة البرجوازية هي على وجه الدقة انقلاب يكنس باشد الحزم بقايا الماضي بقايا القنانة (التي لا تشمل الاوتوقراطية وحسب ، بل المَلكية ايضاً) ويؤمن على اكمل وجه تطور الرأسمالية بمنتهى الاتساع والحرية والسرعة

وعليه فان الثورة **البرجوازية** تقدّم **للبروليتاريا اكبر الفوائد.** والثورة البرجوازية لا غنى عنها **اطلاقاً** في مصلحة البروليتاريا وبقدر ما تكون الثورة البرجوازية اكمل واحسم وبقدر ما تكون اوفى انسجاماً بقدر ما تتوافر للبروليتاريا امكانيات النضال في سبيل الاشتراكية ضد البرجوازية وهذا الاستنتاج **لا يمكن ان يبدو** جديداً او غريباً او متناقضاً إلا لاولئك الذين يجهلون ألفباء الاشتراكية العلمية والحال تنجم من هذا الاستنتاج فيما ينجم الفكرة القائلة بان الثورة البرجوازية هي **بمعنى ما ، أفيد** للبروليتاريا منها للبرجوازية واليكم باي معنى بالضبط لا جدال في هذه الفكرة من المفيد للبرجوازية ان تعتمد في نضالها ضد البروليتاريا على بعض بقايا الماضي مثلا على المَلكية ، **والجيش** الدائم الخ ومن المفيد للبرجوازية ان لا تكنس الثورة البرجوازية جميع بقايا الماضي ببالغ الحزم ، بل ان تبقي على

بعضها اي ان لا تكون هذه الثورة منسجمة تماماً ان لا تسير الى النهاية ان لا تكـــون حازمة لا هوادة فيها وغالباً ما يعـــرب الاشتراكيون-الديموقراطيون عن هذه الفكرة بطريقـة تختلف بعض الشيء ، حين يقولـــون ان البرجوازية تخون قضيتها عينهـــا ، ان البرجوازية تخون قضية الحرية ان البرجوازية عاجزة عـن التحلي بنزعة ديموقراطية منسجمة فالاجدى للبرجوازية ان تتم التحويلات الضرورية في الاتجـــاه البرجوازي الديموقراطي بمزيد مـــن البطء والتدرج والحذر وبأقل من الحزم ان تتم بواسطة الاصلاحات لا بواسطة الثورة وان تكون هذه التحويلات لطيفة قدر الامكان ازاء المؤسسات الاقطاعية «المحترمة» (المَلكية مثلا) وان تسهم هذه التحويلات بأقل قسط ممكن في تطوير المبادرة الثورية والعزيمة لدى سواد الشعب اي لدى الفلاحين وخصوصاً لدى العمال وإلا اصبح من السهل على العمال ان «ينقلوا بندقيتهم من كتف الى كتف» ، كما يقول الفرنسيون ، اي ان يصوّبوا الى صدر البرجوازية نفسها تلك الاسلحة التي تقدمها اليهم الثورة البرجوازية ، وتلك الحرية التـــي تطلقها ، وتلك المؤسسات الديموقراطية التي تنشأ على التربـــة المطهرة من القنانة

اما الطبقة العاملة ، فعلى العكس من ذلك ، اذ ان مـن الاجدى لها ان تتم التحويلات الضرورية في الاتجاه البرجوازي الديموقراطـي بالطريق الثوري لا بطريق الاصلاحات لأن طريق الاصلاحات هـــو طريق المماطلة واللف والدوران هو موت الاجزاء المتفسخة مـن جسم الشعب موتاً بطيئاً مؤلماً ان البروليتاريين والفلاحين هـــم الذيـــن يتألمون قبل غيرهم واكثر من غيرهم من هـــذا التفسخ والطريق الثوري هو بالنسبة للبروليتاريا طريق العملية الجراحية السريعة والاقل ألماً هو الطريق القائم على بتر الاجزاء المتفسخة بعزم وحزم ، هو طريق الحد الادنى من التنازل واللطف تجاه النظام

الملكي ومؤسساته الدنسة السافلة التي ينخرها التفسخ والتـــي تسمم الجو بعفونتها

فليس اذن لمجرد اعتبارات تتعلق بالرقابة او لمجرد الخوف مـن السلطات تنوح صحافتنا البرجوازية الليبيرالية لاحتمال قيام الطريق الثوري وتخشى الثورة وتخوّف القيصر بالثورة وتسعى الى اجتناب الثورة وتزحف على البطن وتركع بـــأمل الحصول على اصلاحات بائسة بوصفها اساساً لطريق الاصلاحات وليس هذا رأي «روسكيه فيدوموستي» (١٧٢) و«سين اوتيتشيستفـــا» (١٧٣) و«ناشا جيزن» (١٧٤) و«ناشي دني» (١٧٥) وحسب ، انما هو ايضاً رأي «اوسفوبوجدينييه» السرية الحرة فان مجـــرد وضع البرجوازية ، بوصفها طبقة في المجتمع الرأسمالي ، يولّد حتماً تذبذبها في الانقلاب الديموقراطي ومجرد وضع البروليتاريـــا بوصفها طبقة ، يضطرها ان تكون ديموقراطية منسجمة الى النهاية . ان البرجوازية تتطلع الى الوراء ، خوفاً من التقدم الديموقراطي الذي يهدد بزيادة قوى البروليتاريا بينا ليس للبروليتاريا ما تفقده غير سلاسلها وامامها عالم تكسبه بواسطـــة الديموقراطية (١٧٦) ولذا بقدر ما تكون الثورة البرجوازية اكثر انسجاماً في تحويلاتها الديموقراطية بقدر مـــا لا تكتفي بالتحويلات التي لا تفيـــد الا البرجوازية وبقدر ما تكون الثورة البرجوازية اكثر انسجاماً بقدر ما تؤمن مزيداً مـــن الفوائد للبروليتاريا والفلاحين في الانقـــلاب الديموقراطي

ان الماركسية لا تعلـــم البروليتاريا ان تبتعد عن الثـــورة البرجوازية وتتخذ منها موقف اللامبالاة ، وتترك قيادتها للبرجوازية ، بل هي على العكس تعلمها ان تشترك فيها انشط اشتراك وأقواه ، وان تناضل اشـــد نضال في سبيل الديموقراطية البروليتاريـــة المنسجمة تماماً ، في سبيل السير بالثورة الى النهاية . فنحن لا

يسعنا تخطي نطاق الثورة الروسيـــة الديموقراطي البرجوازي ولكننا نستطيع توسيعه بمقاييس هائلة ؛ اننا نستطيع ويجب علينا ان نكافح ، ضمن هذا النطاق ، في سبيل مصالح البروليتاريا وفي سبيل حاجاتها المباشرة ، وفي سبيل تأمين الظروف التي تتيح اعداد قواها للانتصـــار المقبل الكلي هناك ديموقراطية برجوازيـــة وديموقراطية برجوازية وهذا الملكي من اعضاء الزيمستفوات الذي يؤيـــد انشاء مجلس اعلى ، و«يطالب ويزايـــد في المطالبة» بالاقتراع العام ، مساوماً سراً وخفية مع القيصرية على دستور مبتور ، هو ديموقراطي برجـــوازي ايضاً وهذا الفلاح الذي يمشي ضـــد الملاكين العقاريين والمـــوظفين ، شاهراً سلاحه ، ويقتـــرح ، على «الطريقة الجمهوريـــة الساذجة» ، «طرد القيصر» * ، هو ايضـــاً ديموقراطي برجوازي فالاوضاع الديموقراطية البرجوازية يمكن ان تكون ما هي عليه في المانيا ، وايضاً ما هي عليه في انجلترا ، ومـا هي عليه فى النمسا وايضاً ما هي عليه في اميركا او في سويسرا وما اظرف الماركسي الذي يغفل ، في عهد الانقـلاب الديموقراطي عن هذا الاختلاف في درجـــات الديموقراطية وفي طابع اشكالهـا ويكتفي «بالتفلسف» لكي يثبت ان المقصود مع ذلك انما هو «ثورة برجوازية» ، وثمار «ثورة برجوازية»

والواقع ان هؤلاء المتفلسفين هم على وجه الضبط اصحابنـــا الايسكريون الجدد الذين يتباهون بقصر نظرهم فهم يكتفـــون على وجه الضبط بمحاكمات حول طابع الثورة البرجوازي حيث وحين يجب معرفة التمييز بين الديموقراطيتين الثوريـــة الجمهوريـــة والليبيرالية المَلكيـــة ، ناهيك عن التمييز بين الديموقراطيـــة البرجوازية غير المنسجمة والديموقراطية البروليتارية المنسجمـة

* راجع العدد ٧١ من «اوسفوبوجدينييه» ، ص ٣٣٧ ، الملاحظة ٢.

وهم يكتفون كأنما أصبحوا فعلا مـــن «الرجال المعلبين» (١٧٧) ، باقاويل واحاديث كئيبة عن «مجرى النضال المتبادل بين الطبقـــات المتضادة» ، بينا المقصود تأمين **قيادة ديموقراطية** للثورة الحالية ، وتبيان الشعارات **الديموقراطية الطليعية** خلافاً للشعارات الخائنة التي يطلقها السيد ستروفه وشركاه والاشارة بجلاء وسطـوع الى المهمات المباشرة للنضال الثوري حقاً الذي تخوضه البروليتاريـا والفلاحون خلافاً للسمسرة الليبيرالية التي يقوم بها الصناعيـــون والملاكون العقاريون . هذا هو الآن جوهر المسألة ، الذي غفلتم عنه ايها السادة أتنتهي ثورتنا بانتصار جليل حقاً ام بمساومة حقيرة ؟ أتبلغ ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثوريـــة ام «تفرغ من قواها» في دستور ليبيرالي على طريقة شيبوف ؟

قد يبدو للوهلة الاولى اننا اذ نطرح هذا السؤال نخـوج تماماً عن موضوعنا ولكن هذا لا يمكن ان يبدو الا للوهلة الاولى اما في الواقع فهنا بيت القصيد في الخلاف المبدئي الذي ارتسمت خطوطه بوضوح منذ الآن بين التكتيك الاشتراكي-الديموقراطي الذي أقره المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا والتكتيك الذي أقره المجلس العام للايسكريين الجدد وقد خطـــا هؤلاء الى الوراء خطوتين بل ثلاث فقد احيوا اخطـــاء «الاقتصادية» عند حل قضايا اكثر تعقيداً واهمية وحيوية بما لا حد له بالنسبة لحزب العمال ، قضايا تتعلق بتكتيك هذا الحزب في زمن الثورة ولهذا يجب علينا ان نولي تحليل هذه المسألة كل الانتباه الضروري

ان المقطع الذي أوردناه من قرار الايسكريين الجدد يشير الى الخطر الذي تتعرض له الاشتراكية-الديموقراطية من حيـث تقييد يديها في النضال ضد السياسة المتذبذبة التي تسلكهـــا البرجوازية ومن حيث ذوبانها في الديموقراطية البرجوازية ان فكرة هذا الخطر تتخلل ، أشبه بخيط احمر ، جميع الكتابات الايسكرية

الجديدة الصرف وهذه الفكرة هي المحور الحقيقي لكل المواقف المبدئية في انشقاقنا الحزبي (منذ ان تراجعت عناصر المماحكة في هذا الانشقاق تراجعاً تاماً امام عناصر الانعطاف نحو «الاقتصادية») ونحن نقر بلا لف ولا دوران بان هذا الخطر موجود فعلاً وانه اصبح الآن بالضبط في اوج الثورة الروسية جسيماً جداً وعلينا نحن جميعاً نظريي الاشتراكية-الديموقراطية او صحافيي الاشتراكية-الديموقراطية كما افضّل القول عن نفسي تقع مهمة عاجلة وزاخرة بالمسؤولية قوامها الاستجلاء **من اي جانب** يتهدد هذا الخطر فعلا اذ ان خلافاتنا لا تنبع من الجدال حول ما اذا كان هذا الخطر موجوداً ام لا بل من الجدال حول ما اذا كان ناجماً عما يسمى ذنبية «الاقلية» او عما يسمى ثوروية «الاكثرية»

ولاستبعاد كل تفسير خاطىء وكل سوء فهم نلاحظ اولاً ان الخطر الذي نتحدث عنه هو من النوع الموضوعي لا الذاتي وانه لا يكمن في الموقف الصريح الذي ستقفه الاشتراكية-الديموقراطية في غمرة النضال بل في النتيجة المادية لكل النضال الثوري الحالي وليس المقصود ما اذا كانت هذه الفرق الاشتراكية-الديموقراطية او تلك سترغب في الذوبان في الديموقراطية البرجوازية او اذا كانت تدرك انها تذوب حتى ان هذا ليس موضع البحث فنحن لا نرتاب باي اشتراكي-ديموقراطي ولا نحسب انه يدغدغ مثل هذه الرغبة ناهيك عن ان الامر لا يتعلق هنا ابداً بالرغائب وليس المقصود كذلك ما اذا كانت هذه الفرق الاشتراكية-الديموقراطية او تلك ستحتفظ -طوال زمن الثورة- باستقلالها الصريح وسيمائها الخاصة وحريتها ازاء الديموقراطية البرجوازية وفي مقدور هذه الفرق لا ان تعلن هذا «الاستقلال» وحسب ، بل ان تصونه شكلياً ايضاً ؛

ومع ذلك فقد يحدث ان ترى ايديها مقيدة في النضال ضد تذبذب البرجوازية وقد يتقوم رصيد الثورة السياسي النهائي في ان الاشتراكية-الديموقراطية ، على الرغم من «استقلالها» الصريح وكل سيمائها الخاصة بوصفها منظمة بوصفها حزباً ستظهر في الواقع غير مستقلة عاجزة عن طبع سير الاحداث بطابع استقلالها البروليتاري وتبلغ من الضعف حداً بحيث ان «ذوبانها» في الديموقراطية البرجوازية سيكون بوجه عام ، وفي آخر تحليل ، في الرصيد النهائي ، واقعاً تاريخياً

هنا يكمن الخطر الحقيقي لنر الآن من اي جانب يتهددنا هذا الخطر من انحراف الاشتراكية-الديموقراطية الى اليمين بشخص «الايسكرا» الجديدة كما نعتقد او من انحرافها الى اليسار بشخص «الاغلبية» و«فبريود» ، والخ كما يعتقد الايسكريون الجدد

ان حل هذه المعضلة كما سبق وبيّنا رهن بالتفاعل الموضوعي بين مختلف القوى الاجتماعية وطابع هذه القوى انما حدده في حقل النظرية التحليل الماركسي للواقع الروسي اما الآن فيحدده في التطبيق العملي نشاط الفئات والطبقات السافر ابان الثورة والحال ان كل التحليل النظري الذي اجراه الماركسيون قبل العهد الذي نعيش بزمن طويل وكل الملاحظات العملية التي تتعلق بمجرى الاحداث الثورية تبين لنا ان الظروف الموضوعية تجعل من الممكن سبيلين ومآلين للثورة في روسيا ان تحول النظام الاقتصادي والسياسي في روسيا تحولاً ديموقراطياً برجوازياً أمر اكيد محتم وما من قوة في العالم تستطيع الحؤول دون هذا التحول ولكن التفاعل بين القوى الموجودة التي تحقق هذا التحول قد يؤدي الى نتيجة مزدوجة او الى شكل مزدوج لهذا التحول . فنحن امام أمرين لا ثالث لهما : ١ – فإما ان يؤول الامر

الى «انتصار الثورة الحاسم على القيصرية» وإما -٢- ان لا تكفي القوى لاحراز الانتصار الحاسم وينتهي الامر بصفقة بين القيصرية واشد العناصر «ذبذبة» واكثرها «انانية» في صفوف البرجوازية وهكذا فان التنوع اللامتناهي من التفاصيل والتركيبات الممكنة التي لا يستطيع احد التنبؤ بها ينحصر بالاجمال في احد هذين المآلين

فلنبحث اذن هذين المآلين اولاً من حيث مغزاهما الاجتماعي وثانياً من حيث وضع الاشتراكية-الديموقراطية (من حيث «ذوبانها» او «تقييد يديها») في كل من المآلين

ماذا يعني «انتصار الثورة الحاسم على القيصرية» ؟ لقد سبق ورأينا ان الايسكريين الجدد يستعملون هذا التعبير دون ان يدركوا حتى مغزاه السياسي المباشر ويبدو انهم يدركون أقل ايضاً المضمون الطبقي لهذا المفهوم اذ اننا نحن الماركسيين لا يجب لنا في اي حال من الاحوال ان نغتر **بكلمات** «الثورة» او «الثورة الروسية الكبرى» التي يغتر بها الآن كثيرون من الديموقراطيين الثوريين (من طراز غابون) انما يجب علينا ان نكوّن فكرة صحيحة عن القوى الاجتماعية الفعلية التي تواجه «القيصرية» (القوة الفعلية تماماً والمفهومة تماماً بالنسبة للجميع) والتي تستطيع ان تحرز عليها «انتصاراً حاسماً» وهذه القوى لا يمكن ان تكون لا البرجوازية الكبيرة ولا الملاكين العقاريين ولا الصناعيين ولا «المجتمع» الذي يسير وراء جماعة «اوسفوبوجدينييه» بل اننا نرى ان كل هؤلاء حتى لا يريدون هذا الانتصار الحاسم فنحن نعرف انهم عاجزون بحكم وضعهم الطبقي ، عن خوض نضال حاسم ضد القيصرية فالملكية الخاصة ، والرأسمال والارض اشبه بكلة حديدية ثقيلة جداً في ارجلهم حتى يتمكنوا من الاقدام على النضال الحاسم . وهم بحاجة ماسة

الى القيصرية مع قواتها البوليسية والدواوينية والعسكرية في نضالهم ضد البروليتاريا والفلاحين حتى يطمحوا الى تحطيمها كلا ان القوة القادرة على احراز «انتصار حاسم على القيصرية» لا يمكن ان تكـون الا الشعب ، اي البروليتاريـا والفلاحين اذا اخذنا القوى الاساسية الكبرى واذا وزعنا بين البروليتاريـا والفلاحين البرجوازية الصغيرة في الريف والمدينة (التي هـي إيضاً من «الشعب») ان «انتصار الثورة الحاسم على القيصرية» انما هو **ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية** ولا مفر لاصحابنا الايسكريين الجدد من هذا الاستنتـاج الذي اشارت اليه «فبريود» منذ زمن بعيد فليس ثمة آخـر يحـرز الانتصار الحاسم على القيصرية

وهذا الانتصار سيكون بكل تدقيق ديكتاتورية اي انـه ينبغي بالضرورة ان يستند الى القوة العسكرية الى تسليـح الجمهور ، الى الانتفاضة ، لا الى هذه او تلك من المؤسسات المؤلفة «شرعياً» ، بـ«الطريق السلمي» ولا يمكن ان يكون هذا الانتصار الا ديكتاتورية لأن تحقيق التحويلات التي هي ضرورية فوراً واطلاقاً للبروليتاريا والفلاحين سيثير مقاومة مستميتة من جانب الملاكين العقاريين وكبار البرجوازيين والقيصريـة وبدون ديكتاتورية لا يمكن تحطيم هذه المقاومة وصـد المحاولات المعادية للثورة غير ان هذه الديكتاتورية لن تكون بكـل تأكيد ديكتاتورية اشتراكية بل ديكتاتورية ديموقراطية فهي لن تستطيع مساساً بأسس الرأسمالية (دون جملة كاملة من المراحل الانتقالية في التطور الثوري) انما تستطيـع في أفضل الاحوال توزيع الملكية العقارية توزيعاً جديداً جذرياً في صالح الفلاحين وتطبيق الديموقراطية التامة والمنسجمـة الى النهاية تطبيقاً يذهب الى حد اعلان الجمهورية ؛ واقتلاع جميـع

خصائص الاستبداد الأسيوي حتى أعمق جذورها لا من حياة الارياف وحسب بل من حياة المصانع ايضاً والبدء بتحسين اوضاع العمال تحسيناً جدياً ورفع مستوى حياتهم واخيراً last but not least * نقل الحريق الثوري الى اوروبا فهذا الانتصار لا يجعل بعد من ثورتنا البرجوازية ثورة اشتراكية باي شكل من الاشكال فان الانقلاب الديموقراطي لن يخرج مباشرة من نطاق العلاقات الاجتماعية والاقتصادية البرجوازية غير انه سيكون لهذا الانتصار مع ذلك شأن عظيم سواء في تطور روسيا ام في تطور العالم بأسره في المستقبل فما من شيء يرفع العزيمة الثورية لدى البروليتاريا العالمية ويختصر طريقها نحو الانتصار التام مثل هذا الانتصار الحاسم للثورة التي بدأت في روسيا

اما الى اي حد يكون هذا الانتصار محتملاً فهذه مسألة اخرى فنحن لا نميل ابداً بهذا الصدد الى تفاؤل طائش ونحن لا ننسى ابداً المصاعب القصوى التي تنطوي عليها هذه المهمة ولكننا اذ نمضي الى المعركة انما ينبغي لنا ان نتمنى الانتصار وان نعرف كيف ندل على السبيل القويم الذي يقود اليه والميول التي يمكن ان تقود الى هذا الانتصار ظاهرة بما لا يقبل الجدل صحيح ان تأثيرنا التأثير الاشتراكي-الديموقراطي في سواد البروليتاريا لا يزال ناقصاً جداً ، جداً ؛ والتأثير الثوري في سواد الفلاحين ضئيل اطلاقاً وما تعانيه البروليتاريا ولا سيما الفلاحون من تشتت ونقص في الثقافة ، وجهل لا يزال رهيباً ولكن الثورة تجمع وتثقف بسرعة وكل خطوة في تطورها توقظ الجماهير وتجتذبها بقوة لا تقاوم الى جانب البرنامج الثوري بالضبط بوصفه البرنامج الوحيد الذي يعبر بصورة كلية ومنسجمة عن مصالحها الفعلية والحيوية

---

* اخيراً لا آخراً .

هناك قانون من قوانين الميكانيك يقول ان الفعل يساوي رد الفعل وفي التاريخ نرى ان القوة المدمرة لثورة ما تتوقف هي ايضاً الى حد مرموق على قوة ومدة القمع الذي عانته المطامح الى الحرية وتتوقف على عمق التناقض بين «البناء الفوقي» العتيق من قبل الطوفان والقوى الحية في العهد المعاصر فان الوضع السياسي الدولي يتكون في كثير من النواحي على خير ما يلائم الثورة الروسية ولقد بدأ انتفاض العمال والفلاحين وهو مشتت عفوي ضعيف ، ولكنه يثبت بلا مراء ودون اي جدل وجود قوى قادرة على خوض نضال حاسم وتمشي نحو انتصار حاسم

فاذا لم تكف هذه القوى توافر الوقت للقيصرية من اجل عقد الصفقة التي يحضرها منذ حين من الجانبين كل من السادة بوليغين واضرابه والسادة ستروفه واضرابه وحينذاك ينتهي الامر بدستور مبتور او حتى – في اسوأ الحالات – بمهزلة دستور وتكون هذه ايضاً «ثورة برجوازية» ولكنها ستكون طرحاً جهيضاً ، مسيخاً ان الاشتراكية-الديموقراطية لا تعلل النفس بالاوهام وهي تعرف ان البرجوازية مطبوعة على الغدر فلن تفتر همتها ولن تعدل عن عملها العنيد ، الصبور الدائب في تربية البروليتاريا بالروح الطبقي حتى في الايام العادية ولا اكثر من الازدهار الدستوري البرجوازي على طريقة شيبوف وسيكون هذا المآل الى هذا الحد او ذاك ، أشبه بمآل الثورات الديموقراطية في اوروبا في القرن التاسع عشر بمآل جميعها تقريباً وحينذاك يسير تطورنا الحزبي في طريق شاق عسير طويل ، ولكنه أليف ومطروق

لنر الآن في اي من هذين المآلين المحتملين ستكون الاشتراكية-الديموقراطية مقيدة اليدين فعلاً امام البرجوازية

المتذبذبة المغرضة ستكون فعلاً «مذابة» او مذابة تقريباً في الديموقراطية البرجوازية

حسبنا ان نطرح هذا السؤال بوضوح لكي نجيب عنه فوراً دون اية صعوبة

اذا نجحت البرجوازية في احباط الثورة الروسية بصفقة مع القيصرية فان الاشتراكية-الديموقراطية ستجد نفسها مقيدة اليدين فعلاً امام البرجوازية المتذبذبة وحينذاك «تذوب» في الديموقراطية البرجوازية بمعنى ان البروليتاريا لن تتمكن من طبع الثورة بطابعها الساطع ومن تصفية الحساب للقيصرية على الطريقة البروليتارية او كما قال ماركس فيما مضى «على الطريقة العامية»

اما اذا نجحت الثورة في احراز انتصار حاسم فاننا سنصفي الحساب للقيصرية ، على الطريقة اليعقوبية او اذا شئتم على الطريقة العامية كتب ماركس ، عام ١٨٤٨ ، في «الجريدة الرينانية الجديدة» الشهيرة يقول «ان الارهاب الفرنسي كله لم يكن سوى طريقة عامية للقضاء على اعداء البرجوازية على الحكم المطلق والاقطاعية والتفكير التافه الضيق» (راجع Marx' Nachlass اصدار مهرينغ المجلد ٣ ص ٢١١) (١٧٨) وهؤلاء الذين يلوحون في عهد الثورة الديموقراطية بفزاعة «اليعقوبية» امام عيون العمال الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس أتراهم فكروا يوماً بمعنى كلمات ماركس هذه ؟

ان جيروندي (١٧٩) الاشتراكية-الديموقراطية الروسية المعاصرة الايسكريين الجدد لا يندمجون مع جماعة «اوسفوبوجدينييه» ، ولكنهم في الواقع يضعون انفسهم في ذيل هذه الجماعة بحكم طابع شعاراتهم والحال ان جماعة «اوسفوبوجدينييه» اي ممثلي البرجوازية الليبيرالية ، يريدون

القضاء على الاوتوقراطية بليونة عن طريق الاصلاحات ، عن طريق التنازلات دون المساس بالاريستوقراطية بالنبلاء بالبلاط بلطف دون كسر اي شيء بلطافة وأدب جمّ بطريقة الاسياد الكبار لابسين القفازات البيضاء (كالتي استعارها السيد بترونكيفيتش من باشي بوزوق (١٨٠) في حفلة استقبال أقامها نيقولاي الدموي (١٨١) «لممثلي الشعب» (؟) راجع العدد ٥ من «بروليتاري») *

اما يعقوبيو الاشتراكية-الديموقراطية المعاصرة – البلاشفة انصار «فبريود» انصار المؤتمر او «بروليتاري» (١٨٢) ولا أعرف كيف أسميهم ايضاً – فانهم يريدون ان يرفعوا بشعاراتهم، البرجوازية الصغيرة الثورية والجمهورية ولا سيما الفلاحين الى مستوى الديموقراطية المنسجمة لدى البروليتاريا التي تحتفظ بسيمائها الطبقية التامة انهم يريدون ان يصفي الشعب اي البروليتاريا والفلاحون «على الطريقة العامية» الحساب للملكية والاريستوقراطية فيبيد بلا رحمة اعداء الحرية ويقمع بالقوة مقاومتهم ولا يتنازل ابداً ازاء هذا التراث اللعين تراث القنانة ، والأسيوية ، واهانة الانسان

غير ان هذا لا يعني بالطبع اننا نريد تقليد يعقوبيي عام ١٧٩٣ مهما كلف الامر واعتناق آرائهم وبرنامجهم وشعاراتهم وطرائق عملهم كلا ابداً فما لدينا ليس ببرنامج قديم بل برنامج جديد هو برنامج الحد الادنى لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا ولدينا شعار جديد ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية وسيكون لدينا ايضاً اذا عشنا حتى نرى انتصار الثورة الحقيقي طرائق

---

* راجع مقال لينين : «ثوريون» بالقفازات البيضاء» . **الناشر** .

عمل جديدة مطابقة لطابع وأهداف حزب الطبقة العاملة الساعي الى انقلاب اشتراكي كامل ولكننا بهذه المقارنة اردنا فقط ان نوضح ان ممثلي الطبقة المتقدمة في القرن العشرين ممثلي البروليتاريا اي الاشتراكيين-الديموقراطيين ينقسمون الى نفس الجناحين (الانتهازي والثوري) اللذين كان ينقسم اليهما ممثلو الطبقة المتقدمة في القرن الثامن عشر ممثلو البرجوازية اي الجيروندیون واليعقوبيون

ففي حال انتصار الثورة الديموقراطية انتصاراً تاماً ، في هذه الحال فقط لن تكون البروليتاريا مقيدة اليدين في نضالها ضد البرجوازية المتذبذبة وفي هذه الحال فقط لن «تذوب» في الديموقراطية البرجوازية بل انها ستطبع كامل الثورة بطابعها البروليتاري ، او بالاصح ، البروليتاري والفلاحي

وبكلمة لكي لا تكون البروليتاريا مقيدة اليدين في النضال ضد الديموقراطية البرجوازية المتذبذبة ينبغي لها ان تبلغ من القوة والوعي ما يمكنها من ان ترفع الفلاحين الى الوعي الثوري وتقود هجومهم وتحقق على هذا النحو بصورة مستقلة ديموقراطية بروليتارية منسجمة

هكذا توضع هذه المسألة – التي شد ما اساء الايسكريون الجدد حلها – مسألة خطر البقاء مقيد اليدين في النضال ضد البرجوازية المتذبذبة ان البرجوازية ستظل دائماً متذبذبة وليس ثمة اشد سذاجة وعقماً من الرغبة في رسم شروط او بنود* تتيح اذا ما نفذت اعتبار الديموقراطية البرجوازية صديقاً مخلصاً للشعب ان البروليتاريا وحدها تستطيع ان تكافح في

* وهذا ما حاول ان يفعله ستاروفر في قراره الذي الغاه المؤتمر الثالث (١٨٣) وهذا ما يحاول فعله المجلس العام (الكونفيرانس) في قرار ليس اكثر توفيقاً .

سبيل الديموقراطية بروح الاستمرار والمثابرة ولكنها لا تستطيع ان تنتصر في هذا الكفاح من اجل الديموقراطية الا اذا انضمت جماهير الفلاحين الى نضال البروليتاريا الثوري واذا لم تتوافر للبروليتاريا القوى الكافية لهذا الغرض فان البرجوازية ستسير على رأس الثورة الديموقراطية وتضفي عليها طابعاً متذبذباً وأنانياً وليس ثمة وسيلة تستطيع منع هذا المصير غير ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية

وهكذا نتوصل الى هذا الاستنتاج الذي لا مراء فيه وهو ان تكتيك «الايسكرا» الجديدة هو الذي **يخدم مآرب الديموقراطية البرجوازية** بمغزاه الموضوعي ان الوعظ في حقل التنظيم بالميوعة التي تذهب الى حد الاستفتاء الى حد مبدأ التوافق الى حد انفصال المنشورات الحزبية عن الحزب واستصغار مهمات الانتفاضة المسلحة وخلط الشعارات السياسية التي تخص الشعب بأسره والتي ترفعها البروليتاريا الثورية والبرجوازية المَلكية وتزييف شروط «انتصار الثورة الحاسم على القيصرية» – ان كل هذه الوقائع معاً تعطي على وجه التدقيق وفي زمن الثورة سياسة الذنبية التي تضلل البروليتاريا وتنشر الفوضى في صفوفها وتشوّش تفكيرها وتحط من تكتيك الاشتراكية-الديموقراطية بدلا من ان تدل على الطريق الوحيد الذي يقود الى النصر وتجتذب لشعار البروليتاريا جميع عناصر الشعب الثورية والجمهورية

ولكي نثبت صحة هذا الاستنتاج الذي توصلنا اليه عن طريق تحليل القرار لنتناول المسألة نفسها من زوايا أخرى لنر اولا الطريقة التي يوضح بها منشفي بسيط ، ساذج وصريح ، في

«سوسيال-ديموقراط» الجورجية تكتيك «الايسكرا» الجديدة
ثم لنر من ذا الذي يستفيد فعلاً في الوضع السياسي الراهن من شعارات «الايسكرا» الجديدة

٧ – تكتيك «اقصاء المحافظين عن الحكومة»

عنوان المقال المنوه عنه اعلاه والوارد في جريدة «لجنة» تفليس المنشفية («سوسيال-ديموقراط» ، العدد ١) «الزيمسكي سوبور وتكتيكنا» ان صاحب المقال لم ينس بعد تماماً برنامجنا ؛ فهو يصوغ شعار الجمهورية ولكنه يبحث في التكتيك بالطريقة التالية

«يمكن الاشارة الى سبيلين لبلوغ هذا الهدف (الجمهورية) إما الامتناع عن ايلاء اي انتباه للزيمسكي سوبور الذي دعت الحكومة الى انعقاده ، وانزال الهزيمة بالحكومة بقوة السلاح ، وتاليف حكومة ثورية ودعوة الجمعية التاسيسية الى الانعقاد واما الاعلان ان الزيمسكي سوبور هو مركز نشاطنا ، بممارسة ضغط على تركيبه وعلى نشاطه ، وبقوة السلاح ، وإلزامه بالقوة على اعلان نفسه جمعية تاسيسية او على عقد الجمعية التاسيسية بواسطته ان هذين التكتيكين يختلفان اختلافاً واضحاً جداً لنر اذن ايهما أفيد لنا»

هكذا يعرض انصار «الايسكرا» الجديدة في روسيا الافكار الواردة فيما بعد في القرار الذي حللناه ولاحظوا جيداً ان هذه الاسطر قد كتبت قبل تسوشيما (١٨٤) حين لم يكن «مشروع» بوليغين قد رأى النور بعد كان الليبيراليون أنفسهم يعيلون صبراً ويفصحون عن عدم ثقتهم على صفحات الصحافة الشرعية ولكنه تبين هنا ان الاشتراكي-الديموقراطي الايسكري الجديد أسرع ثقة من الليبيراليين . فهو يعلن ان الزيمسكي سوبور «بسبيل

الانعقاد» ويثق بالقيصر الى حد انه يقترح جعل هذا الزيمسكي سوبور غير الموجود حتى الآن (او ربما جعل «دوما الدولة» او «الجمعية التشريعية الاستشارية» ؟) مركز نشاطنا وصاحبنا التفليسي أوفر صراحة واكثر استقامة من اصحاب قرار المجلس العام فهو لا يعتبر «التكتيكين» (اللذين يعرضهما بسذاجة لا نظير لها) شيئاً واحداً بل يعلن الثاني «أفيد» اسمعوا

«التكتيك الاول ان الثورة القادمة ، كما تعرفون ، ثورة برجوازية اي انها ترمي الى تحويل النظام الحالي تحويلا لا يستجيب لمصالح البروليتاريا وحسب ، بل ايضاً لمصالح المجتمع البرجوازي بأسره ان جميع الطبقات تعارض الحكومة ، بما فيها الرأسماليون انفسهم وبمعنى ما ، نقول ان البروليتاريا المناضلة والبرجوازية المناضلة تسيران معاً وتهاجمان معاً الاوتوقراطية ، من جوانب مختلفة والحكومة معزولة هنا تماماً ، ولا تحظى بعطف المجتمع ولذا من السهل جداً ابادتها ان البروليتاريا في روسيا ، من حيث مجموعها ، لم تبلغ بعد من الوعي والتنظيم ما يمكنها من تحقيق الثورة وحدها وحتى اذا كان هذا الامر في مستطاعها ، فانها تقوم اذ ذاك بثورة بروليتارية (اشتراكية) ، لا برجوازية ولذا فان من مصلحتنا ان تبقى الحكومة بدون حلفاء ، ولا تتمكن من شق صفوف المعارضة ، ولا تضم البرجوازية اليها وتعزل البروليتاريا .»

وهكذا فان من مصلحة البروليتاريا ان لا تتمكن حكومة القيصر من الفصل بين البرجوازية والبروليتاريا أليس عن خطأ اسميت الجريدة الجورجية «سوسيال-ديموقراط» بدلاً من ان تسمى «اوسفوبوجدينييه» ؟ ثم لاحظوا هذه الفلسفة الرائعة عن الثورة الديموقراطية أفلا نرى هنا بام عيوننا هذا التفليسي المسكين وقد ضل السبيل تماماً بسبب من التفسير المتزمت والذنبي لفكرة «الثورة البرجوازية» ؟ فهو اذ يبحث مسألة احتمال انعزال البروليتاريا في الانقلاب الديموقراطي ، ينسى . . . ينسى

شيئاً طفيفاً الفلاحين فبين حلفاء البروليتاريا الممكنين يعرف الملاكين العقاريين الزيمستفويين ويجدهم على هواه ولكنه لا يعرف الفلاحين وهذا في القفقاس ! ألسنا على حق حين نقول ان «الايسكرا» الجديدة تهبط بمحاكماتها الى مستوى البرجوازية الملكية بدلاً من ان ترفع الى مستواها جماهير الفلاحين الثوريين بوصفهم حلفاء ؟

«. اما في الحالة المعاكسة ، فان هزيمة البروليتاريا وانتصار الحكومة محتمان والى هذا تهدف الاوتوقراطية بالتدقيق ولا سبيل الى الشك في انها ستكسب الى جانبها ، في الزيمسكي سوبور خاصتها ، ممثلي النبلاء والزيمستفوات والمدن والجامعات وغيرها من المؤسسات البرجوازية وستسعى جهدها الى اغوائهم بتنازلات طفيفة وحملهم بالتالي على التوافق معها ومتى توطدت على هذا النحو ، سددت كل ضرباتها الى الشعب العامل الذي بقي معزولا فواجبنا ان نحول دون هذا المصير المؤسف ولكن ، هل يمكن بلوغ هذا الهدف بالسبيل الاول ؟ لنفترض اننا لم نول الزيمسكي سوبور اي انتباه ، بل بدأنا وحدنا نستعد للانتفاضة ونزلنا ذات يوم الى الشارع مسلحين من اجل النضال واذا نحن نواجه عدوين بدلا من عدو واحد الحكومة والزيمسكي سوبور فبينا نحن نستعد توافر لهما الوقت للتفاهم ، وعقد اتفاق بينهما ، ووضع دستور مفيد لهما ، واقتسام السلطة ان هذا التكتيك مفيد واضح الافادة للحكومة ، وواجبنا ان ننبذه باقصى العزيمة .»

هذا قول صريح ينبغي العدول بحزم وعزم عن «تكتيك» تحضير الانتفاضة لأن الحكومة تساوم «في هذه الاثناء» مع البرجوازية فهل يمكن ان نجد في الكتابات القديمة لأشد تيارات «الاقتصادية» تطرفاً شيئاً يشبه هذه الطريقة في تحقير الاشتراكية-الديموقراطية الثورية ؟ فهنا وهناك تنفجر انتفاضات واضطرابات في صفوف العمال والفلاحين . وهذا أمر واقع اما الزيمسكي سوبور ، فليس سوى وعد من بوليغين . ولكن «سوسيال-ديموقراط» مدينة

تفليس تقرر العدول عن تكتيك تحضير الانتفاضة وانتظار تشكيل «مركز للضغط» ، الزيمسكي سوبور

«. اما التكتيك الثاني فهو ، على العكس ، ينحصر في وضع الزيمسكي سوبور تحت رقابتنا ، وعدم السماح له بالعمل على هواه وبالتفاهم مع الحكومة *

اننا ندعم الزيمسكي سوبور بقدر ما يحارب الاوتوقراطية ، ونحن نحاربه حين يتصالح مع الاوتوقراطية وبالقوة ، وبتدخل حازم ، نفرق النواب ** اذ نلف الراديكاليين حولنا ، ونقصي المحافظين عن الحكومة وندفع الزيمسكي سوبور كله على هذا النحو في السبيل الثوري وبفضل هذا التكتيك ستظل الحكومة معزولة طوال الوقت ، والمعارضة قوية وتسهل بالتالي اقامة نظام ديموقراطي»

تماماً وكمالاً وليقولوا الآن اننا نضخم انعطاف جماعة «الايسكرا» الجديدة نحو نوع من اشد انواع «الاقتصادية» ابتذالاً أفليس هذا شيئاً أشبه بالمسحوق مبيد الذباب الشهير تمسك الذبابة وترشها بالمسحوق فتفطس فرّق نواب الزيمسكي سوبور **بالقوة** «اقص المحافظين عن الحكومة» يسلك الزيمسكي سوبور **كله السبيل الثوري** وهذا دون اي انتفاضة مسلحة «يعقوبية» ، بل بنبل ، بطريقة برلمانية تقريباً ، «بالضغط» على **اعضاء الزيمسكي سوبور** .

---

* واي وسيلة لديك لحرمان اعضاء الزيمسكي سوبور على هذا النحو من العمل على هواهم ؟ أفليس هذا نوعاً من ورق التعريف الكيماوي من جنس خاص ؟

الله يا الله ها هو اذن التكتيك «المعمق» ! ليس لدينا القوة للكفاح في الشارع ، ولكننا نستطيع ان «نفرق النواب» بـ«القوة» . حسناً ، ايها الرفيق من تفليس ، اكذب ، ولكن لا تتجاوز الحد ...

مسكينة روسيا يقال انها تعتمر دائماً القبعات التي بطلت موضتها والتي رمتها اوروبا فليس لدينا برلمان حتى الآن وبوليغين نفسه لم يعدنا به بعد اما البلاهة البرلمانية فعندنا منها ما يكفي ويزيد

«. كيف يجب ان يتم هذا التدخل ؟ قبل كل شيء ، نطالب بدعوة الزيمسكي سوبور الى الانعقاد وانتخابه بالاقتراع العام ، المتساوي ، المباشر ، السري ومع اعلان * هذا النظام الانتخابي يجب اضفاء الصفة القانونية ** على حرية التحريض الانتخابي التامة ، اي حرية الاجتماع والكلام والصحافة ، وحرمة الناخبين والمنخوبين ، والافراج عن جميع المجرمين السياسيين اما الانتخابات فينبغي تاخير موعدها قدر الامكان ، لكي يتوافر لنا الوقت الكافي لابلاغ الشعب وتحضيره وبما انه عهد الى لجنة وزير الداخلية بوليغين بوضع القواعد المتعلقة بدعوة الزيمسكي سوبور الى الانعقاد ، فانه يجب علينا ان نضغط ايضا على هذه اللجنة وعلى اعضائها *** . فاذا رفضت لجنة بوليغين تلبية مطالبنا **** ولم تمنح حق انتخاب النواب الا للمالكين ، ترتب علينا ان نتدخل في هذه الانتخابات ونجبر الناخبين ، بالطريق الثوري ، على انتخاب مرشحين طليعيين ، والمطالبة في الزيمسكي سوبور بجمعية تاسيسية ويجب اخيراً ، بجميع الوسائل بالمظاهرات ، بالاضرابات وبالانتفاض اذا اقتضى الامر ، اجبار الزيمسكي سوبور على عقد الجمعية التاسيسية او على اعلان نفسه جمعية تاسيسية فعلى البروليتاريا المسلحة ان تكون حامية الجمعية التاسيسية ، وكلاهما معاً ***** ستسيران نحو الجمهورية الديموقراطية .

---

* في «الايسكرا» ؟

** من قبل نيقولاي ؟

*** هذا ما يعنيه تكتيك «اقصاء المحافظين عن الحكومة» !

**** ولكن هذا الرفض مستحيل مع تكتيك موضوع بمثل هذه الصحة وبمثل هذا الامعان في التفكير من جانبنا !

***** البروليتاريا المسلحة والمحافظون المقصيون عن الحكومة» ؟

هذا هو التكتيك الاشتراكي-الديموقراطي ، وهو وحده الذي سيؤمن لنا الانتصار»

فليحترز القارئ من الظن بان هذا الهذيان الذي لا يصدق ليس سوى محاولة قلمية من ايسكري جديد عادي غير مسؤول ولا تأثير له كلا فان هذه الاشياء انما وردت في **لسان حال** لجنة ايسكرية جديدة بكليتها هي لجنة تفليس وليس هـذا كل ما في الامر فان هذا الهذيان قد **أيدته «الايسكرا» بوضوح .** واليكم ما نقرأه في العدد ١٠٠ من «الايسكرا» بصدد «سوسيال-ديموقراط» هذه

«العدد الاول محرر باسلوب حي وبموهبة . ويشعر القارئ فيه بيد ماهرة ، خبيرة ، يد محرر كاتب ويمكن القول عن يقين ان الجريدة ستنفذ بنجاح باهر المهمة التي اخذتها على عاتقها» .

اجل اذا كانت هذه المهمـة تنحصر في تبيان مـــا اصاب ميل «الايسكرا» الجديدة من تفسخ فكري كامل في تبيان هذا التفسخ للجميع ولكل فرد فان هذه المهمـــة قد نفّذت فعلاً «بنجاح باهر» وما من احد كان في مقدوره ان يعكس بمزيد من «الحيوية والموهبة والمهارة» هبوط جماعة «الايسكرا» الجديدة الى مستوى انتهازية البرجوازية الليبيرالية

٨ – نزعة «اوسفوبوجدينييه» ونزعة «الايسكرا» الجديدة

والآن نتناول تأكيداً ساطعاً آخر لمغزى نزعة «الايسكرا» الجديدة في الحقل السياسي

في مقال رائع ممتاز بليغ العبرة بعنـــوان «كيف نهتدي» («اوسفوبوجدينييه» ، العدد ٧١) ، يشنها السيد ستروفه

حرباً على «الثورية البرنامجية» لاحزابنا المتطرفة والسيد ستروفه مستاء مني انا على الاخص * اما انا فاني مسرور من السيد ستروفه ولا اكثر فليس في مقدوري ان ارغب في حليف خير منه في النضال ضد «الاقتصادية» المنبعثة عند جماعة «الايسكرا» الجديدة وفقدان المبادئ التام عند «الاشتراكيين-الثوريين»

* «بالقياس الى ثورويـــة السادة لينين والرفاق ، تبدو ثورويـة الاشتراكية-الديموقراطية في اوروبا الغربية ، ثورية بيبل وحتى كاوتسكي ، ضرباً من الانتهازية ؛ ولكن اسس هذه الثورية التي خفت ولانت ، انما قد قوضها التاريخ وجرفها هي ايضاً» ان هذه حملة غاضبة جداً ولكن السيد ستروفه يخطئ اذ يظن انه يمكن اتهامي بكل شيء كما لو كنت ميتاً حسبي ان اتحداه تحدياً لـــن يستطيع ابداً قبولـــه اين ومتى وصفت بالانتهازية «ثورية بيبل وكاوتسكي» ؟ اين ومتى ادعيت انشاء ميل خاص في الاشتراكية-الديموقراطية العالمية **غير مماثل تماماً** لميل بيبل وكاوتسكي ؟ اين ومتى نشبت خلافات في الآراء بيني من جهة وبيبل وكاوتسكي من جهة اخرى ، خلافات في الآراء تشبه ، ولو الى حد ما ، من حيث طابعها الجدي ، تلك التي نشبت في بريسلافل ، بين بيبل وكاوتسكي حول المسالة الزراعية مثلا (١٨٥) ؟ فليحاول السيد ستروفه الاجابة عن هذه الاسئلة الثلاثة

اما القراء فنقول لهم ان البرجوازية الليبيرالية تستخدم **دائماً وفي كل مكان** الاسلوب التـالي اقناع اتباعهـــا في بلد معين بـــان الاشتراكيين-الديموقراطيين في هذا البلد هم اشد الناس بعداً عن الصواب والعقل ، بينـا رفاقهم في البلد المجاور «صبيان عاقلون» فان البرجوازيـة الالمانيـة قد قدمت **مئات المرات** الاشتراكيين الفرنسيين ، هؤلاء «الصبيان العاقلين»، مثالا لبيبل وكاوتسكي واضرابهمـا ومنذ امد قريب جداً قدمت البرجوازيـــة الفرنسيـــة «الصبي العاقل» بيبل مثالا للاشتراكيين الفرنسيين اسلوب قديـم ، ايهـــا السيد ستروفـــه ! ولن تصطاد بهذه السنارة غير الاطفال والجاهلين فان التضامن التام في صفوف الاشتراكية-الديموقراطية الثورية الاممية ، فيما يخص جميع مسائل البرنامج والتكتيك الكبرى ، واقع لا يقبل الجدل اطلاقاً .

وسنرى فيما بعد باية طريقة برهن السيد ستروفه و«اوسفوبوجدينييه» عملياً على كل الروح الرجعي الذي تتصف به «التعديلات» الواردة على الماركسية في مشروع برنامج الاشتراكيين-الثوريين وقد سبق لنا وتحدثنا مراراً عديدة عن الخدمة الخالصة الشريفة الفعلية التي كان يسديها اليّ السيد ستروفه كلما حبذ **مبدئياً** الايسكريين الجدد * فلنتحدث عنها مرة اخرى ايضاً

ان مقال السيد ستروفه يتضمن جملة كاملة من التصريحات في منتهى الطرافة ولكننا لا نستطيع ذكرها هنا الا عرضاً ان السيد ستروفه يستعد «لانشاء ديموقراطية روسية بالاعتماد على التعاون الطبقي لا على النضال الطبقي» ، اما «المثقفون المميزون اجتماعياً» (من نوع «فئة النبلاء المثقفة» التي ينحني السيد ستروفه احتراماً واجلالاً لها بظرافة جديرة حقاً بخادم في بيوت النبلاء) فانهم سيحملون الى هذا الحزب «اللاطبقي» «ثقل مركزهم الاجتماعي» (ثقل كيس النقود) ويعرب السيد ستروفه عن الرغبة

---

* نذكر القارئ بان «اوسفوبوجدينييه» قد رحبت بطبل وزمر بمقال «ما لا يجب عمله» («الايسكرا» ، العدد ٥٢) باعتباره «انعطافاً بليغ الدلالة» نحو روح التنازل ازاء الانتهازيين وقد حبذت «اوسفوبوجدينييه» بوجه خاص الميول المبدئية لدى «الايسكرا» الجديدة في مقال حول انشقاق الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس واشارت «اوسفوبوجدينييه» بصدد كراسة تروتسكي «مهماتنا السياسية» ، الى تماثل افكار ، هذا المؤلف مع الافكار التي اعرب عنها سابقاً ، شفوياً وكتابة ، جماعة «رابوتشييه ديلو» (١٨٦) ـ كريتشيفسكي ،مارتينوف ، اكيموف (راجع المنشور «ليبيرالي خدوم» ، من اصدار «فبريود») ورحبت «اوسفوبوجدينييه» بكراس مارتينوف حول الديكتاتوريتين (راجع المقال الوارد في العدد ٩ من «فبريود») واخيراً ، ان شكاوى ستاروفر المتاخرة بصدد الشعار القديم «للايسكرا» القديمة «اولا ، نعين الحدود الفاصلة ثم نتحد» ، كانت موضع استحسان خاص من جانب «اوسفوبوجدينييه» .

في تعريف الشبيبة على عدم صلاح هذه «الفكرة الراديكالية المطروقة القائلة ان البرجوازية قد تملكها الذعر وباعت البروليتاريا وقضية الحرية» (اننا لنرحب من صميم القلب بهذه الرغبة وليس ما يؤكد صحة هذه «الفكرة المطروقة» الماركسية خيراً من الحرب التي يشنها عليها السيد ستروفه فتفضل نفذ ، ايها السيد ستروفه ، ولا تؤجل تنفيذ مشروعك الرائع !)

من المهم لبحث موضوعنا ان نلاحظ أياً هي الشعارات **العملية** التي يحاربها في الوقت الحاضر ممثل البرجوازية الروسية هذا ذو الغريزة السياسية الامينة الذي يتأثر بأقل تقلبات الطقس اولاً شعار الجمهورية ان السيد ستروفه لعلى اقتناع راسخ بان هذا الشعار «غريب وغير مفهوم بالنسبة لسواد الشعب» (وينسى ان يضيف مفهوم ولكنه غير مفيد بالنسبة للبرجوازية !) واننا لنود ان نرى باي جواب يجيب العمال السيد ستروفه في حلقاتنا واجتماعاتنا ألعل العمال ليسوا الشعب ؟ والفلاحون ؟ يحدث لهم حسب زعم السيد ستروفه ، ان تستحوذ عليهم «نزعة جمهورية ساذجة» («طرد القيصر») ولكن البرجوازية الليبيرالية تثق بان هذه النزعة الجمهورية **الساذجة** لن تخلي المكان لنزعة جمهورية واعية بل لنزعة مَلَكية واعية ! Ça dépend * ايها السيد ستروفه ، هذا مشروط ايضاً بالظروف فالقيصرية والبرجوازية على السواء لا يمكنهما الا معارضة كل تحسين جذري في وضع الفلاحين على حساب اراضي الملاكين العقاريين بينا لا تستطيع الطبقة العاملة الا ان تدعم الفلاحين في هذه القضية

ثانياً يؤكد السيد ستروفه «ان المهاجم في الحرب الاهلية سيكون دائماً هو المذنب» ان هذه الفكرة قريبة كل القرب من

---

* بالفرنسية في النص الاصلي ، ومعناها : هذا مشروط . **الناشر** .

ميول «الايسكرا» الجديدة التي اشرنا اليها سابقاً يقيناً اننا لن نقول انه من المفيد **دائماً** الهجوم في الحرب الاهلية كلا ان التكتيك الدفاعي الزامي احياناً **لفترة معينة** ولكن ان يتقدم المرء بموضوعة كالموضوعة التي قدمها السيد ستروفه ويطبقها في روسيا عام ١٩٠٥ فهذا يعني على وجه الدقة انه يعرض علينا قسماً من «فكرة راديكالية مطروقة» («البرجوازية يتملكها الذعر وتبيع قضية الحرية») ان من لا يريد الآن ان يهاجم الاوتوقراطية، الرجعية ان من لا يستعد لهذا الهجوم ولا ينادي به انما يدّعي عبثا بانه نصير الثورة

ان السيد ستروفه يشجب شعاري «العمل السري» و«الفتنة» («الفتنة هذه «انتفاضة المصغّرة») والسيد ستروفه يزدري كلاً من هذين الشعارين من وجهة نظر «الوصول الى الجماهير»! بودنا ان نسأله ما اذا كان في مستطاعه ان يدلنا على الدعاية للفتنة، مثلاً، في «ما العمل ؟»* ، في هذا المؤلف الذي كتبه ثوروي في منتهى التطرف، حسب رأيه ؟ اما فيما يخص «العمل السري» فهل الفرق كبير حقاً بيني وبين السيد ستروفه مثلاً ؟ ألا نعاون كلانا في جريدة «سرية» تنقل الى روسيا «سراً»، وتخدم فرقاً «سرية» تابعة لـ«اتحاد اوسفوبوجدينييه» او لـ ح ع ا د ر ؟ ان اجتماعاتنا العمالية «سرية» في غالب الاحيان واننا لنعترف بهذه الخطيئة واجتماعات هؤلاء السادة من «اوسفوبوجدينييه» ؟ فهل لك ما تتباهى به ايها السيد ستروفه امام هؤلاء الانصار الاذلاء، انصار العمل السري الذليل ؟

صحيح ان نقل السلاح الى العمال هو عمل سري حقاً وفعلاً

---

* راجع مؤلف لينين «ما العمل ؟» في هذا المجلد، ص ص ١١ ـ ٢٤

والسيد ستروفه أصرح بهذا الصدد فاسمعوه «اما فيما يخص الانتفاضة المسلحة او الثورة من الناحية التكنيكية، فان الدعاية للبرنامج الديموقراطي بين الجماهير هي وحدها التي تستطيع ان توفر الشروط الاجتماعية والنفسانية التي تتطلبها الانتفاضة المسلحة العامة وهكذا حتى من حيث وجهة النظر القائلة ان الانتفاضة المسلحة ستكون التتويج **المحتم** للنضال الحالي في سبيل التحرر – وهي ليست وجهة نظري – فان الشيء الجوهري الضروري ولا أكثر انما هو تشبيع الجماهير بافكار التحويل الديموقراطي»

ان السيد ستروفه يحاول التهرب من المسألة فهو يتحدث عن حتمية الانتفاضة بدلا من التحدث عن ضرورتها من اجل انتصار الثورة فلقد بدأت الانتفاضة دون تحضير عفوية مشتتة وما من احد يستطيع بالطبع ان يضمن انها ستؤدي الى انتفاضة شعبية مسلحة متجانسة وكاملة لأن هذا رهن بحالة القوى الثورية (التي لا يمكن تقديرها بدقة الا في غمرة النضال) وبسلوك الحكومة والبرجوازية وكذلك بشتى الظروف الاخرى التي يستحيل أخذها بالحسبان بدقة وليس ثمة حاجة الى التحدث عن الحتمية بمعنى هذا اليقين المطلق بحدث ملموس ، بهذا اليقين الذي يقصده السيد ستروفه بكلامه فاذا اردت ان تكون نصير الثورة يجب عليك ان تتطرق الى مسألة معرفة ما اذا كانت الانتفاضة **ضرورية من اجل انتصار** الثورة اذا كان من الضروري المناداة بها بنشاط والدعاية لها وتحضيرها دون اي تأخير ، وبكل عزم وهذا الفرق ، من المستحيل ان لا يدركه السيد ستروفه اذ انه لا يسعى مثلاً الى اخفاء ضرورة حق الاقتراع العام التي لا جدال حولها بالنسبة لكل ديموقراطي وراء المسألة التي يمكن الجدال حولها وغير الملحة بالنسبة لكل سياسي ، مسألة ضرورة الظفر

بهذا الحق في الثورة الحالية ان السيد ستروفه اذ يتهرب من مسألة ضرورة الانتفاضة انما يكشف أعمق خفايا موقف البرجوازية الليبيرالية السياسي اولاً ان البرجوازية تفضل المساومة مع الاوتوقراطية بدلاً من سحقها وهي في كل حال تترك للعمال امر النضال المسلح (هذا ثانياً) هذا هو المغزى **الفعلي** لهذا التهرب من جانب السيد ستروفه ولهذا السبب **يمشي القهقرى** من قضية ضرورة الانتفاضة الى قضية شروطها «الاجتماعية والنفسانية» ، و«الدعاية» التمهيدية ان السيد ستروفه يتهرب من قضية الانتفاضة ، متستراً وراء **الجمل الطنانة** شأنه في ذلك تماماً شأن اولئك الثرثارين البرجوازيين الذين كانوا في عام ١٨٤٨ يهتمون في برلمان فرانكفورت بتدبيج القرارات والبيانات والمقررات ، و«الدعاية الجماهيرية» ، وتحضير «الشروط الاجتماعية والنفسانية» في فترة كان المقصود فيها الرد على القوة المسلحة التابعة للحكومة وكانت الحركة قد «ادت» فيها «الى ضرورة» النضال المسلح وغدا فيها مجرد التأثير بواسطة الكلام (الضروري مئة مرة اكثر في مرحلة التحضير) جموداً وجبناً خسيسين برجوازيين وان السيد ستروفه يبين لنا بروعة ما يصرّ كثير من الاشتراكيين - الديموقراطيين على عدم رؤيته ، وهو ان ساعة الثورة تختلف عن الساعات التاريخية العادية ، اليومية ، التحضيرية في كون الحالة الفكرية والغليان والاقتناع لدى الجماهير ، لا بدّ لها ان تتجلى وهي تتجلى **في العمل** .

ان الثوروية المبتذلة لا تدرك ان الكلام هو ايضاً عمل وهذه الحقيقة ثابتة لا جدال فيها مطبقة على التاريخ **بوجه عام** او على المراحل التاريخية التي ينعدم فيها نشاط الجماهير السياسي السافر – وهذا النشاط لا يمكن اصطناعه ولا الاستعاضة عنه بالفتن التآمرية . اما ذنبية الثوريين ، فانها لا تدرك انه متى دقت

ساعة الثورة متى تداعى « البناء الفوقي» الاجتماعي القديم من كل الجهات متى غدا نشاط الطبقات والجماهير التي تبني لنفسها بناء فوقياً جديداً متى غدا نشاطها السياسي السافر أمراً واقعاً متى بدأت الحرب الاهلية ، فان الاكتفاء «بالكلام» ، **كما في السابق** دون صياغة هذا **الشعار الواضح** شعار الانتقال الى «العمل» والتهرب من العمل آنذاك بحجة «الشروط النفسانية» و«الدعاية» بوجه عام انما يعنيان الانزلاق في النظرية الميتة المتحجرة في التزمت العقيم او تسليم الثورة خيانتها وان الثرثارين الفرانكفورتيين من البرجوازية الديموقراطية ليقدمون مثالاً تاريخياً لا ينسى عن هذه الخيانة او عن هذه الحماقة المتزمتة

أو تريدون منا ان نوضح هذا الفرق بين الثورية المبتذلة وبين ذنبية الثوريين بامثلة مستقاة من تاريخ الحركة الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا ؟ هذا الايضاح سنقدمه لكم تذكروا سنتي ١٩٠١-١٩٠٢ اللتين لا تزالان قريبتين جداً واللتين تبدوان اليوم من سنوات التاريخ القديم كانت المظاهرات قد بدأت فشرعت الثورية المبتذلة تصرخ داعية الى «الهجوم» («رابوتشييه ديلو») ، وصدرت «مناشير دموية» (برلينية المصدر ، على ما اذكر) وشهر بـ«المرض الادبي» والطابع المكتبي للفكرة القائلة بالتحريض في عموم روسيا بواسطة جريدة (ناديجدين) (١٨٧) اما ذنبية الثوريين فقد كانت آنذاك على العكس تروّج بان «النضال الاقتصادي **خير** وسيلة للقيام بالتحريض السياسي» فماذا كان موقف الاشتراكية-الديموقراطية الثورية ؟ لقد حاربت هذين الميلين فشجبت الالعاب النارية الطائشة والصياح الى الهجوم لأن كل الناس كانوا يرون بوضوح او كان لا بد لهم ان يروا ان نشاط الجماهير السافر هو قضية الغد وشجبت الذنبية وصاغت ، مباشرة ، **حتى** شعار الانتفاضة المسلحة

من جانب الشعب بأسره لا من حيث انه نداء مباشر (وما كان السيد ستروفه وجد عندنا آنذاك ، اي نداء الى «الفتنة») بل من حيث انه استنتاج **ضروري** من حيث انه «دعاية» (لم يتذكرها السيد ستروفه الا الآن لأن صاحبنا الجزيل الاحترام السيد ستروفه يتأخر دائماً بضع سنوات) من حيث تحضير هذه «الشروط الاجتماعية والنفسانية» عينها التي طالما يتشدق اليوم بها ممثلو البرجوازية المائلة الى المساومة الحائرة «بكآبة وغير مناسبة» **في ذلك الحين** كانت الدعاية والتحريض التحريض والدعاية ، موضوعين حقاً في المرتبة الاولى بقوة الوضع الموضوعية. **في ذلك الحين** كان يمكن للعمل من اجل انشاء جريدة سياسية لعامة روسيا ، ويبدو اصدارها اسبوعياً مثالاً اعلى كان يمكن لهذا العمل ان يعتبر محك العمل في حقل تحضير الانتفاضة (وهكذا اعتبره «ما العمل ؟») **في ذلك الحين** كان الشعاران التحريض الجماهيري **بدلا** من الاعمال المسلحة الفورية تحضير الشروط الاجتماعية والنفسانية الضرورية للانتفاضة **بدلاً** من الالعاب النارية الطائشة ، – الشعارين الصحيحين الوحيدين عند الاشتراكية-الديموقراطية الثورية **اما الآن** فان الاحداث قد تجاوزت هذين الشعارين والحركة سبقتهما ولم يبقيا إلا سقط المتاع لم يبقيا الا عتقيات لا تصلح إلا لستر رياء «اوسفوبوجدينييه» وذنبية «الايسكرا» الجديدة !

ولكن ربما انا على خطأ ؟ ربما ان الثورة لم تبدأ بعد ؟ ربما ان ساعة عمل الطبقات السياسي السافر لم تحن بعد ؟ ربما ان الحرب الاهلية لم تذر قرنها بعد وان نقد السلاح لا يجب ان يكون منذ الآن خَلَف سلاح النقد وريثه منفذ وصيته وخاتمه **الضروري** والالزامي ؟

تطلعوا حولكم ، مدوا رؤوسكم من نوافذ مكاتبكم وانظروا

الى الشارع لتتمكنوا من الاجابة على هذه الاسئلة أفلم تبدأ الحكومة نفسهـا الحرب الاهلية باعدامهـا رمياً بالرصاص في كل مكان وبالجملة مواطنين مسالمين عزلاً من السلاح ؟ ألا يتدخل المئة السود المسلحون بوصفهم «حجة» الاوتوقراطية؟ أولم تدرك البرجوازية – البرجوازية بالذات – ضرورة ميليشيا اهليـة ؟ والسيد ستروفه نفسه السيد ستروفه ذو الدقة والاعتـدال المثاليين ألا يقول (ومع الاسف يكتفي بالقول لكي يتهرب !) ان «طابع الاعمال الثورية السافر» (هكذا هي لهجتنا اليوم !) «هو اليوم شرط من اهم شروط التأثير التربوي في الجماهير الشعبية» ؟

ان من له عينان تريان لا يمكنه ان يشك بالطريقة التي يجب ان يضع بها اليوم انصار الثورة قضية الانتفاضة المسلحة فاليكم اذن الطرائق **الثلاث** لطرح هذه القضية التي تعطيها الصحف الحرة القادرة على ان تؤثر وان بعض الشيء **في الجماهير**

الطريقة الاولى قرار المؤتمـر الثالث لحزب العمـال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيـا* فهو يقر ويعلن على رؤوس

---

* اليكم النص الكامل لهذا القرار

وحيث

١ ــ ان البروليتاريا هي من حيث وضعها ، الطبقة المتقدمة اكثر من غيرها ، الطبقـة الوحيدة الثوريـة حتى النهايـة وهي بالتالي مدعوة الى الاضطلاع بدور قيادي في الحركة الثورية الديموقراطية العامة في روسيا ؛

٢ ــ ان هذه الحركـة قد أدت ، في الساعـة الراهنـة ، الى ضرورة الانتفاضة المسلحة

٣ ــ ان البروليتاريا ستسهم حتماً في هذه الانتفاضة باشد قسط من الحزم وبقسط يقرر مصير الثورة في روسيا ؛

٤ ــ ان البروليتاريـا لا تستطيـع الاضطلاع في هذه الثورة بدور قيادي إلا متراصة في قوة سياسية ، موحدة مستقلة ، تحت راية حزب العمال

الاشهاد بان الحركة الثورية الديموقراطية العامة **قد ادت الى ضرورة** الانتفاضة المسلحة ان تنظيم البروليتاريا من اجل الانتفاضة قد وضع في جدول الاعمال بوصفه مهمة من المهام الاساسية والرئيسية **والضرورية** للحزب ويجب اتخاذ **أشد** الاجراءات **حزماً** لتسليح البروليتاريا وتأمين امكانية القيادة المباشرة للانتفاضة

الطريقة الثانية المقال المبدئي الذي نشره في «اوسفوبوجدينييه» «زعيم الدستوريين الروس» (بهذا اللقب انعمت

الاشتراكي-الديموقراطي الذي يقودها في نضالها سواء أفي الميدان الفكري ام في الميدان العملي ؛

٥ ـ ان القيام بهذا الدور هو وحده الذي يمكن له ان يؤمن للبروليتاريا أفيد الشروط في النضال من اجل الاشتراكية ضد الطبقات المالكة في روسيا الديموقراطية البرجوازية ، ـ

فان المؤتمر الثالث لح ع د ر يرى ان تنظيم البروليتاريا من اجل النضال المباشر ضد الاوتوقراطية عن طريق الانتفاضة المسلحة هو ، في الساعة الثورية الراهنة ، مهمة من أهم مهام الحزب وأشدها الحاحا

ولهذا يكلف المؤتمر جميع منظمات الحزب بما يلي

أ ـ ان توضح للبروليتاريا ، عن طريق الدعاية والتحريض ، لا المغزى السياسي للانتفاضة المسلحة القادمة وحسب ، بل ايضا جانبها التنظيمي العملي ؛

ب ـ ان توضح في سياق هذه الدعاية وهذا التحريض ، دور الاضرابات السياسية الجماهيرية ، التي يمكن ان تكتسب اهمية كبرى في بداية الانتفاضة وفي مجراها بالذات

ح ـ ان تتخذ اشد الاجراءات حزماً لتسليح البروليتاريا ورسم خطة الانتفاضة المسلحة وقيادتها المباشرة ، وان تشكل لهذا الغرض ، فرقاً خاصة من المناضلين الحزبيين ، بقدر ما تدعو الحاجة» (ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧ . **الناشر** .)

على السيد ستروفه منذ امد قريب «جريدة فرانكفورت» (١٨٨) وهي صحيفة واسعة النفوذ للبرجوازية الاوروبية) او زعيم البرجوازية التقدمية الروسية فهو لا يشاطر الرأي القائل بحتمية الانتفاضة فالعمل السري والفتنة اسلوبان تمتاز بهما ثورية طائشة والنزعة الجمهورية طريقة لصم الآذان والانتفاضة المسلحة ليست في الاساس إلا مسالة تكنيكية في حين ان الدعاية الجماهيرية وتحضير الشروط الاجتماعية والنفسانية هما «الامر الجوهري والألح»

الطريقة الثالثة قرار المجلس العام الايسكري الجديد مهمتنا ان نحضر الانتفاضة تنفى امكانية انتفاضة تسير حسب مخطط اما الشروط الملائمة للانتفاضة فيوفرها تشويش الحكومة وتحريضنا وتنظيمنا وحينذاك فقط «يمكن للتحضيرات الكفاحية التكنيكية ان تكتسب اهمية كبيرة الى هذا الحد او ذاك» .

وهل هذا كل شيء ؟ هذا كل شيء هل اصبحت الانتفاضة ضرورية ؟ هذا ما لا يعرفه حتى الآن قادة البروليتاريا الايسكريون الجدد وتنظيم البروليتاريا للنضال المباشر هل هو مهمة عاجلة ؟ هذا ما لا يرونه حتى الآن بوضوح وليس ثمة حاجة للدعوة الى أشد الاجراءات حزماً فمن الأهم بكثير (في عام ١٩٠٥ لا في عام ١٩٠٢) ان نوضح بخطوط كبرى الشروط التي «يمكن» بها لهذه الاجراءات ان تكتسب اهمية «كبيرة الى هذا الحد او ذاك»

أوترون الآن ايها الرفاق من «الايسكرا» الجديدة الى اين قادكم انعطافكم الى المارتينوفية ؟ أوتدركون ان فلسفتكم السياسية ليست سوى طبعة جديدة لفلسفة «اوسفوبوجدينييه» ؟ وانكم تسيرون (رغماً عنكم ودون ان ترتابوا بذلك) في ذيل البرجوازية المَلَكية ؟ أوتدركون الآن انكم ، اذ لكتم الحكايات القديمة

ورفعتم مستواكم في حقل السفسطة قد غاب عن بالكم ان «طابع **الاعمال** الثورية السافر – على حد التعابير التي لا تنسى في مقالة بيوتر ستروفه التي لا تنسى – هو اليوم شرط مـــن أهم شروط التأثير التربوي في الجماهير الشعبية» ؟

٩ – ماذا يعني حزب اقصى المعارضة ابان الثورة ؟

لنعد الى القرار بشأن الحكومة الموقتة لقد بيّنا ان تكتيك الايسكريين الجدد لا يدفع الثورة الى امام – مع ان هذا ما ارادوا بلوغه بقرارهم – بل يعود بها القهقرى وقد بيّنا ان هذا التكتيك بالذات **يقيد يدي** الاشتراكية-الديموقراطية في النضال ضـــــد البرجوازية المتذبذبة ولا يقيها من الذوبان في الديموقراطيـــة البرجوازية ومفهوم ان ينجم استنتاج خاطئ عن مقدمات القرار الخاطئة «ولذا ينبغي على الاشتراكية-الديموقراطية ان لا تستهدف الاستيلاء على الحكم او المشاركة به في الحكومة الموقتة انمـــا ينبغي لها ان تظل حزب اقصى المعارضـــة الثورية» انظروا الى النصف الاول من هذا الاستنتاج بصدد الاهداف الواجب بلوغها. فهل يرى الايسكريون الجـــدد الهـــدف من نشاط الاشتراكية-الديموقراطية في انتصار الثورة الحاسم على القيصرية ؟ اجل انهم لا يعرفون كيف يصوغون بتعابير صحيحة شروط الانتصار الحاسم، فينزلقون في صيغة «اوسفوبوجدينييه» مع انهم يستهدفون هذا الهدف ثم هل يربطون الحكومة الموقتة بالانتفاضة ؟ – اجل انهم يربطونها بها مباشرة ، قائلين ان الحكومة الموقتة «تنبثق من الانتفاضة الشعبية الظافرة» وهـــــل يبتغون اخيراً قيـــادة الانتفاضة ؟ – اجل وهم يتهربون على غرار السيد ستروفه من الاعتراف بضرورة الانتفاضة وعجلتها ، ولكنهم يقولون في الوقت

نفسه خلافاً للسيد ستروفـــه ان «الاشتراكية-الديموقراطية تقصد **اخضاعها** (اي الانتفاضة) لتأثيرها **وقيادتها** واستخدامها في مصلحة الطبقة العاملة»

ما أحسن هذا القول أليس كذلك ؟ اننا نبتغي **هدفاً** قوامه اخضاع انتفاضة الجماهير البروليتارية **وغير البروليتارية** لتأثيرنا لقيادتنا واستخدامها في مصلحتنا اننا نستهدف اذن ان نقود أبان الانتفاضة البروليتاريا والبرجوازية الثورية والبرجوازيـــة الصغيرة («الفئات غير البروليتارية») معاً اي ان «**نقتسم**» قيادة الانتفاضة بين الاشتراكية-الديموقراطية والبرجوازية الثورية اننا نستهدف **انتصار** الانتفاضة الانتصار الذي لا بد ان يؤول الى تشكيل حكومة موقتة («منبثقـة من الانتفاضة الشعبيـة الظافرة») **ولذا** ولذا لا ينبغي لنا ان نستهدف الاستيلاء على الحكم او المشاركة به في الحكومة الثورية الموقتة !

ان اصحابنـــا لا يتوصلـــون الى ربط الاشياء بعضهـــا ببعض وهم يتأرجحون بين وجهة نظر السيد ستروفه الذي يتهرب من الانتفاضة ووجهـــة نظر الاشتراكية-الديموقراطية الثورية التي تدعو الى تنفيذ هذه المهمة العاجلة وهم يتأرجحون بين الفوضوية التي تشجب مبدئياً كل اشتراك في الحكومة الثورية الموقتة على انه خيانة للبروليتاريا وبين الماركسية التي تتطلب هذا الاشتراك شرط ان تمـــارس الاشتراكية-الديموقراطية تأثيراً قيادياً على الانتفاضة * وليس لهم اي موقف مستقل لا موقف السيد ستروفه الذي يتمنى مساومة مع القيصرية والذي لا بدّ له بالتالي من ان يتهرب ويداور في مسألة الانتفاضـــة ولا موقف

---

* راجع العدد ٣ من «بروليتاري» «بشان الحكومـــة الثوريـة الموقتة» ، المقال الثاني .

الفوضويين الذين يشجبون كل عمل «من فوق» وكل اشتراك في الثورة البرجوازية والايسكريون **الجدد** يخلطون بين المساومة مع القيصرية وبين الانتصار على القيصرية وهم يريدون الاشتراك في الثورة البرجوازية وقد تجاوزوا الى حد ما كتاب «ديكتاتوريتان» لمارتينوف حتى انهم يقبلون قيادة انتفاضة الشعب لكي يتخلوا عن هذه القيادة بعد الانتصار فوراً (او ربما قبل الانتصار مباشرة ؟) اي **لكي لا يجنوا ثمار الانتصار** بل لكي يتركوها **كلها للبرجوازية** وهذا ما يسمونه «استخدام الانتفاضة في مصلحة الطبقة العاملة»

وليس ثمة ما يدعو الى التوقف اكثر من ذلك عند هذا التشوش فمن الاجدى استقصاء **مصدر** هذا التشوش في هذه الصيغة التي تقول «ان تظل حزب اقصى المعارضة الثورية»

نحن هنا امام موضوعة من الموضوعات الاليفة عند الاشتراكية ـ الديموقراطية الثورية العالمية وهذه الموضوعة صحيحة تماماً وقد غدت حقيقة مطروقة عند جميع اخصام التحريفية او الانتهازية في البلدان البرلمانية واكتسبت جميع حقوقها المدنية بوصفها رداً شرعياً وضرورياً على «البلاهة البرلمانية» والميليرانية والبرنشتينية والاصلاحية الايطالية على طريقة توراتي وقد تعلم اصحابنا الطيبون الايسكريون **الجدد** عن ظهر قلب هذه الصيغة الممتازة وهم يطبقونها بحمية **تماماً في الوقت غير المناسب** فمفاهيم النضال البرلماني انما يدرجونها في قرارات موضوعة لاوضاع ليس فيها اي نوع من البرلمان ومفهوم «المعارضة» الذي هو تعبير وانعكاس لوضع سياسي لا يتحدث فيه احد بصورة جدية عن **الانتفاضة** ، انما يطبق بحماقة وخراقة على وضع **بدأت** فيه الانتفاضة ويفكر فيه جميع انصار الثورة بقيادة الانتفاضة ويتحدثون عن هذه القيادة . والرغبة

في «البقاء» في النقطة السابقة نفسها اي في الاكتفاء بالعمل «من تحت» «من القاعدة» انما تنعكس في تعابير مفخمة وصاخبة **تماماً في اللحظة** التي طرحت فيها الثورة في حال انتصار الانتفاضة ، مسألة ضرورة العمل **من فوق ، من القمة .**

يقيناً ان الحظ لا يحالف اصحابنا الايسكريين الجدد فهم حتى حين يصوغون موضوعة اشتراكية-ديموقراطية صحيحة لا يعرفون كيف يطبقونها بصحة فهم لم يفكروا في الطريقة التي تتغير بها تعابير ومفاهيم النضال البرلماني وتتحول الى اضدادها متى بدأت الثورة ، في حال عدم وجود برلمان ، بينما تشتعل نيران الحرب الاهلية بينما ترتفع ومضات الانتفاضة ولم يفكروا في ان التعديلات تعرض ، في الاوضاع التي يدور الحديث حولها بواسطة التظاهرات في الشارع وان الاستجوابات تتجسد بهجوم المواطنين المسلحين وان معارضة الحكومة تتحقق بقلب الحكومة بالعنف

ان اصحابنا المعجبين بمارتينوف اشبه بهذا البطل المعروف في حكاياتنا الشعبية الذي كان يردد النصائح الطيبة تماماً في الوقت غير المناسب فهم يرددون دروس البرلمانية في زمن السلم تماماً في الوقت الذي يلاحظون فيه بانفسهم بداية عمليات عسكرية موصوفة . وليس ثمة ما هو أغرب من صياغة شعار «اقصى المعارضة» بمهابة وذلك في قرار يبدأ بالاشارة الى «انتصار الثورة الحاسم» و«الانتفاضة الشعبية» ! ولكن فكروا اذن ، ايها السادة ماذا يعني ان تؤلفوا «اقصى المعارضة» في عهد الانتفاضة ؟ أيعني التشهير بالحكومة ام اسقاطها ؟ أيعني التصويت ضد الحكومة ام هزم قواتها في معركة سافرة ؟ أيعني رفض الاعتمادات لخزينة الحكومة ام الاستيلاء على هذه الخزينة بطريقة ثورية من اجل استخدامها في حاجات الانتفاضة ، من اجل تسليح العمال والفلاحين ، من اجل

عقد الجمعية التأسيسية ؟ أفلا تبدأون تفهمون ايها السادة ان فكرة «اقصى المعارضة» لا تفصح الا عن اعمال سلبية التشهير التصويت ضد الرفض ؟ ولِم هذا ؟ لأن هذا المفهوم لا يتعلق إلا بالنضال البرلماني وذلك في عهد لا يبتغي فيه احد «انتصاراً حاسماً» كهدف مباشر للنضال أفلا تبدأون تفهمون ان الامر يتغير في هذا الميدان بصورة جذرية منذ ان يعمد الشعب المظلوم سياسياً ويأخذ جانب الهجوم الحازم على طول الخط في نضال ضار من اجل الانتصار ؟

ان العمال يسألوننا هل يجب الانصراف بحزم وعزم الى هذه المهمة العاجلة التي اسمها الانتفاضة ؟ ما العمل لكي تنتصر الانتفاضة التي بدأت ؟ ما العمل للافادة من الانتصار ؟ اي برنامج يمكن ويجب تطبيقه آنذاك ؟ ان جماعة «الايسكرا» الجديدة يعمقون الماركسية ويجيبون البقاء حزب اقصى المعارضة الثورية طيب ألم نكن على صواب حين اسمينا هؤلاء الفرسان جهابذة التفاهة وضيق الافق ؟

١٠ – «الكومونات الثورية» وديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية

ان المجلس العام الذي عقده الايسكريون الجدد لم يستقر على المواقف الفوضوية التي بلغتها «الايسكرا» الجديدة («من القاعدة» فقط لا «من القاعدة ومن القمة») وكان من البديهي جداً ان القبول بالانتفاضة دون القبول بانتصارها دون قبول الاشتراك في الحكومة الثورية الموقتة ، هو أمر أخرق سخيف ولذا جاء قرار المجلس العام يسجل عدداً من التحفظات والقيود في حلّ القضية الذي عرضه مارتينوف ومارتوف . فلنبحث هذه التحفظات الواردة في القسم التالي من القرار :

«من البديهي ان هذا التكتيك («بقاء الحزب حزب اقصى المعارضة الثورية») لا ينفي ابداً مناسبة الاستيلاء على السلطة بصورة جزئية طارئة ، ومناسبة تكوين كومونات ثورية في هذه المدينة أو تلك ، في هذه المنطقة أو تلك ، لمجرد المساهمة في امتداد الانتفاضة وتشويش الحكومة»

اذا كان الامر كذلك لم يبق العمل من القاعدة العمل الوحيد المقبول مبدئياً ،بل يقبل ايضاً بالعمل من القمة واذا كان الامر كذلك فان الموضوعة التي عرضها مارتوف في مقالته المعروفة («الايسكرا» العدد ٩٣) تنهار ويعترف بان تكتيك جريدة «فبريود» – لا «من القاعدة» وحسب بل من «القمة» ايضاً – هو تكتيك صحيح

ثم ان الاستيلاء على السلطة (وان كان جزئياً وطارئاً الخ .) يفترض على ما يبدو ان الاشتراكية-الديموقراطية والبروليتاريا ليستا الوحيدتين اللتين تعملان ذلك لأن البروليتاريا ليست الوحيدة التي يهمها أمر الثورة الديموقراطية والتي تشترك فيها بنشاط ولأن الانتفاضة «شعبية» كما جاء في مطلع القرار الذي نبحثه وتشترك فيها ايضاً «فئات غير بروليتارية» (هكذا ورد في نص القرار الذي اتخذه المجلس العام حول الانتفاضة) – اي البرجوازية ايضاً وهكذا اذن نرى ان المبدأ القائل بان اي اشتراك من جانب الاشتراكيين في الحكومة الثورية الموقتة ، مع البرجوازية الصغيرة يشكل خيانة ازاء الطبقة العاملة قد **قذف به المجلس العام الى البحر** وهذا ما كانت تعمل له «فبريود» (١٨٩) ان «الخيانة» لا تكف عن انتكون خيانة اذا كانت الاعمال التي تشكلها جزئية موقتة منطقية الخ

وهكذا اذن نرى ان المعادلة بين الاشتراك في الحكومة الثورية الموقتة وبين النزعة الجوريسية المبتذلة ، قد **قذف بها** المجلس

العام **الى البحر** وهذا ما كانت تعمل له «فبريود» ان الحكومة لا تكف عن ان تكون حكومة اذا كانت سلطتها لا تشمل سوى مدينة واحدة بدلاً من ان تشمل العديد من المدن اذا كانت سلطتها لا تشمل سوى منطقة واحدة بدلاً من ان تشمل العديد من المناطق أو اذا كانت تحمل هذا الاسم او ذاك وهكذا اذن نرى ان **المجلس العام قد تخلّى عن طريقة وضع المسألة بصورة مبدئية** ، كما ارتأت «الايسكرا» الجديدة

لنر الآن اذا كانت القيود التي ارتآها المجلس العام حول تأليف حكومات ثورية (وتأليف مثل هذه الحكومات مقبول به اليوم مبدئياً) وحول الاشتراك في مثل هذه الحكومات هي قيود معقولة سديدة بِم يختلف مفهوم كلمة «طارئ» عن مفهوم كلمة «موقت» ذلك أمر نجهله اننا نخشى ان يكون المقصود هنا من استعمال كلمة غريبة و«جديدة» مجرّد ستر لانعدام الوضوح في الافكار فان ذلك **يبدو** «اشد عمقاً» مع انه في الواقع أشد غموضاً وتشوّشاً وبم تختلف «مناسبة» «الاستيلاء على السلطة» بصورة جزئية في مدينة ما أو في منطقة ما عن الاشتراك في الحكومة الثورية الموقتة للدولة بأسرها ؟ أليس ثمة بين «المدن» مدينة كبطرسبورغ التي كانت مسرحاً لاحداث ٩ يناير (كانون الثاني) ؟ أليس ثمة بين المناطق منطقة كالقفقاس أكبر من كثير من الدول ؟ والمهام التي كانت تحير «الايسكرا» الجديدة فيما مضى ، – مهام حل مسألة السجون والبوليس والخزينة الخ – ألا تقع علينا عند «الاستيلاء على السلطة» حتى في مدينة واحدة وبالاحرى في منطقة ما ؟ ما من احد سينكر بالطبع ان تأليف حكومات ثورية موقتة جزئية في بعض المدن الخ هو امر ممكن اذا لم تكن قوانا كافية اذا لم يكن نجاح الانتفاضة كاملاً اذا لم يكن انتصارها حاسماً . ولكن ، اي علاقة لكل هذا بالقضية ، ايها

السادة ؟ ألا تتحدثون انتم في مطلع قراركم عن «انتصار الثورة الحاسم» وعن «الانتفاضة الشعبية الظافرة» ؟؟ ومنذ متى يضطلع الاشتراكيون-الديموقراطيون بدور الفوضويين تشتيت انتباه البروليتاريا وبعثرة اهدافها ؟ وتوجيه البروليتاريا نحو «الجزئي» لا نحو العام الواحد الكلي والتام ؟ انكم تفترضون «الاستيلاء على السلطة» في احدى المدن ثم تتحدثون انتم عن «امتداد الانتفاضة» – الى مدينة اخرى أليس كذلك ؟ وهل يجوز لنا ان نأمل بانكم تقصدون بذلك «امتداد الانتفاضة» الى جميع المدن ؟ ان استنتاجاتكم ايها السادة متداعية وعرضية متناقضة ومشوشة كمقدماتكم ان المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا قد اعطى حلاً كاملاً واضحاً لمسألة الحكومة الثورية الموقتة بوجه عام وهذا الحل يصح ايضاً بالنسبة لجميع الحكومات الموقتة الجزئية اما حلّ المجلس العام ، فهو اذ يبرز **قسماً** من المسألة بصورة مصطنعة كيفية **يتهرّب** (دون نجاح) من مجمل المسألة زارعاً بذلك الغموض والتشوش

ما هي «الكومونات الثورية» ؟ وهل يختلف هذا المفهوم عن مفهوم «الحكومة الثورية الموقتة» واذا كان يختلف عنه فِبم ؟ ان السادة المشتركين في المجلس العام يجهَلون هم انفسهم ذلك ان تشوش تفكيرهم الثوري يؤدي بهم كما يحدث غالباً الى مجرّد **التعابير الثورية** اجل ان استعمال تعبير «الكومونة الثورية» في قرار لممثلي الاشتراكية-الديموقراطية ليس سوى ضرب من التعابير الثورية لا أكثر وقد شجب ماركس مراراً عديدة هذا النوع من التعابير التي يصار فيها الى استخدام اصطلاحات «مغرية» من **زمن ولّى** لأجل تمويه اهداف المستقبل ان اغراء اصطلاح لعب دوره في التاريخ يغدو ، في مثل هذه الحال ، نوعاً

من البهارج الفارغة الضارة وخشخيشة ينبغي ان نفهم العمالَ والشعبَ كله بوضوح ودون لبس ولا ابهام **لماذا** نريد اقامة حكومة ثورية موقتة **وما هي بالضبط التحويلات** التي سنحققها فوراً في حال انتصار الانتفاضة الشعبية التي بدأت واذا كان لنا تأثير حاسم في الحكم تلك هي المسائل التي تواجه القادة السياسيين

ان المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا يجيب على هذه المسائل بكل وضوح وهو يعطي البرنامج الكامل لهذه التحويلات ، برنامج الحد الادنى الذي وضعه حزبنا في حين ان كلمة «كومونة» لا تعطي اي جواب بل تزعج الاذن بصوت رنان بعيد أو بصوت رنان فارغ لا معنى له وكلما كانت كومونة باريس كومونة عام ١٨٧١ عزيزة علينا كلما قل ان يجوز لنا مجرّد ذكرها دون ان نبحث أخطاءها والاوضاع الخاصة التي مرّت بها ان مثل هذا التصرف انما يعني السير على غرار وحمق البلانكيين الذين سخر منهم انجلس والذين بالغوا (في «بيانهم» الصادر عام ١٨٧٤) في اطراء أدنى عمل قامت به الكومونة (١٩٠) وما عسى ان يقول المشترك في المجلس العام للعامل الذي سيسأله عن **هذه** «الكومونة الثورية» ، المذكورة في القرار ؟ انه لن يكون بوسعه ان يقول له سوى شيء واحد هو ان التاريخ يعرف بهذا الاسم حكومة عمالية كانت في عهدها لا تعرف ولم يكن بوسعها ان تميز بين عناصر الانقلاب الديموقراطي وعناصر الانقلاب الاشتراكي وكانت تخلط مهمات النضال من اجل الجمهورية مع مهمات النضال من اجل الاشتراكية ولم تستطع ان تحل قضية القيام بهجوم عسكري حازم على فرساي واخطأت في عدم الاستيلاء على بنك فرنسا الخ وبكلمة سواء أذكرتم في جوابكم كومونة باريس أم اية كومونة اخرى ،

فانه يترتب عليكم ان تجيبوا كما يلي كانت تلك حكومة **ينبغي ألا تكون حكومتنا مثلها** وانه حقاً لجواب جميل انهم يلزمون الصمت حول برنامج الحزب العملي ويلقون دروساً في التاريخ في قلب قرار وبدون مناسبة أليس في كل ذلك دليل على سفسطة شارح وعلى عجز ثوري ؟ ألا يبيّن كل ذلك بالضبط الخطأ الذي حاولوا عبثاً لصقه بنا خطأ الخلط بين الانقلاب الديموقراطي والانقلاب الاشتراكي اللذين لم تعرف قط اية «كومونة» ان تميّز بينهما ؟

ان امتداد الانتفاضة وتشويش الحكومة معروضان كأنهما الغايتان «الوحيدتان بوجه الحصر» الموضوعتان امام الحكومة الموقتة (المسماة هنا بصورة غير مناسبة جداً باسم كومونة) ان هذا التعبير «الوحيدتان بوجه الحصر» يزيل بحد نفسه جميع المهمات الاخرى وهو تَدَشٌّ للنظرية الخرقاء نظرية «من القاعدة فقط» ان اقصاء المهمات الاخرى بهذه الصورة انما يعني مرة اخرى التدليل على قصر النظر وعدم التفكير فانه يتعيّن بالضرورة على «الكومونة الثورية» اي السلطة الثورية حتى ولو اقيمت في مدينة واحدة ان تقوم (ولو بصورة موقتة «جزئية طارئة») **بجميع** مهام الدولة واذا ما خبأت رأسها كالطير تحت جناحها في هذا الميدان فسيكون ذلك ذروة التهوّر واختلال العقل ينبغي على هذه السلطة ان تسنّ قانوناً ينص على يوم العمل من ثماني ساعات وان تفرض التفتيش العمالي في المصانع وان تقر التعليم المجاني والعام وان تطبق طريقة انتخاب القضاة وتنشئ لجاناً فلاحية الخ وبكلمة ثمة جملة من الاصلاحات يتعيّن على هذه السلطة ان تقوم بها بالضرورة. ان وصف هذه الاصلاحات بتعبير «المساهمة في امتداد الانتفاضة»

انما هو ضرب من التلاعب بالكلمات وزيادة الغموض قصداً وعمداً حيث ينبغي الوضوح التام

ان القسم الاخير من قرار الايسكريين الجدد لا يوفر لنا مناسبات جديدة لانتقاد الميول المبدئية في «الاقتصادية» التي بعثت في حزبنا إلا انه يبيّن ويثبت من ناحية اخرى بعض الشيء ، ما قيل أعلاه

وفيما يلي هذا القسم

«في حالة واحدة فقط ، يترتب على الاشتراكية-الديموقراطية ان تكرس جهودها ، بملء مبادرتها ، للاستيلاء على السلطة وللاحتفاظ بها أطول مدة ممكنة وهذه الحالة ، هي حين تكون الثورة قد شملت البلدان المتقدمة في اوروبا الغربية ، حيث الشروط الضرورية لتحقيق الاشتراكية قد بلغت حداً معيناً (f) من النضوج في هذه الحالة ، قد يتسع نطاق الثورة الروسية التاريخي المحدود ، اتساعاً كبيراً ، وقد يغدو من الممكن سلوك سبيل التحويلات الاشتراكية

ان خير وجه تستطيع به الاشتراكية-الديموقراطية ان تستعد لاستخدام السلطة الحكومية اذا ما سقطت (ff) في يديها ، هو أن تبني تكتيكها اعتماداً على احتفاظ الحزب الاشتراكي-الديموقراطي ، خلال المرحلة الثورية كلها ، بوضع حزب يمثل أقصى المعارضة الثورية ازاء جميع الحكومات التي يخلف بعضها بعضاً ابان الثورة»

ان الفكرة الرئيسية هنا هي الفكرة التي سبق لجريدة «فبريود» ان صاغتها مراراً عديدة عندما قالت انه لا ينبغي لنا ان نخشى (كما يخشى مارتينوف) انتصار الاشتراكية-الديموقراطية الكامل في الثورة الديموقراطية اي ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية لأن هذا الانتصار سيتيح لنا استثارة اوروبا كما ان البروليتاريا الاشتراكية الاوروبية

ستساعدنا بدورها في القيام بالانقلاب الاشتراكي بعد ان تخلع عنها نير البرجوازية ولكن انظروا الى اي حد تضاءلت هذه الفكرة في صياغة الايسكريين الجدد اننا لن نتوقف عند التفاصيل عند هذه الفكرة الخرقاء القائلة «بسقوط» السلطة في يد حزب واع يعتبر الاستيلاء على السلطة تكتيكاً ضاراً عند كون الشروط الضرورية للاشتراكية قد بلغت في اوروبا لا حداً معيناً من النضوج بل النضوج بوجه عام عند كون برنامج حزبنا لا يتحدث عن اي تحويلات اشتراكية ، بل عن الانقلاب الاشتراكي فقط لناخذ الفرق الجوهري الاساسي بين فكرة «فبريود» وفكرة القرار ان «فبريود» تضع امام البروليتاريا الثورية في روسيا مهمة نشيطة هي احراز النصر في النضال من اجل الديموقراطية والافادة من هذا النصر لحمل الثورة الى اوروبا اما القرار فانه لا يدرك هذه الصلة بين «انتصارنا الحاسم» (لا حسب مفهوم «الايسكرا» الجديدة) وبين الثورة في اوروبا ولذا فهو لا يتطرق الى مهام البروليتاريا ولا الى آفاق انتصارها بل يتحدث عن امكانية واحدة بوجه عام «حين تكون الثورة قد شملت»

ان «فبريود» تبيّن بتعابير جليّة دقيقة – وقد دخلت ايضاحاتها هذه في متن قرار المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا – باية صورة يمكن ويجب «استخدام السلطة الحكومية» في مصلحة البروليتاريا مع حسبان الحساب لما يمكن تحقيقه فوراً في المرحلة الراهنة من التطور الاجتماعي ولما يجب تحقيقه اولاً كبادرة ديموقراطية في النضال من اجل الاشتراكية هنا ايضاً ، ينجر القرار في الذنب بصورة خانعة ، اذ يقول انه «يمكن الاستعداد لاستخدام السلطة» دون ان يعرف ان يقول **كيف** يمكن الاستعداد ، **كيف** الاستعداد لاستخدام السلطة **وكيف** استخدامها . اننا واثقون ، مثلاً ، بان الايسكريين

الجدد «يستطيعون ان يستعدوا لاستخدام» الوضع القيادي في داخل الحزب ولكن الحقيقة هي ان تجربتهم في هذا الميدان واستعدادهم لا يؤملان حتى الآن فيما يتعلق بتحويل هذه الاستطاعة الى واقع .

ان «فبريود» تقول بتعابير دقيقة على ما تقوم بوجه الضبط «الامكانية» الفعلية «للاحتفاظ بالسلطة» على ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية على قوتهم الجماعية الموحدة التي تستطيع التغلب على جميع قوى اعداء الثورة على حتمية اتفاق مصالحهم في ميدان التحويلات **الديموقراطية** وفيما يتعلق بهذه النقطة ايضاً لا يعطي قرار المجلس العام اي شيء ايجابي بل يقتصر على التهرب من حل المسألة أفلا ينبغي ان تكون امكانية الاحتفاظ بالسلطة في روسيا مشروطة بتركيب القوى الاجتماعية في روسيا نفسها وبظروف الانقلاب الديموقراطي القائم عندنا الآن ؟ ألن يستثير انتصار البروليتاريا في اوروبا (وبين نقل الثورة الى اوروبا وانتصار البروليتاريا ، ما زال ثمة بعض المسافة) البرجوازية الروسية الى خوض نضال عنيف ضد الثورة ؟ ان قرار الايسكريين الجدد لا ينبس ببنت شفة حول هذه القوة المعادية للثورة التي بيّن قرار المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا اهميتها فاذا لم يكن بوسعنا الاعتماد على الفلاحين فضلاً عن البروليتاريا ، في النضال من اجل الجمهورية والديموقراطية فان «الحفاظ على السلطة» يكون مشروعاً يائساً ولكن اذا لم يكن «الحفاظ على السلطة» مشروعاً يائساً اذا اتاح لنا «انتصار الثورة الحاسم على القيصرية» هذه الامكانية فينبغي لنا ان نشير الى هذه الامكانية ، ينبغي لنا ان ندعو بنشاط الى تجسيدها في الواقع ينبغي لنا ان نلقي شعارات عملية ، لا فقط **في حالة** نقل الثورة الى أوروبا بل **من أجل** هذا النقل ايضاً . ان حجة «نطاق الثورة الروسية التاريخي

المحدود» لا تعني إلا اخفاء فهم محدود عند ذنبيـــي الاشتراكية-الديموقراطية لمهام هذه الثورة الديموقراطية ولدور البروليتاريا الطليعي في هذه الثورة !

من الاعتراضات على شعار «ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية» الاعتراض القائـــل بان الديكتاتورية تفتـرض «وحدة الارادة» («الايسكرا» العدد ٩٥) في حين انـــه لا يمكن ان تكون هناك وحدة ارادة بين البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة ان هذا الاعتراض لا أساس له ، لأنـه يرتكز على تفسير مجرّد «ميتافيزيائي» لمفهوم «وحدة الارادة» فالارادة قـــد تكون واحدة من وجهة النظر هذه وقد لا تكون واحدة من وجهـة النظر تلك ان انعدام الوحدة في مسائل الاشتراكية وفي النضال من اجل الاشتراكية لا ينفي وحدة الارادة في قضايا الديموقراطية وفي النضال من اجل الجمهورية ونسيان هذا الامر انما يعنـــي نسيان الفرق المنطقي والتاريخي بين الانقلاب الديموقراطي والانقلاب الاشتراكي ونسيان هذا الامر انما يعني نسيان صفة الانقلاب الديموقراطي **الشعبية الشاملة** فاذا كان الانقلاب «شعبياً شاملاً» فهذا يعني ان وحدة الارادة **متوفرة** بقدر ما يستجيب هذا الانقلاب لحاجات الشعب بأسره ولمطالبه وخارج حدود الديموقراطية لا يبقى ثمة مجال لمسألة وحدة الارادة بين البروليتاريا والبرجوازية الفلاحية ان النضال الطبقي بينهما أمر محتم ولكن هذا النضال سيكون في مجال الجمهورية الديموقراطية اوسع واعمق نضال شعبي **في سبيل الاشتراكية** ان ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية لها ماض ومستقبل ككل ما هو موجود في العالم وماضيها هو الاوتوقراطية والقنانة والمَلَكيـة والامتيازات . وفي غمرة النضال ضد هذا الماضي ، في النضال

ضد اعداء الثورة تكون «وحدة الارادة» بين البروليتاريا والفلاحين أمراً ممكناً ، لأن هناك وحدة مصالح

اما مستقبلها فهو النضال ضد الملكية الخاصة هو نضال العامل الأجير ضد رب العمل هو النضال في سبيل الاشتراكية وهنا تستحيل وحدة الارادة * هنا لا نرى امامنا الطريق الذي يقود من الاوتوقراطية الى الجمهورية بل الطريق الذي يؤدي من الجمهورية الديموقراطية البرجوازية الصغيرة الى الاشتراكية

أكيد ان عناصر الماضي والمستقبل تتشابك في وضع تاريخي ملموس وتختلط الطريقان فالعمل المأجور ونضاله ضد الملكية الخاصة موجودان ايضاً في ظل الاوتوقراطية بل ان العمل المأجور يولد في عهد القنانة ولكن ذلك لا يمنعنا أبداً عن التمييز من وجهة النظر المنطقية والتاريخية بين مراحل التطور الكبيرة ألا نعارض جميعاً الثورة البرجوازية بالثورة الاشتراكية ؟ ألا نلحّ جميعاً دون تحفظ على ضرورة التمييز بينهما بكل دقة وصرامة ؟ والحال هل يمكن النكران ان عدداً من العناصر الجزئية **الخاصة** من هذا الانقلاب او ذاك يتشابك في التاريخ ؟ ألم تعرف اوروبا شتى الحركات الاشتراكية والمحاولات الاشتراكية في عهد الثورات الديموقراطية ؟ أوما يزال امام الثورة الاشتراكية المقبلة في اوروبا ان تنجز الكثير الكثير من الامور في اتجاه الديموقراطية ؟

ينبغي على الاشتراكي-الديموقراطي ألا ينسى ابداً في اي حال من الاحوال حتمية النضال الطبقي الذي تخوضه البروليتاريا

* ان تطور الرأسمالية ، الذي سيتسع ويتسارع في ظروف الحرية ، لا بد له ان يضع حداً عاجلا لوحدة الارادة ، وبسرعة تزداد بقدر ما يتسارع سحق الرجعية واعداء الثورة .

في سبيل الاشتراكية وضد البرجوازية والبرجوازية الصغيرة ، مهما كانتا عليه من نزعة ديموقراطية وجمهورية ذلك أمر لا يقبل الجدل ولـــذا كان من الضروري حتماً وجـود حزب اشتراكـي-ديموقراطي متميّز ومستقل ، مشبع بالروح الطبقي الصرف ولذا كان ما تتصف به من طابع موقت فكرتنا القائلة بان «نضرب سوية» مع البرجوازية ، ولذا كان من الواجب مراقبة «الحليف كانه عدو» ، عن كثب ، الخ كل ذلك ايضاً لا يمكن له ان يثير اي شك ولكننا نكون سخفاء ورجعيين اذا استنتجنا من ذلك انه ينبغي لنا ان ننسى أو نتجاهل أو نحتقر المهمات الملحـة في الوقت الحاضر حتى ولو كانت عرضية موقتة ان النضال ضـــد الاوتوقراطية هو بالنسبة للاشتراكيين ، مهمة عرضية ، موقتة ، ولكن تجاهل هذه المهمة أو ازدراءها انما يعنيان خيانة الاشتراكية وخدمة الرجعية ان ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية ليست ، بلا جدال ، سوى مهمة عرضية ، موقتة ، بالنسبة للاشتراكيين بيد انه من باب الرجعية على وجه الضبط تجاهـــل هذه المهمة في عصر الثورة الديموقراطية

ينبغي طرح المهمات السياسية الملموسة في وضع ملموس فكل شيء نسبي ، كـــل شيء يمضي كـــل شيء يتغيّر ان الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية لا تسجل مطلب الجمهورية في برنامجها فالوضع في المانيا يرتدي شكلاً قد لا يمكن معه ان يصار عملياً الى فصل هذه المسالة عن مسالة الاشتراكية (رغم ان انجلس قد حذّر عام ١٨٩١ في ملاحظاته حول مشروع برنامج أرفورت وبالنسبة لالمانيا ايضاً من خطر استصغار دور الجمهورية ودور النضال في سبيل الجمهورية (١٩١)) اما في صلب الاشتراكية-الديموقراطية الروسية فانه لم ترد حتى مسالة ازالة مطلب الجمهورية من البرنامج ومن اعمال التحريض ،

اذ لا يمكن حتى ان ترد عندنا مسألة قيام صلة وثيقة لا يمكن فصم عراها بين قضية الجمهورية وقضية الاشتراكية ان الاشتراكي-الديموقراطي الالماني الذي لا يضع عام ١٨٩٨ في المرتبة الاولى ، مسألة الجمهورية بصورة خاصة ، هو ظاهرة طبيعية ، لا تثير الدهشة ولا اللوم اما الاشتراكي-الديموقراطي الالماني الذي طرح جانباً مسألة الجمهورية عام ١٨٤٨ فانه كان بكل بساطة خائناً للثورة . ليس ثمة حقيقة مجرّدة . فالحقيقة هي ملموسة ابداً

سيأتي يوم ينتهي فيه النضال ضد الاوتوقراطية الروسية ويولّي فيه عهد الثورة الديموقراطية بالنسبة لروسيا واذ ذاك سيكون من المضحك حتى التحدث عن «وحدة الارادة» بين البروليتاريا والفلاحين وعن الديكتاتورية الديموقراطية الخ اذ ذاك سنفكر مباشرة بديكتاتورية البروليتاريا بديكتاتوريتها الاشتراكية ، ونتحدث عنها بمزيد من التفصيل اما اليوم فان حزب الطبقة الطليعية لا يستطيع ألا يعمل بأعظم العزيمة في سبيل انتصار الثورة الديموقراطية الحاسم على القيصرية وهذا الانتصار الحاسم ليس سوى ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية

ملاحظة .

١ – نذكر القارئ بان «الايسكرا» قد استشهدت فيما استشهدت به في جدالها مع «فبريود» برسالة كتبها انجلس الى توراتي وحذّر فيها زعيم الاصلاحيين الايطاليين (المقبل) بألا يخلط بين الثورة الديموقراطية والثورة الاشتراكية وقد كتب انجلس بصدد الوضع السياسي في ايطاليا عام ١٨٩٤ ان الثورة المقبلة في ايطاليا ستكون ثورة برجوازية صغيرة ديموقراطية لا اشتراكية . وكانت «الايسكرا» تلوم «فبريود» على انحرافها عن

المبدأ الذي اقرّه انجلس غير انه لم يكن لهذا اللوم اي اساس اذ ان «فبريود» (العدد ١٤) اعترفت بصورة عامة بصحة نظرية ماركس حول الفرق بين القوى الرئيسية الثلاث في ثورات القرن التاسع عشر * وتقول هذه النظرية أنه ضد النظام القديم ، ضد الاوتوقراطية ضد الاقطاعية ضد القنانة تهبّ ١ – البرجوازية الكبيرة الليبيرالية ٢ – البرجوازية الصغيرة الراديكالية ٣ – البروليتاريا فالفئة الاولى تخوض النضال في سبيل المَلَكية الدستورية فقط والفئة الثانية تخوض النضال في سبيل الجمهورية الديموقراطية والفئة الثالثة تخوض النضال في سبيل الانقلاب الاشتراكي ان الافلاس السياسي يتهدد الاشتراكي الذي يخلط بين النضال البرجوازي الصغير في سبيل الانقلاب الديموقراطي الكامل وبين النضال البروليتاري في سبيل الثورة الاشتراكية وتحذير ماركس هذا صحيح اطلاقاً ولكن لهذا السبب بالذات كان شعار «الكومونات الثورية» خاطئاً لأن الكومونات التي يعرفها التاريخ قد خلطت بالضبط بين الانقلاب الديموقراطي والانقلاب الاشتراكي اما شعارنا ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية فانه بالعكس يضمننا تماماً من الوقوع في هذا الخطأ فان شعارنا يقر كشيء أكيد بالطابع البرجوازي الذي تتصف به ثورة تعجز عن الخروج **مباشرة** من نطاق الانقلاب الديموقراطي الصرف ، **ويدفع** هذا الانقلاب المعين **الى الامام** ويقصد جهده ان يعطي هذا الانقلاب أفضل الاشكال الملائمة للبروليتاريا وهو يقصد بالتالي ان يستخدم الانقلاب الديموقراطي الى أقصى حدّ بغية تأمين النجاح على وجه أفضل لنضال البروليتاريا المطرد في سبيل الاشتراكية

* راجع مقال لينين «الاشتراكية-الديموقراطية والحكومة الثورية الموقتة» . **الناشر** .

١١ – مقارنة خاطفة بين بعض قرارات المؤتمر الثالث لح ع ا د ر و«المجلس العام»

ان مسألة الحكومة الثورية الموقتة تشغل مكان الصدارة بين المسائل التكتيكية التي تواجه الاشتراكية-الديموقراطية في الوقت الحاضر وليس من الممكن ولا من الضروري بحث قرارات المجلس العام الاخرى بمثل هذا الاسهاب انما نكتفي بان نشير بايجاز الى بعض النقاط التي تؤكد الخلاف المبدئي المبحوث أعلاه فيما يخص الاتجاه التكتيكي لقرارات المؤتمر الثالث لح ع ا د ر وقرارات المجلس العام (الكونفيرانس)

خذوا مسألة الموقف من تكتيك الحكومة عشية الانقلاب عن هذه المسألة تجدون ايضاً جواباً كاملاً منسجماً في قرار المؤتمر الثالث لح ع ا د ر فان هذا القرار يأخذ بالحسبان كل تنوع الاوضاع والمهمات في هذه الفترة الخاصة فضح نفاق التنازلات الحكومية واستخدام «الاشكال الكاريكاتورية للتمثيل الشعبي» وتطبيق المطالب الملحة للطبقة العاملة (يوم العمل من ثماني ساعات اولاً) تطبيقاً ثورياً وأخيراً الرد على المئة السود اما في قرارات المجلس العام فالمسألة مبعثرة في عدة فصول فان «الرد على قوى الرجعية السوداء» لا يرد إلا في عرض حيثيات القرار حول الموقف من الاحزاب الاخرى والاشتراك في الانتخابات الى المؤسسات التمثيلية مبحوث بصورة منفصلة عن «مساومات» القيصرية مع البرجوازية وبدلاً من الدعوة الى تطبيق يوم العمل من ثماني ساعات بالطريق الثوري هناك قرار خاص بعنوان مدو «حول النضال الاقتصادي» لا يفعل غير ان يردد (بعد كلمات طنانة وغير معقولة أبداً حول «مكان الصدارة الذي تشغله المسألة العمالية في الحياة الاجتماعية الروسية») الشعـــار القديم القائل

بالتحريض من اجل «تطبيق يوم العمل من ثماني ساعات بالطريق التشريعي» ان نقص وتاخر هذا الشعار في الظرف الراهن بديهيان الى حد اننا لسنا بحاجة الى تقديم البرهان عنهما

فيما يتعلق بالعمل السياسي السافر ان المؤتمر الثالث يأخذ بالحسبان التعديل **الجذري** المقبل لنشاطنا فلا يمكن في أي حال من الاحوال اغفال النشاط السري وتطوير الجهاز السري فان هذا الاغفال يخدم مآرب البوليس ويفيد الحكومة اكثر ما يمكن ولكنه لا يمكن الامتناع عن التفكير منذ الآن بعمل سافر ايضاً يجب **تحضير** اشكال هذا العمل المعقولة دون اي ابطاء ولذا يجب لهذا الغرض ، اعداد اجهزة خاصة ، أقل سرّية يجب استخدام الجمعيات العلنية وشبه العلنية وتحويلها قدر الامكان الى نقاط ارتكاز لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا العلني المقبل

وهنا ايضاً يقسم المجلس العام المسالة دون ان يصوغ اي شعار كامل وهنا يبرز على الأخص التفويض المضحك الذي اعطي للجنة التنظيمية بالحرص على «تشغيل» الصحافيين العلنيين وهناك قرار سخيف حقاً يقول بـ«اخضاع الصحف الديموقراطية التي تستهدف مساعدة الحركة العمالية لتاثيرها» وهذا ما تستهدفه جميع صحفنا الليبيرالية العلنية التي تنتسب جميعها تقريباً الى ميل «اوسفوبوجدينييه» فلماذا لا تبدأ هيئة تحرير «الايسكرا» باتباع نصيحتها بالذات ولا تبين لنا عن سبيل المثال كيف يجب اخضاع «اوسفوبوجدينييه» للتاثير الاشتراكي-الديموقراطي ؟ وبدلاً من شعار استخدام الجمعيات العلنية قصد انشاء نقاط ارتكاز **للحزب** ، يقدمون لنا اولاً نصيحة خاصة لا تتعلق إلا بالجمعيات «المهنية» (إلزامية اشتراك اعضاء الحزب فيها) ، وثانياً نصيحة تتعلق بقيادة «منظمات العمال الثورية» ،

اي «المنظمات غير المتبلورة» اي «النوادي العمالية الثورية» كيف أمكن ان صُنفت «النوادي» في عداد المنظمات غير المتبلورة ؟ ثم اي هي هذه «النوادي» ؟ الله أعلم وبدلاً من توجيهات واضحة ودقيقة صادرة عن هيئة الحزب العليا يتحفوننا برؤوس اقلام ومسودات من افكار بعض الكتاب ولا تقع عيوننا هنا على اية لوحة كاملة عن بداية انتقال الحزب الى قاعدة اخرى تماماً في كامل نشاطه

كذلك يختلف مؤتمر الحزب والمجلس العام اختلافاً كلياً في وضع «المسألة الفلاحية» فقد وضع المؤتمر قراراً عن «الموقف من الحركة الفلاحية» ووضع المجلس العام قراراً عن «العمل بين الفلاحين» في القرار الاول توضع في المرتبة الاولى مهام قيادة كل هذه الحركة الديموقراطية الثورية الواسعة في مصلحة نضال الامة بأسرها ضد القيصرية وفي القرار الثاني تقتصر القضية على «العمل» في صفوف فئة خاصة من السكان في القرار الاول يصاغ شعار التحريض العملي الاساسي العمل فوراً على تنظيم لجان فلاحية ثورية من اجل تطبيق جميع التحويلات الديموقراطية وفي القرار الثاني يجب «مطالبة» الجمعية التأسيسية «بتأسيس لجان» لماذا يترتب علينا اطلاقاً انتظار هذه الجمعية التأسيسية ؟ وهل تكون تأسيسية فعلاً ؟ هل تكون متينة وطيدة دون تشكيل اللجان الفلاحية الثورية مسبقاً وفي آن واحد ؟ لقد أغفل المجلس العام بحث كل هذه المسائل فان جميع قراراته مطبوعة بطابع هذه الفكرة العامة التي تتبعنا اثرها ، والتي تقول انه لا يجب علينا ان نقوم في الثورة البرجوازية إلا بعملنا الخاص دون ان نستهدف قيادة مجمل الحركة الديموقراطية ولا القيام بها بصورة مستقلة وكما كان «الاقتصاديون» ينزلقون دائماً الى هذا الاتجاه : للاشتراكيين-

الديموقراطيين النضال الاقتصادي ولليبيراليين النضال السياسي، كذلك ينزلق الايسكريون الجدد في كل محاكماتهم الى الاتجاه التالي لنا ، مكان متواضع بالاحرى على هامش الثورة البرجوازية؛ وللبرجوازية ، تحقيق هذه الثورة بنشاط

وأخيراً لا يمكن لنا ألا نتناول القرارين بشأن الموقف من الاحزاب الاخرى ان قرار المؤتمر الثالث لحزب العمال يقول بفضح كل ضيق افق وكل نقص في الحركة التحريرية البرجوازية دون ان تتخلله هذه الرغبة الساذجة في تعداد جميع الظاهرات الممكنة لضيق الافق هذا بين مؤتمر وآخر وفي اقامة خط فاصل بين البرجوازيين الطيبين والبرجوازيين الارديا اما المجلس العام فانه يكرر خطأ ستاروفر ويصرّ على استقصاء هذا الخط الفاصل ويطور نظرية «ورق التعريف الكيميائي» الشهيرة لقد انطلق ستاروفر من فكرة طيبة جداً عرض شروط اقسى على البرجوازية ولم ينس إلا شيئاً واحداً وهو ان كل محاولة للفصل مسبقاً بين الديموقراطيين البرجوازيين الذين يستحقون التحبيذ التفاهم الخ وبين الديموقراطيين البرجوازيين الذين لا يستحقون ذلك تؤول الى «صيغة» يطيح بها مجرى الحوادث فوراً وتزرع البلبلة في وعي البروليتاريا الطبقي ان مركز الثقل ينتقل من الوحدة الفعلية في النضال الى البيانات والوعود والشعارات وقد اعتبر ستاروفر ان «الاقتراع العام المتساوي، المباشر السري» هو هذا الشعار الرئيسي ومرّ أقل من سنتين، واذا «ورق التعريف الكيميائي» يثبت انه لا يجدي فتيلاً فاستعار جماعة «اوسفوبوجدينييه» شعار الاقتراع العام دون ان يقتربوا مع ذلك اطلاقاً من الاشتراكية-الديموقراطية بل سعوا بالعكس الى تضليل العمال وصرفهم عن الاشتراكية بهذا الشعار بالضبط

والآن يضع الايسكريون الجدد «شروطاً أقسى» ايضاً ؛ فهم

«يطالبون» اعداء القيصرية «بتأييد كل عمل حازم من جانب البروليتاريا المنظمة تأييداً قاطعاً لا لبس فيه ولا ابهام (؟!)» الخ بما في ذلك «الاشتراك النشيط في تسليح الشعب نفسه بنفسه» وهكذا رسم الخط الفاصل في مكان أبعد بصورة محسوسة ومع ذلك فان هذا الخط قد **ولّى زمنه من جديد** فقد غدا فوراً غير صالح لماذا لا يرد مثلا شعار الجمهورية ؟ اي تفسير لكون الاشتراكيين-الديموقراطيين «يطالبون» الديموقراطيين البرجوازيين من اجل «حرب ثورية لا هوادة فيها ضد جميع أسس نظام المَلَكية والفئات المغلقة المميزة» بكل ما يمكن ولا يمكن ، باستثناء النضال في سبيل الجمهورية ؟

وان لا يكون هذا السؤال مجرد مماحكة ان يكون لخطأ الايسكريين الجدد مغزى سياسي في منتهى الحيوية فهذا ما يدل عليه «اتحاد تحرير روسيا» (راجع العدد ٤ من «بروليتاري») * ان «اعداء القيصرية» هؤلاء سيستجيبون تماماً لجميع «الشروط» التي وضعها الايسكريون الجدد ولكننا بيّنا ان روح «اوسفوبوجدينييه» يسود في برنامج (او في عدم وجود برنامج) «اتحاد تحرير روسيا» هذا وان جماعة «اوسفوبوجدينييه» يستطيعون بسهولة ربط هذا «الاتحاد» في ذيل عربتهم غير ان المجلس العام يعلن في نهاية قراره ان «الاشتراكية-الديموقراطية ستواصل الكفاح ضد جميع الاحزاب السياسية التي ترفض تحت

* تضمن العدد ٤ من «بروليتاري» ، الصادر في ٤ حزيران (يونيو) ١٩٠٥ ، مقالا طويلا عنوانه «اتحاد عمالي ثوري جديد» وقد عرض هذا المقال فحوى نداءات هذا الاتحاد الذي تسمى باسم «اتحاد تحرير روسيا» واستهدف عقد الجمعية التاسيسية ، بواسطة الانتفاضة المسلحة ثم حدد المقال موقف الاشتراكية-الديموقراطية من هذه الاتحادات اللاحزبية واننا نجهل كلياً الى اي حد كان هذا الاتحاد فعلياً وما حدث له ابان الثورة . (ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧ . **الناشر** .)

راية الليبيرالية والديموقراطية ان تؤيد فعلاً نضال البروليتاريا الثوري باعتبـــار هذه الاحزاب **صديقة منافقة للشعب**» ان «اتحاد تحرير روسيا» لا يمتنع عن اداء هذا التأييد بل يعرضه بحزم فهل في هذا ضمانة بان زعماءه ليسوا «اصدقاء منافقين للشعب» ، رغم انهم من جماعة «اوسفوبوجدينييه» ؟

وانتم ترون ان الايسكريين الجدد يضعون أنفسهم دفعـــة واحدة في وضـــع يدعو الى الهزء اذ يدبجون سلفاً «شروطاً» ويعرضون «مطالب» مضحكة بسبب من عجزها الذي يريد ان يظهر رهيباً ان شروطهم ومطالبهم تبدو ناقصة ما ان يراد حسبـــان الحساب للواقع الحي وعبثاً يركضون وراء الصيغ لأنه ليس ثمة من صيغة تستطيع ان تستدرك جميع ظاهرات النفاق والتذبذب وضيق الافق لدى الديموقراطية البرجوازية فليس المقصـــود «ورق التعريف الكيميائي» ولا الصيغ ولا المطالب الخطيـــة والمطبوعة ولا الحد الفاصل المقام سلفاً بين «اصدقاء الشعب» المنافقين او المخلصين انما المقصود وحدة النضال الفعلية والانتقـاد الدائب الذي يتعين على الاشتراكيين-الديموقراطيين ان يخضعوا له كل خطوة «مترددة» تخطوها الديموقراطية البرجوازية ان ما ينبغي «لرص جميع القوى الاجتماعية التي يهمها أمر التحويل الديموقراطي لرصها فعلاً» ليس تدبيج «فقرات» كتلك التي دبجها المجلس العام بفائق الحمية ولكن عبثاً بل معرفة صياغة شعارات ثوريـــة حقاً ولهذا الغرض تنبغي شعارات ترفع البرجوازية الثورية والجمهورية الى مستوى البروليتاريا بدلاً من ان تنزل بمهمات البروليتاريا الى مستوى البرجوازية الملكية لهذا الغرض ينبغي الاشتراك في الانتفاضة بأشد العزم لا احابيل السفسطائيين المتزمتين الذين يتهربون من هذه المهمة الملحة ، مهمة الانتفاضة المسلحة .

١٢ – هل يتقلص مدى الثورة الديموقراطية اذا انصرفت البرجوازية عنها ؟

كنا كتبنا ما سبق حين تلقينا القرارات التي اتخذها المجلس العام للايسكريين الجدد في القفقاس ونشرتهـــا «الايسكرا» Pour la bonne bouche (من اجل الخاتمة الطيبـــة) ما كان بامكاننا ان نتصور وثائق خيراً من هذه القرارات .

تلاحظ هيئة تحرير «الايسكرا» بصواب قائلة «فيما يخص مسألة التكتيك الاساسية توصل المجلس العام في القفقاس الى قرار **مماثل**» (بالفعل !) «للقرار الذي اتخذه المجلس العام في عامة روسيا» (اي الايسكري الجديد) «اما مسألة موقف الاشتراكية-الديموقراطية من الحكومة الثورية الموقتة فقد حلهـــا رفاق القفقاس بمعنى الانكار التام للطريقة الجديدة التي تروجها فرقة «فبريود» ويروجها مندوبو المؤتمر المزعوم الذين انضموا اليها» «يجب الاقرار بان الصيغة التي اعطاها المجلس العام عن تكتيك الحزب البروليتاري في الثورة البرجوازية صيغة **موفقة جداً**»

ما هو صحيح ، صحيح وما من أحد كان بوسعه ان يصوغ خطأ الايسكريين الجدد الرئيسي بمزيد من «التوفيق» واننا لنورد هذه الصيغة بنصها الكامل مشيرين بين معترضتين الى الزهور اولاً ، ثم الى الفواكه المعروضة في النهاية

قرار المجلس العام للايسكريين الجدد المنعقد في القفقاس بشأن الحكومة الموقتة

«ان المجلس العام اعتباراً منـــه ان مهمتـــه تنحصر في الاستفادة من المرحلة الثوريـــة من اجل تعميق» (طبعاً ! ومن المستحسن ان يضاف التعميق على طريقة مارتينوف !) «وعي البروليتاريا الاشتراكي-الديموقراطي» (فقط من اجل تعميق الوعي،

لا من اجل الظفر بالجمهورية ؟ اي فهم «عميق» للثورة !) «ورغبة منه في ان يضمن للحزب الحرية التامة في نقد النظام السياسي البرجوازي بسبيل التكوين» (ان ضمان الجمهورية لا يخصنا ! انما يخصنا فقط ضمان حرية النقد ان الافكار الفوضوية تستتبع لغة فوضوية النظام «السياسي البرجوازي» !) «يعارض تأليف حكومة موقتة اشتراكية-ديموقراطية والاشتراك في هذه الحكومة» (تذكروا القرار الباكونيني (١٩٢) الذي اورده انجلس والذي اتخذ قبل الثورة الاسبانيـــة بعشرة اشهر راجع العدد ٣ من «بروليتاري» (١٩٣)) «وهو يعتبر ان من الاصوب ممارســة ضغط من الخارج» (من القاعدة لا من القمة) «على الحكومة الموقتة البرجوازية بغية اشاعة الديموقراطية في النظام السياسي قدر الامكان (؟!) ويرى المجلس العام ان تأليف حكومة موقتة من جانب الاشتراكيين-الديموقراطيين او دخولهم في هذه الحكومة من شأنه ان يؤدي من جهة الى انفصال الجماهير البروليتاريـــة الغفيرة عن الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الذي خيّب آمالها لأن الاشتراكية-الديموقراطيـــة لن تستطيع رغم الاستيلاء على الحكم ان تلبي الحاجات الحيوية للطبقة العاملة طالما لم تحقق الاشتراكية» (الجمهورية ليست حاجة حيوية ان واضعي القرار لا يلاحظون لسذاجتهم انهم يستعملون لغة فوضوية صرفاً كأنهم ينكرون ضرورة الاشتراك في الثورات البرجوازيـــة !) «ومن شأنه ، من جهة اخرى **ان يجبر الطبقات البرجوازية على الانصراف عن قضية الثورة ، ويقلص بالتالي مدى الثورة**» .

هنا بيت القصيد هنا تختلط الافكار الفوضوية (كمـــا هي الحال دائماً عند برنشتينيي اوروبا الغربية ايضاً) مع الأنتهازية في أصفى مظاهرها فكروا اذن الامتناع من الدخول في الحكومة الموقتة لأن هذا الدخول من شأنـــه ان يجبر البرجوازيـــة على

الانصراف عن قضية الثورة ويقلص بالتالي مدى الثورة ولكن ألسنا هنا امام الفلسفة الايسكرية الجديدة بكليتها بمظهر نقي ومنطقي بما ان الثورة برجوازية فيجب علينا ان ننحني امام الابتذال البرجوازي ونصدّره المقام واذا سرنا ولو جزئياً ولو دقيقة على هدى هذه الفكرة القائلة ان اشتراكنا قد يحمل البرجوازية على الانصراف أفلا نتنازل كلياً عن الزعامة في الثورة للطبقات البرجوازية ؟ اننا بهذا نضع البروليتاريا كليـــاً تحت وصاية البرجوازية (محتفظين بكامل «حريـــة النقد» !!) مجبرين البروليتاريا على إلتزام جانب الاعتدال والوداعة لكي لا تنصرف البرجوازية ونخصي أشد حاجات البروليتاريا حيوية حاجاتها السياسية على وجه الدقة التي لم يفهمهـــا قط «الاقتصاديون» وخلفاؤهم نخصيها لكي لا تنصرف البرجوازية وننتقل كلياً من مجال النضال الثوري ، في سبيل تطبيق الديموقراطية ضمن الحدود الضرورية للبروليتاريا ، الى مجال الصفقات مع البرجوازية ونخون مبادئنا نخون الثورة لكي نشتري من البرجوازية موافقتها الحرة («لكي لا تنصرف»)

لقد استطاع الايسكريون الجـــدد في القفقاس ان يعبروا بسطرين صغيرين عن كل جوهر تكتيك خيانـــة الثورة وتحويل البروليتاريا الى ذيل حقير للطبقات البرجوازية وهكذا فان الميل الذي استخلصناه أعلاه من اخطاء «الايسكرا» الجديدة ينتصـــب الآن امامنا مبدأ جلياً ومحدداً في ذيل البرجوازية الملكية بما ان انشاء الجمهورية سيحمل (وقد حمل مثلا السيد ستروفه) البرجوازية على الانصراف اذن فليسقط النضـــال في سبيل الجمهورية وبما ان كل مطلب ديموقراطي تنادي به البروليتاريا بحزم وتسير به الى النهاية يحمل دائماً وفي كل مكان من العالم البرجوازية على الانصراف ، اذن ، انزووا في جحوركم ، ايها الرفاق

العمال ولا تعملوا إلا من الخـــارج ولا تفكروا باستخدام أدوات النظام «السياسي البرجوازي» ووسائله من اجل الثورة وحافظوا على «حرية النقد»

هنا يتجلى الزيف الاساسي في هذه الطريقـــة لفهم تعبير «الثورة البرجوازية» ان الطريقة التي «يفهمه» بها مارتينوف او «الايسكرا» الجديدة تفضي رأساً الى تسليم قضية البروليتاريا الى ايدي البرجوازية

ان من نسي «الاقتصادية» القديمة ان من لا يدرسها او لا يتذكرها يصعب عليه ان يدرك كذلك ما يتبقى منها اليوم تذكروا "Credo" («الكريدو») (١٩٤) على طريقة برنشتين فمن الآراء والبرامج «البروليتارية الصرف» كان الجماعة يستنتجون ما يلي لنا نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين الاقتصـــاد النشاط العمالي الحقيقي حرية نقد كل سياسة مبتذلة تعميق العمل الاشتراكي-الديموقراطي تعميقـــاً حقيقيـــاً ولهم هم الليبيراليين السياسة وقانا الله من السقوط في «الثورية» فان هذا من شأنه ان يجبر البرجوازية على الانصراف ان من يعيد قراءة «الكريدو» بنصه الكامل او ملحق العدد ٩ من «رابوتشايا ميسل» (ايلول – سبتمبر – ١٨٩٩) يرى مجرى هذه المحاكمـــة بكليته

واليوم المحاكمة نفسها ولكن على نطاق واسع ومطبقة على تقدير مجمل الثورة الروسية «الكبرى» التي – ويا للاسف – يحقرها نظريو التفاهة الارثوذكسية ويهبطون بهـــا مسبقاً الى مستوى الكاريكاتور لنا نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين ، حرية النقد وتعميق الوعي والعمل من الخارج ولها للطبقـــات البرجوازية حرية العمل المجال الحر للقيادة الثورية (اقرأ : الليبيرالية) ، حرية تطبيق «الاصلاحات» من القمة .

ان مبتذلي الماركسيـــة هؤلاء لم يتأملوا قط كلمات ماركس حول ضرورة الاستعاضة عن سلاح النقد بنقـــد السلاح (١٩٥) وعبثاً يتذرعون باسم ماركس فهم يدبجون في الواقع قرارات تكتيكية مفعمة كلياً بروح ثرثاري فرانكفورت البرجوازيين الذين كانوا ينتقدون الحكم المطلـــق بحريـــة ويعمقون الوعي الديموقراطي دون ان يدركوا ان زمن الثورة هو زمن العمـــل العمل من القمة ومن القاعدة في آن واحد وقد حوّلوا الماركسية الى سفسطة متزمتة وجعلوا من ايديولوجية الطبقة الثوريـــة الطليعية الاوفر تصميماً والاشد عزماً وحزماً ايديولوجيـــة عناصرها الاقل تطوراً ، العناصر التي تتهـــرب من المهمـــات الديموقراطية الثورية الصعبة وتخصص هذه المهمات الديموقراطية للسادة ستروفه واضرابه

واذا انصرفت الطبقات البرجوازية عن قضية الثورة بسبب من دخول الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الثورية فانهـــا بالتالي «تقلص مدى الثورة»

فهل تسمعون ايها العمال الروس ان مدى الثورة يكون اكبر اذا ما قام بها السادة ستروفه واضرابه الذين لا يصرفهـم عنها الاشتراكيون-الديموقراطيون والذين يريدون المساومة مـــع القيصرية لا قهرها ان مدى الثورة سيكون اكبر اذا ما تحقق المآل الاول لهذه الثورة من مآليها الممكنين المرسومين أعلاه اي اذا توصلت البرجوازية المَلَكية الى المساومة مع الاوتوقراطية على «دستور» من نوع شيبوفي !

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين الذين يكتبون مثل هذه الاشياء المخزية في قرارات معدة لقيادة عموم الحزب او يؤيـــدون هذه القرارات «الموفقة» ، انما تعميهم سفسطة متزمتة افرغت الماركسية من كل روحها الحي ، الى حد انهم لا يلاحظون كيف تحوّل هذه

القرارات كل ما يقولونه من صحيح في مجال آخر الى جمل طنانة فارغة خذوا اي مقال من مقالاتهم المنشورة في «الايسكرا» ، خذوا حتى الكراس السيئ الصيت الذي كتبه صاحبنا الشهير مارتينوف تطالعوا حديثاً عن الانتفاضة **الشعبية** عن السير بالثـــورة الى **النهاية** ، عن الميـل الى الاعتماد على فئات **الشعب الدنيا** في النضال ضد البرجوازية المتذبذبة ولكن كل هذه الاقوال الطيبة تتحول الى جملة فارغة حقيرة يرثى لها ما ان تقبلوا او تحبذوا الفكرة القائلة بـ«تقليص مدى الثورة» من جراء انصراف البرجوازية عنها هناك أمران لا ثالث لهما ايها السادة إما انه يجب علينا ان نقوم بالثورة مع الشعب ونحرز انتصاراً تاماً على القيصرية **رغم** البرجوازية المتذبذبة الانانية الجبانة واما اننا لا نقبل بهذا «الرغم» ونخشى ان «تنصرف» البرجوازية واذ ذاك نسلـــم البروليتاريا والشعب الى البرجوازية الى البرجوازية المتذبذبة الانانية ، الجبانة

لا تؤولوا كلامي كما يطيب لكم ولا تزعقوا بانكم تُتَّهَمون بالخيانة عن وعي كلا فلقد كنتم تنزلقون دائماً الى المستنقع وها انتـم الآن غارقون فيـه بلا وعي مثل «الاقتصاديين» القدامى المتدحرجين بلا مردّ ولا عودة على منحدر «تعميق» الماركسية حتى «التفلسف» ضد الثورة ، الذي لا روح فيه ولا حياة .

على اية قوى اجتماعية فعلية يتوقف «مدى الثورة» ؟ هـــل فكّرتم بذلك ايها السادة ؟ لندع جانباً قوى السياسة الخارجية وترتيباتها في الميدان الدولي وقد اتخذت الآن طابعاً مفيداً جداً لنا ، ولكننـا نحذفها كلهـا مع ذلك من بحثنـا ونحن في ذلك على حق اذ اننا نهتم بالقوى الداخلية في روسيا انظروا الى هذه القوى الاجتماعية الداخلية فضد الثـــورة تقف الاوتوقراطية والبلاط ، والبوليس ، وسلك الموظفين ، والجيش ، وحفنة من

الاريستوقراطيين وكلما اشتد استياء الشعب ، صار الجيش أقل جدارة بالثقة وعظم التردد عند الموظفين لنتابع ان البرجوازية تقف الآن بمجملها الى جانب الثورة فهي سخية بالخطب عن الحرية وتتحدث أكثر فأكثر باسم الشعب بل باسم الثورة * ولكننا نحن الماركسيين نعرف جميعاً بالنظرية ونلاحظ كل يوم وكل ساعة ، من مثال اصحابنا الليبراليين الزيمستفويين وجماعة «اوسفوبوجدينييه» ، ان البرجوازية تقف الى جانب الثورة بصورة غير دائبة ومنسجمة تحركها عوامل الجشع والخوف ان سواد البرجوازية سيقف حتماً الى جانب الثورة المضادة والاوتوقراطية وضد الثورة ضد الشعب ، حين تستجاب مصالحها الضيقة الانانية حين «تنصرف» عن النزعة الديموقراطية الدائبة المنسجمة الى النهاية **(وهي تنصرف عنها منذ اليوم !)** يبقى «الشعب» ، اي البروليتاريا والفلاحون فقط البروليتاريا تستطيع المضي بثبات الى النهاية لأنها تمضي الى أبعد من الانقلاب الديموقراطي بكثير ولهذا تسير البروليتاريا في الصفوف الاولى من النضال في سبيل الجمهورية نابذة بازدراء النصائح السخيفة التي لا تليق بها والتي تقول بحسبان الحساب لاحتمال انصراف البرجوازية وفي صفوف الفلاحين ، عناصر عديدة نصف بروليتارية الى جانب العناصر البرجوازية الصغيرة وهذا ما يجعل الفلاحين متقلقلين ، هم ايضاً ويجبر البروليتاريا على التراص في حزب طبقي واضح المعالم ولكن تقلقل الفلاحين

---

* من الطريف بهذا الصدد ان نذكر الرسالة المفتوحة التي وجهها السيد ستروفه الى جوريس والتي نشرها جوريس مؤخراً في "L'Humanité" («لومانيته») (١٩٦) ونشرها السيد ستروفه في العدد ٧٢ من «اوسفوبوجدينييه» .

يختلف اختلافاً جذرياً عن تقلقل البرجوازية ، لأن الفلاحين لا يهتمون اليوم بالحفاظ المطلق على الملكية الخاصة بقدر ما يهتمون بانتزاع اراضي الملاكين العقاريين التي هي احد الاشكال الرئيسية لهـــذه الملكية ودون ان يصبح الفلاحون لهذا السبب اشتراكيين ، دون ان يكفوا عن ان يكونوا برجوازيين صغاراً فانهـــم يستطيعون ان يصبحوا من انصار الثورة الديموقراطية الحازمين ومن أشدهم تمسكاً بها وسيصبح الفلاحون كذلك حتماً اذا لم تقطع خيانـة البرجوازية وهزيمة البروليتاريا عاجلاً جداً مجرى الاحداث الثورية التي تثقفهم وبهذا الشرط يصبح الفلاحون حتماً حصن الثـــورة والجمهورية لأن الثورة المنتصرة تماماً هي وحدها التي تستطيع ان تعطيهم كل **شيء** في ميدان الاصلاحات الزراعية وهي وحدها التي تستطيع ان تعطيهم **كل** ما يرغبون فيه ، وكل ما يحلمون به ، وكل ما هو ضروري لهم حقاً (لا من اجل القضاء على الرأسمالية ، كما يتصوّر «الاشتراكيون-الثوريون» ، بل) من اجل التخلص من اوحال شبه القنانة ، من اجل الخروج من ظلمات الجهل والعبودية ، من اجل تحسين شروط معيشـــة الفلاحين قدر الامكان في نطـاق الاقتصاد البضاعي

وليس ذلك كل ما في الامر فان ما يربط الفلاحين بالثورة ليست التحويلات الزراعية الجذرية وحسب بل ايضاً جميـــع مصالحهـــم العامة والدائمـــة بل ان الفلاحين هم بحاجـــة الى الديموقراطية حتى في غمرة النضال ضد البروليتاريا لأن النظام الديموقراطي وحده يستطيع ان يعبّر عن مصالحهم بدقة وان يعطيهم الاولية وهم الجمهور وهم الاكثرية وكلما ازداد الفلاحون علماً (وهم منذ الحرب مع اليابان (١٩٧) يتعلمون بسرعة لا يدركها الكثيرون ممن اعتادوا على قياس التعليم وفقاً للمقاييس المدرسية) ، ازدادوا دأباً وانسجاماً وحزماً في الوقوف الى جانب

الانقلاب الديموقراطي الكامل لأن سيادة الشعب لا تشكل خطراً بنظرهم كما في نظر البرجوازية بل تشكل بالعكس فائدة لهم ان الجمهورية الديموقراطية ستغدو المثال الاعلى بنظرهم حين يبدأون يتحررون من النزعة المَلَكية الساذجة لأن النزعة المَلَكية الواعية لدى البرجوازية السمسارة (مع مجلس الشيوخ الخ .) ، انما هي ، بالنسبة للفلاحين ، نفس مظاهر العبودية ونفس مظاهر الاضطهاد ونفس مظاهر الجهل ، مطلية فقط بطلاء دستوري شفّاف على الطريقة الاوروبية

ولهذا فان البرجوازية بوصفها طبقة تحتمي بالطبع وبالضرورة تحت جناح الحزب المَلَكي الليبيرالي بينما يضع الفلاحون انفسهم بوصفهم جمهوراً تحت قيادة الحزب الثوري والجمهوري ولهذا فان البرجوازية عاجزة عن المضي بالثورة الديموقراطية الى النهاية في حين ان الفلاحين قادرون على المضي بالثورة الى النهاية فينبغي لنا ان نساعدهم في ذلك بكل قوانا

سيعترض البعض علي قائلاً ليس ثمة ما يدعو الى اثبات ذلك فهو الالفباء التي يدركها جميع الاشتراكيين-الديموقراطيين كامل الادراك كلا انهم لا يدركون ذلك هؤلاء الذين يستطيعون التحدث عن «تقلّص مدى» الثورة اذا انفصلت البرجوازية عنها ان هؤلاء القوم يرددون جملاً تعلّموها من برنامجنا الزراعي دون ان يفهموا معناها وإلا لما خافوا من فكرة ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية هذه الفكرة التي تنبثق بالضرورة من كل المفهوم الماركسي ومن برنامجنا وإلا لما قصروا مدى الثورة الروسية الكبيرة على مدى البرجوازية ان قرارات هؤلاء القوم الملموسة المخالفة للماركسية والمناهضة للثورة تكسف تعابيرهم الثورية الماركسية المجرّدة

ان من يفهم حقاً دور الفلاحين في الثورة الروسية الظافرة لن

يقول أبداً ان مدى الثورة سيتقلص عندما تنصرف البرجوازية عن الثورة لأن نهوض الثورة الروسية الحقيقي لن يبدأ حقاً ، ولأن الثورة لن تبلغ حقاً أوسع مدى ممكن في عهد الانقلاب الديموقراطي البرجوازي إلا حين تنصرف البرجوازية وحين يضطلع جمهور الفلاحين بدور ثوري نشيط ، جنباً الى جنب مع البروليتاريا ولكي تمضي ثورتنا الديموقراطية الى النهاية بدأب وانسجام ينبغي لها ان تعتمد على قوى قادرة ان تشل تذبذب البرجوازية المحتوم (اي قادرة بالضبط «ان تجبرها على الانصراف» – وهذا ما يخشاه أنصار «الايسكرا» القفقاسيون لسوء تفكيرهم)

ينبغي على البروليتاريا ان تقوم بالانقلاب الديموقراطي الى النهاية ، بان تضم اليها جماهير الفلاحين ، لسحق مقاومة الاوتوقراطية بالقوة وشلّ تذبذب البرجوازية وينبغي على البروليتاريا ان تقوم بالانقلاب الاشتراكي بان تضم اليها جماهير العناصر نصف البروليتارية من السكان ، لسحق مقاومة البرجوازية بالقوة وشلّ تذبذب الفلاحين والبرجوازية الصغيرة

تلك هي مهمات البروليتاريا هذه المهمات التي تعرضها جماعة «الايسكر» الجديدة بشكل بالغ الضيق في جميع محاكماتها وجميع قراراتها عن مدى الثورة

ولا ننسين ظرفاً غالباً ما يغيب عن البال عند بحث هذا «المدى» لا ننسين ان المقصود هنا انما هو السبيل الذي ينبغي البحث فيه عن حل القضية والسعي الى ايجاد هذا الحل ، لا مصاعبها ان المقصود هنا انما هو الطريقة التي يجب اتباعها لتوسيع مدى الثورة لا ان نعرف ما اذا كان من السهل او الصعب جعل هذا المدى قوياً ، لا يقهر ان الخلاف ينحصر بالضبط في الطابع الاساسي للنشاط في اتجاهه بالذات واننا لنشير الى هذا الواقع لأن الناس الغافلين والناس السيئي النية يخلطون في معظم الاحيان بين

مسألتين مختلفتين مسألة الطريق الواجب سلوكها ، اي مسألة الاختيار بين طريقين مختلفتين ومسألة سهولة تحقيق الهدف او قرب تحقيقه بالطريق المختارة

ونحن لم نتطرق الى هذه القضية الاخيرة في عرضنا السابق لأنها لم تثر اي خلافات في قلب الحزب ولكنه غني عن البيان ان هذه المسألة هي بحد نفسها في منتهى الاهمية وجديرة بان تسترعي اكبر الانتباه من جانب جميع الاشتراكيين-الديموقراطيين. وانه لمن باب التفاؤل الذي لا يغفر ان ينسى المرء مدى الصعوبة لا في اجتذاب جماهير الطبقة العاملة وحسب الى الحركة ، بل ايضاً في اجتذاب جماهير الفلاحين فان هذه المصاعب هي التي احبطت اكثر من مرة الجهود الرامية الى السير بالثورة الديموقراطية الى النهاية مع العلم ان النصر كان بالدرجة الاولى للبرجوازية المتذبذبة والجشعة ، التي «استحصلت على رأسمال» – الحماية التي يؤمنها لها النظام الملكي ضد الشعب – و«صانت براءة» الليبيرالية او براءة نزعة «اوسفوبوجدينييه» ولكن الصعب لا يعني المستحيل فالمهم ان يكون المرء على ثقة بانه اختار السبيل القويم وهذه الثقة تضاعف مئة مرة من العزيمة الثورية والحماسة الثورية ، اللتين تستطيعان اجتراح العجائب .

ان المقارنة بين قرار الايسكريين الجدد القفقاسيين وقرار المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا تظهر فوراً عمق الخلاف القائم بين الاشتراكيين-الديموقراطيين في ايامنا حول مسألة اختيار السبيل يعلن قرار المؤتمر البرجوازية متذبذبة ولا بد لها ان تحاول انتزاع مكتسبات الثورة منا ولذا استعدوا بعزم أشد للنضال ، ايها الرفاق العمال ؛ تسلحوا ، اكسبوا الفلاحين الى جانبكم اننا لن نتخلى بدون معركة عن مكتسباتنا الثورية للبرجوازية الجشعة . اما قرار الايسكريين الجدد القفقاسيين ، فهو

يقول البرجوازية متذبذبـــة ، وقد تنصرف عن الثورة ولذا لا تفكروا ، من فضلكم ، ايها الرفاق العمال ، بالاشتراك في الحكومة الموقتة ، والا فان البرجوازية ستنصرف بكل تأكيـــد عن الثورة ، فيتقلص بالتالي مدى الثورة !

بعضهم يقول ادفعوا الثورة الى امام حتى النهاية ، رغم مقاومة البرجوازية المتذبذبة او سلبيتها

وآخرون يقولـــون لا تفكروا في السير بانفسكم بالثورة الى النهاية ، لأن البرجوازية المتذبذبة ستنصرف عنها في هذه الحال .

ألسنا امام سبيلين متضادين تماماً ؟ أليس من البديهي ان كلاً من هذين التكتيكين ينفي الآخر بالضرورة ؟ أليس من البديهي ان التكتيك الاول هو التكتيك الصحيح الوحيد لدى الاشتراكيـة-الديموقراطيـة الثوريـة في حين ان ليس الثاني في الاساس ، سوى تكتيك بروح «اوسفوبوجدينييه» الصرف ؟

١٣ – الخاتمة هل نجرؤ على الانتصار ؟

ان الذين يلمون الماماً سطحياً بالوضـــع في الاشتراكيـــة-الديموقراطية في روسيا او الذين يحكمون عليها من الخارج ، دون ان يعرفوا كل تاريخ نضالنا في داخل الحزب منذ عهد «الاقتصادية» ، يتهربون كذلك في معظم الاحيان من الخلافات التكتيكية التي توضحت الآن خطوطها جيداً وخاصـــة منذ المؤتمر الثالث – متذرعين فقط بوجود ميلين طبيعيين محتمين يمكن التوفيق بينهما تماماً ، في كل حركة اشتراكية-ديموقراطية احدهما كما يقال ، يؤكد بقوة على اهمية النشاط العادي الجاري اليومي على ضرورة تطوير الدعاية والتحريض وتحضير القوى وتعميق الحركة ، الخ .. والآخر

يؤكد على اهداف الكفاح على الاهداف السياسية العامة والاهداف الثورية للحركة ويشير الى ضرورة الانتفاضة المسلحة ويصوغ شعاري الديكتاتورية الديموقراطية الثورية والحكومة الثورية الموقتة غير انه يجب الامتناع عن المغالاة في هذا الاتجاه وذاك فهنا وهناك (كما في كل مكان من العالم) لا يستحب التطرف الخ الخ

بيد ان حقائق المقول العام (و«السياسي» بين هلالين مزدوجين) الرخيصة التي ترد بلا ريب في هذا النوع من المحاكمات تخفي في معظم الاحيان عدم تفهم لحاجات الحزب المباشرة لحاجاته الملحة انظروا الى الخلافات التكتيكية الحالية بين الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس غني عن البيان ان مجرد التأكيد بقوة على اهمية النشاط اليومي ، العادي ، كما تفعل جماعة «الايسكرا» الجديدة في محاكماتها حول التكتيك ، لا ينطوي بحد نفسه على اي خطر ولا يمكن ان يثير اي خلاف في الآراء حول الشعارات التكتيكية ولكنه تكفي مقارنة قرارات المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا بقرارات المجلس العام لكي يبرز هذا الخلاف بكل وضوح

فما هو المقصود اذن ؟ المقصود اولاً ، انه لا تكفي الاشارة بصورة عامة ومجردة الى وجود تيارين في الحركة والى خطر كل مغالاة انما ينبغي ان نعرف بصورة ملموسة ما تعانيه هذه الحركة في الظرف الراهن وفيما يقوم اليوم الخطر السياسي الفعلي بالنسبة للحزب ثانياً يجب ان نعرف الى طاحونة اية قوى سياسية فعلية تحمل الماء هذه الشعارات' التكتيكية او تلك ، او ربما انعدام' هذه الشعارات او تلك اسمعوا الايسكريين الجدد تصلوا الى الاستنتاج التالي وهو ان الحزب الاشتراكي-الديموقراطي يتهدده خطر قوامه رمي الدعاية والتحريض والنضال الاقتصادي ونقد الديموقراطية البرجوازية الى البحر والانسياق اكثر من اللزوم وراء الاستعداد العسكري ، والهجمات المسلحة ،

والاستيلاء على السلطة الخ والواقع ان الخطر الفعلي الذي يتهدد الحزب انما يصدر من جانب آخر تماماً فان من يعرف حالة الحركة عن كثب الى هذا الحد او ذاك ، من يراقبها بانتباه وتأمل لا بد له ان يلحظ ما في مخاوف «الايسكرا» الجديدة من سخيف ومضحك فان نشاط حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا قد تبلور كله في قوالب متينة ثابتة تؤمن اطلاقاً تمركز القوى على الدعاية والتحريض على الاجتماعات الخاطفة والاجتماعات الجماهيرية على توزيع المناشير والكراريس على دعم النضال الاقتصادي وترويج شعارات هذا النضال وليس ثمة لجنة من لجان الحزب ، ولا لجنة حي ولا اجتماع لممثلي منظمات القاعدة ولا فرقة مصنع لا تكرس أبداً ودائماً تسعة وتسعين بالمئة من انتباهها وقواها ووقتها لجميع هذه الوظائف التي ترسخت منذ النصف الثاني من التسعينيات والناس الغرباء كلياً عن الحركة هم وحدهم الذين لا يعرفون هذا الامر ولا يمكن لغير الناس المفرطين في السذاجة او غير المطلعين ان يصدقوا ترداد الايسكريين الجدد برصانة ووقار للحكايات القديمة

والحقيقة اننا لا ننساق ونشتط وراء مهمات الانتفاضة ، وراء الشعارات السياسية العامة وراء قضية قيادة الثورة الشعبية بمجملها وليس هذا وحسب بل بالعكس فان **تأخرنا** في هذا الصدد بالضبط بارز جداً للعيان ويشكل أضعف نقطة عندنا ويمثل خطراً فعلياً تتعرض له الحركة التي قد تنتكس – وهي تنتكس هنا وهناك – من حركة ثورية بالفعل الى حركة ثورية بالقول وبين المئات والمئات من المنظمات والفرق والحلقات التي تقوم بعمل الحزب لن تجدوا واحدة لا تبذل منذ تأسيسها بالذات النشاط اليومي الذي يحدثنا عنه حكماء «الايسكرا» الجديدة بلهجة اناس اكتشفوا حقائق جديدة . ولكنكم لن تجدوا ، على

العكس ، سوى نسبة مئوية زهيدة من الفرق والحلقات التي ادركت مهمات الانتفاضة المسلحة وعمدت الى تنفيذ هذه المهمات وتعي ضرورة قيادة الثورة الشعبية بمجملها ضد القيصرية وضرورة صياغة هذه الشعارات الطليعية لهذا الغرض ، لا تلك

اننا نتأخر الى حد لا يصدق عن المهام الطليعيـــة الثورية حقاً ونحن لم ندركها بعد في كثرة من الحالات ولم نلاحظ ان الديموقراطية البرجوازية الثورية قد استغلت هنا وهناك تأخرنا في هذا الميدان وترسخت ولكن كتاب «الايسكرا» الجديدة يولون ظهورهم لتطور الاحداث ولضرورات الزمن ويكررون بعناد قائلين لا تنسوا القديم لا تنساقوا وراء الجديد ! هذه هي اللازمـــة الاساسية الدائمة لكل قرارات المجلس العام الجوهرية بينا تقرأون ايضاً ابداً ودائماً في قرارات المؤتمر تأكيداً للقديم (الذي لا نلوكه لأنه على وجه الدقة قديم ومحلول ومثبت في كتاباتنـــــا وقراراتنا وتجربتنا) نطرح مهمة جديدة ونلفت اليها الانتباه ونصوغ شعاراً جديـــــداً ونطالب الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين حقاً بالعمل فوراً على تطبيقه

هكذا تبدو في الواقع مسألة التيارين في تكتيك الاشتراكية-الديموقراطية ولقد طرح العهد الثوري مهمات جديدة العميان كلياً وحدهم لا يلحظونها وهذه المهمات انما يعترف بها بعض الاشتراكيين-الديموقراطيين بعزم ويسجلونها في جدول الاعمـال قائلين ان الانتفاضة المسلحة لا تقبل أي تأجيل فاستعدوا لها دون ابطاء وبكل عزيمة واذكروا انها ضرورية للنصر الحاسم وصوغوا شعارات الجمهورية والحكومة الموقتـــة وديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية وهناك اشتراكيون-ديموقراطيون آخرون يتقهقرون ويراوحون يكتبون مقدمات بدلاً من ان يصوغوا الشعارات ، ويلوكون القديم طويلاً وبصورة مملة

بدلاً من ان يؤكدوه ويشيروا علاوة على ذلك الى الجديد ويخترعون الاحابيل للتملص من الجديد ولا يعرفون كيف يحددون الشروط للانتصار الحاسم ولا يعرفون كيف يصوغـــون الشعارات التي تستجيب وحدها للطموح الى احراز الانتصار التام

ان النتيجة السياسية لهذه الذنبية ظاهرة للعيان عندنا ان خرافة التقارب بين «اغلبية» (البلاشفـة) حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا وبين الديموقراطية البرجوازية الثورية لا تزال خرافة ولم يؤكد صحتَها أي واقع سياسي أي قرار مأذون به «للبلاشفة» أي وثيقة من وثائق المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيـا في حين ان البرجوازيـــة الانتهازية المَلَكية التي تمثلها «اوسفوبوجدينييه» **ترحب** منذ زمن بعيد بالميول «المبدئية» عند «الايسكرا» الجديـــدة ، وتستخدم اليوم ماء هذه الميول بكل بساطة لكي تديـــر رحى طاحونها مستعيرة كل الكُلَيْمات التي تقولهـــا «الايسكرا» الجديدة كل «فُكَيْراتها» ضد «السرية» و«الفتنة» ضد المبالغة في الجانب «التكنيكي» من الثورة ضد صياغة شعار الانتفاضـــة المسلحة صياغة صريحة ، ضد «ثورية» المطالب المتطرفة ، الخ . ، الخ ان القرار الذي اتخذه مجلس عام كامل عقده في القفقاس الاشتراكيون-الديموقراطيون «المناشفة» ومصادقة هيئة تحريـر «الايسكرا» الجديدة على هذا القرار يضعان بلا موارية ولا غموض الرصيد السياسي لكل هذا الخوف من ان تنصرف البرجوازية فيما اذا اشتركت البروليتاريا في الديكتاتورية الديموقراطية الثورية وهذا كشف كل شيء وهذا ثبت نهائياً تحويل البروليتاريا الى ذيل للبرجوازية الملكية وهذا اعطى البرهـــان في الواقع لا بواسطة تصريح عرضي لشخص ما بل بواسطة قرار أيده بخاصة ميل بكامله ، على **المغزى السياسي** لذنبية «الايسكرا» الجديدة .

ان من يتأمل هذه الوقائع لا بد له ان يدرك المغزى الحقيقي لهذا الرأي الشائع القائل ان هناك جانبين ميلين في الحركة الاشتراكية-الديموقراطية ولدراسة هذين الميلين على نطاق واسع خذوا البرنشتينية فقد أكد البرنشتينيون ولا يزالون يؤكدون هذا الشيء بالضبط وهو أنهم وحدهم يدركون حاجات البروليتاريا الحقيقية ومهمات تنمية قواها وتعميق النشاط كله واعداد عناصر المجتمع الجديد والدعاية والتحريض اننا نطالب بالاعتراف صراحة بما هو موجود ! – هكذا يصرح برنشتين فيكرس بتصريحه هذا «الحركة» **دون** «هدف نهائي» يكرس التكتيك الدفاعي وحده يروّج لتكتيك التخوّف هذا «الخوف من ان تنصرف البرجوازية» ان البرنشتينيين قد زعقوا ايضاً بـ«يعقوبية» الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين وبـ«الصحفيين» الذين لا يفهمون «المبادرة العمالية» ، الخ الخ اما في الواقع فان الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين لم يفكروا قط ، كما يعرف الجميع باهمال العمل اليومي والدقيق واعداد القوى الخ الخ انما طالبوا فقط بادراك الهدف النهائي ادراكاً واضحاً بتحديد المهمات الثورية تحديداً دقيقاً وقد قصدوا رفع الفئات شبه البروليتارية وشبه البرجوازية الصغيرة الى مستوى ثورية البروليتاريا بدلاً من الهبوط بهذا المستوى الى حد الاعتبارات الانتهازية «الخوف من ان تنصرف البرجوازية» ان السؤال التالي dürfen wir siegen? «هل نجرؤ على احراز النصر ؟» هل يجوز لنا ان نحرز النصر ؟ أليس من الخطر علينا ان نحرز النصر ؟ هل يجب علينا ان نحرز النصر ؟ – قد يفصح بأشد الوضوح عن هذا التنافر بين جناح المثقفين الانتهازي وجناح البروليتاريين الثوري في الحزب وهذا السؤال الذى يبدو غريباً للوهلة الاولى قد طرح مع ذلك وكان لا بد من طرحه ، لأن الانتهازيين كانوا

يخشون الانتصار ، ويسعون الى تخويف البروليتاريا منه ويتنبؤون بعواقب الانتصار المشؤومة ويسخرون من الشعارات التي تدعو علناً الى النصر

ان الانقسام الاساسي نفسه الى ميل انتهازي مثقف والى ميل ثوري بروليتاري موجود عندنا مع هذا الفارق الجوهري الوحيد الكبير الشأن وهو ان المقصود انقلاب ديموقراطي ،لا انقلاب اشتراكي وهذا السؤال الاخرق للوهلة الاولى «هل نجرؤ على احراز النصر ؟» مطروح عندنا ايضاً فقد طرحه مارتينوف في مؤلفه «ديكتاتوريتان» الذي تنبأ لنا بالعواقب المشؤومة التي تسفر عن انتفاضة احسنا اعدادها وسرنا بها الى نهاية ناجحة تماماً وطرحته ايضاً كل كتابات الايسكريين الجدد عن الحكومة الثورية الموقتة ، محاولة بدأب وحمية ولكن عبثاً ان تخلط دائماً بين اشتراك ميليران في حكومة انتهازية برجوازية وبين اشتراك فارلان (١٩٨) في حكومة ثورية برجوازية صغيرة وهذا السؤال أكده القرار «الخوف من ان تنصرف البرجوازية» ورغم ان كاوتسكي مثلاً يحاول الآن ان يتهكم زاعماً ان مناقشاتنا حول الحكومة الثورية الموقتة تذكر بحكاية اقتسام جلد الدب قبل قتله ، إلا ان هذا التهكم يبين فقط كيف يتورط الاشتراكيون -الديموقراطيون حتى الاذكياء والثوريون منهم متى راحوا يتحدثون عن اشياء لا يعرفونها إلا بالقال والقيل فان الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية ليست الآن على وشك ان تقتل الدب (ان تقوم بالانقلاب الاشتراكي) ولكن النقاش لمعرفة ما اذا كنا «سنجرؤ» على قتله يتسم باهمية بالغة مبدئية وسياسية عملية ان الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس ليسوا الآن على وشك ان يصبح في مقدورهم «قتل دبهم» (القيام بالانقلاب الديموقراطي) ولكن مسألة معرفة ما اذا كنا «سنجرؤ» على قتله

ترتدي أهمية قصوى بالنسبة لكل مستقبل روسيا وبالنسبة لمستقبل الاشتراكية-الديموقراطية الروسية فلا مجال للتفكير بجمع جيش بعزيمة ونجاح ، وقيادته ، اذا لم نكن على اقتناع باننا «سنجرؤ» على احراز النصر

خذوا «اقتصاديينا» القدامى لقد كانوا هم ايضاً يزعقون بان خصومهم متآمرون يعقوبيون (راجع «رابوتشييه ديلو» ولا سيما العدد ١٠ وخطاب مارتينوف في المؤتمر الثاني اثناء المناقشات حول البرنامج) بان خصومهم ينفصلون عن الجماهير بانغماسهم في السياسة بانهم ينسون أسس الحركة العمالية بانهم لا يحسبون الحساب «للمبادرة العمالية» ، الخ ، الخ ولكن انصار «المبادرة العمالية» هؤلاء كانوا في الواقع مثقفين انتهازيين يفرضون على العمال مفهومهم الضيق والتافه عن مهمات البروليتاريا اما في الواقع فان اخصام «الاقتصادية» – وبوسع كل امرئ ان يقتنع بهذا من مثال «الايسكرا» القديمة – لم يهملوا ولم يضعوا في المرتبة الاخيرة اي جانب من جوانب النشاط الاشتراكي-الديموقراطي ولم ينسوا قط النضال الاقتصادي وقد عرفوا كيف يطرحون في الوقت نفسه القضايا السياسية الملحة والمباشرة كيف يطرحونها بكل مداها وعارضوا في الوقت نفسه تحويل الحزب العمالي الى ذيل «اقتصادي» للبرجوازية الليبيرالية

لقد تعلّم «الاقتصاديون» عن ظهر قلب ان السياسة اساسها الاقتصاد و«فهموا» هذا بمعنى انه يجب الهبوط بالنضال السياسي الى مستوى النضال الاقتصادي وتعلّم الايسكريون الجدد عن ظهر قلب ان الانقلاب الديموقراطي انما اساسه الاقتصادي هو الثورة البرجوازية و«فهموا» هذا بمعنى انه يجب الهبوط بالمهمات الديموقراطية للبروليتاريا الى مستوى الاعتدال البرجوازي ، الى الحد الذي «تنصرف البرجوازية» في حال تجاوزه .

وبحجة تعميق العمل بحجة المبادرة العمالية والسياسة الطبقية الصرف كان «الاقتصاديون» يسلمون الطبقة العاملة في الواقع الى ايدي الساسة البرجوازيين الليبيراليين اي انهم كانوا يقودون الحزب في طريق تفضي موضوعياً الى هذه النهاية بالضبط وبالحجج نفسها يخون الايسكريون الجدد في الواقع مصالح البروليتاريا في الثورة الديموقراطية في صالح البرجوازية اي انهم يقودون الحزب في طريق تفضي ، موضوعياً الى هذه النهاية كان «الاقتصاديون» يعتقدون ان الدور القيادي في النضال السياسي يعود حقاً وصدقاً الى الليبيراليين لا الى الاشتراكيين-الديموقراطيين ويعتقد الايسكريون الجدد ان تحقيق الثورة الديموقراطية النشيط ليس من شأن الاشتراكيين-الديموقراطيين بل انما هو حقاً وصدقاً من شأن البرجوازية الديموقراطية لأن دور البروليتاريا القيادي واشتراكها الراجح من شأنهما «تقليص مدى» الثورة

وبكلمة ان الايسكريين الجدد هم خلفاء «الاقتصادية» لا من حيث أصلهم الذي يعود الى المؤتمر الثاني للحزب وحسب بل ايضاً من حيث الطريقة التي يحددون بها اليوم الاهداف التكتيكية للبروليتاريا في الثورة الديموقراطية وهم ايضاً يؤلفون جناح المثقفين الانتهازي في الحزب ففي حقل التنظيم بدأوا بفردية المثقفين الفوضوية وانتهوا «بالتشوش-التفاعل» باثباتهم في «النظام الداخلي» (١٩٩) الذي أقره المجلس العام انعدام الصلة بين المنشورات والتنظيم الحزبي والانتخابات غير المباشرة باربع درجات او ما شابه ونظام الاستفتاءات البونابرتية بدلاً من التمثيل الديموقراطي وأخيراً مبدأ «التوفيق» بين الجزء والكل وقد انزلقوا في المنحدر نفسه فيما يخص تكتيك الحزب فقد اعلنوا في «خطة حملة الزيمستفوات» ان رفع المطالب امام الزيمستفويين هو «النموذج الاعلى للتظاهر» ولم يروا في المسرح

السياسي (عشية ٩ كانون الثاني – يناير !) إلا قوتين نشيطتين الحكومة والديموقراطية البرجوازية و«عمقـــوا» مهمة التسليح الملحة مستعيضين عن الشعار المباشر والعملي بنداء الى تسليح البروليتاريا بالرغبة الحارة في التسلح وهم يشوهون ويفلـــون الآن في قراراتهم الرسمية مهمات الانتفاضة المسلحة والحكومة الموقتة والديكتاتورية الديموقراطية الثوريـــة «الخوف من ان تنصرف البرجوازية ان هذه النغمة الختامية في قرارهم الاخير تلقي نوراً ساطعاً على المآل الذي يقوذ سبيلهم الحزب اليه

ان الانقلاب الديموقراطي في روسيـــا هو بحكم طبيعتـــه الاقتصادية والاجتماعية ثورة برجوازية وهذه الموضوعـــــة الماركسية الصحيحة لا يكفي مجرد ترديدهـــــا انما ينبغي ان نعرف كيف نفهمها ونعرف كيف نطبقها على الشعارات السياسية ان الحرية السياسية كلها القائمة على علاقات الانتاج الحالية اي على علاقات الانتاج الرأسمالية ، هي بوجه عام حرية برجوازية . ومطلب الحرية يعكس بالدرجة الاولى مصالح البرجوازية وقد كان ممثلوها اوائل من صاغوا هذا المطلب وفي كل مكان استغل انصارها الحرية على طريقة الاسياد وحصروها في اطار برجوازي معتدل دقيق ونسقوها مع قمع البروليتاريا الثورية ، قمعـــاً في منتهى الرقة في زمن السلم وفي منتهى الفظاظة والقساوة في زمن العاصفة

ولكن الشعبيين انصار الفتنة ، والفوضويين و«الاقتصاديين» ، هؤلاء وحدهم كان في وسعهم ان يخلصوا من هذا الى القول بنفي او باستصغار النضال في سبيل الحرية ان هذه المذاهب الجديرة بالمثقفين التافهين الضيقي الافـــق لم يمكن قط فرضهـــــا على البروليتاريا إلا لفترة من الزمن ورغم مقاومتها فقد شعـــــرت البروليتاريا بالغريزة بانها في حاجة الى الحرية السياسية ، بانها

في حاجة الى هذه الحرية اكثر من اي آخر مع انه لا بد لهذه الحريـــة ان تعزز البرجوازية وتنظمهـــا بصورة مباشرة ان البروليتاريا تتوقع خلاصها لا من التهرب من النضال الطبقي ، بل من تطوير هذا النضال وتوسيعه وزيادة الوعي والتنظيم والعزم في هذا النضال وكل من يقلل شأن مهام النضال السياسي ، يحول الاشتراكي-الديموقراطي مـــن خطيـــب شعبي الى أمين سر تريديونيوني وكل من يقلل شأن مهام البروليتاريـــا في الثورة البرجوازية الديموقراطية يحول الاشتراكي-الديموقراطي من زعيم للثورة الشعبية الى قائد في نقابة عمالية لا شكل لها

اجل الثورة **الشعبية** لقد حاربت الاشتراكية-الديموقراطية ولا تزال تحارب عن حـــق وصواب شطط الديموقراطية البرجوازية في استعمال كلمة الشعب وهي تطالب بان لا تكون هذه الكلمة وسيلة لاخفاء عدم تفهم التناحرات الطبقية في قلب الشعب وهي تلح اطلاقاً على ضرورة الاستقلال الطبقي التـــام لحزب البروليتاريا ولكنهـــا اذا كانت تقســـم «الشعب» الى «طبقات» فليس ذلك لكي تنطوي الطبقة الطليعية على نفسها وتنحصر في اطار ضيق وتخصي نشاطها خوفـــاً من ان ينصرف اسياد العالم الاقتصاديون بل لكي تكافح الطبقة الطليعية التي لن يبقى لها ان تعاني من تأرجح الطبقات الوسطية وتذبذبها وعدم ثباتها لكي تكافح بمزيد من العزيمة وبمزيد مـــن الحماسة في سبيل قضية الشعب بأسره في طليعة الشعـــب بأسره

وهذا ما لا يدركه اليوم الايسكريون الجدد في معظم الاحيان اذ يستعيضون عن صياغة الشعارات السياسية الفعالة في الثورة الديموقراطية بمجرد تكرار كلمة «الطبقي» بوقار ورزانة ، وبشتى الاساليب ومختلف اللهجات !

ان الانقلاب الديموقراطي انقلاب برجوازي وشعار التقسيم الاسود او شعار الارض والحرية – وهو أوسع الشعارات انتشاراً بين جماهير الفلاحين الجاهلة والمستعبَدة ولكنها التي تسعى بشغف وراء النور والسعادة ، – شعار برجوازي غير اننا نحن الماركسيين يجب علينا ان نعرف انه ليس هناك ولا يمكن ان يكون للبروليتاريا والفلاحين إلا سبيل واحد الى الحرية الحقيقية وهو سبيل الحرية البرجوازية والتقدم البرجوازي وينبغي لنا ان لا ننسى ان ليست هناك اليوم ولا يمكن ان تكون إلا وسيلة واحدة لتقريب الاشتراكية وهي الحرية السياسية التامة والجمهورية الديموقراطية وديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية ونحن بوصفنا ممثلي الطبقة الطليعية الطبقة الثورية الوحيدة ، الثورية بلا تحفظ بلا تردد ، بلا نظرة الى الوراء ، يترتب علينا ان نضع امام الشعب كله مهمات الانقلاب الديموقراطي باكثر ما يمكن من الاتساع والجرأة والمبادرة واستصغار هذه المهمات انما يعني في حقل النظرية تحويل الماركسية الى كاريكاتور وتشويهها على طريقة التافهين الضيقي الافق ويعنى في حقل السياسة العملية تسليم قضية الثورة الى ايدي البرجوازية التي ستنصرف حتماً عن انجاز الثورة الى النهاية ان المصاعب التي تعترض طريق انتصار الثورة التام كبيرة جداً ولن يكون في مستطاع اي انسان ان يلوم ممثلي البروليتاريا اذا ما بذلوا كل ما في وسعهم واذا ما تحطمت كل جهودهم على صخرة مقاومة الرجعية ، على صخرة خيانة البرجوازية على صخرة جهل الجماهير ولكن الجميع وكل انسان – والبروليتاريا الواعية اولاً – سيشجبون الاشتراكية-الديموقراطية اذا بترت العزيمة الثورية للانقلاب الديموقراطي اذا بترت الحماسة الثورية خوفاً من الانتصار ، خوفاً من انصراف البرجوازية .

ان الثورات كما قال ماركس ، هي قاطرات التاريخ (٢٠٠) . ان الثورات عيد المضطهَدين والمستثمَرين وليس في مستطاع الجماهير الشعبية ابداً ان تتكشف عن مبدع نشيط للاوضاع الاجتماعية الجديدة كما في زمن الثورة وفي مستطاع الشعب في مثل هذه الفترات ان يجترح العجائب من وجهة نظر التقدم التدريجي الضيقة البرجوازية الصغيرة ولكنه ينبغي ايضاً ان يطرح قادة الاحزاب الثورية في هذه الفترات مهماتها بمزيد من الاتساع والجرأة ينبغي ان تسبق شعاراتهم دائماً المبادرة الثورية عند الجماهير ، فتكون لها منارة وتكشف مثالنا الاعلى الديموقراطي والاشتراكي بكل عظمته وكل جماله وتدل على الطريق الاقصر والاقرب نحو الانتصار التام المطلق الحاسم لندع الانتهازيين البرجوازيين من جماعة «اوسفوبوجدينييه» يخترعون – خوفاً من الثورة والسبيل القويم – سبلاً ملتوية ومداورات ومساومات واذا جُررنا بالقوة في هذه السبل فسنعرف كيف نقوم بواجبنا حتى في هذا العمل اليومي المتواضع ولكن فليقرر النضال الضاري اولاً السبيل الواجب اتباعه فاننا سنكون جاحدين وخونة للثورة ، اذا لم نستغل هذه العزيمة عند الجماهير المعبِّدة هذه الحماسة الثورية ، بغية النضال بلا هوادة ولا وهن من اجل السبيل القويم الحاسم وليتأمل الانتهازيون البرجوازيون بجبانة في الرجعية المقبلة فان العمال لن يتخوفوا من فكرة ان الرجعية تنوي ان تكون رهيبة ، وان البرجوازية قد تنصرف ان العمال لا ينتظرون المساومات ، ولا يسألون الحسنات انما يريدون ان يسحقوا قوى الرجعية بلا رحمة اي ان يبسطوا **ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية .**

ويقيناً ان سفينة حزبنا تتعرض لمزيد من الاخطار ابان العاصفة ، مما خلال «سفرة» التقدم الليبيرالي الهادئة ، حين يعتصر

المستثمِرون الطبقة العاملة ببطء مؤلم ويقيناً ان مهمات الديكتاتورية الديموقراطية الثورية أشق وأعقد الف مرة من مهمات «اقصى المعارضة» والنضال البرلماني وحده ولكن من يستطيع في الزمن الثوري حقاً ان يفضل عن وعي طريق «المعارضة» غير الخطر وسفرتها الهادئة انما من الخير له ان يقلع لفترة من الوقت عن النشاط الاشتراكي-الديموقراطي وان ينتظر نهاية الثورة ، حين يكون العيد قد مرّ ، والعمل اليومي قد بدأ من جديد ، حين لا تبقى طريقته اليومية والضيقة في النظر الى الامور نغماً شاذاً كريهاً ولا تشوه مهمات الطبقة الطليعية هذا التشويه الفظيع

في طليعة الشعب كله ولا سيما الفلاحين ، من اجل الحرية الكلية من اجل الانقلاب الديموقراطي المنسجم من اجل الجمهورية في طليعة جميع الشغيلة وجميع المستثمَرين من اجل الاشتراكية هكذا يجب ان تكون عملياً سياسة البروليتاريا الثورية ذلك هو الشعار الطبقي الذي يجب ان يسود ان يحدد حل جميع القضايا التكتيكية جميع الخطوات العملية التي يخطوها حزب العمال ابان الثورة .

تنبيه اخير

مرة اخرى حول نزعة «اوسفوبوجدينييه» ،
مرة اخرى حول نزعة «الايسكرا» الجديدة

يحمل لنا العددان ٧١ – ٧٢ من «اوسفوبوجدينييه» والعددان ١٠٢ – ١٠٣ من «الايسكرا» وثائق جديدة وافرة جداً حول المسألة التى خصصنا لها الفصل ٨ من كراسنا وبما انه يستحيل علينا اطلاقاً استخدام كل هذه الوثائق الغنية هنا ، فاننا لن نتناول إلا الامر الاساسي اولاً مسألة معرفة اي نوع من «الواقعية» تطريه «اوسفوبوجدينييه» في الاشتراكية-الديموقراطية ، ولماذا يجب عليها ان تطريه ؛ ثانياً ، العلاقة بين مفهومي الثورة والديكتاتورية .

١ – علام يطري الواقعيون الليبيراليون البرجوازيون «الواقعيين» الاشتراكيين-الديموقراطيين ؟

في مقالي «انشقـــاق الاشتراكية-الديموقراطية الروسية» و«انتصار الحس السليم» («اوسفوبوجدينييه» ، العدد ٧٢) يبدي ممثلو البرجوازية الليبيرالية رأياً بالاشتراكية-الديموقراطية ثميناً جداً بالنسبة للبروليتاريين الواعين . ولن نبالغ مهما اوصينا كل

اشتراكي-ديموقراطي بقراءة هذين المقالين بنصهما الكامل **وبتأمل** كل جملة فيهما اننا نورد اولاً الموضوعات الرئيسية في هذين المقالين تقول «اوسفوبوجدينييه»

«من الصعب نسبيا على المراقب غير المطلع ان يدرك المعنى السياسي الفعلي لخلاف الآراء الذي شق الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الى كتلتين فليس من الدقيق كل الدقة وعلى كل حال ليس من باب التعريف الكامل ، القول عن كتلة «الاغلبية» (البلاشفة) بانها اكثر راديكالية واشد استقامة من «الاقلية» (المناشفة) التي تقبل ببعض المساومات في صالح القضية وعلى الاقل ، ان العقائد التقليدية التي تدين بها الارثوذكسية الماركسية ، وبما تتقيد بها كتلة الاقلية بحمية تفوق حمية كتلة لينين وهكـــذا فان التعريف التالي يبدو لنا أدق ان «الاغلبية» تتصف على الاخص في حقل السياسة ، بثورية مجردة ، بروح التمرد ، بالرغبة في اثارة انتفاضة الجماهير الشعبية ، باي وسيلة كانت وفي الاستيلاء فوراً على السلطة باسم هذه الجماهير ؛ وهذا ما يقرب «اللينينيين» من الاشتراكيين-الثوريين الى حد ما ويخفي في ادراكهم فكرة النضال الطبقي وراء فكرة ثورة روسية شعبية شاملة ان «اللينينيين» يمتنعون عملياً عن كثرة من الافكار الضيقـــة في المذهب الاشتراكي-الديموقراطي ، بينا هم ، من جهة اخرى ، متشبعـــون بضيق الثورية عميق التشبع وهم يرفضون القيام باي نشاط عملي غير تحضير الانتفاضة الفورية ؛ ويتجاهلون مبدئياً جميع اشكال التحريض العلني وشبه العلني وجميع انواع المساومة ، المفيدة عملياً ، مع سائر تيارات المعارضة . اما الاقلية ، فهي على العكس ، تتمسك بالعقائد الماركسية بثبات ، وتصون في الوقت نفسه العناصر الواقعية في المفهوم الماركسي عن العالم والفكرة الرئيسية التي تميز هذه الكتلة ، انما هي التضاد بين مصالح «البروليتاريا» ومصالح البرجوازية . ولكنها ، من جهة اخرى ، ترى الى نضال البروليتاريا — وطبعاً ضمن بعض الحدود التي تمليها العقائد الثابتة للاشتراكية-الديموقراطية ـ ببصيرة واقعية وبادراك واضح لجميع شروط هذا النضال ومهماتـــه الملموسة ان الكتلتين لا تطبقان وجهة نظرهما الاساسية بانسجام دائب حازم لأنهما مقيدتان ، في عملهما الانشائي الفكري والسياسي ، بصيغ التعليم

الاشتراكي-الديموقراطي الصارمة التي تمنع «اللينينيين» من ان يكونـــوا متمردين مستقيمين على غرار بعض الاشتراكيين-الثوريين على الاقل ، وتمنع «الايسكريين» من ان يكونوا المرشدين العمليين للحركة السياسية الفعلية للطبقة العاملة»

وبعد ان يورد كاتب «اوسفوبوجدينييه» مضمـــــون القرارات الرئيسية ، يشرح «افكاره» العامة بواسطة بعض الملاحظات الملموسة بشأن هذه القرارات ، ويقول بالمقارنة مع المؤتمر الثالث «يقف المجلس العام الذي عقدته الاقلية موقفا مختلفا اطلاقا ازاء الانتفاضة المسلحة» ان الفرق بين القرارين بشأن الحكومة الموقتة «رهن بالموقف من الانتفاضة المسلحة» «والخلاف نفسه يتجلى بصدد الموقف من نقابات العمال فان «اللينينيين» لم يشيروا باية كلمة في قراراتهم الى نقطة الانطلاق الهامة هذه في تنظيم الطبقة العاملة وتثقيفها السياسي وعلى العكس ، وضعت الاقلية قراراً جديا جداً» الكتلتان ، كما يقال ، متفقتان ازاء الليبراليين ، ولكن المؤتمر الثالث «يردد حرفيا تقريبا قرار بليخانوف المتخذ في المؤتمر الثاني ، بشأن الموقف من الليبراليين ، ويـــــرد قرار ستاروفر ، المتخذ في المؤتمر نفسه ، والذي هو اكثر مهاودة بالنسبة لليبراليين» ومع ان قرارات المؤتمر والمجلس العام حول الحركة الفلاحية هي بوجه عام من النوع نفسه ، «إلا ان «الاغلبية» تركز على فكرة مصادرة اراضي الاقطاعيين وغيرها بالطريق الثوري ، بينما تريد «الاقلية» ان تجعل من مطلب الاصلاحات الديموقراطية في ميدان الدولـــــة والادارة ، اساس تحريضها»

واخيراً تورد «اوسفوبوجدينييه» قراراً منشفياً ، صدر في العدد ١٠٠ من «الايسكرا» ، وجاء في فقرته الرئيسية ما يلي «حيث ان العمل السري وحده لا يؤمن للجمهور في هذه الفترة اشتراكا كافيا في حياة الحزب ، ويؤول الى حد ما الى معارضة الجمهور ، بوصفه جمهوراً ، بالحزب بوصفه منظمة سرية ، فينبغي ان يأخذ الحزب ببده قيادة نضال العمال النقابي في الحقل العلني ، ويربط هذا النضال ربطـاً وثيقـــا بالمهمات الاشتراكية-الديموقراطية» واذا «اوسفوبوجدينييه» تهتف بصدد هذا القرار «اننا لنرحب حر الترحيب بهذا القرار بوصفه انتصاراً للحس السليم ،

ودليل ادراك لدى قسم معين من الحزب الاشتراكي-الديموقراطي في ميدان التكتيك»

ان القارئ يعرف الآن جميع آراء «اوسفوبوجدينييه» الاساسية وانه لمن فادح الخطأ طبعاً اعتبارها صحيحة ، من حيث مطابقتها للحقيقة الموضوعية فكل اشتراكي-ديموقراطي سيكتشف فيها بسهولة ولدى كل خطوة ، خطأ بعد خطأ ومن السذاجة ان ننسى ان جميع هذه الآراء مفعمة كلياً بمصالح البرجوازية الليبيرالية ووجهة نظرها وانها بهذا المعنى متحزّبة ومتغرّضة كلياً وهي تعكس نظرات الاشتراكية-الديموقراطية بالطريقة التي تعكس بها المرآة المقعرة او المحدّبة الاشياء ولكننا نرتكب خطأ أفدح اذا ما نسينا ان هذه الآراء المشوّهة على هوى البرجوازية تعبر في آخر الامر عن المصالح الحقيقية للبرجوازية التي تدرك بكل تأكيد ادراكاً صحيحاً بوصفها طبقة اية من ميول الاشتراكية-الديموقراطية مفيدة لها قريبة منها عزيزة عليها مستحبة لديها ، واية اخرى مضرة لها ، غريبة عنها بعيدة عنها وغير مستحبة لديها ان الفيلسوف البرجوازي او الصحافي البرجوازي لن يفهم أبداً الاشتراكية-الديموقراطية فهماً صحيحاً لا المنشفية منها ولا البلشفية لكنه اذا كان صحافياً يتمتع بقليل من الذكاء فان غريزته الطبقية لن تخدعه وسيدرك دائماً وعلى صواب في الاساس – رغم انه سيعرض الامور خلافاً لمعناها – الاهمية التي يتسم بها بالنسبة للبرجوازية ، هذا او ذاك من الميول التي تظهر في قلب الاشتراكية-الديموقراطية ولهذا يجدر بكل بروليتاري واع ان يولي غريزة عدونا الطبقية ورأيه الطبقي بالغ الاهتمام

فماذا تقول لنا اذن الغريزة الطبقية للبرجوازية الروسية بلسان جماعة «اوسفوبوجدينييه» ؟

انها تعرب بوضوح مطلق عن ارتياحها للميول الايسكرية الجديدة وهي تطريها لواقعيتها وبصيرتها لانتصار الحس السليم لجدّ قراراتها لادراكها في ميدان التكتيك للحس العملي الخ ، وتعرب عن استيائها من ميول المؤتمر الثالث فتلومه عل ضيق الافق والثورية وروح التمرد ورفض المساومات المفيدة عملياً الخ ان غريزة البرجوازية غريزتها الطبقية توحي اليها على وجه الدقة ما أعطي البرهان عنه مراراً في كتاباتنا بالاستناد الى أدق المعطيات ونعني به ان الايسكريين الجدد يؤلفون الجناح الانتهازي في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية الحالية وخصومهم الجناح الثوري وليس في مستطاع الليبيراليين ان لا يعطفوا على ميول الاول وليس في مستطاعهم ان لا يشجبوا ميول الثاني ان الليبيراليين ، بوصفهم مفكري البرجوازية ، يدركون تماماً ان «الحس العملي ، والبصيرة والجدّ» عند الطبقة العاملة أي حصر نطاق عملها فعلاً في الرأسمالية والاصلاحات والنضال المهني ، الخ ، تفيد البرجوازية ولكنهما خطران ورهيبان بالنسبة للبرجوازية «ضيق الافق الثوري» عند البروليتاريا ورغبتها الراسخة في الظفر باسم مهماتها الطبقية بدور قيادي في الثورة الروسية الشعبية الشاملة

وان يكون هذا حقاً معنى كلمة «الواقعية» بنظر «اوسفوبوجدينييه» فهذا ما يثبته فيما يثبته استعمالها سابقاً من جانب «اوسفوبوجدينييه» والسيد ستروفه وقد اضطرت «الايسكرا» نفسها الى الاعتراف **بهذا** المعنى «للواقعية» «الاوسفوبوجدينية» تذكروا مثلاً مقال «لقد آن الاوان !» في ملحق العدد ٧٣ – ٧٤ من «الايسكرا» فان صاحب هذا المقال (الذي عبر بدأب وانسجام عن مفاهيم «المستنقع» في المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا) قد أفصح عن هذا الرأي

الصريح وهو ان «اكيموف لعب بالاحرى في المؤتمر دور شبح الانتهازية اكثر مما لعب دور ممثلها الحقيقي» وسرعان ما رأت هيئة تحرير «الايسكرا» نفسها مضطرة الى تصحيح صاحب مقال «لقد آن الاوان !» فصرحت في ملاحظة بما يلي

«لا يمكن الموافقة على هذا الراي ان آراء الرفيق اكيموف حول مسائل البرنامج تتسم بطابع الانتهازية بشكل جلي ، وهذا ما يقر به ايضاً ناقد من «اوسفوبوجدينييه» في احد اعدادها الاخيرة حين يلاحظ ان الرفيق اكيموف ينتسب الى الميل «الواقعي» ، – اقرأوا الميل التحريفي»

وهكذا ان «الايسكرا» نفسها تعرف تماماً ان «واقعية» «اوسفوبوجدينييه» انما هي ضرب من الانتهازية لا شيء آخر واذا كانت «الايسكرا» (في العدد ١٠٢) تهاجم «الواقعية الليبيرالية» ، وتلزم الصمت اليوم عن **مديح الليبيراليين** لواقعيتها فان هذا الصمت يُفسر بواقع ان مثل هذه المدائح شر من كل ملامة ان مثل هذه المدائح (التي لم تغدقها «اوسفوبوجدينييه» من قبيل الصدفة ولا للمرة الاولى) تثبت فعلاً القرابة بين الواقعية الليبيرالية والميول في «الواقعية» (اقرأوا الانتهازية) الاشتراكية ـ الديموقراطية ، الميول التي تبرز في كل قرار يتخذه الايسكريون الجدد ، بسبب من خطأ كل موقفهم التكتيكي

وبالفعل قدمت برجوازية روسيا الدليل الكامل على تذبذبها وأنانيتها في الثورة «الشعبية الشاملة» ، واظهرتهما سواء بمحاكمات السيد ستروفه ام بكامل لهجة ومحتوى سواد الصحف الليبيرالية ، وبطابع العمل السياسي الذي قام به سواد الزيمستفويين ، وسواد المثقفين وبوجه عام شتى انصار السادة تروبتسكوي وبترونكيفيتش ورودیتشیف وشركاهم يقيناً ان البرجوازية لا تفهم دائماً هذه الحقيقة بدقة ، ولكن غريزتها الطبقية تتيح لها بوجه

عام ان تدركها جيداً وهذه الحقيقة هي ان البروليتاريا و«الشعب» مفيدان لثورتها هي بوصفهما طعاماً للمدافع ومخلاً ضد الاوتوقراطية ومن جهة اخرى ان البروليتاريا وطبقة الفلاحين الثورية ستشكلان خطراً رهيباً عليها اذا ما احرزتا «انتصاراً حاسماً على القيصرية» وسارتا بالثورة الديموقراطية الى النهاية ولهذا تبذل البرجوازية كل جهودها لكي تكتفي البروليتاريا بدور «متواضع» في الثورة لكي تكون اكثر قناعة اكثر عملية اكثر واقعية وتبني نشاطها على مبدأ «الخوف من ان تنصرف البرجوازية»

ان البرجوازيين المثقفين يعرفون تماماً انهم لن يتمكنوا من تصفية الحركة العمالية ولذا لا يعارضون اطلاقاً الحركة العمالية ولا نضال البروليتاريا الطبقي كلا بل انهم يرحبون أحرّ الترحيب بحرية الاضراب بالنضال الطبقي المتمدّن ، مدركين الحركة العمالية والنضال الطبقي على طريقة برينتانو او على طريقة هيرش-دونكر (٢٠١) اي انهم مستعدون كل الاستعداد «لمنح» العمال حرية الاضراب وتأليف الجمعيات (التي ظفر بها العمال في الواقع بانفسهم او يكاد) ، شرط ان يقلع العمال عن «روح التمرد» ، عن «الثوروية الضيقة» ، عن العداء «للمساومات المفيدة عملياً» ، عن الادعاء والطموح الى طبع «الثورة الروسية الشعبية الشاملة» بطابع نضالهم الطبقي ، بخاتم المثابرة البروليتارية ، والعزم البروليتاري ، و«اليعقوبية العامية» ولذا يبذل البرجوازيون المثقفون في روسيا بأسرها قصارى جهدهم بكل السبل والوسائل ، – من كتب * ومحاضرات وخطابات واحاديث الخ الخ ، – لكي يبثوا في العمال روح القناعة (البرجوازية) والروح العملي

* قارنوا : **بروكوبوفيتش** : «المسالة العمالية في روسيا» .

(الليبيرالي) والواقعية (الانتهازية) والنضال الطبقي (على طريقة برينتانو) والتنظيم النقابي (على طريقة هيرش-دونكر) الخ والشعاران الاخيران يلائمان بخاصة برجوازيي الحزب «الدستوري-الديموقراطي» او «الاوسفوبوجديني» اذ انهما يطابقان ظاهراً الشعارات الماركسية اذ يكفي اخفاء بسيط وتشويه طفيف لخلطهما بسهولة مع الشعارات الاشتراكية-الديموقراطية وحتى احياناً لاظهارهما بانهما من شعارات الاشتراكية-الديموقراطية فان الجريدة الليبيرالية العلنية «راسفيت» (٢٠٢) (التي سنحاول يوماً التحدث عنها الى قراء «بروليتاري» بمزيد من التفصيل) مثلاً كثيراً ما تتحدث عن النضال الطبقي ، عن امكان خداع البروليتاريا من جانب البرجوازية ، عن الحركة العمالية عن مبادرة البروليتاريا الخ الخ احاديث «جريئة» الى حد ان القارئ غير المنتبه والعامل الضعيف الثقافة قد يصدّقان بسهولة ما تدعيه هذه الجريدة من «اشتراكية-ديموقراطية» ولكن احاديثها هذه ليست في الواقع سوى تزوير برجوازي للاشتراكية-الديموقراطية ، سوى تزييف وتشويه انتهازيين لمفهوم النضال الطبقي

وهذا التزييف البرجوازي الهائل (من حيث مدى تأثيره في الجماهير) انما يرتكز على الميل الى حصر الحركة العمالية بصورة رئيسية في اطار الحركة النقابية الى استبعادها قدر الامكان عن كل سياسة مستقلة (اي ثورية وموجهة نحو الديكتاتورية الديموقراطية) الى «اخفاء فكرة الثورة الروسية الشعبية الشاملة في ادراكهم – ادراك العمال – وراء فكرة النضال الطبقي»

لقد قلبنا رأساً على عقب صيغة «اوسفوبوجدينييه» ، كما يرى القارئ وهي صيغة ممتازة تعبّر تعبيراً رائعاً عن وجهتي نظر حول دور البروليتاريا في الثورة الديموقراطية : عن وجهة النظر

البرجوازية ووجهة النظر الاشتراكية-الديموقراطية فان البرجوازية تريد ان تحصر البروليتاريا في الحركة النقابية فقط و«تخفي بذلك في ادراكها فكرة الثورة الروسية الشعبية الشاملة وراء فكرة النضال الطبقي **(على طريقة برينتانو)**» شأنهـــا في ذلك بالضبط شأن واضعي "Credo" («الكريدو») البرنشتينيين الذين كـانوا يخفون في ادراك العمال فكرة النضال السياسي وراء فكرة الحركة «العمالية الصرف» اما الاشتراكية-الديموقراطية فهي تريد على العكس تطوير نضال البروليتاريا الطبقي حتى قيامها بالدور القيادي في الثورة الروسية الشعبية الشاملة اي السير بهذه الثورة الى ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية

ان ثورتنا ثورة الشعب بأسره هكذا تقول البرجوازيـة للبروليتاريـــا ولهذا عليك ، بوصفك طبقة خاصة ان تكتفي بنضالك الطبقي عليك ، باسم «الحس السليم» ان تولي انتباهك بالدرجة الاولى الى النقابات واعتراف القانون بها عليك ان تعتبري هذه النقابات على وجه الدقة «نقطة الانطلاق الهامة لتثقيفك السياسي وتنظيمك» عليك في ساعة الثورة ان تصوغي على الاخص قرارات «جدية» ، من نوع قرار الايسكريين الجدد عليك ان توجهي عنايتك الى قرارات «اكثر مهاودة بالنسبة لليبيراليين» عليك ان تفضلي القادة الذين ينزعون الى ان يصيروا «المرشدين العمليين للحركة السياسية الفعلية للطبقة العاملة» عليك ان «تصوني العناصر الواقعية في المفهوم الماركسي عن العالم» (اذا كنت مع الاسف قد تلوثت بعدوى «الصيغ الدقيقة» في هذا التعليم «غير العلمي»)

ان ثورتنا ثورة الشعب بأسره هكذا تقول الاشتراكية-الديموقراطية للبروليتاريا ولهذا عليك بوصفك الطبقة الاكثر تقدماً والطبقة الوحيدة الثورية الى النهاية ، ان لا تستهدفي الاشتراك

في هذه الثورة بأشد العزيمة وحسب بل ان تستهدفي ايضاً الاضطلاع فيها بدور قيادي ولهذا عليك ان لا تحصري نفسك في اطاز نضال طبقي ضيق المفهوم اي بمعنى انه بالدرجة الاولى حركة نقابية بل عليك ان تسعي جهدك بالعكس الى توسيع اطار نضـــالك الطبقي ومحتواه **حتى يشمل** هذا الاطار **لا جميـــع** مهمات الثورة الروسية الراهنة الديموقراطية والشعبية الشاملة وحسب ، بل ايضاً مهمات الثورة الاشتراكية المقبلة ولهذا ، دون تجاهل الحركة النقابية ، دون الامتناع عن استخدام اقل فسحة من الشرعية ، عليك في زمن الثورة ، ان تضعي في المرتبة الاولى مهمات الانتفاضة المسلحة وتاليف جيش ثوري وحكومة ثورية ، فذلك هو الطريق الوحيد الذي يقود الى انتصار الشعب انتصاراً تاماً على القيصرية ، الى الظفر بجمهورية ديموقراطية وحرية سياسية حقيقية

ومن نافل الكلام ان نصف الموقف المتذبذب غير المنسجم والجميل طبعاً في نظر البرجوازية الذي وقفه الايسكريون الجدد في قراراتهم حول هذه المسألة ، بسبب من « خطتهم» الخاطئة

٢ – الرفيق مارتينوف «يعمّق» المسألة من جديد

لننتقل الى مقالتي مارتينوف اللتين صدرتا في العددين ١٠٢ و١٠٣ من «الايسكرا» غني عن البيان اننا لن نرد على مارتينوف حين يحاول ان يثبت خطأ تفسيرنا لمقاطع مختلفة مستقاة من انجلس وماركس وصحة تفسيره لهـا فان هذه المحاولات على درجة من التفاهة ، واحابيل مارتينوف على درجة من الوضوح والمسألة على درجة من الجلاء بحيث انـــه لا داعي للعودة اليهـــا مرة ثانية ان كل قارئ مفكر سيستشف بنفسه بلا صعوبة الاحابيل غير المعقدة التي لجأ اليها مارتينوف في تراجعه على طول الخط ، ولا

سيما حين تصدر الترجمة الكاملة التي يحضرها فريق من محرري «بروليتاري» لكراس انجلس: «الباكونينيون في غمرة العمل» وكراس ماركس «نداء مجلس عصبة الشيوعيين» ، آذار – مارس – ١٨٥٠ حسبنا ان نورد مقطعاً من مقال مارتينوف لكي يتضح تراجعه للقارئ فقد كتب مارتينوف في العدد ١٠٣ يقول

«ان «الايسكرا» تعترف بان تأليف حكومة موقتة سبيل من السبل الممكنة والمفيدة لتطور الثورة ولكنها تنكر فائدة اشتراك الاشتراكيين-الديموقراطيين في الحكومة الموقتة **البرجوازية** وذلك على وجه الدقة في مصلحة الظفر التام اللاحق بآلة الدولة من اجل الانقلاب الاشتراكي» وبتعبير آخر ان «الايسكرا» قد اعترفت الآن ببطلان جميع مخاوفها بصدد مسؤولية الحكومة الثورية عن الخزينة والمصارف وكذلك بصدد خطر واستحالة استلام «السجون» ، الخ ومع ذلك تواصل «الايسكرا» تشويش الامور خالطة بين الديكتاتورية الديموقراطية والديكتاتورية الاشتراكية وهو تشويش محتوم يغطي التراجع

ولكن مارتينوف يبرز بين مشوِّشي «الايسكرا» الجديدة مشوِّشاً من الدرجة الاولى ، مشوِّشاً موهوباً ، اذا جاز القول فهو ، اذ يشوِّش المسألة بجهوده «لتعميقها» يبلغ به الامر دائماً تقريباً الى «ابتكار» صيغ جديدة تكشف بروعة عن كل خطأ موقفه. تذكروا كيف «عمّق» مارتينوف بليخانوف في عهد «الاقتصادية» وابدع هذه الصيغة «النضال الاقتصادي ضد ارباب العمل والحكومة» انه لمن الصعب ان نجد في جميع كتابات «الاقتصاديين» تعبيراً اكثر توفيقاً عن كل ما تنطوي عليه هذه النزعة من خطأ كذلك هي الحال اليوم فان مارتينوف يخدم «الايسكرا» الجديدة بحمية ويقدم لنا كل مرة تقريباً يأخذ فيها الكلام مجموعة وثائقية جديدة ورائعة لتقدير موقف «الايسكرا» الجديدة الخاطئ .

فهو يعلن في العدد ١٠٢ ان لينين «قد أحل مفهومي الثورة والديكتاتورية ، أحدهما محل الآخر بصورة غير محسوسة» (ص ٣ ، العمود ٢)

في هذه التهمة تنحصر بالاجمال كل التهم التي يوجهها الايسكريون الجدد ضدنا فاي امتنان يجب ان نعرب عنه لمارتينوف على هذه التهمة ! واية خدمة تفوق التقدير يؤديها لنا في نضالنا ضد الايسكريين الجدد اذ يصوغ التهمة على هذا النحو ! يقيناً انه يتعين علينا ان نطلب من هيئة تحرير «الايسكرا» اطلاق مارتينوف ضدنا اكثر فاكثر لكي «يعمّق» الحملات على «بروليتاري» ويصوغها «بصورة مبدئية حقاً» لأنه بقدر ما يبذل مارتينوف جهده للمحاكمة بمزيد من المبدئية بقدر ما لا يتوفق ويعرض هفوات «الايسكرا» الجديدة بوضوح وينجح في اجراء العملية التربوية المفيدة reductio ad absurdum (تحويل مبادىء «الايسكرا» الجديدة الى شيء اخرق غير معقول) على نفسه وعلى اصدقائه

«فبريود» و«بروليتاري» «تُحلان» مفهومي الثورة والديكتاتورية احدهما محل الآخر و«الايسكرا» لا تريد هذا «الاحلال» هكذا بالضبط ، ايها الرفيق مارتينوف الجزيل الاحترام ! لقد نطقت عن غير قصد بحقيقة كبرى لقد أكدت بصيغة جديدة صحة قولنا بان «الايسكرا» تسير في ذيل الثورة وتنحرف نحو تعريف لمهماتها على طريقة «اوسفوبوجدينييه» بينا تعطي «فبريود» و«بروليتاري» شعارات تدفع الثورة الديموقراطية الى امام

ألا تفهم هذا ، ايها الرفيق مارتينوف ؟ نظراً لاهمية المسالة ، سنأخذ على عاتقنا ان نقدم لك تفسيراً مسهباً

ان الطابع البرجوازي للثورة الديموقراطية يتجلى فيما يتجلى ، في كون جملة كاملة من الطبقات والفئات والاوساط

الاجتماعية التي تعترف كلياً بالملكية الخاصة والاقتصاد البضاعي ، والعاجزة عن الخروج من هـذا النطـاق تصل بحكم الامـور الى الاعتراف بعدم صلاح الاوتوقراطية والنظام الاقطاعي برمته ، وتؤيد مطلب الحريـة وفي الوقت نفسـه يتضـح أكثر فأكثر الطابـع البرجوازي **لهذه** الحرية التي يطالب بها «المجتمع» والتي يدافـع عنها الملاكون العقاريون والرأسماليون بسيول من الكلمات (من الكلمات فقط لا غير !) وفي الوقت نفسـه يتضح اكثر فأكثر الفرق الجذري بين نضـال العمال ونضـال البرجوازيـة في سبيل الحرية ، بين الديموقراطية البروليتارية والديموقراطية الليبيرالية فالطبقة العاملة وممثلوها الواعون يتقدمون ويدفعون هذا النضال الى امام ، دون خشية من السير به الى النهاية ، بل انهم يطمحون الى تجاوز أبعد حدود الثورة الديموقراطية وتخطيها على مسافـة بعيدة اما البرجوازية فهي متذبذبة وجشعة وهي لا تقبل شعارات الحرية إلا جزئيـاً وبريـاء ان جميع المحاولات للاشـارة بخط خاص ، «بفقرات» خاصـة (من نوع فقـرات قرار ستـاروفر او مشتركي المجلس العام) الى الحد الذي يبدأ بعده هذا النفاق من اصدقاء الحرية البرجـوازيين او اذا شئتـم هذه الخيانـة للحريـة من قبل اصدقائها البرجوازيين — ، ان جميع هذه المحاولات مقضي عليهـا بالاخفاق حتماً لأن البرجوازية الواقعة بين نارين (الاوتوقراطية والبروليتاريا) قادرة على تغيير موقفها وشعاراتهـا بألف طريقـة وألف وسيلـة متكيفـة قدر ابهـام الى اليسار قدر ابهـام الى اليمينْ لاجئة على الدوام الى المساومـة والسمسرة ان مهمـة الديموقراطية البروليتارية لا تقوم في تلفيق مثل هذه «الفقرات» الميتـة بل في انتقاد الوضع السياسي المتطور انتقاداً لا يعرف الكلل وفضح ذبذبات البرجوازية وخياناتها ، الجديدة والجديدة والتي لا يمكن استشفافها مسبقاً .

تذكروا قصة مظاهرات السيد ستروفه السياسية في النشرات السرية ، وقصة الحرب التي شنتها عليه الاشتراكية-الديموقراطية ، تروا بوضوح كيف نفذت الاشتراكية-الديموقراطية حاملة لواء الديموقراطيـة البروليتاريـة هذه المهمات فقد بدأ السيد ستروفـه بان صاغ شعاراً على طريقـة شيبوف تماماً «الحقوق والزيمستفو ذات السلطـة» (راجع مقالي في «زاريـا» «مضطهدو الزيمستفـو وهنيبعلات الليبيراليـة») ففضحتـه الاشتراكيـة-الديموقراطية ودفعته نحو برنامج دستوري واضح وحين أوتيت هذه «الدفعات» مفعولها بفضل سير الاحداث الثورية بسرعة بالغة ، اتجه النضال نحو القضية **التالية** من قضايا الديموقراطية لا دستور بوجه عام وحسب ، بل ايضاً الاقتراع العام المباشر المتساوي ، السري وحين «ظفرنـا» من «الخصـم» بهذا الموقع الجديد ايضاً (قبول «اتحاد اوسفوبوجدينييـه» لحق الاقتراع العام) واصلنا هجومنا كاشفين الستر عن رياء وكذب نظام المجلسين وقبول جماعة «اوسفوبوجدينييـه» لحق الاقتراع العام قبولاً غير كامل كاشفين بنزعتهم **المَلَكية** سمسرة ديموقراطيتهم اي بتعبير آخر **بيع** مصالح الثورة الروسيـة الكبرى من قبل ابطال اكياس النقود هؤلاء ، جماعة «اوسفوبوجدينييه»

وأخيراً عناد الاوتوقراطية الجامح وسير الحرب الاهليـة خطوات هائلة الى امام والمأزق الذي دفع اليه المَلَكيون روسيا ، كل هذا أخذ يخترق أشد العقول تعنتاً فقد كانت الثورة تصير **أمراً واقعاً** ولم تبق ثمة حاجة لأن يكون المرء ثورياً لكي يعترف بها وفي الواقع ، راحت الحكومة الاوتوقراطية تتفسخ ، — ولا تزال تتفسخ امام انظار الجميع وقد نشأت , كما لاحظ ليبيراليي (السيد غريديسكول) بحق في الصحافة العلنية حالة من التمرد الفعلي على هذه الحكومة . وكشفت الاوتوقراطية عن عجزها ، رغم كل قوتها

الظاهرية وكانت احداث الثورة النامية تزيح هذه الهيئة الطفيلية الآخذة في التعفن وهي حيـــة **وطفق** البرجوازيون الليبيراليون **يدركون ضرورة الاعتراف بالثورة** بعد ان اضطروا الى بناء نشاطهم (او بالاحرى صفقاتهم السياسية) على العلاقات القائمة والناشئـة فعلاً وهم يفعلون ذلك لا لأنهـم ثوريون بل رغم انهـم ليسوا ثوريين وهم يفعلون ذلك بدافع الضرورة ورغم انوفهم اذ يرون بحقد نجاحـات الثورة ويتهمون الاوتوقراطيـة التي لا تريد ان تساوم بل تريد الكفاح حتى الموت يتهمونها بالروح الثوري وهم يكرهون النضال والثورة أشد الكره لانهـــــم ولدوا تجاراً ومساومين ولكن الظروف تجبرهم على الوقوف في ميدان الثورة لان لا ميدان آخر لهم

واننا لنشهد مشهداً بالغ الدلالة ومضحكاً للغاية فان عواهر الليبيرالية البرجوازية يردن ان يتجلببن بحلل الثورية وقد بدأت جماعة «اوسفوبوجدينييه» – risum teneatis, amici! * – يتحدثون باسم الثورة وها هم يؤكدون انهم «لا يخشون الثورة» (السيد ستروفـه في العدد ٧٢ مـن «اوسفوبوجدينييـه») وجماعـة «اوسفوبوجدينييه» يدّعون «السير على رأس الثورة»

ان هذا الواقـــع البليـغ الدلالة لا يصف نمو الليبيراليـة البرجوازية وحسب بل يصف خيراً من ذلك ايضاً نمو النجاحات الفعلية في الحركة الثورية التي **فرضت** الاعتراف بها حتى ان البرجوازية اخذت تدرك انه من الأفيد لها ان تقف في ميدان الثورة ، نظراً لهذا الحد من التداعي الذي بلغته الاوتوقراطية ولكن هذا الواقع الذي يشهد على ارتفاع مجمل الحركة الى درجة جديدة ، أعلى يضع على عاتقنـــا من جهة اخرى مهمات جديدة ايضاً ، أعلى

---

* – تمالكوا عن الضحك ، ايها الاصدقاء !

ايضاً وان هذا الاعتراف بالثورة من جانب البرجوازية لا يمكن ان يكون صادقاً وذلك بصرف النظر عن صدق هذا المفكر او ذاك من مفكري البرجوازية ، بصفته الشخصية فان البرجوازية لا تستطيع ان لا تحمل معها ، في هذه الدرجة العليا من الحركة ايضاً انانيتها وتذبذبها ومساوماتها ومكائدها الرجعية الحقيرة ويترتب علينا اليوم ان نصوغ **على نحو آخر** مهمات الثورة ، مهماتها **الملموسة** ، المباشرة باسم برنامجنا وتطويراً لهذا البرنامج .فان ما كان يكفي في الامس **لا يكفي اليوم** ربما كان يكفي في الامس ان يرد مطلب الاعتراف بالثورة – شعاراً ديموقراطياً طليعيا اما اليوم فلم يبقَ هذا كافياً فان الثورة قد انتزعت الاعتراف بها حتى من السيد ستروفه ولذا يجب اليوم على الطبقة الطليعية ان تحدد بدقة **مضمون** مهمات هذه الثورة الملحة والعاجلة ان السادة ستروفه ومن لف لفه اذ يعترفون بالثورة يظهرون فوراً ومرة بعد مرة اطراف آذانهم الطويلة كآذان الحمير ، وهم يرددون المعزوفة القديمة عن امكان مآل سلمي عن دعوة **نيقولاي** هؤلاء السادة من «اوسفوبوجدينييه» الى استلام السلطة الخ الخ ان هؤلاء السادة من «اوسفوبوجدينييه» يعترفون بالثورة لكي يطمسوها ويخونوها بأقل ما يمكن من الاخطار وعلينا نحن الآن ان نوضح للبروليتاريا وللشعب بأسره عدم كفاية شعار الثورة ان نبين انه من الضروري اعطاء تحديد جلي لا لبس فيه ولا ابهام ، منطقي وقاطع **لمضمون** الثورة **ذاته** .والحال ان هذا التحديد انما هو بالضبط الشعار الوحيد القادر على الاعراب بدقة عن «انتصار» الثورة «الحاسم» ، وهذا الشعار هو شعار ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية

ان سوء استعمال الكلمات ظاهرة عادية جداً في السياسة فان انصار الليبيرالية البرجوازية الانكليزية ، مثلا ، قد تسموا اكثر

مـن مرة «بالاشتراكيين» («نحن كلنـا اشتراكيـون الآن» – "We all are socialists now„ هكذا قال هاركورت) كذلك هي حال انصار بيسمارك واصدقاء البابا ليون الثالث عشر وكلمة «ثورة» تفسح ايضاً المجال رحباً امام مظاهر سوء الاستعمال ، وهذه المظاهر أمر محتم لا مناص منه ، في درجة معينة من تطور الحركة فحين شرع السيد ستروفه ينطق باسم الثورة فكرنا غضباً عنا بتيير فان هذا القزم الفظيع ، هذا المعبِّر الاكمل لفساد البرجوازية السياسي قد اشتم قبل ثورة شباط – فبراير – ببضعة ايام اقتراب العاصفة الشعبية . واذا به يعلن آنذاك ، من على منبر البرلمان، انه **من حزب الثورة** ! (راجع «الحرب الاهلية في فرنسا» لماركس) . ان المغزى السياسي لانتقال «اوسفوبوجدينييه» الى حزب الثورة **مماثل اطلاقاً** «لانتقال» تيير هذا فحين راح اضراب تيير الروس يتحدثون عن انتسابهم الى حزب الثورة ، كان ذلك يعني ان شعار الثورة صار غير كاف، وانه لا يدل على شيء ولا يحدد اية مهمة لأن الثورة اصبحت أمراً واقعاً ولأن اكثر العناصر تبايناً أخذت تنحاز جماعات الى جانبها

وبالفعل ، ما هي الثورة من وجهة النظر الماركسية ؟ انها هدم بالعنف لبناء فوقي سياسي قديم ولى عهده وأدى تناقضه مـع علاقات الانتاج الجديدة في لحظة معينة الى افلاسه ان التناقض القائم بين الاوتوقراطية من جهة وكل النظام في روسيا الرأسمالية، وجميع مقتضيات تطورها الديموقراطي البرجوازي ، من جهة اخرى ، قد اسفر اليوم عن افلاس اشدّ خصوصاً وان هذا التناقض قـد استمر زمناً اطول بصورة مصطنعة ان البناء الفوقي يتصدع من كل الجهات ولا يصمد للضغط ويضعف وعلى الشعب نفسه بشخص ممثلي مختلف الطبقات والفئات ان يبني بناء فوقيـاً جديداً . وفي لحظة معينة من التطور ، يتكشف عدم صلاح البناء الفوقي

القديم امام الجميع بكل وضوح ويعترف الجميع بالثورة ، والمقصود الآن تحديد **الطبقات** التي ينبغي لها ، على **وجه الدقة** ، ان تبني البناء الفوقي الجديد **وكيف** ينبغي لها ان تبنيه **بالضبط** ودون هذا التحديد يكون شعار الثورة في هذه اللحظة فارغاً لا معنى له ، لأن ضعف الاوتوقراطية يجعل حتى كبار الامراء و«موسكوفسكيه فيدوموستي» (٢٠٣) يصيرون «ثوريين» ! ودون هذا التحديد لا مجال حتى للقول باهداف ديموقراطية طليعية للطبقة الطليعية وهذا التحديد ينحصر في شعار ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية فان هذا الشعار يحدد في آن واحد الطبقات التي يمكن ويجب ان يعتمد عليها «البناة» الجدد للبناء الفوقي الجديد وطابعه (الديكتاتورية «الديموقراطية» خلافاً للديكتاتورية الاشتراكية) وطريقة بنائه (الديكتاتورية اي استعمال القوة لقمع كل مقاومة بالقوة تسليح طبقات الشعب الثورية) وكل من لا يقبل اليوم شعار الديكتاتورية الديموقراطية الثورية هذا شعار الجيش الثوري والحكومة الثورية واللجان الفلاحية الثورية إما انه لا يفهم اطلاقاً مهمات الثورة وهو عاجز عن تحديد المهمات الجديدة المهمات العليا التي تمليها الساعة وإما انه يخدع الشعب ويخون الثورة ويسيء استعمال شعار «الثورة»

ان الحالة الاولى تشمل الرفيق مارتينوف واصدقاءه ، والثانية السيد ستروفه وكل حزب الزيمستفوات «الدستوري-الديموقراطي»

وقد بلغ الرفيق مارتينوف حداً من الفطانة والظرافة بحيث انه اتهمنا «باحلال» مفهومي الثورة والديكتاتورية احدهما محل الآخر ، وبالضبط في اللحظة التي تطلب فيها تطور الثورة تحديد مهماتها بشعار الديكتاتورية ! وفي الواقع كان من سوء حظ الرفيق مارتينوف انه بقي من جديد في المؤخرة انه تأخر على الدرجة قبل الاخيرة ، انه **كان في مستوى «اوسفوبوجدينييه»** ، لأن الاعتراف اليوم

«بالثورة» (قولاً) والامتناع عن قبول ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية (اي الثورة فعلاً) يناسب حقاً موقف «اوسفوبوجدينييه» السياسي اي مصالح البرجوازية المَلكية الليبيرالية فبلسان السيد ستروفه تعلن البرجوازية الليبيرالية اليوم تأييدها للثورة في حين تطالب البروليتاريا الواعية بلسان الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين بديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين واذ ذاك يتدخل حكيم «الايسكرا» الجديدة في المناقشة ويهتف قائلاً لا تقدموا على «احلال» مفهومي الثورة والديكتاتورية احدهما محل الآخر ! طيب ، أليس من الصحيح ان جماعة «الايسكرا» الجديدة محكوم عليهم بسبب من موقفهم الخاطئ ان يجرجروا انفسهم على الدوام في ذيل «اوسفوبوجدينييه» ؟

لقد بينا آنفاً ان جماعة «اوسفوبوجدينييه» يتسلقون (وليس دون تشجيع من دفعات الاشتراكية-الديموقراطية) الدرجات التي تؤول الى الاعتراف بالديموقراطية درجة درجة وقد كان موضوع مناقشتنا معهم ما يلي اولاً الشيبوفية (الحقوق والزيمستفو ذات السلطة) ام الدستورية ؟ ثم الاقتراع المقيد ام الاقتراع العام ؟ ثم الاعتراف بالثورة ام السمسرة مع الاوتوقراطية ؟ وأخيراً الآن الاعتراف بالثورة دون ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين ام الاعتراف بمطلب ديكتاتورية هاتين الطبقتين في الثورة الديموقراطية ؟ من الممكن والمحتمل ان السادة من جماعة «اوسفوبوجدينييه» (سيّان جماعة اليوم أم خلفاؤهم في الجناح اليساري من الديموقراطية البرجوازية) سيتسلقون درجة اخرى ايضاً اي انهم سيعترفون مع مرور الزمن (وربما يحدث هذا حين يتسلق الرفيق مارتينوف درجة اخرى ايضاً) بشعار الديكتاتورية كذلك بل سيكون الحال هكذا بالضرورة اذا تقدمت الثورة الروسية بنجاح واحرزت انتصاراً حاسماً . فاي موقف تقفه

الاشتراكية-الديموقراطية آنذاك ؟ ان انتصار الثورة الحالية التام سيسجل نهاية الانقلاب الديموقراطي وبداية نضال حاسم في سبيل الانقلاب الاشتراكي وان تحقيق مطالب الفلاحين في ايامنا وسحق الرجعية سحقاً كلياً والظفر بالجمهورية الديموقراطية كل هذا سيسجل نهاية ثوروية البرجوازية وحتى البرجوازية الصغيرة نهاية أكيدة وبداية نضال حقيقي تخوضه البروليتاريا في سبيل الاشتراكية وبقدر ما يكتمل الانقلاب الديموقراطي ، بقدر ما يتطور هذا النضال الجديد بسرعة واتساع ووضوح وعزم ان شعار الديكتاتورية «الديموقراطية» يعكس بالضبط هذا الطابع التاريخي المحدود للثورة الحالية وضرورة خوض نضال جديد في مجال اوضاع جديدة من اجل تحرير الطبقة العاملة تحريراً تاماً من كل اضطهاد وكل استثمار وبتعبير آخر حين تكون البرجوازية الديموقراطية او البرجوازية الصغيرة قد صعدت درجة اخرى حين لا يكون مجرد الثورة بل انتصار الثورة التام قد اصبح امراً واقعاً ، حينذاك «نحل» (وربما على الصيحات الرهيبة التي سيطلقها المارتينوفيون الجدد المقبلون) شعار الديكتاتورية الاشتراكية للبروليتاريا اي شعار الانقلاب الاشتراكي الكامل محل شعار الديكتاتورية الديموقراطية

٣ – المفهوم البرجوازي المبتذل عن الديكتاتورية ومفهوم ماركس عنها

روى مهرينغ في الملاحظات التي اتبع بها طبعته لمقالات ماركس المنشورة عام ١٨٤٨ في «الجريدة الرينانية الجديدة» ان الصحف البرجوازية قد وجهت لهذه الصحيفة فيما وجهته اللوم التالي فقد زعمت ان «الجريدة الرينانية الجديدة» طالبت «ببسط

الديكتاتورية فوراً بوصفها الوسيلة الوحيدة لتحقيق الديموقراطية» (Marx' Nachlass المجلد ٣، صفحة ٥٣)

(٢٠٤) ان مفهومي الديكتاتورية والديموقراطية يتنافيان في العرف البرجوازي المبتذل فان البرجوازي لا يدرك نظرية النضال الطبقي ، وقد ألف ان يرى في المسرح السياسي المشاحنات الحقيرة بين مختلف فئات البرجوازية وكتلها ولذا فهو يفهم بالديكتاتورية الغاء جميع الحريات وجميع ضمانات الديموقراطية والتعسف على ألوانه واستغلال السلطة في مصلحة شخصية الديكتاتور ان هذا المفهوم البرجوازي السطحي هو في الأساس المفهوم الذي يستشف ايضاً عند صاحبنا مارتينوف وذلك عندما عمد في نهاية «حملته الجديدة» في «الايسكرا» الجديدة ففسر ميل «فبريود» و«بروليتاري» الى شعار الديكتاتورية بكون لينين «يرغب أشد الرغبة في تجريب حظه» («الايسكرا» ، العدد ١٠٣ ، صفحة ٣ ، عمود ٢) ان هذا التفسير الرائع هو تماماً في مستوى اتهام «الجريدة الرينانية الجديدة» البرجوازي بالدعاية للديكتاتورية وهكذا تعرض ماركس ايضاً للتشهير – ولكن ليس من قبل «الاشتراكيين-الديموقراطيين» ، بل من قبل الليبيراليين البرجوازيين (!) – لكونه «يخلط» بين مفهومي الثورة والديكتاتورية ولن يكون من نافل الكلام ان نتناول بالبحث آراء «الجريدة الرينانية الجديدة» لكي نوضح لمارتينوف الفرق بين ديكتاتورية فرد وديكتاتورية طبقة بين مهام الديكتاتورية الديموقراطية ومهام الديكتاتورية الاشتراكية

فقد كتبت «الجريدة الرينانية الجديدة» في ١٤ ايلول (سبتمبر) ١٨٤٨ تقول «ان كل نظام موقت للدولة بعد الثورة يتطلب الديكتاتورية وديكتاتورية حازمة ولقد أخذنا منذ البدء على كامبهاوزن (رئيس مجلس الوزراء بعد ١٨ آذار – مارس – ١٨٤٨) انه لم ينهج نهجاً ديكتاتورياً ولم يحطم فوراً بقايا المؤسسات القديمة

ولم يصفها وهكذا بينما كان كامبهاوزن يعلل نفسه بالاوهام الدستورية ، كان الحزب المغلوب على أمره (اي حزب الرجعية) يعزز مواقعه في الدواوينية والجيش ، بل يتجاسر ، هنا وهناك ، على خوض النضال السافر» (٢٠٥)

ان هذه الكلمات كما يقول مهرينغ على حق توجز ببعض الموضوعات ما استفاضت «الجريدة الرينانية الجديدة» ببحثه في مقالات طويلة حول وزارة كامبهاوزن فماذا تقول لنا كلمات ماركس هذه ؟ انها تقول لنا اولاً انه يجب على الحكومة الثورية الموقتة ان تنهج نهجاً ديكتاتورياً (وهي موضوعة لم تستطع «الايسكرا» ان تدركها قط لرعبها من شعار الديكتاتورية) ، وثانياً ، ان مهمة هذه الديكتاتورية تتقوم في تحطيم بقايا المؤسسات القديمة (وهو بالضبط ما اشير اليه بكل وضوح في قرار المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا حول النضال ضد الثورة المضادة وما أغفل ذكره في قرار المجلس العام كما بينا أعلاه)؛ وثالثاً ، وأخيراً ، ان ماركس يسلط سياط النقد على الديموقراطيين البرجوازيين بسبب من «اوهامهم الدستورية» في عهد الثورة والحرب الاهلية السافرة ويتضح بخاصة معنى هذه الكلمات من المقال المنشور بتاريخ ٦ حزيران (يونيو) ١٨٤٨ ،في «الجريدة الرينانية الجديدة» فقد كتب ماركس يقول «يجب ان تكون الجمعية الشعبية التأسيسية بالدرجة الاولى جمعية نشيطة ثورية النشاط والحال ،ان جمعية فرانكفورت تتلهى بتمارين مدرسية حول البرلمانية وتترك للحكومة العمل لنفترض ان هذه الجمعية الحكيمة توصلت بعد امعان في البحث الى اقرار خير جداول الاعمال وخير الدساتير فما قيمة خير جداول الاعمال وخير الدساتير اذا كانت الحكومات الالمانية في هذه الاثناء قد وضعت الحراب في جدول الاعمال ؟» (٢٠٦).

هذا هو معنى شعار الديكتاتورية وبامكان المرء ان يرى من هنا اي موقف كان يقفه ماركس من القرارات التي تصف بالانتصار الحاسم «قرار تنظيم الجمعية التأسيسية» او التي تدعو الى «البقاء حزب اقصى المعارضة الثورية» !

ان القضايا الكبرى في حياة الشعوب لا تحلها إلا القوة والطبقات الرجعية نفسها هي عادة أول من يلجأ الى العنف ، الى الحرب الاهلية و«يضع الحراب في جدول الاعمال» ، كما فعلت الاوتوقراطية الروسية وما تنفك تفعله بدأب وانتظام ، بلا تردد ولا وهن ، ودائماً وفي كل مكان ، منذ التاسع من يناير (كانون الثاني) وطالما قد نشأ مثل هذا الوضع ، ووردت الحراب فعلاً في رأس جدول الاعمال السياسية وتبين ان الانتفاضة ضرورية وملحة فان الاوهام الدستورية والتمارين المدرسية حول البرلمانية لم تبق إلا ستاراً للطريقة التي «تنصرف» فيها البرجوازية عن الثورة واذ ذاك ينبغي على الطبقة الثورية حقاً ان تضع شعار الديكتاتورية بالضبط .

وبصدد مهام هذه الديكتاتورية كتب ماركس في «الجريدة الرينانية الجديدة» يقول «كان على الجمعية الوطنية ان تنهج نهجاً ديكتاتورياً ضد التطاولات الرجعية التي تقوم بها الحكومات المتهافتة هكذا كانت حظيت لدى الرأي العام بقوة تتحطم عليها كل الحراب والحال ان هذه الجمعية تتعب الشعب الالماني بخطابات مملة بدلاً من ان تجتذبه وراءها او ان تنجذب وراءه» (٢٠٧) وكان على الجمعية الوطنية ، برأي ماركس ، «ان تزيل من النظام القائم فعلاً في المانيا كل ما هو مخالف لمبدأ سيادة الشعب» ، ومن ثم ان «توطد الاساس الثوري الذي ترتكز عليه وان تصون من كل الهجمات سيادة الشعب التي ظفرت بها الثورة» (٢٠٨) .

ولذا كانت المهام التي عينها ماركس في ١٨٤٨ للحكومة الثورية او الديكتاتورية تتقوم ، حسب مضمونها قبل كل شيء في الانقلاب **الديموقراطي** الدفاع ضد الثورة المضادة ، والقضاء فعلاً على كل ما هو مخالف لسيادة الشعب وليس هذا غير الديكتاتورية الديموقراطية الثورية

لنتابع اية هي الطبقات التي كانت تستطيع ويجب عليها حسب ماركس ان تقوم بهذه المهمة (تحقيق مبدأ سيادة الشعب فعلاً والى النهاية وصد هجمات الثورة المضادة) ؟ هنا يتحدث ماركس عن «الشعب» ولكننا نعلم انه كافح على الدوام بلا رحمة ولا هوادة الاوهام البرجوازية الصغيرة حول وحدة «الشعب» ، حول انعدام النضال الطبقي في قلب الشعب فان ماركس لا يطمس الفوارق الطبقية حين يستعمل كلمة «شعب» ، انما يجمع فيها عناصر معينة ، قادرة على القيام بالثورة الى النهاية

كتبت «الجريدة الرينانية الجديدة» تقول ان نتائج الثورة بعد انتصار البروليتاريا البرلينية في ١٨ آذار (مارس) ، كانت مزدوجة «فمن جهة تسلح الشعب وحرية تشكيل الجمعيات وسيادة الشعب التي ظفر بها فعلاً ؛ ومن جهة اخرى ، بقاء المَلَكية ووزارة كامبهاوزن – هانزيمان اي حكومة ممثلي البرجوازية الكبيرة. وهكذا اسفرت الثورة عن نوعين من النتائج كان لا بد لهما من ان يفضيا الى القطيعة لقد انتصر الشعب وظفر بحريات ذات طابع ديموقراطي صريح ولكن السيادة الفعلية لم تنتقل اليه انما انتقلت الى ايدي البرجوازية الكبيرة اي بكلمة ، ان الثورة لم تحقق الى نهايتها وقد ترك الشعب لممثلي البرجوازية الكبيرة أمر تاليف الوزارة ، فكشف ممثلو البرجوازية الكبيرة هؤلاء فوراً عن مقاصدهم بعرضهم التحالف مع الدواوينية وطبقة النبلاء البروسية القديمة . ودخل ارنيم وكانيتز وشفيرين في الوزارة .

«وخوفاً من الشعب ، اي من العمال والبرجوازية الديموقراطية ، عقدت البرجوازية الكبيرة ، المعادية للثورة منذ البدء ، حلفاً دفاعياً وهجومياً مع الرجعية» (حرف التأكيد لنا) (٢٠٩)

وهكذا يتبين ان ليس «القرار بتنظيم الجمعية التأسيسية» وحسب بل حتى عقد هذه الجمعية فعلاً ما يزال غير كاف لانتصار الثورة الحاسم ! وحتى بعد انتصار جزئي في النضال المسلح (انتصار العمال البرلينيين على الجيش في ١٨ آذار – مارس – ١٨٤٨) يبقى بالامكان ان تحدث ثورة «غير منتهية» ، ثورة «لم تحقق الى نهايتها» فعلام يتوقف اذن اتمام الثورة ؟ انه يتوقف على ما يلي الى اية ايد تنتقل السيادة الفعلية الى ايدي بترونكيفيتش ورودیتشیف ومن لف لفهما ، اي الى ايدي كامبهاوزن وهانزيمان واضرابهما ام الى ايدي الشعب اي العمال والبرجوازية الديموقراطية ففي الحالة الاولى تتسلم البرجوازية مقاليد الحكم وتكتفي البروليتاريا «بحرية النقد» ، حرية «البقاء حزب اقصى المعارضة الثورية» وبعد النصر فوراً تعقد البرجوازية حلفاً مع الرجعية (وهذا ما سيقع ايضاً في روسيا حتماً اذا لم يحرز عمال بطرسبوغ ، مثلاً سوى انتصار جزئي في معارك الشوارع ضد الجيش وتركوا للسيد بيترونكيفيتش واضرابه وشركاه أمر تاليف الحكومة) اما في الحالة الثانية فان الديكتاتورية الديموقراطية الثورية اي انتصار الثورة التام يصبح أمراً ممكناً

بقي ان نحدد بمزيد من الدقة ما يقصده ماركس من «البرجوازية الديموقراطية» (demokratische Bürgerschaft) التي يسميها «الشعب» هي والعمال ، خلافاً للبرجوازية الكبيرة

ان المقطع التالي من مقال نشرته «الجريدة الرينانية الجديدة» بتاريخ ٢٩ تموز (يوليو) ١٨٤٨ يعطي جواباً واضحاً على هذا السؤال ان ثورة ١٨٤٨ الالمانية ليست سوى صورة هزلية لثورة ١٧٨٩ الفرنسية .

ففي ٤ آب (اغسطس) ١٧٨٩ ، اي بعد الاستيلاء على الباستيل بثلاثة اسابيع اطاح الشعب الفرنسي في يوم واحد بكل الالتزامات الاقطاعية

وفي ١١ تموز (يوليو) ١٨٤٨ اي بعد متاريس آذار (مارس) باربعة اشهر تغلبت الالتزامات الاقطاعية على الشعب الالماني Teste Gierke cum Hansemanno *

ان البرجوازية الفرنسية لم تتخل لحظة في ١٧٨٩ عن حلفائها ، الفلاحين فقد كانت تعرف ان سيادتها ترتكز على إلغاء الاقطاعية في الارياف وعلى نشوء طبقة حرة من الفلاحين مالكي الاراضي (grundbesitzenden).

اما البرجوازية الالمانية في ١٨٤٨ فانها خانت دون اي وخز في الضمير ، الفلاحين ، حلفاءها الطبيعيين ولا اكثر ، الذين هم لحمها ودمها ، والذين بدونهم تبقى عاجزة بوجه النبلاء

لقد أسفرت ثورة ١٨٤٨ الالمانية عن بقاء الحقوق الاقطاعية ، وتكريسها تحت مظهر التعويض (الوهمي) وهكذا تمخض الجبل فولد فأرة» (٢١٠)

---

* «اما الشاهدان فهما السيدان غيركه وهانزيمان» فان هانزيمان كان يمثل في الوزارة حزب البرجوازية الكبيرة (مترجمة الى الواقع الروسي تروبتسكوي او روديتشيف ، الخ .) اما غيركه ، وزير الزراعة في وزارة هانزيمان ، فقد وضع المشروع «الجريء» القائل «بالغاء الالتزامات الاقطاعية» «دون تعويض» ، على حد زعمه ، ولكن هذا المشروع لم يكن ينص بالفعل الا على الغاء بعض الالتزامات الزهيدة ، القليلة الاهمية ، وعلى ابقاء الالتزامات الاهم او التعويض عنها ان السيد غيركه يشبه السادة الروس كابلوكوف ومانويلوف وهرتزنشتاين وامثالهم اصدقاء الموجيك (الفلاح) الليبراليين البرجوازيين الذين يريدون «توسيع ملكية الفلاحين للارض» ولكنهم لا يريدون المساس بمصالح الملاكين العقاريين .

وانــه لمقطع جزيل العبرة يعطينا أربع موضوعات هامــة ١) ان الثورة الألمانية.التي لم تكتمل تختلف عن الثورة الفرنسية التي اكتملت في كون البرجوازية لم تخن الديموقراطية بوجه عام وحسب بل خانت الفلاحين خاصة ايضاً ٢) ان تحقيق الانقلاب الديموقراطي تحقيقاً تاماً يرتكز على نشوء طبقة حرة من الفلاحين ٣) ان انشاء هذه الطبقة انما يعني إلغاء الالتزامات الاقطاعية ، وهدم الاقطاعية ولكنه لا يعني بعد الانقلاب الاشتراكي ٤) ان الفلاحين هم حلفاء البرجوازية «الطبيعيون ولا اكثر» انهم على وجه التدقيق حلفاء البرجوازية الديموقراطية التي بدونهم تبقى «عاجزة» بوجه الرجعية

ان جميع هذه الموضوعات تنطبق كل الانطباق على روسيا عام ١٩٠٥ اذا ما عدّلت وفقاً لخصائصنا القومية الملموســة واستعيض عن كلمة الاقطاعية بكلمــة القنانة يقيناً ان الدروس المستخلصة من التجربة الالمانية التي أنارها ماركس لا يمكن لها ان تقودنا الى اي شعار من اجل انتصار حاسم تحرزه الثورة غير شعار الديكتاتورية الديموقراطية الثورية للبروليتاريا والفلاحين ويقيناً ان القسمين الرئيسيين اللذين يكونان هذا «الشعب» الذي عارض به ماركس في عام ١٨٤٨ الرجعية المقاومة والبرجوازية الخائنة انمــا هما البروليتاريا وطبقــة الفلاحين ويقيناً ان البرجوازيــة الليبيرالية وهؤلاء السادة انصار «اوسفوبوجدينييه» يخونون عندنا ايضاً ، في روسيا وسيظلون يخونون الفلاحين ، اي انهم سيكتفون باصلاح مزعوم ويقفون الى جانب الملاكين العقاريين في النضال الحاسم القائم بين هؤلاء الملاكين من جهة والفلاحين من جهة اخرى وليس غير البروليتاريا من يستطيع دعم الفلاحين الى النهاية في هذا النضال ويقينــاً اخيراً ان نجاح نضال الفلاحين في بلادنا ايضــاً في روسيا ، اي انتقال الارض كلها الى الفلاحين ، سيكون بمثابــة

انقلاب ديموقراطي كامل لأن هذا الانتقال سيكون الدعامة الاجتماعية للثورة التي تحقق الى نهايتها ولكنه لن يعني مطلقاً الانقلاب الاشتراكي ولا ما يسمى «جعل الملكية اجتماعية» الذي يتحدث عنه مفكرو البرجوازية الصغيرة الاشتراكيون-الثوريون فان نجاح انتفاضة الفلاحين ان انتصار الثورة الديموقراطية انما يمهد السبيل فقط للقيام بنضال حقيقي حازم من اجل الاشتراكية في ميدان الجمهورية الديموقراطية وان طبقة الفلاحين بوصفها طبقة مالكي الارض ستضطلع في هذا النضال بنفس دور الخيانة والتذبذب الذي تضطلع به الآن البرجوازية في النضال من اجل الديموقراطية وان ينسى المرء هذا الامر فكأنه ينسى الاشتراكية ويخدع نفسه بنفسه ويخدع الآخرين حول مهمات البروليتاريا ومصالحها الحقيقية

ولكي لا ندع اي نقص في عرض مفاهيم ماركس عام ١٨٤٨ يجدر بنا ان نشير الى ميزة اساسية تميز الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية في ذلك العهد (او حزب البروليتاريا الشيوعي ، حسب لغة ذلك العهد) عن الاشتراكية-الديموقراطية الروسية الحالية لنترك الكلام الى مهرينغ

«لقد دخلت «الجريدة الرينانية الجديدة» في المسرح السياسي بوصفها «لسان حال الديموقراطية» ومن المتعذر على المرء ألا يرى الفكرة التي تسود جميع مقالاتها ولكنها في نشاطها المباشر كانت تدافع عن مصالح الثورة البرجوازية ضد الاوتوقراطية والاقطاعية اكثر مما تدافع عن مصالح البروليتاريا ضد مصالح البرجوازية وقلما يجد المرء في صفحاتها مقالات او ابحاثاً حول الحركة العمالية الخالصة أبان الثورة ، رغم انه لا يجدر به ان ينسى انه كانت تصدر الى جانبها مرتين في الاسبوع وبتحرير مول وشابر ، صحيفة خاصة تنطق بلسان اتحاد عمال كولونيا (٢١١) .

وما يلفت فوراً انتباه القارئ المعاصر ، انما هو ، في كل حال ، قلة الاهتمام الذي كانت توليه «الجريدة الرينانية الجديدة» الى الحركة العمالية الالمانية في حينها ، رغم ان اسطفان بورن أقدر مناضلي هذه الحركة ، كان تلميذ ماركس وانجلس في باريس وفي بروكسل وكان ايضاً مراسل صحيفتهما في برلين عام ١٨٤٨ وقد روى بورن في «ذكرياته» ان ماركس وانجلس لم يوجها له قط اية كلمة تنم عن عدم تحبيذ دعاوته في صفوف العمال ولكن تصريحات انجلس اللاحقة تتيح الافتراض انهما كانا مستائين من اساليب هذه الدعاوة على الاقل لقد كان لهما ما يبرر استياءهما اذا اعتبرنا ان بورن قد اضطر الى اجراء العديد من التنازلات ازاء وعي البروليتاريا الطبقي الذي كان متأخراً في القسم الاكبر من المانيا وان هذه التنازلات كانت لا تصمد للانتقاد من وجهة نظر «البيان الشيوعي» ولكنه لم يكن لهما ما يبرر استياءهما ، اذا اعتبرنا ان بورن قد نجح مع ذلك في ابقاء الدعاوة التي كان يوجهها ، في مستوى عال نسبياً . ولا ريب ان ماركس وانجلس كانا على حق ، تاريخياً وسياسياً عندما اعتبرا ان المصلحة الرئيسية للطبقة العاملة تقوم قبل كل شيء في حفز الثورة البرجوازية قدر الامكان ومع ذلك ، فاننا نجد برهاناً ساطعاً على الطريقة التي تصلّح بها الغريزة البدائية لدى الحركة العمالية مفاهيم اكبر المفكرين ، في كون ماركس وانجلس قد أيدا في نيسان (ابريل) ١٨٤٩ قيام منظمة عمالية خالصة وقررا الاشتراك في المؤتمر العمالي الذي اعدته بخاصة بروليتاريا شرق الالب (بروسيا الشرقية)»

وهكذا يتبين ان ماركس وانجلس لم يؤيدا قيام منظمة عمالية مستقلة إلا في نيسان (ابريل) ١٨٤٩ اي بعد انقضاء زهاء سنة على صدور صحيفة ثورية .(بدأت «الجريدة الرينانية الجديدة» تصدر في اول حزيران – يونيو – ١٨٤٨) . فقد اكتفيا حتى ذلك الحين

بتوجيه صحيفة تكون مجرد «لسان حال الديموقراطية» **ولا** تربطها اية رابطة تنظيمية بحزب عمالي مستقل ! ان هذا الواقع ، الفظيع الذي لا يصدق من وجهة نظرنا الحالية ، يبين لنا بجلاء الفرق الهائل بين حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الالماني في ذلك العهد وحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الروسي في ايامنا هذه وهو يبين لنا الى اي حد كانت الميزات البروليتارية للحركة التيار البروليتاري في الحركة ، اقل تاثيراً في الثورة الديموقراطية الالمانية (بسبب تاخر المانيا في ١٨٤٨ سواء من الناحية الاقتصادية أم من الناحية السياسية تجزؤ الدولة) وينبغي لنا ألا ننسى هذا الواقع (كما ينساه مثلاً بليخانوف) عندما نقدر بيانات ماركس العديدة في ذلك العهد وبعد قليل حول ضرورة تنظيم حزب البروليتاريا تنظيماً مستقلاً فقد ترتب زهاء سنة من تجربة الثورة الديموقراطية حتى استطاع ماركس ان يتوصل فعلاً الى الاستنتاج وذلك لكثرة ما كان كل الجو في المانيا مشحوناً بالتفاهة وضيق الافق وبالروح البرجوازية الصغيرة ولكن هذا الاستنتاج هو بالنسبة لنا حصيلة نصف قرن من تجربة الاشتراكية-الديموقراطية العالمية حصيلة قديمة ثابتة **بدائنا** بها تنظيم حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا فهكذا مثلاً لا يمكن ان توضع عندنا مسالة صدور صحف ثورية للبروليتاريا تعيش على هامش حزب البروليتاريا الاشتراكي-الديموقراطي وتستطيع الظهور وان لحظة واحدة كمجرد «لسان حال الديموقراطية»

ولكن التناقض الذي كان في بدايته بين ماركس واسطفان بورن ، هو قائم الآن عندنا بشكل يزداد بروزاً بقدر ما يشتد التيار البروليتاري في مجرى ثورتنا الديموقراطي وحين تطرق مهرينغ الى احتمال استياء ماركس وانجلس من دعاوة اسطفان بورن استعمل تعابير جد ملتوية وملطفة . ولكن ، اليكم ما كتبه

انجلس عن بورن عام ١٨٨٥ (في مقدمة „Enthüllungen über den Kommunistenprozeß zu Köln". Zürich. 1885*)

لقد كان اعضاء عصبة الشيوعيين (٢١٢) في كل مكان على رأس الحركة الديموقراطية الاكثر تقدماً فاثبتوا بذلك ان العصبة مدرسة ممتازة للعمل الثوري «فان صفاف الحروف اسطفان بورن الذي كان عضواً نشيطاً في العصبة في بروكسل وباريس اسس في برلين «اخوية عمالية» («Arbeiterverbrüderung») انتشرت انتشاراً كبيراً ودامت حتى عام ١٨٥٠ إلا ان بورن ، وهو الشاب الموهوب تسرع كثيراً في انتهاج نهج رجل سياسي «فتآخى» مع خليط من العناصر المتباينة (Kreti und Plethi) لمجرد ان يجمع حوله جمهوراً من الناس فلم يكن مطلقاً من عداد اولئك الذين يستطيعون ان يوحدوا بين النزعات المتناقضة ويلقوا النور في البلبلة والفوضى ولذا نقع دائما في المنشورات الرسمية التي اصدرتها اخويته على تشوش ومزيج من مفاهيم «البيان الشيوعي» مرفقة بذكريات ورغائب حرفية ومقرونة بمزق من الافكار المأخوذة عن لويس بلان وبرودون ومشفوعة بدفاع عن مذهب حماية الصناعة الوطنية الخ اي بكلمة ان هؤلاء القوم كانوا يريدون ارضاء الجميع (Allen alles sein) **وكانوا يهتمون على الاخص بتنظيم الاضرابات والنقابات وتعاونيات الانتاج ، ناسين ان المقصود بالدرجة الاولى هو الاستيلاء بانتصار سياسي على الارض** التي يمكن فيها وحدها لهذه الاغراض ان تتحقق بثبات وامانة (حرف التأكيد لنا) وعندما حملت انتصارات الرجعية زعماء هذه الاخوية على الشعور بضرورة الاشتراك المباشر

---

* ــ «اضواء على محاكمة الشيوعيين في كولونيا» . طبعة زوريخ . ١٨٨٥ . **الناشر** .

في النضال الثوري كان من البديهي ان يتخلى عنهم الجمهور القليل التطور الملتف حولهم لقد اشترك بورن في انتفاضة درسدن في ايـــار (مايو) ١٨٤٩ ولم ينج إلا بفعل الصدفـــة اما الاخوية العماليـة فانها بقيت في معزل عن الحركـة السياسيـة الكبيرة للبروليتاريا كجمعيـة منعزلـة موجودة بخاصـة على الورق ، وتضطلع بدور ثانوي الى حد ان الرجعية لم تر مـــن الضروري الغاءها إلا في عام ١٨٥٠ ولم تغلق فروعها إلا بعد سنوات طويلة ولكن بورن (واسمه الحقيقي Buttermilch)* لم يتمكن قط من ان يصبح رجلاً سياسياً انمـا اصبـح استاذاً سويسريـاً صغيراً يترجم الآن لا ماركس باللغة الحرفية بل رينان الطيب بلغة المانية سكّرية» (٢١٤)

هكذا وصف انجلس تكتيكي الاشتراكيـة-الديموقراطية في الثورة الديموقراطية

اما اصحابنـا الايسكريون الجدد فانهـم ايضاً يميلون الى

---

* حين ترجمت انجلس ، ارتكبت خطأ بهذا الصدد في الطبعة الاولى ، اذ اعتبرت كلمـــة :Buttermilch (اللبن الرائب **الناشر**) اسم جنس لا اسم علم وقـد سر المناشفـــة ، بالطبع ، ابلغ السرور لهذا الخطـــأ فكتب كولتسوف قائلا بأني «عمقت الجلس» (وقد ورد هذا القول في مجموعـة «خلال سنتين») ؛ ولا يزال بليخانوف يذكر الآن هذا الخطـأ في صحيفـــة «توفاريش» (٢١٣) اي انهم وجدوا **ذريعـة ممتازة للتهرب من مسألـة اتجاهي الحركة العمالية** عام ١٨٤٨ في المانيـا واعني بهمـا اتجاه بورن (القريب من اتجاه «اقتصاديينا») والاتجاه الماركسي انه اكثر من طبيعي ان يستغل المرء خطأ خصمه حتى ولو كان الخطأ يتعلق باسم بورن ولكن التذرع باصلاحات في الترجمة للتهرب من بحث جوهر مسألـة التكتيكين ، ألا ان ذلك يعني الفرار من المعركة فيما يتعلق بجوهر النزاع (ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧ . **الناشر** .) .

«الاقتصاديـة» بفيض من الحميـة وقلـة من التبصر الى حد انهم يستدرون مدائح البرجوازية المَلَكية على «ادراكهم» وهم ايضاً يحشدون حولهـم اكثر العناصر تبايناً متملقين «الاقتصاديين» ، مغريـــن ومضللين الجماهير المتأخـرة بشعـــارات «المبادرة» و«الديموقراطيـــة» و«الحكم الذاتي» ، وغيرهـا والخ ونقاباتهم العمالية غير موجودة ايضـــاً في كثير من الاحيـان إلا في صفحات «الايسكرا» الجديدة على طريقة خليستاكوف (٢١٥) وشعاراتهم وقراراتهم تدل على عدم التفهم نفسه لمهمات «الحركة السياسية الكبيرة للبروليتاريا»

كتب في حزيران ــ تموز (يونيو ــ يوليو) ١٩٠٥
اصدرت اللجنة المركزية لح ع ادر هذا الكتاب على حدة في جينيف في تموز ١٩٠٥

المجلـــــد ١١ ، ص‌ص ١ــ١٣١

الثورة تعلّم

الخلافات في داخل الاحزاب السياسية وبين الاحزاب السياسية تُحَلّ عادة ، لا بالمناظرة المبدئية وحسب ، بل ايضاً بتطوير الحياة السياسية ذاتها ، – وحتى سيكون من الاصح القول ، على الارجح لا بالاولى بقدر ما بالثاني وعلى الخصوص ، تُستَنْفد الخلافات المتعلقة بتكتيك الحزب ، اي بمسلكه السياسي ، في كثير من الاحيان ، بانتقال الذين يحللون ويفكرون بصورة غير صحيحة انتقالاً فعلياً الى طريق النضال الصحيحة ، بتأثير دروس الحياة تحت ضغط سير الاحداث نفسه الذي يجبر على ولوج الطريق الصحيحة ، ويطرح جانباً بكل بساطة المحاكمات الخاطئة ، وينتزع التربة من تحتها ويجعلها خالية من كل مضمون فارغة ، لا تهم احداً ولكن هذا لا يعنى بالطبع ان الخلافات المبدئية في مسائل التكتيك لا تتسم باهمية كبيرة ، وانها لا تتطلب تفسيرات مبدئية للمسألة تكون التفسيرات الوحيدة القادرة على ابقاء الحزب في مستوى عقائده النظرية كلا ان هذا يعنى فقط انه ينبغي **التحقق** سلفاً في اكثر ما يمكن من الاحوال من القرارات التكتيكية المتخذة على اساس الاحداث السياسية الجديدة ان هذا التحقق ضروري نظرياً وعملياً على السواء نظرياً لأجل الاقتناع بالفعل ، بالتجربة ، بصحة القرارات المتخذة على وجه الضبط وبمقدار صحتها ،

بالتصحيحات التي تجبر الاحداث السياسية التي وقعت بعد اتخاذها على اجرائهـــا فيها ؛ – عملياً لاجل تعلّم الاسترشاد حقاً بهـــذه القرارات ، تعلّم رؤية ما فيها من توجيهات يتعين تطبيقها مباشرة وعلى الفور في الواقع

ان العهد الثوري يعطي ، اكثر من اي عهد آخر ، مـــادة لأجل هـــذا التحقق ، بفضل سرعة التطور السياسي الهائلة ، وحـــدة المصادمات السياسية التي تتعاظم وتنكشف وتنحل ففي العهـــد الثوري ، يتصدع «البناء الفوقي» القديم وينشأ الجديد امام عيون الجميع بفضل مبادرة شتى القوى الاجتماعية التي تبين بالفعل طبيعتها الحقيقية

وهكذا تعطينا الثورة الروسية ايضاً كل اسبوع او يكـاد وفرة مذهلة من المواد السياسية لأجل التحقق من القرارات التكتيكية التي اتخذناها سلفاً ولأجل استخلاص العبر الاوسع دلالة بصدد كل نشاطنا العملي خذوا حوادث اوديسا (٢١٦) فان احدى محاولات الانتفاض قد انتهت بالاخفاق ومنيت احدى فصائل الجيش الثوري بالهزيمة صحيح ان العدو لم يقض عليها ولكنه دفعها الى ارض محايدة (كمـــا دفع الالمان جيشاً فرنسياً الى سويسرا في حـــرب ١٨٧٠–١٨٧١ فنـــزعت دولة محايدة سلاحها الاخفاق مر والهزيمة شاقة ولكن اي هاوية تفصل هذا الاخفاق في النضال عن تلك الاخفاقات في المتاجرة والمساومة التي تنصبّ على الســـادة شيبوف وتروبتسكوي وبترونكيفيتش وستروفه ومن لف لفهم وكل هذه الزمرة البرجوازية من خدم القيصر ! لقد قال انجلس ذات مرة الجيوش المهزومة تتلقى درساً ممتازاً (٢١٧) وهـــذه الكلمات البديعة تصح على الجيوش الثورية المؤلفة من ممثلي الطبقات الطليعية اكثر بما لا قياس له مما تصح على جيوش هذه الامـــة او تلك وطالما لم يُكتسح البناء الفوقي القديم ، المتعفن ، الذي يعـدي

بعفنه الشعب بأسره ، فان كـــل هزيمة ستستنهض الجديد تلـــو الجديد من جيوش المناضلين ، دافعة اياها الى الحركة ، منيرة اياها بتجربة رفاقهـــا ، معلمة اياها باساليب جديدة واعلى للنضـــال يقيناً انه توجد ايضاً تجربة جماعية اوسع بكثير للبشرية ، مسجّلة في تاريخ الديموقراطية العالمية والاشتراكية-الديموقراطية العالمية ، وأثبتها ممثلو الفكر الثوري الطليعيون ومن هذه التجربة يستمد حزبنا مادة لأجل الدعاية اليومية والتحريض اليومي ولكنه لا يمكن ان يتعلم هذه التجربة مباشرة غير عدد قليل من الافراد مـــا دام المجتمع قائماً على اضطهاد واستثمار ملايين الشغيلـــة ويتعين على الجماهير ان تتعلم ، اكثر ما تتعلم ، من تجربتها الخاصة ، باذلـــة التضحيات الفادحة ثمناً لكل درس ، لكل درجة جديدة الى التحـــرر لقد كان درس التاسع من كانون الثاني (يناير) شاقاً ولكنه افعم بروح الثورة مزاج البروليتاريا كلها في روسيا كلها وكان درس انتفاضة اوديسا شاقاً ، ولكنه يعلم الآن البروليتاريا الثورية ، على صعيد المزاج المفعم حالياً بروح الثورة ، لا النضال وحسب ، بـــل النصر ايضاً وسنقول بصدد حوادث اوديسا لقد انهزم الجيش الثوري ، – فليحيَ الجيش الثوري

في العدد ٧ مـــن جريدتنا ، تحدثنا عن كيف القت انتفاضـــة اوديســـا نوراً جديداً على شعارنا الجيش الثوري والحكومـــة الثورية * وفي العدد السابق (مقالة الرفيق ف س .) تحدثنا عن الدروس الحربية للانتفاضة (٢١٨) وفي هذا العدد نتوقف مـــرة اخرى عند بعض دروسها السياسية (مقالة «الثـورة المدينية») والآن يجدر التوقف ايضاً عند التحقق من قراراتنا التكتيكية الاخيرة

---

* راجع مقال لينين : «الجيش الثوري والحكومة الثورية» . الناشر .

على صعيد مزدوج صعيد الصحة النظرية والعقلانية العملية الذي تكلمنا عنه اعلاه

المسألتان السياسيتان الملحتان في الظرف الراهن – الانتفاضة والحكومة الثورية وبصدد هاتين المسألتين تكلم وتجادل الاشتراكيون-الديموقراطيون اكثر ما تكلموا وتجادلوا وهاتان المسألتان تناولتهما القرارات الرئيسية للمؤتمر الثالث ح ع ا د ر وكونفيرانس (المجلس العام) القسم المنشق من الحزب وفي ميدان هاتين المسألتين تدور الخلافات التكتيكية الرئيسية في داخل الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا ونتساءل الآن في اي ضوء تتبدى هذه الخلافات **بعد** انتفاضة اوديسا ؟ ان كل من يكلف نفسه الآن عناء قراءة الآراء والمقالات بصدد هذه الانتفاضة من جهة والقرارات الاربعة التي خصصها مؤتمر الحزب وكونفيرانس الايسكريين الجدد لمسألتي الانتفاضة والحكومة الموقتة ، من جهة اخرى ، سيرى في الحال كيف اخذ الايسكريون الجدد ينتقلون **فعلاً** ، بتأثير الاحداث الى جانب اخصامهم ، اي كيف اخذوا يتصرفون لا وفقاً لقراراتهم ، بل وفقاً لقرارات المؤتمر الثالث ليس ثمة نقد للمذهب الخاطئ افضل من سير الاحداث الثورية .

بتأثير هذه الاحداث ، نشرت هيئة تحرير «الايسكرا» منشوراً عنوانه «انتصار الثورة الاول» وموجهاً الى «**المواطنين** والعمال والفلاحين في روسيا» اليكم اهم مقطع من هذا المنشور

وآن اوان العمل بجرأة ودعم انتفاضة الجنود الجريئة بجميع القوى الجراة ستنتصر الآن !

فاعقدوا اجتماعات علنية للشعب وانقلوا اليه نبأ انهيار سند القيصرية العسكرى ! وحيثما امكن ، استولوا على المؤسسات في المدن واجعلوا منها سنداً للادارة الذاتية الشعبية الثورية ! اطردوا الموظفين القيصريين وعينوا

انتخابات شعبية عامة الى مؤسسات الادارة الذاتية الثورية ، واعهدوا اليها بادارة الشؤون الاجتماعية موقتا حتى النصر النهائي على الحكومة القيصرية واقامة نظام الدولة الجديد استولوا على فروع مصرف الدولة ومستودعات الاسلحة وسلحوا الشعب كله ! اقيموا الصلة بين المدن ، بين المدينة والريف ، وليهرع المواطنون المسلحون الى مساعدة بعضهم بعضاً في كل مكان ، تدعو فيه الحاجة الى المساعدة ! خذوا السجون وحرروا المناضلين المسجونين فيها من اجل قضيتنا فبهم تعززون صفوفكم ! اعلنوا في كل مكان اسقاط الملكية القيصرية والاستعاضة عنها بالجمهورية الديموقراطية الحرة ! هبوا ، ايها المواطنون ! لقد دقت ساعة التحرر ! عاشت الثورة ! عاشت الجمهورية الديموقراطية ! عاشت القوات المسلحة الثورية ! لتسقط الاوتوقراطية !»

وعليه نجد امامنا نداء حازماً وسافراً وواضحاً الى الانتفاضة الشعبية العامة المسلحة ، نجد امامنا نداء حازماً بالقدر نفسه ، وان ، مع الأسف ، مستوراً وغير مكتمل ، الى تشكيل حكومة ثورية موقتة لنبحث في البدء مسالة الانتفاضة .

هل هناك فرق مبدئي بين حل هذه المسالة من قبل المؤتمر الثالث وبين حلها من قبل الكونفيرانس ؟ اجل بالتأكيد لقد سبق وتحدثنا عن هذا في العدد ٦ من «بروليتاري» («خطوة ثالثة الى الوراء») والآن نعود ايضاً الى شهادة «اوسفوبوجدينييه» الواسعة الدلالة ففي العدد ٧٢ من هذه الصحيفة ، نقرأ ان «الاغلبية» تسقط في حمأة «الثوروية المجردة ، والتمرد ، والسعي الى استثارة انتفاضة في جماهير الشعب باي وسيلة كانت ، والى الاستيلاء باسمها على السلطة فوراً» «اما الاقلية ، فانها ، على العكس مع تمسكها بشدة بعقيدة الماركسية ، تحتفظ في الوقت نفسه بالعناصر الواقعية من المفهوم الماركسي عن العالم» . ان هذه المحاكمة من جانب الليبيراليين الذين مروا بالمدرسة الاعدادية للماركسية وبالبرنشتينية خارقة القيمة . فان البرجوازيين الليبيراليين قد

اتهموا دائماً الجناح الثوري من الاشتراكية-الديموقراطية «بالثوروية المجردة والتمرد» ، ومدحوا دائماً الجنـــاح الانتهازي على «واقعية» طرحه للمسألة وقـــد اضطرت «الايسكرا» نفسها الى الاعتـــراف (انظروا العدد ٧٣ ، الملاحظة بصدد تحبيذ السيد ستروفه «لواقعية» كراس الرفيق اكيموف) بان «الواقعي» يعني «الانتهازي» على السنة الاوسفوبوجدينيين. ان السادة الاوسفوبوجدينيين لا يعرفون اي واقعية غير الواقعية الزاحفة على البطن وهم غرباء تماماً عـــن الدياليكتيك الثوري للواقعية الماركسية التي تؤكد على المهام الكفاحية للطبقـة الطليعية ، وتكشف في الموجود عناصر انهياره ولهذا كان الوصف الذي اعطته «اوسفوبوجدينييه» عـــن التيارين في الاشتراكيـــة-الديموقراطية يؤكد مرة اخرى الواقع الذي اثبته ادبنـــا ومفاده ان «الاغلبية» هي الجناح الثوري في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية ، و«الاقلية» هي الجناح الانتهازي

وتعترف «اوسفوبوجدينييه» قطعاً بان «كونفيرانس الاقليـة يقف من الانتفاضة المسلحة موقفاً يختلف تماماً» عن موقف المؤتمر. وبالفعل يضرب قرار الكونفيرانس نفسه بنفسه ، اذ ينكر تـــارة امكانية الانتفاضة المنتظمة (الفقرة الاولى) ويعترف بها طـــوراً (الفقرة «د») هذا اولاً وثانياً يكتفي بتعداد الشروط **العامة** «لاعداد الانتفاضة» ، ومنها أ – توسيع التحريض ، ب – توطيـد الصلة مع حركة الجماهير ، ج – تطوير الوعي الثوري د – اقامـة الصلة بين مختلف المحلات ، هـ – اجتذاب الجماعات غير البروليتارية الى دعم البروليتاريـا وبالعكس يرفع قرار المؤتمر صراحـــة شعارات ايجابية ، معترفاً بان الحركة **قد ادت** الى ضرورة الانتفاضة ، داعياً الى تنظيم البروليتاريـا لأجل النضال المباشر والى اتخـاذ احزم التدابير لتسليحها ، واعطاء التوضيحات في الدعاية والتحريض ، «لا للاهمية السياسية» للانتفاضة «وحسب» (وبهذا يكتفي ، مـن

حيث جوهر الامر قرار الكونفيرانس) بل ايضاً لجانبها التنظيمي العملي

ولنتصور بمزيد من الوضوح الفرق بين هذا الحل للمسألة وذاك لنتذكر تطور النظرات الاشتراكية-الديموقراطية في مسألة الانتفاضة منذ زمن نشوء الحركة العمالية الجماهيرية الدرجة الاولى عام ١٨٩٧ نقرأ في مؤلف لينين «مهمات الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» «ان حل مسألة الوسيلة التي ستلجأ اليها الاشتراكية-الديموقراطية لاجل الاطاحة رأساً بالاوتوقراطية – مسألة ما اذا كانت ستختار الانتفاض ام الاضراب السياسي الجماهيري ام اسلوباً آخر للهجوم ان حلها الآن يبدو كما لو ان جنرالات عقدوا مجلساً حربياً قبل ان يجمعوا الجيوش» (ص ١٨) هنا كما نرى لا توجد حتى كلمة عن اعداد الانتفاضة ويقتصر الكلام على جمع الجيوش اي على الدعاية والتحريض والتنظيم بوجه عام

الدرجة الثانية عام ١٩٠٢ نقرأ في كتاب لينين «ما العمل ؟»

«وتصوروا الانتفاض الشعبى يتراءى لنا ان الجميع يوافقون اليوم (في شباط ١٩٠٢) على ضرورة التفكير به والاستعداد له ولكن **كيف** نستعد ؟ أترى يجب ان تعين اللجنة المركزية عملاء في جميع النواحي لتحضير الانتفاض ؟ ولكن اللجنة المركزية ، وان كانت موجودة عندنا لا تستطيع ان تبلغ شيئاً في الظروف الروسية الراهنة عن طريق مثل هذا التعيين وعلى عكس ذلك شبكة العملاء التي تتألف من تلقاء نفسها في العمل على تنظيم وتوزيع الجريدة العامة فهي لن «تنتظر مكتوفة الايدي» شعار الانتفاض بل ستقوم على وجه التحقيق بعمل منتظم يضمن لها اكبر امكانيات النجاح في حالة الانتفاض وهذا العمل بالذات يوثق

الصلات باوسع جماهير العمال وبجميع الفئات الساخطة على الاستبداد وهو امر كبير الاهمية بالنسبة للانتفاض وعلى اساس هذا العمل بالذات تنمو ملكة التقدير الصحيح للوضع السياسي العام وبالتالي ، ملكة اختيار الساعة المناسبة للانتفاض وهذا العمل بالذات يعلم **جميع** المنظمات المحلية على النهوض في وقت واحد للجواب على المسائل والطوارئ والأحداث السياسية الواحدة التي تثير روسيا من اقصاها الى اقصاها والجواب على هذه «الاحداث» باكثر ما يمكن من النشاط والتجانس والعقلانية ، – وما الانتفاض في الجوهر غير «جواب» الشعب كله على الحكومة باكثر ما يكون من النشاط والتجانس والعقلانية وهذا العمل بالذات يعلّم اخيراً جميع المنظمات الثورية في جميع انحاء روسيا ان تقيم بينها الروابط المنتظمة جداً والسرية جداً في آن واحد هذه الروابط التي تنشئ وحدة الحزب **الفعلية** والحال لا يمكن بدون هذه الروابط ان يبحث بصورة مشتركة مشروع الانتفاض وان تتخذ في عشيته التدابير التحضيرية الضرورية التي ينبغي ان تبقى في طي الكتمان التام» (ص ١٣٦–١٣٧)

اي موضوعات تطرحها هذه المحاكمة في مسألة الانتفاضة ؟ ١ – خرافة فكرة «اعداد» الانتفاض بمعنى تعيين عملاء خاصين «ينتظرون مكتوفي الايدي» الشعارات ٢ – ضرورة الصلة **الناسئة على اساس العمل المشترك** بين الافراد والمنظمات القائمين بالعمل المنتظم ٣ – ضرورة توطيد الصلة في هذا العمل بين الفئات البروليتارية (العمال) والفئات غير البروليتارية (جميع الفئات الساخطة) ٤ – ضرورة العمل المشترك على صقل ملكة التقدير الصحيح للوضع السياسي وملكة «الجواب» بمزيد من العقلانية على الحوادث السياسية ٥ – ضرورة توحيد جميع المنظمات الثورية المحلية توحيداً فعلياً .

وامامنا بالتالي يبدو بوضوح شعار **اعداد الانتفاض** ولكنه لا توجد بعدُ دعوة صريحة الى الانتفاض لا يوجد بعدُ اعتراف بان الحركة «قد ادت» الى ضرورته وبانه من الضروري التسلح في الحال ، والانتظام في فرق قتالية ، والخ امامنا تحليل لتلك الشروط ذاتها على وجه التدقيق لاعداد الانتفاض **المكررة حرفيا او يكاد** في قرار الكونفيرانس (في عام ١٩٠٥ ! !)

الدرجة الثالثة عام ١٩٠٥ في جريدة «فبريود» وثم في قرار المؤتمر الثالث تتحقق خطوة لاحقة الى الامام **علاوة على** الاعداد السياسي العام للانتفاض يرفع **الشعار الصريح** القائل بالانتظام والتسلح في الحال لأجل الانتفاض ، وبتشكيل فرق خاصة (قتالية) لأن الحركة «قد ادت الى ضرورة الإنتفاض المسلح» (الفقرة الثانية من قرار المؤتمر)

ان هذا التوضيح التاريخي الصغير يؤدي الى ثلاثة استنتاجات اكيدة ١ – ان زعم البرجوازيين الليبيراليين ، الاوسفوبوجدينيين القائل اننا نسقط في حمأة «الثوروية **المجردة** ، والتمرد» هو كذب سافر ونحن نطرح وقد طرحنا دائماً هذه المسألة على وجه الدقة ، لا بصورة «مجردة» ، بل **في تربة ملموسة** ، حالّينها بصور مختلفة في عام ١٨٩٧ وعام ١٩٠٢ وعام ١٩٠٥ ان الاتهام بالتمرد هو تعبير انتهازي للسادة البرجوازيين الليبيراليين المستعدين لخيانة مصالح الثورة وللغدر بالثورة في عهد النضال الحاسم ضد الاوتوقراطية ٢ – توقف كونفيرانس الايسكريين الجدد عند الدرجة الثانية من تطور مسألة الانتفاض ففي عام ١٩٠٥ كرر وحسب ما كان كافياً في عام ١٩٠٢ فقط وقد **تأخر** ثلاث سنوات عن التطور الثوري .٣ – بتأثير دروس الحياة اي بتأثير انتفاضة اوديسا على وجه الضبط اعترف الايسكريون الجدد فعلاً بضرورة العمل لا بموجب توجيهات قرارهم بل بموجب توجيهات

قرار المؤتمر اي انهم اعترفوا بان مهمة الانتفاض ملحة لا تقبل التأجيل وبان الدعوات السافرة والفورية الى التنظيم الفوري للانتفاض والتسلح ضرورية اطلاقاً

لقد استبعدت الثورة في الحال المذهب الاشتراكي-الديموقراطي المتأخر ونقصت العقبات في وجهنا للاتحاد الفعلي مع الايسكريين الجدد على اساس العمل المشترك عقبة اخرى علماً بان هذا لا يعني بعدُ بالطبع زوال الخلافات المبدئية زوالاً تاماً فنحن لا يسعنا ان نرضى بان تعرج شعاراتنا التكتيكية في اثر الاحداث متكيفة لها بعد وقوعها يجب علينا ان نبذل جهدنا لكي تقودنا هذه الشعارات الى امام وتنير لنا السبيل اللاحق وترفعنا الى اعلى من مهمات الساعة المباشرة ولأجل القيام بنضال منسجم ومنتظم لا يمكن لحزب البروليتاريا ان يرسم تكتيكه حسب المناسبات بل يجب عليه ان يجمع في قراراته التكتيكية بين الاخلاص لمبادئ الماركسية وبين الحساب الصحيح للمهمات الطليعية التي تواجه الطبقة الثورية

خذوا المسألة السياسية الملحة الاخرى مسألة الحكومة الثورية الموقتة هنا نرى على الارجح بمزيد من الوضوح ان هيئة تحرير «الايسكرا» تقطع فعلاً في منشورها كل صلة بشعارات الكونفيرانس وتتبنى شعارات المؤتمر الثالث التكتيكية لقد رُمي الى البحر بالنظرية الخرقاء القائلة «بعدم طرح هدف الاستيلاء على السلطة» (لأجل الانقلاب الديموقراطي) «او تقاسم السلطة في الحكومة الموقتة» لأن المنشور يدعو صراحة الى «الاستيلاء على المؤسسات المدينية» وتنظيم «ادارة الشؤون الاجتماعية موقتاً» وان الشعار الاخرق القائل «بالبقاء حزب اقصى المعارضة الثورية» (الاخرق في عهد الثورة وان كان صحيحاً جداً في عهد النضال البرلماني فقط) قد احيل عملياً على الارشيف ، لأن

حوادث اوديسا اكرهت «الايسكرا» على ان تفهم انه من المضحك في زمن الانتفاضة الاكتفاء بهذا الشعار وانه تجب الدعوة بنشاط الى الانتفاض ، الى القيام به باشد ما يكون من الحزم والى الاستفادة من السلطة الثورية كذلك الشعار الاخرق القائل «بالكومونات الثورية» نُبذ جانباً لان حوادث اوديسا اكرهت «الايسكرا» على ان تفهم ان هذا الشعار لا يفعل غير ان يسهل الخلط بين الانقلاب الديموقراطي والانقلاب الاشتراكي والحال ان الخلط بين هذين الامرين المختلفين للغاية لا يعدو ان يكون مغامرة تدل على انعدام وضوح الفكر النظري كلياً ومن شأنها ان تصعّب تحقيق التدابير العملية الضرورية ضرورة حيوية التدابير التي تسهل على الطبقة العاملة النضال من اجل الاشتراكية في الجمهورية الديموقراطية

تذكروا المناظرة بين «الايسكرا» الجديدة و«فبريود» وتكتيكها القائل «من تحت فقط» خلافاً لشعار «فبريود» القائل «من تحت ومن فوق» ، – تروا ان «الايسكرا» تبنت حلّنا للمسألة بدعوتها الآن بنفسها الى العمل من فوق تذكروا مخاوف «الايسكرا» بصدد الاساءة الى انفسنا بانفسنا بالمسؤولية عن الخزينة والمالية وما الى ذلك ، – تروا ان «الايسكرا» اذا كانت حججنا لم تقنعها فان الاحداث نفسها تقنعها بصحة هذه الاستنتاجات، لأن «الايسكرا» توصي صراحة في المنشور الذي اشرنا اليه «بالاستيلاء على فروع مصرف الدولة» والنظرية الخرقاء التي تزعم ان ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية ومشاركة هاتين الطبقتين في الحكومة الثورية الموقتة هما «خيانة للبروليتاريا» او «جوريسية (ميليرانية) مبتذلة» – انما نساها بكل بساطة الايسكريون الجدد الذين يوجهون الآن بانفسهم الى العمال والفلاحين على وجه الدقة دعوة الى الاستيلاء على المؤسسات المدينية ، وفروع مصرف الدولة ، ومستودعات الاسلحة ،

و«تسليح الشعب بأسره» (تسليحه الآن ، على الارجح **بالسلاح** وليس فقط «بالحاجة الماسة الى التسلح الذاتي») واعلان اسقاط المَلَكية القيصرية ، والخ – خلاصة القول ، الى العمل كلياً حسب البرنامج الوارد في قرار المؤتمر الثالث ، والعمل على وجه الدقة كما يشير شعار الديكتاتورية الديموقراطية الثورية والحكومة الثورية الموقتة

صحيح ان «الايسكرا» لا تذكر في منشورها لا هذا الشعار ولا ذاك فهي تعدد وتصف جميع الاعمال التي يميز مجملها الحكومة الثورية الموقتة ولكنها تتحاشى هذه الكلمة وعبثاً تفعل هذا وهي تتبنى عملياً بنفسها هذا الشعار اما انعدام التعبير الواضح فليس بوسعه الا ان يبذر بذور التردد والميوعة ، والغموض في عقول المناضلين ان الخوف من **كلمات** «الحكومة الثورية» «السلطة الثورية» هو خوف فوضوي صرف وغير جدير بالماركسي فلأجل «الاستيلاء» على المؤسسات والمصارف و«تعيين الانتخابات» والتكليف «بادارة الشؤون موقتاً» ، و«اعلان اسقاط المَلَكية» ، – لهذا الغرض ، ينبغي اطلاقاً في البدء تأليف واعلان حكومة ثورية موقتة من شأنها ان توحد وتوجه نحو هدف واحد الشعب الثائر في كل نشاطه الحربي والسياسي فبدون هذا الاتحاد بدون الاعتراف العام بالحكومة الثورية الموقتة من جانب الشعب بدون انتقال السلطة بكاملها الى الحكومة الثورية الموقتة ، يبقى كل «استيلاء» على المؤسسات كل «اعلان» للجمهورية نزوة تمردية بسيطة وفارغة فان عزيمة الشعب الثورية اذا لم تركزها الحكومة الثورية تتجزأ بعد اول توفيق تحرزه الانتفاضة وتتفتت الى توافه وتفقد ابعادها الوطنية العامة ولا تقوم بمهمة الاحتفاظ بما تم الاستيلاء عليه ومهمة تحقيق ما نودي به .

ونكرر ان الاشتراكيين-الديموقراطيين الذيـــن لم يعترفوا بقرارات المؤتمر الثالث ح ع ا د ر قد اضطروا فعلاً في الواقع بحكم مجرى الاحداث الى العمل على وجه الدقة بموجب الشعارات التي اعطاهـــا هذا المؤتمر والى نبذ شعـــارات الكونفيرانس ان الثورة تعلّم وقضيتنا ان نستفيد من دروسهـا الى آخر نقطة منها ونطابق بين شعاراتنا التكتيكية وبين مسلكنا ومهماتنـــا المباشرة وننشر بين الجماهير الفهم الصحيح لهذه المهمات المباشرة ، ونشرع في تنظيم العمال على اوسع نطـــاق في كل مكان لأجل اهداف الانتفاض القتالية لأجل انشـــاء الجيش الثوري وتاليف الحكومة الثورية الموقتة !

«بروليتاري» ، العدد ٩ ، ٢٦ (١٣) تموز (يوليو) ١٩٠٥

المجلـــــد ١١ ، ص‌ص ١٣٣ـ١٤٣

الاشتراكية والفلاحون

الثورة التي تعيشها روسيا هي ثورة شعبية شاملة فان مصالح الشعب بأسره قد دخلت في تناقض مستعص مع مصالح حفنة من الافراد يشكلون الاوتوقراطية ويدعمونها ثم ان مجرد وجود المجتمع المعاصر القائم على اساس الاقتصـــاد البضاعي يتطلب نظراً للفرق الهائل والتناقض الصارخ بين مصالح مختلف الطبقات والفئات من السكان القضاء على الاوتوقراطية والحرية السياسية والتعبير السافر والمباشر عن مصالح الطبقات السائدة في تنظيم الدولة وادارتها وان الانقلاب الديموقراطي البرجوازي من حيث جوهره الاجتماعي الاقتصـــادي لا بد له ان يعبر عن حاجات المجتمع البرجوازي بأسره

ولكن هذا المجتمع نفسه الذي يبدو في الوقت الحاضر موحداً ومتضامناً في النضال ضد الاوتوقراطية انما تشقه هوة لا عودة عنها بين الرأسمال والعمل فان الشعب الذي هب ضد الاوتوقراطية ليس شعباً موحداً المالكون والعمـــال الاجراء العدد الطفيف («الآلاف العشرة في القمة») من الاغنياء وعشرات الملايين من المعدمين والكادحين انما هم حقاً وفعلاً «امتان» كما قال انجليزي بعيد النظر في النصف الاول من القرن التاسع عشر (٢١٩) ان النضال بين البروليتاريا والبرجوازية يرد في جدول الاعمـــال في

اوروبا بأسرها وهذا النضال انتشر وشمل روسيا ايضاً من زمان ان ما يؤلف مضمون الثورة في روسيا المعاصرة ليس قوتين متناضلتين بل حربان اجتماعيتان مختلفتان ومتنوعتان احداهما في قلب نظام القنانة والاوتوقراطية المعاصر والثانية في قلب النظام المقبل ، النظام البرجوازي الديموقراطي الذي يولد امام عيوننا احداهما نضال الشعب بأسره في سبيل الحرية (في سبيل حرية المجتمع البرجوازي) في سبيل الديموقراطية اي في سبيل اوتوقراطية الشعب والثانية نضال البروليتاريا الطبقي ضد البرجوازية في سبيل التنظيم الاشتراكي للمجتمع

وهكذا تقع على عاتق الاشتراكيين مهمة شاقة وعسيرة – هي ان يخوضوا في آن واحد حربين مختلفتين تماماً سواء من حيث الطابع او الاهداف او قوام القوى الاجتماعية القادرة على الاشتراك بثبات في هذه الحرب او تلك وهذه المهمة العسيرة طرحتها الاشتراكية-الديموقراطية بوضوح وحلتها بحزم لانها اتخذت من الاشتراكية العلمية اي من الماركسية اساساً لبرنامجها كله لانها دخلت كفصيلة من الفصائل في جيش الاشتراكية-الديموقراطية العالمية التي تحققت من صحة موضوعات الماركسية واكدتها واوضحتها وطورتها بمزيد من التفصيل استناداً الى خبرة عدد كبير من الحركات الديموقراطية والاشتراكية في شتى البلدان الاوروبية

ان الاشتراكية-الديموقراطية الثورية كانت تبين وقد بينت من زمان الطابع البرجوازي للنزعة الديموقراطية الروسية ابتداء من صيغتها الليبيرالية-الشعبية وانتهاء بصيغتها «الاوسفوبوجدينية» لقد كانت تبين على الدوام ما يلازم النزعة الديموقراطية البرجوازية من نصفية ومحدودية وضيق وقد طرحت امام البروليتاريا الاشتراكية في عهد الثورة الديموقراطية المهمة

التالية وهي ان تجتذب الى جانبها سواد الفلاحين وتشل تذبذب البرجوازية وتحطم الاوتوقراطية وتسحقها ان انتصار الثورة الديموقراطية الحاسم لا يمكن الا بصورة ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية ولكن كلما تحقق هذا الانتصار بمزيد من السرعة والكمال كلما تفاقمت التناقضات الجديدة والنضال الطبقي الجديد بمزيد من السرعة والعمق على صعيد النظام البرجوازي الديموقراطي كلياً وكلما حققنا الانقلاب الديموقراطي بمزيد من الكمال ، كلما واجهنا مهام الانقلاب الاشتراكي بمزيد من القرب وازداد نضال البروليتاريا ضد اسس المجتمع البرجوازي ذاتها حدة وضراوة .

فينبغي على الاشتراكية-الديموقراطية ان تخوض نضالاً دائباً ضد كل انحراف عن هذه الطريقة في طرح مهمات البروليتاريا الثورية-الديموقراطية منها والاشتراكية ومن السخافة تجاهل طابع الثورة الحالية الديموقراطي ، اي البرجوازي اساساً ولهذا من السخافة رفع شعارات كشعار انشاء الكومونات الثورية ومن السخافة والرجعية الاستصغار من شأن مهمة اشتراك البروليتاريا، – علماً بانه اشتراك قيادي – في الثورة الديموقراطية ، بالتنكر على الاقل لشعار ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية من السخافة الخلط بين مهام وظروف الثورة الديموقراطية والثورة الاشتراكية المختلفتين – ونكرر قولنا – سواء من حيث الطابع ام من حيث قوام القوى الاجتماعية التي تشترك فيها

وعلى هذا الخطأ الاخير بالذات نعتزم الآن التوقف بمزيد من التفصيل ان انعدام تطور التناقضات الطبقية في صفوف الشعب على العموم وفي صفوف الفلاحين على الخصوص انما هو ظاهرة محتمة في عهد الثورة الديموقراطية التي خلقت للمرة الاولى الاسس لاجل تطور الرأسمالية تطوراً واسعاً حقاً وفعلاً . وانعدام تطور

الاقتصاد هذا يستتبع بقاء الاشكال المتأخرة للاشتراكية وانبعاثها بهذه الصورة او تلك هذه الاشتراكية التي هي اشتراكية برجوازية صغيرة لانها تضفي صفة مثالية على التحويلات التي لا تتعدى اطار العلاقات البرجوازية الصغيرة ان سواد الفلاحين لا يدرك ولا يسعه ان يدرك ان «الحرية» الاكثر كمالاً والتوزيع الاوفر «عدلاً» ، وان حتى للارض كلها ، لا يقضيان على الرأسمالية، وليس هذا وحسب بل يخلقان بالعكس ، الشروط لاجل تطور الرأسمالية تطوراً واسعاً وجباراً بخاصة وفي حين لا تفرز الاشتراكية-الديموقراطية ولا تدعم غير المضمون الديموقراطي الثوري لهذه المطامح الفلاحية تبني الاشتراكية البرجوازية الصغيرة من اللاوعي الفلاحي نظرية خالطة او دامجة في كل واحد شروط ومهام الانقلاب الديموقراطي الفعلي والانقلاب الاشتراكي المتخيل

واوضح تعبير عن هذه الايديولوجية البرجوازية الصغيرة غير الواضحة برنامج – والاصح القول مشروع برنامج «الاشتراكيين-الثوريين» الذين تسرعوا في المناداة بانفسهم حزباً بقدر ما كانت اشكال الحزبية ومقدماتها اقل تطوراً عندهم وبتحليل مشروع برنامجهم (راجعوا «فبريود» ، العدد ٣*) ، سنحت لنا الفرصة لكي نبين ان جذر مفاهيم الاشتراكيين-الثوريين هو الشعبية الروسية القديمة ولكن بما ان تطور روسيا الاقتصادي كله ومجرى الثورة الروسية كله ينتزعان التربة من تحت دعائم الشعبية الخالصة ، كل يوم وكل ساعة ، بلا رحمة ولا شفقة ، فان مفاهيم الاشتراكيين-الثوريين تصبح لا مناص مفاهيم اختيارية وهم يحاولون اصلاح فتوق الشعبية برقع من «انتقاد» الماركسية

* راجع مقال لينين : «من الشعبية الى الماركسية» . **الناشر** .

الانتهازي الدارج ولكن الثوب المهلهل لا يصبح من جراء ذلك امتن ان برنامجهم انما هو ، على العموم وبالاجمال ، شيء لا حياة فيه البتة ، شيء حافل بالتناقضات ولا يعبر في تاريخ الاشتراكية الروسية الا عن احدى المراحل في الطريق من روسيا الاقطاعية الى روسيا البرجوازية في الطريق «من الشعبية الى الماركسيـــة» وهذا التعريف النموذجي بالنسبة لجملة كاملة من سواقي الفكر الثوري المعاصر الصغيرة الى هذا الحد او ذاك يصح ايضاً على المشروع الجديـــد للبرنامج الزراعي للحـــزب الاشتراكـــي البولونـــي (٢٢٠) المنشور في العـــدد ٦–٨ من "Przedświt„ (٢٢١)

يقسم المشروع البرنامج الزراعي الى قسمين القسم الاول يعرض «الاصلاحات التي نضجت الظروف الاجتماعيـــة لاجـــل تحقيقها» القسم الثاني «يصوغ تتويج وتكامل الاصلاحات الزراعية المعروضة في القسم الاول» والقسم الاول ينقســـم بدوره الى ثلاثة فصول أ – حماية العمل – مطالب في مصلحة البروليتاريا الزراعية ب – الاصلاحات الزراعية (بالمعنى الضيق او المطالب الفلاحية كما يقال) ج – حماية سكان الريف (الادارة الذاتيـــة والخ .)

في هذا البرنامج خطوة نحو الماركسية هي محاولة فصل شيء من نوع برنامج الحد الادنى عن برنامج الحد الاقصى ، – ثم طرح مطالب ذات طابع بروليتاري صرف بصورة مستقلة تماماً ، – ثم الاعتراف في حيثيات البرنامج بانه لا يجوز البتة للاشتراكي ان «يتملق غرائز الملكية عند جماهير الفلاحين» والحال اذا امعنّا الفكر في الحقيقة الواردة في الموضوعة الاخيرة وطورناها بانسجام الى النهاية فان الحاصل سيكون حتماً برنامجاً ماركسياً بحتاً ولكن المصيبـــة ان الحزب الاشتراكي البولوني ليس حزبـــاً

بروليتارياً منسجماً وهو يستمد افكاره بنفس القدر من الرضى والسرور من النقد الانتهازي للماركسية ونقرأ في حيثيات البرنامج «من جراء ميل ملكية الارض غير المثبت الى التمركز ليس من المعقول اخذ جانب الدفاع عن هذا الشكل للاقتصاد بكامل الصدق واليقين واقناع الفلاح بحتمية زوال الاستثمارات الصغيرة»

ان هذا لا يعدو ان يكون صدى للاقتصاد السياسي البرجوازي فان الاقتصاديين البرجوازيين يبذلون قصارى جهدهم لتلقين الفلاح الصغير فكرة امكانية الجمع بين الرأسمالية ويسر الزارع الصغير المالك ولهذا يطمسون المسألة العامة مسألة الاقتصاد البضاعي ونير الرأسمال وتدهور وتردي الاستثمارة الفلاحية الصغيرة بمسألة خاصة هي مسألة تمركز ملكية الارض وهم يغمضون عيونهم على كون الانتاج الكبير في الفروع التجارية المختصة من فروع الزراعة يتطور سواء في ملكية الارض الصغيرة ام المتوسطة وكون هذه الملكية تتفسخ سواء بحكم نمو بدلات الايجار ام تحت وطأة الرهونات ام تحت ضغط الربا وهم يتركون في الظل هذا الواقع الذي لا مراء فيه وهو تفوق الاستثمارة الكبيرة التكنيكي في الزراعة وكذلك تردي شروط حياة الفلاح في نضاله ضد الرأسمالية ولا شيء في اقوال الحزب الاشتراكي البولوني غير ترديد لهذه الاوهام البرجوازية التي يبعثها اضراب دافيد المعاصرون

ان تقلقل المفاهيم النظرية يؤثر كذلك في البرنامج العملي خذوا القسم الاول – الاصلاحات الزراعية بالمعنى الضيق من جهة تقرأون البند ٥ – «الغاء جميع القيود لدن شراء الحصص و٦ – الغاء «الشرفاركي» (٢٢٢) وعربات النقل (الفرائض العينية)». هذه مطالب دنيا ماركسية صرف . وبتقديمها (ولا سيما في البند ٥)

يخطو الحزب الاشتراكي البولوني خطوة الى الامام بالمقارنة مع اصحابنا الاشتراكيين-الثوريين الذين مع «موسكوفسكيه فيدوموستى» يميلون الى «استحالة التنازل عن حصص الارض» الشهيرة وبتقديمها يقترب الحزب الاشتراكي البولوني لصقاً من الفكرة الماركسية القائلة بالنضال ضد بقايا القنانة بوصفه اساس ومضمون الحركة الفلاحية الحالية ولكن الحزب الاشتراكي البولوني رغم اقترابه من هذه الفكرة بعيد عن القبول بها بصورة كلية وواعية

ان البنود الرئيسية في برنامج الحد الادنى الذي ندرسه تنص على ما يلي «١ – تأميم الاقطاعات الاميرية واملاك الدولة والكنيسة ، عن طريق المصادرة ٢ – تأميم ملكية الارض الكبيرة في حال انعدام الورثة المباشرين ٣ – تأميم الغابات والانهر والبحيرات» ان هذه المطالب تشوبها جميع نواقص البرنامج الذي يطرح من اجل الوقت الحاضر مطلب تأميم الارض في المرتبة الاولى فطالما لا تتوفر الحرية السياسية الكاملة وحكم الشعب المطلق وطالما لا توجد جمهورية ديموقراطية فان طرح مطلب التأميم هو شيء سابق لاوانه وغير معقول لان التأميم يعني الانتقال الى يد الدولة ، والواقع ان الدولة الحالية هي دولة بوليسية وطبقية ، ودولة المستقبل ستكون على كل حال دولة طبقية وهذا المطلب لا يصلح على الاخص بصفته شعاراً يدفع الى الامام في اتجاه اشاعة الديموقراطية لانه ينقل مركز الثقل لا الى علاقات الفلاحين بالملاكين العقاريين (ان الفلاحين سيأخذون اراضي الملاكين العقاريين) بل الى علاقات الملاكين العقاريين بالدولة ان طرح المسألة على هذا النحو زائف من جذوره بالنسبة لظرف يكافح فيه الفلاحون بالسبيل الثوري من اجل الارض ضد الملاكين العقاريين وضد دولة الملاكين العقاريين على السواء . اللجان الفلاحية الثورية

لأجل المصادرة ، كاداة للمصادرة ، – ذلك هو الشعار الوحيد الذي يناسب مثل هذا الظرف والذي يدفع الى الامام النضال الطبقي ضد الملاكين العقاريين على صلة لا انفصام لعراها مع تدمير دولة الملاكين العقاريين بالسبيل الثوري

والبنود الاخرى في برنامج الحد الادنى الزراعي كما وردت في مشروع الحزب الاشتراكي البولوني هي التالية «٤ – الحد من حق الملكية لانه يمسي عقبة امام التحسينات الزراعية اياً كانت (تجويد التربة) اذا اعتبرت اغلبية ذوي العلاقة هذه التحسينات امراً ضرورياً ٧ – تأميم ضمان الحبوب من الحريق وضربات البَرَد ، والمواشي من الاوبئة ، ٨ – المساعدة التشريعية من جانب الدولة في تشكيل الارتيلات الزراعية والتعاون ٩ – مدارس الهندسة الزراعية»

هذه البنود مفعمة كلياً بروح الاشتراكيين-الثوريين او (وهو الشيء نفسه) مفعمة كلياً بروح الاصلاحية البرجوازية ولا شيء ثورياً فيها انها بالطبع تقدمية ولا مراء في هذا ولكنها تقدمية في مصلحة المالكين وان طرحها من جانب الاشتراكي يعني على وجه الدقة تملق غرائز الملكية وطرحها يعني نفس ما تعنيه المطالبة بمساعدة الدولة للتروستات والكارتلات والسَندِيكات وجمعيات الصناعيين التي ليست اقل «تقدمية» من التعاون والضمان وخلافهما في الزراعة كل هذا تقدم رأسمالي والعناية به ليست من شأننا بل من شأن ارباب العمل اصحاب المشاريع وخلافاً للاشتراكية البرجوازية الصغيرة تترك الاشتراكية البروليتارية للكونتات من آل دي روكيني وللملاكين العقاريين-الزيمستفويين ومن لف لفهم امر العناية بتعاونيات ارباب العمل والمالكين وتعنى هي نفسها كلياً وبوجه الحصر بتعاون **العمال الاجراء** بغية **النضال ضد ارباب العمل** .

انظروا الآن الى القسم الثاني من البرنامج انه يتألف من البند التالي وحده «تأميم ملكيـــة الارض الكبيرة عن طريـــق المصادرة الاراضي المحروثة والمروج التي يكتسبها الشعب على هذا النحو يجب تقسيمها الى حصص وتسليمها للفلاحين الذين لا يملكون ارضاً او الذين يملكون قطعـــاً صغيرة من الارض ، على سبيل التأجير المضمون الطويل الامد»

«تتويج» ممتاز والحق يقال فان حزباً يقول عن نفسه بانه حزب اشتراكي يعرض ، على سبيل «تتويج وتكامل الاصلاحات الزراعية» طوبوية برجوازية صغيرة سخيفة وليس البتة تنظيماً اشتراكياً للمجتمع وامامنا اجلى مثال على الخلط التـــام بين الانقلاب الديموقراطي والانقلاب الاشتراكي على انعدام الفهم التام لاهدافهما المختلفة فان انتقال الارض من الملاكين العقاريين الى الفلاحين قد يكون – وكان في اوروبا في كل مكان – جزءاً لا يتجزأ من الانقلاب الديموقراطي مرحلة من مراحل الثورة البرجوازيـــة ولكنه لا يمكن لغير الراديكاليين البرجوازيين ان ينعتوه بالتتويج او بالسير الى النهاية ان اعادة توزيع الارض بين هذه او تلك من فئات المالكين هذه او تلك من طبقات المالكين قد تكون نافعة وضرورية من اجل انتصار الديموقراطية من اجل محو آثار القنانة تماماً ورفع مستوى حياة الجماهير وتعجيل تطور الرأسمالية والخ ، – وان احزم التأييد لمثل هذا الاجراء قد يكون الزامياً على البروليتاريا الاشتراكية في عهد الثورة الديموقراطية ولكنه لا يمكن ان يكون «تتويجاً وسيراً الى النهاية» غير الانتاج **الاشتراكي** وليس الانتاج الفلاحي الصغير ان «ضمان» الايجار الفلاحي الصغير مع الحفاظ على الاقتصاد البضاعي والرأسمالية انما هو طوبويـــة برجوازية صغيرة رجعية ، لا اكثر

نحن نرى الآن ان الخطأ الاساسي للحزب الاشتراكي البولوني

لا يلازمه هو وحده وليس الخطأ الوحيد وليس خطأ من باب الصدفة فهو يعبر بشكل اوضح واجلى (مما تعبـــر «جتمعة» الاشتراكيين-الثوريين الشهير الذي لا يفهمه الاشتراكيون-الثوريون انفسهم) عن الخطأ **الجذري** الذي اقترفته الشعبية الروسية كلها والليبيرالية والراديكالية البرجوازية الروسية **كلها** في المسألـــة الزراعية بما فيه ذاك الذي ظهر في المناقشات اثناء مؤتمر اعضاء الزيمستفوات الاخير (في ايلول – سبتمبر) في موسكو

وهذا الخطأ الجذري يمكن الاعراب عنه كما يلي

برنامج الحزب الاشتراكي البولوني ليس ثوريـــاً في طرح الاهداف القريبة . وليس اشتراكياً في اهدافه النهائية .

او بتعبير آخر من جـــراء عدم فهـــم الفرق بين الانقلاب الديموقراطي والانقلاب الاشتراكي لا تفصح المهمات الديموقراطية عن جانبها الثوري فعلاً ، في حين ان المهمات الاشتراكية تنطوي على كل غموض المفهوم البرجوازي الديموقراطي عن العالم ويكون الحاصل شعاراً هو بالنسبة للديموقراطي غير ثوري كفايـــة وبالنسبة للاشتراكي مشوش بشكل لا يغتفر

اما برنامج الاشتراكية-الديموقراطية فانه على العكس يلبي جميع المطالب سواء منها المتعلقة بمســـاندة النزعـــة الديموقراطية الثورية حقاً ام بطرح الهدف الاشتراكي الواضح ففي الحركة الفلاحية الحالية نرى النضال ضد القنانة ، النضال ضد الملاكين العقاريين وضد دولة الملاكين العقاريين وهذا النضال نسانده الى النهاية والشعار الصحيح الوحيد لاجل هذه المساندة هو المصادرة عن طريق اللجان الفلاحية الثورية اما ما يجب عمله بالاراضي المصادرة فتلك مسالة ثانوية ولسنا نحن الذين سنحلها ، بل الفلاحون وعند حلها يبدأ على وجه الضبط النضال بين البروليتاريا والبرجوازية في صفوف الفلاحين . ولهذا ، إما ان

نترك هذه المسالـــة معلقـــة (الامر الذي لا يطيب للمهووسين البرجوازيين الصغار في وضع المشاريع) ، وإما ان نكتفي باعطاء اشارة الى **بداية** الطريق بصورة استرداد الاراضي المقتطعة (٢٢٣) (الامر الذي يرى فيه اولئك الذين قلما يفكرون عقبة امام الحركة رغم العديد من توضيحات الاشتراكية-الديموقراطية)

ولكي يضطلع الاصلاح الزراعي الذي لا مناص منه في روسيا المعاصرة بدور ديموقراطي ثوري توجد وسيلة واحدة فقط هي القيام به بمبادرة الفلاحين انفسهم بمبادرتهم الثورية رغم انف الملاكين العقاريين والبيروقراطية ، رغم انف الدولة ، اي القيام به بالسبيل الثوري ان اسوأ توزيع للارض بعد **هذا** التحويل سيكون افضل من التوزيع الحالي من جميع وجهات النظر وهذا السبيل نشير اليه ، واضعين في رأس الزاوية مطلب اللجان الفلاحية الثورية

ولكننا فضلاً عن هذا نقـــول للبروليتاريا الزراعيـــة «ان انتصار الفلاحين الحاسم الذي يجب عليك ان تساعديه الآن بجميع القوى لن ينقذك من الفقر فلهذا الغرض يوجد اجراء واحد فقط هو انتصار البروليتاريا كلها – الصناعية منها والزراعيـــة – على البرجوازية كلها ، وبناء المجتمع الاشتراكي»

مع الفلاحين المالكين ضد الملاكين العقاريين ودولة الملاكين العقاريين مع بروليتاريا المدن ضد البرجوازية كلها وضد جميع الفلاحين المالكين ذلك هو شعار البروليتاريا الريفية الواعية واذا لم يتبنّ المالكون الصغار هذا الشعار في الحال او حتى اذا لم يتبنوه اطلاقاً ، فانه سيصبح بالمقابل شعار العمال ، وستؤكده الثورة كلها لا محالة ، وسينقذنا من الاوهام البرجوازية الصغيرة ، ويبين لنا هدفنا الاشتراكي بوضوح ودقة

«بروليتاري» ، العدد ٢٠ ، ١٠ تشرين الاول (اكتوبر) (٢٧ ايلول ــ سبتمبر) ١٩٠٥

المجلـــــد ١١ ، ص‌ص ٢٨٢ــ٢٩١

ملاحظات

١ ــ وضع لينين كتاب «**ما العمل ؟ المسائل الملحة لحركتنا**» في اواخر سنة ١٩٠١ ــ اوائل سنة ١٩٠٢

وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠١ ، نشر لينين في العدد ١٢ من جريدة «الايسكرا» مقالا بعنوان «محادثة مع المدافعين عن الاقتصادية» وصفه فيما بعد بانه رؤوس اقلام «ما العمل ؟» وفي شباط (فبراير) ١٩٠٢ ، كتب لينين مقدمة الكتاب وفي اوائل آذار (مارس) اصدرت دار ديتس للنشر في شتوتغارت كتاب «ما العمل ؟» واعلنت «الايسكرا» ذلك في ١٠ آذار ١٩٠٢ في عددها ١٨

لعب كتاب «ما العمل ؟» دوراً هاماً في النضال من اجل تاسيس حزب ماركسي ثوري للطبقة العاملة في روسيا ، وفي تامين الانتصار للاتجاه الايسكري اللينيني في لجان ومنظمات ح ع ا د ر (حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا) ، ومن ثم ، سنة ١٩٠٣ ، في مؤتمر هذا الحزب الثاني .

في سنتي ١٩٠٢ــ١٩٠٣ ، انتشر الكتاب انتشاراً واسعاً في المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية بروسيا . ــ ص ١١

٢ ــ صدر مقال لينين «**بم نبدأ ؟**» كمقال افتتاحي في العدد ٤ من جريدة «الايسكرا» وتضمن اجوبة على القضايا الهامة التى طرحها ذلك الزمن امام الحركة الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا بصدد طابع التخريض السياسى ومضمونه الرئيسى ، بصدد المهام التنظيمية

ومشروع بناء حزب ماركسي كفاحي لعامة روسيا . وصف لينين مقال «بم نبدأ ؟» بانه الخطوط الكبرى للمشروع الذي عرضه مفصلاً في كتابه «ما العمل ؟»

جاء المقال وثيقة برنامجية للاشتراكية-الديموقراطية الثوريه وانتشر انتشاراً واسعاً في روسيا وفي الخارج . ــ ص ١١

٣ ــ **«الايسكرا»** («الشرارة») ــ هي اول جريدة ماركسية سرية لعامة روسيا ، أسسها لينين سنة ١٩٠٠ ولعبت الدور الفاصل في تاسيس حزب الطبقة العاملة الماركسي الثوري في روسيا

لما كان الطغيان البوليسي يجعل من المستحيل اصدار جريدة ثورية في روسيا ، فقد وضع لينين ، حين كان منفياً في سيبيريا ، مشروعاً لاصدار هذه الجريدة في الخارج وعندما انتهت مدة نفيه (في كانون الثاني ــ يناير ــ سنة ١٩٠٠) ، شرع بتحقيق مشروعه

صدر العدد الاول من «الايسكرا» اللينينية في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٠ في ليبزيغ ، وصدرت الاعداد التالية في موليخ ، وابتداء من تموز (يوليو) ١٩٠٢ في لندن ، ومن ربيع سنة ١٩٠٣ في جينيف وكان لينين يقوم في الواقع بمهام موجه «الايسكرا» ورئيس تحريرها

غدت «الايسكرا» مركز توحيد القوى الحزبية وتاسست في جملة من مدن روسيا فرق ولجان لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا اتجاهها ايسكري

وضعت هيئة تحرير «الايسكرا» ونشرت لاجل البحث والمناقشة مشروع برنامج الحزب ، وحضرت المؤتمر الثاني لح ع ا د ر (سنة ١٩٠٣) نوّه المؤتمر الثاني لح ع ا د ر بالخدمات الجلى التي قدمتها «الايسكرا» في توحيد جميع المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا في حزب واحد ، واعلنها لسان حال الحزب

ولكن ، بعد المؤتمر الثاني لح ع ا د ر بفترة وجيزة ، نشب الصراع في هيئة تحرير الجريدة بين لينين وممثلي لاتجاه الانتهازي ،

المناشفة خرج لينين من هيئة التحرير ومنذ العدد ٥٢ (تشرين الثاني – نوفمبر – ١٩٠٣) ، اخذت «الايسكرا» تسمى «بالايسكرا» **الجديدة** تمييزاً لها عن «الايسكرا» **اللينينية القديمة** حول المناشفة «الايسكرا» الى صحيفة للنضال ضد الماركسية وضد الحزب ، والى منبر للترويج بالانتهازية . – ص ١١

٤ – في ربيع وصيف سنة ١٩٠١ ، جرت بين المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية في الخارج («اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس ولجنة البوند في الخارج والمنظمة الثورية «الاشتراكي-الديموقراطي» وفرع لمنظمة «الايسكرا» – «زاريا» في الخارج) بوساطة ومبادرة فرقة «النضال» مفاوضات حول الاتحاد وبقصد تحضير المؤتمر الذي ينبغي للاتحاد ان يتم فيه ، انعقد في جينيف في حزيران (يونيو) سنة ١٩٠١ كونفيرانس (مجلس عام) لممثلي هذه المنظمات (ومن هنا انبثقت تسميته – «كونفيرانس حزيران» او «كونفيرانس جينيف») وفي هذا الكونفيرانس ، وضع قرار («اتفاق مبدئي») يعترف بضرورة تراص جميع المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية ويشجب الانتهازية بجميع مظاهرها وتلاوينها من «اقتصادية» وبرنشتينية وميليرانية ، الخ الا ان انعطاف «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» وجريدته «رابوتشييه ديلو» انعطافاً جديداً نحو الانتهازية قد حتم مسبقاً اخفاق محاولات التوحيد

انعقد **المؤتمر التوحيدي لمنظمات حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا في الخارج** في ٢١–٢٢ ايلول (سبتمبر) (٤–٥ تشرين الاول – اكتوبر) ١٩٠١ في زوريخ وفي المؤتمر تمثلت منظمة «الايسكرا» – «زاريا» ، والمنظمة الثورية «الاشتراكي-الديموقراطي» ، و«اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» وفرقة «النضال»

وبما ان المؤتمر اتخذ قرارات بروح الانتهازية ، فقد تلا القسم الثوري من المؤتمر (اعضاء منظمة «الايسكرا» – «زاريا» ومنظمة «الاشتراكي-الديموقراطي») تصريحاً باستحالة التوحيد وانسحب من المؤتمر . – ص ١١ .

٥ ــ **الاقتصادية** ــ تيار انتهازي في الحركة الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين .
حصر «الاقتصاديون» مهام الطبقة العاملة في النضال الاقتصادي من اجل زيادة الاجور ، وتحسين شروط العمل ، والخ .، زاعمين ان النضال السياسي هو من شان البرجوازية الليبيرالية وانكر الاقتصاديون الدور القيادي لحزب الطبقة العاملة ، واعتبروا انه يجب على الحزب ان يكتفي بتأمل مجرى الحركة العفوي ، وان يكون مجرد مسجل للاحداث وبالاستخذاء امام عفوية الحركة العمالية ، حطوا من شان النظرية الثورية والوعي زاعمين انه يمكن ان تنبثق الايديولوجية الاشتراكية من الحركة العمالية العفوية . ــ ص ١٢

٦ ــ **«رابوتشييه ديلو»** («قضية العمال») ــ مجلة غير دورية ، لسان حال «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الخارج» صدرت في جينيف من ليسان (ابريل) ١٨٩٩ حتى شباط (فبراير) ١٩٠٢ صدر منها ١٢ عدداً (تسعة كتب) كانت هيئة تحرير «رابوتشييه ديلو» مركز «الاقتصاديين» في الخارج ايدت «رابوتشييه ديلو» الشعار البرنشتيني القائل بـ«حرية نقد» الماركسية ، ووقفت مواقف انتهازية في القضايا المتعلقة بتكتيك الاشتراكية-الديموقراطية الروسية ومهامها التنظيمية في المؤتمر الثاني اح ع ا د ر ، كان انصار «رابوتشييه ديلو» يمثلون الجناح الانتهازي اليميني المتطرف في الحزب . ــ ص ١٢

٧ ــ **«رابوتشايا غازيتا»** («جريدة العمال») ــ جريدة سرية للاشتراكيين-الديموقراطيين في كييف صدر منها عددان فقط العدد الاول في آب (اغسطس) ١٨٩٧ والعدد الثاني في كانون الاول (ديسمبر) من السنة نفسها (ويحمل تاريخ تشرين الثاني ــ نوفمبر) اعترف المؤتمر الاول اح ع ا د ر (الذي انعقد في آذار ــ مارس ــ ١٨٩٨) بجريدة «رابوتشايا غازيتا» لسان الحال الرسمي للحزب بعد ارفضاض المؤتمر ، وبنتيجة اعتقال اعضاء اللجنة المركزية

وهيئة تحرير «رابوتشايا غازيتا» ، وتحطيم البوليس للمطبعة لم يصدر العدد الثالث الذي كان معداً للصف وفي سنة ١٨٩٩ جرت محاولة لبعث «رابوتشايا غازيتا» وعن هذه المحاولة يتكلم لينين في الفقرة «أ» من الفصل الخامس من كتابه «ما العمل ؟» (انظروا هذا المجلد ص ص ٢٠٠-٢٠١) - ص ١٢

٨ - **اللاساليون والايزيناخيون** - حزبان تواجدا في الحركة العمالية الالمانية في الستينيات وفي مستهل السبعينيات من القرن التاسع عشر ، ودار بينهما نضال عنيف حول قضايا التكتيك بصورة رئيسية ، وبالدرجة الاولى حول قضية كانت احدّ قضية في حياة المانيا السياسية في تلك السنين - قضية سبل توحيد المانيا

اللاساليون - انصار واتباع الاشتراكي الالماني البرجوازي الصغير فرديناند لاسال ، اعضاء «اتحاد العمال الالمان العام» الذي تاسس في مؤتمر جمعيات العمال بليبزيغ سنة ١٨٦٣ كان لاسال اول رئيس لهذا الاتحاد وضع لاسال برنامج الحزب وأسس تكتيكه أيد لاسال في نشاطه العملي مع انصاره سياسة بيسمارك ، سياسة الدولة الكبرى الطامحة الى التزعم والتوسيع . وقد كتب انجلس في رسالة وجهها الى ماركس في ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٦٥ يقول «ان هذا موضوعيا سفالة وخيانة للحركة العمالية كلها لصالح البروسيين» . غير مرة ، انتقد ماركس وانجلس انتقاداً شديداً تكتيك اللاسالية ومبادئها التنظيمية بوصفها تياراً انتهازياً في الحركة العمالية الالمانية

الايزيناخيون - اعضاء حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الالماني الذي تاسس سنة ١٨٦٩ في مؤتمره التاسيسي بمدينة ايزيناخ كان اوغست بيبل وولهلم ليبكنخت زعيمي الايزيناخيين ، وكانا متاثرين فكرياً بماركس وانجلس جاء في برنامج ايزيناخ ان حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الالماني يعتبر نفسه «شعبة من شعب جمعية الشغيلة العالمية ويشاطر هذه الجمعية مطامحها» ذاد الايزيناخيون في قضايا توحيد المانيا عن «الطريق الديموقراطي والبروليتاري مناضلين ضد اقل

تساهل حيال النزعات البروسية والبيسماركية والتعصب القومي» (لينين)

ان تأسيس الامبراطورية الالمانية في سنة ١٨٧١ قد ازال الخلاف التكتيكي الرئيسي بين اللاساليين والايزيناخيين ؛ وتحت تأثير نهضة الحركة العمالية ، واشتداد تدابير القمع الحكومية ، اتحد الحزبان سنة ١٨٧٥ في مؤتمر غوتا في الحزب الاشتراكي الالماني الموحد (اصبح فيما بعد الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني) . ــ ص ١٦

الغيديون والامكانيون – تياران ثوري وانتهازي في الحركة الاشتراكية الفرنسية ، تشكلا في عام ١٨٨٢ بعد انشقاق حزب العمال الفرنسي في مؤتمر سانت-ايتيين الى حزبين

الغيديون ــ هم انصار غيد ولافارغ ، تيار ماركسي يساري ذاد عن سياسة ثورية مستقلة للبروليتاريا وقد احتفظ الغيديون باسم «حزب العمال الفرنسي» وظلوا امناء للبرنامج الذي كان اتخذه الحزب سنة ١٨٨٠ في مدينة الهافر والذي كان ماركس قد كتب قسمه النظري وكان لهم نفوذ كبير في مراكز فرنسا الصناعية وكانوا يوحدون العناصر الطليعية في الطبقة العاملة وفي سنة ١٩٠١ ، أسس الغيديون الحزب الاشتراكي في فرنسا

الامكانيون (ب بروس ، ب مالون ، وغيرهما) ــ تيار اصلاحي ، برجوازي صغير ، كان يصرف البروليتاريا عن طرائق النضال الثورية شكل الامكانيون «حزب العمال الاجتماعي-الثوري» ، وانكروا برنامج البروليتاريا الثوري وطمسوا الاهداف الاشتراكية للحركة العمالية ، واقترحوا حصر نضال العمال في نطاق «الامكان» او «الممكن» ("possible") ومن هنا اسم الحزب . انتشر نفوذ الامكانيين بصورة رئيسية في اكثر مناطق فرنسا تأخرا من الناحية الاقتصادية وبين اقل فئات الطبقة العاملة تطوراً في عام ١٩٠٢ شكل الامكانيون مع الفرق الاصلاحية الاخرى الحزب الاشتراكي الفرنسي برئاسة جان جوريس .

في عام ١٩٠٥ ، اتحد الحزب الاشتراكي في فرنسا والحزب الاشتراكي الفرنسي في حزب اشتراكي فرنسي واحد اثناء الحرب الامبريالية (١٩١٤ - ١٩١٨) ، خانت قيادة هذا الحزب (غيد وسامبا وغيرهما) قضية الطبقة العاملة وانتقلت الى مواقع الاشتراكية-الشوفينية — ص ١٦

١٠ - **الفابيون** - هم اعضاء الجمعية الفابية ، وهي منظمة اصلاحية بريطانية تاسست سنة ١٨٨٤ وقد اطلق عليها اسم قائد من القادة العسكريين الرومان في القرن الثالث قبل الميلاد هو فابيوس مكسيم الملقب «كونكتاتور» («المماطل») الذي اشتهر بخطة الانتظار وتجنب المعارك الفاصلة في الحرب ضد هنيبعل كان اعضاء الجمعية الفابية في معظمهم من المثقفين البرجوازيين - من العلماء والكتاب والسياسيين (الزوجان ويب برنارد شو ماكدونالد ، وغيرهم) ؛ وقد انكروا ضرورة نضال البروليتاريا الطبقي وضرورة الثورة الاشتراكية ، وزعموا انه يمكن الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية عن طريق الاصلاحات ، عن طريق التحويلات التدريجية في المجتمع وصف لينين الفابية بانها «اتجاه **الانتهازية المتطرفة**» في عام ١٩٠٠ ، انضمت الجمعية الفابية الى حزب العمال تشكل «الاشتراكية الفابية» احد مصادر ايديولوجية العماليين

الاشتراكيون - الديموقراطيون يقصد لينين هنا اعضاء الاتحاد الاشتراكي-الديموقراطي في انجلترا ، الذي تاسس سنة ١٨٨٤ الى جانب الاصلاحيين (هايندمان وغيره) والفوضويين ، ضم الاتحاد الاشتراكي - الديموقراطي جماعة من الاشتراكيين الثوريين من انصار الماركسية (كفيلتش ، مان ، ايفلينغ وايليونورا ماركس ، وغيرهم) الذين كانوا يؤلفون الجناح اليساري في الحركة الاشتركية الانجليزية وقد انتقد انجلس الاتحاد الاشتراكي - الديموقراطي انتقاداً حاداً لجموده العقائدي وانعزاليته وانفصاله عن الحركة العمالية الجماهيرية في انجلترا وتجاهله خصائص هذه الحركة في سنة ١٩٠٧ - اسمي الاتحاد الاشتراكي - الديموقراطي باسم

الحزب الاشتراكي-الديموقراطي . وفيمـــا بعد ، في سنة ١٩١١ ، الف هذا الحزب ، مع العناصر اليسارية في حزب العمال المستقل ، الحزب الاشتراكـــي البريطاني ، وفي سنـــة ١٩٢٠ ، اشتـــرك معظم اعضاء الحزب في تاسيس الحـــزب الشيوعـــي البريطاني ــ ص ١٦

١١ ــ **«النارودوفوليون»** ــ اعضـــاء «نارودنايـــا فوليـــا» («ارادة الشعب») ــ منظمة ثورية سرية اسسهـا الشعبيون الارهابيون في آب (اغسطس) ١٨٧٩

كان اسقاط الحكم المطلق واقامة الجمهورية الديموقراطيـــة اقرب اهداف النارودوفوليين وللمرة الاولى في تاريخ الشعبيـــة ، طرح النارودوفوليون قضية ضرورة النضـــال السياسي ، ولكنهـــم حصروه في التآمر والارهاب الفردي

بعد عدد من المحاولات الفاشلـــة ، اغتيل القيصر الكسندر الثاني في اول آذار (مارس) ١٨٨١ أعدم منظمـــو الاغتيال ، ثـــم جرت جملة من المحاكمات . وسرعان ما توقف نشاط «نارودنايـــا فوليا» فقد ادت النظرية الخاطئـــة والتكتيك الخاطئ ، والعدام الصلات الواسعة مع الجماهير الشعبيـــة الى انهيار هذه المنظمة رغم تفاني اعضائها وبطولتهم

الاشتراكيون ــ الديموقراطيون المقصود هنـــا الماركسيون الروس بليخانوف ولينين وغيرهمـــا في العقدين التاسع والعاشر من القرن التاسع عشر ، ممن انتقدوا في كتبهم ومقالاتهم ايديولوجيـــة الناوردوفوليين وطرائق نضالهم السياسي . ــ ص ١٦

١٢ ــ **المستوزرون الفرنسيون (الميليرانيون)** ــ انصار الاشتراكي الفرنسي ميليران الذي اشترك سنـــة ١٨٩٩ في حكومة فالديك ــ روســـو البرجوازية الرجعية ــ ص ١٦

١٣ ــ **البرنشتينيون** ــ انصار تيار معاد للماركسيـــة في الاشتراكيـــة ــ الديموقراطيـــة الالمانيـــة والعالميـــة ، ظهر في اواخر القرن التاسع

عشر واسمي باسم ايديولوجي التحريفية ادوارد برنشتين في اعوام ١٨٩٦ – ١٨٩٨ ، نشر برنشتين في لسان الحال النظري للاشتراكية - الديموقراطية الالمانية ، مجلة "Die Neue Zeit" («دى نويه زايت» – «الازمنة الحديثة») سلسلة من المقالات حاول فيها ، تحت راية «حرية النقد» ، ان يعيد النظر ، ان يحرف (ومن هنا «التحريفية») الاسس الفلسفية والاقتصادية والسياسية للماركسية الثورية ويستعيض عنها بالنظريات البرجوازية القائلة بالتوفيق بين التناقضات الطبقية وبالتعاون الطبقي حظيت افكار برنشتين بتاييد الجناح اليميني في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية وبتاييد العناصر الانتهازية في الاحزاب الاخرى المنضمة الى الاممية الثانية . ــ ص ١٦

١٤ – **النقاد الروس** – انصار البرنشتينية في روسيا ، «الماركسيون العلنيون (الشرعيون)» (ستروفه ، بولغاكوف ، بردياييف وغيرهم) الذين طالبوا ، تحت شعار «حرية النقد» باعادة النظر في نظرية ماركس وبالامتناع عن النضال في سبيل الاشتراكية ، في سبيل الثورة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا . ــ ص ١٦

١٥ ــ **جوبيتر ومينيرفا** ــ من آلهة البانتيون في روما القديمة جوبيتر – اله السماء والنور والمطر ، اله الرعد ؛ وفيما بعد ، الاله الاكبر في الدولة الرومانية مينيرفا ــ الهة الحرب وحامية الحرف والعلوم والفنون . ــ ص ١٧

١٦ – **«اتحاد الاشتراكيين - الديموقراطيين الروس في الخارج»** – تاسس سنة ١٨٩٤ بمبادرة فرقة «تحرير العمل» التي عهد اليها بتحرير مطبوعات «الاتحاد» اعترف المؤتمر الاول ا ح ع ا د ر (آذار – مارس – ١٨٩٨) «الاتحاد» ممثلا عن الحزب في الخارج فيما بعد ، تفوقت في «الاتحاد» العناصر الانتهازية ، اي «الاقتصاديون» المدعوون «بالشباب» ابتداء من نيسان (ابريل) ١٨٩٩ ، شرع «الاتحاد» يصدر مجلة «الاقتصاديين» «رابوتشييه ديلو» .

وقفت فرقة «تحرير العمل» ضد الخط الانتهازي الذي سلكه «الاتحاد» ، ورفضت تحرير مطبوعاته

في المؤتمر الثاني «للاتحاد» (عام ١٩٠٠) ، حدث انشقاق ، وقد غادرت فرقة «تحرير العمل» المؤتمر مع رفاقهـــا بالفكر ، وانشات منظمة مستقلـــة هي «الاشتراكي-الديموقراطي» قـــرر المؤتمر الثاني لح ع ا د ر في عام ١٩٠٣ خل «الاتحاد» ــ ص ٢٠

١٧ ــ **«زاريا»** ــ مجلة ماركسية سياسية علمية ، اصدرتها في عامـــي ١٩٠١ - ١٩٠٢ في شتوتغارت هيئة تحرير «الايسكرا» صدرت منها اربعة اعداد فقط (ثلاثة كتب)

انتقدت مجلة «زاريا» التحريفيـــة العالميـــة والروسيـــة ودافعت عن الاسس النظرية للماركسية . ــ ص ٢٠

١٨ ــ **الجبل والجيروند** ــ كتلتان سياسيتان برجوازيتان في مرحلة الثورة البرجوازيـــة الفرنسيـــة في اواخر القرن الثامن عشر **الجبل** - اليعقوبيون - اطلق هذا الاسم على احزم ممثلي الطبقـــة الثوريـــة في ذلك العهد ــ البرجوازية ــ الذين ذادوا عن ضرورة القضاء على الحكم المطلق والاقطاعية **الجيروندیون** ، خلافاً لليعقوبيين ، تارجحوا بين الثورة والثورة المضادة وساروا في طريق المساومة مع الملكية

نعت لينين التيار الانتهازي في الاشتراكية-الديموقراطيـــة بـ«الجيروند الاشتراكيـــة» كمـــا نعت الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين باليعقوبيين البروليتاريين ، «الجبـــل» بعـــد انقسام ح ع ا د ر الى بلاشفة ومناشفة ، اشار لينين احيانـــاً كثيرة الى ان المناشفة يمثلون التيار الجيروندي في الحركة العمالية . ــ ص ٢٠

١٩ - **الكاديت** - اعضاء الحزب الدستوري-الديموقراطي الحزب القيادي للبرجوازية الملكية الليبيرالية في روسيا انشئ حزب الكاديت في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ انضم الى الحزب ممثلو البرجوازية ، ورجـــالات الزيمستفوات من الملاكين العقـــاريين ، والمثقفون البرجوازيون . لأجل خداع الجماهير الكادحة ، اطلقوا على انفسهـــم

اسما مزيفا ـ «حزب حرية الشعب» ، ولكنهم في الواقع لم يمضوا ابعد من المطالبة بالملكية الدستورية ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) ، دعم الكاديت بنشاط السياسة الخارجية الاغتصابية التي سلكتها الحكومة القيصرية في مرحلة ثورة شباط البرجوازية الديموقراطية (عام ١٩١٧) حاولوا انقاذ المَلَكية . فقد شغل الكاديت الوضع القيادى في الحكومة الموقتة البرجوازية ، وانتهجوا سياسة معادية للشعب ، معادية للثورة بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ، عمل الكاديت كالد اعداء السلطة السوفييتية . ـ ص ٢٠

٢٠ ـ **«جماعة بلا اسم»** (**«بززاغلافتسي»**) ـ جماعة نصف كاديتية ، نصف منشفية من المثقفين البرجوازيين الروس ، تكونت في حقبة بداية الهبوط في ثورة ١٩٠٥ـ١٩٠٧ واسم هذه الجماعة اشتق من اسم المجلة الاسبوعية السياسية التي صدرت في بطرسبورغ من كانون الثاني (يناير) الى ايار (مايو) ١٩٠٦ بتحرير بروكوبوفيتش ، «بلا اسم» كانت جماعة «بلا اسم» تتستر بستار اللاحزبية الشكلية وتدافع بالفعل عن افكار الليبيرالية البرجوازية وعن افكار الانتهازية ، وتؤيد المحرفين في الاشتراكية ـ الديموقراطية في روسيا وفي الاشتراكية ـ الديموقراطية العالمية . ـ ص ٢٠

٢١ – **المناشفة** – تيار انتهازي في الاشتراكية ـ الديموقراطية في روسيا

في عام ١٩٠٣ ، اثناء انتخاب الهيئات المركزية في المؤتمر الثاني لـ ح ع ا د ر ، نال الاشتراكيون ـ الديموقراطيون الثوريون برئاسة لينين الاغلبية (ومن هنا اسم «البلاشفة» ، من الكلمة الروسية «بولشنستفو» ومعناها الاغلبية) ونال الانتهازيون الاقلية (من هنا اسم «المناشفة» ، من الكلمة الروسية «منشنستفو» ومعناها الاقلية)

في مرحلة ثورة ١٩٠٥ – ١٩٠٧ ، عارض المناشفة زعامة الطبقة العاملة في الثورة ، والتحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين ، وطالبوا بالتوافق مع البرجوازية الليبيرالية التي ينبغي ، برأيهم ،

ان يعهد اليها بقيادة الثورة في سنوات الردة الرجعية التي اعقبت هزيمة ثورة ١٩٠٥ - ١٩٠٧ ، اصبح المناشفة باغلبيتهم تصفويين ، فقد طالبوا بتصفية حزب الطبقة العاملة السري الثوري بعد انتصار الثورة البرجوازية الديموقراطية في شباط (فبراير) ١٩١٧ ، دخل المناشفة في الحكومة الموقتة البرجوازية ودعموا سياستها الامبريالية وناضلوا ضد الثورة الاشتراكية التي كان يجري اعدادها

بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، امسى المناشفة حزباً معادياً للثورة على المكشوف يدبر ويشترك في المؤامرات والانتفاضات الهادفة الى الاطاحة بالسلطة السوفييتية . ــ ص ٢٠

٢٢ - **ايلوفايسكي** - مؤرخ روسي ، ملكي ، وضع عدداً من كتب التاريخ المدرسية التي ينحصر التاريخ فيها في نشاط القياصرة وقادة الجيوش . ــ ص ٢٢

٢٣ ــ **كومونة باريس عام ١٨٧١** ــ اول تجربة في التاريخ لديكتاتورية البروليتاريا ، حكومة ثورية للطبقة العاملة انشاتها الثورة البروليتارية في باريس دامت الكومونة ٧٢ يوماً ــ من ١٨ آذار (مارس) الى ٢٨ ايار (مايو) ١٨٧١ . ــ ص ٢٢

٢٤ ــ **القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين** استنته حكومة بيسمارك في المانيا عام ١٨٧٨ بغية النضال ضد الحركة العمالية الاشتراكية بموجب هذا القانون ، منعت جميع منظمات الحزب الاشتراكي-الديموقراطي ، ومنظمات العمال الجماهيرية ، والصحافة العمالية وصودرت المطبوعات الاشتراكية ، وتعرض الاشتراكيون-الديموقراطيون للملاحقات والنفي

في عام ١٨٩٠ الغي القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين تحت ضغط حركة العمال الجماهيرية المتعاظمة باستمرار . ــ ص ٢٢ .

٢٥ ــ من ٢٧ الى ٢٩ ايار (مايو) ١٨٧٧ ، عقد حزب العمال الاشتراكي الالماني مؤتمره الدوري في مدينة غوتا . واثناء بحث مسالة الصحافة الحزبية في المؤتمر ، رد المؤتمر المحاولات التي قام بهـــا بعض المندوبين (موست ، فالتيخ) للتنديد بجريدة الحزب المركزيـة "Vorwärts„ («فورفارتس» ــ «الى الامـام») لنشرهـا مقالات انجلس ضد دوهرينغ (وقد صدرت عام ١٨٧٨ في كتاب على حدة عنوانه «ضد دوهرينغ السيد اوجين دوهرينـغ يقلب العلم») والتنديد بانجلس نفسه لحدته في المناظرة . ــ ص ٢٢

٢٦ ــ "Vorwärts„ («فورفارتس» ــ «الى الامام») ــ جريدة يومية ، لسان الحال المركزي للاشتراية-الديموقراطيـة الالمانية صدرت في برلين من عام ١٨٩١ الى عام ١٩٣٣ ناضل انجلس على صفحات الجريدة ضد كل مظهر من مظاهر الانتهازية منذ النصف الثاني من العقد العاشر ، اي بعد وفاة انجلس ، وقع تحرير "Vorwärts„ في يد الجناح اليميني في الحزب فاخذت تنشر بصورة منتظمة مقالات الانتهازيين المسيطرين في الاشتراكية-الديموقراطيـة الالمانية وفي الاممية الثانيـة ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ــ١٩١٨) ، وقفت "Vorwärts„ مواقف الاشتراكية-الشوفينية ــ ص ٢٢

٢٧ ــ **اشتراكيو المنـابر الجامعية** ــ ممثلو تيار من تيـــارات الاقتصاد السياسي البرجوازي في العقدين الثامن والتاسـع من القرن التاسع عشر كان ممثلو هذا التيار يبشرون من منابر الجامعات بالاصلاحية البرجوازية الليبيرالية متسترين بستار الاشتراكية

زعم ممثلو اشتراكية المنابر ان الدولة البرجوازية هي دولة فوق الطبقات وان في وسعها ان تصالح الطبقات المتعادية وتطبق «الاشتراكية» تدريجيا دون ان تمس بمصالح الراسماليين ومع مراعاة مطالب الشغيلة قدر الامكان

غير مرة ، فضح ماركس وانجلس ولينين جوهر اشتراكيـة المنابر الرجعي

في روسيا ، روج «الماركسيون العلنيون (الشرعيون)» بنظرات اشتراكيي المنابر . ــ ص ٢٣ .

٢٨ ــ **نوزدريف** ــ نموذج للملاك العقاري المحتال والمثير للمشاجرات عرضه نيقولاي غوغول في مؤلفه «النفوس الميتة» . ــ ص ٢٣

٢٩ ــ يقصد لينين قرار «الهجمات على نظرات الحزب الاساسية وتكتيكه» الذي اتخذه الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني في مؤتمره المنعقد في هانوفر من ٩ الى ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٩ وقد القى اوغست بيبل تقريراً رسمياً في هذه المسالة اتخذ المؤتمر باغلبيته الساحقة قراراً اقترحه بيبل برد المحاولات الرامية الى تحريف الاسس النظرية والتكتيكية التي تقوم عليها الاشتراكية-الديموقراطية الا ان القرار لم يتضمن نقد البرنشتينيين نقداً حاداً ولذلك صوت له برنشتين وانصاره . ــ ص ٢٣

٣٠ ــ يقصد لينين القرار الذي اتخذه الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني في مؤتمره المنعقد في لوبيك (٢٢ــ٢٨ ايلول ــ سبتمبر ــ ١٩٠١) ؛ كان هذا القرار موجهاً ضد برنشتين الذي لم يوقف حملاته على برنامج وتكتيك الاشتراكية-الديموقراطية بعد مؤتمر هانوفر المنعقد سنة ١٨٩٩ ، بل شددها فضلا عن ذلك ونقلها حتى الى اوساط غير حزبية في سياق المناقشات وفي مشروع القرار الذي اقترحه بيبل وصادق عليه المؤتمر باغلبيته الساحقة ، ورد تحذير لبرنشتين رفض المؤتمر مشروع القرار المعاكس الذي اقترحه الانتهازي هينه والذي طالب «بحرية النقد» ولزم الصمت حول مسالة برنشتين ولكن مؤتمر لوبيك لم يطرح بصورة مبدئية مسالة استحالة الجمع بين تحريف الماركسية والبقاء في صفوف الحزب الاشتراكي-الديموقراطي . ــ ص ٢٣

٣١ ــ **مؤتمر الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني في شتوتغارت** ــ انعقد من ٣ الى ٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٨ ، وبحث للمرة الاولى مسالة التحريفية في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية وقد تلي في المؤتمر تصريح ارسله خصيصاً برنشتين الذي كان غائباً عن المؤتمر . وعرض فيه ودافع عن نظراته الانتهازية التي سبق له

وبسطهـــا في سلسلة من المقالات لم تكن هناك وحدة بين اخصام برنشتين في المؤتمر فان بيبل وكاوتسكي وغيرهما نادوا بالنضال الفكري ضد برنشتين وبنقد اخطائه ، ولكنهم عارضوا اتخاذ تدابير تنظيميـــة للتأثير عليه اما الاقلية ، برئاسة روزا لوكسمبورغ فوقفت ضد البرنشتينية بمزيد من الحزم . ــ ص ٢٤

٣٢ ــ «**الماركسية العلنية (الشرعيـــة)**» ــ تيار اجتماعي سياسي ظهر في العقد العاشر من القرن التاســع عشر في روسيـــا بين المثقفين البرجوازيين الليبراليين فقد اعلنوا انهم من انصار الماركسيـــة ــ ستروفه ، بولغاكوف ، توغان ــ بارانوفسكي وغيرهم ــ ، ولكنهم لم يأخذوا من تعاليم ماركس غير النظرية القائلة بحلول التشكيلـــة الرأسماليـــة بصورة محتمة محل التشكيلة الاقطاعيـــة الاجتماعيـــة الاقتصادية ، ونبذوا كلياً «الروح الثورية» للماركسية ، اي مذهب حتمية زوال الرأسمالية ، ومذهب الثورة الاشتراكيـــــة انتقد «الماركسيون العلنيون» في الصحافة العلنيـــة الشعبيين الذين كانوا ينكرون حتميـــة تطور الرأسماليـــة في روسيـــا ، ومدحوا النظـــم الرأسماليـــة وفيما بعد ، امسى «الماركسيون العلنيون» اعداء للماركسية وقادة في حزب الكاديت البرجوازي . ــ ص ٢٦

٣٣ ــ «**كاتب مغرور .**» ــ عنوان قصـــة من قصص مكسيـــم غوركي الباكرة . ــ ص ٢٧

٣٤ ــ يقصد لينين مجموعة «وثائق في مسألة التطور الاقتصادي في روسيا» التي طبعت منها مطبعة شرعية ٢٠٠٠ نسخة في نيســان (ابريل) ١٨٩٥ وقد اشتملت المجموعة على مقالـــة لينين «المضمون الاقتصادي للشعبية وانتقادها في كتاب السيد ستروفـــه (انعكاس الماركسية في الادب البرجوازي)» ، الموجهة ضـــد «الماركسيين العلنيين (الشرعيين)»

منعت الحكومة القيصرية توزيع المجموعة وابقتهـــا تحت الحظر مدة سنة ثم صادرتها واحرقتها وقد امكن انقـــاذ حوالى ١٠٠ نسخـــة فقط نشرت سراً بين الاشتراكيين-الديموقراطيين في بطرسبورغ والمدن الاخرى . ــ ص ٢٨ .

٣٥ ــ المقصود هنا كتاب ادوارد برنشتين «مقدمات الاشتراكية ومهام الاشتراكية-الديموقراطية» الذي يحرف الماركسية الثورية بروح الاصلاحية البرجوازية
صدر كتاب برنشتين عام ١٩٠١ مترجماً الى اللغة الروسية باسماء مختلفة ١ ــ «المادية التاريخية» ، ٢ ــ «القضايا الاجتماعية» ٣ ــ «قضايا الاشتراكية ومهام الاشتراكية-الديموقراطية»

هيروستراتس ــ من سكان مدينة افسس تقول الاسطورة انه احرق في عام ٣٥٦ قبل الميلاد معبد ارتميس الافسسية الذي كان يعتبر من «عجائب الدنيا السبع» وذلك من اجل تخليد اسمه وحسب . ــ ص ٢٩

٣٦ ــ «**احتجاج الاشتراكيين-الديموقراطيين في روسيا**» ــ كتبه لينين في المنفى في آب (اغسطس) ١٨٩٩ وكان موجهاً ضد «Credo» («الكريدو») ، اي بيان جماعة «الاقتصاديين» (بروكوبوفيتش وكوسكوفا وغيرهما ؛ وقد غدوا فيما بعد من الكاديت)
بحث «الاحتجاج» واقر بالاجماع في اجتماع انعقد بمبادرة لينين في قرية يرماكوفسكويه من قضاء مينوسينسك وحضره ١٧ من الماركسيين المنفيين السياسيين ايدت «الاحتجاج» جماعات المنفيين في توروخانسك واورلوف (محافظة فياتكا)
ارسل لينين «احتجاج الاشتراكيين-الديموقراطيين في روسيا» الى فرقة «تحرير العمل» في الخارج وفي اوائل سنة ١٩٠٠ اعيد طبع «الاحتجاج» من قبل بليخانوف في مجموعة «Vademecum» لهيئة تحرير «رابوتشييه ديلو» . ــ ص ٣٠

٣٧ ــ «**رابوتشايا ميسل**» («الفكر العمالي») ــ جريدة نطقت بلسان «الاقتصاديين» وصدرت من تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٩٧ حتى كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٠٢ صدر من الجريدة ١٦ عدداً
انتقد لينين نظرات «رابوتشايا ميسل» بوصفها نوعاً روسياً

من الانتهازية العالمية ، في جملة من مؤلفاته وخاصة في مقالاته المنشورة في «الايسكرا» وفي الكتاب الحالي . ــ ص ٣١

٣٨ ــ « «Vademecum» ((فاديميكوم)) ــ ((دليل))) **لهيئة تحرير «رابوتشييه ديلو» . مجموعة وثائق اصدرتها فرقة «تحرير العمل» وقدم لها بليخانوف»** (جينيف ، شباط ــ فبراير ــ سنة ١٩٠٠) كانت هذه المجموعة موجهة ضد الانتهازية في صفوف ح ع ا د ر وبالدرجة الاولى ضد «اقتصادية» «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» في الخارج وجريدته «رابوتشييه ديلو» ــ ص ٣١

٣٩ ــ «Profession de foi» ــ (رمز الايمان ، برنامج ، عرض المفهوم عن العالم) ــ منشور وضع في اواخر سنة ١٨٩٩ وعرضت فيه لجنة كييف ا ح ع ا د ر نظراتها الانتهازية يطابق مضمون المنشور ، في كثير من النواحي ، «credo» («الكريدو») «للاقتصاديين» المشهور . ــ ص ٣١

٤٠ ــ **((الملحق الخاص ل «رابوتشايا ميسل»))** كراس اصدرته في ايلول (سبتمبر) ١٨٩٩ هيئة تحرير جريدة «الاقتصاديين» «رابوتشايا ميسل» وفي هذا الكراس ، ولا سيما في مقال «واقعنا» بتوقيع ر م ، ظهرت نظرات «الاقتصاديين» الانتهازية بصراحة ــ ص ٣٥

٤١ ــ **فرقة «تحرير العمل»** ــ اول فرقة ماركسية روسية اسسها بليخانوف سنة ١٨٨٣ في جينيف

قامت فرقة «تحرير العمل» بعمل كبير في نشر الماركسية في روسيا فقد ترجمت الى اللغة الروسية واصدرت في الخارج ونشرت في روسيا مؤلفات ماركس وانجلس ، وعرضت الماركسية في مطبوعاتها بصورة مبسطة سددت فرقة «تحرير العمل» ضربة جدية الى الشعبية . كان مشروعا برنامج الاشتراكيين-الديموقراطيين

الروس (سنة ١٨٨٣ وسنة ١٨٨٥) اللذان كتبهما بليخانوف واصدرتهما فرقة «تحرير العمل» خطوة هامة في اعداد وتأسيس الحزب الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا

اقامت فرقة «تحرير العمل» الصلات مع الحركة العمالية العالمية . وابتداء من اول مؤتمر عقدته الاممية الثانية في عام ١٨٨٩ (باريس) ، اخذت فرقة «تحرير العمل» تمثل الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا في جميع مؤتمرات الاممية الثانية ولكن فرقة «تحرير العمل» اقترفت كذلك اخطاء جدية استعظام دور البرجوازية الليبيرالية ، استصغار ثورية الفلاحين بوصفهم احتياطيا للثورة البروليتارية كانت هذه الاخطاء جنين النظرات المنشفية التي تبناها فيما بعد بليخانوف وغيره من اعضاء الفرقة . ــ ص ٣٦.

٤٢ ــ **المؤتمر الثالث «لاتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس»** ــ انعقد في النصف الثاني من شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٠١ في مدينة زوريخ اقر المؤتمر تعديلات واضافات على مشروع الاتفاقية الموضوع في الكونفيرانس (المجلس العام) المنعقد في جينيف في حزيران (يونيو) ١٩٠١ بشأن توحيد منظمات الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الخارج وصادق المؤتمر على تعليمات لهيئة تحرير «رابوتشييه ديلو» تشجع المحرفين وقد دلت قرارات المؤتمر على تفوق الميول الانتهازية لدى قادة «الاتحاد» وعلى تخليهم عن قرارات كونفيرانس حزيران . ــ ص، ٣٦

٤٣ ــ انظروا رسالة ماركس الى براكه بتاريخ ٥ ايار (مايو) ١٨٧٥ ــ ص ٣٧

٤٤ ــ **«برنامج غوتا»** هو برنامج حزب العمال الاشتراكي الالماني ؛ وقد اقره الحزب سنة ١٨٧٥ في مؤتمر غوتا عند اتحاد الحزبين الاشتراكيين الالمانيين اللذين كانا قائمين حتى ذلك التاريخ كل حزب على حدة حزب الايزيناخيين وحزب اللاساليين كان هذا البرنامج مصابا بداء المذهب الاختياري ، وكان برنامجاً انتهازياً لان الايزيناخيين قد

تنازلوا للاساليين في القضايا الهامة واقروا الصيغ اللاسالية وقد انتقد ماركس وانجلس مشروع برنامج غوتا انتقـــاداً ماحقـــاً واعتبراه خطوة كبيرة الى الوراء بالمقارنة مع البرنامج الذي تم اقراره في ايزيناخ عام ١٨٦٩ .ـ ص ٣٧

٤٥ ـ **البرودونية** ـ تيار معاد للماركسية في الاشتراكية البرجوازية الصغيرة ، اسمي باسم مفكره الفوضوي الفرنسي برودون انتقد برودون الرأسمالية انتقاداً حاداً ، ولكنه لم ير المخرج في القضاء على اسلوب الانتاج الرأسمالي الذي يولد حتمـاً البؤس واللامساواة واستثمار الشغيلة ، بل راى المخرج في «تصليح» الرأسمالية ، في ازالـــة نواقصها ومساوئها عن طريق اجراء جملة من الاصلاحات حلـم برودون بتخليد الملكيـــة الخاصة الصغيرة ، واقترح تاسيس بنك «شعبي» وبنك «للمقايضة» يستطيع العمال بمساعدتهما ، حسب زعمه ، ان يحصلوا على وسائل الانتاج الخاصة بهم ويصبحوا حرفيين ويؤمنوا تصريف منتجاتهم بصورة «عادلة» لم يدرك برودون دور البروليتاريا التاريخي ووقف موقفاً سلبيـاً من النضال الطبقي والثورة البروليتاريـــة وديكتاتوريـــة البروليتاريا ومن مواقف فوضوية انكر ضرورة الدولة وقد ناضل ماركس وانجلس بدأب وانسجام ضد محاولات برودون لفرض آرائه على الاممية الاولى انتهى النضال الحازم الذي خاضه ماركس وانجلس وانصارهما ضد البرودونية في الاممية الاولى بانتصار الماركسية التام .ـ ص ٣٩

٤٦ ـ يقصد لينين الاضراب الجماهيري الذي قـــام به عمـال النسيج في بطرسبورغ عام ١٨٩٦ كان امتناع الصناعيين عن دفع اجور العمال بكاملها ذريعة ودافع الاضراب بدأ الاضراب في ٢٣ ايار (مايو) في مانيفاكتورة كالينينسكايا ولم يلبث ان شمل جميع المعامل الاساسية لغزل القطن والنسيج في بطرسبورغ ، ثم امتد الى المعامل الكبيرة لصنع الآلات وغيرها من المعامل . ولاول مرة خاضت بروليتاريا بطرسبورغ النضال ضد المستثمرين في جبهة واسعة اشترك في الاضراب اكثر من ٣٠ الف عامل . جرى الاضراب تحت

قيادة «اتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة» في بطرسبورغ .

اسهمت اضرابات بطرسبورغ في تطوير الحركة العمالية في موسكو وغيرها من مدن روسيا ، واجبرت الحكومة القيصرية على الاسراع في اعادة النظر بقوانين المعامل وعلى اصدار قانون ٢ (١٤) حزيران (يونيو) ١٨٩٧ بصدد تقصير يوم العمل في المصانع والمعامل الى ١١ ١/٢ ساعة . ــ ص ٤٣

٤٧ ــ «**اتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة**» ــ منظمة سرية اسسها في بطرسبورغ في خريف ١٨٩٥ لينين وزابوروجيتس وفانييف وكرجيجانوفسكي وكروبسكايا ومارتوف وغيرهم ضم «اتحاد النضال» حوالى ٢٠ حلقة عمالية ماركسية وقد بني نشاطه كله على مبادئ الماركسية والانضباط الدقيق قاد «اتحاد النضال» الحركة العمالية جامعاً نضال العمال من اجل المطالب الاقتصادية الى النضال السياسي ضد القيصرية كان «اتحاد النضال» ، حسب تعبير لينين ، جنين حزب الطبقة العاملة الثوري

في كانون الاول (ديسمبر) ١٨٩٥ ، اعتقلت الحكومة القيصرية لينين وسائر قادة «اتحاد النضال» ثم نفتهم الى سيبيريا ، فتسلم قيادة «اتحاد النضال» من كانوا يسمون «بالشباب» ويروجون بافكار «الاقتصادية» . ــ ص ٤٦

٤٨ ــ «**روسكايا ستارينا**» («**العتائق الروسية**») ــ مجلة تاريخية كانت تصدر شهرياً في بطرسبورغ من عام ١٨٧٠ الى عام ١٩١٨ كانت «روسكايا ستارينا» تخصص مكاناً كبيراً لنشر ذكريات ومذكرات ويوميات ورسائل رجال الدولة في روسيا ورجال الثقافة الروسية ، وكذلك مختلف الوثائق . ــ ص ٤٦

٤٩ ــ يشار الى التنكيل بعمال المانيفاكتورة الكبرى في ياروسلافل الذين اضربوا في ٢٧ نيسان ــ ابريل ــ (٩ ايار ــ مايو) ١٨٩٥ كان تطبيق الادارة لتعرفة جديدة تخفض اجور العمال سبب هذا الاضراب الذي شمل اكثر من ٤٠٠٠ عامل . وقد قمع الاضراب بقسوة .

وكاتب المقال عن اضراب سنة ١٨٩٥ في ياروسلافل هو لينين ؛ ولم يعثر على المقال حتى الآن . ــ ص ٤٦

٥٠ ــ «**سانت بطرسبورغسكي رابوتشي ليستوك**» («ورقة سانت بطرسبورغ العمالية») ــ لسان حال «اتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة» في بطرسبورغ وقد صدر منها عددان العدد الاول ــ في شباط ــ فبراير (ويحمل تاريخ كانون الثاني ــ يناير) ١٨٩٧ ، مطبوعاً في روسيا ؛ والثاني في ايلول (سبتمبر) ١٨٩٧ مطبوعاً في جينيف . ــ ص ٤٧

٥١ ــ المقصود هنا «**بيان حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا**» الذي اصدرته في عام ١٨٩٨ بتكليف من المؤتمر الاول ا ح ع ا د ر وباسمه اللجنة المركزية ا ح ع د ر طرح «البيان» النضال في سبيل الحرية السياسية واسقاط الحكم المطلق بوصفه المهمة الرئيسية امام الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا ، وربط النضال السياسي بالمهام العامة للحركة العمالية . ــ ص ٤٧

٥٢ ــ «الاجتماع الخاص» الذي يتحدث عنه لينين انعقد في بطرسبورغ بين ١٤ و١٧ شباط ــ فبراير (٢٦ شباط واول آذار ــ مارس) ١٨٩٧ وقد حضره لينين وفاييف وكرجيجانوفسكي وغيرهم من اعضاء «اتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة» ، اي «الشيوخ» الذين اطلق سراحهم من السجن لمدة ثلاثة ايام قبل نفيهم الى سيبيريا ، و«الشباب» الذين كانوا يقودون «اتحاد النضال» بعد اعتقال لينين . ــ ص ٤٩

٥٣ ــ «**ليستوك «رابوتنيكا»**» («ورقة العامل») ــ نشرة غير دورية اصدرها في جينيف «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الخارج» من سنة ١٨٩٦ حتى سنة ١٨٩٨ صدر منها ١٠ اعداد ، بينها ٨ اعداد ــ من الاول الى الثامن ــ اشرفت فرقة «تحرير العمل» على تحريرها . وبسبب انعطاف اغلبية اعضاء «الاتحاد»

نحو «الاقتصادية» ، رفضت فرقة «تحرير العمل» الاشراف على تحرير منشورات «الاتحاد» ، فصدر العدد ٩ــ١٠ من «الورقة» (تشرين الثاني ــ نوفمبــــر ــ ١٨٩٨) بتحريــر «الاقتصاديين» ــ ص ٤٩

٥٤ ــ **مقالة «ف إ .»** ــ مقالة فلاديمير بافلوفيتش ايفانشين ، احد زعماء «الاقتصادية» . ــ ص ٥٠

٥٥ ــ الدرك القيصري كان يرتدي بزة زرقاء . ــ ص ٥١

٥٦ ــ «ف . ف .» ــ اسم مستعار لفاسيلي بافلوفيتش فورونتسوف ، احد ايديولوجيي الشعبية الليبيرالية في العقدين التاسع والعاشر من القرن التاسع عشر يقصد لينين باشراب «ف ف ، رجل الاشتراكية-الديموقراطية الروسية» ، ممثلي التيار الانتهازي في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية ، اي «الاقتصاديين» . ــ ص ٥٢

٥٧ ــ «Die Neue Zeit» («دى نويه زايت» ــ «الازمنة الحديثة») ــ مجلة نظرية للحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني ؛ صدرت في شتوتغارت من عام ١٨٨٣ الى عام ١٩٢٣ نشرت المجلة جملة من مقالات ماركس وانجلس ساعد انجلس على الدوام بنصائحه هيئة تحرير المجلة ، ولكنه لم يندر له ان انتقدها للانحرافات الواردة في المجلة عن الماركسية ابتداء من النصف الثاني من العقد العاشر ، اخذت المجلة تنشر بداب وانتظام مقالات المحرفين ، ومنها سلسلة مقالات ادوارد برنشتين «قضايا الاشتراكية» التي دشنت حملة المحرفين على الماركسيين . ــ ص ٥٤

٥٨ ــ **في مؤتمر فيينا** المنعقد من ٢ الى ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠١ اقر الحزب الاشتراكي-الديموقراطي النمساوي برنامجاً جديداً للحزب عوضاً عن البرنامج القديــــم الذي كان الحزب قد اقره في مؤتمر

هاينفلد سنة ١٨٨٨ في مشروع البرنامج الجديد الذي اعدتـــه لجنة خاصة بتفويض من مؤتمر برون المنعقد سنـــة ١٨٩٩ ، ظهرت تنازلات خطيرة امام البرنشتينية . ــ ص ٥٤

٥٩ ــ المقصود هنا **الزوباتوفية** ، اي محاولة رجال الدرك القيصريين لانشاء «جمعيات عمالية» يشرف عليها صنائع الدرك ، بغية صرف العمال عن النضال السياسي ضد الحكم المطلق كان الكولونيل في الدرك زوباتوف هو صاحب المبادرة لانشاء مثل هذه المنظمات انشئت اول منظمة زوباتوفية في موسكو ، في ايار (مايو) ١٩٠١ ، باسم «جمعية التعاضد بين العمال في الانتاج الميكانيكي» كذلك انشئت منظمات زوباتوفية في بطرسبورغ ومينسك وكييف وغيرهـــا من المدن

فضح الاشتراكيون-الديموقراطيون الثوريون طابع الزوباتوفية الرجعي ، واستغلوا المنظمات العمالية الشرعية لاجل اجتذاب الفئات الواسعة من الطبقة العاملة الى النضال ضد الحكم المطلق . وبتاثير نهوض الحركة الثورية اضطرت الحكومة القيصرية في عام ١٩٠٣ الى حل المنظمات الزوباتوفية . ــ ص ٥٧

٦٠ ــ **نقابات هيرش ــ دونكر** ــ منظمات نقابية اصلاحية اسسها في المانيا سنة ١٨٦٨ اثنان من قادة الحزب التقدمي البرجوازي ، هيرش ودونكر ولمـــا كان منظمو نقابـــات هيرش ــ دونكر يبشرون «بانسجام» مصالح العمل ورأس المال ، فقد قالوا بجواز قبول الرأسماليين في النقابات بجانب العمـــال وانكروا فائدة النضال الاضرابي وزعموا ان خلاص العمال من ظلم الرأسمالي امر ممكن في نطاق المجتمع الرأسمالي عن طريق قوانين الدولة البرجوازية وعن طريق التنظيـــم المهني ؛ وكانوا يرون مهمة النقابات الرئيسية في الوساطة بين العمال واصحاب الاعمال وفي جمع المال وقد اقتصر نشاطهم بصورة رئيسية على صناديق التعاضد وعلى المنظمات التربوية التثقيفية . ــ ص ٥٨ .

٦١ ــ «**جماعة تحرير الطبقة العاملة الذاتي**» ــ جماعة غير كبيرة من «الاقتصاديين» تأسست في بطرسبورغ في خريف سنة ١٨٩٨ ودامت بضعة اشهر نشرت الجماعة نداء عرضت فيه اهدافها (يحمل تاريخ آذار ــ مارس ــ ١٨٩٩ ، وصدر في مجلة «ناكانونيه» في تموز ــ يوليو ــ ١٨٩٩) كما نشرت نظامها الداخلي وجملة من البيانات الموجهة الى العمال . ــ ص ٦١

٦٢ ــ «**ناكانونيه**» («**في العشية**») ــ مجلة شهرية ذات اتجاه شعبي صدرت في لندن باللغة الروسية من كانون الثاني (يناير) ١٨٩٩ الى شباط (فبراير) ١٩٠٢ صدر منها ٣٧ عدداً . ــ ص ٦١

٦٣ ــ **الشعبية** ــ تيار برجوازي صغير في الحركة الثورية الروسية ، ظهر في العقدين السابع والثامن من القرن التاسع عشر سعى الشعبيون الى القضاء على الحكم المطلق والى وضع اراضي الملاكين العقاريين تحت تصرف الفلاحين . اعتبروا انفسهم اشتراكيين ، ولكن اشتراكيتهم كانت طوبوية

انكر الشعبيون حتمية تطور العلاقات الرأسمالية في روسيا ونظراً لذلك ، اعتبروا ان القوة الثورية الرئيسية ليست البروليتاريا بل الفلاحون وقد رأوا في المشاعة الريفية جنين الاشتراكية وانكروا دور الجماهير الشعبية في صنع التاريخ ، وزعموا ان التاريخ يصنعه اعاظم الرجال ، «الابطال» ، وعارضوا بهم الجموع ، الهامدة من وجهة نظرهم سعياً لاستنهاض الفلاحين الى النضال ضد الحكم المطلق ، توجه الشعبيون الى الريف ، «الى الشعب» (ومن هنا اسمهم) ، ولكنهم لم يلقوا التأييد هناك .

مرت الشعبية بعدة مراحل ، متطورة من الديموقراطية الثورية الى الليبيرالية

في العقدين التاسع والعاشر من القرن التاسع عشر سلك الشعبيون سبيل التوافق مع القيصرية واعربوا عن مصالح الفلاحين الكولاك (الاغنياء المستثمرين) ، وناضلوا ضد الماركسية . ــ ص ٦٧ .

٦٤ ــ المقصود هنـــا جريدة "Der Sozialdemokrat" (**«در سوسيال-ديموقراط»** ــ **«الاشتراكي-الديموقراطي»**) ــ الجريدة المركزيـــة للحزب الاشتراكـي الديموقراطي الالمـاني في زمن تطبيق القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين صدرت في زوريخ من ايلول (سبتمبر) ١٨٧٩ الى ايلول ١٨٨٨ وفي لندن من تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٨٨ الى ايلول ١٨٩٠ . ــ ص ٦٨

٦٥ ــ تحت الاسم المستعـار ن بلتوف ، نشر غيـورغي فالنتينوفيتش بليخانوف كتابه المشهور «حول تطور النظرة الاحادية الى التاريخ». وقد صدر هذا الكتاب بصورة علنيـة في بطرسبورغ عام ١٨٩٥ ــ ص ٧٠

٦٦ ــ المقصود هنا القصيدة الهجائية «نشيد الاشتراكي الروسي الحديث» المنشورة في مجلة «زاريا» ، العدد الاول (نيسان ــ ابريل ــ ١٩٠١) بتوقيع «نرسيس توبوريلوف» سخرت هذه القصيـــدة من «الاقتصاديين» ومن تكيفهم تبعاً للحركة العفوية ناظم القصيدة هو مارتوف . ــ ص ٧١

٦٧ ــ المقصود هنا «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الخارج» (انظروا الملاحظة رقم ١٦) . ــ ص ٧٩

٦٨ ــ في سنة ١٨٨٩ ، احدثت الحكومة القيصرية ، رغبة منها في تعزيز سلطة الملاكين العقاريين على الفلاحين ، وظيفـــة «زيمسكييـــه ناتشالنيكي» الادارية كان هؤلاء يعينون من بيئة الاعيان الملاكين العقاريين المحليين ؛ وقد خولوا حقوقاً كبيرة حيال الفلاحين ، ليست ادارية وحسب ، بل قضائيـــة ايضاً ، بمـا فيها الحق في اعتقال الفلاحين وفرض العقوبات الجسدية عليهم . ــ ص ٨٠

٦٩ ــ **البوند** ــ «الاتحاد العام للعمال اليهود في ليتوانيا وبولونيا وروسيا»، تشكل سنة ١٨٩٧ في المؤتمر التاسسيي الذي عقدته في فيلنـــو

الجماعات الاشتراكية-الديموقراطية اليهودية ؛ كان الاتحاد يتألف على الاغلب من العناصر شبه البروليتارية بين الحرفيين اليهود في المناطق الغربية من روسيا

كان البوند حاملا للنزعة القومية التعصبية الانفصالية في الحركة العمالية في روسيا ؛ وقد وقف مواقف انتهازية في اهم قضايا الحركة الاشتراكية-الديموقراطية . ــ ص ٨١

٧٠ ــ **التعويضات** ــ مبالغ كان ينبغي على الفلاحين بموجب «لائحة» (قانون) ١٩ شباط (فبراير) ١٨٦١ حول الغاء حق القنانة في روسيا ، ان يدفعوها للملاكين العقاريين مقابل حصص الارض التي نالوها زاد مجمل التعويضات كثيراً عن القيمة الفعلية لحصص الفلاحين من الارض وبدفع التعويضات ، دفع الفلاحون للملاكين العقاريين ، من حيث جوهر الامر ، لا عن الارض الموجودة تحت تصرفهم من زمان وحسب ، بل ايضاً عن تحريرهم الشخصي كانت التعويضات باهظة وفوق طاقة الفلاحين ، وقد استثارت في صفوفهم الخراب والفقر على نطاق واسع جداً

في مرحلة الثورة الروسية الاولى (١٩٠٥ــ١٩٠٧) اجبرت الحركة الفلاحية الحكومة القيصرية على الغاء التعويضات ابتداء من كانون الثاني (يناير) ١٩٠٧ . ــ ص ٨٥

٧١ ــ منذ مجاعة ١٨٩١ــ١٨٩٢ ، اخذت المجاعات تتكرر بانتظام في روسيا القيصرية وعوضاً عن تقديم العون للجياع ، كانت الحكومة القيصرية تعمد بصورة رئيسية الى النضال ضد المنظمات الاجتماعية والزيمستفوات والاطباء والافراد الذين حاولوا بمبادرتهم الشخصية ، ان يساعدوا الجياع بجمع النقود والماكولات وتنظيم المطاعم النهارية والنقاط الطبية من اجل الجياع ، والخ وعندما حلت المجاعة من جديد عام ١٩٠١ في عدد من المحافظات ، اصدر وزير الداخلية القيصري سيبياغين تعميماً وجهه الى «رؤساء» المحافظات التي اصيبت بقحط الموسم في عام ١٩٠١ ، وندد فيه بمساعدة الجياع من قبل المنظمات الاجتماعية والافراد وامر فيه المحافظين بان يفرضوا رقابة صارمة على هذه المنظمات وهؤلاء

الافراد وان يحدوا من نشاطهم لان «الحاجة غير الملباة بصورة تامة ، والامراض المحتمة في هذه الحال ، واختلال الاقتصـــاد تخلق» كما جاء في التعميم ، «تربة ملائمـــة لاجل التحريض ضد الحكومة» في جملة من المحافظات المنكوبة بالمجاعة منع المحافظون المنظمات والافراد من تنظيم المطاعم النهارية ومن تحقيق غير ذلك من تدابير المساعدة للجياع .ـ ص ٨٧

٧٢ ـ المقصود هنا «**الاحكام الموقتة**» التي اصدرتها الحكومة القيصرية في ١٥ ايلول (سبتمبـر) ١٩٠١ والتي كانت تلـزم «الزيمسكيـيـه ناتشالنيكي» على ارسال الفلاحين من المحافظات المنكوبة بالمجاعة الى بناء السكك الحديديـة وغير ذلك من الاشغال وبموجب هذه الوثيقـــة ، حرم الفلاحون الكثير من حقوقهم فوق ما هم عليه من حرمان من الحقوق ؛ وكانت مجموعات العمال ترسل الى مكان العمل تحت مراقبة موظفين خاصين مثلما كانت ترسل مجموعات السجناء الى الاشغال الشاقة .ـ ص ٨٧

٧٣ ـ المقصود هنا نضالات الطلاب والعمال الثورية الجماهيريـــة اي المظاهرات السياسية والتجمعات ، والاضرابات التي جرت في شباط وآذار (فبراير ومارس) ١٩٠١ في بطرسبـورغ وموسكو وكييف وخاركوف وقازان وتومسك وغيرها من مدن روسيا

ان الحركة الطلابيـة التي نشأت في العام الدراسي ١٩٠٠ـ ١٩٠١ في تربة المطالب التعليمية ، قد اكتسبت طابـــع نضالات سياسية ثورية ضد سياسة الحكم المطلق الرجعية ، وحظيت بتاييد العمال الطليعيين ، ولقيت صدى في جميع فئات المجتمع الروسي كان اجبار ١٨٣ طالباً من جامعة كييف على اداء الخدمة العسكرية بسبب اشتراكهـــم في تجمع طلابي الذريعة المباشرة للمظاهرات والاضرابات في شباط وآذار ١٩٠١

انقضت الحكومة على المشتركين في النضالات الثورية فقد فرق رجال البوليس والقوزاق المظاهرات وضربوا المشتركين فيها ، كما تم اعتقال مئات الطلاب وطردهم من مؤسسات التعليم العالي ؛

وكانت اعمال التنكيل قاسية جداً بحق المشتركين في مظاهرة ٤ (١٧) آذار ١٩٠١ في ساحة كاتدرائية قازان في بطرسبورغ .ـ ص ٩٦

٧٤ ـ «**سفوبودا**» («الحرية») ـ مجلة اصدرتها في سويسرا في سنتي ١٩٠١ـ١٩٠٢ جماعة تسمت بنفس الاسم وانبثقت في ايار (مايو) ١٩٠١ واطلقت على نفسها اسم الجماعة «الثورية الاشتراكية» صدر من المجلة عددان رقم ١ ـ في سنة ١٩٠١ ، ورقم ٢ ـ في سنة ١٩٠٢

كانت جماعة «سفوبودا» تروج في مطبوعاتها بافكار «الاقتصادية» والارهابية ، وتؤيد الجماعات المعادية «للايسكرا» في روسيا انحلت هذه الجماعة في سنة ١٩٠٣ .ـ ص ٩٩

٧٥ ـ راجع ماركس وانجلس «بيان الحزب الشيوعي» ، الطبعة العربية موسكو .ـ ص ١١٠

٧٦ ـ **الزيمستفويون** ـ رجال الزيمستفوات

الزيمستفو ـ بهذا الاسم اسميت الادارة الذاتية المحلية برئاسة الاعيان في المحافظات الوسطى من روسيا القيصرية انشئت هذه الادارة في عام ١٨٦٤ كانت صلاحيات الزيمستفوات تقتصر على الشؤون الاقتصادية المحلية الصرف (بناء المستشفيات ، مد الطرق ، الاحصاء ، الضمان ، وغير ذلك) كانت تقوم باعمالها تحت مراقبة المحافظين ووزارة الداخلية ، الذين كان بوسعهم تعليق القرارات غير الملائمة للحكومة

كان قسم كبير من رجالات الزيمستفوات يتالف من المثقفين ذوي الميول الليبيرالية من اطباء ومهندسين زراعيين ، ومعلمين نحو اوائل القرن العشرين اشتدت حركة المعارضة بين الزيمستفويين الليبيراليين وطرحت في الاجتماعات الزيمستفوية مشاريع بتوسيع حقوق الزيمستفوات ، وكتبت عرائض الى القيصر تتضمن المطالبة بالاصلاحات والخ حاولت الحكومة القيصرية ان تقمع الحركة الزيمستفوية باعمال القمع .ـ ص ١٢٠ .

٧٧ ــ في ١٩ شباط (فبراير) ١٨٦١ صدر بيان القيصر الكسندر الثاني بالغاء القنانة في روسيا ولمناسبة الذكرى السنوية الاربعين لهذا الحادث ، نشرت «الايسكرا» في عددها الثالث مقالة لينين «حزب العمال والفلاحون» . ــ ص ١٢٣

٧٨ ــ المقصود هنا المذكرة السرية التي وجهها وزير المالية فيته الى القيصر والتي نشرتها هيئة تحرير «زاريا» في شتوتغارت عام ١٩٠١ بعنوان «الحكم المطلق والزيمستفو» مع مقدمة بقلم ر ن س (الاسم المستعار لستروفه) كانت «مذكرة» فيته معادية شديدة العداء للزيمستفو ، وتحاول ان تبرهن التنافر بين وجود الزيمستفو ووجود الحكم المطلق وتقدم مادة كبيرة تبين كيف انتهجت الحكومة القيصرية باستمرار ، منذ تأسيس الزيمستفو ، سياسة التضييق على الزيمستفو وبتر حقوقها كانت مقدمة ستروفه تنتقد «المذكرة» من مواقع الليبيرالية البرجوازية . ــ ص ١٢٣

٧٩ ــ المقصود هنا القانون الذي اصدرته الحكومة القيصرية في ٨ حزيران (يونيو) ١٩٠١ بتخصيص الاراضي الاميرية في سيبيريا للافراد ؛ هذا القانون كان يؤمن فوائد كبيرة للاعيان الذين كانوا يستأجرون ويشترون الاراضي في سيبيريا وقد اصدرت «الايسكرا» في عددها رقم ٨ مقالة لينين حول هذا القانون «انصار القنانة في العمل» ــ ص ١٢٣

٨٠ ــ «**روسيا**» ــ جريدة يومية ليبيرالية معتدلة صدرت في بطرسبورغ من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠٢ . ــ ص ١٢٤

٨١ ــ تعبير «امر ! خدمة !» يستعمل في الادب الروسي للاشارة الى اللامبدئية والمداهنة ، والاستعداد الذليل لاسترضاء وخدمة ذوي المقام الرفيع . ــ ص ١٢٦

٨٢ ــ «**سانت بيتربورغسكيه فيدوموستي**» ــ جريدة صدرت في بطرسبورغ من سنة ١٧٢٨ الى سنة ١٩١٧ . ــ ص ١٢٦ .

٨٣ ــ «**روسكيه فيدوموستي**» ــ جريدة صدرت في موسكو من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٩١٨ ؛ اعربت عن آراء المثقفين الليبراليين المعتدلين ابتداء من سنة ١٩٠٥ ، كانت الجريدة لسان حال الجناح الايمن من حزب الكاديت . ــ ص ١٢٦

٨٤ ــ «**المفهوم البرينتاني عن النضـــال الطبقي**» ، «البرينتانيـــة» ــ مذهب برجوازي ليبيرالي يروج بامكانيـــة حل المسألـــة العمالية في اطار الرأسمالية عن طريق قوانين المعامل وتنظيم العمال في النقابات اسمى باسم لويس برينتانو ، البروفسور في الاقتصاد السياسي بجامعة مونيخ ، واحد ممثلي اشتراكية المنابر الجامعيـة الرئيسيين . ــ ص ١٢٦

٨٥ ــ «**جماعة نضال العمل ضد راس المال**» ــ اسسهـــا غوتوفسكي في بطرسبورغ في ربيع ١٨٩٩ كانت تتالف من عدد من العمـــال والمثقفين ولم يكن لها ارتباط وثيق بحركة العمال في بطرسبورغ ؛ ولم تلبث ان انحلت بعد اعتقال جميع اعضائها تقريباً في صيف سنة ١٨٩٩ ؛ كانت هذه الجماعة ، من حيث نظراتها ، قريبة من «الاقتصادية» . ــ ص ١٣٤

٨٦ ــ **نرسيس** ــ في الميثولوجية الاغريقية شاب جميل رأى صورته في الماء فعشق نفسه . ــ ص ١٣٧

٨٧ ــ جواب N.N. (ن ن .) (الاسم المستعـــار لسرغي نيقولايفيتش بروكوبوفيتش) على كراس اكسلرود «اضواء على مسالة مهـــام الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس المعاصرة وتكتيكهم» وفيه انتقد اكسلرود من مواقـــع «الاقتصاديـة» ؛ وقد نشره بليخانوف في «Vademecum» لهيئـــة تحرير «رابوتشييـــه ديلو» (سنـــة ١٩٠) . ــ ص ١٤٢

٨٨ ــ المقصود ، على ما يبدو اللقاء الاول الذي جرى في عام ١٩٠١ بين لينين ومارتينوف . ــ ص ١٤٣ .

٨٩ – **الستروفية** – «الماركسية العلنية» راجعوا الملاحظة رقم ٣٢ – ص ١٤٨

٩٠ – **افاناسي ايفانوفيتش وبولخيريا ايفانوفنـــا** – زوجان من الملاكين العقاريين ذوي الاهتمامات الضيقة للغاية ، وصفهما الكاتب الروسي نيقولاي غوغول في قصته «ملاكون من العصر الغابر» . – ص ١٤٩

٩١ – يشير لينين الى حلقة الاشتراكيين-الديموقراطيين («الشيوخ») التي كان يرأسها في بطرسبورغ وقد كانت هذه الحلقة الاساس الذي قام عليه في سنة ١٨٩٥ «اتحاد النضال من اجل تحرير الطبقـــة العاملة» . – ص ١٦٢

٩٢ – **جماعة «زيمليا إي فوليا»** – اعضاء منظمة «زيمليا إى فوليـــا» («لارض والحرية») وهي منظمة سرية اسسهـــا الشعبيون الثوريون في خريف سنة ١٨٧٦ في بطرسبورغ

قامت المنظمة على اساس المركزية الصارمـــة والانضباط الصارم ودون الامتناع عن اعتبار الاشتراكية هدفهـــا النهائي ، طرحت امر تحقيق «مطالب الشعب كما هي عليه في الوقت الحاضر» اى مطالب «الارض والحرية» على انه اقرب هدف

وبما ان الزيمليفوليين كانوا يعتبرون الفلاحين القوة الثورية الاساسية في روسيا ، فقد حاولوا استنهاض الفلاحين للانتفاض على القيصرية وقاموا باعمال التحريض في عدد من محافظات روسيا

وتحت تاثير الاخفاق الذي مني به التحريض الاشتراكي بين الفلاحين ، وتشديد الحكومة لاعمال القمع ، تشكلت في سنة ١٨٧٩ داخل «زيمليا اى فوليا» فرقة ارهابيين عدلت عن الدعاية الثورية بين الفلاحين ورأت في ارهاب قادة الحكومـــة القيصرية الوسيلـــة الرئيسية في النضال الثوري ضد القيصرية

وفي مؤتمر انعقد في السنـــة المذكورة بمدينـــة فورونيج ، انشقت «زيمليـــا اي فوليـــا» الى منظمتين «نارودنايا فوليا» («ارادة الشعب») التي سلكت طريق الارهـــاب ، و «تشورني

بيريديل» («التقسيم الاسود») التي ظلت متمسكة بمواقف «زيمليا إي فوليا» فيما بعد ، انتقل قسم من «تشورني بيريديل» – بليخانوف واكسلرود وزاسوليتش ودويتش واغناتوف – الى مواقف الماركسية ، واسسوا ، سنة ١٨٨٣ ، في الخارج ، اول منظمة ماركسية روسية هي فرقة «تحرير العمل» . – ص ١٧٢

٩٣ – المقصود هو كراس «**تقرير عن الحركة الاشتراكية – الديموقراطية الروسية الى المؤتمر الاشتراكي العالمي في باريس سنة ١٩٠٠**» ؛ وقد اصدره «اتحاد الاشتراكيين – الديموقراطيين الروس» ، جينيف ، سنة ١٩٠١ كتبت هيئة تحرير «رابوتشييه ديلو» التقرير بتكليف من «الاتحاد» . – ص ١٨٣

٩٤ – يقصد لينين الملاحظة الجدالية الواردة في مقالة ر م «واقعنا» الصادرة في «الملحق الخاص لرابوتشايا ميسل» (ايلول – سبتمبر – ١٨٩٩) التي يستهد بها في الفقرة «ب» من الفصل الثالث (انظروا هذا المجلد ، ص ٩٢) . – ص ١٨٨

٩٥ – «**يوجني رابوتشي**» («العامل الجنوبي») – جريدة اشتراكية-ديموقراطية اصدرتها جماعة بنفس الاسم بصورة سرية من كانون الثاني (يناير) ١٩٠٠ الى نيسان (ابريل) ١٩٠٣ صدر منها ١٢ عدداً كانت الجريدة توزع بصورة رئيسية في المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية في جنوب روسيا . – ص ١٩٠

٩٦ – يشير لينين الى نشرة اصدرتها هيئة تحرير جريدة «رابوتشايا ميسل» بعنوان «اسئلة حول وضع الطبقة العاملة في روسيا» (سنة ١٨٩٨) ، وكراس بعنوان «اسئلة لجمع المعلومات عن وضع الطبقة العاملة في روسيا» (سنة ١٨٩٩) تضمنت النشرة ١٧ سؤالا وتضمن الكراس ١٥٨ سؤالا حول ظروف عمل ومعيشة العمال . – ص ١٩٢ .

٩٧ – شملت الحركة الاضرابية لعام ١٨٨٥ عدداً كبيراً من معامل صناعة النسيج في محافظات فلاديمير وموسكو وتفير وغيرها من المحافظات الوسطى الصناعيـــة واشهر هذه الاضرابات كان اضراب عمـال مانيفاكتورة سافـا موروزوف في نيقولسك في كانون الثاني (يناير) ١٨٨٥ (اضراب عمال موروزوف) ومن المطالب الرئيسيـة التي تقدم بها العمال تقليل الغرامات وتنظيم شروط استئجار الايدي العاملة والخ ؛ قاد الاضراب العمال المتقدمون واضراب عمال موروزوف هذا الذي اشترك فيـــه زهاء ٨ آلاف من العمال قد قمع بواسطـة الجيش ؛ واحيل الى القضاء ٣٣ من العمال المشتركين في الاضراب وجرى نفي اكثر من ٦٠٠ عامل تحت تاثير الحركـــة الاضرابية في سنتي ١٨٨٥ ــ ١٨٨٦ ، اضطرت الحكومة القيصريـة الى اصدار قانون ٣ (١٥) حزيران (يونيو) ١٨٨٦ (ما يسمى «بقانون الغرامات») . – ص ١٩٣

٩٨ ــ **اسطبلات اوجياس** ــ تقول الاساطير الاغريقية القديمة انها اسطبلات في منتهى القذر كان يملكها الملك اوجياس ونظفها البطل الاسطوري هرقل (هيراكلس) في يوم واحد . – ص ١٩٥

٩٩ – هذه الملاحظة اعطاها لينين بسبب المراقبة والوقائع مذكورة هنا بالضبط بنفس الترتيب الذي حدثت به فعلا ــ ص ١٩٩

١٠٠ ــ **«عصبة الاشتراكيـة – الديموقراطيـة الثورية الروسيـة في الخارج»** تاسست بمبادرة من لينين في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠١ . ضمت العصبـــة فرع منظمـة «الايسكرا» في الخارج والمنظمـة الثوريـة «سوسيال – ديموقراط» («الاشتراكي – الديموقراطي») (التي كانت تضم فرقة «تحرير العمل») كانت مهمة العصبة تتلخص في نشر افكار الاشتراكية – الديموقراطية الثورية وفي التمهيد لانشاء منظمـة اشتراكية–ديموقراطية كفاحية وكانت العصبة ممثل منظمـــــة «الايسكرا» في الخارج وقد رصت صفوف انصار «الايسكرا» من عداد الاشتراكيين – الديموقراطيين الروس في الخـــارج ودعمـــت

«الايسكرا» مادياً ، ونظمت ايصال الجريدة الى روسيا واصدرت المطبوعات الماركسية بلغة مبسطة مستساغة اصدرت العصبة عدة «نشرات» وكراريس اقر المؤتمر الثاني ح ع ا د ر العصبة بوصفها منظمةٍ الحزب الوحيدة في الخارج والزمها بالعمل تحت قيادة واشراف اللجنة المركزية ا ح ع ا د ر

بعد المؤتمر الثاني ا ح ع ا د ر ، وطد المناشفة اقدامهم في «العصبة في الخارج» وجعلوها مركزاً للنضال ضد لينين وضد البلاشفة وفي المؤتمر الثاني للعصبة في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٣ ، شنوا حملة افتراء على البلاشفة ، فانسحب لينين وانصاره من جلسة المؤتمر . وصادق المناشفة على نظام داخلي جديد للعصبة يتعارض والنظام الداخلي للحزب الذي اقره المؤتمر الثاني ا ح ع ا د ر . ومنذ ذلك الحين ، غدت العصبة حصن المنشفية ؛ وقد عاشت حتى سنة ١٩٠٥ . — ص ٢٠٠

١٠١ ــ يقتبس لينين من مقال دميتري بيساريف «زلات تفكير غير ناضج» . — ص ٢١٧

١٠٢ ــ «**ليستوك «رابوتشييه ديلو»**» («ورقة «قضية العمال»») ــ ملحق غير دوري اصدرته مجلة «رابوتشييه ديلو» في جينيف من حزيران (يونيو) ١٩٠٠ الى تموز (يوليو) ١٩٠١ لم يصدر من «ليستوك» غير ٨ اعداد . — ص ٢١٧

١٠٣ ــ يقصد لينين الفقرة التالية من مؤلف ماركس «الثامن عشر من برومير لويس بونابرت» «يقول هيغل في مكان ما ان جميع الاحداث والشخصيات العظيمة في تاريخ العالم تظهر ، اذا جاز القول ، مرتين وقد نسي ان يضيف المرة الاولى كماساة ، والمرة الثانية كمسخرة» . — ص ٢١٨ .

١٠٤ ــ في تشرين الثاني (نوفمبر) وكانون الاول (ديسمبر) ١٩٠١ ، تدفقت في عموم روسيـــا موجـــة من مظاهرات الطلاب لقيت مساندة العمال . ــ ص ٢٢١

١٠٥ ــ **الانكشارية** ــ المشاة النظامية في تركيا السلطانيـــة وقد جرى تشكيلها في القرن الرابع عشر ، وكانت اهم قوة بوليسيـة في النظام السلطاني كان الانكشاريـة يتصفون بخارق القسوة ويطلق لينين اسم الانكشارية على البوليس القيصري . ــ ص ٢٢٢

١٠٦ ــ **المؤتمر الاول لحزب العمال الاشتراكي ـ الديموقراطي في روسيـــا** انعقد في مينسك من الاول الى الثالث (١٣ ــ ١٥) من شهر آذار (مارس) ١٨٩٨ . حضر المؤتمر ٩ مندوبين عن ٦ منظمات انتخب المؤتمر لجنة الحزب المركزية ونشر «البيان» بعد المؤتمر على الفور ، اعتقل اعضاء اللجنة المركزية وهكذا لم يتم آنذاك عمليا توحيد المنظمات المحلية في حزب واحد . ــ ص ٢٢٧

١٠٧ ــ **المكتب الاشتراكي العالمي** (م ع) ــ هيئـة تنفيذيـة استعلاميـة دائمـة في الاممية الثانيـة ، تتألف من ممثلين عن جميع الاحزاب الاشتراكية المنضمة الى الاممية الثانية وقد انتخب بليخانوف وكريتشيفسكي ممثلين للاشتراكيين ـ الديموقراطيين الروس في المكتب الاشتراكي العالمي ومنذ ١٩٠٥ كان لينين ممثل ح ع ادر في م ا ع كف المكتب عن نشاطه في عام ١٩١٤ . ــ ص ٢٣٠

١٠٨ ــ **المنظمـــة الثوريـــة «سوسيـــال ـ ديموقراط»** («الاشتراكـي ـ الديموقراطي») ــ انشاهـا اعضاء فرقة «تحرير العمل» ورفاقهـم بالفكر في ايار (مايو) ١٩٠ بعد انشقاق «اتحاد الاشتراكيين ـ الديموقراطيين الروس في الخارج» في مؤتمره الثاني ناضلت منظمة «الاشتراكي ـ الديموقراطي» ضد جميع المحاولات الانتهازية لتشويه الماركسية واصدرت «بيان الحزب الشيوعي» وبضعـة كراريس لبليخانوف وكاوتسكي وغيرهما . في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠١ ،

اتحدت ، بناء على اقتراح من لينين ، مع فرع منظمة «الايسكرا» في الخارج ، في «عصبة الاشتراكية ـ الديموقراطية الثورية الروسية في الخارج» . ـ ص ٢٣١

١٠٩ ـ راجعوا الملاحظة رقم ٤ . ـ ص ٢٣١

١١٠ ـ يقصد لينين فرقة «النضال» الاشتراكية ـ الديموقراطية في الخارج تشكلت الفرقة في صيف ١٩٠٠ في باريس ، واتخذت في ايار (مايو) ١٩٠١ اسم «فرقة «النضال»» سعيا لاجراء التصالح بين الاتجاه الثوري والاتجاه الانتهازي في الاشتراكية ـ الديموقراطية الروسية ، بادرت فرقة «النضال» الى الدعوة الى عقد كونفيرانس جينيف لممثلي المنظمات الاشتراكية ـ الديموقراطية في الخارج ـ هيئة تحرير «الايسكرا» و«زاريا» ، منظمة «الاشتراكي ـ الديموقراطي» ، لجنة البوند في الخارج ، «اتحاد الاشتراكيين ـ الديموقراطيين الروس» (حزيران ـ يونيو ـ ١٩٠١) واشتركت في عمل المؤتمر «التوحيدي» (تشرين الاول ـ اكتوبر ـ ١٩٠١) لم تقبل فرقة «النضال» في المؤتمر الثاني ح ع ا د ر ، نظراً لانحرافها عن المفاهيم الاشتراكية ـ الديموقراطية والتكتيك الاشتراكي ـ الديموقراطي ، ونظراً لاعمالها التشويشية ، ونظراً لانعدام الصلة بينها وبين المنظمات الاشتراكية ـ الديموقراطية في روسيا بقرار من المؤتمر الثاني ، حلت فرقة «النضال» ـ ص ٢٣٢

١١١ ـ في العدد ١٨ بتاريخ ١٠ آذار (مارس) ١٩٠٢ ، صدرت في باب «من الحزب» النبذة «مناظرة «زاريا» مع هيئة تحرير „Vorwärts“ » ؛ عرضت هذه النبذة وجهة نظر هيئة تحرير «الايسكرا» و«زاريا» الى هذه المناظرة . ـ ص ٢٣٦

١١٢ ـ اي بعد اصلاح عام ١٨٦١ الذي الغى القنانة في روسيا . ـ ص ٢٤١.

١١٣ ـ **«الاشتراكيون ـ الثوريون»** ـ حزب برجوازي صغير في روسيا ، تاسس في اواخر ١٩٠١ واوائل ١٩٠٢ بنتيجة توحيد مختلف

فرق وحلقات الشعبيين قال الاشتراكيون-الثوريون عن انفسهم بانهم اشتراكيون ولكن اشتراكيتهم كانت اشتراكية طوبوية برجوازية صغيرة

تضمن برنامج الاشتراكيين-الثوريين الزراعي مطلب تصفية ملكية الملاكين العقاريين للارض والغاء الملكية الخاصة للارض وتسليم الارض كلها للمشاعات الفلاحية بموجب الانتفاع المتساوي بالارض على اساس العمل مع اعادة تقسيم الارض بصورة دورية منتظمة حسب عدد الافواه او حسب افراد العائلة القادرين على العمل (ما يسمى «بجعل الارض ملكية اجتماعية»)

اما في الواقع ، فان تحقيق «الانتفاع المتساوي بالارض على اساس العمل» لم يكن من شانه ، مع بقاء علاقات الانتاج الرأسمالية ، ان يعني الانتقال الى الاشتراكية ، وكان من شانه ان يؤدي فقط الى القضاء على العلاقات شبه الاقطاعية في الريف وتطور الرأسمالية بصورة متسارعة

لم ير الاشتراكيون-الثوريون الفوارق الطبقية بين البروليتاريا والفلاحين وطمسوا التمايز الطبقي والتناقضات داخل صفوف الفلاحين ، ــ بين الفلاحين الكادحين والكولاك (الفلاحين الاغنياء الذين يستثمرون عمل الغير)، وانكروا دور البروليتاريا القيادي في الثورة وكان الارهاب الفردي طريقتهم الرئيسية للنضال ضد القيصرية

بعد هزيمة الثورة الروسية الاولى (١٩٠٥ ــ ١٩٠٧) عانى حزب الاشتراكيين-الثوريين ازمة فان قيادة الحزب قد عدلت عملياً عن النضال الثوري ضد القيصرية بعد الاطاحة بالقيصرية في شباط (فبراير) ١٩١٧ ، دخل زعماء الاشتراكيين-الثوريين في الحكومة الموقتة البرجوازية ، وناضلوا ضد الطبقة العاملة التي كانت تهيئ للثورة الاشتراكية ، واشتركوا في قمع الحركة الفلاحية في صيف ١٩١٧ بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، ناضل الاشتراكيون-الثوريون بنشاط ضد السلطة السوفييتية . ــ ٢٤٢

١١٤ ــ «**فستنيك روسكوي ريفولوتسيي**» («بشير الثورة الروسية») استعراض اجتماعي سياسي» ــ مجلة سرية صدرت في الخارج من

عام ١٩٠١ الى عام ١٩٠٥ صدر منها ٤ اعداد ابتداء من العدد الثاني ، لسان حال الاشتراكيين-الثوريين النظري ـ ص ٢٤٢

١١٥ ـ يقصد لينين النداء «الى جميع رعايا القيصر الروسي» المطبوع في ٣ نيسان (ابريل) ١٩٠٢ في مطبعة حزب الاشتراكيين-الثوريين ، واصدار هذا النداء في جريدة «ريفولوتسيونايا روسيا» («روسيا الثورية») ، العدد ٧ ، حزيران (يونيو) ١٩٠٢ ـ ص ٢٤٥

١١٦ ـ يورد لينين مقتبسات من نداء اتحاد الفلاحين لحزب الاشتراكيين-الثوريين «الى جميع عاملي الاشتراكية الثورية في روسيا» («ريفولوتسيونايا روسيا» ، العدد ٨ ، ٢٥ حزيران ١٩٠٢ ، ص ٦) ـ ص ٢٥٠

١١٧ ـ راجعوا الملاحظة رقم ١٤ . ـ ص ٢٥٥

١١٨ ـ المقصود هنا احدى قصائد «الشعر النثرى» للكاتب الروسى تورغينيف ، وهي «قاعدة الحياة» . ـ ص ٢٥٧

١١٩ ـ المقصود هنا اصلاح عام ١٨٦١ الذي الغى القنانة في روسيا ، والاصلاحات التي اعقبته في ميدان المالية والتعليم الشعبي ، واصلاح القضاء ، والاصلاح العسكري وغير ذلك . ـ ص ٢٦٠

١٢٠ ـ راجعوا الملاحظة رقم ٢٧ . ـ ص ٢٦١

١٢١ ـ راجعوا الملاحظة رقم ٦٨ . ـ ص ٢٦٥

١٢٢ ـ **حصة الارض** (الارض الممنوحة) ـ المقصود هنا الارض الممنوحة للفلاحين للانتفاع بها بعد الغاء القنانة في روسيا عام ١٨٦١ . لم يكن يحق للفلاحين بيع حصة الارض ؛ وكانت حصة الارض في قسم كبير من روسيا موجودة كملكية مشاعية وكان يجري توزيعها بين الفلاحين للانتفاع بها عن طريق اعادة تقسيم الارض بصورة دورية. ـ ص ٢٦٦ .

١٢٣ ــ افاد لينين في رسالة كتبها الى بليخانوف في آذار (مارس) ١٩٠٣ عن الغاية من كراس «الى الفلاحين الفقراء» انه يكتب كراساً بلغة مبسطة لاجل الفلاحين عن البرنامج الزراعي يوضح فيه الفكرة الماركسية عن النضال الطبقي في الريف بالاستناد الى معطيات ملموسة عن فئات سكان الريف الاربع (الملاكون العقاريون ، البرجوازية الفلاحية ، الفلاحون المتوسطون ، انصاف البروليتاريين مع البروليتاريين)

في ايار (مايو) ١٩٠٣ ، اصدرت «عصبة الاشتراكية-الديموقراطية الثورية الروسية في الخارج» الكراس في جينيف . وفي عام ١٩٠٤ ، اعادت طبعه اللجنة المركزية ح ع ا د ر في الخارج وغير مرة اعادت طبعه المنظمات المحلية ح ع ا د ر في روسيا ايضاً

انتشر كراس لينين انتشاراً واسعاً جداً وكان ينقل سراً من الخارج الى روسيا ، حيث كان يوزع في مختلف المدن ، ومنها في القرى . وكان موضع دراسة في حلقات العمال الاشتراكية-الديموقراطية السرية ، وكان يتسرب الى الجيش والاسطول والى تلامذة المدارس والى الطلاب

في عام ١٩٠٥ ، اعدّ لينين طبعة علنية للكراس وبما ان الطبعة العلنية جرى اعدادها في ظروف تاريخية جديدة ــ في مرحلة نهوض الثورة الروسية الاولى ــ ، فقد ادخل لينين على نص الكراس تعديلات واضافات وهذا المؤلف يصدر في هذا المجلد حسب طبعة ١٩٠٣ وقد اشير في الملاحظات في اسافل الصفحات الى اهم التغييرات التي ادخلها لينين على النص عند اعداد الطبعة العلنية ــ ص ٢٦٨

١٢٤ ــ اي في موسكو وبطرسبورغ . ــ ص ٢٦٨

١٢٥ ــ **دوما الدولة** ــ مؤسسة تمثيلية اضطرت الحكومة القيصرية الى عقدها بنتيجة الاحداث الثورية في عام ١٩٠٥ شكلاً كان دوما الدولة هيئة تشريعية ، ولكنه في الواقع لم يكن يملك اي سلطة فعلية . لم

تكن الانتخابات الى دوما الدولة مباشرة ومتساوية وعامة وكانت الحقوق الانتخابية للطبقات الكادحة وكذلك للقوميات غير الروسية القاطنة في روسيا مبتورة جداً ؛ وكان قسم كبير من العمال والفلاحين لا يملكون البتة اي حقوق انتخابية وبموجب القانون الانتخابي الصادر في ١١ (٢٤) كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٥ ، كان صوت الملاك العقاري بوازي ٣ اصوات لممثلي البرجوازية المدينية ، و ١٥ صوتاً من اصوات الفلاحين و ٤٥ صوتاً من اصوات العمال . — ص ٢٧٣

١٢٦ ــ **ناحية** ــ في روسيا ما قبل الثورة ــ ادنى وحدة ادارية اقليمية ، داخلة في قوام القضاء الذي كان بدوره داخلاً في قوام المحافظة . — ص ٢٧٤

١٢٧ — **مارشال النبلاء** ــ ممثل النبلاء في المحافظة او في القضاء في روسيا القيصرية ، كان ينتخبه اجتماع النبلاء المعني كان مارشال النبلاء يصرف شؤون النبلاء ، ويشغل دوراً هاماً في الادارة ، ويرأس الاجتماعات الزيمستفوية . — ص ٢٧٤

١٢٨ ــ المقصود هنا الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ ــ ١٩٠٥) . — ص ٢٧٥

١٢٩ ــ المقصود هنا **اتحاد الفلاحين لعامة روسيا** ، وهو منظمة ثورية ديموقراطية نشأت في عام ١٩٠٥

طالب اتحاد الفلاحين بالحرية السياسية وبعقد الجمعية التاسيسية على الفور ؛ وكان برنامجه الزراعي يتضمن مطلب الغاء الملكية الخاصة للارض

وبما ان الاتحاد كان متأثراً بالاشتراكيين-الثوريين والليبراليين ، فقد كان يبدي في سياسته الميوعة البرجوازية الصغيرة والتذبذب وخور العزيمة

في مستهل عام ١٩٠٧ ، زال الاتحاد من الوجود . — ص ٢٧٧ .

١٣٠ ـ كلمات من «بيان الحزب الشيوعي» ـ وهو من اعظم الوثائق البرنامجية للشيوعية العلمية ؛ وقد كتبه ماركس وانجلس في عام ١٨٤٨ . ـ ص ٢٧٩

١٣١ ـ **الكولاك** ـ «فلاحون اغنياء يستغلون عمل الغير ، إما باستخدام العاملين ، واما بالربا وما الى ذلك» (لينين) . ـ ص ٢٨٤

١٣٢ ـ **الاراضي المقتطعة** («اوتريزكي») ـ الاراضي التي اقتطعت في صالح الملاكين العقاريين من اراضي الفلاحين بموجب اصلاح عام ١٨٦١ وكانت اساسا خيرة الاقسام من حصص الفلاحين ـ المروج ، الغابات ، المراعي ، المساقي ، التي لم يكن بمقدور الفلاحين بدونها ان يسيروا استثماراتهم بصورة مستقلة . ـ ص ٣٠٤

١٣٣ ـ **الشرعات التنظيمية** ـ الوثائق التي كانت تعين العلاقات الزراعية بين الفلاحين الملزمين موقتا والملاكين العقاريين لمناسبة الغاء القنانة في عام ١٨٦١ كانت الشرعة التنظيمية تعين مساحة الاراضي التي كان ينتفع بها الفلاحون قبل الاصلاح ، وتحدد مساحات الحصص الباقية لدى الفلاحين بعد الاصلاح وكانت الشرعة تعدد كذلك الالتزامات المترتبة سابقا على الفلاحين في صالح الملاك العقاري وبموجب الشرعة التنظيمية ، كان يعين معدل التعويضات الواجبة على الفلاحين . ـ ص ٣٣٣

١٣٤ ـ **التكافل والتضامن** ـ المسؤولية التي كانت تفرض على فلاحي كل مشاعة ريفية دفع جميع المبالغ المترتبة في حينه وتنفيذ شتى الالتزامات والاتاوات في صالح الدولة والملاكين العقاريين (الضرائب ، التعويضات ، التجنيد ، والخ) ان هذا الشكل من استعباد الفلاحين قد ظل قائما في روسيا حتى بعد الغاء القنانة ، ولم يلغ الا عام ١٩٠٦ . ـ ص ٣٣٥

١٣٥ ـ **استئجار الشتاء** ـ طريقة كان يلجأ اليها الملاكون العقاريون والكولاك لاستئجار الفلاحين في الشتاء لاجل القيام بالاعمال الصيفية ، اي حين

كان الفلاحون بأمس الحاجة الى النقود كان الاستئجار يتم بموجب شروط مجحفة بحق الفلاحين . — ص ٣٥٦

١٣٦ ــ المقصود هنا جريدة «الايسكرا» . راجعوا الملاحظة رقم ٣ . ــ ص ٣٦٣

١٣٧ ــ **ح ا ب — الحزب الاشتراكي البولوني** — حزب اصلاحي قومي انشئ في عام ١٨٩٢ . ــ ص ٣٦٤

١٣٨ — **"Przedświt"** (« بشيدشفيت » — « الفجر ») ــ مجلة سياسية بدأ يصدرها فريق من الاشتراكيين البولونيين منذ عام ١٨٨١ صدرت بانقطاعات حتى عام ١٩٢٠ . ــ ص ٣٦٤

١٣٩ — راجعوا الملاحظة رقم ٥٧ . — ص ٣٦٧

١٤٠ ــ **«الجريدة الرينانيـــة الجديدة»** „Neue Rheinische Zeitung" ــ « نويه رينيشيه زايتونغ ») ــ صدرت يوميا في كولونيا بتحرير ماركس من اول حزيران (يونيو) ١٨٤٨ الى ١٩ ايار (مايو) ١٨٤٩

وبما ان الجريدة كانت لسان الحال الكفاحي للجناح البروليتاري في الديموقراطية ، فقد اضطلعت بدور مربي الجماهير الشعبيـــة واستنهضتها الى النضال ضد الثورة المضادة وعلى العموم ، كان ماركس وانجلس يكتبان المقالات الافتتاحية التي تحدد موقف الجريدة من اهم القضايـــا في الثورة الالمانية والثورة الاوروبية — ص ٣٦٧

١٤١ ــ **برلمان فرانكفورت** — الجمعيـــة الوطنيـــة في فرانكفورت — الجمعيـــة الوطنية لعموم المانيا — انشئت بعد ثورة آذار (مارس) ١٨٤٨ في المانيا كانت مهمتها الرئيسية تتلخص في تصفية التجزؤ السياسي وفي وضع دستور لعموم المانيا ولكن الجمعية ، بسبب من جبانة وذبذبات اغلبيتها الليبيرالية ، وبسبب من ميوعة وتارجح الجناح

اليساري البرجوازي الصغير ، خافت ان تأخذ السلطة العليا في البلاد بيدها ، ولم تستطع ان تقف موقفاً حازماً في القضايا الاساسية للثورة الالمانية في عامي ١٨٤٨ - ١٨٤٩ ولم تفعل شيئاً لاجل تخفيف اوضاع العمال والفلاحين ، ولم تدعم حركة التحرر الوطني في بولونيا وبلاد التشيك ، وحبذت سياسة الاضطهاد التي كانت تنتهجها النمسا وبروسيا حيال الشعوب المستعبدة ولم تعمد الجمعية الى حشد قوى الشعب للرد على هجوم الثورة المضادة وللدفاع عن الدستور الامبراطوري الذي وضعته في آذار ١٨٤٩ . وفي حزيران ١٨٤٩ جرى حل الجمعية ـ ص ٣٦٧

١٤٢ ـ انجلس المناقشات في المسالة البولونية في فرانكفورت ـ ص ٣٦٨

١٤٣ - راجعوا الملاحظة رقم ٢٣ . - ص ٣٦٩

١٤٤ - في ٩ كانون الثاني ١٩٠٥ ، اطلقت النار ، بناء على امر من القيصر ، على مظاهرة سلمية قام بها عمال بطرسبورغ ونظمها الكاهن غابون واتجهت الى قصر الشتاء (قصر القيصر) لاجل تقديم عريضة للقيصر . رداً على هذه الجريمة البشعة ، جريمة اطلاق النار على العمال العزل من السلاح ، بدأت في عموم روسيا اضرابات ومظاهرات سياسية جماهيرية

كانت احداث ٩ كانون الثاني الذي اسمي بيوم الاحد الدامي بداية ثورة ١٩٠٥ـ١٩٠٧ . ـ ص ٣٧٥

١٤٥ - **الجوريسية** - تيار اسمي باسم الاشتراكي الفرنسي جان جوريس الذي كان يرأس الجناح اليميني ، الاصلاحي ، في الحركة الاشتراكية الفرنسية تحت ستار المطالبة «بحرية النقد» ، طالب الجوريسيون بتحريف الموضوعات الاساسية في الماركسية ، ودعوا الى التعاون الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية في عام ١٩٠٢ ، شكل الجوريسيون الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي وقف مواقف اصلاحية . ـ ص ٣٨١ .

١٤٦ – **مؤتمر امستردام** – انعقد المؤتمر الاشتراكي العالمي للاممية الثانية في امستردام في آب (اغسطس) ١٩٠٤ تدارس المؤتمر المسائل التالية ١ – قواعد التكتيك الاشتراكي العالمية ؛ ٢ – السياسة الاستعمارية ٣ – الاضراب العام ؛ ٤ – السياسة الاجتماعية وضمان العمال ؛ ٥ – التروستات والبطالة ، وغير ذلك من المسائل .

في القرار بصدد المسالة الاولى الذي يستشهد به لينين ، اشير الى ان الاشتراكية-الديموقراطية «لا يمكنها ان تسعى وراء الاشتراك في السلطة الحكومية في اطار المجتمع البرجوازي» ولكن الزعماء اليمينيين في الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية ، خلافا لقرار مؤتمر امستردام ، اشتركوا ولا يزالون يشتركون في الحكومات البرجوازية مطبقين سياسة صيانة وتوطيد الدولة البرجوازية وسيادة البرجوازية . – ص ٣٨٣

١٤٧ – **«فبريود»** («الى الامام») – جريدة شيوعية بلشفية سرية صدرت في جينيف من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٤ حتى ايار (مايو) ١٩٠٥ صدر منها ١٨ عددا كان لينين منظم الجريدة وملهمها الفكري ، وقائدها المباشر . – ص ٣٨٤

١٤٨ – **الايسكريون الجدد** – المناشفة ، انصار «الايسكرا» الجديدة (راجعوا الملاحظة رقم ٣) . – ص ٣٨٥

١٤٩ – المقصود هنا بطريقة مبسطة ، وحسب اسلوب ايلوفايسكي – المؤرخ ومؤلف الكتب المدرسية التي عرض التاريخ فيها بشكل ساذج للغاية . – ص ٣٨٦

١٥٠ – استعمل لينين تعبير **«البلاهة البرلمانية»** بحق الانتهازيين الذين كانوا يعتقدون ان النظام البرلماني كلي القدرة وان النشاط البرلماني هو الشكل الوحيد للنضال السياسي ، ايا كانت الظروف . – ص ٣٨٧

١٥١ – **خطة الحملة الزيمستفوية** – خطة منشفية لدعم «الحملة الزيمستفوية» التي قام بها الليبراليون البرجوازيون من خريف

١٩٠٤ الى كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ ــ وهي حملة مؤتمرات واجتماعات ومآدب لرجالات الزيمستفوات كانت تلقى فيها الخطب وتتخذ القرارات بروح المطالب الدستورية المعتدلة . ــ ص ٣٨٧

١٥٢ ــ "Der Volks-Tribun„ (« در فولكس تريبون » ــ « خطيب الشعب ») ــ جريدة اسبوعية ، اسسها الاشتراكيون البرجوازيون الصغار او « الاشتراكيون الصحيحون » في نيويورك صدرت من كانون الثاني (يناير) الى كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٦ – ص ٣٩٢

١٥٣ ــ "Das Westphälische Dampfboot„ (« داس فيسفيليشيه دامبفبوت » ــ « الباخرة الوستفالية ») ــ مجلة شهرية لسان حال احد اتجاهات الاشتراكية الالمانية البرجوازية الصغيرة او « الاشتراكية الصحيحة » صدرت من كانون الثاني (يناير) ١٨٤٥ حتى آذار (مارس) ١٨٤٨ . – ص ٣٩٢

١٥٤ ــ **«التقسيم الاسود»** (« تشورني بيريديل ») ــ شعار يعبر عن طموح الفلاحين الى تقسيم جميع الاراضي . – ص ٣٩٣

١٥٥ – كتب لينين **«خطتا الاشتراكية-الديموقراطية في الثورة الديموقراطية»** في حزيران – تموز (يونيو ــ يوليو) ١٩٠٥ بعد انتهاء اعمال المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا ، وكذلك بعد المجلس العام (الكونفيرانس) المنشفي في جينيف الذي انعقد مع المؤتمر في وقت واحد وقد اصدرت اللجنة المركزية ح ع ا د ر هذا الكتاب في جينيف حيث كان لينين يعيش ويعمل وفي عام ١٩٠٥ نفسه ، اعيد طبعه في روسيا من قبل اللجنة المركزية ح ع ا د ر ، وعلى حدة من قبل لجنة موسكو ح ع ا د ر بعشرة آلاف نسخة . وقد انتشر الكتاب بصورة غير شرعية في كثير من مدن روسيا وفي شباط (فبراير) ١٩٠٧ ، اصدرت لجنة بطرسبورغ لشؤون المطبوعات قراراً بحجزه ، لاعتبارها انه يتضمن اعمالا اجرامية

ضد الحكومة القيصرية . وفي آذار (مارس) من العام نفسه ، صادقت محكمة بطرسبورغ على قرار الحجز كما اصدرت قراراً باتلاف هذا الكتاب ولكن الحكومة القيصرية لم تفلح في القضاء على هذا المؤلف الفائق الاهمية الذي كتبه لينين

ادرج لينين كتاب «خطتا الاشتراكية-الديموقراطية في الثورة الديموقراطية» في المجلد الاول من مجموعة مقالاته «خلال اثني عشر عاماً» الذي صدر في اواسط تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٧ في بطرسبورغ وارفق لينين الكتاب بملاحظات جديدة في اسفل الصفحات وقد كتب في مقدمة المجموعة عن اهمية هذا الكتاب يقول «هنا تعرض بصورة منهاجية الخلافات التكتيكية **الاساسية** مع المناشفة ؛ فان القرارين اللذين اتخذهما «المؤتمر الثالث ح ع ا د ر» في لندن (البلشفي) والمجلس العام المنشفي في جينيف قد صاغا كلياً هذه الخلافات واديا بالضرورة الى خلاف **جذري** في تقييم كل ثورتنا البرجوازية من وجهة نظر مهام البروليتاريا» . ــ ص ٤٠١

١٥٦ ــ بدأت **الانتفاضة على متن المدرعة «بوتيومكين»** في ١٤ (٢٧) حزيران (يونيو) ١٩٠٥ وصلت المدرعة المنتفضة الى اوديسا حيث كان يجري آنذاك اضراب عام ولكن الظروف الملائمة التي توفرت لاجل قيام عمال اوديسا والبحارة بنضال مشترك لم تُستغل . واثر سلسلة من الاعتقالات ضعفت منظمة اوديسا البلشفية ، ناهيك عن انه كانت تعوزها الوحدة اما المناشفة ، فقد كانوا ضد الانتفاضة المسلحة وكانوا يحاولون منع العمال والبحارة عن النضال الهجومي

وجهت الحكومة القيصرية كل اسطول البحر الاسود لقمع انتفاضة المدرعة «بوتيومكين» ، ولكن البحارة رفضوا اطلاق النار على المدرعة الثائرة ، فاضطر الآمرون الى سحب الاسطول بعد احد عشر يوماً من التجوال في البحر ، اضطرت المدرعة «بوتيومكين» ، وقد نفدت منها الماكولات والوقود ، الى الالتجاء

الى سواحل رومانيا والاستسلام للسلطة الرومانية بقي البحارة بمعظمهم في الخارج اما الذين عادوا الى روسيا فقد اعتقلوا واحيلوا الى المحاكمة .

انتهت الانتفاضة على متن المدرعة «بوتيومكين» بالاخفاق ، ولكن انتقال طاقم سفينة حربية كبيرة الى جانب الثورة كان بمثابة خطوة هامة الى الامام في تطور النضال ضد الاوتوقراطية . ــ ص ٤٠١ .

١٥٧ ــ **«بروليتاري»** ــ جريدة اسبوعية بلشفية سرية ؛ لسان الحال المركزي ح ع ا د ر ؛ انشئت بموجب قرار مؤتمر الحزب الثالث وبموجب قرار من دورة لجنة الحزب المركزية بتاريخ ٢٧ نيسان – ابريل ١٠ ايار – مايو) ١٩٠٥ عين لينين المحرر المسؤول عنها صدرت «بروليتاري» في جينيف من ايار (مايو) الى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥ صدر منها ٢٦ عدداً

واصلت «بروليتاري» خط «الايسكرا» القديمة اللينينية ، وصانت الاستمرارية التامة مع الجريدة البلشفية «فبريود» ــ ص ٤٠١

١٥٨ ــ راجعوا الملاحظة رقم ٦٣ . ــ ص ٤٠٢

١٥٩ ــ **«اوسفوبوجدينييه»** («التحرر») ــ مجلة صدرت في الخارج مرة كل اسبوعين من حزيران (يونيو) ١٩٠٢ حتى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ ، بتحرير ستروفه كانت المجلة تنطق بلسان البرجوازية الليبيرالية الروسية وتروج بدأب وانسجام بافكار الليبيرالية الملكية المعتدلة في عام ١٩٠٣ ، تكون حول المجلة (وتبلور في كانون الثاني – يناير ــ ١٩٠٤) «اتحاد اوسفوبوجدينييه» الذي دام حتى تشرين الاول ١٩٠٥ فيما بعد ، شكل اعضاء «اتحاد اوسفوبوجدينييه» نواة الحزب الدستوري الديموقراطي (الكاديت) ، الحزب الرئيسي للبرجوازية الملكية الليبيرالية في روسيا الذي تالف في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ . ــ ص ٤٠٣ .

١٦٠ ــ **الاكيموفية** نسبة الى اكيموف وهو ممثـــل بارز «للاقتصادية» ، وواحد من اكثر الانتهازيين تطرفا
«**الاقتصادية**» ــ راجعوا الملاحظة رقم ٥ ــ ص ٤٠٣

١٦١ ــ **لجنة بوليغين** ــ لجنة خاصة انشئت بمرسوم من القيصر في شباط (فبراير) ١٩٠٥ برئاسة وزير الداخلية الكسندر غريغوريفيتش بوليغين وقد ضمت اللجنـة عدداً من كبار الملاكين العقاريين ، ومن ممثلي النبلاء الرجعيين اعدت اللجنة قانوناً بعقد دوما الدولة ، ولائحة بالانتخابات الى الدوما جرى نشرهما مع بيان القيصر في ٦ (١٩) آب (اغسطس) ١٩٠٥ كانت الحقـوق الانتخابيـة للانتخابات الى هذا الدوما ممنوحة للملاكين العقاريين والرأسماليين وعدد صغير من الفلاحين اصحاب البيوت فقط ولم يكن يحـق لدوما الدولة اصدار اي قانون ، ولم يكن بوسعهـا الا ان تناقش بعض المسائل بصفة هيئة استشارية لدى القيصر
دعا البلاشفة العمال والفلاحين الى مقاطعـة دوما بوليغين بنشاط لم تجر الانتخابات الى دوما بوليغين ، ولم تفلح الحكومة في عقده فان نهوض الثورة المتعاظـم والاضراب السيـاسي في تشرين الاول (اكتوبر) قد جرفاه . ــ ص ٤٠٦

١٦٢ ــ راجعوا الملاحظة رقم ١٩ . ــ ص ٤٠٦

١٦٣ ــ راجعوا الملاحظة رقم ١٢ . ــ ص ٤١٦

١٦٤ ــ راجعوا الملاحظة رقم ١٤٠ . ــ ص ٤٢١

١٦٥ ــ «**سوسيـال-ديموقراط**» («الاشتراكي-الديمـوقراطي») ــ جريـدة منشفية صدرت باللغة الجورجية في تفليس من نيسان (ابريـل) الى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥ صدر منها ٦ اعداد فقط اشرف جوردانيا زعيم المناشفة الجورجيين على الجريدة
مقالـة «الزيمسكي سوبور وتكتيكنـا» الصادرة في العدد الاول من «سوسيال-ديموقراط» ، نيسان ١٩٠٥ ، كتبهـا جوردانيا . ــ ص ٤٢٣ .

١٦٦ ــ **المئة السود** ــ عصابات ملكية انشاها البوليس القيصري لمكافحة الحركة الثورية كان رجال المئة السود يغتالون الثوريين ، ويعتدون على المثقفين التقدميين ، ويقترفون مذابح اليهود ــ ص ٤٢٤

١٦٧ ــ سمى لينين **بدستور «على طريقة شيبوف»** مشروع بناء الدولة الذي وضعه شيبوف ، الليبيرالي المعتدل الذي كان يرأس الجناح اليميني من الزيمستفويين فسعياً الى الحد من مدى الثورة والى نيل بعض التنازلات في الوقت نفسه من جانب الحكومة القيصرية في صالح الزيمستفوات ، افترح شيبوف انشاء هيئة تمثيلية استشارية لدى القيصر بواسطة هذه الصفقة حاول الليبيراليون المعتدلون خداع الجماهير الشعبية وصيانة النظام الملكي والحصول في الوقت نفسه على بعض الحقوق السياسية . ــ ص ٤٢٦

١٦٨ ــ راجعوا الملاحظة رقم ٣٢ . ــ ص ٤٢٩

١٦٩ ــ راجعوا الملاحظة رقم ٤٨ . ــ ص ٤٣٢

١٧٠ – المقصود هنا «موضوعات عن فورباخ» من تاليف كارل ماركس (راجعوا انجلس لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية دار التقدم . موسكو) . ــ ص ٤٣٣

١٧١ ــ راجعوا الملاحظة رقم ١٥٩ . ــ ص ٤٣٥

١٧٢ ــ راجعوا الملاحظة رقم ٨٣ . ــ ص ٤٤٣

١٧٣ ــ **«سين اوتيتشيستفا»** («ابن الوطن») ــ جريدة يومية ليبيرالية الاتجاه صدرت في بطرسبورغ من عام ١٨٥٦ الى عام ١٩٠٠ وفي ١٩٠٤ – ١٩٠٥ كان العاملون في الجريدة من انصار «اوسفوبوجدينييه» والشعبيين من مختلف التلاوين . ــ ص ٤٤٣ .

١٧٤ ــ «**ناشا جيزن**» («حياتنا») ــ جريدة يومية ليبيرالية الاتجاه صدرت في بطرسبورغ بانقطاعات من عام ١٩٠٤ الى عام ١٩٠٦ . ــ ص ٤٤٣

١٧٥ ــ «**ناشي دني**» («ايامنا») جريدة يومية ليبيرالية الاتجاه صدرت في بطرسبورغ في ١٩٠٤ ــ ١٩٠٥ ــ ص ٤٤٣

١٧٦ ــ راجعوا كارل ماركس وفريدريك انجلس «بيان الحزب الشيوعي» . ــ ص ٤٤٣

١٧٧ ــ «**الرجل المعلب**» ــ بطل قصة بالاسم نفسه للكاتب الروسي انطون تشيخوف نموذج الرجل التافه الضيق الافق الذى يخاف من كل تجديد وكل مبادرة . ــ ص ٤٤٥

١٧٨ ــ يستشهد لينين بكتاب "Aus dem literarischen Nachlaß von Karl Marx, Friedrich Engels und Ferdinand Lassalle. Herausgegeben von Franz Mehring". Band III, Stuttgart, 1902, S. 211.
(«من التراث الادبي لكارل ماركس وفريدريك انجلس وفرديناند لاسال ، بتحرير فرانتس مهرينغ» ، المجلد ٣ ، شتوتغارت ، ١٩٠٢ ، ص ٢١١ . ــ ص ٤٥٢

١٧٩ ــ راجعوا الملاحظة رقم ١٨ . ــ ص ٤٥٢

١٨٠ ــ **باشي بوزوق** (باشبوزوق) ــ اسم اطلق على فصائل غير نظامية من الجيش التركي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت تتميز بانعدام الانضباط والقساوة والميل الى النهب والسلب . ــ ص ٤٥٣ .

١٨١ ــ المقصود هنا استقبال نيقولاي الثاني في ٦ (١٩) حزيران (يونيو) ١٩٠٥ لوفد من الزيمستفويين قدم الوفد للقيصر عريضة بطلب دعوة ممثلي الشعب الى الاجتماع لاجل اقرار «بنيان مجدد للدولة» بالاتفاق مع القيصر . لم تكن العريضة تتضمن لا مطلب حق الاقتراع

العام والمباشر والمتساوي والسري ولا مطلب ضمانة حرية الانتخاب . ــ ص ٤٥٣

١٨٢ ــ **انصار «فبريود»** او **انصار المؤتمر** او **انصار «بروليتاري»** ــ تسميات مختلفة للبلاشفة ، نظراً لعقدهم المؤتمر الثالث للحزب ، ونظراً لاسمي الجريدتين اللتين كانوا يصدرون «فبريود» و«بروليتاري» . ص ٤٥٣

١٨٣ – المقصود هنا مشروع قرار بوتريسوف (ستاروفر) حول الموقف من الليبراليين الذي اقره المؤتمر الثاني ح ع ا د ر (عام ١٩٠٣) . ــ ص ٤٥٤

١٨٤ – المقصود هنا معركة تسوشيما – وهي معركة بحرية جرت قرب جزيرة تسوشيما في ١٤ – ١٥ (٢٧ – ٢٨) ايار (مايو) ١٩٠٥ ابان الحرب الروسية اليابانية انتهت المعركة بتحطيم الاسطول الروسي . ــ ص ٤٥٦

١٨٥ – المقصود هنا الخلافات التي نشبت لدن مناقشة مشروع البرنامج الزراعي في مؤتمر الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني المنعقد في بريسلافل من ٦ الى ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٥ كان مشروع البرنامج الزراعي يتضمن اخطاء جدية ؛ فقد تبدى فيه ، مثلا ، الميل الى تحويل الحزب البروليتاري الى حزب «للشعب بأسره» علاوة على الانتهازيين ، دافع عن هذا المشروع كل من بيبل وليبكنخت تعرض مشروع البرنامج الزراعي في المؤتمر لنقد حاد من جانب كاوتسكي وزيتكين وعدد من الاشتراكيين-الديموقراطيين الآخرين رفض المؤتمر باغلبية الاصوات (١٥٨ ضد ٦٣) مشروع البرنامج الزراعي الذي تقدمت به اللجنة ــ ص ٤٦٢

١٨٦ – **جماعة «رابوتشييه ديلو»** – انصار «الاقتصادية» الذين التفوا حول مجلة «رابوتشييه ديلو» . ــ ص ٤٦٣ .

١٨٧ – المقصود هنا مقالة ناديجدين (الاسم المستعار لزيلينسكي) في الصحافة ضد خطة «الايسكرا» اللينينية في عام ١٩٠٢ انتقد لينين هذه المقالة في كتابه «ما العمل ؟» (راجعوا ص‌ص ١٩٥ ١٩٨ ، ٢٠٣–٢٢٥ من هذا المجلد) . – ص ٤٦٨

١٨٨ – **«جريدة فرانكفورت»** ("Frankfurter Zeitung" – «فرانكفورتر زايتونغ») – جريدة يومية لسان حال كبار رجال البورصة الالمانية صدرت في فرانكفورت على الماين منذ عام ١٨٥٦ – ص ٤٧٢

١٨٩ – المقصود هنا مقالا لينين «الاشتراكية-الديموقراطية والحكومة الثورية الموقتة» و«ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية» المنشوران في العددين ١٣ و ١٤ من الجريدة البلشفية «فبريود» . – ص ٤٧٨

١٩٠ – يقصد لينين البرنامج الذي اصدره في عام ١٨٧٤ فريق من البلانكيين في لندن ، من كانوا سابقا اعضاء في كومونة باريس

البلانكيون – انصار تيار في الحركة الاشتراكية الفرنسية تراسه الثوري الكبير واحد ممثلي الشيوعية الطوبوية الفرنسية البارزين ، لويس اوغست بلانكي (١٨٠٥ – ١٨٨١)

كان البلانكيون ، كما كتب لينين ، ينتظرون «خلاص البشرية من عبودية العمل الماجور ، لا عن طريق نضال البروليتاريا الطبقي ، بل عن طريق مؤامرة تعدها اقلية غير كبيرة من المثقفين» واذ استعاض البلانكيون عن نشاط الحزب الثوري بنشاط جماعة سرية من المتآمرين ، لم يحسبوا الحساب للظرف الواقعي الضروري لانتصار الانتفاضة واهملوا الارتباط بالجماهير – ص ٤٨١

١٩١ – **برنامج ارفورت للحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني** اقره مؤتمر ارفورت في تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩١ بني البرنامج على اساس مذهب الماركسية القائل بحتمية هلاك اسلوب الانتاج الرأسمالي وحلول الاسلوب الاشتراكي محله . واشير فيه الى انه من

الواجب على الطبقة العاملة ان تخوض النضال السياسي والى دور الحزب بوصفه قائد هذا النضال ، والخ ولكن برنامج ارفورت تضمن ايضا تنازلات خطيرة للانتهازية وقد انتقد انجلس مشروع برنامج ارفورت انتقاداً مسهباً (« مساهمة في انتقاد مشروع البرنامج الاشتراكي-الديموقراطي لعام ١٨٩١ ») وكان هذا ، في جوهر الامر ، انتقاداً لانتهازية الاممية الثانية كلها التي كان برنامج ارفورت بالنسبة لاحزابها نوعاً من النموذج ولكن قيادة الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية اخفت انتقاد انجلس عن الجماهير الحزبية ، كما ان اهم ملاحظاته لم تؤخذ بالحسبان لدى وضع النص النهائي للبرنامج وقد اعتبر لينين ان العيب الرئيسي في برنامج ارفورت ، اي التنازل الوجل امام الانتهازية ، انما هو السكوت عن ديكتاتورية البروليتاريا . ــ ص ٤٨٨

١٩٢ ــ **الباكونينية** ــ تيار اسمي باسم باكونين ، ايديولوجي الفوضوية وعدو الماركسية والاشتراكية العلمية والمبدأ الاساسي الذي تقوم عليه الباكونينية هو انكار كل دولة بما في ذلك ديكتاتورية البروليتاريا وعدم فهم دور البروليتاريا في التاريخ العالمي ناضل الباكونينيون بعناد ضد نظرية الحركة العمالية وتكتيكها الماركسيين وكان تكتيكهم القائم على التآمر والتمردات الفورية والارهاب تكتيكاً مغامراً ومعادياً للمذهب الماركسي بشان الانتفاضة . وقد ندد كارل ماركس وفريدريك انجلس بشدة بنظرية الباكونينيين وتكتيكهم . ــ ص ٤٩٨.

١٩٣ ــ نشرت جريدة « بروليتاري » ، العدد ٣ ، مقالة لينين « عن الحكومة الثورية الموقتة » (المقالة الثانية) وقد استشهد لينين فيها بمقال انجلس « الباكونينيون اثناء العمل ملاحظات حول الانتفاضة في اسبانيا صيف ١٨٧٣ » الذي ينتقد قرار الباكونينيين المشار اليه في مقالة لينين . ــ ص ٤٩٨

١٩٤ ــ راجعوا الملاحظة رقم ٣٦ . ــ ص ٥٠٠ .

١٩٥ ــ المقصود هنا رأي ماركس في مؤلفه «انتقاد فلسفة الحق الهيغلية» . ــ ص ٥٠١

١٩٦ ــ "L'Humanité" («لومانيته» ــ «الانسانية») ــ جريدة يومية اسسها جوريس عام ١٩٠٤ بوصفها لسان حال الحزب الاشتراكي الفرنسي ابتداء من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ ، بعد انقسام الحزب الاشتراكي الفرنسي في مؤتمر تور ، وتأسيس الحزب الشيوعي الفرنسي ، صارت الجريدة لسان حاله المركزي ــ ص ٥٠٣

١٩٧ ــ المقصود هنا الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ــ١٩٠٥) ــ ص ٥٠٤

١٩٨ ــ المقصود هنا اشتراك لويس اوجين فارلان ، القائد البارز في الحركة العمالية الفرنسية والاممية الاولى ، في مجلس كومونة باريس عام ١٨٧١ . ــ ص ٥١٤

١٩٩ ــ المقصود هنا «**النظام الداخلي التنظيمي**» الذي اقره المجلس العام (الكونفيرانس) المنشقي في جينيف عام ١٩٠٥ .ــ ص ٥١٦

٢٠٠ ــ كارل ماركس «النضال الطبقي في فرنسا من ١٨٤٨ الى ١٨٥٠» ، الفصل الثالث . ــ ص ٥٢٠

٢٠١ ــ راجعوا الملاحظة رقم ٨٤ والملاحظة رقم ٦٠ ــ ص ٥٢٨

٢٠٢ ــ «**راسفيت**» («بزوغ الفجر») ــ جريدة يومية ليبيرالية علنية صدرت في بطرسبورغ من آذار (مارس) الى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥ . ــ ص ٥٢٩

٢٠٣ ــ «**موسكوفسكيه فيدوموستي**» («انباء موسكو») ــ جريدة بدأت تصدرها جامعة موسكو منذ سنة ١٧٥٦ نشرت نظرات اشد اوساط الملاكين العقاريين ورجال الدين اغراقاً في الرجعية . منذ

سنة ١٩٠٥ صارت من جرائد المائة السود الرئيسية استمرت في الصدور حتى ثورة اكتوبر الاشتراكية . ــ ص ٥٣٩

٢٠٤ ــ يستشهد لينين بمقدمة مهرينغ لكتاب „Aus dem literarischen Nachlaß von Karl Marx, Friedrich Engels und Ferdinand Lassale. Herausgegeben von Franz Mehring". Band III, Stuttgart, 1902, S. 53.
(«من التراث الادبي لكارل ماركس وفريدريك انجلس وفرديناند لاسال ، بتحرير فرانتس مهرينغ المجلد ٣ شتوتغارت ١٩٠٢ ، ص ٥٣)
فيما بعد ، في صص ٥٤٩ــ٥٥٠ من هذا المجلد يستشهد لينين بمقدمة مهرينغ ذاتها . ــ ص ٥٤٢

٢٠٥ ــ كارل ماركس «الازمة والثورة المضادة» . ــ ص ٥٤٣ .

٢٠٦ ــ «برامج الحزب الراديكالي-الديموقراطي في فرانكفورت والجناح اليساري الفرانكفورتي» . ــ ٥٤٣

٢٠٧ ــ «برامج الحزب الراديكالي-الديموقراطي في فرانكفورت والجناح اليساري الفرانكفورتي» . ــ ص ٥٤٤

٢٠٨ ــ يستشهد لينين بمقال انجلس «جمعية فرانكفورت» ــ ص ٥٤٤

٢٠٩ ــ انجلس «مناقشات برلينية عن الثورة» . ــ ص ٥٤٦

٢١٠ ــ ماركس «مشروع قانون بالغاء الاتاوات الاقطاعية» . ــ ص ٥٤٧.

٢١١ ــ **لسان حال اتحاد العمال في كولونيا** ــ „Zeitung des Arbeiter-Vereines zu Köln" («زايتونغ ديس اربايتر-فيراينس تسو كولن» ــ «زايتونغ ديس اربايتر-فيراينس تسو كولن» ــ «جريدة اتحاد العمال في كولونيا») وتحت الاسم الثانوى او الشعار „Freiheit, Brüderlichkeit, Arbeit" («فرايهايت ، برودرليخكايت ، اربايت» ــ «الحرية ، الاخاء ، العمل») . صدرت

الجريدة بتحرير عضوي «عصبة الشيوعيين» غوتشالك ثم مول ، من نيسان (ابريل) الى تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٤٨ صدر منها ٤٠ عدداً فقط بعد توقف صدور هذه الجريدة ، استأنف اتحاد العمال في كولونيا اصدار الجريدة منذ ٢٦ تشرين الاول باسم "Freiheit, Brüderlichkeit, Arbeit" وبهذا الاسم ، استمرت الجريدة في الصدور حتى ٢٤ حزيران (يونيو) ١٨٤٩ صدر منها ٣٢ عدداً . ــ ص ٥٤٩

٢٤ حزيران (يونيو) ١٨٤٩ صدر منها ٣٢ عدداً . ــ ص ٥٤٩ .

٢١٢ ــ **عصبة الشيوعيين** ــ اول منظمة شيوعية عالمية للبروليتاريا. تأسست بقيادة ماركس وانجلس في مستهل حزيران (يوليو) ١٧٤٧ في لندن

صيغت مبادى العصبة ، البرنامجية والتنظيمية ، بمشاركة مباشرة من ماركس وانجلس وقد كتبا هما ايضاً الوثيقة البرنامجية ــ «بيان الحزب الشيوعي» الذي صدر في شباط (فبراير) ١٨٤٨

دامت عصبة الشيوعيين حتى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٥٢ وكانت سالفة جمعية الشغيلة العالمية (الاممية الاولى) فيما بعد ، اضطلع ابرز قادة عصبة الشيوعيين بالدور القيادي في الاممية الاولى . ــ ص ٥٥٢

٢١٣ ــ المقصود هنا مقالة بليخانوف «هل هذا ممكن ؟» الصادرة في جريدة «**توفاريش**» («الرفيق») ، العدد ٣٨١ ، ٢٦ ايلول ــ سبتمبر (٩ تشرين الاول ــ اكتوبر) ١٩٠٧

«**توفاريش**» («الرفيق») ــ جريدة برجوازية يومية صدرت في بطرسبورغ في ١٩٠٦ــ١٩٠٧

شكلا ، لم تكن الجريدة لسان حال اي حزب من الاحزاب ؛ ولكنها كانت فعلا لسان حال الكاديت اليساريين وقد اشترك المناشفة ايضاً في تحرير الجريدة . ــ ص ٥٥٣

٢١٤ ــ انجلس . «حول تاريخ عصبة الشيوعيين» . ــ ص ٥٥٣ .

٢١٥ ــ **خليستاكوف** ــ بطل المسرحية الهزلية «المفتش» للكاتب الروسي غوغول نموذج المتبجح والكذاب المنفلت . ــ ص ٥٥٤.

٢١٦ ــ راجعوا الملاحظة رقم ١٥٦ . ــ ص ٥٥٦ .

٢١٧ ــ المقصود هنا مقالة انجلس «هل يمكن لاوروبا ان تنزع سلاحها ؟» . ــ ص ٥٥٦

٢١٨ ــ مقالة ف س . ــ ف سيفيرتسيف (ف ف فيلاتوف) التي يشير اليها لينين ، هي مقالة عن الدروس العسكرية للانتفاضة صدرت بعنوان «الامير بوتيومكين تافريتشيسكي» («التوريدي») وتناولت الانتفاضة على متن المدرعة «بوتيومكين» وقد نشرتها جريدة «بروليتاري» في العدد ٨ بتاريخ ١٧ (٤) تموز (يوليو) ١٩٠٥ . ــ ص ٥٥٧

٢١٩ ــ «**امتان**» ــ عنوان ثانوي لرواية «سيبيللا» التي كتبها في القرن التاسع عشر الكاتب الانجليزي بنيامين ديسرايلي (١٨٠٤ــ ١٨٨١) (الكونت بيكونسفيلد) . ــ ص ٥٦٨

٢٢٠ ــ راجعوا الملاحظة رقم ١٣٧ . ــ ص ٥٧٢

٢٢١ ــ راجعوا الملاحظة رقم ١٣٨ . ــ ص ٥٧٢

٢٢٢ ــ **الشرفاركي** ــ فريضة عمل كانت متوجبة على الفلاحين في بولونيا وكانت تطبق من باب الاعمال الاجبارية لاجل بناء الطرق والجسور وغير ذلك من المشروعات العسكرية المقصد او من المشروعات التي تنتفع بها الدولة والمشروعات ذات الانتفاع الاجتماعي العام ــ ص ٥٧٣

٢٢٣ ــ راجعوا الملاحظة رقم ١٣٢ . ــ ص ٥٧٨ .

دليل الاسماء

اداموفيتش يو . ــ راجعوا فوروفسكي ف . ف

ارنيم-سوكوف (Arnim-Suckow) **هنريخ الكسندر** (١٧٩٨ــ١٨٦١) ــ ديبلوماسي بروسي من انصار زعامة الملكية البروسية في المانيا وزير الخارجية في وزارة كامبهاوزين (آذار-مارس ــ حزيران-يونيو ــ ١٨٤٨) منذ ١٨٥٢ انصرف عن النشاط السياسي . ــ ص ٥٤٥

اكسيلرود بافيل بوريسوفيتش (١٨٥٠ــ١٩٢٨) ــ اشتراكي-ديموقراطي روسي في عام ١٨٨٣ اشترك في تاسيس فرقة «تحرير العمل» وهي المنظمة الماركسية الروسية الاولى بعد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (١٩٠٣) ، احد زعماء المنشفية ــ ص ص ٣٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٢٠

اكيموف (ماخنوفيتس) فلاديمير بيتروفيتش (١٨٧٢ــ١٩٢١) ــ اشتراكي-ديموقراطي روسي احد ممثلي «الاقتصادية» البارزين بعد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (١٩٠٣) ــ منشفي بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥ــ١٩٠٧ ابتعد عن الاشتراكية-الديموقراطية . ــ ص ٤٠٣ ، ٤٦٣ ، ٥٢٧ ، ٥٦٠

الكسندر الثالث (رومانوف) (١٨٤٥ــ١٨٩٤) ــ امبراطور روسي (١٨٨١ــ١٨٩٤) . ــ ص ٢٧٤ .

الكسييف بيوتر الكسييفيتش (١٨٤٩ـ١٨٩١) ـ من الثوريين الروس في العقد الثامن من القرن التاسع عشر ؛ مهنته حائك . ـ ص ١٣٧

انجلس (Engels) **فريـــدريك** (١٨٢٠ـ١٨٩٥) . ـ ص ص ١٧ ٢٢ ٣٩ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٧٥ ، ١٠٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٤٨١ ٤٨٨ ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٨ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٦

اوبولنسكي اي م (١٨٤٥ـ١٩١٠) ـ محـــافظ خاركوف تميـــز بالقساوة لدن قمع نضالات الفلاحين . ـ ص ٣٥٢

اوزيروف ايفان خريستوفوروفيتش (١٨٦٩ـ١٩٤٢) ـ اقتصـــادي في ١٩٠١ـ١٩٠٢ دعم «الاشتراكية البوليسيـــة» الزوباتوفيـــة ـ ص ص ١٤٧ ، ١٤٩

اولار (Aulard) **فرانســـوا فيكتور الفونس** (١٨٤٩ـ١٩٢٨) ـ مؤرخ فرنسي ألف عدداً من الكتب في تاريخ الثورة البرجوازية الفرنسيـــة في اواخر القرن الثامن عشر . ـ ص ٣٨٧

اولمينسكي م (الكسندروف ميخائيل ستيبانوفيتش) (١٨٦٣ـ١٩٣٣) ـ من رجال الحركـــة الثوريـــة القدماء في روسيـــا بلشفي اديب ـ ص ٣٨٩

أوير (Auer) **اغناتس** (١٨٤٦ـ١٩٠٧) ـ شخصية بارزة في الاشتراكية ـ الديموقراطية الالمانية فيما بعد انتقل الى مواقف الاصلاحيـــة ـ ص ١٦٩

اوين (Owen) **روبرت** (١٧٧١ـ١٨٥٨) ـ اشتراكـــي طوبوي انجليزي كبير . ـ ص ٤٠

اوييما ايفاو (١٨٤٢ـ١٩١٦) ـ مارشال ياباني ابان الحرب الروسيـــة اليابانية ، كان القائد الاعلى للقوات اليابانية في منشوريا . ـ ص ٣٨٥ .

ايفانشين فلاديمير بافلوفيتش (ف ا .) (١٨٦٩ ــ ١٩٠٤) ــ اشتراكي-ديموقراطي روسي من اواخر التسعينيات «اقتصادي» بعد المؤتمر الثاني لحزب العمـــال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيـــا (١٩٠٣) منشفي . ــ ص ص ٥٠ ، ٦٣ ، ٢٢٧

ايلوفايسكي دميتري ايفانوفيتش (١٨٣٢ــ١٩٢٠) ــ مؤرخ روســـي ملكي ألف كتباً مدرسية تحصر التاريخ في نشـــاط القياصرة وقواد الجيوش . ــ ص ص ٢٢ ، ٣٨٦

بابوف (Babeuf) **غراكوس** (فرانســـوا نويل) (١٧٦٠ــ١٧٩٧) ــ ثوري فرنسي ممثل الشيوعية السوائية الطوبوية . ــ ص ٢٦٤

بارفوس (غيلفاند الكسندر لازاريفيتش) (١٨٦٩ــ١٩٢٤) ــ اشتـــرك في الحركة الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والروسيـــة بعد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيـــا (١٩٠٣) ــ منشفي . ــ ص ص ٢٣٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨

باكونين ميخائيل الكسندروفيتش (١٨١٤ــ١٨٧٦) ــ ثوري روسي احد مؤسسي وايديولوجيي الفوضوية عندما كان عضواً في الاممية الاولى ، نظم في داخلها كتلة سرية اسمها حلف الديموقراطية الاشتراكيـــة بغية شق الاممية ؛ ومن جراء ذلك طرد من الاممية عام ١٨٧٢ كتب عدداً من الاعمال في نظرية وممارسة الفوضوية . ــ ص ص ٤٠ ، ٤٩٨ ٥٣٢

بالماشيف ستيبان فاليريانوفيتش (١٨٨٢ــ١٩٠٢) ــ طالب عضـــو في حزب الاشتراكيين-الثوريين وفي «منظمته القتالية» في نيسان (ابريل) ١٩٠٢ ، قتل رمياً بالرصاص وزير الداخلية سيبياغين ، احتجاجاً على اعمال القمع القاسية التي قامت بها الحكومة لقمع الحركة الاجتماعية في البلاد . اعدمته الحكومة القيصرية . ــ ص ص ٢٤٢ ، ٢٤٥ .

بالهورن (Balhorn) **يوهان** ـ ناشر الماني من القرن الســـادس عشر . ـ ص ٩١

بترونكيفيتش ايفان ايليتش (١٨٨٤ـ١٩٢٨) ـ ملاك عقاري روسي من رجـال الزيمستفـوات احد زعماء حزب الكاديت . ـ ص ص ٤٥٣ ، ٥٢٧ ، ٥٤٦ ، ٥٥٦

برديايف نيقولاي الكسندروفيتش (١٨٧٤ ـ ١٩٤٨) ـ في التسعينيات من القرن التاسع عشر ماركسي شرعي فيما بعد عضو حزب الكاديت عدو للماركسية فيلسوف مثالي داعية للصوفية . ـ ص ٢٢٧

برنشتين (Bernstein) **ادوارد** (١٨٥٠ـ١٩٣٢) ـ زعيم الجناح الانتهـــازي المتطرف في الاشتراكية ـ الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية نظري التحريفية والاصلاحية . ـ ص ص ١٦ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ١٤٥ ، ٢٠٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٤٧٥ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ ، ٥١٣ ، ٥٣٠ ، ٥٥٩

برودون (Proudhon) **بيير جوزيف** (١٨٠٩ـ١٨٦٥) ـ كاتب سياســـي واجتماعي فرنسي ، اقتصـــادي وعالم اجتماعي ، مفكر البرجوازيـــة الصغيرة ، واحد مؤسسي الفوضوية . ـ ص ص ٣٩ ، ٥٦ ، ٥٢٨ ، ٥٥٢.

بروكوبوفيتش سرغي نيقولاييفيتش (١٨٧١ـ١٩٥٥) ـ اقتصـــادي وكاتب سياسي روسي احد اوائل الذين نشروا البرنشتينية في روسيا . ـ ص ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٨٦ ، ٢٢٧ ، ٥٢٨

برينتانو (Brentano) **لويو** (١٨٤٤ـ١٩٣١) ـ اقتصادي الماني نصيـــر «اشتراكية المنابر» دعا الى العدول عن النضال الطبقي ، واعتبر ان من الممكن حل التناقضات الاجتماعيـــة عن طريق الاصلاحـــات . ـ ص ص ٢٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠

ب ـ ف . ـ راجعوا سافينكوف ب . ف .

ب . كر .ـ راجعوا كريتشيفسكي ب . ن

بلان (Blanc) **لويس** (١٨١١ـ١٨٨٢) ـ اشتراكي برجـوازي صغيـر فرنسي نكر استعصاء التناقضات الطبقية في ظل الرأسمالية ؛ وقف مواقف التوافق مع البرجوازية ؛ صرف العمال عن النضـال الثوري بسياسته الديماغوجية .ـ ص ٥٥٢

بلانكي (Blanqui) **لويس اوغست** (١٨٠٥ـ١٨٨١) ـ ثوري فرنسي بارز اشتراكي طوبوي اشترك في الانتفاضـات والثورات التي نشبت في باريس بين عام ١٨٣٠ وعام ١٨٧٠ ترأس جملة من الجمعيـات الثورية السرية من انصار تكتيك المؤامرات بلانكي لم يفهم الدور الحاسم لتنظيم الجماهير من اجل النضال الثوري .ـ ص ٤٨١

بلتوف ن .ـ راجعوا بليخانوف غ .ف .

بليخانوف غيورغي فالنتينوفيتش (بلتوف) (١٨٥٦ـ١٩١٨) ـ قائد بارز في الحركة العمالية الروسية والعالمية اول داعية للماركسيـة في روسيا مؤسس الفرقة الماركسية الروسية الاولى ـ «تحرير العمل» (١٨٨٣) بعد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (١٩٠٣) ، منشفي .ـ ص ص ٢٠ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٧٨ ، ٢١٦ ، ٢٣٣ ، ٥٢٤ ، ٥٣٢ ، ٥٥١ ، ٥٥٣

بليفه فياتشيسلاف قسطنطينوفيتش (١٨٤٦ـ١٩٠٤) ـ رجل دولة رجعي في روسيا القيصرية .ـ ص ٢٥٠

بوبيدونوستسيف قسطنطين بتروفيتش (١٨٢٧ـ١٩٠٧) ـ رجل دولة في روسيا القيصرية ناضل بعناد ضد الحركة الثوريـة . نصير للحكم المطلق . عدو للعلم والتعليم .ـ ص ٢٦٥ .

بوتريسوف الكسندر نيقولاييفيتش (ستاروفر) (١٨٦٩ـ١٩٣٤) ـ احـــد زعماء المنشفية . ـ ص ص ٢٥ ، ٤٥٤ ، ٤٦٣ ، ٤٩٤ ، ٥٢٤ ، ٥٣٤ .

بوخنر (Büchner) **فريدريخ خريستيـــــان لودفيغ** (١٨٢٤ـ١٨٩٩) ـ فيزيولوجي وفيلسوف الماني ممثل المادية المبتذلة . ـ ص ٣٨٧

بورن (Born) **اسطفان (سيمون بوترميلح)** (١٨٢٤ـ١٨٩٨) ـ احد ممثلي الاصلاحية في الحركة العمالية الالمانيـــة . ـ ص ص ٥٤٩ ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣

بولغاكوف سرغي نيقولاييفيتش (١٨٧١ـ١٩٤٤) ـ اقتصادي روســـي فيلسوف مثالي في التسعينيـــات «ماركسي شرعي» في مستهـــل القرن العشرين ، عمد الى تحريف ماركس في المسالـــة الزراعيـــة ، مفسراً امـــلاق الجماهير الشعبيـــة بمـــا يسمى «قانـــون تناقص خصب التربة» بعد ثورة ١٩٠٥ـ١٩٠٧ ، عضو في حزب الكاديت ، وعدو للماركسية . ـ ص ص ٣٤ ، ٢٢٧ ، ٢٦٢

بوليغين الكسندر غريغورييفيتش (١٨٥١ـ١٩١٩) ـ رجل دولة في روسيا القيصرية في عام ١٩٠٥ وزير الداخلية اشرف على اعداد مشروع قانون بدعوة مجلس دوما الدولة الاستشاري للانعقاد ، قصد اضعاف الحركة الثورية المتعاظمة في روسيا . ـ ص ص ٤٠٦ ، ٤٥١ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٦٠

بونابرت ـ راجعوا نابليون الثالث

بيبل (Bebel) **اوغست** ١٨٤٠ـ١٩١٣) ـ واحد من ابرز رجالات الحركة الاشتراكية ـ الديموقراطية الالمانية والاممية الثانيـــة . ـ ص ص ٢٤ ، ١٥٥ ، ١٦٩ ، ٢١٥ ، ٤٦٢

بيروفسكايا صوفيا لفوفنا (١٨٥٣ـ١٨٨١) ـ ثورية روسية شعبيـــة بارزة . أعدمت للاشتراك في اغتيال القيصر الكسندر الثاني . ـ ص ١٧٨.

بيساريف دميتري ايفانوفيتش ١٨٤٠ ـ ١٨٦٨) ـ ديموقراطـي ثـوري روسي كاتب سياسي وناقد ادبي فيلسوف مادي . ـ ص ٢١٦

بيسمارك (Bismarck) **اوتو ادوارد** (١٨١٥ـ١٨٩٨) ـ رجـل دولـة وديبلوماسي في بروسيا والمانيـا من عام ١٨٧١ الى عام ١٨٩٠ مستشار الامبراطورية الالمانية وحّد المانيا بطريق الثورة المضادة عدو لدود للحركة العمالية في سنة ١٨٧٨ ، استن القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين . ـ ص ٥٣٨

بيلينسكي فيسـاريون غريغورييفيتش (١٨١١ـ١٨٤٨) ـ ديموقراطـي ثوري روسي ناقد ادبي وكاتب سياسي فيلسوف مادي . ـ ص ٣٨

تروبتسكوي سرغي نيقولاييفيتش (١٨٦٢ـ١٩٠٥) ـ امير ليبيرالي في آرائه السياسية فيلسوف مثالي حاول توطيد القيصريـة بتطبيق دستور معتدل . ـ ص ص ٥٢٧ ، ٥٤٧ ، ٥٥٦

تروتسكي (برونشتين) ليف دافيدوفيتش (١٨٧٩ـ١٩٤٠) ـ اشتراكـي-ديموقراطي بعد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (١٩٠٣) ، منشفي بعد هزيمـة ثورة ١٩٠٥ـ١٩٠٧ تصفوي ابان الحرب العالميـة الاولى (١٩١٤ـ١٩١٨) ، وسطي ناضل ضد لينين في مسائل الحرب والسلام والثورة في المؤتمر السادس ل ح ع ا د ر (١٩١٧) ، قبل في الحزب البلشفي بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية شغل جملة من المناصب المسؤولـة قام بنضال تكتيكي ضار ضد خطة الحزب العامة وضد البرنامج اللينيني لبناء الاشتراكية ، وروج باستحالة انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي في عـام ١٩٢٧ طرد تروتسكي من الحزب وفي عام ١٩٢٩ ، نفي من الاتحاد السوفييتي لنشاطه المعادي للسلطة السوفييتيـة . ـ ص ص ٤٠٤ ، ٤٦٣ .

تشيرنيشيفسكي نيقولاي غافريلوفيتش (١٨٢٨ـ١٨٨٩) ـ ديموقراطـــي ثوري روسي كبير ، اشتراكي طوبوي ، فيلسوف مادي ، كاتب وناقد ادبي قائد الحركة الديموقراطيـــة الثوريـة في الستينيات من القرن التاسع عشر في روسيا . ـ ص ٣٨

تكاتشيف بيوتر نيكيتيتش (١٨٤٤ـ١٨٨٥) ـ احد مفكري الشعبيـــة الثورية ، كاتب سياسي وناقد ادبي . ـ ص ص ٢١٧ ، ٢١٨

توتوميانتس ف ف (ولد عام ١٨٧٥) ـ اقتصادي روسي تعاون في التسعينيات مع لسان حال «الماركسيين الشرعيين» ، مجلة «ناتشالو» («البداية») ألف كتبا عن الوضع الاقتصادي في اوروبا وعن التعاون والاقتصاد البلدي . ـ ص ٢٦٢

توراتي (Turati) **فيليبو** (١٨٥٧ـ١٩٣٢) ـ مناضل في الحركة العماليـة الايطاليـــة ، من منظمي الحزب الاشتراكي الايطالي (١٨٩٢) وزعيم جناحه الاصلاحي اليميني . ـ ص ص ٤٧٥ ، ٤٨٩

تورغينيف ايفان سرغييفيتش (١٨١٨ـ١٨٨٣) كاتب روسي ليبيرالـــي في آرائه السياسية . ـ ص ٢٥٧

تولين ك . ـ راجعوا لينين ف إ

تييير (Thiers) **ادولف** (١٧٩٧ـ١٨٧٧) ـ رجل دولة ومؤرخ رجعـــي فرنسي قمع بقساوة انتفاضة كومونة باريس ـ ص ٥٣٨

جوريس (Jaurès) **جان** (١٨٥٩ـ١٩١٤) ـ شخصية بارزة في الحركـــة الاشتراكية الفرنسية والعالمية زعيم الجناح اليميني الاصلاحي في الحزب الاشتراكي الفرنسي ـ ص ص ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ ، ٤٧٨ ، ٥٠٣ ، ٥٦٥ .

جيليابوف اندري ايفانوفيتش (١٨٥٠ـ١٨٨١) ـ ثوري روسي ، مؤسس واحد قادة حزب «نارودنايا فوليا» («ارادة الشعب») كان واثقـا بضرورة النضال السياسي ضد القيصرية ، ولكن لم يفهم دور الطبقة العاملة التاريخي في هذا النضال ؛ علق الدور الحاسم في هذا النضال على تكتيك الارهاب الفردي . ـ صص ١٣٨ ، ١٧٨ ، ٢١٥

خالتورين ستيبان نيقولاييفيتش (١٨٥٧ـ١٨٨٢) ـ ثوري روسي عامل . أسس في عام ١٨٧٨ المنظمة السرية ، «اتحاد العمال الروس في الشمال» . في سنوات ١٨٧٩ـ١٨٨٢ ، اشتـــرك في نشاط «نارودنايا فوليا» الارهابي اعدمته الحكومة القيصرية ـ ص ١٣٧

دافيد (David) **ادوارد** (١٨٦٣ـ١٩٠٠) ـ احد زعماء الجناح اليميني فى الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية محرف ـ صص ٢٤ ، ٣١٠ ٥٧٣

دانييلسون نيقولاي فرانتسيفيتش (ن ـ ون) (١٨٤٤ـ١٩١٨) ـ كاتب اقتصادي روسي مفكر الشعبية الليبيرالية في العقدين التاسع والعاشر من القرن التاسع عشر . ـ ص ٢٦٢

دومبروفسكي (Dąbrowski) **ياروسلاف** (١٨٣٦ـ١٨٧١) ـ ثـــوري بولوني جنرال في كومونة باريس استشهد في ٢٣ ايار (مايـــو) ١٨٧١ اثناء الدفاع عن تلال مونمارتر . ـ ص ٣٦٨

دونكر (Duncker) **فرانتس** (١٨٢٢ـ١٨٨٨) ـ سياسي وناشر الماني فى العقد السابع من القرن التاسع عشر ، احد مؤسسي نقابات اصلاحية ـ ٥٨ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩

دوهرينغ (Dühring) **يفغيني** (١٨٣٣ـ١٩٢١) ـ فيلســوف واقتصادي الماني نظرات دوهرينغ الفلسفية جمعت على اسس المذهب الاختياري بين المثالية والمادية المبتذلة . ـ ص ٢٢ .

دي روكيني (de-Roquigny) **روبر** (ولد في عام ١٨٤٥) ــ اقتصادي فرنسي روج بفكر انشاء تعاونيات زراعية ، واعتبر هذه التعاونيات وسيلة لتوحيد العمال والبرجوازية . ــ ص ٥٧٥

و . م . ــ مؤلف مقالة «واقعنا» في «الملحق الخاص لـ«رابوتشايا ميسل»» (ايلول ــ سبتمبر ــ ١٨٩٩) ، التي عرض فيها على المكشوف نظرات «الاقتصاديين» الانتهازية . ــ ص ٢٢٧

رودیتشیف فیودور ایفانوفیتش (١٨٥٦ــ١٩٣٣) ــ ملاك عقاري كبير ومن رجال الزيمستفو من زعماء حزب الكاديت نائب في دومـــا الدولة الاول والثاني والثالث والرابع .ــ ص ص ٥٢٧ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧

روغاتشوف دميتري ميخايلوفيتش (١٨٥١ــ١٨٨٤) ــ عضو بارز في حزب «نارودنايا فوليا» . ــ ص ١٧٨

روغه (Ruge) **ارنولد** (١٨٠٢ــ١٨٨٠) ــ كاتب سياسي الماني مـــن الهيغليين الشباب راديكالي برجوازي في سنة ١٨٤٤ ، اصدر في باريس بالاشتراك مع ماركس مجلة«Deutsch-Französische Jahrbücher» («الحولية الالمانية الفرنسية») في سنة ١٨٤٨ ، كان نائبا في مجلس فرانكفورت الوطني ؛ بعد سنة ١٨٦٦ ، اصبح ليبيراليا قوميا من انصار بيسمارك . ــ ص ٣٦٧

رومانوف فلاديمير الكسندروفيتش (فلاديمير) (١٨٤٧ــ١٩٠٩) ، امير كبير ، عم القيصر نيقولاي الثاني . ــ ص ٣٧٦

ريتينغهاوزن (Rittinghausen) **موريتز** (١٨١٤ــ١٨٩٠) ــ اشتراكـــي-ديموقراطي الماني نصير الفكرة الخاطئة القائلة «بسلطة الشعـــب المباشرة» طرد من الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانـــي في عام ١٨٨٤ . ــ ص ١٨١ .

رينان (Renan) **ايرنست جوزيف** (١٨٢٣ـ١٨٩٢) ـ مؤرخ فرنسي في الدين فيلسوف مثالي اشتهر بمؤلفاته في تاريخ المسيحيـــة البدائية ـ ص ٥٥٣

زاسوليتش فيرا ايفانوفنا (ف ز .) (١٨٤٩ ـ ١٩١٩) ـ مناضلـــة في الحركة الشعبية ثم في الحركة الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا في عام ١٨٧٨ حاولت اغتيال حاكم بطرسبورغ تريبوف في عام ١٨٨٠، هاجرت الى الخارج وانتقلت الى مواقف الماركسية اشتركت في تاسيس المنظمة الماركسية الروسية الاولى ـ فرقة «تحرير العمل» بعـــد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (١٩٠٣)، منشفية . ـ ص ١٧٥

زوباتوف سرغي فاسيليفيتش (١٨٦٤ـ١٩١٧) ـ عقيد في الدرك رئيس مصلة الأمن في موسكو في مستهل القرن العشرين مؤسس ومنظم ما يسمي بجمعيات العمال «الزوباتوفية» في سنوات ١٩٠١ـ١٩٠٣ ؛ بواسطتها حاول ان يصرف العمال عن النضال الثوري لم يحظ نشاط زوباتوف باي نجاح وكنّس نهوض الحركة الثورية المنظمات التي انشاهـــا ـ ص ص ٢٩ ، ٥٧ ، ١٤٧ ، ١٤٩

سازونوف غيورغي بتروفيتش (ولد عـام ١٨٥٧) ـ شعبي اعـرب في مؤلفاته عن مناصرته للدولة الاوتوقراطية ، جامعاً اياها مع الدعوة الى الفكرة الشعبية القائلة بضرورة صيانة المشاعة الفلاحية وتخليدهـا ـ ص ص ٢٦١ ، ٢٦٢

سافينكـوف بوريس فيكتوروفيتش (ب ـ ف) (١٨٧٩ ـ ١٩٢٥) ـ احـد قـادة حزب الاشتراكيين-الثوريين . ـ ص ص ١٣٣ ١٣٦ ١٦٣ ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٦

سالتيكوف-شدرين ميخائيل يفغرافوفيتش (شدرين) (١٨٢٦ ـ ١٨٨٩) ـ كاتب ساخر وهجاء روسي . ديموقراطي ثوري . ـ ص ١٦٨ .

سان سيمون (Saint-Simon) **هنري كلود** (١٧٦٠ـ١٨٢٥) ـ اشتراكي طوبوي فرنسي عظيم . ـ ص ٤٠

ستاروفر ـ راجعوا بوتريسوف أ ن .

ستروفه بيوتر برنغاردوفيتش (١٨٧٠ـ١٩٤٤) ـ اقتصادي وكاتـــب سياسي روسي في التسعينيات ، ابرز ممثل «للماركسية الشرعية» احد زعماء حزب الكاديت ـ ص‌ص ٢٧ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٨٦ ، ١٤٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٤٠٣ ، ٤١٧ ، ٤٤٥ ، ٤٥١ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٥٦ ، ٥٦٠

سيبياغين دميتري سرغييفيتش (١٨٥٣ ـ ١٩٠٢) ـ رجل دولة في روسيا القيصرية منذ عام ١٨٩٩ ، وزير الداخلية ورئيس الدرك . ناضل بشدة وقساوة ضد الحركة التحررية في روسيا اغتالـــه الاشتراكي‌ـالثوري بالماشيف . ـ ص‌ص ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٠

سيريبرياكوف ييسبر الكسندروفيتش (١٨٥٤ـ١٩٢١) ـ ثروي روسي من رجال حزب «نارودنايا فوليا» في عام ١٨٨٣ ، هاجر الى الخارج من روسيا القيصرية في اعوام ١٨٩٩ـ١٩٠٢ ، اصدر في لندن مجلة «ناكانونيه» («في العشية») . ـ ص ١٧٨

شابر (Schapper) **كارل** (١٨١٢ـ١٨٧٠) ـ قائد في الحركة العماليـــة الالمانية والعالمية . ـ ص ٥٤٩

شدرين ـ راجعوا سالتيكوف‌ـ شدرين م ي

شرام (Schramm) **كارل اوغست** ـ اقتصادي الماني . اشتراكي‌ـديموقراطي . ناضل ضد الحزب الشعبي الثوري . ـ ص ٦٨ .

شفيتزر (Schweitzer) **يوهان بابتيست** (١٨٣٣ـ١٨٧٥) ـ شخصيـة اجتماعية المانية وكاتب من اتباع لاسال من ١٨٦٧ الى ١٨٧١ ، رئيس اتحاد العمال الالمان العام . ـ ص ٦٨

شفيرين (Schwerin) **مكسيميليان** (١٨٠٤ـ١٨٧٢) ـ سياسي بروسي ممثل الاريستقراطية والبيروقراطية الرجعية . ـ ص ٥٤٥

شولتزه-ديليتش (Schulz-Delitzsch) **غرمن** (١٨٠٨ـ١٨٨٣) ـ اقتصادي مبتذل الماني بشر بانسجام مصالح الرأسماليين والعمال الطبقيـة ـ ص ٥٧

شيبوف دميتري نيقولاييفيتش (١٨٥١ـ١٩٢٠) ـ ملاك عقـاري كبير شخصية بارزة في حركة الزيمستفو ليبيرالي معتدل . ـ ص ٤٢٦ ، ٤٤٥ ، ٤٥١ ، ٥٠١ ، ٥٣٥ ، ٥٤٠ ، ٥٥٦ .

غابون غيورغي ابولونوفيتش (١٨٧٠ ـ ١٩٠٦) ـ كاهن نظم المسيرة التي قام بها عمال بطرسبورغ لتقديم عريضة الى القيصر في ٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ ، والتي اطلقت عليها النيران ـ ص ٣٧٧ ، ٤٤٨

غريديسكول نيقولاي اندرييفيتش (ولد في عام ١٨٦٤) ـ حقوقي وكاتب سياسي كاديتي في عام ١٩٠٥ ، اشترك في اصدار جريدة «مير» في كانون الاول (ديسمبر) من العام نفسه ، اغلقت هذه الجريدة بسبب نشرها مقالة ذات طابع «معاد للحكومة» ، وتم اعتقال غريديسكـول ونفيه . ـ ص ٥٣٥

غليوم الثاني (هوهنزوللرن) (١٨٥٩ـ١٩٤١) ـ امبراطور المانيـا وملك بروسيا (١٨٨٨ـ١٩١٨) . ـ ص ١٢٨

غوفشتيتر اي أ (ولد في عـام ١٨٦٣) ـ ممثل الشعبية الليبيراليـة اعتبر انه يجب على الحكومة ان تسهم بنظام الضرائب والقروض في تطوير الانتاج الصغير على حساب الانتاج الكبير . ـ ص ٢٦٢ .

غيد (Guesde) **جول** (١٨٤٥ـ١٩٢٢) ـ احد مؤسسي وزعماء الحركـــة الاشتراكية الفرنسية والاممية الثانية خلال سنوات عديدة ، كان على رأس الجناح اليساري للحزب الاشتراكي الفرنسي منذ بداية الحرب الامبريالية العالمية (١٩١٤ـ١٩١٨) وقف موقفاً اشتراكيا-شوفينيـــاً ودخل في الحكومة الفرنسية البرجوازية . ـ ص ١٦

غيركه ـ وزير الزراعة في وزارة هانزيمان البروسية (١٨٤٨) . ـ ص ٥٤٧

ف . إ . ـ راجعوا ايفانشين ف . ب .

فارلان (Varlin) **لويس اوجين** (١٨٣٩ـ١٨٧١) ـ شخصيـــة بارزة في الحركة العمالية الفرنسية والاممية الاولى . ـ ص ٥١٤

فاسيلييف ن . ف . (ولد عام ١٨٥٥) ـ عقيد في الدرك ابتداء من عام ١٩٠٠ ، رئيس ادارة الدرك في محافظة مينسك نصير «الاشتراكية البوليسية» الزوباتوفية . ـ ص ١٤٧

فالتيخ(Vahlteich) **كارل يوليوس** (١٨٣٩ـ١٩١٥) ـ اشتراكي-ديموقراطي الماني يميني احد مؤسسي اتحـاد العمال الالماني العـــام اللاسالي الاتجاه وامينه الاول بعد صدور القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين (١٨٧٨) هاجر الى الولايات المتحدة الاميركية . ـ ص ٢٢

فانييف اناطولي الكسندروفيتش (١٨٧٢ـ١٨٩٩) ـ اشتراكي-ديموقراطي روسي احد منظمي «اتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة» في بطرسبورغ في عام ١٨٩٥ نفي الى سيبيريا في ١٨٩٧ . ـ ص ص ٤٦ ، ٤٩

فروبليفسكي (Wróblewski) **فاليري** (١٨٣٦ـ١٩٠٨) ـ ثوري بولوني جنرال في كومونة باريس عام ١٨٧١ . ـ ص ٣٦٨ .

ف . ز . ـ راجعوا زاسوليتش ف . اي .

ف . س . ــ راجعوا فيلاتوف ف . ف .

ف . ف . ــ راجعوا فورونتسوف . ف . ب .

فلاديمير ــ راجعوا رومانوف ف . أ .

فورباخ (Feuerbach) **لودفيـغ** (١٨٠٤ــ١٨٧٢) ــ فيلسوف مـادي وملحد الماني بارز احد اسلاف الماركسية ولكنه بقي مثالياً في فهم الظواهر الاجتماعية . ــ ص ص ٣٨٧ ، ٤٣٣

فورمس الفونس ارنستوفيتش (١٨٦٨ــ١٩٣٧) ــ حقوقي ليبيرالي في ١٩٠١ــ١٩٠٢ ، القى محاضرات في اجتماعات الجمعية الزوباتوفية ، «جمعية تعاضد العمال في الانتاج الميكانيكي» . ــ ص ١٤٧

فوروفسكي فاتسلاف فاتسلافوفيتش (آداموفيتش يو) (١٨٧١ــ١٩٢٣) ــ ثوري محترف بلشفي كاتب سياسي وناقد ادبي . ــ ص ٢٢٠

فورونتسوف فاسيلي بافلوفيتش (ف ف)(١٨٤٧ــ١٩١٨) ــ اقتصادي وكاتب اجتماعي وسياسي روسي احد ايديولوجيي الشعبية الليبيرالية في العقدين التاسع والعاشر من القرن التاسع عشر. مؤلف كتـاب «مصائر الرأسمالية في روسيا» (عام ١٨٨٢) ، وكتاب «اتجاهاتنا» (عام ١٨٩٣) وغيرهما من الكتب ؛ وفيها انكر تطور الرأسمالية في روسيا، واخذ جانب الدفاع عن الانتاج البضاعي الصغير ، وصور المشاعة الفلاحية بصورة مثالية. ــ ص ص ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٩٦ ، ٢٦٢

فوريه (Fourier) **شارل** (١٧٧٢ــ١٨٣٧) ــ اشتـراكي طوبـوي فرنسي كبير . ــ ص ٤٠

فوغت (Vogt) **كارل** (١٨١٧ــ١٨٩٥) ــ عالم طبيعيات الماني . مادي مبتذل . ــ ص ٣٨٧ .

فولتمان (Woltmann) **لودفيـــغ** (١٨٧١ـ١٩٠٧) ـ عالم اجتمـــاع وانتروبولوجي الماني رجعي اعتبر النضال الاقتصادي اهم مهام الطبقة العاملة . ـ ص ٦٥

فولمار (Vollmar) **غيورغ هنريخ** (١٨٥٠ـ١٩٢٢) ـ احد زعماء الجناح الانتهازي في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني احد ايديولوجيي الاصلاحية والتحريفية . ـ ص ١٧

فيتلينغ (Weitling) **ولهلم** (١٨٠٨ـ١٨٧١) ـ من رجالات حركة العمال الالمانية البارزين في المراحل الاولى من تطورها ، احد نظريي الشيوعية «السوائية» الطوبوية . ـ ص ٥٦

فيته سرغي يوليفيتش (١٨٤٩ـ١٩١٥) ـ رجل دولة روسي سعى الى الليبيرالية احد منظمي خنق ثورة ١٩٠٥ـ١٩٠٧ ـ ص ١٢٣

فيغنر فيرا نيقولاييفنا (١٨٥٢ـ١٩٤٢) ـ ثورية روسية من الشعبيين عضو في اللجنة التنفيذية لحزب «نارودنايا فوليا» في سنة ١٨٨٤ ، حكمت بالاعدام وابدل الحكم بالاشغال الشاقة المؤبدة . ـ ص ١٧٨

فيلاتوف ف . ف . (ف . س .) (ولد عام ١٨٧٩) ـ اشتراكي-ديموقراطي . صحفي . ـ ص ٥٥٧

كابلوكوف نيقولاي الكسييفيتش (١٨٤٩ـ١٩١٩) ـ اقتصادي واحصائي نصير الشعبية الليبيرالية روج بفكرة «استقرار» الاقتصاد الفلاحي الصغير . وصور المشاعة بصورة مثالية . ـ ص ٥٤٧

كاتكـوف ميخائيـــل نيكيفوروفيتش (١٨١٨ـ١٨٨٧) ـ كاتب سياســي واجتماعي رجعي من ١٨٦٣ الى ١٨٨٧ ، محرر في «موسكوفوسكيه فيدوموستي» التي امست بوقا للرجعية الملكية . ـ ص ١١٧

كاريييف نيقولاي ايفانوفيتش (١٨٥٠ـ١٩٣١) ـ مؤرخ وكاتب اجتماعي

رسياسي برجوازي ليبيرالي . منذ عام ١٩٠٥ ، عضو في حزب الكاديت من خصوم الماركسية . ـ ص ٧٠

كامبهاوزن (Camphausen) **لودولف** (١٨٠٣ـ١٨٩٠) ـ رجل دولـــة بروسي من زعماء البرجوازية الليبيرالية في منطقة الرين ؛ في آذار ـ حزيـــران (مارس ـ يونيو) ١٨٤٨ تراس مجلس وزراء بروسيا ـ ص ص ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦

كانيتز (Kanitz) **اوغســـت** (١٧٨٣ـ١٨٥٢) ـ جنرال بروسي في ايار ـ حزيـــران (مايو ـ يونيو) ١٨٤٨ ، وزير الحربيـــة في وزارة كامبهاوزن . ـ ص ٥٤٥

كاوتسكي (Kautsky) **كارل** (ك . ك .) (١٨٥٤ـ١٩٣٨) ـ احد زعمـــاء الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية في البدء ماركسي فيمـــا بعد ، ارتد عن الماركسية ايديولوجي اخطر واضر نوع من الانتهازية الوسطيـــة (الكاوتسكية) صاحب النظرية الرجعيـــة بصدد الامبريالية العليا . ـ ص ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٨١ ، ٢٣٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٤٦٢ ، ٥١٤

كريتشيفسكـي بوريس ناوموفيتش (ب كر) (١٨٦٦ـ١٩١٩) ـ اشتراكي-ديموقراطي روسي احد زعماء «الاقتصادية» كان محرر مجلة «رابوتشييه ديلو» ونشر على صفحاتها النظرات البرنشتينية بعد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (١٩٠٣) ، ابتعد عن الحركة الاشتراكية-الديموقراطية . ـ ص ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٨٧ ، ١٠٨ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ١٧٢ ، ١٨٨ ، ١٩٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٤٦٣

كريغه (Kriege) **غرمن** ١٨٢٠ـ١٨٥٠) ـ صحفي الماني ممثل ما يسمى «الاشتراكية الصحيحـــة» . ـ ص ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩

ك . ك . ـ راجعوا كاوتسكي .

كوروباتكين الكسي نيقولاييفيتش (١٨٤٨ـ١٩٢٥) ـ جنرال قيصري ابان الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ـ١٩٠٥) القائد الاعلى للقوات المسلحة الروسية في الشرق الاقصى تكشف عن انه قائد عديم الارادة وعديم الموهبة . ـ ص ٣٨٥

كوسكوفا بيكاتيرينا دميتريفنا (١٨٦٩ـ١٩٥٨) ـ شخصية اجتماعية وكاتبة اجتماعية وسياسية روسية ممثلة بارزة «للاقتصادية» في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية وضعت "Credo" («الكريدو») الذي اظهر باوضح شكل جوهر الاقتصادية الانتهازي في عام ١٩٠٦ ، اشتركت في اصدار مجلة «بز زاغلافيا» شبه الكاديتية . ـ ص ٣٠

كولتسوف د (غينسبـورغ بوريس ابراموفيتش) (١٨٦٣ـ١٩٢٠) ـ اشتراكي-ديموقراطي روسي منشفي . ـ ص ٥٥٣

لاسال (Lassalle) **فرديناند** (١٨٢٥ـ١٨٦٤) ـ اشتراكي برجوازي صغير الماني مؤسس اتحاد العمال الالمان العام الذي اضطلع بدور ايجابي في الحركة العمالية في جملة من اهم المسائل السياسية شغل موقفا انتهازيا انتقده ماركس وانجلس عليه انتقاداً حاداً . ـ ص ص ١١ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٥٧

لافارغ (Lafargue) **بول** (١٨٤٢ـ١٩١١) ـ احد مؤسسي وزعماء الحركة الاشتراكية الفرنسية والاممية الثانية من نظريي ومروجي الماركسية ـ ص ٩٠

لافروف بيوتر لافروفيتش (١٨٢٣ـ١٩٠٠) ـ ايديولوجي بارز للشعبية ؛ كان مؤسس النظرية الشعبيـــــة الرجعية التي تقـــول بـ«الابطال» و«الجموع» ، والتي تنكر قوانين تطور المجتمـــع الموضوعية وتعتبر تقدم البشرية نتيجة لنشاط «الافراد ذوي التفكير النقاد»

كان لافروف عضواً في جمعية «زيمليـا إي فوليا» («الارض والحرية») ، وفيمـــا بعد ، في حزب «نارودنايـــا فوليا» («ارادة

الشعب») كان عضواً في الاممية الاولى ، وكان على معرفة بماركس وانجلس . ـ ص ١٧٣

لومونوسوف ميخائيـــل فاسيلييفيتش (١٧١١ـ١٧٦٥) ـ عالم روسي عظيم اشتهر باعماله في مختلف ميادين العلم والادب اصله مـــن الفلاحين . ـ ص ص ٨٨ ، ٨٩

ليبكنخت (Liebknecht) **ولهلـــم** (١٨٢٦ـ١٩٠٠) ـ احد مؤسسي وقادة الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني قائد نشيط في الاممية الاولى والاممية الثانية محرر الصحيفة المركزيـــة للاشتراكية-الديموقراطية الالمانية ، جريدة «Vorwärts» انتخب مراراً نائباً في الريخستاغ ـ ص ص ٦٨ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٥٥

ليفيتسكي ن ف (ولد عام ١٨٥٩) ـ ممثل الشعبيـــة الليبيراليـــة اقتصادي . ـ ص ص ٢٦٤ ، ٢٦٥

لينين فلاديمير ايليتش (اوليانـــــوف ف . إ ؛ ن . لينين ؛ تولين ك .) (١٨٧٠ـ١٩٢٤) ـ ص ص ٢٧ ١٩٦ ٢٣١ ٢٥١ ٢٥٤ ، ٤٠٥ ، ٤٦٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٣٣ ، ٥٤٢ ، ٥٦١ ، ٥٧١

ليون الثالث عشر (جواكينو فينتشينتسو ، الكونـــت بيتشي) ١٨١ـ ١٩٠٣) ـ منذ عام ١٨٧٨ بابا روما سعى الى بعث دور الباباوية السياسي ناضل ضد افكار الاشتراكية وضد الحركة العمالية دعا خلافاً للمنظمات البروليتارية الطبقية لانشاء منظمات للشغيلة تكون تحت مراقبة الكنيسة وتتعاون مع ارباب الاعمال . ـ ص ٥٣٨

مارتوف ل (تسيديرباوم يـولي اوسيبوفيتش ؛ نارسيس توبوريلوف) (١٨٧٣ـ١٩٢٣) ـ اشتراكي-ديموقراطي روسي . احد زعماء المنشفية . ـ ص ص ٧١ ، ٨٦ ، ٣٦٠ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ .

مارتينوف أ (بيكر الكسنـــدر صموئيلوفيتش) (١٨٦٥ـ١٩٣٥) ـ اشتراكي-ديموقراطي روسي احد ايديولوجيي «الاقتصادية» بعـــد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (١٩٠٣)، منشفي . ـ ص ص ٦٥ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٤ ١٢٠ ١٢١ ، ١٣٦ ١٤١ ١٤٥ ١٩٥ ٢٠٧ ٢١٦ ٢٢٤ ٢٢٧ ، ٢٢٩ ٢٣٥ ٢٣٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٧ ، ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٢ ، ٤٣١ ، ٤٦٣ ، ٤٧٢ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٨٣ ، ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠٢ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢

ماركس (Marx) **كارل** (١٨١٨ـ١٨٨٣) ـ ص ص ١١ ، ١٧٠ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ٥٥ ، ٦٧ ، ١٠٨ ، ٢١٦ ، ٢٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٢٠ ، ٤٣٣ ، ٤٥٢ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠١ ، ٥٢٥ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٨ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٣ ، ٥٥٩ ، ٥٦٩ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤

مانويلـوف الكسندر ابولونوفيتش (١٨٦١ـ١٩٢٩) ـ اقتصادي روسي في ١٩٠٥ـ١٩١١ عميد جامعـــة موسكو شخصية بارزة في حزب الكاديت . ـ ص ٥٤٧

مهرينغ (Mehring) **فرانتس** (١٨٤٦ـ١٩١٩) ـ من رجالات حركة العمال الالمانية البارزين ، احد القادة والنظريين في الجناح اليساري للاشتراكية-الديموقراطية الالمانية ، مؤرخ وكاتب سياسي ونقاد ادبي كان مـــع كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ وغيرهما من مؤسسي الحزب الشيوعي الالمـــاني . ـ ص ص ٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٩٢ ٤٥٢ ٥٤١ ٥٤٣ ، ٥٤٩ ، ٥٥١

موست (Most) **يوهـــان يوسف** (١٨٤٢ـ١٩٠٦) ـ اشتراكي-ديموقراطي الماني . فيما بعد فوضوي . ـ ص ص ٢٢ ، ٦٨ ، ١٥٦ .

مول (Moll) **يوسف** (١٨١٣ـ١٨٤٩) ـ قائد بارز في الحركـة العماليـة الالمانية والعالمية . ـ ص ٥٤٩

موليشوت (Moleschott) **يعقوب** (١٨٢٢ـ١٨٩٣) ـ فيزيولوجي وفيلسوف من مواليد هولندا علّم في مؤسسات التعليم في المانيا احد ممثلي المادية المبتذلة الرئيسيين . ـ ص ٣٨٧

ميخايلوف الكسندر دميتريفيتش (١٨٥٥ـ١٨٨٤) ـ من رجالات حركـة الشعبية البارزين احد منظمي وقائد حزب «نارودنايا فوليا» («ارادة الشعب») . ـ ص ١٧٨

ميخايلـوف نيقولاي نيقولاييفيتش (١٨٧٠ـ١٩٠٥) ـ مخبر استفزازي ، بناء على اخباريته اعتقل لينين وغيره من قادة «اتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة» في كانون الاول (ديسمبر) ١٨٩٥ . ـ ص ٥١

ميخايلوفسكي نيقولاي قسطنطينوفيتش (١٨٤٢ـ١٩٠٤) ـ عالـم اجتماعي روسي كاتب سياسي وناقد ادبي نظري بارز للشعبية الليبيراليـة خاض نضالاً ضارياً ضد الماركسية . ـ ص ص ٧٠ ، ٢٢٦

ميشيرسكي فلاديمير بتروفيتش (١٨٣٩ـ١٩١٤) ـ كاتب سياسي واجتماعي رجعي ناشر مجلة المئة السـود «غراجدانين» («المواطن») . ـ ص ١١٧

ميشكين ابوليت نيكيتيتش (١٨٤٨ـ١٨٨٥) ـ قائد بارز في الحركـة الشعبية في عام ١٨٧٣ ، فتح في موسكو مطبعة علنية ، كانت تطبع سراً المطبوعات الممنوعة . ـ ص ص ١٣٧ ، ١٧٨

ميلبران (Millerand) **الكسندر ايتين** (١٨٥٩ـ١٩٤٣) ـ سياسي فرنسي في التسعينيات ، التحق بالاشتراكيين في عام ١٨٨٩ ، اشترك في حكومة فالديك-روسو البرجوازية الرجعية وتعاون فيها مع جلاد كومونة باريس

الجنرال غاليفه . ــ ص‌ص ١٦ ، ١٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٣٨٤ ، ٤١٦ ، ٤٧٥ ، ٥١٤ ، ٥٦٥

ميولبيرغر (Mülberger) **ارثور** (١٨٤٧ــ١٩٠٧) ــ كاتب سياسي برجوازي صغير الماني من اتباع برودون ناضل ضد الماركسية . ــ ص ٢٢

نابليون الثالث (بونابرت لويس) (١٨٠٨ــ١٨٧٣) ــ امبراطور فرنسا من عام ١٨٥٢ الى عام ١٨٧٠ . ــ ص ٣٦٧

ناديجدين ل . (زيليتسكي يفغيني اوسيبوفيتش) (١٨٧٧ــ١٩٠٥) بدأ حياته السياسية شعبيا منذ عام ١٨٩٨ ، اشتراكي-ديموقراطي في عام ١٩٠٠ ، هاجر الى سويسرا ، حيث نظم «الفرقة الثورية الاشتراكية» «سفوبودا» («الحرية») (١٩٠١ــ١٩٠٣) قد ايد «الاقتصاديين» في مجلة «سفوبودا» ، ودعا في الوقت نفسه الى الارهاب باعتباره وسيلة «لتهييج الجماهير» ، وناضل ضد «الايسكرا» اللينينية بعد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا ، نشر في المطبوعات المنشفية . ــ ص‌ص ١٩٥ ، ١٩٨ ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٤٦٨

نارسيس توبوريلوف ــ راجعوا مارتوف ل

نايت (Knight) **روبرت** ــ من رجالات الحركة النقابية الانكليزية البارزين ــ ص ١٠٧

ن . لينين ــ راجعوا لينين ف . إ

N.N. **(ن . ن .)** ــ راجعوا بروكوبوفيتش س . ن

ن . ــ ون ــ راجعوا دانييلسون ن . ف .

نيقولاي الثاني (رومانوف ، «نيقولاي») الدموي» (١٨٦٨ـ١٩١٨) ـ آخر امبراطور روسي (١٨٩٤ـ١٩١٧) . ـ ص ص ٢٧٤ ، ٤٥٣ ، ٤٦٠ ٥٣٧

نيقولاي الدموي ـ راجعوا نيقولاي الثاني

هاركورت (Harcourt) **وليام غيورغ** (١٨٢٧ـ١٩٠٤) ـ رجل دولـــة بريطاني ، ليبيرالي . ـ ص ٥٣٨

هاسيلمان (Hasselmann) **ولهلم** (ولد عام ١٨٤٤) ـ اشتراكي-ديموقراطي الماني . فيما بعد فوضوي . ـ ص ص ٦٨ ، ١٥٦

هانزيمان (Hansemann) **دافيـد يوستـوس** (١٧٩٠ـ١٨٦٤) ـ سياسي بروسي احد زعماء البرجوازية الليبيرالية وزير المالية في وزارتي كامبهاوزن واويرسفالد . ـ ص ص ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧

هرتزنشتاين ميخائيل ياكوفليفيتش (١٨٥٩ـ١٩٠٦) ـ اقتصادي روسي ، من زعماء حزب الكاديت ونظرييه في القضايا الزراعية . ـ ص ٥٤٧

هرتس (Hertz) **فريدريخ اوتو** (ولد عام ١٨٧٨) ـ اقتصادي نمساوي عارض في كتبه تعاليم الماركسية في المسالة الزراعية ، وحاول ان يبرهن «استقرار» الاقتصاد الفلاحي الصغير ، وقدرته على مقاومة مزاحمـــة الاقتصاد الكبير . ـ ص ص ٣٤ ، ٢٥٤

هرتسين الكسندر ايفانوفيتش (١٨١٢ـ١٨٧٠) ـ ديموقراطي ثوري روسي ، فيلسوف مادي ، كاتب هاجر الى الخارج وأسس «المطبعة الروسيـــة الحرة» في لندن وشرع يصدر منـــذ عام ١٨٥٧ مجلة «كولوكول» («الجرس») ، التي كانت ترسل سراً الى روسيا والتي لعبت دوراً هائلاً في تطوير الحركة الثورية الروسية . ـ ص ٣٨ .

هوخبيرغ (Höchberg) **كارل** (١٨٥٣ـ١٨٨٥) ـ اشتراكي-ديموقراطـــي الماني انتهازي بعد اصدار القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين في المانيـا (عام ١٨٧٨) ، وقف ضد التكتيك الثوري الذي اقره الحزب ودعا الى التحالف مع البرجوازية . ـ ص ٦٨

هيرش (Hirsch) **ماكس** (١٨٣٢ـ١٩٠٥) ـ اقتصادي وكاتب اجتماعـــي وسياسي الماني عضو الحزب التقدمي البرجوازي في ١٨٦٨ ، اسس مع فرانتس دونكر بعض النقابات الاصلاحية روج في مؤلفاته بفكرة «الانسجام» بين العمل والرأسمال وعارض تكتيك البروليتاريا الثوري ـ ص ص ٥٨ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩

هيغل (Hegel) **غيورغ ولهلم فريدريخ** (١٧٧٠ـ١٨٣١) ـ فيلسوف الماني كبير مثالي موضوعي . ـ ص ٣٩

ويب (Webb) **بياتـريس** (١٨٥٨ـ١٩٤٣) **وسيدنـــي** (١٨٥٩ـ١٩٤٧) ـ شخصيتان اجتماعيتان بريطانيتان وضعا جملة من الكتب في تاريخ ونظرية الحركة العمالية البريطانية كان سيدني ويب احد مؤسسي الجمعية الفابية الاصلاحية . ـ ص ٨٣

يرمولوف الكسي سرغييفيتش (١٨٤٦ـ١٩١٧) ـ موظف في الحكومـــة القيصرية في اعماله في مسائل الزراعة ، اخذ جانب الدفاع عن مصالح الملاكين العقاريين الاقطاعيين . ـ ص ٣٢٠

يوزوف (كابليتز اي . اي .) (١٨٤٨ـ١٨٩٣) ـ كاتب اجتماعي وسياسي . شعبي . ـ ص ص ٢٦٢ ، ٣٢٠ .

محتويات

من الدار ٥

ما العمل ؟ المسائل الملحة لحركتنا ١١

مقدمة ١١

١ الجمود العقائدي و«حرية النقد» ١٥

أ) ما معنى «حرية النقد» ؟ ١٥

ب) المدافعون الجدد عن «حرية النقد» ٢٠

ج) النقد في روسيا ٢٦

د) انجلس واهمية النضال النظري ٣٥

٢ عفوية الجماهير ووعي الاشتراكية-الديموقراطية ٤٢

أ) بدء النهوض العفوي ٤٣

ب) تقديس العفوية «رابوتشايا ميسل» ٤٩

ج) «جماعة التحرير الذاتي» (٢١) و«رابوتشييه ديلو» ٦١

٣ السياسة التريديونيونية والسياسة الاشتراكية-الديموقراطية ٧٤

أ) التحريض السياسي وتضييق الاقتصاديين له ٧٥

ب) حكاية عن كيف عمق مارتينوف بليخانوف ٨٨

ج) التشهير السياسي و«تربية النشاط الثوري» ٩٢

د) ما هو مشترك بين الاقتصادية والارهابية ؟ ١٠

هـ) الطبقة العاملة مناضل طليعي من اجل الديموقراطية ١٠٤

و) مرة اخرى «مفترون» ، مرة اخرى «مشعوذون» ١٢٤

٤ عمل الاقتصاديين الحرفي وتنظيم الثوريين ١٢٩
أ) ما هو العمل الحرفي ؟ ١٣٠
ب) العمل الحرفي والاقتصادية . ١٣٤
ج) منظمة العمل ومنظمة الثوريين ١٤٣
د) سعة العمل التنظيمي ١٦٣
ه) المنظمة «التآمرية» و«الروح الديموقراطية» ١٧١
و) العمل في النطاق المحلي والروسي العام ١٨٢
٥ «مشروع» جريدة سياسية لعامة روسيا ١٩٤
أ) من اغاظتهم مقالة «بم نبدأ ؟» ؟ ١٩٦
ب) هل يمكن للجريدة ان تكون منظماً جماعياً ؟ ٢٠٣
ج) ما هو طراز المنظمة التي نحتاجها ؟ ٢١٧
خاتمة ٢٢٦
ملحق محاولة توحيد «الايسكرا» و«رابوتشييه ديلو» ٢٣٠
تعديل على «ما العمل ؟» ٢٣٩
روح المغامرة الثورية ٢٤١
١ ٢٤١
٢ ٢٥٣
الى الفلاحين الفقراء تعليق من اجل الفلاحين ما يريده الاشتراكيون-الديموقراطيون ٢٦٨
١ نضال عمال المدن ٢٦٨
٢ ماذا يريد الاشتراكيون-الديموقراطيون ؟ ٢٧١
٣ الثروة والبؤس ، الملاكون والعمال في الارياف ٢٨٦
٤ الى اي جانب ينبغي ان يقف الفلاح المتوسط ؟ الى جانب الملاكين والاغنياء ام الى جانب العمال وغير المالكين ؟ ٣٠٥

٥ ايـــة تحسينـــات يريد الاشتراكيون-الديموقراطيون تحقيقها من اجل الشعب كله ومن اجل العمال ؟ ٣١٦
٦ اية تحسينـــات يجهد الاشتراكيون-الديموقراطيون للحصول عليها من اجل جميع الفلاحين ؟ ٣٣٠
٧ النضال الطبقي في الريف ٣٥٠
برنامج حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا كما عرضته جريدة «الايسكرا» ومجلة «زاريا» ٣٥٩
المسالة القومية في برنامجنا ٣٦٣
بداية الثورة في روسيا ٣٧٥
ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثوريـة ٣٨٠
ماركس و«التقسيم الاسود» الاميركي ٣٩٢
خطتا الاشتراكية-الديموقراطية في الثورة الديموقراطية ٤٠١
مقدمـة ٤٠١
١ مسالة سياسية ملحة ٤٠٦
٢ ماذا يعطينـــا قرار المؤتمر الثالث لحزب العمـــال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا بشان الحكومة الثورية الموقتة ؟ ٤١٠
٣ ماذا يعني «انتصار الثورة الحاسم على القيصرية» ؟ ٤١٨
٤ الجمهورية وتصفية النظام الملكي ٤٢٧
٥ كيف يجب «دفع الثورة الى الامام» ؟ ٤٣٤
٦ من اي جهة يهدد البروليتاريا خطر تقييد يديهـــا في النضال ضد البرجوازية المتذبذبة ؟ ٤٣٨
٧ تكتيك «اقصاء المحافظين عن الحكومة» ٤٥٦
٨ نزعة «اوسفوبوجدينييه» ونزعة «الايسكرا» الجديدة ٤٦١
٩ . ماذا يعني حزب اقصى المعارضة ابان الثورة ؟ . . ٤٧٣

١٠ «الكومونات الثورية» وديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية ٤٧٧
١١ مقارنة خاطفة بين بعض قرارات المؤتمر الثالث لـ ح ع ا د ر و «المجلس العام» ٤٩١
١٢ هل يتقلص مدى الثورة الديموقراطية اذا انصرفت البرجوازية عنها ؟ ٤٩٧
١٣ الخاتمة هل نجرؤ على الانتصار ؟ ٥٠٨
تنبيه اخير مرة اخرى حول نزعة «اوسفوبوجدينييه» ، مرة اخرى حول نزعة «الايسكرا» الجديدة ٥٢٢
١ علام يطري الواقعيون الليبيراليون البرجوازيون «الواقعيين» الاشتراكيين-الديموقراطيين ؟ ٥٢٢
٢ الرفيق مارتينوف «يعمق» المسالة من جديد ٥٣١
٣ المفهوم البرجوازي المبتذل عن الديكتاتورية ومفهوم ماركس عنها ٥٤١
الثورة تعلّم ٥٥٥
الاشتراكية والفلاحون ٥٦٨
ملاحظات ٥٧٩
دليل الاسماء ٦٣٦
محتويات ٦٦٠

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتـــم وابديتم لهـــا ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب ، وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم

العنوان زوبوفسكى بولفار ، ٢١
موسكو ــ الاتحاد السوفييتى